جلد ثامن فيه بعض سورة الانفال وسورة برآء وسورة يونس
وسورة هود

۱۱۴۷/۸۰

SÜLEYMANİYE G. KÜTÜPHANESİ
Yeni Cami
80
297.1

بسم الله الرحمن الرحيم وهو حسبي ونعم الوكيل

قوله تعالى واعلموا انما غنمتم الاية لما امر بقتال الكفار بقوله تعالى وعند المقاتلة قد تحصل الغنيمة ذكر تعالى حكم الغنيمة والظاهر انما هذه موصوله بمعنى الذي وكان من حقها ان تكتب منفصلة من ان كما كتبت ازما توعدون لات منفصلة ولكن كذا رسمت وغنمتم صلتها وعايدها محذوف لاستكمال الشروط اي غنمتموه وقوله فان لله الفا مزيدة في الخبر لان المبتدا تضمن معنى الشرط ولا يضر دخول الناسخ عليه لانه لم يغير معناه كقوله تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين ثم لم يتوبوا فلهم والاخفش مع تجويزه زيادة الفا في خبر المبتدا مطلقا يمنع زيادتها في الموصول المشبه بالشرط اذا دخلت عليه ان المكسورة وابة البروج حجة عليه واذا تقرر هذا فان وما عملت في محل رفع على الابتداء والخبر محذوف تقديره تحق او فواجب ان لله خمسه والجملة من هذا المبتدا والخبر خبر لان وظاهر كلام ابي حيان انه جعل الفا داخلة على ان لله خمسه من غير تقدير ان يكون مبتدا وخبرها محذوف بل جعلها بنفسها خبرا وليس مراده ذلك اذ لا تدخل هذه الفا على مفرد بل على جملة والذي يقوي ازاد تعما ذكرنا انه حكى قول الزمخشري اعني كونه تقدر ان وما في خبرها محذوف والخبر فجعله قولا زايدا على ما قدمه ويجوز في ما ان تكون شرطية وعاملها غنمتم واسم ان حينئذ ضمير الامر والشان وهو مذهب الفرا الا ان هذا لا يجوز عند البصريين الا ضرورة بشرط ان لا يليها فعل كقوله

ان من يدخل الكنيسة يوما ... يلق فيها حاجة او ظمأ

وقول الاخر

ان مولى سئ سئ احسان ... اليه واعطه في الخطوب

وقيل الفا زايدة تبدل من الاولى وقال مكي وقد قيل ان الثانية موكدة للاولى وهذا لا يجوز لان الاولى تبقى بغير خبر ولان الفاصل بين المؤكد والمؤكد وزيادتها لا يحسن في مثل هذا وقيل ما مصدرية والمصدر بمعنى المفعول اي ان معنومكم المفعول به اي واعلموا انما غنمكم اي مغنومكم والغنيمة اصلها من الغنم وهو الفوز يقال يغنم غنما فهو غانم واصل ذلك من الغنم هذا الحيوان المعروف فان الظفر به سمي غنما ثم اتسع في ذلك فسمي كل شئ مظفور غنما ومغنما وغنيمة قال علقمة بن عبدة

ومطعم الغنم يوم الغنم مغنمة ... اي توجه والمحروم محروم

وقال الاخر

لقد طوفت في الافاق حتى ... رضيت من الغنيمة بالاياب

قوله من شئ في محل نصب على الحال من عايد الموصول المقدر والمعنى ما غنمتموه كاينا من شئ اي قليلا او كثيرا وحكي بن عطية عن الجحدري عن ابي بكر عن عاصم وحكي غيره عن الجعفي عن هارون عن ابي عمرو فان لله بكسر الهمزة وهو بنية هذه القراة قراة النخعي فلله خمسه فانها استينافية وخرجها ابو البقا على ان ما في خبرها في محل رفع خبر الان الاولى وقرا الحسن وعبد الوارث عن ابي عمرو خمسه بسكون الميم وهو تخفيف حسن وقرا الجعفي خمسه بكسر الخا قالوا وكسرها

على انه اتبع الخا حركة ما قبلها وهي هنا الجلالة من كلمة اخرى مستقله قالوا وهي كقراة من قرا وانسما ذات الجبك بكسر الحا اتباعا لكسرة النا من ذات ولم يعتدوا بالساكن وهو لام التعريف لانه حاجز غير حصين قال شهاب الدين لبيت شعري وكيف يقر الجعفي والحالة هذه فانه ان قرا كذلك مع ضم الميم فيكون في غاية الثقل لخروجه من كسر الى ضم وان قراه بسكونها والظاهر فانه نقلها قراة عن ابي عمرو او عن عاصم ولكن الذي قرا ذات الجبك ينبغي ضمة الفا فتودي الى فعل بكسر الفا وضم العين وهو بنا مرفوض وانما قلت انه يقر اكذلك لانه لو قري بكسر النا لما احتاجوا الى تاويل قراته على الاتباع لان في الحال لغتين ضم الحا والبا او كسرهما حتى زعم بعضهم ان قراة الخروج من كسر الى ضم من التداخل

فصل والغنيمة في الشريعة والفي اسمان لما يصيبه المسلمون من اموال الكفار فذهب جماعة الى انهما واحد وذهب قوم الى ان الغنيمة ما اصابه المسلمون منهم عنوة بقتال والفي ما كان عن صلح بغير قتال وقوله من شئ يعني من اي شئ كان حتى الخيط فان لله خمسه وللرسول وذهب اكثر المفسرين والفقها الى ان قوله لله افتتاح كلام على سبيل التبرك واضافة هذا المال الى نفسه لشرفه وليس المراد ان سهما من الغنيمة لله مفردا فان الدنيا والاخرة لله عز وجل وهو قول الحسن وقتاده وعطا وابراهيم والشعبي فقالوا سهم الله وسهم الرسول واحد والغنيمة تقسم خمسة اخماس كما مر اربعة اخماس لمن قاتل عليها والخمس الباقي خمسة اسهم كما ذكر الله تعالى للرسول ولذوي القربى واليتامى والمساكين وبن السبيل وقال ابو العالية وغيره يقسم الخمس على ستة اسهم سهم لله تعالى ثم القائلون بهذا القول منهم من قال يصرف سهم الله الى الرسول ومنهم من قال يصرف الى عمارة الكعبة وقال بعضهم انه عليه السلام كان يضرب بيده في هذا الخمس فما قبض عليه من شئ جعله للكعبة وهو الذي سمي لله لله تعالى

فصل قال القرطبي هذه الاية ناسخة لاول السورة عند الجمهور وقد ادعى بن عبد البر الاجماع على ان هذه الاية نزلت بعد قوله يسلونك عن الانفال وان اربعة اخماس الغنيمة مقسومة على الغانمين وان قوله يسيلونك عن الانفال نزلت حين تشاجر اهل بدر في غنايم بدر على ما تقدم وقيل انها محكمة غير منسوخة وان الغنيمة لرسول الله وليست مقسومة بين الغانمين ولذلك لم يعده من الاية حكاه الماوردي عن كثير من اصحاب مالك واحتج بفتح مكة وقضية حنين قال ابو عبيد افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة ومن على اهلها فردها عليهم ولم يقسمها ولم يجعلها فيا

فصل اجمع العلما على ان قوله ما غنمتم من شئ ليس على عمومه وانه مخصوص باجماعهم على ان سلب المقتول لقاتله اذا ناداي به الامام وكذلك الاسارى يخير الامام فيها وكذلك الارضون المقسومة

فصل قال الامام احمد لا يكون السلب للقاتل الا في المبارزة خاصة ولا خمس وهو قول الشافعي رضي الله عنه ولا يعطى

القاتل السلب الا ان يقيم البينة على قتله قال اكثر العلماء يجزي حديث واحد وشاهد واحد ه
لحديث ابي قتادة وقيل شاهدان وشاهد ويمين وقيل يعطى بمجرد دعواه قاله الاوزاعي
قوله ولذي القربى اي ان سهما من الخمس لذوي القربى وهم اقارب النبي صلى الله عليه
وسلم واختلفوا فيهم فقال قوم هم جميع قريش وقال قوم الذين تحل لهم الصدقة ه
وقال مجاهد وعلي بن الحسين بنو هاشم وقال الشافعي وغيره بنو هاشم وبنو المطلب
وليس لبني عبد شمس ولا لبني نوفل منه شيء وان كانوا اخوته لما روي جبير بن مطعم
قال قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سهم ذوي القربى بين بني هاشم وبني المطلب
ولم يعط احدا من بني عبد شمس ولا لبني نوفل لما روي محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه قال لما
قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سهم ذوي القربى بين بني هاشم وبني المطلب اتيته
انا وعثمان فقلنا يا رسول الله هؤلاء اخواننا من بني هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي
وضعك الله منهم ارايت اخواننا من بني المطلب اعطيتهم وتركتنا ومنعتنا وانما قرابتنا
وقرابتهم واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء
واحد هكذا وشبك بين اصابعه واختلف العلماء في سهم ذوي القربى هل هو ثابت
اليوم فذهب اكثرهم الى انه ثابت وهو قول مالك والشافعي وذهب اصحاب الراي الى
انه غير ثابت وقالوا سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسهم ذوي القربى مردود وان
في الخمس فيكون خمس الغنيمة لثلاثة اصناف اليتامى والمساكين وابن السبيل وقال
بعضهم يعطى الفقراء منهم دون الاغنياء اي يعطى لفقره لا لقرابته والكتاب والسنة يدلان
على ثبوته والخلفاء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يعطونه العباس بن
عبد المطلب مع كثرة ماله والحقه الشافعي بالميراث الذي يستحق باسم القرابة غير انه
يعطى القريب والبعيد وقال يفضل الذكر على الانثى فيعطى الرجل سهمين والانثى سهم ه
قال القرطبي ليست اللام في لذوي القربى لبيان الاستحقاق والملك وانما هي لصرف
والمحل **قوله** واليتامى والمساكين وابن السبيل وقال بعضهم يعطى الفقراء منهم اليتامى
جمع يتيم وهو الصغير المسلم الذي لا اب له اذا كان فقيرا والمساكين هم اهل الفاقة
والحاجة من المسلمين وابن السبيل هو المسافر البعيد عن ماله فهذا مصرف خمس الغنيمة
ويقسم اربعة اخماس الغنيمة بين الغانمين الذين شهدوا الوقعة للفارس ثلاثة اسهم ه
لفرسه سهمان وله سهم وللراجل سهم لما روي ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اسهم للرجل ولفرسه ثلاثة اسهم سهما له وسهمين لفرسه وهذا قول اكثر اهل العلم ه
واليه ذهب النووي والاوزاعي ومالك وابن المبارك والشافعي واحمد واسحاق وقال
ابو حنيفة للفارس سهمان وللراجل سهم ويرضخ للعبيد والنسوان والصبيان اذا
حضروا القتال قال القرطبي واذا حضر العبيد واهل الذمة واخذوا مما اخذ اهل الحرب
منهم ولا خمس لانه لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب ويقسم العقار الذي استولى عليه المسلمون

كالمنقول

كالمنقول وعند ابي حنيفة يتخير الامام في العقار بين ان يقسمه بينهم وبين ان يجعله وقفا
عليهم على المصالح وظاهر الاية لا يفرق بين العقار والمنقول ومن قتل مشركا اسحق سلبه
من رأس الغنيمة لما روى ابو قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قتل قتيلا عليه بينة
فله سلبه والسلب كل ما يكون على المقتول من ملبوس وسلاح وفرسه الذي مورا كبه ه
ويجوز للامام ان ينفل بعض الجيش من الغنيمة لزيادة غناء ولا يكون منهم في الحرب بحضرة
به من بين سائر الجيش ويجعلهم اسوة الجماعة في سهمان الغنيمة لما روي ابن عمر ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان ينفل بعض من يبعث من السرايا لانفسهم خاصة سوى قسم
عامة مة الجيش وروى حبيب بن مسلمة الفهري قال شهدت النبي صلى الله عليه وسلم
نفل الربع في البداءة والثلث في الرجعة واختلف في النفل من اين يعطى من خمس
الخمس سهم النبي صلى الله عليه وسلم وهو قول سعيد بن المسيب وبه قال الشافعي
وهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ما لي مما افاء الله عليكم الا الخمس والخمس
مردود فيكم وقال قوم هو من الاربعة اخماس بعد افراد الخمس كسهام الغزاة وهو
قول احمد واسحاق وذهب بعضهم الى ان النفل من رأس الغنيمة قبل التخميس كالسلب ه
للقاتل **فصل** دلت هذه الاية على جواز قسمة الغنيمة في دار الحرب لقوله واعلموا
انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول الاية فاقتضى ثبوت الملك للولاة في الغنيمة واذا
ثبت لهم الغنيمة الملك وجب جواز القسمة روى الزمخشري عن الكلبي ان هذه الاية
نزلت ببدر وقال الواقدي كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة
ايام للنصف من شوال على راس عشرين شهرا من الهجرة **قوله** ان كنتم شرط
جوابه مقدر عند الجمهور لا متقدم اي ان كنتم امنتم بالله وبما انزل على عبدنا يوم الفرقان
يوم التقى الجمعان وهو قوله يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول لما نزلت
في يوم بدر وهو يوم الفرقان فرق الله فيه بين الحق والباطل وهو يوم التقى الجمعان
حزب الله وحزب الشيطان وكان يوم الجمعة لسبع عشرة مضت من رمضان فقوله
وما انزلنا عطف على الجلالة فهي مجرورة المحل وعائدها محذوف وزعم بعضهم ان جواب
الشرط متقدم عليه وهو قوله فتعلموا المولى وهذا لا يجوز على قواعد البصريين
قوله يوم الفرقان يجوز فيه ثلاثة اوجه احدها ان يكون منصوبا بانزلنا
اي انزلناه في يوم بدر الذي فرق فيه بين الحق والباطل الثاني ان ينتصب بقوله
امنتم اي ان كنتم امنتم في يوم الفرقان ذكره ابو البقاء والثالث انه يجوز ان
يكون منصوبا بغنمتم قال الزجاج اي ما غنمتم في يوم الفرقان فحكمه كذا وكذا قال
ابن عطية وهذا تاويل حسن في المعنى ويعترضه ان فيه الفصل بين الظرف وما
يعمل فيه بهذه الجملة الكثيرة الالفاظ وهو ممنوع ايضا من جهة اخرى بيحكم الشرط
ومعموله بجملة الجزاء ومتعلقاتها وعلى الثاني يودي الى الفصل بين فعل الصلة ومعموله

تانيث الاحلا ونصوا على ان القصوي شاذه وان كانت لغة الحجاز فان القصيا
قياسي وهي لغة تميم وممن نص على شذوذ القصوى يعقوب بن السكيت وقال
الزمخشري واما القصوي فكالمفرد في مجيئه على الاصل وقد جا القضيا الاخران
استعمال القصوي اكثر كاكثر استعمالا استصوب مع بجي استصاب واعتلت
مع اعالت انتهى وقد قرا زيد بن علي بالعدوة القصيا فجاءها على لغة تميم وهي
القياس عند هو لا والعبارة الثانية وهي القليلة العكس اي ان كانت صفة
ابدلت نحو العليا والدنيا والقصيا وان كانت اسما فالواو نحو حلوي كقوله

اذا رآه الحلوي هجت للعين عبرة ثم الهوي يرفض او يترقرق

وعلى هذا فالحلوي شاذه لا قرا ولانها مع كونها صفة وكذا القصوي ايضا
عند هو لا لانها صفة وقد ترتب على هاتين العبارتين ان قصوي على خلاف
القياس فيهما وان قصيا هي القياس لانها عند الاولين من قبيل
الاسما وهم يقلبونها ايا وعند الاخرين من قبيل الصفات وهم يقلبونها
ايضا ايا وانما يظهر الفرق في الحلوي وحزوى فالحلوي عند الاولين
تصحيحها قياس لكونها صفة وشاذه عند الاخرين لان الصفة عندهم
تقلب واوها ايا والحزوي عكسها فان الاولين يقلبون في الاسماء دون الصفا
والاخرون عكسهم وهذا موضع حسن مختلط فيه على كثير من الناس فلذلك
شرحناه ويعني بالشذوذ شذوذ القياس لا شذوذ الاستعمال لان
استعمال المتواتر بالقصوي فصل والركب اسفل منكم الاحسن في
هذه الواو والواو التي قبلها الداخلة على هم ان تكون عاطفة ما بعدها على
انتم لانها مبدا قسم تقسيم احوالهم واحوال عدوهم ويجوز ان يكونا واوي حال
واسفل منصوب على الظرف النائب عن الخبر وهو في الحقيقة صفة لظرف
مكان محذوف اي والركب مكانا اسفل من مكانكم وقرا زيد بن علي اسفل
بالرفع وذلك على سبيل الاتساع جعل الظرف نفس الركب مبالغة واتساعا
وقال مكي واجاز الفراء والاخفش والكسائي اسفل بالرفع على تقدير
محذوف اي موضع الركب اسفل والتخريج الاول ابلغ في المعنى والركب اسم
جمع لراكب لا جمع تكسير له خلافا للاخفش كقوله

نسبته من عصبة من مواليا احسى ركبيا ورجيلا عاديا

تصغره على لفظه ولو كان جمعا لما صغر على لفظه قوله ولكن ليقضي
متعلق بمحذوف اي ولكن بلا قسم وقدره الزمخشري ذلك المحذوف فقال اي
ليقضي الله امرا كان واجبا ان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه وبوّ
ذلك وكان يحتمل ان تكون على بابها من الدلالة على اقتران مضمون الجملة بالزمان

بخران قوله يوم التقى الجمعان فيه وجهان احدهما انه بدل من الظرف قبله والثاني
انه منصوب بالفرقان لانه مصدر فكانه قيل يوم فرق فيه بين الجمعان اي الفريق
في يوم التقى الجمعين وقرا زيد بن علي عبدنا بضمتين وهو جمع عبد وهذا كما قدمنا
وعبدة الطاغوت والمراد بالعبد في هذه القراة هنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومن معه من المومنين والمراد بما انزلنا اي الايات والملايكة والفتح في ذلك اليوم
والله على كل شي قدير اي يقدر على نصركم وانتم قليلون قوله اذ انتم في هذا الظرف
اربعة اوجه احدها انه منصوب باذكروا مقدرا وهو قول الزجاج الثاني انه بدل
من يوم الفرقان ايضا الثالث انه منصوب بالمقدر وهو قول الزجاج ~~الثاني انه بدل من يوم الفرقان ايضا~~ الثالث انه منصوب بقدير وهذا ليس بواضح
اذ لا يتقيد اضافته بالقدرة بظرف من الظروف الرابع انه منصوب بالفرقان اي
فرق بين الحق والباطل اذ انتم بالعدوة متعلق بمحذوف لانه خبر المبتدا والبا
بمعنى في كقولك زيد بمكة وقرا ابن كثير وابو عمرو بالعدوه بكسر العين فيهما
والباقون بالضم فيهما وهما لغتان في شط الوادي وشفيره وصفته كالكسوه
والكسوة والرشوه والرشوة سميت بذلك لانها عدت متاخي الوادي من ماء
ونحوه ان يتجاوزها اي صفته قال الشاعر

عدتني عن زيارتها العوادي وحالت دونها جرب زبون

وقرا الحسن وزيد بن علي وقتاده وعمرو بن عبيد بالفتح وهي كلها لغات بمعنى
واحد هذا هو قول جمهور اللغويين على ان ابا عمرو بن العلا انكر الضم ووافقه
الاخفش فقال لم يسمع من العرب الا الكسر ونقل ابو عبيد اللغتين الا انه قال
الضم اكثرهما وقال اليزيدي الكسر لغة الحجاز والضم واقول اوس بن حجر

وفارس لم تحل القوم عدوته ولو اسر اعاروا ما هو ابا قبالا

بالكسر والضم وهذا اصل هو الذي ينبغي ان يقال في قراة من فتح قرا بفتح العين
ان يكون مصدرا سمي به المكان وقوي شاذا بالعدية فقلب الواو يا لانكسار
ما قبلها ولا يعتبر الفاصل لانه ساكن فهو حاجز غير حصين وهذا كما قالوا
هو بن عمي دنيا بكسر الدال وهو من الدنو وكذلك قنية وصبية واصله
السلامه كالدروه والصفوه والربوه وتقدم الكلام على لفظة الدنيا
فصل القصوى تانيث الاقصى والاقصى الابعد والقصوى البعد
وللبصريين عبارتان احداهما ان فعلا ي من ذوات الواو وان كانت اسما
ابدلت لانها تاتي بمثلون نحو الدنيا والعليا والقضيا وهذه صفات لانها
من باب افعل التفضيل وكان العدل بهم ان هذه وان كانت في الاصل صفات
الا انها جرت مجرى الجوامد قالوا وان كانت فعلي صفة اقرت لامها على حالها نحو

الماضي وان يكون بمعنى صار فيدل على التحول اي صار مقتولا بعد ان لم يكن كذلك ٥
قوله ليهلك فيه اوجه احدها انه بدل من قوله ليقضي باعادة العامل فيتعلق بما
تعلق به الاول الثاني انه متعلق بقوله مفعولا اي فعل هذا الامر لكيت وكيت الثالث
انه متعلق بما تعلق به ليقضي على سبيل العطف عليه بحرف عطف محذوف تقديره
وليهلك فحذف العاطف وهو قليل جدا وتقدم التنبيه عليه الرابع انه متعلق
بيقضي ذكره ابو البقاء وقرا الاعمش وعصمه وابي بكر عن عاصم ليهلك بفتح اللام
وقياس ماضي هذا هلك بالكسر وتقدم المشهور انما هو الفتح قال تعالى ان امرؤ
هلك حتى اذا هلك **قوله** من حي قرا نافع وابو بكر من عاصم بالادغام ٥
والاظهار والادغام في هذا النوع لغتان مشهورتان وهو كل ما اجزه بان من
الماضي اولا نما مكسورة نحو حي وعي ومن الادغام قول الملتمس ٥ الحامه
فهذا اوان العرض حي ذبابه ٥ وقال الاخر ٥ عيوا بامرهم كما عييت بيضتها
فادغم عيوا وبنى عييت وعييت بالادغام والاظهار فمن اظهر فلانه الاصل
ولان الادغام يودي الى تضعيف حرف العلة وهو ثقيل في ذاته ولان الياء الاولى
يتعين فيها الاظهار في بعض الصور وذلك في مضارع هذا الفعل لانقلاب هذه
الثانية الفا في يحي ويعي لتحرك الماضي عليه طردا للباب ولان الحركة في الثاني عارضة
لزوالها في نحو حييت وبابه ولان الحركتين مختلفتان واختلاف الحركتين كاختلاف
الحرفين قالوا وكذلك قالوا لحنت عينه وصمت المكان والل السقاء ومششت الدابة
قال سيبويه اخبرنا بهذه اللغة يونس يعني لغة الاظهار قال سمعت بعض العرب
احيا واحيب فيظهرون اذا لم يدغم مع لزوم الحركة تمع عروضها اولي ومن ادغم ٥
فلاستثقال الظهور الكسرة في حرف بجانسه ولان حركة الثانية لازمة لانها حركة
بناء ولا يضرروا لها في نحو حييت كما لا يضر ذلك فيما حن ادغامه من الصحيح نحو
حللت وظللت وهذا كله فيما كانت حركة حركة بناء ولذلك فيد به الماضي اما
اذا كانت حركة اعراب فالاظهار فقط نحو لن يحي ولن يعي **قوله** عن بينة
متعلق بيهلك ويحي والهلاك والحياة عبارة عن الايمان والكفر والمعنى
ليصدر كفر من كفر عن وضوح وبيان لا عن مخالجة شبهة وليصدر اسلام من اسلم
عن وضوح لا عن مخالجة شبهة **فصل** معنى الاية اذ انتم اي اذ انتم نزوله ٥
يا معشر المسلمين بالعدوة الدنيا اي بشفة الوادي الادنى الى المدينة والدنيا
تانيث الادنى وهم يعني المشركين بالعدوة القصوى بشفير الوادي الاقصى
من المدينة مما يلي جانب مكة وكان الماء في العدوة التي نزل بها المشركون وكان
استظهارهم من هذا الوجه اشد والركب العير التي خرجوا لها اسفل منكم اي في
موضع اسفل الى ساحل البحر على ثلاثة اميال من بدر ولو تواعدتم انتم واهل مكة

لاختلفتم

لاختلفتم في الميعاد لخالف بعضكم بعضا لقلتكم وكثرتهم اولان المسلمين خرجوا لياخذوا
العير وخرج المشركون ليمنعوها فالتقوا على غير ميعاد ولكن الله جمعكم على غير
ميعاد ليقضي الله امرا كان مفعولا اي فعل هذا الامر لكيت وكيت ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وذلك ان عسكر الرسول عليه
السلام في اول الامر كانوا في غاية الضعف والخوف لسبب القلة وعدم الاهبة
ونزلوا بعيدا عن الماء وكانت الارض التي نزلوا فيها رملا تغوص فيه الارجل والاقدام
كانوا في غاية القوة لكثرتهم في العدد والعدد وكانوا يتوقعون مجيء المدد ساعة
فساعة ثم انه تعالى قلب القضية وجعل الغلبة للمسلمين والدمار على الكفرة
فصار ذلك من اعظم المعجزات واقوى البينات على صدق محمد عليه السلام فيما اخبر
عن ربه من وعد النصر والفتح وانظر فقوله ليهلك من هلك عن بينة اشارة الى
هذا المعنى وهو ان الذين هلكوا انما هلكوا بعد مشاهدة هذه المعجزة والذين
بقوا في الحياة شاهدوا هذه المعجزة القاهرة والمراد من البينة المعجزة ٥
ثم قال وان الله لسميع عليم اي يسمع دعاكم ويعلم حاجتكم وضعفكم ويصلح
مهمكم **قوله** تعالى اذ يريكهم الله الناصب لاذ يجوز ان يكون مضمرا
اي اذكر ويجوز ان يكون عليم وفيه بعد من حيث تقييد هذه الصفة بهذا الوقت
ويجوز ان تكون اذ هذه بدلا من اذ قبلها والارادة هنا حلمية واختلف فيها انها
هل تتعدى في الاصل لواحد كالبصرية او لاثنين كالظنية فالجمهور على الاول
فاذا دخلت همزة النقل اكسبتها ثانيا او ثالثا على حسب القولين فعلى الاول
يكون الكاف مفعولا اول وهم مفعول ثان وقليلا حال وعلى الثاني يكون قليلا
نصبا على المفعول الثالث وهذا ابطل بجواز حذف الثالث في هذا الباب اقتصارا
اي من غير دليل يقول اراني الله زيدا في منامي ورايت في النوم ولو كانت تتعدى
لاثنين لما حذف اقتصارا لانه خبر في الاصل **فصل** المعنى اذ يريك الله يا محمد
المشركين في منامك اي نومك قال مجاهد اري الله المشركين النبي عليه السلام
كثيرا وقريش في منامه قليلا فاخبر بذلك اصحابه فقالوا رويا النبي حق القوم
قليل وكان ذلك سببا لقوة قلوبهم فان قيل رويته الكثير قليلا غلط فكيف
يجوز من الله تعالى ان يفعل ذلك فالجواب انه تعالى يفعل ما يشاء ويحكم
ما يريد ولعله تعالى اراه البعض دون البعض فحكم الرسول عليه السلام على
اولئك الذين رآهم بانهم قليل وقال الحسن هذه الاراءة كانت في اليقظة والمراد
من المنام العين لانها موضع النوم ولو اراكهم كثيرا لفشلتم لجبنتم ولتنازعتم
في الامر اي في الاحجام والاقدام ولكن الله سلم اي سلمكم من المخالفة والفشل
وقيل سلمهم من الهزيمة يوم بدر انه عليم بذات الصدور قال ابن عباس علم ما في صدور

ركم

ركما نقول قريبا من اذا وكانت
الارض التي نزلوا فيها صالحة
للمشي والعدو كما نواطئ ظهورها

من الجبن الله تعالى وقيل علم ما في صدورهم من الجراة والجبن والصبر والجزع **قوله**
وادبر يكونهم الاراة هنا بصرية والايتان هنا بصلة ميم الجمع واجب لا تصالها بضمير
ولا يجوز التسكين ولا الضم من غير واو وقد جوز يونس ذلك فتقول ابتم ضربتموه
في ضربتموه بتسكين الميم وضمها وقد روي بيتقوي بما روي عن عثمان رضي الله عنه
ان اهبي الباطل شيطانا وفي هذا الكلام شذوذ من وجه اخر وهو تقديم الضمير
غير الاخص على الاخص مع الاتصال **فصل** قال مقاتل ان النبي صلى الله عليه
وسلم راى في المنام ان العدو قليل فقال لقلة العدو واخبر اصحابه بما راى فلما
التقوا يد رقلل الله المشركين في اعين المومنين قال ابن مسعود لقد قللوا في اعيننا
حتى قلت لرجل الى جنبي تراهم سبعين قال اراهم مائة فاسرنا رجلا منهم
فقلنا كم كنتم قال الفا ويقال لكم يا معشر المومنين في اعينهم قال السدي قال
فاش من المشركين ان العير قد انصرفت فارجعوا فقال ابو جهل الان اذ برز
لكم محمد واصحابه فلا ترجعوا حتى تستاصلوهم اعنا محمد واصحابه اكلة جزور
فلا تقتلوهم وارتبطوهم بالحبال والحكمة في تقليل عدد المشركين في اعين المومنين
تصديق رويا الرسول وتقوي قلوبهم وتزداد جراتهم على المشركين والحكمة في
تقليل عدد المومنين في اعين المشركين ليلا يتاهبوا للاستعداد والتاهب
والحذر فيصير ذلك سببا لاستيلاء المومنين عليهم ثم قال ليقضي الله امرا كان مفعولا
فان قيل ذكر هذا بعينه من الاية المتقدمة فكان ذكره ههنا محض التكرار
فالجواب ان المقصود من ذكره في الاية المتقدمة هو انه تعالى فعل تلك الافعال
ليحصل استيلاء المومنين على المشركين على وجه معجزة دالة على صدق الرسول وههنا
المقصود من ذكره انه انما فعل ذلك ليلا يتباين الكفار في الاستعداد والحذر
فيصير ذلك في استعدادهم سببا لانكسارهم ثم قال والى الله ترجع الامور والغرض
منه التنبيه على ان احوال الدنيا غير مقصودة لذاتها بل المراد منها ما يصلح
ان يكون زادا ليوم المعاد **قوله** تعالى يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فية فاثبتوا
الاية لما ذكر نعمه على المومنين يوم بدر علمهم اذا التقوا ان يعين من الادب
لاول الثبات وهو ان يوطنوا انفسهم على القتال ولا يوطنوا انفسهم يطمعوها
بالتولي والثاني ان يذكروا الله كثيرا فقال يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم
فية فاثبتوا واذكروا الله كثيرا ادعوا الله بالنصر والتظفر بهم وقيل المراد
ان يذكروا الله كثيرا بقلوبهم وبالسنتهم ثم قال لعلكم تفلحون اي كونوا على رجا
الفلاح فان قيل هذه الاية توجب الثبات على كل حال وهذا يوجب عليهم انها
ناسخة لاية التحرف والتحيز فالجواب ان هذه الاية توجب الثبات في الجملة
وهو الجد في المحاربة واية التحرف والتحيز لا يقدح في حصول الثبات في المحاربة

بل الثبات في هذا المقصود لا يحصل الا بذلك التحرف والتحيز ثم اكد ذلك بقوله واطيعوا
الله ورسوله فيما يامر به لان الجهاد لا ينفع الا مع التمسك بسائر الطاعات ولا تنازعوا
لا تختلفوا فان النزاع يوجب امرين احدهما الفشل وهو الجبن والبخل لضعف والثاني
تذهب ريحكم نصركم وقال السدي جراتكم وحدكم وقال مقاتل حدتكم وقال النضر
بن جميل قوتكم وقال الاخفش دولتكم والريح لما كانت عبارة عن بقاء الامر وجريانه
على المراد تقول العرب هبت ريح فلان اذا اقبل امره على ما يريد وهو هنا كناية
عن الدولة والعلمة قال

اذا هبت رياحك فاغتنمها ... فان لكل عاصفة سكونا

ورواه ابو عبيدة ركودا وقال اخر

اشتظروا ان قليلا ريب غفلتهم ... ام تعدوان فان الريح للعادي

وقال قد عودتهم صنايعهم ان يكون لهم ... ريح القتال واسلاب الذين لقوا

وقيل الريح الهيبة وهو قريب من الاول كقوله

كما حميناك يوم النعف من شطب ... والفضل للقوم من ريح ومن عدد

وقال قتادة وابن زيد هو ريح النصر لم تهب قط الا بريح يبعثها الله تضرب
وجوه العدو ومنه قوله عليه السلام نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور
وقال النعمان بن مقرن شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اذا لم
يقاتل اول النهار انتظر حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر
قوله فتفشلوا يحتمل وجهين احدهما نصب على جواب النهي والثاني
الجزم عطفا على فعل النهي قبله وقد تقدم تحقيقهما في وتحوا قبل ذلك
ويدل على الثاني قراءة عيسى بن عمر ويذهب بيا الغيبة وجزمه وقال ابو
البقا قراءة الجزم ولم يقيدها بيا الغيبة وقرا ابو حيوة وابان وعصمة
ويذهب بيا الغيبة ونصبه وقرا الحسن فتفشلوا بكسر الشين قال
ابو حاتم هذا غير معروف وقال غيره انها لغة ثابتة **فصل** احتج نفاة
القياس بهذه الاية فقالوا القياس يفضي الى المنازعة والمنازعة محرمة بهذه
الاية فوجب ان يكون العمل بالقياس حراما بيان الملازمة انا نشاهد الدنيا
مملوة من الاختلافات بسبب القياسات وايضا القائلون بان المضطر لا يجوز
تحضيضه بالقياس تمسكوا بهذه الاية وقالوا قوله تعالى واطيعوا الله
ورسوله صريح في وجوب طاعة الله ورسوله في كل ما فرضا علينا ثم اتبعه
بقوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم من تمسك بالقياس المخصص
للنص فقد ترك طاعة الله وطاعة رسوله وتمسك بالقياس الذي يوجب
التنازع والفشل وكل ذلك حرام والجواب انه ليس كل قياس يوجب المنازعة

قال مجاهد مر

وايضا قوله ولا تنازعوا معطوف على قوله فاثبتوا وهو جواب الشرط في قوله اذا لقيتم
لقيتم فيه فالمحرم التنازع عند لقائه الكفار فلا يحل فيها وايضا فقد رتب على التنازع
الفشل وذهاب الريح التي هي الدولة وذلك لا يترتب على القياس ثم قال واصبروا
ان الله مع الصابرين والمقصود ان كمال امر الجهاد على الصبر فامرهم بالصبر كما قال
تعالى في اية اخرى اصبروا وصابروا ورابطوا عن سالم مولى ابي النضر مولى
عمر بن عبيد الله وكان كاتبا له قال كتب اليه عبد الله بن ابي اوفى ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم في بعض ايامه التي لقي فيها العدو انتظر حتى مالت الشمس
ثم قام في الناس فقال ايها الناس لا تمنوا العدو واسالوا الله العافية فاذا
لقيتموهم فاثبتوا فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف ثم قال اللهم
منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الاحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم **قوله**
ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورياء الناس ويصدون عن سبيل الله
نزلت في المشركين حين اقبلوا الى بدر ولهم بغي وفخر فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اللهم هذه قريش قد اقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك
اللهم فنصرك الذي وعدتني فقالوا ولما راى ابو سفيان انه قد احرز عيره ارسل
الى قريش انكم انما خرجتم لتمنعوا عيركم فقد نجاها الله فارجعوا فقال ابو جهل
والله لا نرجع حتى نرد بدرا وكان بدر موسم من مواسم العرب يجتمع لهم بها سوق
كل عام فنقيم بها ثلاثا فننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقي الخمر وتعزف علينا
القيان وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا ابدا فوافوها فسقوا كؤوس
المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان فنهى الله سبحانه عباده
المومنين ان يكونوا مثلهم وامرهم باخلاص النية والخشية في مضر دينه وموازرة
نبيه واعلم انه تعالى وصفهم بثلاثة اشياء احدها البطر قال الزجاج البطر
الطغيان في النعمة وترك شكرها وثانيها الرياء وهو اظهار الجميل ليرى مع ان
باطنه بخلافه والمرق بينه وبين النفاق ان النفاق اظهار الايمان
مع ابطان الكفر والرياء اظهار الطاعة مع ابطان المعصية وثالثها صدهم عن
سبيل الله وهو كونهم مانعين من دين محمد عليه السلام **قوله** بطرا ورياء
منصوبان على المفعول له ويجوز ان يكونا مصدرين في موضع نصب على الحال
من فاعل خرجوا اي خرجوا بطرين ومرائين ورياء مصدر مضاف للمفعول له
قوله ويصدون يجوز ان يكون مستانفا وان يكون عطفا على بطرا وريا
وحذف المفعول للدلالة عليه فان قيل يصدون فعل مضارع وعطف الفعل
على الاسم غير حسن فذكر الواحدي في الجواب ثلاثة اوجه الاول ان يصدون
بمعنى صادين اي بطرين ومرائين وصادين والثاني ان يكون قوله بطرا وريا

حالا

حالا على تاويل مبطرين مراءين ويكون قوله ويصدون اي وصادين والثالث ان
يكون قوله بطرا وريا بمنزلة سطرون ويراءون قال ابن الخطيب ان شيا من هذه الوجوه
لا تشفي الغليل لانه تارة يقيم الفعل مقام الاسم واخرى يقيم الاسم مقام الفعل
ليصح لذكر كون الكلمة معطوفة على جنسها وكان من الواجب عليه ان يذكر السبب الذي
لاجله عبر عن الاولين بالمصدر وعن الثالث بالفعل فان الشيخ عبد القاهر
الجرجاني ذكر ان الفعل الاسم يدل على التمكين والاستقرار والفعل على التجدد
مثاله في الاسم قوله تعالى وكلبهم باسط ذراعيه وقوله وذلك يقتضي كونه على
تلك الحالة ثابتة راسخة ومثال الفعل قوله تعالى كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا
وذلك يدل على انه تعالى يوصل الرزق اليهم ساعة فساعة واذا عرفت ذلك
فنقول ان اباجهل ورهطه كانوا مجبولين على البطر والمفاخرة والعجب
واما صدهم عن سبيل الله فانما حصل في الزمان الذي ادعى محمد عليه السلام
منه النبوة فلهذا ذكر البطر والرياء بصيغة الاسم وذكر الصد بصيغة
الفعل واعلم ان الذي قاله ابن الخطيب لا يخدش فيما اجاب به الواحدي
لان الواحدي انما اراد من حيث الصناعة لا من حيث المعنى ثم قال والله بما
يعملون محيط اي انه عالم بما في ضمائر القلوب وذلك كالتهديد والزجر عن
الرياء **قوله** تعالى وزين لهم الشيطان اعمالهم الاية وهذا من
جملة النعم التي خص الله اهل بدر بها وفي العامل في اذ وجوه قبل تقديره واذكر
اذكروا اذ زين وقيل عطف على ما تقدم من تذكر النعم تقديره واذكر واذ زين لكم
واذ زين وقيل عطف على قوله خرجوا بطرا ورياء تقديره لا تكونوا كالذين
خرجوا بطرا ورياء الناس واذ زين لهم الشيطان اعمالهم فتكون الواو للحال
وقد مضمرة بعد الواو وعند من لم يشترط ذلك **فصل** في هذا التزيين
وجهان الاول ان المراد بالشيطان وسوسته من غير ان يحول في صورة
انسان وهو قول الحسن والاصم والثاني انه ظهر في صورة انسان قالوا
ان المشركين حين ارادوا المسير الى بدر خافوا من بني بكر بن كنانة لانهم
كانوا قتلوا منهم واحدا فلما هموا ان ياتوهم من ورايهم فتصور لهم ابليس
في صورة سراقة بن مالك بن جعشم وهو في بني بكر بن كنانة من اشرافهم في
جند من الشياطين ومعه رايته وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني
جار لكم فلما تراءى الفيتان اي التقى الجمعان راى
ابليس الملائكة نزلوا من السماء علم ان لا طاقة لهم بهم فنكص على عقبيه وقال
وكانت يده في يد الحرث بن هشام فلما نكص قال الحرث اتخذلنا في هذه الحال
فقال اني ارى ما لا ترون ودفع في صدر الحرث وانهزموا **قوله** لا غالب لكم

من ديارهم ص

خبرا فيتعلق بمحذوف والمؤمر منصوب بما تعلق به الخبر ولا يجوز ان يكون الظرف لكم او الظرف متعلق بغالب لانه يكون مطولا ومتى كان مطولا اعرب نصبا **قوله** من الناس بيان للجنس الغالب وقيل هو حال من الضمير في لكم لتضمنه معنى الاستقرار ومنع ابو البقا ان يكون من الناس حالا من الضمير في غالب قال لان اسم لا اذا عمل فيما بعده اعرب والا مركب لك **قوله** واني جار لكم يجوز في هذه الجملة ان تكون معطوفة على قوله لا غالب لكم فيكون قد عطف جملة منفية على اخرى منفيه ويجوز ان تكون الواو للحال والف جار من واو لقولهم تجاوروا وقد تقدم تحقيقه ولكم متعلق بمحذوف لانه صفة لجار ويجوز ان يتعلق بجار لما فيه من معنى الفعل ومعنى جار لكم اي مجير لكم من كنانة **قوله** فلما تراءت الفئتان اي التقتا الجمعان نكص على عقبيه نكص جواب لما والنكوص قال المضر بن شميل الرجوع مقهقري عالبا قال بعضهم هذا اصله الا انه قد اتسع فيه حتى استعمل في كل رجوع وان لم يكن قهقري قال الشاعر

هم بضربوب حبيك السبص اذ لحقوا ... لا يشكصون اذا ما استلحموا الجمما

وقال مورخ النكوص الرجوع قال بلغة سليم قال

ليس النكوص على الاعقاب مكرمة ... ان المكارم اقدام على الاسل

هذا انما يريد به مطلق الرجوع لانه كناية عن الفرار وفيه نظر لان غالب الفرار في القتال انما هو مع ذكر رجوع التقهقري لخوف الفار وعلى عقبيه حال اما موكده عند من يخصصه بالتقهقري او مؤسسه عند من يستعمله في مطلق الرجوع ثم قال اني بري منكم اني ارى ما لا ترون قيل رأى الملائكة تخافهم وقيل رأى اثر النصرة والظفر في حق النبي صلى الله عليه وسلم فعلم انه لا وقت لنزع عليه بلية وقيل رأى جبريل لخافه وقيل لما رأى الملائكة ينزلون من السماء ظن ان الوقت الذي انظره الله قد حضر فاشفق على نفسه وقيل اني ارى ما لا ترون من المدد وقوله اني اخاف الله قال قتادة قال ابليس اني ارى ما لا ترون وصدق وقاله اني اخاف الله وكذب والله ما به مخافة الله ولكن علم انه لا قوة به ولا منعة فاورد نفسه واسلمهم وقال عطا اني اخاف الله ان يهلكني فيمن هلك وقال الكلبي خاف ان ياخذه جبريل ويعرفهم حاله فلا يطيعوه وقيل معناه اني اخاف الله اي اعلم صدق وعده لا ولي به لانه كان على ثقة من امره وقيل معناه اني اخاف الله عليكم وقوله والله شديد العقاب قيل انقطع الكلام عند قوله اخاف الله ثم يقول والله شديد العقاب ويجوز ان يكون من بقية كلام ابليس يروى طلحة بن عبد الله بن خنكير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما رؤي الشيطان يوما هو فيه اصغر ولا ادحر ولا احقر ولا اغيظ منه في يوم عرفة وما ذاك

الا لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام الا ما كان من يوم بدر قيل وما راى يوم بدر قال اما انه راى جبريل وهو يزع الملائكة حديث مرسل **قوله** تعالى اذ يقول المنافقون الى قوله شديد العقاب واما انكص وانما شدد لكثرة الفاعل واما اذ يقول المنافقون الى قوله واذ زين لان قوله واذ زين عطف على حالهم وحزوهم بكفرهم وارتياب الناس واما قوله اذ يقول المنافقون ليس فيه عطف على ما قبله بل هو ابتداء كلام منقطع عما قبله **فصل** قوله المنافقون قوم من الاوس والخزرج واما الذين في قلوبهم مرض فهم قوم من قريش اسلموا وعاقوا اسلامهم وكانوا ممكة مستضعفين قد اسلموا وحبسهم اقرباؤهم عن الهجرة فلما خرجت قريش الى بدر اخرجوهم كرها فلما نظروا الى قلة المسلمين ارتابوا وارتدوا وقالوا غر هؤلاء دينهم وغر هؤلاء دينهم منصوب المحل بالقول قال ابن عباس معناه انهم ثلث مائة وثلاثة عشر نفرا تالون الف رجل وقيل المراد ان هؤلاء سبعون في قتل انفسهم رجاء ان يجعلوا احيانا بعد الموت وثنا يوان على هذا القتل فقالوا غر هؤلاء دينهم فقتلوا جميعا منهم قيس بن الفاكه بن المغيرة المخزومي وابو قيس بن الفاكه بن المغيرة المخزومي والحرث بن زمعة بن الاسود بن المطلب وعلي بن امية بن خلف الجمحي والعاص بن منبه بن الحجاج ثم قال تعالى ومن يتوكل على الله اي يفسلم امره الى الله ويثق به فان الله حافظه وناصره لانه عزيز حكيم لا يغلبه شيء حكيم يوصل العذاب الى اعدائه والثواب الى اوليائه **قوله** تعالى ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة الاية لما شرح احوال الكفار شرح احوال موتهم والعذاب الذي يصل اليهم قرا ابن عامر والاعرج تتوفى بتا التانيث لتانيث الجماعة والباقون بيا الغيبة وفيها تحريجان اظهرهما الموافقة فزاة من تقدم ان الفاعل هم الملائكة واما ذكر الفعل ولان التانيث مجازي والثاني ان الفاعل ضمير الله تعالى لتقدم ذكره والملائكة مبتدا ويضربون خبره وفي هذه الجملة حينئذ وجهان احدهما انها حال من المفعول والثاني انها استيناف فيه جوابا لسؤال مقدر وعلى هذا فيوقف على الذين كفروا بخلاف الوجه قبله وضعف بن عطية وجه الحال بعدم الواو وليس بضعيف لكثرة مجيء الجملة الحالية مشتملة على ضمير ذي الحال خالية من واو ونظما ونثرا وعلى كون الملائكة فاعلا يكون يضربون جملة حالية سواء قرئ بالتانيث ام بالتذكير وجواب لو محذوف للدلالة عليه اي لرايت امرا عظيما **فصل** المعنى ولو عاينت لان لو ترد المضارع الى الماضي كما ترد الماضي الى المضارع قال الواحدي معنى تتوفى الذين كفروا يقبضون ارواحهم قيل عند الموت تقبض الملائكة وجوه الكفار وادبارهم وقيل اراد المشركين الذين قتلوا ببدر وكانت

الملئكة يضربون وجوههم وادبارهم قال سعيد بن جبير ومجاهد يريد اسنانهم ۵
ولكن الله حيي يكني قال ابن عباس كان المشركون اذا قتلوا يوجوههم الى المسلمين ۵
ضربت الملئكة وجوههم بالسيوف واذا ولوا ادركتهم الملئكة يضربون ادبارهم ۵
وقال ابن جريج يريد ما اقبل منهم وما ادبر يضربون احيائهم كلها والمراد بالتوفي
القتل **قوله** وذوقوا عذاب الحريق هذا مضمر يقول الملئكة اي يضربونهم
ويقولون لهم ذوقوا وقيل الواو في يضربون للمؤمنين اي يضربونهم حال القتال
وحال توفي ارواحهم الملئكة وذوقوا عذاب الحريق وقال الحسن هذا يوم القيامة
تقول لهم خزنة جهنم ذوقوا عذاب الحريق وقال ابن عباس يقولون لهم ذلك بعد
الموت **قوله** ذلك بما قدمت ايديكم اي ذلك الضرب الذي وقع بكم او عذاب
الحريق بما قدمت ايديكم بما كسبت ايديكم وهذا اخبار عن قول الملئكة قال الواحدي
يجوز ان يقال ذلك مبتدا وخبره بما قدمت ايديكم ويجوز ان يكون خبر محذوف
والتقدير ذلك جزاؤكم بما قدمت ايديكم ويجوز ان يكون محل ذلك نصب ۵
والتقدير فعلنا ذلك بما قدمت ايديكم يقتضي ان فاعل هذا الفعل هو الله وذلك
ممتنع لوجوه اولها ان هذا العذاب العظيم وصل اليهم كفرهم ومحل الكفر هو القلب
لا اليد وثانيها ان اليد ليست محلا للمعرفة والعلم فلا يتوجه التكليف عليها
فلا يمكن ايصال العذاب اليها فالجواب ان اليد ههنا عبارة عن القدرة
وحسن هذا المجاز كون اليد للعمل والقدرة ومبنى الموثرة في العمل فحسن جعل
العمل اليد كناية عن القدرة واعلم ان الانسان جوهر واحد وهو الفعال
وهو المدرك وهو المؤمن وهو الكافر وهو المطيع وهو العاصي وهذه الاعضاء
الات له وادوات له في الفعل فاضيف الفعل في الظاهر الى الالة وهو في
الحقيقة مضاف الى ذات جوهر الانسان فان قيل انه جعل هذا العقاب
انما تولد عن الفعل الذي صدر عنه والعقاب انما يتولد من العقايد الباطلة
فالجواب انا بينا ان الفعل انما ينشا عن الاعتقاد فاطلق على المسبب ۵
اسم السبب وهذا من اظهر وجوه المجاز **قوله** وان الله ليس بظلام
للعبيد في محل ان وجهان احدهما النصب بنزع الخافض اي بان الله والثاني
انك ان جعلت قوله ذلك في موضع رفع جعلت ان في موضع رفع ايضا اي
وذلك ان الله قال الكسائي ولو كسرت الف إن على الابتداء كان صوابا وعلى
هذا التقدير يكون هذا الكلام مستانفا منقطعا عما قبله **فصل** قالت ۵
المعتزلة لو كان تعالى يخلق الكفر في الكافر ثم يعذبه عليه لكان ظالما وايضا
قوله تعالى ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد يدل على انه تعالى
انما لم يكن ظالما بهذا العذاب لان العبد قدم ما استوجب عليه هذا العذاب وذلك

يدل

يدل على انه لم يخلق فيه تعالى ذلك القدم وايضا لو كان موجد الكفر والمعصية
هو الله تعالى لا العبد لوجب ان يكون الله ظالما وهذه المسئلة قد سبق ذكرها مستقصى
في ال عمران **قوله** تعالى كدأب ال فرعون الاية لما بين ما انزله باهل بدر ۵
من الكفار عاجلا واجلا اتبعه بان بين بان هذه الطريقة طريقته وسنته ۵
وعادته في الكل فقال كدأب ال فرعون قال ابن عباس هو ان ال فرعون ايقنوا ان
موسى نبي الله فكذبوه كذلك هولاء جاءهم محمد بالصدق فكذبوه فانزل الله بهم ۵
عقوبته كما انزل بال فرعون والذين من قبلهم اي كعادة الذين من قبلهم وتقدم
الكلام على كدأب ال فرعون ثم قال تعالى ان الله قوي شديد العقاب والغرض
منه التنبيه على ان لهم عذابا موخرا سوى ما نزل بهم من العذاب العاجل
ثم ذكر ما يجري مجرى العلة في العقاب الذي نزله بهم فقال ذلك بان الله ،
مبتدا وخبرا ايضا كنظيره اي ذلك العذاب او الانتقام بسبب ان الله ۵
قوله لم يك قال اكثر النحاة انما حذفت النون لانه يشبه الغنة المحضة
فاشبهت حروف اللين ووقعت طرفا فحذفت لشبههما بها كما تقول لم يدع ولم
يرم قال الواحدي وهذا ينتقض بقولهم لم يزن ولم يجن ولم يسع حذف النون
ههنا واجاب علي بن عيسى بان كان ويكون امر الافعال من اجل ان كل فعل ۵
فقد حصل منه معنى كان فقولنا ضرب معناه كان ضرب ويضرب معناه
ويكون ضرب وهكذا القول في الكل فثبت ان هذه الكلمة امر الافعال فاحتيج
الى الاستعمال في اكثر الاوقات فاحتملت هذا الحذف بخلاف قولنا لم ۵
يجن ولم يزن فانه لا حاجة الى ذكرها كثيرا فظهر الفرق **فصل** معنى الاية
ان الله تعالى لا يغير ما انعم على قوم حتى يغيروا ما بهم بالكفران وترك ۵
الشكر فاذا فعلوا ذلك غير الله ما بهم فسلبهم النعم **فصل** قال القاضي
معنى الاية ان الله تعالى انعم عليهم بالعقل والقدرة وازاحة الموانع وسهل
السبيل والمقصود ان يشتغلوا بالعبادة والشكر ويبعدوا عن الكفر فاذا
صرفوا هذه الامور الى الكفر والفسق فقد غيروا نعم الله على انفسهم فلا
جرم استحقوا تبديل النعم بالنقم والمسخ بالمحن قال وهذا من اوكد ما يدل
على انه تعالى لا يبتدي احدا بالعذاب والمضرة وان الذي يفعله لا يكون
الا جزاء على معاصي سلفت ولو كان تعالى خلقهم وخلق حياتهم وعقولهم ابتدا
للنار كما تقوله القوم لما صح ذلك واجيب بان ذلك ظاهر الاية مشعر بما قاله
القاضي الا انا لو حملنا الاية عليه لزم ان يكون صفة الله تعالى معللة ۵
بفعل الانسان لان حكم الله بذلك التغيير وارادته لما كان لا حصل الا عند
اتيان الانسان بذلك الفعل فلو لم يصدر عنه ذلك الفعل لم حصل لله تعالى

ذلك الحكم وتلك الارادة تحدث بكون فعل الانسان موثرا في حدوث صفة في ذات الله
تعالى ويكون الانسان مغيرا لصفة الله موثرا فيها وذلك محال في بديهة العقل فثبت
انه لا يمكن حمل هذا الكلام على ظاهره بل الحق ان صفة الله غالبة على صفات المحدثات
فلولا حكمه وقضاوه اولا لما امكن العبد ان ياتي بشيء من الافعال والاقوال ثم
قال ان الله سميع لاقوالهم عليم بافعالهم **قوله** كدأب ال فرعون والذين من قبلهم
فان قيل انه تعالى ذكر كداب ال فرعون مرتين فما فايدته فالجواب من وجوه
منها ان الكلام الثاني يجري مجرى التفصيل للكلام الاول لان الاول فيه ذكر اخذهم
وفي الثاني ذكر اعترافهم وذلك تفصيل ومنها ان الكلام الاول وهو قوله كفروا بايات
الله والكلام الثاني وهو قوله كفروا بايات ربهم فالاول اشارة الى انهم انكروا دلايل
الالهية والثاني اشارة الى انه سبحانه ربايم وانعم عليهم بالوجوه الكثيرة فانكروا
دلايل التربية والاحسان مع كثرتها وتواليها عليهم فكان الاثر اللازم من الاول
الاخذ والاثر الثاني هو الاهلاك والاغراق وذلك يدل على ان للكفر اثرا
عظيما في حصول الهلاك ومنها ان الاول دأب في ان اهلكوا لما كفروا وهذا دأب
في ان لم يغير الله نعمتهم حتى يغيروها ومنها قال الكرماني يحتمل ان يكون
الضمير في كفروا في الاية الاولى عايدا على قريش والضمير في كذبوا في الثانية
عايدا على الفرعون ومن ذكرمعهم كذبوا بايات الهم ربهم فاهلكناهم بذنوبهم
اهلكنا بعضهم بالرجفة وبعضهم بالريح وبعضهم بالعزق وكذلك اهلكنا كفار
بدر بالسيف لما كذبوا واغرقنا ال فرعون وكل كانوا ظالمين جمع الضمير في كانوا
وجمع ظالمين مراعاة لمعنى كل لان كلا هنا قطعت عن الاضافة جاز مراعاة
لفظها تارة ومعناها اخرى وانما اختير هنا مراعاة المعنى لاجل الفواصل
ولو روعي اللفظ فقيل مثلا وكل كان ظالما لم تتفق الفواصل **قوله**
تعالى ان شر الدواب عند الله الذين كفروا الاية لما وصف كل الكفار بقوله وكل
كانوا ظالمين افرد بعضهم بمزيد في الشر والفساد فقال ان شر الدواب عند الله
اي في حكمه وعلمه من حصلت فيه صفتان الاولى الكافر المستمر على كفره مصرا
عليه والثانية ان يكون ناقضا للعهد فقوله الذين كفروا فهم لا يومنون اشارة
الى استمرارهم على الكفر واصرارهم عليه وقوله الذين عاهدت منهم ثم ينقضون
عهدهم في كل مرة اشارة الى نقض العهد قال الكلبي ومقاتل يعني يهود
قريظة منهم كعب بن الاشرف واصحابه الذين عاهدت منهم اي عاهدتهم
وقيل عاهدت بعضهم وقيل ادخل من لان معناه اخذت منهم العهد ثم ينقضون
عهدهم في كل مرة قال ابن عباس هم بنو قريظة نقضوا العهد الذي كان بينهم
وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم واعانوا المشركين على قتال النبي صلى الله عليه وسلم

يوم الخندق

بوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة فوافقهم على محالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهم لا يتقون لا يخافون الله في نقض العهد **قوله** الذين عاهدت يجوز فيه اوجه
احدها نصب العهد الرفع على البدل من الموصول قبله او على النعت له او على عطف البيان
او النصب على الذم او الرفع على الابتداء والخبر قوله فاما تثقفنهم معنى من
تعاهد منهم اي من الكفار وتحريف يتقضون عهدهم فان ظفرت بهم فاصنع كيت وكيت
فدخلت الفاء في الخبر لشبه المبتدا بالشرط وهذا ظاهر كلام ابن عطية ومنهم من يجوز
ان يكون حالا من عايد الموصول المحذوف اذ التقدير الذين عاهدتهم اي كائنين
منهم ومن للتبعيض وقيل هي بمعنى مع وقيل الكلام محمول على معناه اي اخذت
منهم العهد وقيل زايدة اي عاهدتهم والاقوال الثلاثة ضعيفة والاول اصح
قوله فاما تثقفنهم في الحرب فشردبهم قال الليث يقال ثقفنا فلانا
في موضع كذا اي اخذناه فظفرنا به قال الفراء ادركتهم في الحرب واسرتهم
فشردبهم من خلفهم قال ابن عباس فنكل بهم من وراءهم وقال سعيد بن جبير
انذر بهم من خلفهم والغاية من الدال المهملة في فشرد واصل التشريد
التطريد والتفريق والتبديد وقيل التفريق مع الاضطراب والمعنى
فرق بهم كل جمع تالف اي افعل بصنيعا الذين نقضوا عهدك وحاربوك
فعلا من القتل والتنكيل يفرق منك ويخافك من خلفهم من اهل مكة واليمن
لعلهم يذكرون بتذكرون ويعتبرون فلا ينقضوا العهد وقرا الاعمش بخلاف
عنه فشرد بالذال المعجمة قال ابو حيان وكذا في مصحف عبد الله قال شهاب
وقد تقدم ان النقط والشكل امر حادث احدثه يحيى بن يعمر فكيف يوجد
ذلك في مصحف بن مسعود قيل وهذه المادة اعني الشين والراء والذال
المعجمة مهملة في لغة العرب وفي هذه القراة اوجه احدها ان الذال بدل
من مجاورتها كقولهم لحم حراديل وحراديل الثاني انه مقلوب من شذر
من قولهم نفر قوا شذر مذر ومنه السذر الملتقط من المعدن لتفوقه
قال ابو عبيدة في كن وصون ويعمة يقال يافوتا وشذرا مفقوا
الثالث انه من شذر في مقاله اذا اكثر فيه قاله ابو البقاء ومعناه غير
لايق هنا وقال قطرب شرد بالمعجمة التكيل وبالمهملة التفريق وهذا يتوجه
قول من قال ان هذه المادة ثابتة في لغة العرب **قوله** من خلفهم مفعول
شرد وقرا الاعمش بخلاف عنه وابو حيوة من خلفهم جارا ومجرورا والمفعول
على هذه القراة محذوف اي فشرد امثالهم من الاعداء او ناسا يعملون بعملهم
والضمير ان في يعلم يذكرون انظاهر عودهما على من خلفهم اي اذا راوا ما حل
بالناقضين تذكروا وقيل يعود ان على المثقفين وليس له معنى طايل

ولعل مقابله

ان م

الذين

قوله واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء مفعول النبذ محذوف
اي انبذ اليهم عهدهم اي اطرحها ولا تكترث بها وعلى سواء حال اما من الفاعل
اي انبذها وانت على طريق قصد اي كائنا على عدل فلا تتبعهم بالقتال بل
اعلمهم به واما من المفاعل والمفعول معا اي كائنا على السواء في العلم او في العداوة
وقرا العامة وزيد بن ثابت على بكسرها وهي لغة تقدم التنبيه عليها اول
البقرة **فصل** المعنى واما تعلمن يا محمد من قوم خيانة نقض عهد بما يظهر
لك منهم من اثار الغدر كما يظهر من قرينه والنصب فانبذ اليهم اي فاطرح ٥
اليهم عهدهم على سواء بقول اعلمهم قبل حربك اياهم انك قد فسخت العهد بينك
وبينهم حتى تكون انت وهم مخا تعلم بنقض العهد سواء فلا يتوهموا انك نقضت
العهد بنصب الحرب معهم وقوله ان الله لا يحب الخائنين هذه الجملة تحتمل ان
يكون تعليلا معنويا للامر بنبذ العهد على عدل وهو اعلامهم وان تكون
مستانفة سيقت لذم من خان رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقض عهده
قوله تعالى ولا تحسبن الذين كفروا الاية قرا ابن عامر وحمزة وحفص
عن عاصم يحسبن بيا الغيبة هنا وفي النور وفي قوله لا تحسبنا الذين كفروا
معجزين كذلك خلافا حفصا والباقون بتا الخطاب وفي قراة الغيبة تخريجات
كثيرة سبق بعضها في اواخر آل عمران ولا بد من التنبيه هنا على ما تقدم
فمنها ان الفعل مسند الى ضمير يفسره السياق تقديره ولا يحسبن هو اي
فتيل المومنين او الرسول او حاسب او يكون الضمير عائدا على من خلفهم
وعلى هذه الاقوال فيجوز ان يكون الذين كفروا مفعولا اول وسبقوا حمل
في محل نصب مفعولا ثانيا وقيل الفعل مسند الى الذين كفروا ثم اختلف
هولاء في المفعولين فقال قوم الاول محذوف تقديره ولا يحسبنهم الذين كفروا
سبقوا او هو في المعنى كالذي قبله وقال قوم بل ان الموصولة محذوفه ٥
وبقي وما في خبرها شاهدة مسد المفعولين والتقدير ولا يحسبن الذين
كفروا ان سبقوا انهم حذفت الموصولة وبقيت صلتها كقوله ومن اياته يريكم
اي ان يريكم وقوله قل افغير الله تامروني اعبد قاله الزجاج والتقدير ولا
يحسبن الذين كفروا ان سبقونا قوله ٥ تشع بالمعيدي خير من ان تراه ٥ وقوله
الا ايها ذا الزاجري احضر الوغا ٥ ويويد هذا الوجه قراة عبد الله انهم سبقوا
وقال قوم بل سبقوا في محل نصب على الحال والسادّ مسد المفعولين انهم ٥
لا يعجزون في قراة من قرا بفتح انهم وهو من عامر والتقدير ولا يحسبن الذين
كفروا سابقين انهم لا يعجزون ويكون لا مزيده ليصح المعنى قال الزمخشري
بعد ذكره هذه الاية وجه وليست هذه القراة التي نقرو بها حمزة بنيره

وقد

وقد ردّ عليه جماعة هذا القول وقالوا لم ينفرد بها حمزة بل وافقه عليها من
قرا السبعة ابن عامر اسن القراء واعلاهم اسنادا وعاصم في رواية
حفص ثم هي قراة ابي جعفر المدني شيخ نافع وابي عبد الرحمن السلمي وابن
محيصن وعيسى والاعمش والحسن البصري وابي رجا وطلحة وابن ابي ليلى
وقد ردّ عليه ابو حيان ايضا ان الاحسن وقوع على انهم لا يعجزون ويكون
لا صلة بانه لانباتي على قراة حمزة فان حمزة يقرا بكسر الهمزة يعني
فكيف يلتيم قراة حمزة على هذا التخريج قال شهاب الدين هو لم يلتزم
التخريج على قراة حمزة في الموضعين اعني لا تحسبن وقوله انهم لا يعجزون
حتى يلزمه ما ذكر واما قراة الخطاب فواضحة اي لا تحسبن يا محمد ٥
او كل سامع والذين كفروا مفعول اول والثاني سبقوا وقد تقدم في
العمران وجه انه يجوز ان يكون الفاعل على الموصول واما اني بتا التانيث
لانه بمعنى القول كقوله كذبت قوم نوح وقد مر فيه بحث وهو عائد هنا ٥
وقرا الاعمش ولا تحسبن الذين كفروا بفتح الباء وتخريجها على ان الفعل موكد
بنون التوكيد الخفيفة فحذفها لالتقا الساكنين كما حذف له التنوين فهو كقوله
٦ ولا تهين الفقير علك ان ٥ توكع يوما والدهور قد ركعه ٦
اي ولا تهينن ونقل بعضهم ولا تحسب الذين من غير توكيد البتة وهذه ٥
القراة بكسر التا على اصل التقا الساكنين **قوله** سبقوا اي فاتوا
نزلت في الذين انهزموا يوم بدر من المشركين فمن قرا بالتا يقول لا تحسبن
الذين كفروا انفسهم سابقين فائتين من عذابنا ومن قرا بالتا فعلى الخطاب
قوله انهم لا يعجزون قرا ابن عامر بالفتح والباقون بالكسر فالفتح
اما على حذف لام العلة واستبعد ابو عبيد وابو حاتم قراة ابن عامر
بالفتح والباقون بالكسر ووجه الاستبعاد انها تعليل للنهي للاحسبنهم
فائتين لانهم لا يعجزون واما على انها بدل من مفعولي الحسبان وقال ابو البقا
انه متعلق بيحسبن اما مفعولا او بدل من سبقوا وعلى كلي الوجهين يكون
لا زائدة وهو ضعيف لوجهين احدهما زيادة لا والثاني ان مفعولا حسب
اذا كان جملة وكان مفعولا ثانيا كانت ان فيه مكسورة لانه موضع ابتدا وخبر
وقرا العامة لا يعجزون بنون واحدة خفيفة مفتوحة وهي نون الرفع ٥
وقد تقدم الخلاف في ذلك في سورة الانعام في الحاجوني قال الزجاج
الاختيار الفتح في النون ويجوز كسرها على ان المعنى لا يعجزوني ٥
وحذف النون الاولى لاجتماع النونين كما قال عمر بن ابي ربيعة
٥ تراه كالثغام يعلّ مسكا ٥ يسوء الفاليات اذا فليني ٥

اي لانهم

اي لا يتوهمنك حسبان
لهم لانهم لا يعجزونهم

وقرا ابن محيصن يعجزوني
بنون واحدة بعدها ياء
المتكلم وهي نون الوقاية
او نون الرفع ٥

وقال ابن مقبل ۞ ولقد علمت ولا محالة انني ۞ للحادثات فهل تزيني احزع ۞
قال الاخفش في هذا البيت فهذا يجوز على الاضطرار وقرا ابن محيصن ايضا ۞ قرة
يجزون بنون مشددة مكسورة ادغم نون الرفع في نون الوقاية وحذف ياء الاضافة
مجتزاء عنها بالكسرة وعنه ايضا فتح العين وتشديد الجيم وكسر النون
من عجز مسددا قال ابو جعفر وهذا خطا من وجهين احدهما ان معنى عجزه ضعفه
وضعف امره والاخر كان يجب ان يكون بنونين قال شهاب الدين اما خطئة
النحاس له فخطا لان الاتيان بالنونين ليس بواجب بل هو جايز وقد قرئ
به في مواضع في المتواتر سيأتي بعضها واما عجز بالتشديد فليس معناه
مقتصرا على ما ذكر بل نقل غيره من اهل اللغة ان معناه نسبني الى
العجز او ان معناه بطاء وتبطل القراة معناها لايق باحد المعنيين وقرا
طلحة بكسر النون خفيفة **قوله** واعدوا لهم ما استطعتم من قوة لما
اوجب على رسوله ان يبشر ومن نقض صدر منه نقض العهد بانه ينبذ العهد
الى من خاف منه النقض امره في هذه الاية بالاعداد للكفار وقيل ان الصحابة
لما قصدوا الكفار يوم بدر بلا الة ولا عدة امرهم الله تعالى ان لا يعودوا لمثله
وان يعتدوا للكفار ما امكنهم من الة وعدة وقوة والاعداد الاحتشاد الشيء
لوقت الحاجة والمراد بالقوة الالات التي يكون لكم قوة عليهم من الخيل
والسلاح قال عليه السلام وهو على المنبر الا ان القوة الرمي الا ان القوة
الرمي الا ان القوة الرمي وقال بعضهم القوة هي الحصون وقال اهل المعاني
هذا عام في كل ما يتقوى به على الحرب وقوله عليه السلام الحق عوفه والله
نوبه لا ينفي اعتبار عين **قوله** من قوة في محل نصب على الحال وفي
صاحبها وجهان احدهما انه الموصول والثاني انه العايد عليه اذ التقدير
ما استطعتموه حال كونه بعض القوة ويجوز ان تكون من كبيان الجنس
قوله ومن رباط جوز وافيه ان يكون جمعا لربط مصدر ربط يربط نحو
كعب وكعاب وكلب وكلاب وان يكون مصدرا لربط نحو صاح صياحا قالوا
لان مصادر الثلاثي لا تنقاس وان يكون مصدر رابط ومعنى المفاعلة
ان ارتباط الخيل يفعله كل واحد لنفسه الاخر فيرابط المومنون بعضهم بعضا
قال معناه بن عطية قال ابو حيان قوله مصادر الثلاثي غير المزيد لا ينقاس
ليس بصحيح بل لها مصادر منقاسة ذكرها النحويون قال شهاب الدين
في المسئلة خلاف مشهور وهو ينقل الاجماع على عدم القياس حتى يرد
عليه بالخلاف فانه قد يكون اختار احد المذاهب وقال به فلا يرد عليه
بالقول الاخر وقال الزمخشري والرباط اسم للخيل التي ترتبط في سبيل الله

ويجوز ان تسمى بالرباط الذي هو معنى المرابطة ويجوز ان يكون جمع ربيط بمعنى
مربوط كنضيل ونضال والمصدر هنا مضاف لمفعوله وقرا الحسن وابو حيوة
ومالك بن دينار ترهبون ربط بضمتين وعن الحسن ايضا ربط بضم وسكون نحو كتاب
وكتب قال ابن عطية وهي جمعه وهو مصدر غير مختلف نظر قال شهاب الدين لا نسلم
والحالة هذه انه مصدر بل حكى ابو زيد انا لرباط الخيل من الخيل فما توفقها
وان جعلها ربط ولو سلم انه مصدر فلا نسلم انه لم يختلف انواعه وقد
تقدم ان رباط يجوز ان يكون جمعا لربط المصدر فما كان جوابا هنا كان جوابا فهو جواب
هنا **فصل** روي ان رجلا قال لابن سيرين ان فلانا اوصى بثلث ماله
للحصون فقال في الخيل الم تسمع قول الشاعر ۞

۞ ولقد علمت على تجنبي الردي ۞ ان الحصون الخيل لا مدن القرى ۞

وقال عكرمة رباط الخيل الاناث وهو قول الفراء لانها اولى ما يربط لنتا سلها
وبما ذكره الواحدي وللتاويل ان يقول بل حمل اللفظ على الفحول اولى لان
المقصود من رباط الخيل المحاربة عليها والفحول اقوى على الكر والفر
والعدو فوجب تخصيص هذا اللفظ بها ولما تعارض هذان الوجهان
وجب حمل اللفظ على مفهومه الاصلي وهو كونه حبلا مربوطه سواء كانت
فحولا او اناثا وروي جابر عن خالد بن الوليد انه كان لا يركب في القتال الا
الاناث لقلة صهيلها وروي بن محيريز قال كان الصحابة يستحبون
ذكور الخيل عند الصفوف واناث الخيل عند البيات والغارات قال
عليه السلام الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة الاجر
والمغنم وروي ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من احتبس فرسا في سبيل الله ايمانا وتصديقا بوعده فان شبعه وريه
وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة ثم انه تعالى ذكر ما لاجله امر
باعداد هذه الاشياء فقال ترهبون به عدو الله وعدوكم لان الكفار
اذا علموا كون المسلمين متاهبين للجهاد مستعدين له بجميع الاسلحة والالات
خافوهم **قوله** ترهبون يجوز ان يكون حالا من فاعل اعدوا اي حصلوا
لهم هذا الحال كونكم مرهبين وان يكون حالا من مفعوله وهو الموصول اي
اعدوه مرهبا به وجاز لتسببه لكل منهما لان في الجملة ضميرهما هذا
اذا اعدنا الضمير من به على ما الموصولة اما اذا اعدناه على الاعداد
المدلول عليه باعدوا او على الرباط او على القوة بتاويل الحول فلا يتاتي
مجيئها من الموصول ويجوز ان يكون حالا من ضمير لهم هكذا نقله ابو
حيان عن بعض فقال وترهبون قالوا حال من ضمير اعدوا او من ضمير لهم

كذا نقله ابو حيان عن غيره فقال وترهبون قالوا الحال من ضمير اعدوا لهم ضمير لم
ولا رابط بينهما ولا يصح تقدير ضمير في جملة ترهبون لاحذه معموله وقرأ الحسن
ويعقوب وروياها بن عقيل عن ابي عمرو وترهبون مضعفا عداه بالتضعيف
كما عداه العامة بالهمزة والمفعول الثاني على كلتا القراءتين محذوف لان
الفعل قبل النقل بالهمزة او التضعيف متعد لواحد نحو رهبتك والتقدير ترهبون
عدو الله قتالكم او لقاكم وزعم ابو حاتم ان ابا عمرو ينقل قراءة الحسن بياء
الغيبة وتخفيف يرهبون في قراءة عبد الله وهي قراءة واضحة فان الضمير
حينئذ يرجع الى من يرجع اليه ضمير لهم فانهم اذا خافوا خوفوا من وراءهم
قوله عدو الله العامة قرأوه بالاضافة وقرأه السلمي منونا ولفظ الله بلام
الجر وهو مفرد والمراد به الجنس بمعناه اعد الله قال صاحب اللوامح وانما
جعله نكرة بمعنى العامة لانها نكرة ايضا بمعنى العامة لانها نكرة
ايضا لم يعرف بالاضافة الى المعرفة لانه اسم الفاعل بمعنى الحال او الاستقبال
ولا يتعرف بذلك وان اضيف الى المعارف وعدو وكم يجوز كذلك ان يكون
نكرة ويجوز ان يتعرف لانه قد اعتبد ذكره ومثله رابت صاحبا لكم فقال
لي صاحبكم يعني ان عدوا يجوز ان يلحق فيه الوصف فلا يتعرف وان لا يلحق
فيتعرف وان ذلك قوله واخرين لسق على عدو الله ومن دونهم صفة لاخرين
قال ابن عطية من دونهم بمنزلة دون لكن دون ان يكون هو لا تدون في كلام العرب
ومن دون يقتضي عدم المذكور بعدها من المنازلة التي فيها القوة ومنه
المثل امرر دون عبيدة الودم يعني ان الظرف فيه هنا مجاز به
لان دون لا بد ان يكون ظرفا حقيقة او مجازا قوله لا تعلمونهم الله
يعلمهم في هذه الاية قولان احدهما ان علم هنا متعدية لواحد والثاني انها
على بابها فتتعدى لاثنين والثاني محذوف اي لا تعلمونهم فارسيين او
مجازيين ولا بد هنا من التنبيه على شيء وهو ان هذين القولين لا يجوز
ان يكونا في قوله الله يعلمهم بل يجب ان يقال انها المتعدية الى اثنين وان
ثانيهما محذوف لما تقدم من الفرق بين العلم والمعرفة ومنها ان المعرفة
تستدعي سبق جهل ومنها ان تتعلقها الذوات دون النسب وقد نص
العلماء على انه لا يجوز ان يطلق ذلك اعني الوصف بالمعرفة على الله
تعالى قوله الله يعلمهم قوله واخرين من دونهم لا تعلمونهم قال الحسن وابن زيد
المنافقون لا تعلمونهم لانهم معكم يقولون لا اله الا الله وقال مجاهد ومقاتل
هم بنو قريظة وقال السدي هم اهل فارس وروي ابن جريج عن سلمان
ابن موسى قالهم كفار الجن لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ واخرين

من

من دونهم لا تعلمونهم فقال انهم الجن ثم قال الشيطان لا يخبل احدا في دار فيها فرس
حبيس وعن الحسن انه قال صهيل الفرس يرهب الجن فعلى هذا المراد بالعدو من
المسلمين فكما ان المسلم يعاديه الكافر فقد يعاديه المسلم ايضا ثم قال تعالى وما
تنفقوا من شيء في سبيل الله يعد العام في الجهاد وفي سائر وجوه الخيرات
بوف اليكم قال ابن عباس يوف البكم اجره اي لا يضيع في الاخرة اجره وانتم
لا تظلمون اي لا تنقصون من الثواب ولما ذكر ابن عباس هذا التفسير تلا
قوله اتت اكلها ولم تظلم منه شيئا قوله تعالى وان جنحوا للسلم
فاجنح لها الاية لما بين فيما يرهب العدو ومن القدرة بين بعده انهم عند
هذا الارهاب اذا مالوا الى المصالحة والجنوح الميل وحنحت الابل اماالت
اعناقها قال ذو الرمة
اذا ما تغوفت الرحل احنت روحه بذكراك والعيس المراسيل جنح
ويقال جنح الليل اقبل قال الشاعر يشبه جنح الرجل الى فلان وتيفلان
اذا خضع له والجنوح الاتباع ايضا لتضمنه الميل قال التابغة يصف
طيرا يتبع الجيش
جوانح قد ايقن ان قبيله اذا ما التقى الجمعان اول غالب
ومنه الجوانح للاضلاع لميلها على حشوة الشخص والجناح من ذلك لميلانه
على الطائر وقد تقدم الكلام على بعض هذه المادة في البقرة قوله
للسلم تقدم الكلام على السلم في البقرة وقرأ ابو بكر عن عاصم هنا بكسر
السين وكذا في الفتال فيدعوا وتدعوا الى السلم وافقه حمزة على ما
في الفتال والسلم متعلق بجنحوا فقيل يتعدى بها وبالي وقيل هي هنا
بمعنى الى وقرأ الاسهب العقيلي فاجنح بضم النون وهي لغة قيس والفتح
لغة تميم والضمير في لها يعود على السلم لانها تذكر وتؤنث ومن التانيث
قوله
واعددت للسلم ازارها وقال
اخر
السلم تاخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفالها جرع
وقيل اثبت الهاء فيها لانه قصد به الفعلة والجثة كقوله ان ربك
من بعدها لغفور رحيم اراد من بعد فعلتهم وقال الزمخشري السلم
تؤنث تانيث نقيضها وهي الحرب وانشد البيت المتقدم السلم تاخذ
منها فضل قال الحسن وقتادة هذه الاية نسخت بقوله اقتلوا
المشركين وقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله وقال غيرهم ليست منسوخة
لكنها تتضمن الامر بالصلح اذا كان الصلاح فيه فاذا راى مصالحتهم فلا
يجوز ان يهادنهم سنة كاملة وان كانت القوة للمشركين جاز مهادنتهم عشر

فالحكم قبول المسالمة

عشر سنين ثم انهم نقضوا العهد قبل تمام المدة وقوله وتوكل على الله اي فوض الامر
فيما عاهدته معهم الى الله انه هو السميع العليم بنيته بذلك على الزجر عن نقض العهد لانه عالم
بما يضمر العدو سميع لما يقوله قال مجاهد نزلت في قريظة والنضير وورد هاتين
لا يمنع من اجرائها على عمومها **قوله** تعالى وان يريدوا ان يخدعوك الاية
اي بترتيبهم ايغدروا او يمكروا بك قال مجاهد يعني قريظة قال حسبك الله كافيك
الله هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين اي بالانصار فان قيل لما قال هو الذي
ايدك بنصره فاي حاجة مع نصره الى المؤمنين حتى قال وبالمؤمنين فالجواب
ان التاييد ليس الا من الله لكنه على قسمين احدهما ما يحصل من غير واسطة
اسباب معتادة كما قاله والمراد بقوله ايدك بنصره والثاني هو المراد بقوله
وبالمؤمنين ثم بين كيف ايده بالمؤمنين فقاله والف بين قلوبهم اي الهوس
والخروج كانت بينهم احن وحصومات ومحاربة في الجاهلية فصيرهم الله اخوانا
بعد ان كانوا اعداء وتبدلت تلك العداوة بالمحبة القوية والمخالصة التامة
مما لا يقدر عليه الا الله لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن
الله الف بينهم انه عزيز حكيم اي قادر قاهر يمكنه التصرف في القلوب بقلبها
من العداوة الى الصداقة ومن النفرة الى الرغبة حكيم يقول ما يقوله على وجه
الاحكام والاتقان او مطابقا للمصلحة والصواب على اختلاف القولين
في الجبر والقدر **فصل** احتجوا بهذه الاية على ان احوال القلوب من
العقايد والارادات كلها من خلق الله تعالى لان تلك الالفة والمودة انما
حصلت بسبب الايمان ومتابعة الرسول عليه السلام فلو كان الايمان فعلا
للعبد لا فعلا لله تعالى لكانت المحبة المترتبة عليه فعلا للعبد لا فعلا لله تعالى
وذلك خلاف صريح الاية قال القاضي لولا الطاف الله تعالى ساعة فساعة
لما حصلت هذه الاحوال فاضيفت تلك المخالصة الى الله تعالى بهذا التاويل
كما يضاف علم الولد وادبه الى ابيه لانه جل انه لما حصل ذلك الابعونة
الاب وتربيته فكذا ههنا واجيب بان كل ما ذكروه عدول عن الظاهر
وحمل للكلام على المحاق وكل هذه الالفاظ لطاف كانت حاصلة في حق الكفار
مثل حصولها في حق المؤمنين فلو لم يحصل بكن لتخصيص المؤمنين بهذه المعاني
فايدة وايضا فالبرهان العقلي مقدم لهذا الظاهر لان الغلبة يصح ان يصير
موصوفا بالرغبة بدلا عن النفرة وبالعكس فترجحان احد الطرفين على الاخر
لابد له من مرجح فان كان ذلك المرجح هو العبد عاد التقسيم وان كان هو الله
تعالى فهو المقصود فعلم ان صريح هذه الاية متاكد بصريح البرهان العقلي
فلا حاجة الى ما ذكره القاضي **قوله** تعالى يا ايها النبي حسبك الله الاية

لما وعده بالنصر عند مخادعة الاعداء وعد بالنصر والظفر في هذه الاية
مطلقا وعلى هذا التقدير لا يلزم منه التكرار وهذه الاية نزلت بالبيداء
في غزوة بدر قبل القتال والمراد بقوله ومن اتبعك من المؤمنين الانصار
وعن ابن عباس نزلت في اسلام عمر قال سعيد بن جبير اسلم مع النبي صلى الله
عليه وسلم ثلثة وثلثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر فنزلت هذه
الاية قال المفسرون فعلى هذا القول هذه الاية مكية بل كلها في
سورة مدنية بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم **قوله** ومن اتبعك فيه
اوجه احدها ان يكون من مرفوع المحل عطفا على الجلالة اي يكفيك الله والمومنون
وبهذا فسر الحسن البصري وجماعة وهو الظاهر ولا محذور في ذلك من حيث
المعنى فان قالوا من كان الله ناصرا مستغنا ان يزداد حاله او ينتقص بسبب
نصرة غير الله وايضا فاسناد الحكم الى المجموع يوهم ان الواحد من ذلك المجموع
لا يكفي في حصول تلك المهم وتعالى الله عنه وجاب بان الكل من الله
الا ان من انواع النصرة ما حصل بناء على الاسباب المالوفة المعتادة ومنها
ما حصل لا بناء على الاسباب المعتادة المالوفة فلهذا الفرق
اعتبر نصرة المومنين وان كان بعض الناس استضعف كون المومنين
يكونون كافين النبي صلى الله عليه وسلم وتاول الاية على ما سنذكره
الثاني ان من مجرور المحل عطفا على الكاف في حسبك وهذا راي الكو
وبهذا فسر الشعبي وبن زيد فالا معناه وحسب من اتبعك الثالث ان
محله نصب على المعية قال الزمخشري ومن اتبعك الواو بمعنى مع وما
بعده منصوب بقولك حسبك وزيدا درهم ولا يجوز لان عطف الظاهر
المجرور على المكني ممتنع وقال فحسبك والضحاك سيفهند
والمعنى كفاك وكفا نباعك المومنين ناصرا قال ابو حيان وهذا مخالف
لكلام سيبويه فانه قال حسبك وزيدا درهم لما كان فيه معنى كفاك
وقبح ان تحملوه على المضمر المنفصل دون الفعل كانه قال يحسبك ويحسب
اخاك ثم قال ويحسب اخاك ثم قال وفي ذلك الفعل المضمر ضمير يعود
على الدرهم والنية بالدرهم المقدم فيكون من عطف الجمل ولا يجوز ان
يكون من باب الاعمال لان طلب المبتدا للخبر وعمله فيه ليس من قبيل طلب
الفعل او ما جرى مجراه ولا عمله فلا يتوهم ذلك فيه وقد سبق الزمخشري
الى كونه معطوفا معه الزجاج الا انه جعل حسب اسم فعل فانه قال
حسب اسم فعل فالكاف نصب والواو بمعنى مع وعلى هذا يكون الله فاعلا
وعلى هذا التقدير يجوز في ومن ان يكون معطوفا على الكاف لانها مفعول

فيبين

باسم الفعل لامجرور لان اسم الفعل لايضاف ثم قال ابوحيان الان مذهب الزجاج
حط الدخول العوامل على حسب نحو حسبك درهم وقال تعالى فان حسبك الله ولم
يثبت في موضع كونه اسم فعل فيحمل هذا عليه وقال ابن عطية بعد ما حكى عن
الشعبي وابن زيد ما تقدم عنهما من المعنى ممن في هذا التأويل في محل نصب عطفا
على موضع الكاف لان موضعها نصب على المعنى يكفيك الذي سدت حسبك
مسده قال ابوحيان هذا ليس بجيد لان حسبك ليس مما يكون الكاف فيه
في محل موضع نصب بل هذه اضافة صحيحة ليست من نصب وحسبك
مبتدا مضاف الى الضمير وليس مصدرا ولا اسم فاعل الان قيل انه عطف
على التوهم كانه توهم انه قيل يكفيك الله وكفاك الله لكن العطف على التوهم
لا يقاس والذي ينبغي ان يحمل عليه كلام الشعبي وابن زيد ان يكون
من مجرور وهو حسب محذوفه لدلالة حسبك عليها كقوله

اكل امرئ تحسبين امرأ ونار توقد بالليل نارا

اي وكل نار فلا يكون من العطف على الضمير المجرور قاله ابن عطية وهذا
الوجه لكس من حذف المضاف مكروه بانه ضرورة الشعر قال ابوحيان
وليس بمكروه ولا ضرورة بل اجازه سيبويه وخرج عليه البيت وعين
من الكلام قال شهاب الدين قوله بل اضافة صحيحة ليست من نصب فيه
نظر لان النحويين على اضافة حسب واخواتها اضافة غير محضة وعللوا
ذلك بانها في قوة اسم فاعل ناصب للمفعول به فان حسبك بمعنى كافيك
وغيرك بمعنى تغايرك وضد الاواند بمعنى مضيدها قالوا ويدل على
ذلك انها توصف بها النكرات فيقال مررت برجل حسبك من رجل وجوز
ابو البقا ان فيه الرفع من ثلثة اوجه احدها انه تسوغ على الجلالة كما
تقدم الا انه قال ويكون خبرا اخر كقولك القائمان زيد وعمرو والمعنى
حسبك لانه مصدر وقال فوم هذا ضعيف لان الواو للجمع ولا يحسن ههنا
كما لا يحسن في قولهم ما شا الله وشئت وثم ههنا اولى يعني انه من طريق
الادب لا يوتى بالواو التي تقتضي الجمع بل يا تي بثم التي تقتضي التراخي
والحديث دال على ذلك الثاني ان يكون خبرا مبتدا محذوف تقديره
وحسب من اتبعك الثالث هو مبتدا والخبر محذوف تقديره ومن اتبعك
كذلك اي حسبهم الله وقرا الشعبي ومن بسكون النون انبعك بزنة اكرمك

قوله تعالى يا ايها النبي حرض المومنين على القتال الاية لما بين
انه تعالى كافيه بنصره وبالمومنين بين ههنا انه ليس من الواجب ان يتكل
على ذلك الا بشروط ان يحرض المومنين على القتال فانه تعالى انما كفل بالكفاية

بشرط ان حصل منهم التعاون على القتال والتحريض التحضيض والحث يقال حرض وحرش
وحث بمعنى واحد وقال الهروي يقال حارض على الامر واكب وواظب
وواصب بمعنى قيل وماضده من الحرض وهو الهلاك قال تعالى حتى تكون حرضا او
تكون من الهالكين وقال

اني امرؤ رابني همرة حارضني حتى بليت وحتى شفني سقم

قال الزجاج تاويل التحريض في اللغة ان يحث الانسان على شي حتى يعلم منه انه
حارض والحارض المقارب للهلاك واستبعد الناس هذا منه وقد حكى الزمخشري
نحوه فقال التحريض المبالغة في الحث على الامر من الحرض وهو ان ينهكه المرض
ويبالغ فيه حتى يشفي على الموت او تسميه حرضا وتقول له ما اراك الا حرضا
وقرا الاعمش حرّض بالكاف المهملة ومعناه مقارب للقراءة العامة

قوله ان يكن منكم عشرون صابرون الاية ثبت في الشرط الاول فيما
وهو الصبر وحذفه من الثاني واثبت في الثاني فيما وهو كونهم من الكفرة
وحذف من الاول والمقدر ماستين من الذين كفروا ومائة صابره فحذف
من كل منهما ما اثبت في الاخر وهو في غاية الفصاحة وقرا الكوفيون وان
يكن منكم مائة يغلبوا وان يكن منكم مائة صابره بتذكير يكن فيهما وقرا
وهب بن كثير وابن عامر وتابعه فيهما وابو عمرو في الاولى كالكوفيين وفي الثانية
كالباقين ممن ذكر فللفصل بين الفعل وفاعله بقوله منكم ولان التانيث
مجازي اذ المراد بالمائة الذكور وهو من انث فلاجل اللفظ وكم يليقه للمعنى
وقال للفصل واما ابو محمد وفارق بين الموضعين فذكر في الاول لما
ذكر ولانه لحظ قوله يغلبوا وانث في الثاني لفرة التانيث بوصفه في
بالمونث ضرورة في قوله صابرة واما ان يكن منكم عشرون وان يكن منكم الف
فبالتذكير عند جميع القرا الا الاعرج فانه انث المسند الى عشرون

قوله فضل هذا حسن والمراد به الامر كقوله تعالى والوالدات يرضعن
اولادهن حولين كاملين والمعنى ان يكن منكم عشرون صابرون فليصبروا
وليجتهدوا في القتال حتى يغلبوا مائتين ويدل على ان المراد الامر وجوه
اوطها لو كان المراد الخبر لزم ان تقاتل لم يغلب فظ مائتين من الكفار
عشرون من المومنين وذلك باطل وثانيها قوله تعالى الان خفف الله
عنكم نسخ والنسخ لا يليق الا بالامر وثالثها قوله تعالى والله مع الصابرين
وذلك توعيب في الاتيان على الجهاد

فضل قوله تعالى ان يكن منكم
عشرون صابرون يدل على انه تعالى ما اوجب هذا الحكم الا بشرط كونه
صابرا قادرا على ذلك واما حصول هذا الشرط عند حصول اشيا منها

ان يكون شديد الاعضاء قوي الجلد او ان يكون قوي القلب شجاعا غير جبان ۵
وان يكون غير مخرف القتال او متحيزا الي فيه فعند حصول هذه الشرائط كان
يجب على الواحد ان يثبت للعشره وانما حسن هذا التكليف لانه مسبوق بقوله
حسبك الله ومن اتبعك من المومنين فلما وعد بالكفاية والنصره كان هذا
التكليف سهلا لان من تكفل الله بنصره فان اهل العالم لا يقدرون على ايذايه
فان قيل هذه الاية تدل على وجوب كمال ثبات الواحد للعشرة ثم الفايدة
في العدول عن هذه اللفظة الوجيزة الي تلك الكلمات الطويلة والجواب ان هذا
الكلام انما ورد على وفق الواقعة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبعث
السرايا والغالب ان تلك السرايا ما كانت ينقص عددها عن العشرين وما
كانت تزيد على المايه فلهذا ذكر الله هذين العددين **قوله** ذلك
بانهم قوم لا يفقهون وهذا كالعلة لتلك الغلبة لان من لا يومن بالله ولا يومن
بالمعاد فالسعادة عنده ليست الا هذه الحياة الدنيويه ومن كان هذا
معتقده فانه يشح بهذه الحياة ولا يعرضها للزوال واما من اعتقد ان لا سعادة
في هذه الحياة وان السعادة لا تحصل الا في الدار الاخرة فانه لا يبالي
بهذه الحياة الدنيا ولا يقيم لها وزنا فيقدم على الجهاد بقلب قوي وعزم صحيح
واذا كان الامر كذلك كان الواحد في الثبات مقام العدد الكثير وايضا
فان الكفار انما يقاتلون على قوتهم وشوكتهم والمسلمون لا يبتغيثون ۵
ربهم بالدعاء والتضرع ومن كان كذلك كان النصر والظفر به اليق واولي

فصل كان هذا يوم بدر وقد فرض الله على الرجل الواحد من المومنين
قتال عشرة من الكافرين فثقلت على المومنين فخفف الله عنهم فقال الان
خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا اي ضعفا في الواحد عن قتال عشرة ۵
وفي المايه عن قتال الالف وقرا المفضل عن عاصم وعلم مبنيا للمفعول وان
فيكم في محل رفع لقيامه مقام الفاعل وهو في محل رفع على المفعول به ۵
في قراءة العامه لان فاعل العلم ضمير يعود على الله تعالى **قوله** ضعفا
قرا عاصم وحمزه هنا وفي الروم في كلمتها الثلاث الله الذي خلقكم من
ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة بفتح الضاد والباقون بضمها وعن
حفص وحده خلاف في الروم خاصة وقرا عيسى بن عمر ضعفا بضم الفاء والعين
وكلها مصادر وقيل الضعف بالفتح في الراي والعقل وبالضم في البدن
وهذا قول الخليل بن احمد هكذا نقله الخليل الراغب عنه ولما نقل بن عطية
هذا عن الثعالبي قال وهذا القول يرده القراة وقيل هما بمعنى واحد ۵
لغة الحجاز والضم لغة تميم الفتح نقله ابو عمرو فيكونان كالفقر والفقر والمكث

والمكث والبخل والبخل وقرا ابن عباس فيما حكي عنه النقاش وابو جعفر ضعفا
جمعا على فعلا كظريف وظرفا **قوله** يكن منكم يكن في هذه الاماكن ۵
يجوز ان تكون التامه فمنكم اما حال من عشرون لانها في الاصل صفة لها واما
متعلق بنفس الفعل لكونه تاما وان تكون الناقصة فمنكم الخبر والمرفوع
الاسم وهو عشرون ومايه والف **فصل** روي عطا عن بن عباس
لما نزل التكليف الاول ضج المهاجرون وقالوا يا ربنا نحن بجياع وعدونا ۵
شباع ونحن في غربة وعدونا في اهليهم ونحن قد اخرجنا من ديارنا واموالنا
وعدونا ليس كذلك وقال الانصار شغلنا بعدونا وواسينا اخواننا ۵
فنزل التخفيف وقال عكرمه انما امر الرجل ان يصبر لعشره والعشره لمايه
حال ما كان المسلمون قليلين فلما كثروا خفف الله عنهم وقال بن عباس ايما ۵
رجل فر من ثلاثه فلم يفر فانما فر من اثنين فقد فر فالجمهور ادعوا ان قوله
الان خفف الله عنكم ناسخ للاية المتقدمة وانكر ابو مسلم الاصفهاني هذا
النسخ وقال ان قوله في الاية الاولى ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا
مايتين فهذا الخبر محكم ومحمول على الامر لكن بشرط كون العشرين قادرين
على الصبر لمقاتلة المايتين وقوله الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا
يدل على ان ذلك الشرط غير حاصل في حق هولا فالاية الاولى دلت ۵
على ثبوت حكم بشرط مخصوص وهذه الاية دلت على ان ذلك الشرط مفقود
في حق هذه الجماعة فلا جرم لم يثبت ذلك الحكم وعلى هذا التقدير لم يحصل
النسخ البته فان قيل قوله تعالى ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا ۵
للماضين فاليستثقلوا احدهما دون الحاصل ان لفظ الاية ورد بلفظ الخبر ۵
خالفنا هذا الظاهر وحملناه على الامر اما في رعاية الشرط فقد تركناه على
ظاهره ونقدر ان يحصل منكم عشرون موصوفون بالصبر على مقاومة المايتين
فاليستثقلوا ان يستقلوا بمقاومتهم وعلى هذا فلا نسخ فان قيل قوله الان ۵
خفف الله عنكم مشعر بان هذا التكليف كان متوجها عليهم فالجواب
لا نسلم لان لفظ التخفيف يدل على حصول التثقيل قبله لان عادة العرب
الرخصة بمثل هذا الكلام كقوله تعالى عند الرخصة للحر في نكاح الامة لمن لا
يستطيع نكاح الحرة ومن لم يستطع منكم طولا فكذا هنا وتحقيقه ان هولا
العشرين كانوا في محل ان يقال ان ذلك الشرط حاصل فيهم فكان ذلك ۵
التكليف لازما عليهم فلما بين تعالى ان ذلك الشرط غير حاصل فيهم وانه
تعالى علم ان فيهم ضعفا لا يقدرون على ذلك فقد خلصوا عن ذلك الخوف
فصح ان يقال خفف الله عنهم ومما يدل على عدم النسخ انه تعالى ذكر هذه الاية

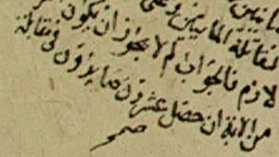

مقارنة للاية الاولى وجعل الناسخ مقارنا للمنسوخ لا يجوز فان قيل المعتبر في الناسخ
والمنسوخ النزول دون التلاوة فقد يتقدم الناسخ وقد يتاخر الاترى الى ٥
ان في عدة الوفاة الناسخ مقدم على المنسوخ فالجواب ان الناسخ لما كان مقارنا
للمنسوخ لا يجوز في الوجود وجب ان لا يكون خاليا في الذكر اللهم الا لدليل ظاهر
وانتم ما ذكرتم ذلك واما قولهم في عدة الوفاة الناسخ مقدم على المنسوخ فابو
مسلم لا ينكر كل انواع النسخ في القرآن فكيف يمكن الزامه هذا الكلام عليه فهذا
تقرير قول ابي مسلم قال بن الخطيب ان ثبت اجماع الامة على الاطباق قبل
ابي مسلم على النسخ فلا كلام وان لم يحصل الاجماع القاطع فقوله ابي مسلم صحيح
حسن **فصل** احتج هشام على قوله ان الله تعالى لا يعلم الجزئيات الا
عند وقوعها بقوله الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان معنى الاية الان
علم الله ان فيكم ضعفا وهذا يقتضي ان علمه تعالى بضعفهم ما حصل الا في ذلك
هذا الوقت واجاب المتكلمون بان معنى الاية انه تعالى فعل حدوث الشيء
لا يعلمها حادثا واقعا فقوله الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا ٥
معناه ان الان حصل العلم بوقوعه وحصوله وقبل ذلك كان الحاصل هو العلم
بانه سيقع او سيحدث **فصل** الذي استقر عليه حكم التكليف بمقتضى
هذه الاية ان كل مسلم بالغ مكلف وقف باذن الله كافرين عبدا او حرا فالهزيمة
عليه محرمة ما دام معه سلاح يقاتل فان لم يبق معه سلاح فله ان يتحيز وان
قاتله ثلاثة حلت له الهزيمة والصبر احسن روي في البسيط انه وقف ٥
حتى ماتوا وهم ثلثمائة الا ثلاثة وامر اولهم على التعاقب زيد بن حارثة ثم جعفر
بن ابي طالب ثم عبد الله بن رواحة لما اتى الف من المشركين مائتا الف من الروم
ومائة الف من المستعربة وهم لخم وجذام **قوله** باذن الله اي انه
لا نفع الغلبة الا باذن الله والاذن ههنا هو الارادة وذلك يدل على مسئلة
خلق الافعال والارادة الكائنات ثم ختم الاية بقوله والله مع الصابرين والمراد
ما ذكره في الاية الاولى في قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين
فبين ههنا ان الله مع الصابرين اي ان العشرين لو صبروا ووقفوا ان
نصرتي معهم وتوفيقي مقارن لهم وهذا يدل على صحة مذهب ابي مسلم
وهو ان ذلك الحكم لم ينسخ بل هو ثابت كما كان فان العشرين ان قدروا
على مصابرة المائتين بقي ذلك الحكم وان لم يقدروا على مصابرتهم فالحكم
المذكور هناك زايل **قوله** تعالى ما كان لنبي ان تكون له اسرى الاية قرا
ابو عمرو وتكون بالتانيث مراعاة لمعنى الجماعة والباقون بالتذكير مراعاة
للفظ الجمع والجمهور ههنا على اسرى وهو قياس فعيل بمعنى مفعول والاعلى انه

يجرح وجرحى وقرا ابن القعقاع والمفضل عن عاصم اسارى شبهوا اسيرا بكسلان
مجموعا على تعالى ككسالى كما شبهوا به كسلان مجموعا على كسلى وقد تقدم القول
فيهما في البقرة قال الزمخشري وقد قرئ ما كان للنبي على التعريف فان قيل كيف
حسن ادخال لفظة كان على لفظه يكون في هذه الاية فالجواب قوله ما كان ٥
معناه النفي والتنزيه اي ما يجب وينبغي ان يكون له المعنى المذكور كقوله ٥
ما كان الله ان يتخذ من ولد قال ابو عبيدة يقول لم يكن لنبي ذلك فلا يكون لك
ومن قرا ما كان للنبي فمعناه ان هذا الحكم ما كان ينبغي حصوله لهذا النبي وهو
محمد عليه السلام **قوله** حتى يثخن قرا العامة مخففا عدوه بالهمزة وقرا
ابو جعفر ويحيى بن وثاب وبحيى بن يعمر يثخن بالتشديد عدوه بالتضعيف
وهو مشتق من الثخانة وهي الغلظ والكثافة في الاجسام ثم يستعار ذلك
في كثرة القتل والجراحات فيقال اثخنته الجراح اي اثقلته حتى ابتته ومنه
حتى اذا اثخنتموهم وقبل حتى يقهروا والاثخان القهر انشد المفضل ٥

٥ بصل الضحى ما ذرها بعيد ٥ وقد اثخنت فرعون في كفره كفرا ٥

كذا انشده الهروي شاهدا على القهر وليس فيه معنى اذا المعنى على الزيادة
والمبالغة المناسبة لاصل معناه وهي الثخانة ويقال منه ثخن يثخن كظرف
يظرف ظرافة فهو ظريف **قوله** تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة
الجمهور على نصب الاخرة وقرا سليمان بن جماز المدني بجرها وخرجت على حذف
المضاف واقيا المضاف اليه على جره وقدره بعضهم عرض الاخرة فعيب عليه اذ
لا يحسن ان يقال والله يريد عرض الاخرة فاصلحه الزمخشري بان جعله
كذلك لاحل المقابلة قال يعني ثوابها وقدره بعضهم باعمال او ثواب وجعله
ابو البقا كقوله ٥ والدار الاخرة ٥ وتاويله تقدير باللبن تارا ٥
وقدر المضاف عرض الاخرة قال ابو حيان ليست الاية مثل البيت فانه يجوز
ذلك اذا لم يفصل بين حرف العطف وبين المجرور بشيء كالبيت او يفصل بلا
نحو ما مثل زيد ولا اخيه يقولان ذلك اما اذا فصل بغير بها كهذه القراة
فهو شاذ قليل اعلم انه تعالى علم في هذه الاية حكما اخر من احكام الجهاد
في حق النبي صلى الله عليه وسلم قال الزجاج اسرى جمع واسارى جمع الجمع ٥
والاثخان قال الواحدي الاثخان في كل شيء عبارة عن قوته وشدته يقال
قد اثخنه المرض اذا اشتد قوة المرض عليه وكذلك اثخنته الجراح فقوله
حتى يثخن في الارض اي حتى يقوى ويشتد ويغلب ويقهر قال اكثر المفسرين
المراد منه ان يبالغ في قتل اعدائه قالوا انما جعلنا اللفظ يدل عليه لان
الملك والدولة انما يقوى ويستد بالقتل قال الشاعر ٥

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى ٥ حتى يراق على جوانبه الدم ٥٠

وكثرة القتل توجب قوة الرهب وشدة المهابة وكله حتى لانتهاء الغاية فقوله ما كان لنبي ان تكون له اسرى حتى يثخن في الارض يدل على ان بعد حصول الاثخان في الارض فله ان يقدم على الاسارى وقوله تريدون عرض الدنيا المراد منه الفداء وانما سمي منافع الدنيا عرضا لانه لا ثبات له ولا دوام فكانه يعرض ثم يزول ولذلك سمي المتكلمون الاعراض اعراضا لانها لا ثبات لها كثبات الاجسام لانها تطرأ على الاجسام وتزول عنها والاجسام باقية وقوله والله يريد الاخرة اي انه ٥ تعالى لا يريد ما يفضي الى السعادات الدنيوية التي تعرض وتزول وانما ٥ يريد ما يفضي الى السعادات الاخروية الدائمة الباقية المصونة عن التبدل والزوال ثم قال والله عزيز حكيم اي ان طلبتم الاخذ لئلا يغلبكم عدوكم ٥ لان الله عزيز لا يقهر ولا يغلب حكيم في تدبير المصالح العالم قال ابن عباس هذا الحكم انما كان يوم بدر لان المسلمين كانوا قليلين فلما كثروا واقوى ٥ سلطانهم انزل الله بعد ذلك في الاسارى حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء قال ابن الخطيب هذا الكلام يوهم ان قوله فاما منا بعد واما فداء يريد حكم الاية التي نحن في تفسيرها وليس الامر كذلك ٥ لان كلتا الايتين متوافقتين فانهما يدلان على انه لا بد من تقديم الاثخان ثم بعده اخذ الفدا **فصل** احتج الجبائي والقاضي بهذه الاية على ان قول من يقول كل ما يكون من العبد فالله يريده لان هذا الاسر وقع منهم على هذا الوجه ونص الله على انه لا يريده بل يريد منهم ما يودي الى ثواب الاخرة وهو الطاعة واجيبوا بانه تعالى ما اراد ان يكون هذا الامر منهم كرها بل طاعة وعلما ماذونا فيه فلا يلزم من نفي ارادة كون هذا الامر طاعة نفي كونه مرادا الوجود **فصل** روي عن عبد الله بن مسعود قال لما كان يوم بدر وجيء بالاسرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقولون في هؤلاء الاسرى فقال ابو بكر يا رسول الله قومك واهلك استبقهم واستأن بهم لعل الله ان يتوب عليهم وخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار وقال ٥ عمر يا رسول الله كذبوك واخرجوك فقدمهم فاضرب اعناقهم مكن عليا من عقيل فيضرب عنقه ومكني من فلان فاضرب عنقه فان هؤلاء ائمة الكفر وقال عبد الله بن رواحة يا رسول الله انظر واديا كثير الحطب فادخلهم فيه ثم اضرمه عليهم نارا فقال له العباس قطعت رحمك فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبهم ثم قام فدخل فقال ناس ياخذ بقول ابي بكر وقال ناس ياخذ بقول عمر وقال ناس ياخذ بقول ابن رواحة ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن ويشد د ٥ قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال من تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا ابا بكر مثل عيسى قال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ومثلك كمثل موسى قال ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم الاية ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انتم اليوم عالة فلا يفلتن احد منهم الا بفداء او ضرب عنق قال عبد الله بن مسعود فقلت الا سهيل بن بيضاء فاني سمعته يقول بذكر الاسلام فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فما رايتني في يوم اخوف ان تقع على الحجارة من السماء من ذلك اليوم حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا سهيل بن بيضاء قال ابن عباس قال عمر بن الخطاب فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ابو بكر ولم يهو ما قلت فلما كان من الغد جيت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر قاعدين يبكيان قلت يا رسول الله اخبرني من اي شيء تبكي انت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد بكاء تباكيت لبكائكما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابكي للذي عرض علي اصحابك من اخذ الفدا لقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة شجرة قريبة من النبي صلى الله عليه وسلم وانزل الله عز ٥ وجل ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض الى قوله فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واحل الله الغنيمة لهم وكان الفدا كل اسير اربعين اوقية والاوقية اربعون درهما **قوله** لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم قال ابن عباس كانت الغنائم حراما على الانبيا وكانوا اذا اصابوا مغنما جعلوه للقربان فكانت تنزل نار من السماء ٥ فتاكله فلما كان يوم بدر اسرع المومنون في الغنائم واخذ الفدا فانزل الله تعالى لولا كتاب من الله سبق يعني قضيا من الله سبق في اللوح المحفوظ بانه يحل لكم الغنائم لمسكم العذاب وهذا مشكل بحلل الغنائم والفدا هل كان حاصلا في الوقت او ما كان حاصلا فيه فان كان ذلك التحلل والاذن حاصلا في ذلك الوقت امتنع انزال العذاب عليهم لان ما كان ماذونا فيه من قبل الشرع لم يحصل العقاب على فعله وان قلنا ان ٥ الاذن ما كان حاصلا في ذلك الوقت كان الفعل حراما في ذلك الوقت اقضي ما في الباب انه كان في علم الله انه سيحكم بحله بعد ذلك الا ان هذا ٥

لا يقدح في كونه حراما في ذلك الوقت فان قالوا ان كونه بحيث يصير بعد ذلك
حلالا يوجب تخفيف العقاب قلنا فاذا كان الامر كذلك لم ينتفع انزال العقاب
بسببه وذلك يمنع من التحريف بسبب ذلك العقاب وقال ابن جريج لولا كتاب
من الله سبق انه لا يضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون وانه
لا يأخذ قوما فعلوا شيأ بجهالة وانه لا يعذب الا بعد النهي لعذبتكم فيما
صنعتم وانه تعالى ما نهاهم عن اخذ الفداء فهذا ايضا ضعيف لانا نقول
حاصل هذا القول انه ما وجد دليل شرعي يوجب حرمة ذلك الفداء
فهل حصل دليل عقلي يقتضي حرمته امر لا فان قلنا انه حصل فيكون الله تعالى
قد بين تحريمه بواسطة ذلك الدليل العقلي فلا يمكن ان يقال انه تعالى لم يبين
تلك الحرمة وان قلنا انه ليس في العقل ولا في الشرع ما يقتضي المنع محسنه
امتنع ان يكون المنع حاصلا واذا كان الاذن حاصلا فكيف يمكن ترتيب العقاب
على فعله وقال الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير لولا كتاب من الله سبق انه
لا يعذب احدا شهد بدرا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهذا ايضا مشكل
لانه يقتضي ان يقال انهم ما منعوا عن الكفر والمعاصي والزنا والخمر وما هددوا
بترتيب العذاب على هذه القبائح وذلك يوجب سقوط التكاليف عنهم
ولا يقوله عاقل وايضا فلو كان كذلك فكيف اخذهم في ذلك الموضع بعينه
في تلك الواقعة بعينها قال ابن الخطيب واعلم ان الناس اكثروا فيه
والمعتمد في هذا الباب ان يقول اما على قول اهل السنة فيجوز ان يعفو الله
عن الكبائر فقوله لولا كتاب من الله سبق لولا انه تعالى حكم في الازل
بالعفو عن هذه الواقعة لمسهم عذاب عظيم وهذا هو المراد من قوله
كتب ربكم على نفسه الرحمة وقوله سبقت رحمتي غضبي واما على قول
المعتزلة فهم لا يجوزون العفو عن الكبائر فكان معناه لولا كتاب من الله
سبق في ان من احترز عن الكبائر صارت صغائر معفوة والا لمسهم
عذاب عظيم وهذا الحكم وان كان ثابتا في حق جميع المسلمين الا ان طاعات
اهل بدر كانت عظيمة وبموقبولهم الاسلام وانقيادهم لمحمد وافدائهم
مقاتلة الكفار من غير سلاح وآهيه فلا يبعد ان يقال ان الثواب
الذي استحقوه على هذه الطاعات كان اكثر من العقاب الذي استحقوه
على هذا الذنب فلاجرم صار هذا الذنب معفوا ولو قدرنا صدوره
هذا الذنب من سائر المسلمين لما صار معفوا فبسبب هذا القدر
من التفاوت حصل لاهل بدر هذا الاختصاص قال ابن اسحاق لم يكن

من

من المومنين احد ممن حضر الا احب الفداء الا عمر بن الخطاب فانه اشار على رسول
الله صلى الله عليه وسلم بقتل الاسرى وسعد بن معاذ قال يا نبي الله الاثخان
في القتل احب الي من استبقاء الرجال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لو نزل من السماء عذاب ما نجا منه غير عمر بن الخطاب وسعد بن معاذ والله اعلم
قوله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا الاية روي انهم امسكوا الايديهم
عما اخذوا من الفداء فنزلت هذه الاية فان قيل ما معنى الفاء في قوله فكلوا
فالجواب التقدير قد ابحت لكم الغنائم فكلوا وما يجوز ان يكون مكلوا
ما مصدرية والمصدر واقع موقع المفعول ويجوز ان يكون بمعنى الذي وهو
في المعنى كالذي تقدم والعائد على هذا المحذوف والتقدير فكلوا حلالا طيبا
على الحال اما من ما الموصولة او من عائدها اذا جعلناها اسمية وقيل هو
نعت مصدر محذوف اي اكلا حلالا وقوله واتقوا الله قال ابن عطية وجبا
قوله واتقوا الله اعتراضا فصيحا في اثنا القول لان قوله ان الله غفور
رحيم متصل بقوله فكلوا مما غنمتم حلالا يعني انه متصل به من حيث انه
كالعلة له والمعنى واتقوا الله ولا تقدموا بعد ذلك على المعاصي واعلموا
ان الله غفر ما اقدمتم عليه من اخذ الفداء **قوله** تعالى يا ايها النبي قل
لمن في ايديكم من الاسارى الاية لما اخذ الفداء من الاسارى وشق عليهم
اخذ اموالهم ذكر الله تعالى هذه الاية استمالة لهم **قوله** من الاسارى
قراة ابو عمرو وبزنة فعالى والباقون بزنة فعلى وقد عرف ما فيهما وافقهما
ابا عمرو قتادة ويضر بن عاصم وابن ابي اسحاق وابو جعفر واختلف
عن الحسن وقرا ابن محيصن من اسرى منكوا **قوله** بوتكم
جواب الشرط وقرا الاعمش يثبكم من الثواب وقرا الحسن وابو حيوة
ويثبه وحميد مبنيا للفاعل وهو الله تعالى **فصل** هذه الاية نزلت
في العباس بن عبد المطلب وكان اسر يوم بدر وكان احد العشرة الذين
ضمنوا الطعام اهل بدر وكان يوم بدر ثوبته وكان خرج بعشرين اوقية
من ذهب ليطعم بها الناس فاراد ان يطعم ذلك اليوم فاقتتلوا وبقيت
العشرون اوقية معه فاخذت منه في الحرب فكلم النبي صلى الله عليه وسلم
ان يحسب العشرين اوقية من فدائه فابى وقال اما شيء خرجت
استعين به علينا فلا اتركه لك وكلف فداء ابني اخيه عقيل بن ابي طالب
ونوفل بن الحارث فقال العباس يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم واين الذهب الذي دفنته الى ام الفضل
يوم خرجت من مكة فقلت لها اني لا ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان

افق

ما اخذ منه

حدث لي حدث فهذا لك ولعبيد الله ولعبد الله والفضل وقثم يعني بنيه فقال
العباس ومن ايد ربك قال اخبرني به ربي قال له العباس اشهد انك صادق له
وان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد
دفعته اليها في سواد الليل ولقد كنت مرتابا في امرك فما اذا اخبرتني
بذلك فلاريب فذلك قوله عز وجل يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسارى
الذين اخذتم منه الفدا ان يعلم الله في قلوبكم خيرا اي ايمانا يؤتكم خيرا مما
اخذ منكم ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم قال العباس فابدلني الله عنها ٥
عشرين عبدا كلهم تاجر يضرب بمال كثير وادناهم يضرب بعشرين الفدرهم
مكان العشرين اوقيه واعطاني زمزم وما احب ان لي بها جميع اموال اهل
مكة وانا انتظر المغفرة من ربي **فصل** اختلف المفسرون ان الاية نزلت
في العباس خاصة وقال اخرون انها نزلت في الكل وهذا اولى لقوله لمن في
ايديكم ولقوله من الاسري ولقوله في قلوبكم ولقوله يؤتكم خيرا ولقوله مما
اخذ منكم ولقوله يغفر لكم اقتضى ما في الباب ان يقال لسبب نزول الاية
هو العباس لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب **فصل**
احتج مسلم بن الحكم على انه تعالى لا يعلم الشيء الا عند حدوثه بهذه الاية
لان قوله ان يعلم الله في قلوبكم خيرا فعل كذا وكذا شرط وجزاء والشرط هو
حصول هذا العلم والشرط والجزاء لا يصلح حصولهما الا في المستقبل وذلك
يوجب حدوث علم الله تعالى والجواب ان ظاهر اللفظ وان كان يقتضي
ما ذكره الا انه لما دل الدليل على ان علم الله تعالى يمتنع ان يكون محدثا
وجب ان يقال ذكر العلم واراد به المعلوم من حيث انه يجب حصول
العلم عن حصول المعلوم **قوله** تعالى وان يريدوا خيانتك فقد
خانوا الله الاية الضمير في يعود وابريد وابعود على الاسري لانهم ٥
اقرب مذكور وقيل على الجاحدين وقيل على اليهود وقيل على كفار قريش
قال ابن جريج اراد بالخيانة الكفر اي ان كفروا بك فقد كفروا بالله ٥
من قبل فامكن منهم المومنين ببدر حتى قتلوهم وقيل اراد بالخيانة
منع ما ضمنوا من الفدا قال الازهري يقال امكنني الامر يمكنني فهو ممكن
ومفعول الامكان محذوف والمعنى فامكن المومنين منهم يوم بدر حتى
قتلوهم واسروهم ثم قال والله عليم اي ببواطنهم وضمايرهم حكيم
بجازيهم باعمالهم **قوله** تعالى ان الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا
الاية اعلم انه تعالى قسم المومنين في زمان الرسول عليه السلام الى
اربعة اقسام وذكر حكم كل واحد منهم وتقرير هذه القسمة انه عليه السلام

لما ظهرت

لما ظهرت نبوته ودعا الناس الى الدين ثم انتقل من مكة الى المدينة فمنهم من وافقه في تلك
الهجرة ومنهم من لم يوافقه فيها ثم بني في مكة اما القسم الاول فهم المهاجرون الاولون
وقد وصفهم الله بقوله ان الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في
سبيل الله وانما قلنا ان المراد بهم المهاجرون الاولون لانه تعالى قال بعد ذلك
والذين امنوا من بعد وهاجروا قال تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح
وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وقال والسابقون
الاولون من المهاجرين والانصار القسم الثاني من المومنين الموجودين في زمان
محمد عليه الصلاة والسلام وهم الانصار لانه عليه السلام لما هاجر اليهم طايفة
من اصحابه فلولا انهم اووا ونصروا وبذلوا النفس والمال في خدمة رسول
الله صلى الله عليه وسلم واصلاح مهمات اصحابه لما تم المقصود البتة فحال المهاجرين
اعلى في الفضيلة من حال الانصار لانهم السابقون الى الايمان وتحملوا العنا
والمشقة وتصرا طويلا من كفار قريش وصبروا على ذينهم وهذه الحال
ما حصلت للانصار وفارقوا الاوطان والاهل والاموال والحيران ولم
يحصل ذلك للانصار وايضا فان الانصار افتدوا بهم في الاسلام وهم السابقون
للايمان ولما ذكر الله تعالى هذين القسمين قال اولئك بعضهم اولياء بعض ٥
قال الواحدي عن ابن عباس وعن من المفسرين المراد في الميراث وقالوا حكم
الله تعالى بسبب الارث الهجرة والمتردد دون القرابة وكان القريب الذي امن
ولم يهاجر لم يرث لقريبه الذي هاجر ولم يهجر واعلم ان لفظ الولاية
مشعر بتحقيق هذا المعنى لان اللفظ مشعر بالقرب على ما تقرر في هذا الكتاب
وقال السلطان ولي من لا ولي له ولا يفيد الارث وقال تعالى الا ان اولياء
الله لا خوف عليهم ولا يفيد الارث بل الولاية تفيد القرب فيمكن حمله على غير
الارث وهو كون بعضهم محفوظا للبعض ممنوعا لشانه محفوظا بمعاونة ومناصرة
وان يكون ولايدا واحدة على الاعداء فحمله على الارث بعيد عن دلالة اللفظ ٥
لاسيما وهم يقولون ان ذلك الحكم نسخ بقوله في اخر الاية واولوا الارحام بعضهم
اولى ببعض فاني حاجة الى حمل اللفظ على معنى لا اشعار لذلك اللفظ به
ثم الحكم بانه صار منسوخا بآية مذكورة معه هذا في غاية البعد اللهم الا اذا
حصل اجماع المفسرين على ذلك فيجب المصير اليه الا ان دعوى الاجماع ٥
بعيد القسم الثالث المومنون الذين لم يهاجروا ويقوا في مكة وهم
المراد بقوله والذين امنوا ولم يهاجروا فقال تعالى ما لكم من ولايتهم من شيء
حتى يهاجروا فالولاية المنفية في هذه الصورة هي الولاية المثبتة في القسم
المتقدم مما قيل هناك قيل ههنا واجيب الداهمون الى ان هذا المراد من هذه

الولاية الارث بان قالوا لا يجوز ان يكون المراد منها ولاية النصر لانه تعالى ٥
عطف عليه قوله وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر وذلك عبارة عن الموالاة
في الدين والمعطوف مغاير للمعطوف عليه فوجب ان يكون المراد بالولاية ٥
المذكوره امرا مغايرا لمعنى النصرة وهذا استدلال ضعيف لانا اذا حملنا
تلك الولاية على التعظيم والاكرام فهو امر مغاير للنصرة لان الانسان قد ينصر
بعض اهل الذمة في بعض المهمات مع انه لا يوالية بمعنى التعظيم وقد ينصر عبده
وامته بمعنى الاعانة بمعنى انه لا يوالية بمعنى التعظيم فسقط هذا الاستدلال
قوله من ولايتهم فراجعه هنا وفي الكهف الولاية لله هو والكسائي
بكسر الواو والباقون بفتحها فقيل لغتان وقيل بالفتح من الولي بمعنى
بين الولاية وبالكسر من ولاية السلطان قاله ابو البقاء عبيده وقيل
بالفتح من النصرة والنسب وبالكسر من الامارة قاله الزجاج قال ويجوز
الكسر ان في تولي بعض القوم بعضا جنسا من الصناعة والعمل وكل ما كان من
جنس الصناعة مكسورا كالخياطة والقصارة وقد حطا الاصمعي قراءة الكسر
وهو المخطي لتواترها وقال ابو عبيد والذي عندنا الاخذ بالفتح في هذين
الحرفين لان معناهما من الموالاة في الدين وقال الفارسي الفتح اجود لانها
في الدين وعكس الفراء فقال بيدي من موارثهم فكسر الواو احب الي من
فتحها لانها انما تفتح اذا كانت نصرة وقال الكسائي يذهب بفتحها الى
النصرة وقد جمع الفتح والكسر في المعنى جميعا **قوله** حتى يهاجروا
يوهم انه لما لم يهاجروا مع رسول الله سقطت ولايتهم مطلقا فازال الله
هذا الوهم بقوله ما لكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا اي انهم لو هاجروا لعادت
تلك الله لولاية **قوله** وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر
لما بين قطع الولاية بين تلك الطايفة من المومنين بين المراد منه ليس هو
المقاطعة التامة كما في حق الكفار بل هو الموالاة الذين لم يهاجروا ٥١
لو استنصروكم فانصروهم ولا تخذلوهم **قوله** فعليكم النصر مبتدا
وخبرا وفعل وفاعل عند الاخفش ولفظة على تشعر بالوجوب وكذلك
قدره الزمخشري وشبهه بقوله
٥ على مكثر منهم رزق من يعتريهم ٥ وعند المقلين السماحة والبذل
قوله الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق اي لا يجوز لكم نصرهم عليهم اذ
الميثاق مانع من ذلك ثم قال والله بما تعملون بصير قرا السلمي والاعرج
بما يعملون بالياء للغيبة وكانه التفات او اخبار عنهم **قوله** تعالى والذين
كفروا بعضهم اولياء بعض الاية اعلم ان هذا ترتيب في غاية الحسن لانه تعالى

ذكر المومنين اقساما ثلثة الاول المومنون من المهاجرين والثاني الانصار
وهو لا افضل الناس وبين انه يجب ان يوالي بعضهم بعضا والقسم الثالث
المومنون الذين لم يهاجروا فهو لا لهم بسبب ايمانهم فضل وتسمية تركهم الهجرة
حالهم نازلة فيكون حكمهم حكما متوسطا معنى ان الولاية المثبتة للقسم الاول له
منتفية عن هذا القسم الا انهم يكونون بحيث لو استنصروا المومنين واستغاثوا
بهم نصروهم واعانوهم فهذا الحكم متوسط بين الاحكام والاذلال واما
الكفار فليس لهم ما يوجب شيا من اسباب العصمة فوجب كون المسلم
منقطعين عنهم من كل الوجوه فلا يكون بينهم ولاية ولا مناصرة **فصل** قال
ابن عباس ورث المشركون بعضهم من بعض وهذا مما يستقيم اذا حملنا الولاية
على الارث بل الحق ان يقال ان كفار قريش كانوا في غاية العداوة لرسول
الله صلى الله عليه وسلم واليهود فلما ظهرت دعوة محمد عليه السلام تناصروا وتعاونوا
على هذه الاية ومحاربته فالمراد من الاية ذلك **قوله** الا تفعلوه الها
لقوله واما على النصر او الارث او الميثاق اي حفظه او على جميع ما تقدم
ذكره وهو معنى قول الزمخشري الا تفعلوا ما امرتكم به وقرا العامة ٥
كبير بالباء الموحدة وقرا الكسائي فيما حكى عنه ابو موسى الحجازي كثير
بالثاء المثلثة وهذا قريب مما في البقرة والمعنى قال ابن عباس الا تحذروا
في الميراث مما امرتكم وقال ابن جريج الا تتعاونوا وتناصروا وقال غيرهم
ان لم تفعلوا ما امرتكم به في هذه التفاصيل المذكورة تحصل فتنة
في الارض وقوة الكفر وفساد كبير ضعف الاسلام وبيان هذا الفساد من
وجوه اولها ان المسلمين لو اختلطوا بالكفار في زمان ضعف المسلمين وقلة
عددهم فربما صادفت تلك المخالطة سببا لالتحاق المسلم بالكافر ٥
وثانيها ان المسلمين اذا تفرقوا لم يظهر لهم جمع عظيم فيصير ذلك سببا لجراة
الكفار عليهم وثالثها اذا كان جمع المسلمين بحيث كل يوم في العدة والعدد
صار ذلك سببا لمزيد رغبتهم في الاسلام ورغبة المخالف في الالتحاق
بهم **قوله** تعالى والذين امنوا وهاجروا زعم بعضهم ان هذه الجملة
تكرار للتي قبلها وليس كذلك فان التي قبلها تضمنت ولاية بعضهم ٥
لبعض وتقسيم المومنين الى اقسام ثلثة وبيان حكمهم في ولايتهم وتناصرهم
وهذه تضمنت الثناء والتشريف والاختصاص وما اله الثناء حالهم
من المغفرة والرزق الكريم والمعنى اولئك هم المومنون حقا لا مرية
ولا ريب في ايمانهم وقيل حققوا ايمانهم بالهجرة والجهاد وبذل المال
في الدين لهم مغفرة ورزق كريم فان قيل فاي معنى لهذا التكرار قيل

ونبه بالهجرة على قوة الكفار وكثرة عددهم

المهاجرون كانوا على طبقات وكان بعضهم اهل الهجرة الثانية وهم الذين هاجروا الاولى
قبل الحديبية وبعضهم اهل الهجرة الثانية وهم الذين هاجروا بعد صلح
الحديبية قبل فتح مكة وكان بعضهم هاجر تين هجرة الحبشة والهجرة الى ٥
المدينة فالمراد من الاية الاولى الهجرة الاولى ومن الثانية الهجرة الثانية
قوله تعالى والذين امنوا من بعد وهاجروا وامن بعد وجاهدوا معكم
هولاء هم القسم الرابع من مؤمني زمان محمد عليه السلام لم يوافقوا الرسول
في الهجرة الا انهم بعد ذلك هاجروا اليه وجاهدوا معه واختلفوا في قوله
من بعد فقال الواحدي عن بن عباس بعد الحديبية وهي الهجرة الثانية
وقيل بعد نزول هذه الاية وقبل بعد يوم بدر والاصح ان المراد
بعد الهجرة الاولى وهولاء هم التابعون باحسان والصحيح ان الهجرة
انقطعت بفتح مكة لان مكة صارت بلد الاسلام وقال الحسن الهجرة
غير منقطعة الى ابد واما قوله عليه السلام لا هجرة بعد الفتح ٥
فالمراد الهجرة المخصوصة فانها انقطعت بالفتح بقوة الاسلام اما لو اتفق
في بعض الازمان كون المؤمنين في بلد وهم قليلون والكافر معهم شوكة
وان هاجر المسلمون من تلك البلدة الى بلد اخر وضعفت شوكة الكفار
فهاهنا يلزمهم الهجرة على ما قاله الحسن لان العلة في الهجرة من مكة الى
الى المدينة قد حصلت فيهم **قوله** فاولئك منكم اي فمعكم يريد انتم
منهم وهم منكم ثم قال واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب
الله الذين قالوا المراد بالولاية ولاية الميراث قالوا هذه الاية ٥
ناسخة لانه تعالى بين ان الارث كان بسبب الهجرة والنصرة والان
نقد نسخ ذلك فلا يحصل الارث الا بسبب القرابة وقوله في كتاب الله ٥
اي السهام المذكورة في سورة النساء واما الذين فسروا الولاية بالنصرة
والتعظيم قالوا ان تلك الولاية لما كانت محتملة للولاية بسبب الميراث
بين الله تعالى في هذه الاية ان ولاية الارث انما حصل بسبب القرابة
الا ما خصه الدليل فيكون المقصود من هذا الكلام ازالة الوهم **فصل**
تمسك اصحاب ابي حنيفة بهذه الاية في توريث ذوي الارحام واجيبوا
بان قوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض جار في الشيء الذي حصلت فيه
هذه الاولوية فلما قال في كتاب الله كان معناه في الحكم الذي بينه الله في كتابه
فالاية مقيدة بالاحكام التي بينها الله تعالى في كتابه وتلك الاحكام ليست
الا ميراث العصبات فيكون المراد من هذا المجمل هو ذلك فقط فلا ٥
يتعدى الى توريث ذوي الارحام **فصل** تمسكوا بهذه الاية في ان

الامام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو علي بن ابي طالب لقوله واولوا
الارحام بعضهم اولى ببعض فدل على ثبوت الاولوية وليس في الاية شيء معين يدل
على ثبوت هذه الاولوية فوجب حمله على الكل الا ما خصه الدليل ويندرج فيه ٥
الامامة ولا يجوز ان يقال ان ابا بكر من اولي الارحام لما نقل انه عليه الصلاة
والسلام اعطاه سورة براة ليبلغها الى القوم بعث عليا خلفه وامر
بان يكون المبلغ هو على وقال لا يؤدي عني الا رجل مني وذلك على ان ابا بكر
ما كان منه والجواب ان صحت هذه الدلالة كان العباس اولى بالامامة
لانه كان اقرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من علي **قوله** في كتاب
يجوز ان يتعلق بنفس اولى اي احق في حكم الله او في القرآن او في اللوح المحفوظ
ويجوز ان يكون خبرا مبتدا مضمرا اي هذا الحكم المذكور في كتاب الله ثم
قال ان الله بكل شيء عليم اي ان هذه الاحكام التي ذكرناها وفصلناها كلها احكمة
وصواب ليس فيها شيء من العبث لان العالم بجميع المعلومات لا يحكم الا ٥
بالصواب روي ابي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ ٥
سورة الانفال وبراة فانا شفيع له وشاهد يوم القيامة انه بريء من ٥
النفاق واعطي من الاجر بعدد كل منافق ومنافقة في دار الدنيا عشر
حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات وكان العرش ٥
وحملته يصلون عليه ايام حياته في الدنيا والله اعلم بالصواب

سورة التوبة مدنية

وهي مائة وثلثون اية واربعة الاف وثمان وسبعون كلمة وعشرة الاف
واربع مائة وثمان وثمانون حرفا وفيها عدة اسماء براة التوبة ٥
المقشقشة البحوث المثيرة الحافرة الفاضحة المخزية المبعثرة ٥
الحافرة المنكلة المدمدمة سورة العذاب قال الزمخشري لان فيها
التوبة على المؤمنين وهي تقشقش من النفاق اي تبرئ منه وتبحث عن
اسرار المنافقين وتبحث عنها وتنثرها وتحفر عنها وتفضحهم وتنكلهم ٥
وتثير رعبهم وتحزنهم وتدمدم عليهم وعن حذيفة انكم تسمونها سورة
التوبة والله ما تركت احدا الا نالت منه وعن بن عباس في هذه السورة
قال انها الفاضحة ما زالت تنزل ومنهم حتى خشينا انها لا تدع احدا ٥
وسورة الانفال نزلت في بدر وسورة الحشر نزلت في بني النضير ٥٥
فصل ذكروا في اسقاط التسمية من اولها وجوها الاول روي بن عباس قال
قلت لعثمان بن عفان ما حملكم على ان عمدتم الى براة وهي من المائتين والى الانفال

وهي من المثاني فقرنتم بينهما وما فصلتم ببسم الله الرحمن الرحيم قال كان النبي صلى
الله عليه وسلم كلما نزلت عليه سورة يقول ضعوها في موضع كذا فكان براءة من
اواخر القرآن نزولا فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين موضعها
وكانت قصتها شبيهة بقصتها فقرنت بينهما قال ابن العربي هذا دليل على ان
القياس اصل في الدين الا ترى الى عثمان واعيان الصحابة كيف توالى قياسين
المشبه عند عدم النص ورأوا ان قصة براءة مشبهة بقصة الانفال فالحقوها
بها فاذا كان الله تعالى قد بين دخول القياس في تاليف القرآن فما
ظنك بسائر الاحكام قال القاضي لا يبعد ان يقال انه عليه السلام بين
كون هذه السورة تالية لسورة الانفال لان القرآن مرتب من قبل الله
تعالى ومن قبل رسوله على الوجه الذي نقل ولوجوزنا في بعض الصور
ان لا يكون ترتيبها من الله على سبيل الوحي لجوزنا مثله في سائر السور
وفي اثبات السورة الواحدة وتجويزه يطرق ما يقوله الامامية من
تجويز الزيادة والنقصان في القرآن وذلك يخرجه عن كونه حجة والصحيح
انه عليه السلام انما بين وضع هذه السورة بعد سورة الانفال وحينئذ فانه
عليه السلام حذف بسم الله الرحمن الرحيم من اول هذه السورة وحينئذ
الوجه الثاني روي عن ابي بن كعب انه قال انما تركوها لذلك لان في الانفال
ذكر العهود وفي براءة ابتداء العهود فوضعت احديهما بجنب الاخرى والسؤال
المذكور عائد هنا لان هذا الوجه انما يتم اذا قلنا انهم انما وضعوا هذه
السورة بعد الانفال من قبل انفسهم لهذه العلة الوجه الثالث ان
الصحابة اختلفوا في ان سورة الانفال وسورة براءة هل هما سورة واحدة
او سورتان قال بعضهم هما سورة واحدة لان كلتيهما نزلتا في القتال
ومجموعهما هو هذه السورة الواحدة السابعة من الطول وهي سبع ومئات
بعدها المئون وهذا قول ظاهر لانهما معا مائتان وست ايات فهما
بمنزلة سورة واحدة ومنهم من قال سورتان فلما ظهر الاختلاف من الصحابة
في هذا الباب تركوا بينهما فرجة تنبيها على قول من يقول بانهما سورتان
وانهم ما كتبوا بسم الله الرحمن الرحيم تنبيها على قول من يقول بانهما سورة
واحدة وعلى هذا القول لا يلزم منه تجويز مذهب الامامية لانه لما وقع
الاشتباه في هذا المعنى بين اصحابه لم يقطعوا باحد القولين وهذا
يدل على ان هذا الاشتباه كان حاصلا فلما لم يتبينا محوا بهذا القدر
من الشبهة دل على انهم كانوا مشددين في ضبط القرآن عن التحريف
والتغيير وذلك يبطل قول الامامية الوجه الرابع انه تعالى ختم سورة

الانفال بايجاب موالاة المؤمنين بعضهم بعضا وان يكونوا منقطعين عن الكفار
بالكلية ثم انه تعالى صرح بهذا المعنى في قوله براءة من الله ورسوله فلما كان
هذا عين ذاك الكلام وتاكيدا له ويقرر له لزم رفع الفاصل بينهما وكان
اتفاقا الفاصل بينهما تنبيها على كونهما سورتين منفارتين وترك كتابة
البسملة تنبيها على ان المعنى هو عين ذلك المعنى الوجه الخامس قال
القرطبي قيل انه كان من شان العرب في الجاهلية اذا كان بينهم وبين قومهم
عهد فاراد وا نقضه كتبوا اليهم كتابا ولم يكتبوا فيه بسملة فلما نزلت
سورة براءة بنقض العهد الذي كان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين
المشركين امر النبي صلى الله عليه وسلم بكتابتها بغير بسملة وبعث بها
علي بن ابي طالب رضي الله عنه فقراها عليهم في الموسم ولم يبسمل على ما
جرت به عادتهم في نقض العهد من ترك البسملة قال ابن عباس سالت
عليا رضي الله عنه لم لم تكتب بسم الله الرحمن الرحيم ههنا قال لان بسم الله
الرحمن الرحيم امان وهذه السورة لا تسيف ونبذ العهد وليس فيها امان
ويروي ان سفيان بن عيينة ذكر هذا المعنى وزاد فيه بقوله تعالى ولا
تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مومنا فقيل له ان النبي صلى الله عليه
وسلم كتب الى اهل الحرب بسم الله الرحمن الرحيم فاجابت عنه ايذانا بذلك
ابتدا منه بدعوتهم الى الله تعالى ولم ينبذ اليهم عهدهم الا ترى انه قال في
اخر الكتاب والسلام على من اتبع الهدى واما هذه السورة فقد
اشتملت على المقاتلة ونبذ العهد فظهر الفرق الوجه السادس
قالت السائبة لعل الله تعالى لما علم من بعض الناس انهم ينازعون
في كون بسم الله الرحمن الرحيم من القرآن امر بان لا تكتب ههنا ليدل ذلك
على كونها اية من كل سورة فلما كانت اية فانها لم تكن اية من هذه السورة
وجب كونها اية من كل سورة وقد يعكس عليهم ذلك فيقال لو كانت اية
من هذه السورة لما اسقطها من هذه السورة **قوله** تعالى براءة
من الله ورسوله الاية الجمهور على رفع براءة وفيه وجهان احدهما انها
رفع بالابتداء والخبر قوله الى الذين وجاز الابتداء بالنكرة لانها
تخصصت بالوصف بالجار بعدها وهو قوله من الله كما تقول رجل من بني
تميم في الدار والثاني انها خبر ابتدا مضمر اي هذه الاية براءة ويجوز ان
من الله ان يكون متعلقا بنفس براءة لانها مصدر كالنشاة والدناة
وهذه المادة تتعدى بمن تقول ابرات من فلان ابراءة براءة لانها مصدر
كالنشاة والدناة وهذه المادة اي انقطعت العصمة بينا وعلى هذا

يجوز ان يكون المسوغ للابتدا بالنكره في الوجه الاول هذا والى الدين متعلق
بمحذوف على الاول لوقوعه خبرا وبنفس براة على الثاني ويقال برئت وبرات
من الدين بالكسر والفتح وقال الواحدي ليس فيه الا لغة واحدة كسرة
العين في الماضي وفتحها في المستقبل وليس كذلك بل نقلهما اهل اللغة ٥
وقرا عيسى بن عمر براة بالنصب على اضمار فعل اي اسمعوا براة وقال ابن
عطية اي الزموا براة وفيه معنى الاغراء وقري من الله بكسر النون ٥
من على اصل التقا الساكنين او على الاتباع لميم من وهي لغيه فان الاكثر
فتحها مع لام التعريف وكسرها مع غيرها نحو من ابيك وقد يتعكس
الامر فيهما وحكى ابو عمرو عن اهل بجران انهم يقرون كذلك بكسر النون
مع لام التعريف فان قيل ما السبب في ان نسب البراة الى الله ورسوله
ونسب المعاهدة الى المشركين فالجواب قد اذن الله في معاهدة
المشركين فاتفق المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاهدوهم
ثم ان المشركين نقضوا العهد فاوجب الله النبذ اليهم فخوطب المسلمون
بما تجدد اليهم من ذلك وقيل لهم اعلموا ان الله ورسوله بريان مما عاهدتم
من المشركين

فصل روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج الى تبوك
وتخلف المنافقون ورجفوا الاراجيف جعل المشركون ينقضون العهد ٥
فامر الله تعالى بنقض عهودهم قال الزجاج براة اي قد برى الله ورسوله
من اعطايهم العهود والوفا بها اذا نكثوا فان قيل كيف يجوز ان ينقض النبي
عليه السلام العهد فالجواب لا يجوز ان ينقض العهد الا على بينة اوجبه
الاول ان يظهر له منهم خيانة مستوره وخاف ضررهم فينبذ اليهم حتى
يستوي هو وهي معرفة نقض العهد لقوله واما تخافن من قوم خيانة فانبذ
اليهم على سواء وقال ايضا ينقضون عهدهم في كل مرة الثاني ان يكون قد ٥
شرط لبعضهم في وقت العهد ان يقوم بما امر الله فلما امر الله تعالى بقطع
العهد بينهم قطع لاجل الشرط الثالث ان يكون موجلا فتنقضي المده
وينقضي العهد ويكون الغرض من اظهار البراة ان يظهر لهم انه لا يعود
الى العهد وانه على عزم المحاربة والمقاتلة فاما فيما وراء هذه الاحوال
الثلاثة لا يجوز نقض العهد البته لانه يجري مجرى الغدر وخلف القول
والله ورسوله بريان منه ولهذا المعنى قال تعالى الا الذين عاهدتم
من المشركين ثم لم ينقصوكم شيا ولم يظاهروا عليكم احدا فاتموا اليهم
عهدهم الى مدتهم وقيل اكثر المشركين نقضوا العهد الا بنو ضمره وبنو
كنانه **قوله** الى الذين عاهدتم من المشركين الخطاب مع اصحاب

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم وان كان النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي عاهدهم
وعاقدهم لانه عاهدهم واصحابه بذلك راضون فكانهم عقدوا وعاهدوا
قوله فسيحوا قال ابن الانباري هذا على اضمار القول اي فقيل لهم سيحوا
او يكون التفاتا من الغيبه الى الخطاب كقوله وسقاهم ربهم شرابا طهورا
ان هذا كان لكم جزا ويقال ساح يسيح سياحة وسيوحا وسيحانا اي انساب
كسبح الماي الاماكن المنبسطه قال طرفه ٥

٥ لو حفت هذا منك ما بي ٥ حتى يري خيلا اماميَ تسيح ٥

واربعة اشهر ظرف لسيحوا وقري غير معجزي الله بفتح الحلالة على
ان النون حذفت تخفيفا وقد تقدم تحريره **فصل** المعنى قل لهم سيروا
في الارض مقبلين ومدبرين آمنين غير خايفين اربعة اشهر واعلموا
انكم غير معجزي الله اي غير فايتين ولا سابقين وان الله مخزي الكافرين
اي مذلهم بالقتل في الدنيا والعذاب في الاخرة واختلفوا في هذه ٥
الاشهر الاربعة فقال الزهري ان براه نزلت في شوال وهي اربعة ٥
اشهر شوال وذو القعده وذو الحجه والمحرم والصواب الذي عليه الاكثرون
ان ابتدا هذا الاجل يوم الحج الاكبر وانقضاوه الى عشر من ربيع الاخر
ومن لم يكن له عهد فانما اجله انسلاخ الاشهر الحرم وذلك خمسون يوما
وقيل ابتدا تلك المده كان من عشر ذي القعدة الى عشر من ربيع الاول
لان الحج في تلك السنه كان في ذلك الوقت بسبب النسي الذي كان فيهم ٥
صار في السنة الثانية في ذي الحجة وهي حجة الوداع ويدل عليه قوله
عليه السلام الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات ٥
والارض **فصل** اختلف العلما في هذا التاجيل في حق الذين برئ
الله ورسوله من العهود الذي كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال جماعة هذا تاجيل للمشركين فمن كانت مدة عهده اقل من اربعة اشهر ٥
رفعه الى اربعة اشهر ومن كانت مدته اكثر من اربعة اشهر حطه الى اربعة
اشهر ومن كانت مدة عهده بغير اجل محدود حده باربعة اشهر ثم هو
حرب بعد ذلك لله ولرسوله يقتل حيث ادرك ويوسر الى ان يتوب وقال
الكلبي انما كانت الاربعة اشهر لمن كان له عهد دون اربعة اشهر تام له اربعة
اشهر فاما من كان عهده اكثر من اربعة فهذا امر باتمام عهده بقوله فاتموا ٥
اليهم عهدهم الى مدتهم قال الحسن امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم ان يقاتل
من يقاتله من المشركين فقال وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم وكان
لا يقاتل الا من قاتله امره بقتال المشركين والبراة منهم واجلهم اربعة اشهر

فلم يكن لاحد منهم اجل اكثر من اربعة اشهر لان من كان له عهد قبل البراءة ولا من لم يكن
له عهد كان الاجل لجميعهم اربعة اشهر واجل دما جميعهم من اهل العهد وغيرهم
بعد انقضاء الاجل والمقصود من هذا الاعلام امور اولها ان يتفكروا لانفسهم
ويحتاطوا في هذا الامر ويعلموا ان ليس لهم بعد هذه المدة الا اما الاسلام ٥
او قبول الجزية او السيف فيصيروا ذلك حاملا لهم على الاسلام وثانيها
ليلا يغتر المسلمون الى تلك العهود وثالثها اراد الله ان يعم جميع المشركين بالجهاد
فيعم الكل بالبراءة واجلهم اربعة اشهر وذلك لقوة الاسلام وتخويف الكفار
ولا يصح ذلك الا بنقض العهود ورابعها اراد النبي صلى الله عليه وسلم ان
يحج في السنة الاتية فامر باظهار هذه البراءة ليلا يشاهد العراة وقيل نزل
هذا قبل تبوك وقال محمد بن اسحاق ومجاهد وغيرهما نزلت في اهل مكة ٥
وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عاهد قريشا عام الحديبية على
ان يضعوا الحرب عشر سنين يامن فيها الناس ودخلت خزاعة في عهد النبي ٥
صلى الله عليه وسلم ودخل بنو بكر في عهد قريش ثم عدت بنو بكر على خزاعة
فنالت منها واعانتهم قريش بالسلاح فلما ظاهرت بنو بكر وقريش على
خزاعة وتنقضوا عهدهم خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى وقف على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال

لاهم اني ناشد محمدا ... حلف ابينا وابيه الاتلدا
كنتم لنا اباء وكنا ولدا ... ثمت اسلمنا ولم ننزع يدا
فانصر مداك الله نصرا ايدا ... وادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا ... في فيلق كالبحر يجري مزبدا
ابيض مثل الشمس يسمو صعدا ... ان شيم خسفا وجهه تربدا
ان قريشا اخلفوك الموعدا ... ونقضوا ميثاقك المؤكدا
هم بيتونا بالوتير هجدا ... وقتلونا ركعا وسجدا
وزعموا ان لست تدعو احدا ... وهم اذل واقل عددا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نصرت ان لم انصرك ثم تجهز الى مكة
ففتح مكة سنة ثمان من الهجرة فلما كان سنة تسع اراد رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يحج ثم قال انه يحضر المشركون فيطوفون عراة فبعث ابا بكر تلك السنة
اميرا على الموسم ليقيم للناس الحج وبعث معه باربعين اية من صدر سورة براءة
ليقرأها على اهل الموسم ثم بعث بعده عليا على ناقته العضباء ليقرأ على الناس
براءة وامره ان يؤذن بمكة ومني وعرفة ان قد برئت ذمة الله وذمة رسوله
الله صلى الله عليه وسلم من كل مشرك وان لا يطوف بالبيت عريان فرجع ابو بكر

فقال

فقال يا رسول الله بابي انت وامي انزل في شيء قال لا ولكن لا ينبغي لاحد ان يبلغ
هذا الا رجل من اهلي اما ترضى يا ابا بكر انك كنت معي في الغار وانك صاحبي
على الحوض قال بلى يا رسول الله فسار ابو بكر اميرا على الحاج وعلي يؤذن
ببراءة فلما كان قبل التروية بيوم خطب ابو بكر الناس وحدثهم عن مناسكهم
واقام للناس الحج والعرب في تلك السنة على منازلهم التي كانوا عليها في الجا هلية
من الحج حتى اذا كان يوم النحر قام علي بن ابي طالب فاذن في الناس بالذي
امره به وقرأ عليهم سورة براءة قال زيد بن يثيع سألنا عليا باي شيء ٥
بعثت في الحجة قال بعثت باربع لا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين
النبي صلى الله عليه وسلم عهد فهو الى مدته ومن لم يكن له عهد فاجله اربعة
اشهر ولا يدخل الجنة الا نفس مومنة ولا يجتمع المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم سنة عشر حجة الوداع ٤
وكان السبب في بعث النبي صلى الله عليه وسلم عليا ان العرب تعارفوا
فيما بينهم في العهود وتقضها ان لا يتولى ذلك الا سيد منهم او رجل من رهطه
فبعث عليا ازاحة للعلة ليلا يقولوا هذا خلاف ما نعرفه وبينا في نقض العهود
والدليل على ان ابا بكر كان هو الامير ان عليا لما لحقه قال امير او مامور
فقال مامور ثم سارا وقال ابو هريرة بعثني ابو بكر تلك الحجة في مودنين
يوم النحر نؤذن بمنى لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان

قوله واذان من الله اي اذان صادر او اعلام واصل
الله اما صفة او متعلق به والى الناس الخبر ويجوز ان يكون خبر مبتدا
محذوف اي وهذا اعلام والجار ان متعلقان به كما تقدم في براءة قال
ابو حيان ولا وجه لقول من قال انه مقطوف على براءة كما لا يقال عمرو معطوف
على زيد في زيد قائم وعمرو قاعد وقرأ الضحاك وعكرمة وابو المتوكل ٥
واذن بكسر الهمزة وسكون الذال وقرأ العامة ان الله بفتح الهمزة على احد وجهين براءة ٥
اما كونه خبرا لاذان اي الاعلام من الله من المشركين وضعف ابو حيان هذا
الوجه ولم يذكر تضعيفه واما على حذف حرف الجر اي بان الله ويتعلق هذا
الجار اما بنفس المصدر واما بمحذوف على انه صفة ويوم منصوب بما تعلق به
الجار في قوله الى الناس وزعم بعضهم انه منصوب باذان وهو فاسد من وجهين
احدهما وصف المصدر قبل عمله والثاني الفصل بينه وبين معموله باجنبي وهو
الخبر وقرأ الحسن والاعرج بكسر الهمزة وفيه المذهبان المشهوران مذهب ٥
البصريين اضمار القول ومذهب الكوفيين اجراء الاذان مجرى القول وقرئ
من المشركين ورسوله منتفق بنفس بري كما يقال بريت منه وهذا بخلاف قوله

براءة من الله فانها هنا كما يحتمل هذا ويحتمل ان تكون صفة لبراءة **قوله** ورسوله
الجمهور على رفعه وفيه ثلثة اوجه احدها انه مبتدا والخبر محذوف اي ورسوله بريء
منهم وانما حذف للدلالة عليه والثاني انه معطوف على الضمير المستتر في الخبر ٥
وجاز ذلك للفصل المسوغ للعطف فرفعه على هذا بالفاعلية والتقدير بريء الله
ورسوله من المشركين الثالث انه مغطوف على محل اسم ان وهذا عند من يجيز ذلك
في المفتوحة قياسا على المكسورة قال ابن عطية ومذهب الاستاد يعني ابن الباذش
على مقتضى كلام سيبويه ان لا موضع لما دخلت عليه ان اذا هو معرب قد ظهر فيه
عمل العامل وانه لا فرق بين ان وبين ليت والاجماع ان لا موضع لما دخلت
عليه هذه قال ابو حيان وفيه تعقب لان كون ان لا موضع لما دخلت عليه
انما هو معرب قد ظهر فيه عمل العامل وانه لا فرق بين ان وليت ليس ظهور
عمل العامل بدليل ليس زيد بقايم ومافي الدار من رجل فانه ظهر عمل العامل
وهما موضع وقوله بالاجماع يريد ان ليت لا موضع لما دخلت عليه بالاجماع
وليس كذلك لان الفراء خالف وجعل حكم ليت واخواتها جميعها حكم ان بالكسر
قال شهاب الدين قوله بدليل ليس زيد بقايم الى اخره قد يظهر الفرق
بينهما فان هذا العامل وان ظهر عمله فهو في حكم المعدوم اذ هو زايد فلذلك
اعتبرنا الموضع معه بخلاف ان بالفتح فانه عامل غير زايد وكان ينبغي ان
يرد عليه قوله وانه لا فرق بين ان وبين ليت فان الفرق قايم وذلك
ان حكم الابتداء قد انتسخ مع ليت ولعل وكان لفظا ومعنى بخلافه مع ان
وان فان معناه معهما باق وقرا عيسى بن عمر وزيد بن علي وابن
ابي اسحاق ورسوله بالنصب وفيه وجهان اظهرهما انه عطف على لفظ
الجلالة والثاني انه مفعول معه قاله الزمخشري وقرا الحسن ورسوله
بالجر وفيهما وجهان احدهما انه مقسم به اي ورسوله ان الامر كذلك وحذف
جوابه لفهم المعنى والثاني انه على الجوار كما انهم نعتوا واكدوا على الجوار
وقد تقدم تحقيقه وهذه القراءة يبعد صحتها عن الحسن للابهام حتى
حكي ان اعرابيا سمع رجلا يقرا ورسوله بالجر فقال الاعرابي ان كان
الله قد برئ من رسوله فانا ابرئ منه فكتبه القاري الى عمر رضي الله
عنه فحكى الاعرابي الواقعة فحينئذ امر بتعليم العربية وحكى هذه
ايضا عن امير المومنين علي وابي الاسود الدولي قال ابو البقاء ولا يكون
عطفا على المشركين لانه يودي الى الكفر وهذا واضح **فصل** قال
بعض المفسرين قوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين
جملة تامة مخصوصة بالمشركين وقوله واذان من الله ورسوله الى الناس

يوم الحج الاكبر جملة اخرى ثانية على الجملة الاولى وهي عامة في جميع الناس
لان ذلك ان يعرفه المومن والمشرك من حيث ان المومن الحكم المتعلق بذلك ٥
يلزمهما جميعا فيجب على المومنين ان يعرفوا الوقت الذي يباح فيه القتال
من الوقت الذي يحرم فيه فامره تعالى بهذا الاعلام الذي يباح فيه القتال
الذي يوم الحج الاكبر وهو الجمع العظيم ليصل ذلك الخبر الى الكل ويشتهر ٥
وفي هذا العطف الاشكال الذي ذكره ابو حيان في صدر الاية عند قوله
واذان من الله **فصل** اختلفوا في يوم الحج الاكبر فقال ابن عباس في رواية عكرمة انه يوم
عرفه وهو قول عمر وسعيد بن المسيب وابن الزبير وعطا وطاوس ومجاهد واحدى ٥
الروايتين عن علي ورواه المسور بن مخرمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفه فقال اما بعد فان هذا يوم الحج
الاكبر وقال عليه السلام الحج عرفه ولان اعظم اعمال الحج الوقوف بعرفه لان من
ادركه فقد ادرك الحج ومن فاته فقد فاته الحج وقال ابن عباس في رواية عطا يوم
الحج الاكبر يوم النحر وهو قول النخعي والشعبي والسدي واحد الروايتين عن
علي وقول المغيرة بن شعبة وسعيد بن جبير لان معظم افعال الحج فيه روي ان
النبي عليه السلام وقف يوم النحر عند الجمرات ورمى وقال هذا يوم الحج الاكبر
وروي بن جريج عن مجاهد انه قال يوم الحج الاكبر ايام منى كلها وهو مذهب سفيان
الثوري وكان يقول يوم الحج الاكبر ايامه كلها كما يقال يوم صفين ويوم الجمل
يراد به الحين والزمان وانما سميته بيوم الحج الاكبر فان قلنا انه يوم عرفه
فلانه اعظم واجبانه ومن فاته فاته الحج وكذلك ان قلنا انه يوم النحر لان معظم
افعال الحج تفعل فيه وقال الحسن سمي بذلك لاجتماع المسلمين والمشركين فيه
وموافقته لاعياد اهل الكتاب ولم يتفق ذلك قبله ولا بعده فعظم ذلك ٥
اليوم في قلب كل مومن وكافر وطعن الاصم في هذا الوجه وقال انما عيد الكفار
فيه سخط وهذا الطعن ضعيف لان المراد ان ذلك اليوم استعظمه جميع الطوايف
فلذلك وصف بالاكبر وقيل سمي بذلك لان المسلمين والمشركين حجوا في تلك ٥
السنة وقيل الاكبر الوقوف بعرفة والاصغر النحر قاله مجاهد ونقل عن مجاهد
الاكبر القران والاصغر الافراد فان قيل قوله براءة من الله ورسوله الى الذين
عاهدتم من المشركين وقوله ان الله بريء من المشركين ورسوله لا فرق بينهما فما
فايدة هذا التكرار **فالجواب** من وجوه الاول ان المقصود من الاول البراءة
من العهد ومن الثاني البراءة التي هي نقيض الموالاة ويدل على هذا الفرق ان في
البراءة الاولى بريء اليهم وفي الثانية بريء منهم الثاني انه تعالى في الكلام الاول
اظهر البراءة عن المشركين الذين عاهدوا ونقضوا العهد وفي هذه الاية اظهر

عن المشركين من عنوان وصفهم بوصف معين تنبيها على ان الموجب لهذه البراة كفرهم
وشركهم **قوله** فان تبتم عن الشرك واخلصتم التوحيد فهو خير لكم وتوليتم اعرضتم
عن الايمان فاعلموا انكم غير معجزي الله وذلك وعيد عظيم ثم قال وبشر الذين ٥
كفروا بعذاب اليم في الاخرة والبشارة ههنا وردت على سبيل الاستهزا كما يقال
تحيتهم الضرب واكرامهم الشتم **قوله** الا الذين عاهدتم من المشركين الى
هذا الاستثنا ثلاثة اوجه احدها انه استثنا منقطع والتقدير لكن الذين عاهدتم
فاتموا اليهم عهدهم والى هذا ذهب الزمخشري فانه قال فان قلت ٥ ثم استثنى ٥
قوله الا الذين عاهدتم قلت وجهه ان يكون مستثنى من قوله فسيحوا في الارض
لان الكلام خطاب للمسلمين ومعناه براة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم
من المشركين فقولوا لهم سيحوا الا الذين عاهدتم منهم ثم لم يتقضوا فاتموا اليهم
عهدهم والاستثنا بمعنى الاستدراك كانه قيل بعد ان امروا في اثنا كتين ٥
ولكن الذين لم ينكثوا فاتموا اليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم الثاني انه استثنا
متصل وقبله جملة محذوفة تقديره اقتلوا المشركين المعاهدين الا الذين
عاهدتم وفيه ضعف قاله الزجاج فانه قال انه عايد الى قوله براة والتقدير
براة من الله ورسوله الى المشركين المعاهدين الا الذين لم ينتقصوا العهد
الثالث انه مبتدا والخبر قوله فاتموا اليهم عهدهم قاله ابو البقا وفيه ضعف
نظر لان الفا تزاد في غير موضعها اذ المبتدا لا يشبه الشرط لانه لا تاس
باعيانهم وانما يتمشى على راي الاخفش لانه اذ يجوز زيادتها مطلقا والاولى
انه منقطع لانا لو جعلناه متصلا مستثنى من قوله المشركين في اول السورة
لادى الى الفصل بين المستثنى والمستثنى منه بجمل كثيرة **قوله** ثم لم ٥
ينقصوكم شيا الجمهور ينقصوكم بالصاد المهملة وهو يتعدى لواحد ولاثنين
ويجوز ذلك فيه هنا فكم مفعول اول وشيا اما مفعول ثان واما مصدر ٥
اي شيا من النقصان او لا قليلا وكثيرا من النقصان وقرا عطا بن السايب
الكوفي وعكرمة وابن السميفع وابو رزين بنقصوكم بالضاد المعجمة وعلى حذف ٥
مضاف اي ينقصوا عهدكم فحذف المضاف فاقيم المضاف اليه مقامه ٥
قاله الكرماني وهي مناسبة لذكر العهد اي ان النقص يطابق العهد وهي
قريبة من قراة العامة فان من نقض العهد فقد نقص من المدة الا ان قراة
العامة اوقع لموافقتها التمام لمقابلتها التمام **فصل** ومعنى قوله الا
الذين عاهدتم من المشركين وتم بنو ضمره حي من كنانة امر الله ورسوله ٥
باتمام عهدهم الى مدتهم وكان قد بقي من مدتهم تسعة اشهر وكان السبب فيهم
انهم لم ينقصوا اي لم ينقصوا شيا من عهدهم الذي عاهدتموهم عليه ولم يظاهروا

يعاونوا عليكم احدا من عدوكم فاتموا اليهم عهدهم اي اوفوا لهم بعهدهم الى
مدتهم الى اجلهم الذي عاهدتموهم ان الله يحب المتقين اي ان هذه الطايفة
لما اتقوا النقص ونكث العهد استحقوا من الله ان يبقيان عهدهم ايضا عن ٥
النقص والنكث **قوله** تعالى فاذا انسلخ الاشهر الحرم الاية قال
الليث يقال سلخت الشهر اذا خرجت منه والانسلاخ هنا من احسن الاستعارات
وقد بين ذلك ابو الهيثم فقال يقال اهللنا شهر كذا اي دخلنا فيه ٥
فنحن نزداد كل ليلة منه الى منتصفه لبا شام ننسلخه عن انفسنا
جزاء فجزا الى ان ينقضي ويسلخ وانشد

اذا ما سلخنا الشهر اهللت مثله ٭ كفى قاتلا سلخ الشهور واهلالي

والالف واللام في الاشهر يجوز ان تكون للعهد والمراد بها الاشهر المتقدمة في
قوله فسيحوا في الارض اربعة اشهر والعرب تقول اذا ذكرت نكرة ثم اردت
ذكرها ثانيا اتت بضميره او بلفظه معرفا بال ولا يجوز ان تصفه حينئذ
بصفة تشعر بالمغايرة فلو قيل رايت رجلا فاكرمت الرجل الطويل لم ترده ٥
بالثاني الاول فكذلك هنا وانما وصفته بما لا يقتضي المغايرة جاز كقولك ٥
فاكرمت الرجل المذكور ومنه هذه الاية فان الاشهر قد وصفت بالحرم وهي
صفة مفهومة من محتوى الكلام فلم تقتض المغايرة ويجوز ان يراد بها غير ٥
الاشهر المتقدمة فلا تكون ال للعهد وقد ذكر المفسرون الوجهين قالوا
المراد بالاشهر الحرم الاربعة رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ٥
وقال مجاهد وابن اسحاق هي شهور العهد فمن كان عهده اكثر من
اربعة اشهر او من لا عهد له فاجله الى انقضا المحرم خمسون يوما وقيل لها ٥
حرم لان الله تعالى حرم فيها على المومنين دما المشركين والتعرض لهم
فان قيل هذا القدر بعض الاشهر الحرم والله تعالى يقول فاذا انسلخ ٥
الاشهر الحرم قيل لما كان هذا القدر متصلا بما مضى اطلق عليه اسم الجمع
ومعناه مضت المدة المضروبة التي يكون معها انسلاخ الاشهر الحرم ٥ وخذوهم

قوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم احصروهم واقعدوا
لهم كل مرصد اعلم انه تعالى امر بعد انقضا الاشهر الحرم باربعة اشيا
اولها قوله فاقتلوا المشركين اي على الاطلاق في اي وقت كان في الحل والحرم
وثانيها وخذوهم اي اسروهم وقالها واحصروهم والحصر المنع اي ٥
امنعوهم من الخروج ان تحصنوا قاله ابن عباس وقال اقتلوا امنعوهم من دخول
مكة والتصرف في بلاد الشام ورابعها **قوله** واقعدوا لهم كل مرصد
في انتصاب كل وجهان احدهما انه منصوب على الظرف المكاني قال الزجاج

نحو ذهبت مذهبا ورد عليه الفارسي هذا القول من حيث انه ظرف مكان مختص
والمكان المختص لا يصل اليه الفعل بنفسه بل بواسطه في نحو صليت في الطريق وفي
البيت ولا يصل بنفسه الا في الفاظ محصوره بعضها بالقياس وبعضها بالسماع وجعل
هذا نظير ما فعل سيبويه في بيت ساعدة ۵

ثم هذا الكف تعسل منه ۵ فيه كما عسل الطريق الثعلب

وهو انه جعله مما حذف فيه الحرف اتساعا لا على الظرف لانه ظرف مكان مختص
قال ابو حيان انه ينتصب على الظرف لان معنى واقعد والايراد به حقيقة ۵
القعود وانما يراد صدورهم واذا كان كذلك فقد اتفق العامل والظرف ۵
في المادة ومتى اتفقا في المادة لفظا او معنى وصل اليه بنفسه تقول جلست
مجلس القاضي والاية من هذا القبيل والثاني منصوب على اسقاط حرف
الجر وهو على اي على كل مرصد قاله الاخفش وجعله مثل قوله الاخر

تحن فتديتي منهما من صبابة ۵ وتخفق الذي لولا الاسى لقضاني

وهذا الا يقاس بل يقتصر فيه على السماع كقوله تعالى لاقعدن لهم صراطك
اي على صراطك اتفق الكل على انه على تقدير على وقال بعضهم هو على تقدير
الباء اي بكل مرصد تقله ابو البقا وحينئذ تكون الباء معنى في فينبغي ان يقدر
في لان المعنى عليها وجعله نظير قول الشاعر ۵

ثعالي اللحم للاضياف نيا ۵ وترخصه اذا نضج القدور ۵

والمرصد مفعل من رصده يرصده اي رقبه يرقبه وهو يصلح للزمان
والمكان والمصدر قال عامر بن الطفيل ۵

ولقد علمت وما اخالك ناسيا ان المنية للفتى بالمرصد

والمرصاد المكان المختص بالترصد والرصد يقع على الواحد سواء كان مذكرا
مفردا ام مثنى ام مجموعا وكذلك يقع على المرصود وقوله تعالى فانه ۵
يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا احتمل كل ذلك وكانه في الاصل
مصدر فلذلك التزم فيه الافراد والتذكير ومعنى الاية اقعدوا
لهم على كل طريق والمرصد الموضع الذي يرقب فيه العدو ويجوز ان يكونوا
لهم رصدا التاخذوهم من اي وجه توجهوا قوله فان تابوا واقاموا
الصلاة واتوا الزكاة فخلوا سبيلهم اي دعوهم فلا تتعرضوا في امصادهم
ويدخل وامكة ان الله غفور لمن تاب رحيم به واحتجوا بهذه الاية على
قتل تارك الصلاة لان الله تعالى اباح دم الكفار مطلقا ثم حرمها
عند التوبة واقام الصلاة وايتاء الزكاة فاذا لم يوجد الثلاثة فاباحة
الدم بحالها قال الحسن بن الفضل هذه الاية تنسخ كل اية في القران

فيها ذكر الاعراض والصبر على اذى الاعدا قوله تعالى وان احد من
المشركين استجارك فاجره الاية روي ابن عباس ان رجلا من المشركين قال
لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه ان اردنا ان ناتي الرسول بعد انقضاء هذا
الاجل لسماع كلام الله او لحاجة اخرى فهل نقتل فقال علي رضي الله عنه لا
لان الله تعالى قال وان احد من المشركين استجارك فاجره اي فامنه حتى
يسمع كلام الله فتقرير النظم انه لما اوجب بانسلاخ الاشهر الحرم قتل المشركين
دل ذلك على ان حجة الله تعالى قد قامت عليهم واما ذكره عليه السلام قبل ذلك
كفى في ازاحة عذرهم وذلك يقتضي ان احدا من المشركين لو طلب الدليل
والحجة لا يلتفت اليه بل يطالب اما بالاسلام واما بالقتل فذكر الله تعالى بعده
الاية ازالة لهذه الشبهة وبين ان الكافر اذا جاءنا طالبا للدليل والحجة وطالبا
لاستماع القران فانه يجب امهاله ويحرم قتله قوله وان احد كقوله
ان امرؤ هلك في كونة من باب الاشتغال عند الجمهور قال ابن الحطيئة احد من تقع
بفعل مضمر يفسره الظاهر بعده وتقديره وان استجارك احد ولا يجوز ان يرتفع
بالابتداء لان من عوامل الفعل لا يدخل على عين قوله حتى يسمع حتى
يجوز ان يكون هنا للغاية وان تكون للتعليل وعلى كلي التقديرين يتعلق
بقوله فاجره وهل يجوز ان يكون هذه المسئلة من باب التنازع ام لا وفيه
غموض وذلك انه يجوز من حيث المعنى ان يتعلق حتى بقوله استجارك او بقوله
فاجره اذ يجوز تقديرين وان استجارك احد حتى يسمع كلام الله فاجره حتى يسمع
كلام الله والجواب انه لا يجوز عند الجمهور لاموا فقطي من جهة الصناعة ۵
لا معنوي فانا لو جعلناه من التنازع واعملنا الاول مثلا لاحتاج الثاني
اليه مضمرا على ما تقرر وحينئذ يلزم ان حتى تجر المضمر وحتى لا تجره الا
في ضرورة شعر كقوله ۵

فلا والله لا يلقى اناس فتى حتاك يا ابن ابي يزيد

واما عند من يجيز ان تجر المضمر فلا يمتنع ذلك عنده ويكون من اعمال
الثاني على الحذف ويكون كقولك فرحت ومررت بزيد اي فرحت به ولو كان
من اعمال الاول لم يحذفه من الثاني وقوله كلام الله من باب اضافة الصفة
لموصوفها لا من باب اضافة المخلوق للخالق ومنه يجوز ان تكون من
مكانا اي مكان امنه وان تكون مصدرا اي ثم ابلغه امنه فصل
معنى الاية وان استجارك احد من المشركين الذين امرتك بقتالهم ۵
وقتلهم اي استامنك بعد انسلاخ الاشهر الحرم ليسمع كلام الله فاجره ۵
وامنه حتى يسمع كلام الله فيما له وعليه من الثواب والعقاب ثم ابلغه

من الاوايل

مامنه اي ان لم يسلم ابلغه الموضع الذي يأمن فيه وهو دارقومه فان قاتلك
بعد ذلك وقدرت عليه فاقتله ذلك بانهم قوم لا يعلمون اي لا يعلمون دين الله
وتوحيده فهم محتاجون الى سماع كلام الله قال الحسن هذه الاية محكمة الى يوم
القيامة **فصل** قالت المعتزلة هذه الاية تدل على ان كلام الله يسمعه
الكافر والمومن والزنديق والصديق والذي يسمعه جمهور الخلق ليس الا
هذه الحروف والاصوات وتدل ذلك على ان كلام الله ليس الا هذه الحروف
والاصوات ثم من المعلوم بالضرورة ان الحروف والاصوات لا تكون قديمة
لان تكلم الله بهذه الحروف اما ان تكون معا او على الترتيب فان تكلم بها معا
لم يحصل منه هذا الكلام المسطم لان الكلام لا يحصل منتظما الا عند دخول
هذه الحروف في الوجود على التعاقب فلو حصلت معا لما حصل الانتظام
فلم يحصل الكلام وان حصلت متعاقبة لزم ان ينقضي المتقدم ويحدث المتاخر
وفي ذلك يوجب الحدوث فدل هذا على ان كلام الله محدث قالوا فان قلتم ان كلام
الله مغاير لهذه الحروف والاصوات فهو باطل لان الرسول عليه السلام
ما كان يشير بقوله كلام الله الا الى هذه الحروف والاصوات وقال اخرون
ثبت بهذه الاية ان كلام الله ليس الا هذه الحروف والاصوات وثبت ان كلام
الله قديم ثبت بموجب القول بتقدم الحروف والاصوات وقال قوم من فور
انا اذا سمعنا هذه الحروف والاصوات فقد سمعنا مع ذلك كلام الله تعالى
وانكروا عليه هذا القول لان الكلام القديم اما ان يكون نفس هذه الحروف
والاصوات واما ان يكون شيا اخر مغايرا لها والاول قول الزجاج
وهو باطل لان ذلك لا يليق بالعقلاء والثاني باطل لانا على هذا التقدير
لما سمعنا هذه الحروف والاصوات لكنا نعلم بالضرورة انا عند سماع
هذه الحروف والاصوات لم نسمع شيا اخر سوى هذا ولم يدرك سمعنا شيا
مغايرا لها فسقط هذا الكلام والجواب عن كلام المعتزلة ان يقال هذا
الذي نسمعه ليس عين كلام الله على مذهبكم لان كلام الله ليس الا الحروف
والاصوات التي خلقها او لا بل تلك الحروف والاصوات اقتضت علما
في نفس محمد صلى الله عليه وسلم فهي التي نسمعها حروف واصوات فعلها هذا الانسان فما الزمتموه علينا فهو لازم
عليكم **فصل** قال الفقها اذا دخل الكافر الحربي دار الاسلام كان مغنوما
مع ماله الا ان يدخل مستجيرا لغرض شرعي كاستماع كلام الله رجا الاسلام
او دخل لتجارة فان دخل بامان حربي او مجنون فامانهما شبهة امان فيجب
تبليغه مامنه وهو ان يبلغ محروسا في نفسه ومماله الى مكانه الذي هو
مامن له ومن دخل منهم دار الاسلام ولماله امان فامان ماله امان له

قوله

قوله تعالى كيف يكون للمشركين عند عند الله وعند رسوله الاية في خبر
يكون ثلاثة اوجه اظهرها انه كيف وعهدا اسمها والخبر هنا واجب التقدم ۵
لاشتماله على ما له صدر الكلام وهو الاستفهام بمعنى الاستنكار وقولك كيف
يستقيم مثلا اي لا ينبغي ان يستقيم وللمشركين على هذا متعلق اما بيكون ۵
عند من يجيز في كان ان يعمل في الظرف وشبهه واما بمحذوف لانها صفة لعهد
في الاصل فلما تقدمت نصبت حالا وعند يجوز ان يكون متعلقة بيكون او بمحذوف
على انها صفة لعهد او متعلقة بنفس عهد لانه مصدر والثاني ان يكون الخبر
للمشركين وعند على هذا فيها الاوجه المتقدمة وبزيد وجها رابعا وهو
انه يجوز ان يكون ظرفا للاستقرار الذي تعلق به للمشركين والثالث
ان يكون الخبر عند الله وللمشركين على هذا اما تبيين واما متعلق بيكون
عند من يجيز ذلك كما تقدم واما حال من عهد واما متعلق بالاستقرار الذي
تعلق به الخبر ولا يبالي بتقدم معمول الخبر على الاسم لكونه حرف جر وكيف
على هذين الوجهين الاخيرين مشبهة بالظرف او بالحال كما تقدم تحقيقه ۵ ج ۱
كيف تكفرون ولم يذكروا هنا وجها رابعا وكان ينبغي ان يكون هو الاظهر ۵
وهو ان يكون الكون تاما معنى كيف يوجد عهد للمشركين عند الله والاستفهام
هنا بمعنى النفي ولذلك وقع بعده الاستثنا بالا ومن مجيئه بمعنى النفي ۵
ايضا قوله ۵ فهدي سيوف باهدي بن مالك ۵ مكثر ولكن كيف بالسيف ضارب
اي ليس ضارب بالسيف وفي الاية محذوف تقديره كيف يكون للمشركين عهد
مع اصرارهم على الغدر فيما وقع من العهد **قوله** الا الذين عاهدتم عند
المسجد الحرام في الاستثنا وجهان احدهما انه منقطع لكن الذين عاهدتم
فان حكمهم كيت وكيت والثاني انه متصل وفيه حينئذ احتمالان احدهما
انه منصوب على اصل الاستثنا من المشركين والثاني انه مجرور على البدل
منهم لان معنى الاستفهام المتقدم نفي اي ليس يكون للمشركين عهد الا للذين
لم ينكثوا وقياس قول ابي البقا فيما تقدم ان يكون مرفوعا بالابتدا ۵
والجملة من قوله فما استقاموا خبره **فصل** معنى الاية اي لا يكون
لهم عهد عند الله ولا عند رسوله وهم يغدرون وينقضون العهد ثم استثنى
فقال الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام قال ابن عباس هم قريش وقال
قتاده هم اهل مكة الذين عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
الحديبية قال الله تعالى فما استقاموا لكم اي على العهد فاستقيموا لهم وفوا
العهد واعانوا بني بكر على خزاعة فضرب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد الفتح اربعة اشهر يختارون من امرهم اما ان يسلموا واما ان يلحقوا باي

بلاد الله شآ وا فاسلموا قبل الاربعة اشهر وقال السدي والكلبي وابن اسحاق هم من قبايل بكر ۵ بنو جذيمة ۵ وبنو مدلج ۵ وبنو ضمره ۵ وبنو الدئل ۵ الذين كانوا قد دخلوا في عهد قريش يوم الحديبية فلم يكن نقض العهد الا قريش وبنو الدئل من بني بكر فامروا باتمام العهد لمن لم ينقض وهم بنو ضمره وهذا القول اقرب الى الصواب لان هذه الايات نزلت بعد نقض قريش العهد وبعد فتح مكة وكيف يقول لشئ قد مضى فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم وانما هم الذين قال الله عز وجل الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيا كما نقصتكم قريش ولم يظاهروا عليكم احدا كما ظاهرت قريش بني بكر على خزاعة وحلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم **قوله** فما استقاموا يجوز في ما ان تكون مصدرية ظرفية في محل نصب على ذلك اي فاستقيموا لهم مدة استقامتكم منهم لكم ويجوز ان تكون شرطية وجب فعل فعلها وجهان ۵ احدهما انها في محل نصب على الظرف الزماني والتقدير اي زمان استقاموا لكم فاستقيموا لهم ونظره ابو البقا بقوله ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها والثاني انها في محل رفع بالابتدا وفي الخبر الاقوال المشهورة فاستقيموا جواب الشرط وهذا نحا اليه الحوفي ويحتاج الى حذف عايد اي اي زمان استقاموا لكم فيه فاستقيموا لهم وقد جوز ابن مالك في ما المصدرية الزمانية ان تكون شرطية جازمة واستدل على ذلك ۵

۵ فما نحن لانسأ مر حياة وان نمت ۵ فلا خير في الدنيا ولا العيش اجمعا ۵

ولا دليل فيه لان الظاهر الشرطية من غير تاويل بمصدرية وزمان قال ابو البقا ويجوز ان تكون نافية لفساد المعنى اذ يصير المعنى استقيموا لهم لانهم لم يستقيموا لكم ثم قال تعالى ان الله يحب المتقين اي من اتقى الله فوفى بعهده لمن عاهده **قوله** تعالى كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة الاية المستفهم عنه محذوف لدلالة المعنى عليه فقدره ابو البقا كيف يطيعونكم او كيف يكون لهم عهد وقدره غيره كيف لا يقاتلونهم والتقدير الثاني من تقديري ابي البقا احسن لانه من جنس ما تقدم فالدلالة عليه اقوى وقد جا الحذف في هذا التركيب كثيرا وتقدم منه قوله تعالى فكيف اذا جينا وقال الشاعر ۵

۵ وخير تماني انما الموت بالقري ۵ فكيف وهاتا هضبه وكثيب ۵

اي كيف مات وقال الحطيئة ۵

۵ فكيف قراكم اعلهم حذ لوكم ۵ على معظم ولاديكم قدوا ۵

اي كيف تلومونني في مدحهم قال ابو حيان وقد ذكر ابو البقا الفعل بعد كيف بقوله كيف تطيعونهم وقدره غيره بكيف لا يقاتلونهم قال شهاب الدين ولم يقدره

بلغ مقابله

ابو البقا

ابو البقا بهذا وحده بل به وبالوجه المختار كما تقدم عنه **قوله** كيف وان يظهروا كيف تكرار لاستبعاد ثبات المشركين على العهد وحذف الفعل لكونه معلوما ۵ اي كيف يكون لهم عهد وحالهم انهم يظهروا عليكم بعد ما سبق منهم تاكيد الايمان والوثايق لم يرقبوا في حلف ولا عهد ولا يبقوا عليكم والجملة الشرطية من قوله ان يظهروا في محل نصب على الحال اي كيف يكون لهم عهد وهم على حالة ۵ تنافي ذلك وقد تقدم تحقيق هذا عند قوله وان ياتهم عرض مثله ياخذوه ولا يرقبوا جواب الشرط وقرا زيد بن علي وان يظهروا ابنايه للمفعول ۵ من اظهره عليه اي جعله غالبا له يقال ظهرت على فلان اذا علوته وظهرت على السطح اذا صرت فوقه قال الليث الظهور الطفر بالشي واظهره الله المسلمين على المشركين اي اعلاهم عليهم قال تعالى فاصبحوا ظاهرين وقوله تعالى ليظهره على الدين كله اي ليعليه وقوله لا يرقبوا قال الليث رقب الانسان فيرقبه رقبة ورقوبا هو ان ينتظره والمعنى لا ينتظروا قاله الضحاك ورقيب القوم حارسهم وقوله ولم ترقب قولي اي لم تحفظه وقال قطرب لا يراعوا ۵ **قوله** الا معمول به يرقبوا وفي الاول اقوال احدها ۵ ان المراد به العهد قاله ابو عبيدة وابن زيد والسدي وكذلك الذمة الا انه كرر لاختلاف اللفظين ومنه قول الشاعر

لولا بنو مالك والاول مرتبة ۵ ومالك فيهم الا لا ذو الشرف

اي الحلف وقال الاخر

وجدنا بهم كاذبا الههم ۵ وذو الايل والعهد لا يكذب ۵ وقال اخر

زرع وفي الايل كرم الخل ۵ افسد الناس خلوفا حلفوا ۵ قطعوا الايل واعراق الرحم

وفي حديث امرزرع وفي الايل كرم الخل برود الظل اي وفي العهد ۵ الثاني انه التراب قاله ابن عباس والضحاك وبه قال الفرا واستشهد لحسان

لعمرك ان الك من قريش ۵ كال السقب من ذال النعام

واستشهد ابو عبيدة على ذلك بقوله ۵ قطعوا الايل واعراق الرحم ۵

والظاهر ان المراد به العهد كما تقدم ليلايلزم التكرار الثالث ان المراد به الله تعالى اي هو اسم من اسمايه واستدلوا على ذلك بحديث ابي بكر لما عرض عليه كلام مسيلمة لعنه الله ان هذا الكلام لم يخرج من الل اي الله عز وجل قاله ابو مخلد ومجاهد وكان عبيد بن عمير يقول جبراييل بالتشديد يعني عبد الله ولم يرتض هذا الزجاج قال لان اسماء الله تعالى معروفة في الكتاب والسنة ولم يسمع احد يقول يا ايل افعل كذا الرابع ان الايل الجوهر ۵ وهو رفع الصوت عند التحالف وذلك انهم كانوا اذا تماسحوا وتحالفوا جاروا

بذلك جوازا ومنه قول ابي جهل ٥

٦ لا إل علينا واجب لا نضيعه ٥ متين قواه غير منتكث الحبل ٦

الخامس انه من آل البرق اي لمع قال الازهري الاثيل البريق يقال آل يؤل ٥
اي صفا ولمع ومنه الاثالة للمعانها وقيل الاثل من التحديد ومنه الآلة للحربة
وذلك لحدتها وقد جعل بعضهم بين هذه المعاني قدرا مشتركا يرجع الله جميع ما تقدم
فقال الزجاج حقيقة الاثل عندي على ما توجبه اللغة التحديد للشئ فمن ذلك
الآلة الحربة واذن مؤللة فالآل لتخرج في جميع ما فسر من العهد والقرابة
والجوار من هذا فاذا قلت في العهد بينهما آل فقد وليت فتاويله انهما قد حددا
في اخذ العهود وكذلك في الجوار والقرابة وقال الراغب الاثل كل حالة
ظاهرة من عهد وحلف وقرابة تئل اي تلمع وآل الفرس اسرع والآلة ٥
الحربة اللامعة وانشد غيره قلي ذلك قول حاس بن قيس يوم فتح مكة ٥ السلة
٦ ان يقتلوا اليوم فما لي علة ٥ هذا سلاح كامل واله ٥ وذو غرارين سريع
قال وقيل الاثل والاثيل من اسماء الله تعالى وليس ذلك بصحيح قال الازهري
اثيل من اسماء الله تعالى بالعبرانية فجائز ان يكون عربت فقيل آل وأثيلا لان ٥
صفحتا السكين اثنتي وجمع الاثل في القلة على آل والاصل أأل وفي
الكثرة على الآل كذئب وذؤاب والأل بالفتح قبيلة شدة القنوط قال الهروي
في الحديث تحببوا ربكم من آلكم وقنوطكم قال ابو عبيد المحدثون يقولونه بكسر ٥
الهمزة والمحفوظ عندنا فتحها وهو اشبه بالصواب وكانه اراد من شدة قنوطكم ٥
ويجوز ان يكون من رفع الصوت يقال آل يؤل ألا وألالا وألبلا اذا رفع
صوته بالبكاء ومنه يقال له الويل وآل الابل ومنه قول الكميت ٥

٦ وانت ما ابنت في غير امانة ٥ اذا دعت اليتها الكاعب الفضل ٥ رد
انتهى وقرات فرقة الا بالفتح وهو على ما ذكر من كونه مصدرا من آل يؤل
اذا عاهد وقراءكومه إلا بكسر الهمزة بعدها ياء ساكنة وفيه ثلثة اوجه
احدها انه اسم الله تعالى ويويده ما تقدم في جبريل قراسرائيل ان المعنى عبد
الله والثاني انه يجوز ان يكون مشتقا من آل يؤول اذا صار الى آخر الامر
او من آل يؤل اذا ساس قاله ابن جني اي لا يرقبون فيكم سياسة ولا مدارة ٥
وعلى الثاني يرين سكنت الواو بعد كسرة فقلبت ياء كريح الثالث انه هو الاول
المضعف وانما استثقل التضعيف فابدل احد مثليه حرف علة كقولهم املليت الكتاب
واملللته وقال الشاعر ٥

٦ يا ليتما امنا شالت نعامتها ٥ ايما الى جنة ايما الى نار ٥

قوله ولا ذمة الذمة قيل العهد فيكون مكررا لاختلاف لفظه اذا قلنا

ان الاول العهد ايضا فهو كقوله تعالى في صلوات من ربهم ورحمة وقوله ٥ والغي قولها كذبا ومينا
وقوله ٥ وهند اتى من دونها النأي والبعد ٥ وقيل الذمة الضمان يقال هو
في ذمتي اي في ضماني وبه سمي اهل الذمة لدخولهم في ضمان المسلمين ويقال له علي
ذمة وذمام ومذمة وبي الذمر قال ذلك بن عرفه وانشد لاسامة بن الحارث

٦ نصيح بالاسحار من كل صادة ٥ كما ناشد الذم الكفيل المعاهد ٥
وقال الراغب الذمام ما يذم الرجل على اضاعته من عهد وكذلك الذمة ٥
والمذمة والمذمة يعني بالفتح والكسر وقيل المذمة فلا تهتكها وقال غيره
سميت ذمة لان كل حرمة يلزمك من تضييعها الذم يقال لها ذمة وجمع على
ذمر كما ناشد الذم وعلي ذمم وذمام وقال ابو زيد مذمه بالكسر من كتوله
الذمار بالفتح من الذمر وقال الازهري الذمة الامان وفي الحديث ٥
ويسعى بذمتهم ادناهم قال ابو عبيد الذمة الامان ههنا تقول اذا اعطي
ادنى الناس امانا لكافر نفذ عليهم وذلك اجاز عمر رضي الله عنه امان عبد على
جميع العسكر وقال الاصمعي الذمة ما لزمك ان تحفظ وتحمي قوله يرضونكم
فيه وجهان احدهما انه مستانف وهذا هو الظاهر لخبر ان حالهم كذلك
والثاني انها في محل نصب على الحال من فاعل لا يرقبون قال ابو البقاء وليس
بشئ لانهم يقدر ظهورهم لا يرضون المومنين ومعنى الاية يعطونكم بالستهم
خلاف ما في قلوبهم قوله وتابي قلوبهم يقال ابي يابى اي اشتد امتناعه
فكل اباء امتناع من غير عكس قال ابا الله الا عدله ووفاه فلا لكن معروف ولا
وقال اخر ٥ ابي الضيم والنمان يحرق بابه ٥ عليه فاقصى والسيوف معاقله
فليس من فسره بمطلق الامتناع بمصيب وجي المضارع منه على يفعل بفتح العين ٥
شاذ ومثله قلي يقلى في لغة فصل المعنى وتابي قلوبهم الايمان ٥
واكثرهم فاسقون وفيه سوالان السوال الاول الا الموصوفين بعده
الصنه كفار والكفر افحش واخبث من الفسق فكيف يحسن وصفهم بالفسق في معرض
المبالغة والسوال الثاني ان الكفار فاسقون فلا يبقى لقوله واكثرهم
فاسقون فايده والجواب عن الاول ان الكافر قد يكون عدلا في دينه وقد
يكون فاسقا خبيث النفس في دينه فالمراد ان هولا الكفار الذين عاهدتهم
ينقض العهود اكثرهم فاسقون في دينهم وذلك يوجب المبالغة في الذم ٥
والجواب عن الثاني مثل الاول لان الكافر قد يكون محترزا عن الكذب ٥
ونقض العهد والمكر والخديعة وقد يكون موصوفا بذلك ومثل هذا الشخص
يكون مذموما عند جميع الناس وفي جميع الاديان ومعنى الاية ان اكثرهم موصوف
بهذه الصفات الذميمة وقال بن عباس لا يبعد ان يكون بعض اولئك الكفار قد اسلم

وتاب فلهذا السبب قال واكثرهم فاسقون ليخرج عن هذا الحكم اولئك الذين اسلموا
قوله اشتروا بايات الله ثمنا قليلا قال مجاهد اطعم ابو سفيان حلفاءه
وترك حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فنقضوا العهد الذي كان بينهم بسبب تلك
الاكلة وقال ابن عباس ان اهل الطايف امدوهم بالاموال ليقووهم على حرب رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقيل لا يبعد ان يكون طايفة من اليهود اعانوا المشركين
على نقض العهود فكان المراد من هذه الاية ذم اولئك اليهود وهذا اللفظ ٥
في القران كالمختص باليهود ويتاكد هذا بان الله تعالى اعاد قوله لا يرقبون ٥
في مومن الا ولا ذمة ولو كان المراد منه المشركين لكان هذا تكرارا محضا
واذا حمل على اليهود لم يكن تكرارا فكان اولى ثم قال انهم ساء ما يعملون
يعملون قال ابو حيان يجوز ان تكون على بابها من التصرف والتعدي ومفعولها
محذوف اي ساء هم الذي كانوا يعلونه او عملهم وان تكون الجارية مجرى بيس فتحول
الى فعل بالضم وتمتنع تصرفها وتصير للذم ويكون المخصوص بالذم محذوفا كما
تقرر مرارا **قوله** لا يرقبون في مومن الا ولا ذمة اي لا يتقوا عليهم ٥
ايها المومنون كما لا يبقون عليكم لو ظهروا واولئك هم المعتدون بنقض العهد
وتعديهم ما حده الله في دينه وما يوجبه العقد والعهد **قوله** تعالى
فان تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكاة فاخوانكم في الدين فاخبر انهم بهذين حالين لا
يزقب فيهم الا ولا ذمة وينقض العهد ويتعدى ما حد له بين بعده انهم
ان تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكاة فهم اخوانكم في الدين فان قيل ٥
المعلق على الشي بكلمة ان عدم عند عدم ذلك الشي فهذا يقتضي انه متى لم توجد
هذه الثلاثة لا تحصل الاخوة في الدين وهو مشكل لانه ربما كان فقيرا وكان
غنيا ولكن قبل انقضاء الحول لا تلزمه الزكاة فالجواب انه قد تقدم في
تفسير قوله ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه ان المعلق على الشي بكلمة ان لا يلزم
منه عدم ذلك الشي هاهنا قال الواحدي بين المسلمين موخاة على الصلاة
والزكاة جميعا فان الله شرطهما في اثبات المواخاة ومتى لم يكن اهلا لوجوب
الزكاة عليه وجب ان يقر بحكمها فاذا اقر بهذا الحكم دخل في الشرط الذي ٥
بحب الاخوة **قوله** فاخوانكم خبر مبتدا محذوف اي فهم اخوانكم والجملة الاسمية
في محل جزم على جواب الشرط وفي الدين متعلق باخوانكم لما فيه من معنى الفعل
قوله فصل قال ابو حاتم قال اهل البصرة اسمون الاخوة في النسب والاخوان
في الصداقة وهذا غلط يقال للاصدقا وغير الاصدقا اخوة واخوان قال
الله تعالى انما المومنون اخوة ولم يعن النسب وقال تعالى او بيوت اخوانكم
وهذا في النسب قال ابن عباس حرمت هذه الاية دما اهل القبلة ومعنى قوله

فاخوانكم

فاخوانكم اي فهم اخوانكم في الدين لكم حالهم ما لكم وعليهم ما عليكم قال ابن مسعود ٥
امرتم بالصلاة والزكاة فمن لم يزك فلا صلوة له وروي ابو بكرة قال لما توفي ٥
رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله وكان
ابو بكر وكفر من كفر من العرب فقال عمر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ٥
صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قالها فقد
عصم مني ماله ونفسه الا بحقها وحسابه على الله فقال والله لا قاتلن من فرق
بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال والله لو منعوني عناقا كانوا يودونها
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها قال عمر فوالله ما هو الا
ان قد شرح صدر ابي بكر للقتال فعرفت انه الحق **قوله** ونفصل الايات ٥
لقوم يعلمون قال الزمخشري وهذا اعتراض واقع بين الكلامين والمقصود الحث
والتحريض على تامل ما فصل من الاحكام المشركين المعاهدين وعلى المحافظة ٥
عليها **قوله** وان نكثوا ايمانهم نقضوا عهودهم والايمان جمع يمين بمعنى الحلف
من بعد عهدهم عقدهم يعني مشركي قريش قال الاكثرون المراد نكثهم لعهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل المراد حمل العهد على الاسلام ويويده
قراة من قرا وان نكثوا ايمانهم بكسر الهمزة والاول اولى للقراة المشهورة ٥
ولان الاية وردت في ناقضي العهد وقوله وطعنوا في دينكم اي عابوه وهذا
دليل على ان الذمي اذا طعن في دين الاسلام ظاهرا لا يبقى له عهد **قوله**
فقاتلوا ايمة الكفر اي متى فعلوا ذلك فاقتلوا هذا قرا نافع وابن كثير وابو عمرو
ايمة بهمزتين ثانيتهما مسهلة بين بين ولا الف بينهما والكوفيون وابن ٥
ذكوان عن عامر بتحقيقهما من غير ادخال الف بينهما وهشام كذلك الا انه
ادخل بينهما الفا هذا هو المشهور بين القرا السبعة وفي بعضها كلام ياتي
ان شا الله تعالى ونقل ابو حيان عن نافع ومن معه انهم يبدلون الثانية ٥
ياء صريحة وانه قد نقل عن نافع المد بينهما اي بين الهمزة والياء فاما قراة ٥
التحقيق وبين بين فقد ضعفها جماعة من النحويين كابي علي الفارسي وابن
ومن القرا ايضا من ضعف التحقيق مع روايته له وقراته به لاصحابه ومنهم
من انكر التسهيل بين بين فلم يقرا به لاصحاب التحقيق وقراة ابا حنيفة الكسر
مصوا على ذلك في كتبهم واما القراة بالياء التي ارتضاها الفارسي وهو
الجماعة لان النطق بالهمزتين في كلمة واحدة يثقل وهمزة بين بين بزنة المحققة
ومن قرا والزمخشري جعل القراة بصريح الياء ونحقيق الهمزتين غير
مقبول عند البصريين قال فان قلت كيف لفظ ايمة قلت بهمزة بعدها
همزة بين بين اي بين مخرج الهمزة والياء وتحقيق الهمزتين قراة مشهورة وان لم

بعيه

لم تكن مقبولة عند البصريين واما التصريح بالياء فلا يجوز ان يكون ومن قرأ بها فهو
لاحن محرف قال ابو حيان وذلك دأبه في تلحين المقرئين وكيف يكون لحنا وقد
قرأ بها رأس النحاة البصريين ابو عمرو بن العلاء قاري اهل مكة بن كثير قاري
اهل المدينة نافع قال شهاب الدين لا يتم على الزمخشري فانه انما قال انها غير مقبولة
عند البصريين ولا يلزم من ذلك انه لا يقبلها غاية ما في الباب انه نقل عن غيرهم
واما التصريح بالياء فانه معذور فيه لما تقدم من انه انما اشتهر بين القراء التسهيل
بين بين لا الابدال المحض حتى ان الشاطبي جعل ذلك مذهبا للنحويين له
لا للقراء قاله الزمخشري قال الزمخشري انما اختار مذهب القراء لا مذهب
النحاة في هذه النقطة وقد رد ابو البقاء قراءة التسهيل بين بين فقال ولا يجوز
هنا ان يجعل بين بين كما جعلت همزة آيذا الان الكسرة مفقودة هنا اصلية
هنا منقولة وهناك اصلية ولو خففت الهمزة الثانية على القياس لقلبت
الفا لانفتاح ما قبلها ولكن تركن ذلك لتحرك بحركة الميم في الاصل قاله
شهاب الدين قوله منقولة لا يفيد لان النقل هنا لازم فهو كالاصلي وقوله
ولو خففت على القياس الخ لا يفيد ايضا لان الاعتبار بالادغام سابق
على الاعتبار بتخفيف الهمزة دون ايمة افعله لانها جمع امام كحمار وأحمرة
والاصل امممة فالتقى ميمان فاريد ادغامهما فنقلت حركة الميم الاولى
للساكن قبلها وهو الهمزة الثانية فادي ذلك الى اجتماع همزتين لبهم
ثانيتهما مكسورة فالنحويون البصريون يوجبون ابدال الثانية ياء وغيرهم
يحقق او يسهل بين بين ومن ادخل الالف للخفة حتى يفرق بين الهمزتين
والاحسن حينئذ ان يكون ذلك في التحقيق كما قرأ هشام واما ما رواه ابو
حيان عن نافع من المد مع نقله عنه انه يصرح بالياء فللمبالغة للخفة في الخفة
قوله لا ايمان لهم قرأ ابن عامر لا إيمان بكسر الهمزة وهذا مصدر
آمن يومن ايمانا وهل هو من الامان وفي معناه حينئذ وجهان احدهما
انهم لا يومنون في انفسهم اي لا يعطون امانا بعد نكثهم وطعنهم ولا سبيل
الى ذلك والثاني الاخبار بانهم لا يومنون لاحد بعقد يعقدونه له
او من التصديق اي انهم لا اسلام لهم واختار مكي التاويل الاول لمافيه من
تجديد فائدة لم يتقدم لها ذكر لان وصفهم بالكفر وعدم الايمان قد سبق
وعرف وقرأ الباقون بالفتح وهو جمع يمين وهو مناسب للنكث وقد اجمع
على فتح الثانية ومعنى نفي الايمان عن الكفار انهم لا يوفون بها وان صدرت
منهم وثبتت وهذا كقوله الاخر
وان حلفت لا يبتقض الناي عهدها فليس لمخضوب البنان يمين

وبذلك قال الشافعي وحمله ابو حنيفة على حقيقته ان يمين الكافر لا تكون يمينا
شرعية وعند الشافعي يمين شرعية **فصل** معنى الاية قاتلوا الكفار
باسرهم وانما خص الائمة والسادة بالذكر لانهم الذين يحرضون الاتباع
على الافعال الباطلة قال ابن عباس نزلت في ابي سفيان بن حرب والحارث
بن هشام وسهيل بن عمرو وعكرمة بن ابي جهل وسايروسا قريش الذين
نقضوا العهد وهم الذين هموا باخراج الرسول وقال مجاهد هم اهل
فارس والروم وقال حذيفة بن اليمان لم يجئ من هؤلاء شيء ولم
يات اهلها بعد انهم لا ايمان لهم اي لا عهود لهم ثم قال لعلهم ينتهون وهو
متعلق بقوله فقاتلوا ائمة الكفر اي لكي عرضكم في مقاتلتهم نقد ما
وجد منهم من العظايم ان يكون المقاتلة سببا في انتهايهم عن الكفر
قوله الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم الاية لما قال قاتلوا ائمة الكفر
اتبعه بذكر السبب الباعث على مقاتلتهم فقال الا تقاتلون قوما نكثوا
ايمانهم نقضوا عهودهم وهم الذين نقضوا عهد الصلح بالحديبية واعانوا
بني بكر على خزاعة وهموا باخراج الرسول من مكة حين اجتمعوا في دار
الندوة وقيل المراد من المدينة لما اقدموا عليه من المشورة والاجتماع
على قتله بالغيلة وقيل بل هو اعلى اخراجه من حيث اقدموا على ما يدعوه
الى الخروج وهو نقض العهد واعانة اعدايه فاضيف الاخراج اليهم
توسعا لما وقع منهم من الامور الداعية اليه وقوله وهموا باخراج الرسول
اما بالفعل واما بالعزم عليه وان لم يوجد ذلك الفعل بتمامه واعلم
انه تعالى ذكر ثلثة اشياء كل واحد منها يوجب مقاتلتهم اذا انفرد فكيف اذا
اجتمعت احدها نكثهم العهد والثاني انهم هموا باخراج الرسول وهذا
من اوكد موجبات القتال والثالث قوله وهم بدؤكم اولا مرة يعني
بالقتال يوم بدر لانهم حين سلم العير قالوا لا ننصرف حتى نستاصل محمدا
ومن معه وقال ابن عباس وجماعة من المفسرين اراد انهم بدؤا بنقض اول عهده
حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحسن لا يجوز ان يكون المراد منه
ذلك لان سورة براءة نزلت بعد فتح مكة وقوله اول مرة نصب على الظرف
والمرة الوجدان واصلها من المصدر من مر يمر كما تقدم قوله اتخشونهم فالله
احق ان تخشوه الجلالة مبتدأ وفي الخبر اوجه احدها انه احق وان تخشوه على
هذا بدل من الجلالة بدل اشتمال والمفضل عليه محذوف والتقدير تخشية
الله احق من خشيتهم الثاني ان احق خبر مقدم وان تخشوه مبتدأ وخبر والجملة
والجملة خبر الجلالة الثالث ان احق مبتدأ وان تخشوه خبره والجملة ايضا خبر الجلالة

الثالث ان احق مبتدا وان تخشوه خبره والجملة اعتراض بين الجملة قاله ابن عطية وحسن
للابتدا بالنكرة لانها افعل التفضيل وقد اجاز سيبويه ان تكون المعرفة خبر النكرة
في نحو اقصد رجلا خير امنه ابوه الرابع ان تخشوه في محل نصب او جر بعد اسقاط
الخافض اذ التقدير احق بان تخشوه وقوله ان كنتم مومنين شرط حذف جوابه او
قدم على حسب الخلاف **تولـه فصل** هذا الكلام يقوي داعية القتال من وجوه
الاول ان تقرير الموجبات القوية وتفصيلها مما يقوي هذه الداعية الثاني
انك اذا قلت للرجل اتخشى حصمك فانك تحرضه على القتال اي لا تخف منه
الثالث قوله فالله احق ان تخشوه اي ان كنت تخشى احدا فالله احق ان تخشاه
لكونه في غاية القدرة فالضرر المتوقع منهم غاية القتل واما المتوقع من الله
العقاب الشديد في القيامة والذم اللازم في الدنيا والرابع قوله ان كنتم
مومنين اي ان كنتم موقنين بالايمان وجب عليكم القتال اي انكم ان لم
تقدموا على القتال وجب ان لا تكونوا مومنين **تولـه فصل** حكى الواحدي عن
اهل المعاني انهم قالوا اذا قلت انت لا تفعل كذا فانما تستعمل ذلك في فعل يقدر
وجوده واذا قلت لست تفعل فانما تقول ذلك في فعل تحقق وجوده
والفرق بينهما ان لا ينفي بها المستقبل فاذا دخلت عليها الالف كان تخصيصا
على فعل ما يستقبل وليس انما تستعمل لنفي الحال فاذا دخلت عليها الالف
صار لتحقيق الحال **فصل** نقل عن ابن عباس انه قال قوله الا
تقاتلون قوما نزغيب في فتح مكة وقوما نكثوا ايمانهم اي عهدهم يعني قريشا
حين اعانوا بني الديل بن بكر على خزاعة كما تقدم وقال الحسن لا يجوز ان يكون
المراد منه ذلك لان سورة براءة نزلت بعد فتح مكة **فصل** قال الاصم
دلت الاية على انهم كرهوا هذا القتال لقوله كتب عليكم القتال وهو كره لكم
فامنهم الله تعالى بهذه الايات قال القاضي انه تعالى قد حث على فعل
الواجب من لا يكون كارها له ولا متضررا فيه فان اراد ان مثل هذا التحريض
على الجهاد لا يقع الا وهناك كره للقتال لا يصح ايضا لانه لا يجوز ان يحث تعالى
بهذا الجنس على الجهاد لكي لا يكره الذي لولا هذا التحريض كان يقع **فصل**
قال القرطبي استدلوا بهذه الاية على وجوب قتل كل من طعن في هذا الدين
اذ هو كافر والطعن هو ان ينسب الى نبينا ما لا يليق به او يتعرض بالاستحقاق
على ما هو من الدين لما ثبت بالدليل القطعي على صحة اصوله واستقامة فروعه
قال ابن المنذر واجمع عوام اهل العلم على ان من سب النبي صلى الله عليه وسلم
انه يقتل قال القرطبي واما الذمي اذا طعن في الدين انتقض عهده في المشهور
من مذهب مالك لقوله تعالى فان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم

الاية

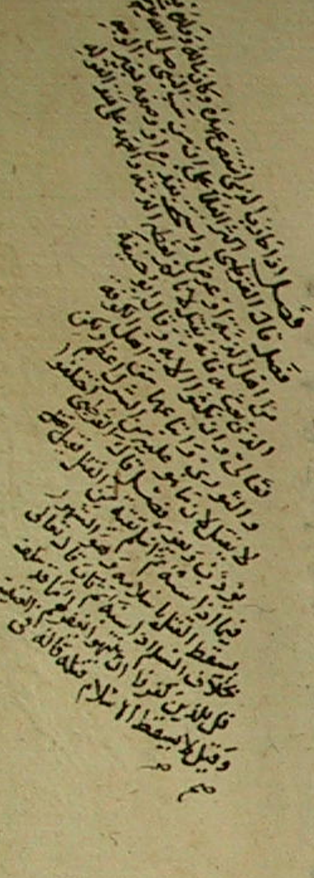

الاية فامر بقتلهم وقتالهم وهو مذهب الشافعي وقال ابو حنيفة يستتاب وان
مجرد الطعن لا ينتقض به العهد الا مع وجود النكث **تولـه** تعالى قاتلوهم
يعذبهم الله بايديكم الاية اعلم انه تعالى لما قال في الاية الاولى الا تقاتلون
وذكر الاشياء التي توجب اقدامهم على القتال ذكر في هذه الاية خمسة انواع
من الفوائد كل واحد منها بعظم موقعه اذا انفرد فكيف بها اذا اجتمعت
فاولها قوله يعذبهم الله بايديكم وسمي ذلك عذابا لان الله تعالى معذب
الكافرين ان شاء عذبهم عجله في الدنيا وان شاء اخره الى الاخرة والمراد بهذا
من هذا التعذيب القتل تارة والاسر اخرى واغتنام الاموال ثالثا
فان قيل اليس قد قال تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم فكيف قال
ههنا يعذبهم الله بايديكم فالجواب المراد من قوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم
عذاب الاستيصال والمراد من قوله يعذبهم الله بايديكم عذاب القتل والحرب
والفرق بين البابين ان عذاب الاستيصال قد يتعدى الى غير المذنب ان كان
وكان في جملته سببا لمزيد الثواب اما عذاب القتل فالظاهر انه مقصور على
المذنب **فصل** احتج اهل السنة على ان فعل العبد مخلوق لله تعالى
بقوله يعذبهم الله بايديكم فان المراد من هذا التعذيب القتل والاسر
وظاهر هذا التصريح يدل على ان ذلك القتل والاسر يفعل الله تعالى
يد خله في الوجود على ايدي العباد اجاب الجبائي عنه فقال لو جاز
ان يقال انه تعالى يعذب الكفار بايدي المومنين لجاز ان يقال انه يعذب
المومنين بايدي الكفار ولجاز ان يقال انه يكذب الانبياء على السنة الكفار
ويلعن المومنين على السنتهم لانه تعالى حالق لذلك فلما لم يجز ذلك عندكم
المجبرة علمنا انه تعالى لم يخلق افعال العباد وانما نسب ما ذكر الى نفسه
على سبيل التوسع من حيث انه حصل بامره والطافه كما يضيف جميع الطاعات
اليه بهذا التفسير واجيب بان الذي الزمتموه علينا فالامر كذلك
الا انا لا نقول باللسان كما تعلم انه تعالى هو الخالق لجميع الاجسام ثم انا
لا نقول يا خالق الابوال والعذرات ويا مكون الخنافس والدبدبان
فكذا ههنا ايضا توافقنا على ان الزنا واللواط وسائر القبائح انما
حصل بما قدرا الله وتيسيره ثم لا يجوز ان يقال يا مسهل الزنا واللواط
وبا رافع الموانع عنها وانما قوله المراد الاقدار والاذن فهذا صرف للكلام
عن ظاهره وذلك لا يجوز الا لدليل والدليل القاهر من جانبنا فان الفعل
لا يصدر الا عند الداعية الحاصلة وحصول تلك الداعية لا يحصل
الا من الله تعالى وثانيها قوله ويخزهم اي يذلهم بالاسر والقهر وقال

الواحدي اي بعد قتلهم اياهم وهذا يدل على ان الاخزاء وقع لهم في الاخرة وهذا ضعيف
لما تقدم من ان الاخزاء حاصل في الدنيا وقالتها قوله وينصركم عليهم اي لما
حصل لهم الخزي بسبب كونهم مقهورين فقد حصل النصر للمسلمين بسبب كونهم
قاهرين فان قيل لما كان سبب حصول الخزي مستلزما لحصول النصر كان
اعادته بالذكر عبثا فالجواب ليس الامر كذلك لانه يحتمل ان يحصل الخزي لهم من
جهة المومنين الا ان المومنين لم يحصل لهم رافة بسبب اخر فلما قال وينصركم عليهم
دل على انهم ينتقمون بهذا النصر والفتح والظفر ورابعها قوله ويشف صدور
قوم مومنين قرا الجمهور بيا العيبة ودا على اسم الله تعالى وقرا زيد بن علي بشف
بالنون وبوا القاف حسن وقال قوم مومنين شهادة للمخاطبين بالايمان فهو
من باب الالتفات واقام الظاهر مقام المضمر حيث لم يقل صدوركم والمعنى
يبري دا قلوب قوم مومنين مما كانوا يبالونه من الاذى منهم ومعلوم ان
من طال تاذيه من خصمه ثم مكنه الله منه على احسن الوجوه فانه يعظم
سروره به ويصير ذلك سببا لقوة النصر للنفس وثبات العزيمة وقال
مجاهد والسدي اراد صدور خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
حيث اعانت قريش بني بكر عليهم حتى كادوا نكاوا بهم فشفى الله صدورهم
من بني بكر بالنبي صلى الله عليه وسلم وخامسها قوله ويذهب غيظ قلوبهم
كربها ووجدها بمعونة قريش بكر عليهم فان قيل قوله ويشف صدور
قوم مومنين معناه انه يشفي من الم الغيظ وهذا هو عين اذهاب الغيظ
فكان قوله ويذهب غيظ قلوبهم تكرارا قالجواب انه تعالى وعدهم
حصول هذا الفتح فكانوا في رحمة الانتظار كما قبل الانتظار الموت الاحمر فشفى
صدورهم من رحمة الانتظار فظهر الفرق بين قوله ويشف صدور قوم مومنين
ويذهب غيظ قلوبهم فهذه المنافع الخمسة ترجع الى تسكين الدواعي الناشيه
من القوة الغضبيه وهي الشفاء ودرك الثار وازالة الغيظ ولم يذكر فيها
وجدان المال والفوز بالمطاعم والمشارب لان العرب جبلوا على الحمية والانفة
فوعدهم في هذه المعاني لكونها لايقة بطباعهم وقرا الجمهور ويذهب بضم
الياء وكسر الهاء من اذهب وغيظ مفعول به وقرا ابي ويذهب بفتح الياء والهاء
جعله مضارعا للذهب غيظ فاعل به وقرا وبذهب بفتح الياء والهاء زيد بن
علي كذلك الا انه رفع الفعل مستانفا ولم يعطفه على المجزوم قبله كما
قرا وبتوب بالرفع عند الجمهور قوله ويتوب الله على من يشا
قرا الجمهور بالرفع وقرا زيد بن علي والاعرج وابن ابي اسحاق وعمرو بن
عبيد وعمرو بن قايد وعيسى الثقفي وابو عمرو في رواية ويعقوب ويتوب

بالنصب

بالنصب فاما قراة الجمهور فانها استيناف اخبار وكذلك وقع فانه قد اسلم ناس
كثيرون كابي سفيان وعكرمة بن ابي جهل وسهيل بن عمرو وغيرهم قال الزجاج
وابو الفتح وهذا امر موجود سواقتلوا اولم يقاتلوا ولا وجه لادخال التوبه
في جواب الشرط الذي في قاتلوهم بعينيان بالشرط ما فهم من الجملة الامرية
قاتلوا او نظير فان شا الله يختم على قلبك ثم الكلام ههنا ثم استانف فقال
ويمحو الله الباطل واما قراة زيد ومن ذكر معه فان التوبة تكون داخلة في
جواب الامر من طريق المعنى وفي توجيه ذلك غموض فقال بعضهم انه لما
امرهم المقاتلة شق ذلك على بعضهم فاذا اقدموا على المقاتلة صار ذلك
العمل جاريا مجرى التوبه من تلك الكراهة قاله الاصم فيصير المعنى يقاتلوهم
يعذبهم ويثبت عليكم من تلك الكراهة لقتالهم وقال اخرون في توجيه ذلك
ان حصول الظفر وكثرة الاموال لذة تطلب بطريق حرام فلما حصلت لهم
بطريق حلال كان ذلك داعيا لهم الى التوبه مما تقدم فصارت التوبه
معلقة على المقاتلة وقال ابن عطية في توجيه ذلك يتوجه عندي ان
التوبه يراد بها على هذا قتل الكافرين والجهاد في سبيل الله هو توبة لكم
ايها المومنون وكمال لايمانكم فيدخل التوبه على هذا في شرط القتال قال
ابو حيان وهذا الذي قدروه من كون التوبه تحت جواب الامر هو بالنسبة
للمومنين الذين امروا بقتال الكفار والذي يظهر ان ذلك بالنسبة الى
الكفار والمعنى على من يشا من الكفار لان قتال الكفار وغلبة المسلمين
اياهم قد يكون سببا لاسلام كثير الا ترى الى فتح مكة كيف اسلم لاجله ناس
كثير وحسن بعض اسلام بعضهم كابن ابي سرح ومن تقدم ذكره وغيرهم فيصير
المعنى ومن ان نقاتلوهم يتب الله على من يشا من الكفار اي يسلم من يشا منهم
والمراد بالتوبه ههنا الهداية الى الاسلام كما ذكره جمهور المفسرين ثم قال
والله عليم حكيم عليم بكل ما يفعل في ملكه حكيم مصيب في احكامه قوله
تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة الاية قال الفراء من
الاستفهام الذي يدخل بتوسط الكلام ولو ابتدء به لاستبد الكلام بالالف
او بهل فصل هذا ترغيب في الجهاد وقتال هذا خطاب للمنافقين وقيل
للمومنين الذين شق عليهم القتال فقال احسبتم ان تتركوا فلا تومروا
بالجهاد ولا تمتحنوا لتظهر الصادق من الكاذب ولما يعلم الله اي يرى الله الذين
جاهدوا منكم وذكر العلم والمراد منه المعلوم والمراد ان يصدر الجهاد عنه لان
الله لما كان وجود الشي يلزمه معلوم الوجود عند الله لاجرم جعل علم الله بوجوده
كناية عن وجوده قوله ولم يتخذوا الجر في هذه الجملة وجهان احدهما

تدخل

بعضهم

وافعاله

انما داخلة في خبر الصلة لعطفها عليها اي الذين جاهدوا ولم يتخذوا الثاني
انما في محل نصب على الحال من فاعل جاهدوا اي جاهدوا حال كونهم غير متخذين وليجة
ووليجة مفعول ومن دون الله اما مفعول ثان ان كان الاتخاذ بمعنى التصيير
واما متعلق بالاتخاذ ان كان على بابه والوليجة فعيلة من الولوج وهو الدخول
والوليجة من يدخلك في باطن امورك وقال ابو عبيدة كل شيء ادخلته في شيء
وليس منه فهو وليجة والرجل في القوم وليس منهم يقال له وليجة ويستعمل
بلفظ واحد للمفرد والمثنى والمجموع وقد جمع على ولائج وولج كصحيفة وصحائف
وصحف والشد والعبادة بن صفوان العنوي ٥

ولا يجهم في كل مبدي ومحضر ٥ الي كل من يرجى ومن يخوف ٥

فصل معنى الآية ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المومنين
ولجة بطانة واولياء يوالونهم ويفشون اليهم اسرارهم وقال قتادة ولجة
خيانة وقال الضحاك خديعة والمقصود من ذكر هذا الشرط ان المجاهد
قد يجاهد ولا يكون مخلصا بل يكون منافقا باطنه خلاف ظاهره فبين انه لا بد
وان ياتوا بالجهاد مع الاخلاص حاليا عن الرياء والنفاق والتردد الى الكفار
والمقصود بيان انه ليس الغرض من ايجاب القتال نفس القتال فقط بل الغرض
من ايجاب القتال نفس القتال فقط بل الغرض ان يوتى به انقيادا لامر الله
والحكمة في تكليفه ليظهر به بذل النفس والمال في طلب رضوان الله محمد ٥
يحصل به الانتفاع **قوله** والله خبير بما يعملون قرا الحسن بما يعلون
بالغيبة عن الالتفات وبها قرا يعقوب في رواية سلام اي عالم بنياتهم
واغراضهم لا يخفى عليه منها شيء قال ابن عباس ان الله لا يرضى ان يكون الباطن
خلاف الظاهر ولا الظاهر خلاف الباطن وانما يريد من خلقه الاستقامة
كما قال الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال وكما فرض القتال تبين ٥
المنافق من عنين وتميز من يوالي المومنين ممن يعاديهم **قوله** تعالى
ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله الآية اعلم انه تعالى بدا السورة
بذكر البراءة من الكفار وبالغ في ذلك وذكر من انواع قبائحهم ما يوجب تلك
البراءة ثم انه تعالى حكى عنهم شبها احتجوا بها في ان هذه البراءة غير جايزة
وانه تجب محالطتهم ومناصرتهم فاولها هذه الآية وذلك انهم ذكروا انهم
موصوفون بصفات حميدة توجب محالطتهم ومعاونتهم ومناصرتهم ومن
جملة تلك الصفات كونهم عامرين للمسجد الحرام قال ابن عباس لما اسر
العباس يوم بدر وعيره المسلمون بالكفر وقطيعة الرحم واغلظ له علي
القول فقال العباس ما لكم تذكرون مساوينا ولا تذكرون محاسننا فقال

له علي الكم محاسن فقال نعم انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحاج ٥
ونفك العاني فانزل الله تعالى رد اعلى العباس ما كان للمشركين ان يعمروا
مسجد الله اي ما ينبغي للمشركين ان يعمروا مسجد الله اي ما ينبغي للمشركين
ان يعمروا وجب على المسلمين منعهم من ذلك لان المساجد انما تعمر لعبادة
الله وحده واعلم ان عمارة المسجد قسمان اما لزومها وكثرة اتيانها يقال
فلان يعمر مجلس فلان اذا اكثر عكوفه عشيانه واما بالعمارة المعروفة بالبنا
فان كان المراد هو الثاني كان المعنى انه ليس للكافر ان يبتدي على مرمة
المسجد لان المسجد موضع العبادة فيجب ان يعظم والكافر نجس وايضا
فالكافر نجس في الحكم لقوله تعالى انما المشركون نجس في الحكم وتطهير المسجد
واجب لقوله ان طهرا بيتي وايضا فالكافر لا يحترز من النجاسة فدخوله
المسجد تلويث للمسجد وقد يودي الى فساد عبادة المصلين وايضا ٥
اقدامه على مرمة المسجد يجري مجرى الانعام على المصلين ولا يجوز
ان يصير الكافر صاحب المنة على المسلمين وقد ذهب جماعة منهم ٥
الواحدي الى ان المراد منه العمارة المعروفة من بنا المسجد ومن المسجده
ومرمته عند الخراب فيمنع منه الكافر حتى لو اوصى به لا يمتثل ويمنع من ٥
دخول المساجد وان دخل بغير اذن مسلم استحق التعزير وان دخل باذن
لم يعزر والاولى تعظيم المساجد ومنعهم منها وقد انزل رسول الله صلى
الله عليه وسلم وفد ثقيف وهم كفار وشد ثمامة بن اثال الحنفي في سارية
من سواري المسجد وهو كافر وحمل بعضهم العماره على الوجه الاول ٥

قرأ مسجد الله ص

قوله ان يعمروا اسم كان قال ابن السميفع يعمر وابضم الياء وكسر الميم
من اعمر رباعيا والمعنى ان يعينوا على عمارته وقرا ابن كثير وابو عمرو بالافراد
وهي تحتمل وجهين ان يراد به مسجد بعينه وهو المسجد الحرام لقوله وعمارة
المسجد الحرام وان يكون اسم جنس فيندرج فيه سايز المساجد ويدخل فيه
المسجد الحرام دخولا اوليا وقرا الباقون مساجد بالجمع وهي ايضا محتملة ٥
للامرين ووجه الجمع اما لان كل بقعة من المسجد الحرام يقال لها مسجد واما
لانه قبلة سايز المساجد فصح ان يطلق عليه لفظ الجمع لذلك قال الفراء ما ٥
ذهب العرب بالواحد الى الجمع وبالجمع الى الواحد الا توى ان الرجل يركب ٥
البرذون فيقول اخذت في ركوبي البراذين وفلان يجالس الملوك وهو لا
يجلس الا مع ملك واحد ويقال فلان كثير الدرهم والدينار يريد الدراهم
والدنانير **قوله** شاهدين الجمهور على قراته بالياء نصبا على الحال من
فاعل يعمروا وقرا زيد بن علي شاهدون بالواو رفعا على خبر ابتدا مضمر والجملة

حال ايضا **فصل** قال الحسن لم يقولوا نحن كفار ولكن كلامهم بالكفر شاهد عليهم
بالكفر وقال الضحاك عن ابن عباس شهادتهم على انفسهم بالكفر سجودهم للاصنام
فكانوا يطوفون بالبيت عراة وكانت اصنامهم منصوبة خارج البيت الحرام
عند القواعد وكلما طافوا اشواطا سجدوا لاصنامهم ولم يزدادوا بذلك من الله
الا بعدا وقال السدي شهادتهم على انفسهم بالكفر هو ان النصراني يسأل من انت
فيقول انا نصراني واليهودي يقول انا يهودي ويقال للمشرك ما دينك فيقول
مشرك وقيل انهم كانوا يقولون لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه
وما ملك ونقل عن ابن عباس انه قال المراد انهم يشهدون على الرسول بالكفر
قال وانما جاز هذا التفسير لقوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم قال
القاضي هذا عدول عن الحقيقة وانما يجوز المصير اليه لو تعذر اجراء اللفظ على
حقيقته ولما بينا ان ذلك جائز لم يجز المصير الى هذا المجاز **قوله**
اولئك حبطت اعمالهم لانها لغير الله ثم قال وفي النار هم خالدون هذه جملة
مستأنفة وفي النار متعلق بالخبر وقدم للاستمرار به ولاجل الفاصلة
وقال ابو البقاء وهم خالدون في النار وقد وقع الظرف بين حرف العطف
والمعطوف وفيه نظر من حيث انه يوهم ان هذه الجملة معطوفة على ما قبلها
عطف المفرد على مثله تقديرا وليس كذلك بل هي مستأنفة واذا كانت كذلك
كانت مستأنفة فلا يقال فيها فصل الظرف بين حرف العطف والمعطوف انما
ذلك في المتعاطفين المفردين او ما في تاويلهما وقد تقدم تحقيقه في قوله
تعالى ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وفي قوله واذا حكمتم
بين الناس ان تحكموا بالعدل وقرا زيد بن علي خالدين بالياء نصبا على الحال
من الضمير المستتر في الجار وصاحب خبرا كتولك في الدار زيد
قاعدا فقد وقع زيد بين علي شاهدين ونصب خالدين عكس قراءة الجمهور وفيهما
فصل احتج اهل السنة بهذه الاية على ان الفاسق من اهل الصلاة
لا يخلد في النار من وجهين الاول ان قوله وفي النار هم خالدون يفيد الحصر
انهم فيها خالدون لا غيرهم لان هذا الكلام انما ورد في حق الكفار الثاني
انه تعالى جعل الخلود في النار للكافر جزاء على كفره ولو كان هذا الحكم ثابتا
لغير الكافر لما صح تهديد الكافر به **قوله** انما يعمر مساجد الله
جمهور القراء على الجمع وقرا الحدري وحماد بن ابي سلمة عن ابن كثير بالافراد
والتوحيد يوخذ مما تقدم والظاهر ان الجمع هنا حقيقة لان المراد جميع المومنين
العامرين لجميع مساجد اقطار الارض **فصل** اعلم انه تعالى لما بين
ان الكافر ليس له ان يشتغل بعمارة المسجد بين ان المشتغل بهذا العمل يجب ان

يكون

يكون موصوفا باوصاف اربع فقال انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم
الاخر واقام الصلاة واتى الزكاة ولم يخش الا الله فبين انه لا بد من الايمان
بالله لان المسجد عبارة عن الموضع الذي يعبد الله فيه والكافر يمتنع منه
ذلك واما كونه مومنا باليوم الاخر لان عبادة الله انما تفيد في الغير فمن
انكر الغير لم يعبد الله ومن لم يعبد الله لم يكن بانيا لعبادة الله فان قيل
لم لم يذكر الايمان بالرسول عليه السلام فالجواب من وجوه الاول ان
المشركين كانوا يقولون ان محمدا انما ادعى الرسالة طلبا للرياسة فذكر ههنا
الايمان بالله واليوم الاخر وترك ذكر النبوة كانه يقول مطلوبي من تبليغ
الرسالة ليس الا الايمان بالمبدا والمعاد فذكر المقصود الاصلي وحذف
ذكر النبوة تنبيها للكفار على انه لا مطلوب له من الرسالة سالة الا
هذا القدر الثاني انه لما ذكر الصلاة والصلاة لا تتم الا بالاذان والا
والتشهد وهذه الاشياء مشتملة على ذكر النبوة وكان كافيا الثالث
انه ذكر الصلاة والمفرد المحلى باللام للالف واللام يصرف الى المعهود
السابق والمعهود عند المسلمين هي الاعمال التي كان ياتي بها محمد عليه
الصلاة والسلام فكان ذكر الصلاة دليلا على النبوة واما قوله واقام
الصلاة فلان المقصود من الانسان اذا كان مقيما للصلاة فانه يحضر في
المسجد وفي المسجد طوائف الفقراء والمساكين فيطلب اخذ الزكاة فيحصل
عمارة المسجد وان حملنا العمارة على البناء فلان الظاهر ان الانسان اذا
لم يجد الزكاة لا يعمر مسجدا واما قوله ولم يخش الا الله اي لا يبني المسجد
لاجل الرياء والسمعة ولكن يبنيه لمجرد طلب رضوان الله روي ان ابا
بكر رضي الله عنه بنا مسجدا في اول الاسلام على باب داره وكان يصلي
فيه ويقرا القران والكفار يوذونه بسببه فيحتمل ان يكون المراد منه
تلك الحالة ولما حصر عمارة المساجد فيمن كان موصوفا بهذه الصفات
الاربع نبه بذلك على ان المسجد يجب صونه عن غير العباد فيدخل فيه
فضول الحديث واصلاح مهمات الدنيا قال عليه السلام ياتي في اخر الزمان
ناس من امتي ياتون المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا والاجا
فليس لله بهم حاجة وقال عليه السلام الحديث في المسجد الحديث ياكل الحسنات
كما ناكل البهيمة الحشيش وقال عليه السلام قال الله تعالى ان بيوتي في الارض
المساجد وان زواري فيها عمارها طوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في
بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره وقال عليه السلام من الف المساجد
الفه الله وقال عليه السلام اذا رايتم الرجل يتعاهد المسجد فاشهدوا له بالايمان

وقال الفراء اقام الصلاة من نبا الخط اذا لزمه ولان الاعظم من الصلاة هو الركوع والسجود وهما لازمان للمصلي

قامه

وحب الدنيا

وقال عليه السلام مرا سرح في مسجد سراحا لم تزل الملئكة وحملة العرش يستغفرون
له مادام في ذلك المسجد صوه وهذه الاحاديث نقلها الزمخشري قوله
عسى اولئك ان يكونوا ممن قال المفسرون عسى من الله واجب لكونه
متعاليا عن الشك والتردد وقال ابو مسلم عسى هنا راجع الى العباد وهو
يفيد الرجا فكان المعنى ان الذين يأتون بهذه الطاعات انما يأتون بها على رجا
القبول بالاهتداء لقوله تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا والتحقيق فيه ان
العبد عند الاتيان لا يأتي بهذه الاعمال لا بقطع بالفوز بالثواب لانه يجوز من
نفسه انه قد اخل بقيد من القيود المعتبرة في حصول القبول وقال الزمخشري
المراد منه تبعيد المشركين عن موافقة الاهتداء وحسم اطماعهم عن الاتباع
باعمالهم التي استعظموا وافتخروا بها فبين تعالى ان الذين امنوا وصنوا
الى اياتهم العمل بالشرايع والخشية من الله فهو لاصار حصول الاهتداء لهم
وابوا بين لعل وعسى فما بال هولاء المشركين يقطعون بانهم مهتدون
ويحرمون انفسهم الخير من عند الله قوله تعالى لجعلتم سقاية الحاج
الاية الجمهور على قراءة سقاية وعماره مصدرين على فعاله كالضيافة
والوقاية والتجارة ولم يقلب الياء لتحصنها بتا التانيث تحاشيا من رداءة وعباة
لطروتا التانيث فيهما قاله الزمخشري واعلم ان السقاية فعل وقوله من
امن بالله اشارة الى الفاعل فظاهر اللفظ يقتضي تشبيه الفعل بالفاعل
والصفة بالموصوف وانه محال وحسم فلابد من حذف مضاف اما من
الاول واما من الثاني ليتصادق المجعولان والتقدير اجعلتم اهل سقاية
الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن او اجعلتم السقاة والعمارة كايمان من
امن او كعمل من امن وقرا ابن الزبير والباقر وابو وجزة سقاة وعمرة
بضم السين وبعد الالف تا التانيث وعمرة بفتح الجيم والالف العين واليم
دون الهاء وتماجمع ساق وعامر كما يقال قاض وقضاة وزارم ورماة
وبار وبورة وفاجر وفجرة والاصل سقية فقلبت الياء الفا لتحركها
وانفتاح ما قبلها ولا حاجة هنا الى تقدير حذف مضاف وان احتيج اليه
في قراءة الجمهور وقرا سعيد بن جبير كذلك الا انه نصب المسجد الحرام
بعمرة وحذف التنوين لالتقا الساكنين كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا
وقوله هو الله احد الله الصمد وقرا الضحاك سقاية بضم السين وعمرة
وتماجمعان ايضا وفي جمع ساق على فعاله نظر لا يخفى والذي ينبغي ان يقال
ان جعل هذا جمعا لسقي والسعي هو الشي المسقي كالرعي والطحن وفعل
يجمع على فعال قالوا طير وظؤار وكان من حقه ان لا يدخل عليه تا التانيث

كما لم تدخل في طوار ولكنه اتى الجمع كما اتى في قولهم حجارة وبحوله ولابد حسنة من تقدير
مضاف اي اجعلتم اصحاب الاشيا المسقيه كمن امن فصل روي النعمان بن
بشير قال كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل ما ابالي ان لا اعمل
عملا بعد ان اسقي الحاج وقال اخر لا ابالي ان لا اعمر المسجد الحرام وقال اخر الجهاد
في سبيل الله افضل مما قلتم فزجرهم عمر وقال لا ترفعوا اصواتكم عند منبر رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليتم دخلت واستفتيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفتم فيه فدخل فانزل الله عز وجل هذه الاية
الى قوله والله لا يهدي القوم الظالمين وقال ابن عباس ان عليا اعظ الكلام للعباس
حين اسر يوم بدر فقال العباس لئن شبقتمونا بالاسلام والجهاد والهجرة لقد كنا
نعمر المسجد الحرام ونسقي الحاج فانزل الله هذه الاية واخبر ان عمارتهم المسجد الحرام
وقيامهم على السقاية لا ينفعهم مع الشرك بالله والجهاد مع نبيه خير مما هم عليه
وقال الحسن والشعبي ومحمد بن كعب الفرضي نزلت في علي بن ابي طالب والعباس
وطلحة بن شيبة افتخروا فقال طلحة انا صاحب البيت بيدي مفاتيحه ولو اردت
بت فيه وقال العباس انا صاحب السقاية والقائم عليها وقال علي لا ادري ما
تقولون لقد صليت الى القبلة ستة اشهر قبل الناس وانا صاحب الجهاد فانزل
الله هذه الاية وقيل ان عليا قال للعباس بعد اسلامه يا عم الا تهاجر في سبيل
الله الا تحضون برسول الله فقال العباس افضل من الهجرة اسقي الحاج واعمر
البيت الحرام فنزلت هذه الاية فقال العباس ما اراني الا تارك سقايتنا
فقال عليه السلام اقيموا على سقايتكم فان لكم فيها خيرا فضح افضل من امة محمد
وقيل ان المشركين قالوا لليهود نحن سقاة الحجيج وعمار المسجد الحرام فنحن افضل
من امة محمد واصحابه فقالت اليهود لهم انتم افضل قال ابن الخطيب هذه المفاضلة
يحتمل ان يكون جرت بين المسلمين ويحتمل ان يكون جرت بين المسلمين والكفار فلو
تعالى بعد ذلك اولئك اعظم درجة عند الله وهذا يقتضي ان يكون المرجوح درجة
ايضا عند الله وذلك لا يليق الا بالمومنين واما احتمال كونها جرت بين المومنين
والكفار فلقوله تعالى كمن امن بالله وهذا يدل على ان هذه المفاضلة وقعت
بين من يومن بالله وبين من امن وهذا هو الاقرب لان المفسرين نقلوا في تفسير
قوله انما يعمر مساجد الله من امن بالله ان العباس احتج على فضايل نفسه بانه
عمر المسجد الحرام وسقي الحاج فاجاب الله عنه بوجهين الاول ما تقدم في الاية
الاولى ان عمارة المسجد الحرام توجب الفضيلة فلو كانت صادرة عن المومن اما اذا
صدرت عن الكافر فلا فايدة فيها البته والثاني هذه الاية وهو ان يقال سلمنا
ان عمارة المسجد الحرام وسقي الحاج توجب نوعا من الفضيلة الا انها بالنسبة الى

ان الاعمال بالخواتيم

وان الايمان بالله ص

انما تكون تفاوت بين المسلمين

الايمان بالله والجهاد كمقابلة الشيء الرفيع الشريف جدا بالشيء الحقير الناقه جدا وانه ٥
باطل وبهذا الطريق حصل النظم الصحيح لهذه الاية بما قبلها **فصل** روي عكرمة عن
بن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء الى السقاية فاستسقى فقال العباس
يا فضل اذهب الى امك فات رسول الله صلى الله عليه وسلم بشراب من عندها فقال
اسقني قال يا رسول الله انهم يجعلون ايديهم فيه قال اسقني فشرب منه ثم اتى زمزم
وهم يسقون ويعملون فيها فقال اعملوا فانكم على عمل صالح ثم قال لولا ان تغلبوا ٥
لنزلت حتى اضع الحبل على هذه يعني عاتقه واشار الى عاتقه وعن بكر بن عبد الله
المزني قال كنت جالسا مع ابن عباس عند الكعبة فاتاه اعرابي فقال مالي ارى ٥
بني عمكم يسقون العسل واللبن وانتم تسقون النبيذ امن حاجة بكم ام من بخل فقال
بن عباس الحمد لله ما بنا من حاجة ولا بخل قدم النبي صلى الله عليه وسلم على راحلته
وخلفه اسامة فاستسقى فاتيناه باناء من نبيذ فشرب وسقى فضله اسامة ٥
وقال احسنتم واجملتم كذا فاصنعوا فلا نريد نغير ما امر به رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال الحسن كانت السقاية نبيذ زبيب وعن بن عمر انه وجد نبيذ السقاية من
الزبيب شديدا فكسر منه بالماء ثلاثا وقال اذا اشتد عليكم فاكسروه بالماء
واما عمارة المسجد الحرام فهي تجصيص وتحسين صورته جدرانه **قوله**
لا يستوون عند الله في الجملة وحسبان الظهور انها مستأنفة اخبر تعالى بعدم استواء
الفريقين والثاني ان يكون حالا من المفعولين للجعل والتقدير سويتم بينهم في
حال تفاوتهم والمانفي المساواة بينهما وذلك لا يفيد من هو الراجح فنبه على الراجح
بقوله والله لا يهدي القوم الظالمين اي الكافرين ظلموا انفسهم لانهم تركوا ٥
الايمان ورضوا بالكفر فكانوا ظالمين لان الظلم عبارة عن وضع الشيء في غير
موضعه وايضا ظلموا المسجد الحرام فانه قال جعله تعالى موضعا لعبادة الله ٥
تعالى فجعلوه موضعا لعبادة الاوثان **قوله** تعالى الذين امنوا وهاجروا
وجاهدوا في سبيل الله الاية لما ذكر ترجيح الايمان والجهاد على السقاية وعمارة
المسجد الحرام على طريق الزم اتبعه بذكر هذا الترجيح بالتصريح اي من كانت
موصوفا بهذه الصفات الاربع كان اعظم درجة عند الله ممن اتصف بالسقاية
والعمارة والسبب فيه ان الانسان ليس له الا الروح والبدن والمال فاما
الروح فانه لما زال عنه الكفر وحصل فيه الايمان فقد وصل الى مراتب ٥
السعادات واما البدن والمال فبالهجرة والجهاد صارا معرضين للهلاك
ولا شك ان النفس والمال محبوب الانسان والانسان لا يعرض عن محبوبه
الا عند الفوز بمحبوب اكمل من الاول فلولا ان طلب الرضوان اتم عندهم من النفس
والمال والاهل رجحوا جانب الاخرى على النفس والمال طلبا لمرضات الله تعالى

واي مناسبة بين هذه الدرجة وبين الاقدام على السقاية والعمارة بمجرد الاقتدا
بالاباء وطلب الرياء والسمعة **قوله** اعظم درجة عند الله ولم يقل اعظم درجة
من المشتغلين بالسقاية والعمارة لانه لو ذكرهم او هم ان تلك الفضيلة بالنسبة
اليهم فلما ترك ذكر المرجوح دل ذلك على انهم افضل من كل من سواهم على الاطلاق
فان قيل لما اخبرتم بان هذه الصفات كانت بين المسلمين والكافرين فكيف قال
في وصفهم اعظم درجة فالجواب من وجوه الاول ان هذا ورد على ما قدروا ٥
لانفسهم من الدرجة والفضيلة عند الله وتطيير قوله تعالى الله لا يستوون
وقوله اذلك خير نزلا امر تحقير للمقدور المرتقب الثاني ان المراد ٥
اولئك اعظم درجة من كل من لم يكن موصوفا بهذه الصفات فبان لا يقاسوا الى
الكفار اولى الثالث ان المراد ان المؤمن المهاجر المجاهد افضل ممن على السقاية
والعمارة والمراد منه ترجيح تلك الاعمال لا شك ان السقاية والعمارة من
اعمال الخير وانما بطل ثوابها في حق الكفار لان الكفر مانع من ظهور ذلك الاثر
ثم بين تعالى انهم هم الفائزون وهذا للحصر اي انهم هم الفائزون بالدرجة العالية
المشار اليها بقوله عند الله وليس المراد منه العندية بحسب الجهة والمكان
وقد تقدم اختلاف القراء في تشديدهم وتوجيه ذلك في العمران وكذلك ٥
الخلاف في رضوان وقرأ الاعمش رضوان بضم الراء والضاد ورددها ابو
حاتم وقال لا يجوز وهذا غير لازم للاعمش فانه رواها وقد وجد ذلك ٥
في لسان العرب قالوا السلطان بضم السين واللام **قوله** لهم فيها نعيم يجوز
ان يكون هذه الجملة صفة لجنات وان تكون صفة للرحمة لانهم جوزوا في هذه
الهاء ان تعود للرحمة وان تعود للجنات وجوز مكي ان تعود على البشرى المفهومة
من قوله يبشرهم كانه قيل لهم في تلك البشرى وعلى هذا فتكون الجملة صفة لذلك
المصدر المقدر ان قدرته نكرة وحالا ان قدرته معرفة ويجوز ان يكون نعيم ٥
فاعلا بالجار قبله وهو اولى لانه يصير من قبيل الوصف بالمفرد ويجوز ان يكون
مبتدأ وحينئذ الجار قبله وقد تقدم تحقيق ذلك مرارا **قوله** خالدين فيها
حال من الضمير في لهم واستدل اهل السنة بهذه الاية على ان الخلود يدل على
طول المكث ولا يدل على التأبيد قالوا لانه لو كان الخلود يفيد التأبيد لكان
ذكر التأبيد بعد ذكر الخلود تكرارا وانه لا يجوز **قوله** تعالى يا ايها
الذين امنوا لا تتخذوا اباكم واخوانكم اولياء الاية والمقصود من هذه الاية
ان يكون جوابا عن شبهة اخرى ذكروها في ان البراءة من الكافر غير ممكنة فان
المسلم قد يكون ابوه كافرا او ابنه او اخوه مسلما والمقاطعة بين الرجل وابيه
وابنه واخيه كالمتعذر فازال الله تعالى هذه الشبهة بهذه الاية ونقل المفسرون

خبرا مبتدأ محذوف تقديره على انهم الذين هم اعظم درجة عند الله ما كانوا انتم عليه من السقاية والعمارة مع الشرك

عن ابن عباس انه تعالى لما امر المسلمين بالهجرة قبل فتح مكة فمن لم يهاجر لم يقبل الله
ايمانه حتى يحارب الاباء والاقربا ان كانوا كفارا قال ابن الخطيب وهذا مشكل لان ٥
الصحيح ان هذه السورة انما نزلت بعد فتح مكة فكيف يمكن حمل هذه الاية على ما
ذكروه وانما الاقرب انه تعالى امر المومنين بالتبري عن المشركين بسبب الكفر
بقوله ان استحبوا الكفر على الايمان اي اختاروا الكفر على الايمان والاستحباب
طلب المحبة يقال استحب له بمعنى احب كانه طلب محبته ولما نهى الله تعالى عن ٥
محالطتهم وكان النهي يحتمل ان يكون نهي تنزيه وان يكون نهي تحريم ذكر ما يزيل
الشبهة فقال ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون قال ابن عباس يريد مشركا
مثلهم لانه رضي بكفره والرضى بالكفر كفر كما ان الرضا بالفسق فسق قال
القاضي هذا النهي لا يمنع من تضاد بين الكافر ومن استحق الذم على الاعمال فقوله
ان كان اباؤكم وما عطف عليه اسم كان واحب جوابها هو منصوب وكان الحجاج ٥
بن يوسف يقرؤها بالرفع وتحنه يحيى بن يعمر فنفاه قال ابو حيان انما لحنه
باعتبار مخالفة القراءة النقلة والا فهي جايزة في العربية يضمر في كان اسما وهو
ضمير الشان ويرفع ما بعدها على المبتدا والخبر وجملة تكون الجملة خبرا عن
كان قال شهاب الدين ولا حاجة فيكون كقوله الشاعر ٥

٦ اذا مت كان الناس صنفان شامت ٥ واخر مثن بالذي كنت اصنع ٦

وهذا في احد تاويلي البيت والاحزان صنفان خبر منصوب وجابه على لغة
بني الحرث ومن وافقهم والحكاية التي اشار اليها الشيخ من تلحين يحيى للحجاج كان
يدعي فصاحة عظيمة فقال يوما ليحيى بن يعمر وكان يعظمه هل تجد في لحن فقال
الامير اجل من ذلك فقال عزمت عليك الا ما اخبرتني وكانوا يعظمون عزائم
الامراء فقال نعم فقال في اي شي فقال في القران فقال ويلك ذلك اقبح بي
في اي اية قال سمعتك تقرا قل ان كان اباؤكم الى ان انتهيت الى احب فرفعتها
فقال اذن لا تسمعني لحن بعدها فنفاه الى خراسان فمكث بها مدة وكان
بها يزيد بن المهلب بن ابي صفره فجاهم جيش فكتب الى الحجاج كتابا وفيه
وقد جانا العدو فتركناهم بالحضيض وصعدنا على عرعرة الجبل فقال
الحجاج ما لابن المهلب ولهذا الكلام فقيل له ان يحيى هناك فقال اذن ذاك
وقرا الجمهور عشيرتكم بالافراد وابو بكر وعاصم عشيراتكم جمع سلامة ووجه
الجمع ان لكل من المخاطبين عشيرة فحسن الجمع وزعم الاخفش ان عشيرة لا تجمع
بالالف والتاء انما تجمع تكسيرا على عشاير وهذه القراءة حجة عليه وهي قراءة
ابي عبد الرحمن السلمي وابي رجاء وقرا الحسن عشايركم قيل وهي اكثر من ٥
عشيراتكم والعشيرة هي الاهل الادنون وقيل هم اهل الرجل الذي يتكثر بهم

اي يصيرون له بمنزلة العدد الكامل وذلك ان العشرة هي العدد الكامل فصارت
العشيرة اسما لاقارب الرجل الذين يتكثر بهم سواء بلغوا العشرة او فوقها وقيل
هي الجماعة المجتمعة بنسب او عقد او وداد كعقد العشرة **فصل** هذه الاية
تقرير الجواب المذكور في الاية الاولى لان جماعة من المومنين قالوا يا رسول الله كيف
يمكن البراءة منهم بالكلية وهذه الاية توجب انقطاعنا عن ابنائنا واخواننا ٥
وعشايرنا وان نحن فعلنا ذلك ذهبت تجارتنا وهلكت اموالنا وخربت ديارنا
فانزل الله تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم ٥
واموال اقترفتموها اكتسبتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها
اي تستطيبونها يعني القصور احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا
فانتظروا حتى ياتي الله بامره قال عطا بقضائه وقال مجاهد ومقاتل بفتح مكة
وهذا امر تهديد فبين تعالى انه يجب تحمل جميع هذه المضار في الدنيا ليبقى الدين
سليما ثم قال والله لا يهدي القوم الفاسقين اي الخارجين عن الطاعة وهذه
الاية تدل على انه اذا وقع التعارض بين مصالح مصلحة واحدة من مصالح الدين
وبين مهمات الدنيا وجب ترجيح الدين على الدنيا **قوله** تعالى لقد نصركم
الله في مواطن كثيرة الاية لما ذكر في الاية المتقدمة انه يجب الاعراض عن محالطة
الاباء والابناء والاخوان والعشيرة وعن الاموال والتجارات والمساكن رعاية ٥
لمصالح الدين وعلم تعالى انه قد يشق على النفوس ذكر ما يدل على ان من ترك ٥
الدنيا لاجل الدين فانه تعالى يوصله الى مطلوبه وضرب لهذا مثلا وهو ذلك
ان عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في وقعة حنين كانوا في غاية الكثرة ٥
والقوة فلما اعجبوا بكثرتهم صاروا منهزمين فلما تضرعوا في حال الانهزام الى
الله قواهم حتى هزموا عسكر الكفار وذلك يدل على ان الانسان متى اعتمد على
الدنيا فانه الدين والدنيا ومتى اطاع الله ورجح الدين على الدنيا اتاه الله الدين
والدنيا على احسن الوجوه وكان هذا تسلية لاولئك المامورين بمقاطعة الاباء
والابناء لاجل مصلحة الدين ووعدا لهم بانهم ان فعلوا ذلك اوصلهم الله تعالى الى
اقاربهم واموالهم ومساكنهم على احسن الوجوه قال الواحدي النصر المعونة على
العدو خاصة والمواطن جمع موطن بكسر العين وكذا اسم مصدره وزمانه
لاعتلال فايه كالموعد قال ٥

٥ وكم موطن لولاي طحت كما هوي ٥ باحزامه من قله السوس منهوي ٥

وحنين اسم واد بين مكة والطايف فلذلك صرفه وبعضهم جعله اسما للبقعة
فمنعه في قوله ٥

٥ نصروا نبيهم وشدوا ازره ٥ بحنين يوم تنازل الابطال ٥

وهذا كما قال الاخفش في حراء اسم الجبل المعروف اعتبارا بتانيث البقعة في قوله
٥ السنا اكثر القلين رحلا ٥ واعظمهم بطن حراء نارا ٥
فصل المراد بالمواطن الكثيرة غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقال
انها ثمانون موطنا فاعلمهم انه تعالى نصر المومنين ومن نصره الله فلا غالب له ثم
قال ويوم حنين اي واذكر يوم حنين من جملة تلك المواطن حال ما اعجبتكم ٥
كثرتكم وحنين واد بين مكه والطايف وقيل الى جنب ذي المجاز قال الرواه
لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكه وقد بقيت اياما من شهر رمضان
خرج متوجها الى حنين لقتال هوازن وثقيف في اثني عشره الفا عشرة الاف
من المهاجرين والفان من الطلقا وقال عطاء عن ابن عباس كانوا ستة عشر
الفا وقال الكلبي كانوا عشرة الاف وكان هوازن وثقيف اربعة الاف ٥
وعلى هوازن مالك بن عوف النضري وعلى ثقيف كنانة بن عبد يالبل الثقفي
فلما التقى الجمعان قال رجل من الانصار يقال له سلمة بن سلامه بن وقش لن ٥
نغلب اليوم عن قلة وهو المراد بقوله اذ اعجبتكم كثرتكم فساء رسول الله
صلى الله عليه وسلم كلامه ووكلوا الى كلمة الرجل وفي رواية لم يرض الله ٥
قوله ووكلوا الى انفسهم فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم المشركون وخلوا
عن الذراري ثم نادوا يا حماة السوء اذكروا الفضاح فتراجعوا وانكشف
المسلمون قال قتاده وذكر لنا ان الطلقا الحقلوا بوميذ بالناس **قوله**
ويوم حنين فيه اوجه احدها انه عطف على محل قوله في مواطن عطف ظرف الزمان
من غير واسطة على ظرف المكان المجرور بها ولا عزو في مثل ظرف زمان ٥
على مكان او العكس تقول سرت امامك ويوم الجمعة الا ان الاحسن ان يترك
العاطف في مثله الثاني زعم ابن عطية انه يجوز ان يعطف على لفظ مواطن ٥
بتقدير وفي يوم فحذف حرف الخفض وهذا لا حاجة اليه الثالث قال
الزمخشري فان قلت كيف عطف الزمان على المكان وهو يوم حنين على مواطن
قلت معناه وموطن يوم حنين وفي ايام مواطن كثيرة ويوم حنين الرابع
ان يراد بالمواطن الاوقات كقتل الحسين على ان ٥
الواجب ان يكون يوم حنين منصوبا بفعل مضمر لا بهذا الظاهر وموجب ذلك
ان قوله اذ اعجبتكم بدل من يوم حنين فلو جعلت ناصبة هذا الظاهر لم يصح ٥
لانكم لم تعجبهم في جميع تلك المواطن ولم يكونوا كثيرين في جميعها فبقي ان
يكون ناصبة فعلا خاصا به قال شهاب الدين لا ادري ما حمله على تقدير احد
المضافين او على تاويل الموطن بالوقت ليصح عطف زمان على زمان او مكان

على مكان اذ يصح احد الظرفين على الاجر واما قوله على ان الواجب ان يكون الى اخره كلام
حسن ويقرره ان الفعل مقيد بظرف المكان فاذا جعلنا اذ بدلا من يوم كان معمولا
له لان البدل يحل محل المبدل منه فيلزم انه نصرهم اذ اعجبتهم كثرتهم في مواطن كثيرة
والخوض انهم في بعض هذه المواطن لم يكونوا بهذه الصفة الا انه قد يقدح فانه
تعالى لم يقل في جميع المواطن حتى يلزم ما قاله ويمكن ان يكون اراد بالكثرة الجميع
كما يراد بالقلة العدم **قوله** بما رحبت ما مصدرية اي برحبها وسعتها
وقرا زيد بن علي في الموضعين رحبت بسكون العين وهي لغة تميم يصيرون عين
فعل فيقولون في شرف شرف والرحب بالضم السعه وبالفتح الشيء الواسع ٥
يقال رحب المكان يرحب رحبا ورحابة وهو قاصر فاما تعديته في قولهم رحبتكم
الدار فعلى التضمين لانه بمعنى وسعتكم **قوله** فلم تغن عنكم شيئا الا غنا
اعطاما يدفع الحاجة اي فلم يعطكم شيئا يدفع حاجتكم والمعنى انه تعالى اعلمهم انهم
لا يغلبون بكثرتهم وانما يغلبون بنصر الله فلما اعجبوا بكثرتهم صاروا منهزمين
ثم قال وضاقت عليكم الارض بما رحبت اي مع رحبها وما ههنا مع الفعل بمنزلة ٥
المصدر والمعنى انكم لشدة ما لحقكم من الخوف ضاقت عليكم الارض فلم تجدوا
فيها موضعا مصلحا لفراركم قال البراء بن عازب كانت هوازن رماة فلما حملنا
عليهم انكشفوا واكببنا على الغنايم فاستقبلونا وانكشف المسلمون عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولم يبق معه الا العباس بن عبد المطلب وابو سفيان بن الحرث
قال البراء والذي لا اله الا هو ما ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قط قال رايته
وابو سفيان اخذ بالركاب والعباس اخذ بلجام بغلته البيضاء وهو يقول انا
النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وطفق يركض بغلته نحو الكفار ثم قال للعباس نادي
المهاجرين والانصار وكان العباس رجلا سيطا فجعل ينادي يا عباد الله يا اصحاب
السمرة يا اصحاب سورة البقرة فجاء المسلمون حين سمعوا صوته عنقا واحدا واخذوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبلوا من الحصا وما منهم الا وقال شاهت الوجوه فلما
زال امرهم مدبرا وحدهم كليلا حتى هزمهم الله ولم يبق منهم احد يومئذ الا وقد
امتلات عيناه من ذلك التراب فذلك قوله ثم انزل الله سكينته على رسوله
وعلى المومنين والمراد بالسكينه ما يسكن اليه القلب ويوجب الامنه ووجه ٥
الاستعارة فيه ان الانسان اذا خاف قر وفواده مستحر واذا امن سكن وثبت
فلما كان الامر موجبا للسكون جعل لفظ السكينه كناية عن الامن ثم قال تعالى ٥
وانزل جنودا لم تروها والمراد انزال الملكه وليس في هذه الاية ما يدل على
عدة الملكه كما هو معلوم في قصه بدر فقال سعيد بن جبير ايد الله نبيه بخمسة ٥
الاف من الملكه ولعله انما قاسه على يوم بدر وقال سعيد بن المسيب حدثني رجل

كان في المشركين يوم حنين قال لما كشفنا المسلمين جعلنا نسوقهم فلما انتهينا الى
صاحب البغلة الشهباء تلقانا رجال بيض الوجوه فقالوا شاهت الوجوه ارجعوا
فرجعنا فركبوا اكتافنا واختلفوا في ان الملئكة هل قاتلوا ذلك اليوم فالذي
روي عن سعيد بن المسيب يدل على انهم قاتلوا وقال اخرون ان الملئكة ما قاتلوا
الا يوم بدر وقاتلوا نزولهم في هذا اليوم هو بالقاء الخواطر الحسنة في قلوب
المؤمنين ثم قال تعالى وعذب الذين كفروا والمراد من هذا التعذيب قتلهم
واسرهم واخذ اموالهم وسبي ذراريهم وهذه الاية تدل على ان فعل العبد
خلق لله تعالى لان المراد من هذا التعذيب ليس الا القتل والاسر وقد نسب
تلك الاشياء الى نفسه **قوله** وذلك جزاء الكافرين تمسك الحنفية في مسئلة
الجلد مع التغريب بقوله الزانية والزاني فاجلدوا قالوا الفاء تدل على كون الجلد
جزاء والجزاء اسم للكافي وكون الجلد كافيا يمنع كون غيره مشروعا معه واجيبوا
بان الجزاء ليس اسما للكافي لانه تعالى سمى هذا التعذيب جزاء مع ان المسلمين اجمعوا
على ان العقوبة الدائمة في القيامة مدخرة لهم فدلت هذه الاية على ان الجزاء
ليس اسما لما تقع به الكفاية **قوله** ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء
اي ان الله تعالى مع كل ما جرى عليهم من الحدلان يتوب عليهم بان ينزل عن قلوبهم الكفر
ويخلق فيه الاسلام وقال القاضي معناه انه بعد ما جرى عليهم ما جرى اذا اسلموا
او تابوا فان الله يقبل توبتهم وهذا ضعيف لان قوله ثم يتوب الله ظاهره يدل
على ان تلك التوبة انما حصلت لهم من قبل الله تعالى وتقدم الكلام على هذا المعنى في
البقرة عند قوله فتاب عليه ثم قال والله غفور اي لمن تاب رحيم لمن امن به وعمل
صالحا **قوله** تعالى يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس الاية اعلم انه
عليه السلام لما امر عليا ان يقرأ على مشركي مكة اول سورة براءة وينبذ اليهم عهدهم
وان الله بري من المشركين ورسوله قال يا اهل مكة ستعلمون ما تلقونه
من الشدة لانقطاع السبل وفقد الحمولات فنزلت هذه الاية لرفع هذه الشبهة
واجاب الله تعالى عنها بقوله وان خفتم عيلة اي فقرا وحاجة فسوف يغنيكم الله
من فضله قال الاكثرون لفظ المشركين يتناول عبدة الاوثان وقال قوم يتناول
جميع الكفار وقد تقدم ذلك قال الضحاك وابو عبيدة نجس قذر وقبل خبيث
وهو مصدر يستوي فيه الذكر والانثى والتثنية والجمع جعلوا نفس النجس على
المبالغة او على حذف مضاف وقرأ ابو حيوة نجس بكسر النون وسكون الجيم
ورجحه انه اسم فاعل في الاصل على فعل مثل كتف وكبد ثم خفف بسكون عينه
بعد اتباع فائه ولا بد من حذف مضاف موصوف حسية فاما هذه الصفة
منافه اي فريق نجس او جيش نجس قال البغوي ولا يقال على الانفراد بضم النون وكسر

النون

وسكون الجيم انما يقال رجس نجس فاذا افرد قيل نجس بفتح النون وكسر الجيم
وقرأ ابن السميفع انجاس بالجمع وهي تحتمل ان تكون قراءة الجمهور او جمع قراءة ابي حيوة
واراد به نجاسة الحكم لا نجاسة العين سموا نجسا على الذم وقال ابن عباس
وقتادة سماهم نجسا لانهم يجنبون فلا يغتسلون ويحدثون فلا يتوضئون ونقل
الزمخشري عن ابن عباس ان اعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن بن
صالح مشركو اليوضا وهذا قول الهادي من ائمة الزيدية واما الفقهاء فقد
اتفقوا على طهارة ابدانهم وهذا خلاف ظاهر القران فلا يرجع عنه الا بدليل
منفصل ولا يمكن ادعاء الاجماع فيه لما بيناه من الخلاف واحتج القاضي على
طهارتهم بما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم شرب من اوانيهم وايضا لو كان
نجسا لما تبدل ذلك بالاسلام واجاب القائلون بالنجاسة بان القران اقوى
من خبر الواحد ويتقدير صحة الخبر يجب ان يعتقد ان حل الشرب كان من اباحهم
كان متقدما على نزول هذه الاية من وجهين الاول ان هذه السورة من اخر ما
نزل من القران وايضا كانت المخالطة مع الكفار وجايزه محرمها الله تعالى وكانت
المعاهدة حاصلة معهم فاراد الله ان يقال ايضا الشرب من اوانيهم
كان جايزا فحرمه الله الثاني ان الاصل حل الشرب من اي اناء كان فلو قلنا
انه حرم بحكم الاية ثم حل بحكم الخبر فقد حصل نسخان اما لو قلنا انه كان حلالا
بحكم الاصل والرسول شرب من اوانيهم بحكم الاصل ثم جاء التحريم بهذه الاية لم
يحصل النسخ الا مرة واحدة فوجب ان يكون هذا اولى واما قولهم لو كان الكافر
نجس العين لما تبدلت النجاسة بالطهارة بسبب الاسلام فهذا قياس في معارضة
النص الصريح وايضا فالخمر نجسة العين فاذا انقلبت بنفسها حلا طهرت وايضا
ان الكافر اذا اسلم وجب عليه الاغتسال ازالة للنجاسة الحاصلة بحكم الكفر
وهذا ضعيف فان الاعيان النجسة لا تقبل التطهير بالغسل
ما نجس **فصل** قالت الحنفية اعضاء المحدث نجسة نجاسة حكمية وبنوا عليه
ان الماء المستعمل في رفع الحدث نجس ثم روى ابو يوسف عن ابي حنيفة انه نجس نجاسة
غليظة وروى الحسن ابن زياد انه نجس نجاسة خفيفة وهذه الاية تدل
على فساد هذا القول لان كلمة انما للحصر فاقتضى ان لا نجس الا المشرك
نا نقول بان اعضاء المحدث نجسة خالف هذا النص والجواب ان هذا النص
صريح في ان المشرك نجس وفي ان المؤمن ليس بنجس ثم ان قوما قلبوا القضية
وقالوا المشرك طاهر والمؤمن جاز ان يكون محدثا نجسا فزعموا ان المياه التي
تستعملها المشركون في اعضائهم طاهرة مطهرة والمياه التي تستعملها الانبياء
في اعضائهم نجسة نجاسة غليظة مع مخالفة قوله عليه السلام المؤمن لا ينجس حيا

ولا ستيا واجمعوا على ان الانسان لو حل محدثا في صلوته لم تبطل صلاته ولو كانت يده رطبة فوصلت الى محدث لم تنجس يده ولو عرق المحدث ووصل العرق الى ثوبه لم تنجس الثوب والقرآن والخمر والاجماع تطابقوا على القول بطاهرة اعضاء المحدث فكيف يمكن مخالفته **فصل** قيل المراد بالمسجد الحرام نفس المسجد وقيل جميع الحرم وهو الاقرب لقوله تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ٥ وذلك لان موضع التجارات ليس هو عين المسجد فلو كان المقصود من هذه الاية المنع من المسجد خاصة لما خافوا بسبب هذا المنع من العيلة وانما يخافون العيلة اذا امنعوا من حضور الاسواق والمواسم ويؤكد هذا قوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام مع انهم اجمعوا على انه انما دفع الوسوله من بيت ام هاني وبوبه قوله عليه السلام لا يجتمع دينان في جزيرة العرب وهي من ٥ اقصى عدن ابين الى ريف العراق طولا ومن جدة وما والاها من ساحل البحر الى اطراف الشام عرضا واعلم ان جملة بلاد الاسلام في حق الكفار ثلثة اقسام احدها الحرم فلا يجوز لكافر ان يدخله بحال ذميا كان او مستامنا لظاهر هذه الاية واذا اجار رسول من دار الكفر الى الامام والامام في الحرم لا باذن له في دخول الحرم بل يبعث اليه من يسمع رسالته خارج الحرم وان دخل مشركا ٥ الحرم متواريا لمرض فيه احرجناه مريضا وان مات ودفن ولم تعلم نبشناه واخرجناه عظامه اذا امكن وجوز اهل الكوفة للمعاهد دخول الحرم والقسم الثاني من بلاد الاسلام الحجاز فيجوز للكافر دخولها بالاذن ولكن لا يقيم اكثر من ثلثة ايام مقام السفر لما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه سمع رسوله الله صلى الله عليه وسلم يقول لئن عشت ان شاء الله لاخرجن اليهود والنصارى ٥ من جزيرة العرب حتى لا ادع الا مسلما فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم واوصى فقال اخرجوا المشركين من جزيرة العرب فلم يتفرغ لذلك ابو بكر ٥ واحلاتهم عمر في خلافته واجل لمن يقدم منهم ناجرا ثلثا والقسم الثالث سائر بلاد الاسلام يجوز للكافر ان يقيم فيها بذمة او امان لكن لا يدخلون المساجد الا باذن مسلم **فصل** والمراد بقوله بعد عامهم هذا يعني العام الذي حج فيه ابو بكر بالناس ونادى علي بالبراءة وهو سنة تسع من الهجرة **قوله** وان خفتم عيلة العيلة الفقر يقال عال الرجل يعيل عيلة اذا افتقر والمعنى ان ٥ خفتم فقرا بسبب منع الكفار فسوف يغنيكم الله من فضله قال مقاتل اسلم اهل جدة وصنعا وجرش من اليمن وجلبوا الميرة الى مكة فكفاهم الله ما كانوا يجلبون وقال الحسن والضحاك وقتادة عوضهم الله منها الجزية وقيل اغناهم بالفيء وقال الحكومة انزل الله عليهم المطر وكثر خيرهم فان قيل العرض بهذا الخبر

ازالة

ازالة الخوف بالعيلة وقوله ان شاء يمنع من افادة هذا المقصود فالجواب من وجوه الاول ان لا يحصل الاعتماد الا على حصول هذا المطلوب فيكون الانسان ابدا متضرعا الى الله تعالى في طلب الخيرات وفي دفع الافات الثاني ان المقصود من ذكر هذا الشرط تعليم رعاية الادب كقوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله الثالث المقصود ٥ التنبيه على ان حصول هذا المعنى لا يكون في كل الاوقات وفي جميع الامكنة لان ابراهيم عليه السلام قال في دعائه وارزق اهله من الثمرات وكلمة من للتبعيض فقوله هنا ان شاء المراد منه ذلك التبعيض ثم قال ان الله عليم اي باحوالكم حكيم اي لا يعطي ولا يمنع الا عن حكمة وصواب **قوله** تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر الاية لما بين حكم المشركين في اظهار البراءة عنهم في انفسهم وفي وجوب مقاتلتهم وتبعيدهم عن المسجد الحرام ذكر بعده حكم اهل الكتاب وهو ان يقاتلوا الى ان يعطوا الجزية قال مجاهد نزلت حين امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتال الروم فغزوا بعدها غزوة تبوك وقال الكلبي نزلت في قريظة والنضير من اليهود فصالحهم فكانت اول جزية اصابها اهل الاسلام واول ذل اصاب اهل الكتاب بايدي المسلمين فان قيل اهل الكتاب يؤمنون بالله واليوم الاخر فكيف امر بقتالهم فالجواب لا يؤمنون كايمان المؤمنين فانهم اذا قالوا عزير ابن الله والمسيح بن الله لا يكون ذلك ايمانا بالله **قوله** ولا يحرمون ٥ ما حرم الله ورسوله اي لا يحرمون ما حرم الله في القرآن وسنة الرسول وقال ابو زيد لا يعملون بما في التوراة والانجيل بل حرفوها وتوا باحكام كثيرة من عند انفسهم **قوله** ولا يدينون دين الحق اي لا يدينون الدين الحق اضاف الاسم الى الصفة وقال قتادة الحق هو الله تعالى عز وجل اي لا يدينون دين الله ودينه الاسلام قال ابو عبيدة معناه ولا يطيعون الله طاعة اهل الحق ٥ **قوله** من الذين اوتوا بيان للموصول قبله والمراد اليهود والنصارى حتى يعطوا الجزية والخراج المضروب على رقابهم والجزية فعله لبيان الهيئة كالركبة قال الواحدي الجزية ما يعطى المعاهد على عهده وسمي فعله من جزى يجزي اذا قضى ما عليه **قوله** عن يد حال اي يعطوها مقهورين اذلاء وكذلك ٥ وهم صاغرون قال الزمخشري قوله عن يد اما ان يراد به عن يد المعطي او يد الاخذ فان كان المراد عن يد غير ممتنعه لان من اعطى وامتنع لم يعط عن يد ٥ لخلل المطيع المنقاد وشأنها حتى يعطوها عن يد الى يد نقدا غير نسيئة ولا مبعوثا على يد احد ولكن عن يد المعطي الى يد الاخذ وان كان المراد به يد الاخذ ففيه وجهان الاول حتى يعطوا الجزية عن يد قاهرة مستولية للمسلمين عليهم كما تقول اليد في هذا الملك وثانيهما ان المراد عن انعام عليهم لان قبول الجزية

قبله

يد المعطي فيه وجهان احدهما ان المراد

منهم وتنزك اوراحهم عليهم نعمة عظيمة عليهم **قوله** وهم صاغرون اي يوخذ الجزية
منهم على الصغار والذل والهوان بان ياتي بها بنفسه ماشيا لا راكبا ويسلمها وهو قائم ٥
والمسلم جالس ويوخذ بلحيته ويقال له اد الجزية وقال الكلبي اذا اعطى صفع في قفاه
وقيل يكبب ويجر الى موضع الاعطا بعنف وقيل اعطاه اياها هو الصغار وقال ٥
الشافعي الصغار جريان احكام الاسلام عليهم **فصل** الكفار فريقان منهم
عبدة الاوثان وعبدة ما استحسنوا وهولا لا يقرون على دينهم باخذ الجزية ٥
ويحب قتالهم حتى يقولوا لا اله الا الله ويصيروا مومنين والثاني اهل الكتاب
وهم اليهود والنصارى وهولا يقرون بالجزية واما السامرة والصابيون
منهم في اهل الكتاب كاهل البدع فيما فيتزوا ايضا بالجزية والمجوس ايضا ٥
سبيلهم سبيل اهل الكتاب لقوله عليه السلام سنوا بهم سنة اهل الكتاب ٥
واخذ الجزية من مجوس هجر **فصل** اتفقت الامة على جواز اخذ الجزية من اهل
الكتاب وهم اليهود والنصارى اذا لم يكونوا عربا واختلفوا في الكتابي العربي
وفي غير اهل الكتاب من كفار العجم فذهب الشافعي الى ان الجزية على الاديان لا على
الانساب فيوخذ من اهل الكتاب عربيا كانوا او عجما ولا توخذ من اهل الاوثان
محال لان النبي صلى الله عليه وسلم اخذها من اكيدر دومة وهو رجل من العرب بقي
يقال من غسان واخذ من اهل دومة اليمن وعامتهم عرب وذهب مالك والاوزاعي
الى انها توخذ من جميع الكفار وقال ابو حنيفه توخذ من اهل الكتاب على العموم ٥
ويوخذ من مشركي العجم ولا يوخذ من مشركي العرب وقال ابو يوسف لا يوخذ
من العربي كتابيا كان او مشركا ويوخذ من العجمي كتابيا كان او مشركا واما المجوس
فاتفقت الصحابة على اخذ الجزية منهم لقوله عليه السلام سنوا بهم سنة اهل الكتاب
وروي عن علي انه كان لهم كتاب يدرسونه فاصبحوا وقد اسري على كتابهم ٥
فرفع من بين اظهرهم واتفقوا على تحريم ذبايح المجوس ومناكحتهم بخلاف اهل
الكتابين **فصل** قال انس قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل محتلم
دينارا وقسم عمر على الفقرا من اهل الذمة اثني عشر درهما وعلى الاوساط ٥
اربعة وعشرين وعلى اهل الثروة ثمانية واربعين ولما بعث رسول الله صلى
الله عليه وسلم معاذا الى اليمن امره ان ياخذ من كل حالم دينارا اي بالغ ولم
يفصل بين الغني والفقير والوسط وذلك دليل على انها لا تجب على الصبيان
وكذلك لا تجب على النسا انما توخذ من الاحرار البالغين العقلا من الرجال
فصل توخذ الجزية عند ابي حنيفه في اول السنه وعند الشافعي وغيره في ٥
اخرها وتسقط الجزية بالاسلام والموت عند ابي حنيفه وغيره لقوله عليه السلام
ليس على المسلم جزية وعند الشافعي لا تسقط **فصل** قال بعض العلما هولا انما

افتروا

اقروا على دينهم الباطل باخذ الجزية حرمة لاباهم الذين انقرضوا على الحق من شريعة
التورية والانجيل وايضا فكتابهم في ايديهم فربما يتفكرون فيه فيعرفون صدق محمد
ونبوته فامهلوا لهذا المعنى **فصل** طعن ابن الراوندي في القران وقال انه
ذكر في تعظيم كفر النصاري قوله تكاد السموات ينفطرن منه وتنشق الارض وتخر ٥
الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا فبين ان اظهارهم لهذا القول بلغ الى هذا الحد
ثم انه اخذ منهم دينارا واحدا واقرهم ومامنعهم منه والجواب ليس المقصود
من اخذ الجزية تقريره على الكفر بل المقصود حقن دمه وامهاله مدة رجا انه
ربما وقف في هذه المدة على محاسن الاسلام فيميل من الكفر الى الايمان ٥
قوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله الاية قرا عاصم والكسائي ٥
بتنوين عزير والباقون من غير تنوين فاما القراة الاولى فيحتمل ان تكون اسما
عربيا مبتدا وابن خبره فتنوينه على الاصل ويحتمل ان يكون اعجميا ولكنه خفيف
اللفظ كنوح ولوط فصرف لخفة لفظه وهذا قول ابي عبيد يعني انه صغير ٥
عزر فحكمه حكم مكبر وقال هذا ليس منسوبا الى ابيه انما هو كقولك زيد
بن الامير وبريد بن احمتا فعزير مبتدا وما بعده خبره وردهذا بانه ليس
بتصغير انما هو اعجمي جا على هيئة التصغير في لسان العرب كسليمان جا على
مثال هثيمان وعميران واما القراة الثانية فيحتمل حذف التنوين ثلاثة ٥
اوجه احدها انه حذف لالتقا الساكنين على حد قراة قل هو الله احد الله
الصمد وهو اسم منصرف مرفوع بالابتدا وابن خبره الثاني ان تنوينه حذف
لوقوع الابن صفة له فانه مرفوع بالابتدا وابن صفته والخبر محذوف اي
عزير بن الله نبينا او امامنا او رسولنا وقد تقدم انه وقع الابن صفة ٥
بين علمين من غير معطوف بينه وبين موصوفه حذفت الفه خطا وتنوينه لفظا
ولا يثبت الا ضرورة ويقدم الاستشهاد عليه اخر الماييده ويجوز ان يكون
عزير خبر مبتدا مضمر اي نبينا عزير وابن صفة او بدل او عطف بيان ٥
الثالث انه انما حذف لكونه ممنوعا من الصرف للتعريف والعجمة
ولم يرسم في المصحف الا ثابت الالف وهي تنصر من جعله خبرا وقال
الزمخشري عزير بن مبتدا وخبره كقوله [illegible] المسيح بن الله وعزير اسم
اعجمي كعزرايل وعيزار وللعجمة وتعريفه امتنع من صرفه ومن صرفه جعله ٥
عربيا وقول من قال بسقوط التنوين لالتقا الساكنين كقراة قل هو الله احد
او لان الابن وقع وصفا والخبر محذوف وهو معبود ناقعه مبتدا وحمه
فصل لما حكم تعالى في الاية المتقدمة على اليهود والنصاري بانهم لا يومنون
بالله شرح ذلك في هذه الاية بان نقلوا عنهم انهم اثبتوا لله ابنا ومن جوز ذلك

ثم الذين يقولون ان عزيرا ابن الله كانه
ما الذي حمل من يقول ان التنوين للتعظيم
ما الذي حمل من قال ان التنوين
نائب عن المضاف اليه
والقياس عدم استعمال
ولا ذا ابن الله الا ظالم
ص

في حق الاله فقد انكر الاله في الحقيقة وايضا بين تعالى انهم بمنزلة المشركين في الشرك
وان كانت طرق القول بالشرك مختلفة اذ لا فرق بين من يعبد الصنم وبين من
يعبد المسيح وعزير لانه لا معنى للشرك الا ان يتخذ الانسان مع الله معبودا
وهذا معنى الشرك بل لو تأملنا لعلمنا ان كفر عابد الوثن اخف من كفر النصارى
لان عابد الوثن لا يقول ان هذا الوثن خالق العالم بل يجريه مجرى الشيء الذي
يتوسل به الى طاعة الله والنصارى يثبتون الحلول والاتحاد وذلك كفر قبيح
فثبت انه لا فرق بين هؤلاء الحلولية وبين سائر المشركين فان قيل اليهود
فئتان منهم مشبهة ومنهم موحدة كما ان المسلمين كذلك فلم كان المشبهة منهم
مشركون لوجود الاله فما تقولون في موحدة اليهود فالجواب اولئك لا يكونون
داخلين تحت هذه الاية وانما وجبت الجزية عليهم لانه لما ثبت وجوب الجزية
على بعضهم وجب القول به في حق الكل لانه تعالى لا قائل بالفرق واما النصارى
فيقولون بالاب والابن وروح القدس والحلول والاتحاد وهم يشركون
وذلك سيأتي في الالهية واما خص الله الطائفتين بقبول الجزية منهم لانهم في
الظاهر الصقوا انفسهم بموسى وعيسى عليهما السلام وادعوا انهم يعملون
بالتوراة والانجيل فلاجل تعظيم هذين الرسولين المعظمين وكتابيهما
المعظمين ولتعظيم اسلاف هؤلاء اليهود والنصارى لانهم كانوا على الدين
الحق حكم الله بقبول الجزية منهم والا ففي الحقيقة لا فرق بينهم وبين المشركين

فصل في قول اليهود عزير ابن الله اقوال احدها قال عبيد بن عمير انما قال
هذا القول رجل واحد من اليهود اسمه فنحاص بن عازورا وهو الذي
قال ان الله فقير ونحن اغنياء وثانيها روي سعيد بن جبير وعكرمة عن
ابن عباس قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود سلام
بن مشكم والنعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا
كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وانت لا تزعم ان عزيرا ابن الله فنزلت هذه الاية
وعلى هذين القولين فالقائل بعض اليهود وانما نسب ذلك الى
اليهود بناء على عادة الجماعة العرب في اتباع اسم الجماعة على الواحد
يقال فلان يركب الخيل ويجالس السلاطين ولعله لم يركب ولم يجالس الا واحدا
وثالثها لعل المذهب كان فاشيا فيهم ثم انقطع فحكى الله ذلك عنهم ولا عبرة بانكار اليهود
ذلك فان حكاية الله اصدق والسبب في ذلك ما روي عطية العوفي عن ابن عباس
ان اليهود اضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق فانساهم الله التوراة ونسخها من صدورهم
ورفع التابوت فتضرع عزير الى الله وابتهل اليه فعاد حفظ التوراة الى قلبه
فانذر قومه به فلما جربوه وجدوه صادقا فيه ثم ان التابوت نزل بعد ذهابه منهم

فلما

فلما رأوا التابوت عرضوا ما كان فيه على الذي كان بعلمهم عزير فوجدوه مثله
فقالوا ما اوتي عزير هذا الا انه ابن الله وقال الكلبي لما قتل بخت نصر علماءهم
فلم يبق منهم احد يعرف التوراة وكان عزير اذ ذاك صغيرا فاستصغره فلم يقتله فلما
رجع بنو اسرائيل الى بيت المقدس وليس فيهم من يقرأ التوراة بعث الله
عزيرا ليجدد لهم التوراة ويكون لهم اية بعد ما اماتهم مائة سنة يقال اتاه
ملك بإناء فيه ماء فسقاه فمثلت التوراة في صدره فلما اتاهم وقال انا عزير
كذبوه وقالوا ان كنت كما تزعم فاملل علينا التوراة تكتبها ثم ان رجلا قال ان
ابي حدثني عن جدي ان التوراة جعلت في خابية ودفنت في كرم فانطلقوا معه
حتى اخرجوها فعرضوها على ما كتب عزير فلم يغادر منه حرفا فقالوا ان
الله لم يقذف التوراة في قلب رجل الا انه ابنه فقالوا عزير ابن الله

فصل واما قول النصارى المسيح بن الله فظاهر وفيه اشكال ويمكن
تقطع ان المسيح عليه السلام كان مبرأ من دعوة الناس الى الالوهية والبنوة
فان هذا الفحش انواع الكفر فكيف يليق بالاكابر الانبياء واذا كان كذلك فكيف
يعقل اطباق محققي عيسى من النصارى عليه ومن الذي وضع هذا المذهب
الفاسد واجاب المفسرون عن هذا بان اتباع موسى عليه السلام كانوا على
الحق بعد رفع عيسى حتى وقع حرب بينهم وبين اليهود وكان في اليهود رجل
شجاع يقال له بولس فقتل جمعا من اصحاب عيسى ثم قال لليهود ان كان الحق
مع عيسى فقد كفرنا والنار مصيرنا ونحن مغبونون ان دخلوا الجنة ودخلنا
النار واني احتال فاضلهم حتى يدخلوا النار وكان له فرس يقال له العقاب
يقاتل عليه فتعرقب فرسه واطهر الندامة ووضع التراب على راسه وقال له
النصاري من انت قال بولس عدو كم تبت فتوبت من اسمك لكن توبتي الا ان
تنتصر وقد تبت فادخلوه الكنيسة ودخل بيتا ومكث سنة لا يخرج ليلا ولا نهارا
حتى تعلم الانجيل وقال توبتك ان الله قبل توبتك فصدقوه واحبوه ثم مضى الى
بيت المقدس واستخلف عليهم رجلا اسمه سطور وعلمه ان عيسى ومريم والاله
كانوا ثلثة وتوجه الى الروم وعلمهم اللاهوت والناسوت وقال ما كان عيسى
انسانا ولا جسما ولكنه ابن الله وعلمه رجلا يقال له يعقوب ذلك ثم دعا رجلا
يقال له ملكا فقال ان الاله لم يزل ولا يزال عيسى ثم دعا هؤلاء الثلاثة وقال
لكل واحد منهم انت خالصتي او ع الناس الي بحلتك ولقد رأيت عيسى في المنام وهو
راض عني واني عذا ذبح نفسي لمرضاة عيسى ثم دخل المذبح فذبح نفسه فلما كان
يوم رابعه دعى كل واحد منهم الناس الى نحلته هذا ما حكاه الواحدي وغيره
قال ابن الخطيب والاقرب عندي ان يقال لعله ورد لفظ الابن في الانجيل على سبيل

منهم كما واحدهم فاعلوا ما فعلوا

الشريفين خوفا ان تثور لاجل عداوة اليهود ولاجل ان يقاتلوا على دينهم الفاسد في احد الطريقين
بغلو فاسد في الطرف الثاني فبالغوا وفسروا لفظ الابن بالبنوة الحقيقية والجهال
قلدوا ذلك وقشا هذا المذهب الفاسد في اتباع عيسى والله اعلم بحقيقة الحال

قوله ذلك قولهم بافواههم واعلم ان الكاف قول اما فقال بالفم وانما خصصهم بذلك
الصفة والجواب من وجهين احدهما ان معناه قولا لا يعضده برهان واما هو
لفظ يفوهون به فارغ من معنى معتبر بحقه لان اثبات الولد للاله مع انه منزه
عن الحاجة والشهوة والمضاجعة باطل ليس له تاثير في العقل
وتظيير قوله تعالى يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم وثانيهما ان الانسان
قد يختار مذهبا اما على سبيل الرمز او على سبيل الكناية واما اذا صرح
بلسانه فهو الغاية في اختيار ذلك المذهب والمعنى على هذا انهم يصرحون بهذا
المذهب ولا يخفونه البتة وبيان ان المعنى انهم دعوا الخلق الى هذه المقالة حتى قبلتها
هذه المقالة من الافواه والالسنة والمراد مبالغتهم في دعوة الخلق الى هذا المذهب

قوله يضاهون قرا العامة بضم الهاء بعدها واو وعاصم بهاء
مكسورة بعدها همزة مضمومة بعدها واو وقيل هما بمعنى واحد وهو المشابهة
وفيه لغتان ضاهات وضاهيت بالهمز والياء والهمز لغة تميم وقيل انها
نزع عن الهمز كما قالوا قرات وقريت وتوضيات وتوضيت واحطيت وحطيت وقيل بل
الياء نزع واحطات واخطيت وقيل بل يضاهيون بالهمز ماخوذ من بضاهيون
فاما ضمت الياء قلبت همزة وهذا خطا لان مثل هذه الياء لا تثبت في هذا
الموضع حتى تقلب همزة بل يودي تصريفه الى حذف الياء كخويرامون من الرمي
ويماشون من المشي وزعم بعضهم انه ماخوذ من قولهم امراة ضهيا بالقصر وهي
التي لا ثدي لها او التي لا تحيض سميت بذلك لمشابهتها الرجال يقال امراة ضهيا
بالقصر وضهياء بالمد كحمراء وضهياة بالمد وتا التانيث ثلاث لغات وشذ
الجمع بين علامتي تانيث في هذه اللفظة حكى اللغة الثالثة الحربي عن ابي عمرو
الشيباني في قبل وقول من زعم ان المضاهاة بالهمز ماخوذة من امراة ضهيا
في لغاتها الثلاث خطا لاختلاف المادتين فان الهمز خطاه في امراة ضهيا
زائد في اللغات الثلاث وهي في المضاهات اصلية فان قيل لم لم تدغ ان
همزة ضهيا اصلية وياء ضاهيت زائدة فالجواب ان فعيلا بفتح الياء لم تثبت فان
قيل فلم لم تدغ ان ورنها فعلل كجعفر فالجواب انه قد ثبتت زيادة الهمزة
في ضهيا بالمد فالتثبت في اللغة الاخرى وهذه قاعدة تصريفية والكلام
على حذف مضاف تقديره يضاهي قولهم قول الذين فحذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه فانقلب ضمير رفع بعد ان كان ضمير جر والجمهور على الوقف على بافواههم

ويبتدئون

ويبتدئون بيضاهيون وقيل التا تتعلق بالفعل بعدها وعلى هذا فلا يحتاج
الى حذف هذا المضاف واستضعف ابو البقا قراءة عاصم وليس بجيد لتواترها
وقال احمد بن يحيى لم يتابع احد عاصما على الهمز والمضاهات المشابهة في قول
اكثر اهل اللغة وقال سائر المضاهات المتابعة يقال فلان يضاهي فلانا اي
يتابعه **فصل** قال مجاهد يضاهون قول المشركين من قبل كانوا يقولون
هي اللات والعزى بنات الله وقال قتادة والسدي ضاهت النصارى
قول اليهود من قبل فقالوا المسيح بن الله كقول اليهود من قبل عزير بن الله
لانهم اقدم منهم وقال الحسن شبه كفرهم بكفر الذين مضوا من الامم الكافرة
كما قال في مشركي العرب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم تشابهت
قلوبهم وقال القتيبي يريد ان من كان في عصر النبي صلى الله عليه وسلم من
اليهود والنصارى يقولون ما قاله اسلافهم **قوله** قاتلهم الله قال
ابن عباس لعنهم الله وقال ابن جريج قتلهم الله وقيل هذا بعض التعجب من شناعة
قولهم كما يقال قد كبوا شنيعا قاتلهم الله ما اشنع فعلهم وهذا التعجب انما
هو راجع الى الخلق والله تعالى لا يتعجب من شيء ولكن هذا الخطاب على
عادة العرب في مخاطبتهم والله اعلم منهم في توكيد الحق واصوارهم على الباطل
اني يوفكون اي كيف يصرفون عن الحق بعد قيام الادلة عليه **قوله**
اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله الاحبار العلماء قال
ابو عبيد الاحبار الفقهاء واختلفوا في واحده فقال بعضهم حبر وقال
بعضهم حبر قال الاصمعي لا ادري اهو الحبر او الحبر وكان ابو الهيثم يقول
واحد الاحبار حبر بالفتح لا غير وبينكو الكسر وكان الليث وابن السكيت
يقولان حبر وحبر للعالم ذميا كان او مسلما بعد ان يكون من اهل الكتاب
وقال اهل المعاني الحبر العالم الذي صناعته تحبير المعاني بحسن البيان عنها
واتقانها ومنه ثوب محبر اي جمع الزينة والراهب الذي غلبت الخشية والرقة
من قلبه وظهرت اثار الرهبة على وجهه ولباسه في عرف الاستعمال وغلب
الاحبار مختصا بعلماء اليهود من ولد هارون والرهبان بعلماء النصارى
اصحاب الصوامع ومعنى اتخاذهم اربابا انهم اطاعوهم في اوامرهم ونواهيهم
واستحلوا ما احلوا وحرموا ما حرموا قال اكثر المفسرين ليس المراد من
الارباب انهم اعتقدوا الهيتهم بل المراد انهم اطاعوهم في اوامرهم ونواهيهم
قال عدي بن حاتم اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب
من ذهب وهو يقرا سورة براة فقال يا عدي اطرح هذا الوثن من عنقك
فطرحته ثم انتهيت الى قوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله فقلت

هيئة

من قبلهم

انا هنا قدم فقال البيض يحرمون ما احل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتستحلونه
فقلت بلى قال فتلك عبادتهم وقال الربيع قلت لابي العالية كيف كانت تلك الربوبية
في بني اسرائيل قال انهم ربما وجدوا في كتاب الله ما يخالف اقوال الاحبار والرهبان
وكانوا يأخذون باقوالهم ويتركون حكم كتاب الله تعالى فان قيل انه تعالى انما
كفرهم بسبب طاعتهم للاحبار والرهبان فالفاسق يطيع الشيطان فوجب الحكم
بكفره على ما هو قول الخوارج فالجواب ان الفاسق وان كان يطيع الشيطان
الا انه لا يعظمه لكن يلعنه فظهر الفرق **قوله** والمسيح بن مريم عطف على
رهبانهم والمفعول الثاني محذوف والمعنى اتخذوا اليهود احبارهم اربابا
والنصارى رهبانهم والمسيح بن مريم اربابا وهذا هو اللائق بسبك الضمير
في اتخذوا وان كان منقسما لليهود والنصارى وهذا مراد ابي البقاء في قوله
اي واتخذوا المسيح ربا بحذف الفعل واحد المفعولين وجوز فيه ايضا
ان يكون منصوبا بفعل مقدر اي وعبدوا المسيح بن مريم ثم قال وما امروا
الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون اي سبحانه
ان يكون له شريك في الامور الكلية وفي كونه معبودا وفي وجوب نهاية
التعظيم **قوله** تعالى يريدون ان يطفؤا نور الله الاية ذكر عن رسالة
اليهود والنصارى نوعا ثالثا من افعالهم القبيحة وهو سعيهم في ابطاله
امر محمد عليه السلام والمراد من النور قال الكلبي هو القرآن اي يريدون
للقرآن بالستهم تكذيبا وقيل النور الدلائل الدالة على صحة نبوته وشرعه
وقوة دينه وسمي الدلائل نورا لان النور يهتدي به الى الصواب **قوله**
ويابى الله الا ان يتم نوره ان يتم مفعول به واما دخل الاستثناء المفرغ في
الموجب لانه في معنى النفي فقال الاخفش الصغير معنى ابا يمنع وقال الفراء
دخلت الا لان في الكلام ظرفا من الجحد وقال الزمخشري اجري ابى مجرى
لم يرد الا ترى كيف قوبل بريدون ان يطفؤا بقوله ويابى الله واوقع
موقع ولا يريد الله الا ان يتم نوره والتقدير ولا يريد الله الا ان يتم نوره
الا ان الاباء يفيد زيادة عدم الارادة وهي المنع والامتناع والدليل عليه
قوله عليه السلام وان اراد واظلما بينا فامتدح بذلك ولا يجوز ان يمدح
بانه يكره الظلم لان ذلك يصح من القوي والضعيف وقال الزجاج ان
المستثنى منه محذوف تقديره ويابى اي ويكره كل شيء الا ان يتم نوره وقد
جمع ابو البقا بين مذهب الزجاج ومذهب غيره فجعلهما مذهبا واحدا
فقال يابى بمعنى يكره ويكره بمعنى يجمع فلذلك استثنى لما فيه من معنى النفي
والتقدير ويابى كل شيء الا اتمام نوره اي يعلي دينه ويظهر كلمته ويتم الحق الذي

بعث

بعث به محمدا صلى الله عليه وسلم ولو كره الكافرون **قوله** هو الذي ارسل
رسوله بالهدى ودين الحق يعني الذي بعث به محمدا صلى الله عليه وسلم يابى الا
اتمام دينه هو الذي ارسل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى اي القرآن
وقيل بيانا ان الفرائض ودين الحق وهو الاسلام ليظهره ليعليه وينصره على
الدين كله على سائر الاديان كلها ولو كره المشركون فان قيل ظاهر قوله
ليظهره على الدين كله يقتضي كونه غالبا لجميع الاديان وليس الامر كذلك فان
الاسلام لم يصر غالبا على سائر الاديان في ارض الهند والصين والروم وسائر
اراضي الكفرة فالجواب من وجوه احدها قال ابن عباس الهاء في ليظهره
عائدة الى الرسول صلى الله عليه وسلم اي ليعلمه شرائع الدين كلها فيظهره
عليها حتى لا يخفى عليه منها شيء وثانيها قال ابو هريرة والضحاك هذا وعد
من الله تعالى بانه يجعله بن الاسلام غالبا على جميع الاديان وتمام هذا الحمل
عند خروج عيسى عليه الصلاة والسلام روى ابو هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم في نزول عيسى قال ويهلك في زمانه الملل كلها الا الاسلام وروى
المقداد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يبقى على ظهر
الارض بيت مدر ولا وبر الا ادخله الله كلمة الاسلام بعز عزيز او بذل ذليل
اما يعزهم فيجعلهم من اهله فيعزوا به واما ان يذلهم فيدينون له وقال
السدي ذلك عند خروج المهدي لا يبقى احد الا دخل في الاسلام او ادى
الخراج وثالثها ليظهرن على الدين كله في جزيرة العرب وقد حصل ذلك فانه
تعالى ما ابقى فيها احدا من الكفار ورابعها انه لا دين يخالف دين الاسلام
الا وقد قهرهم المسلمون وظهروا عليهم في بعض المواضع وان لم يكن ذلك
في جميع المواضع فقهروا اليهود واخرجوهم من بلاد العرب وغلبوا النصارى
على بلاد الشام وما والاها الى ناحية الروم والمغرب وغلبوا المجوس على
ملكهم وغلبوا عباد الاصنام على كثير من بلادهم مما يلي الترك والهند
وخامسها ليظهرنه على الدين كله بالحجة والبيان وهذا ضعيف لان هذا
وعد بانه تعالى سيفعله والقوة بالحجة والبيان كانت حاصلة من اول
الامر ويمكن ان يجاب عنه بان في مبدإ الامر كثرت الشبهات بسبب ضعف
المؤمنين واستيلاء الكفار ومنعهم للناس من التامل في تلك الدلائل واما
بعد قوة الاسلام وعجز الكفار وضعفت الشبهات فقوي ظهور دلائل الاسلام
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون
اموال الناس بالباطل الاية لما وصف اليهود والنصارى بالتكبر والتجبر
وادعاء الربوبية وصفهم في هذه الاية بالطمع والحرص على اخذ اموال الناس

انام

بالباطل فقوله كثيرا يدل على ان هذه طريقة بعضهم لا طريقة الكل فان العالم لا يجلو
عن الحق واطباق الكل على الباطل كالممتنع وهذا يدل على ان اجماع هذه الامة ح
على الباطل لا يحصل لكذلك في سائر الامم وعبر عن اخذ الاموال بالاكل اما لان ح
المقصود الاعظم من جمع الاموال الاكل فسمي الشيء باسم ما هو اعظم مقاصده واما
لان من اكل شيئا فقد ضمه الى نفسه ومنع غيره من الوصول اليه واما لان من اخذ
اموال الناس اذا طولب بردها قال اكلتها فلهذه الوجوه سمي الاخذ بالاكل ح
واختلفوا في تفسير هذا الباطل فقيل كانوا يأخذون الرشا في تحقيف الاحكام
والمسامحة في الشرايع وقيل كانوا يدعون عند العوام انهم لا يسيل
الى الفوز برضوان الله تعالى لاحد منهم وطاعتهم وبذل الاموال في مرضاتهم
والعوام كانوا يغترون بذلك لانهم كاذبون وقيل كانوا يغيرون ما في التوراة
على سبيل العمد والاول اولى لان الآية الدالة على نبوة محمد عليه السلام وعلى صدقه ويذكر وبه في التوراة وجوها فاسدة
ويطيبون قلوب عوامهم ببذل الكسب ويأخذون الرشوة عليها وقيل كانوا ح
يحرفون كتاب الله ويكتبون بايديهم كتبا ويقولون هذه من عند الله ويأخذون
بها ثمنا قليلا من سفلتهم قوله ويصدون يحتمل ان يكون متعديا اي ح
يصدون الناس وان يكون قاصرا لكن قال ابو حيان وفيه نظر لانه متعد فقط
وانما حذف مفعوله ويراد اولا يراد كقوله كلوا واشربوا قوله والذين
يكنزون الجمهور على قراءته بالواو وقرئ بالياء احدهما انها استينافية ح
والذين مبتدا اضمن معنى الشرط ولذلك دخلت الفا في خبره والثاني انه
من اوصاف الكثير من الاحبار والرهبان وهو قول عثمان ومعويه قال زيد
بن وهب مررت بابي ذر بالربذة فقلت يا ابا ذر ما انزلك هذه البلاد ح
فقال كنت بالشام فقرات والذين يكنزون الذهب والفضة فقال معوية
هذه الاية في اهل الكتاب فقلت انها فيهم وفينا فصار ذلك سببا للوحشة
بيني وبينه فكتب الي عثمان ان اقبل الي فلما قدمت المدينة اجتمع الناس علي
كانهم لم يروني من قبل فشكوت ذلك الي عثمان فقال لي تنح قريبا فقلت والله
اني لمراقبة ما سكت اقول ويجوز ان يكون الذين منصوبا بفعل مقدر يفسره
فبشرهم وهو اراجح لكان الامر وقراطعته من مصرف الذين بغير واو وهي تحكم
الوجهين المتقدمين ولكن كونها من اوصاف الكثير من الاحبار والرهبان
اظهر من الاستيناف عكس التي بالواو واكنز الجمع والصفر ومنه ناقة كناز
اي منضمة الخلق ولا يختص بالذهب والفضة بل يقال في غيرهما وان غلب عليهما
قال ح لا درّ درّي ان اطعمت جائعهم ح قرف الحتي وعندي البر مكنوز
وقال الاخر ح على شديد لحمه كناز ح بات يريني عكني أزفاز ح

قوله

قوله ولا ينفقونها تقدم شيآن وعاد الضمير مفردا فقيل من باب ما حذف
الدلالة الكلام عليه والتقدير والذين يكنزون الذهب ولا ينفقونه وقيل يعود
على المكنوزات ودل هذا على جزوه المذكور لان المكنوز اعم من النقدين ح
وغيرهما فلما ذكر الجزء دل على الكل فعاد الضمير جمعا بهذا الاعتبار ونظيره
قول الاخر ولو حلفت بين الصفا امر عامر ح ومروتها بالله برّت يمينها
اي ومروه فكما عاد الضمير عليها لما ذكر جزوها وهو الصفا كذا استدل به ح
بن مالك وفيه احتمال وهو ان يكون الضمير عايدا على الصفا واشتمل على المعنى
اذ هو في معنى البقعة والجوبة وقيل الضمير يعود على الذهب لانها تانثه
الشهر ويكون تانيثه قد حذف بعد الفضه ايضا بحذف كل وقيل ان كل واحد
منهما جملة والحذف وافيه دنانير ودراهم فهو كقوله وان طايفتان من
المومنين اقتتلوا وقيل التقدير ولا ينفقون الكنوز وقاله الزجاج ولا
ينفقون تلك الاموال وقيل يعود على الزكاة وقاله القرطبي قال ابن الانباري
قصد الاعم والاغلب وهي الفضه ومثله قوله واستعينوا بالصبر والصلاة
وانها لكبيرة الا على الخاشعين رد الكناية الى الصلاة لانها اعم ومثله ح
واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها فاعاد الهاء الى التجارة لانها الاهم ورد
هذا بعضهم قال ليس هذا نظيرهم لان او فصلت التجارة عن اللهو فحسن
عود الضمير على احدهما وانما خص الذهب والفضة بالذكر من بين سايرة
الاموال وانما اللذان يقصدان بالكنز ثم قال فبشرهم بعذاب اليم اي هو
اي فاخبرهم على سبيل التهكم لان الذين يكنزون الذهب والفضة انما
يكنزونها ليتوسلوا بهما الى تحصيل الفرح يوم الحاجة فقيل هذا هو ح
كما يقال تحيتهم ليس الا الضرب واكرامهم ليس الا الشتم وايضا فالبشارة
عبارة عن الخبر الذي يوثر في القلب فتتغير بسببه لون بشرة الوجه ح
وهذا بيّنا وله تغير البشرة بالفرح او بالغم قوله يوم يحمى منصوب
بقوله اذكر يوم يحمى وقيل هو منصوب باليم وقيل الاصل عذاب يوم ح
وعذاب بدل من عذاب الاول فلما حذف المضاف اليه اقيم المضاف اليه
مقامه وقيل منصوب بقول مضمر وسيأتي بيانه ويحمى يجوز ان يكون من حميت
او احميت ثلثيا ورباعيا يقال حميت الحديده واحميتها اي اوقدت عليها
للحمى والفاعل المحذوف هو النار تقديره يوم يحمى النار عليها فلما حذف
الفاعل ذهبت علامة التانيث لذهابه كقولك رفعت القصة الى الامير
ثم تقول دفع الى الامير وقيل لان تانيث النار مجازي والفعل غير مسند ح
في الظاهر اليه بل الى قوله عليها فلهذا حسن التذكير والتانيث وقيل المعنى ح

لانها الاصل
العشر في الاموال

الفرح م

قوله اليم وقيل يحمى وقيل يوم
يدل عليه عذاب اليم يوم يحمى م

يحيى الوقوف وقرا الحسن تحمى بالتاء من فوق اي الكنوز التي تحمى بالنار وهي توقد بالنار
الاول وقرا ابو حيوة يكوى بالياء من تحت لان تانيث الفاعل مجازي وقرا الجمهور
جباههم بالافراد وقرا ابو عمرو في بعض طرقه بالادغام كما ادغم سلككم ومناسككم
ومثل جباههم وجوههم المشهور الاظهار **فضل** اصل الكنز في كلام العرب
الجمع وكل شيء جمع بعضه الى بعض فهو مكنوز واختلف علماء الصحابة في المراد
بهذا الكنز المذموم فقال الاكثرون هو المال الذي لم يؤد زكاته قال عمر
بن الخطاب ما ادى زكاته فليس بكنز وان كان تحت سبع ارضين وكل مال لم
تؤد زكاته فهو كنز وان كان فوق الارض وقال بن عباس في قوله ولا
ينفقونها في سبيل الله يريد الذين لا يؤدون زكاة اموالهم وروى ابو هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي
منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فاحمي عليها في نار
جهنم فيكوى بها جبهته وجنبه وظهره كلما ردت اعيدت في يوم كان
مقداره خمسين الف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة
واما الى النار قال القاضي تخصيص هذا المعنى بمنع الزكاة لا سبيل اليه بل الواجب
ان يقال الكنز هو المال الذي ما اخرج منه ما وجب اخراجه ولا فرق بين
الزكاة وبين ما يجب من الكفارات وبين ما يلزم من نفقة الحج والجمعة وبين ما
يجب اخراجه في الديون والحقوق والانفاق على الاهل والعيال وضمان
المتلفات وارش الجنايات فيجب دخول كل هذه الاقسام في هذا الوعيد
وروي عن علي بن ابي طالب انه قال كل مال ادى عليه اربعة الاف درهم فهو كنز
ادى منه الزكاة او لم يؤد وما دون ذلك فقد انفقه وروي عن ابي ذر انه كان يقول
من ترك بيضاء او حمراء كوي بها يوم القيامة وقيل ما فضل عن الحاجة
كذلك ما روي ابو امامة قال مات رجل من اهل الصفة فوجد في مئزره دينار
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كية ثم تؤفي اخر فوجد في مئزره
دينار ان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيتان والقول الاول اصح لقوله
عليه السلام ما ادي زكوته فليس بكنز وروي مجاهد عن بن عباس قال
لما نزلت هذه الاية كبر ذلك على المسلمين وقالوا ما يستطيع احدنا ان يدع
لولده شيئا يبقى ذكر ذلك عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله لم
يفرض الزكاة الا ليطيب بها ما بقي من اموالكم وسئل بن عمر عن هذه الاية
فقال كان هذا قبل ان تنزل الزكاة فلما نزلت جعلها الله طهرا للاموال وقال
بن عمر ما ابالي لو ان لي مثل احد لوان لي مثل احد ذهبا اعلم عدده اؤدي زكيه
واعمل بطاعة الله عز وجل وكان في زمان الرسول عليه السلام جماعة ممن اسلم

كتمان

كعثمان وعبد الرحمن بن عوف وكان عليه السلام يعدهم من اكابر المؤمنين وندعوه
السلام الى اخراج الثلث او اقل في المرض ولو كان جمع المال محرما لكان عليه السلام
يامر المريض بالصدقة بكله بل كان يامر الصحيح في حال صحته بذلك وقال عليه السلام
لسعد بن ابي وقاص انك ان تدع ورثتك اغنياء خير من ان تدعهم عالة يتكففون
الناس فان قيل لم خصت هذه الاعضاء فالجواب من وجوه احدها ان المقصود
من كسب الاموال حصول فرح القلب فيظهر اثره في الوجه وحصول الشبع ينفخ
بسببه الجنبان وليس ثياب فاخرة يطوحونها على ظهورهم فلما طالبوا تزيين
هذه الاعضاء الثلاثة حصل الكي على الجباه والجنوب والظهور وثانيها ان
هذه الاعضاء الثلاثة مجوفة وفي الاجواف داخلها الات ضعيفة يعظم تالمها
بسبب وصول اذى اثر اليها بخلاف سائر الاعضاء وثالثها قال ابو بكر الرازي
خصت هذه المواضع بالذكر لان صاحب المال اذا راى الفقير قبض جبينه واذا
جلس الفقير بجنبه تباعد عنه وولى ظهره ورابعها انهم يكوون على الجهات الاربع
امام من مقدمه فعلى الجبهة واما من خلفه فعلى الظهر واما من يمينه ويساره
فعلى الجنبين **قوله** تعالى ان عدة الشهور عند الله اثني عشر شهرا الاية
العدة مصدر بمعنى العد وعند الله منصوب به اي في حكمه واثني عشر خبر
ان وقرا ابن عامر وحفص وهي قراءة ابي جعفر اثني عشر بسكون العين مع
ثبوت الالف قبلها واستكرهت من حيث الجمع بين ساكنين على غير حدهما كقولهم
التقت حلقتا البطان باثبات الالف من حلقتا وقراطلحة بسكون الشين
كانه حمل عشر في المذكر على عشرة في المونث وشهرا نصب على التمييز وهو مؤكد لانه
قد فهم ذلك من الاول وهو كقولك عندي من الدنانير عشرون دينارا والجمع متعاقبا
في قوله عدة الشهور وفي قوله الحج اشهر معلومات لان هذا جمع لقلة وذلك جمع
قلة **قوله** في كتاب الله يجوز ان يكون صفة لاثني عشر والتقدير اثني عشر
شهرا مثبتا في كتاب الله ثم يجوز ان يعني بهذا الكتاب كتابا من الكتب لانه متعلق
بقوله يوم خلق السموات واما الاعيان لا تتعلق بالظروف فلا تقول غلامك
يوم الجمعة بل الكلام الكتاب مصدر والتقدير ان عدة الشهور عند الله اثني
عشر شهرا في كتاب الله اي في حكمه الواقع يوم خلق السموات والارض ويجوز ان
يكون بدلا من الظرف قبله وهذا لا يجوز وضعف لانه يجوز يلزم منه ان يخبر
عن الموصول قبل تمام صلته فان هذا الجار متعلق به على سبيل البدلية وعلى
تقدير صحة ذلك من جهة الصناعة كيف يصح من جهة المعنى ولا يجوز ان يكون في
كتاب الله متعلقا بعدة لانه لا يلزم الفصل بين المصدر ومعموله بخبره وقياس
من جوز ابداله من الظرف ان يجوز هذا وقد صرح بجوازه الحوفي **قوله** يوم خلق

يجوز فيه ان يتعلق بكتاب على انه يراد به المصدر لا الجثة ويجوز ان يتعلق بالاستقرار
في الجار والمجرور وهو في كتاب الله ويكون الكتاب جثة لا مصدرا وجوز الحوفي ان يكون
متعلقا بعدة وهو مردود بما تقدم ويجوز ان يتعلق بفعل مقدر اي كتب ذلك
يوم خلق **فصل** هذه الاية ايضا من شوح قبايح اعمال اليهود والنصارى ٥
والمشركين وهو اقدامهم على تغيير احكام الله تعالى لانه تعالى حكم في كل وقت ٥
بحكم خاص فاذا غيروا تلك الاوقات بسبب النسي كان ذلك سعيا منهم في تغيير
حكم السنة بحسب اهوايهم وآرايهم فكان ذلك زيادة في كفرهم وجرائمهم فان ٥
السنة عند العرب عبارة عن اثني عشر شهرا قمرية ويدل عليه قوله تعالى هو
الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين ٥
والحساب فجعل تدبير القمر بالمنازل دليلا على السنين وانما يصح ذلك اذا كانت
السنة بحلقه بسير القمر وقال تعالى يسئلونك عن الاهلة قل هي مواقيت
للناس والحج وعند سائر الطوايف السنة عبارة عن المدة التي تدور الشمس
فيها دورة تامة والسنة القمرية اقل من السنة الشمسية بمقدار معلوم وبسبب
ذلك النقصان تنتقل الشهور القمرية من فصل الى فصل فيكون الحج واقعا في
الشتاء مرة وفي الصيف اخرى فشق الامر عليهم بهذا السبب وايضا اذا
حضروا للحج حضروا للتجارة وربما كان ذلك الوقت غير موافق لحضور
التجارات من الاطراف فكانت تختل اسباب تجاراتهم هذا السبب فلهذا السبب
اقدموا على اعتبار السنة الشمسية فلذلك بقي زمان الحج مختصا بوقت ٥
معين موافق لمصلحتهم وانتفعوا بتجاراتهم ومصالحهم فهذا النسي وان كان سببا
لحصول المنافع الدنيوية الا انه لزم منه تغيير حكم الله تعالى لما خص الحج باشهر ٥
معلومة على اليقين وكان بسبب ذلك النسي يقع في سائر الشهور لتغيير حكم
الله تعالى وابطال تكليفه فلهذا المعنى استوجبوا الذم العظيم في هذه الاية
والمراد بالكتاب حكمه والجابه قال ابن عباس انه اللوح المحفوظ وقيل القران
قوله منها اربعة حرم هذه الجملة يجوز فيها ثلثة اوجه احدها ان تكون ٥
صفة لاثنا عشر الثاني ان يكون حالا من الضمير في الاستقرار الثالث ان يكون
مستانفة والضمير في منها عايد على اثنا عشر شهرا لانه اقرب مذكور لا على
الشهور والضمير في فيهن عايد على الاثني عشر ايضا وقال الفراء وقتاده يعود
على الاربعة الحرم وهذا احسن لوجهين احدهما انها اقرب مذكور والثاني
انه قد تقرر ان معاملة جمع القلة غير العاقل معاملة جماعة الاناث احسن
من معاملة ضمير الواحدة والجمع الكثير بالعكس يقول الاجذاع انكسرن ٥
والجذوع انكسرت ويجوز العكس **فصل** اجمعوا على ان هذه الاربعة ثلاثة

يلتئم بما قبله

منها

منها سرد وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو رجب ومعنى حرمان المعصية
فيها اشد عقابا والطاعة فيها اشد ثوابا والعرب كانوا يعظمونها حتى لو لقي الرجل
قاتل ابيه فيها لم يتعرض له فان قيل اجزاء الزمان متشابهة في الحقيقة فما السبب
في هذا التمييز فالجواب هذا المعنى غير مستعمل في الشرايع كما ميز البلد الحرام
عن سائر البلاد بمزيد الحرمة وميز يوم الجمعة عن سائر الايام بمزيد الحرمة وميز
يوم عرفه عن سائر الايام بعبادة مخصوصة وميز سائر الايام بعبادة مخصوصة
وميز شهر رمضان عن سائر الشهور بمزيد حرمة وميز بعض ساعات اليوم والليلة
بوجوب الصلاة فيها وميز ليلة القدر عن سائر الليالي وميز بعض الامكنة
باعطاء الرسالة فاي استبعاد في تخصيص بعض الاشهر بمزيد الحرمة وفيه فايدة
وهي ان الطباع مجبولة على الظلم والفساد وامتناعهم من القبايح على الاطلاق
شاق عليهم فخص تعالى بعض الاوقات وبعض الامكنة بمزيد التعظيم والاحترام
حتى ان الانسان وان كان ممتنعا في تلك الازمنة وفي تلك الامكنة عن فعل القبايح وذلك
يوجب انواعا من القبايح وثانيها ان تركها في تلك الاوقات ربما صار سببا لميل
طبعه الى الاعراض عنها مطلقا وثالثها انه اذا اتى بالطاعات فيها واعرض
عن المعاصي فيها فبعد انقضاء تلك الاوقات لو شرع في المعاصي صار شروعه
فيها سببا لبطلان ما تحمله من المشقة في اداء تلك الطاعات في تلك الاوقات ٥
والظاهر من حال العاقل ان لا يرضى بذلك فيصير ذلك سببا لاجتنابه عن ٥
المعاصي بالكلية فهذا هو الحكمة في تخصيص بعض الازمنة وبعض الامكنة بمزيد
التعظيم **قوله** ذلك الدين القيم اي الحساب المستقيم بتلك الكيس من دان
نفسه اذا حاسبها وقال الحسن ذلك الدين القيم الذي لا يبدل ولا يغير فالقيم هنا
بمعنى القايم الدايم الذي لا يزول وهو الدين الذي فطر الناس عليه **قوله**
فلا تظلموا فيهن انفسكم بفعل المعصية وترك الطاعة قال ابن عباس المراد فلا
تظلموا في الشهور الاثني عشر انفسكم والمراد منع الانسان من الاقدام على الفساد
في جميع العمر وقال الاكثرون الضمير في قوله فيهن عايد على الاربعة الحرم وقد
تقدم وقيل المراد بالظلم النسي الذي كانوا يفعلونه فيتغلون الحج الذي امر الله ٥
باقامته فيه الى شهر اخر وقيل المراد بالظلم ترك المقاتلة في هذه الاشهر ٥
قوله وقاتلوا المشركين كافة نصب كافة على الحال اما من الفاعل او المفعول
وقد تقدم ان كافة لا ينصرف فيها بغير النصب على الحال وانه لا يدخلها الالف واللام
ومعنى قولك قاموا جميعا وقاموا معا وانها لا تثنى ولا تجمع وكذلك كافة الثابتة
ومعنى كافة اي جميعا **فصل** معنى الاية قاتلوهم باجمعكم مجتمعين على قتالهم
كما انهم يقاتلونكم على هذه الصفة اي تعاونوا وتناصروا على ذلك ولا تتخاذلوا وكونوا

التواني اظهارهم ان تركهم القبايح في تلك الاوقات لاجل القبايح

عباد الله محسنين متوافقين في مقاتلة العدو وقال ابن عباس قاتلوهم بكليتهم ولا تحابوا بعضهم
بترك القتال كما انهم يستطلون قتالكم جميعكم واعلموا ان الله مع المتقين اي مع اوليائه
الذين يحترسون من اداء الطاعات والاجتناب عن المحرمات واختلفوا هل نسخ حكم القتال
في الاشهر الحرم فقيل كان محرما ثم نسخ بقوله تعالى وقاتلوا المشركين كافة اي فيهن وفي
غيرهن وهو قول قتادة وعطا الخراساني والزهري وسفيان الثوري وقالوا
لان النبي صلى الله عليه وسلم غزا هوازن بحنين وثقيفا بالطائف وحاصرهم
في شوال وبعض ذي القعدة وقال آخرون انه غير منسوخ قال ابن جريج حلف بالله
عطا بن ابي رباح ما يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا
فيها وما نسخت **قوله** انما النسي زيادة في الكفر الى قوله ولان احدهما
انه مصدر على فعيل من انسأ اي اخر كالنذير من انذر والنكير من انكر وهذا
ظاهر قوله الزمخشري فانه قال النسيء تأخير حرمة الشهر الى شهر اخر وحسنه
فالاخبار عنه بقوله زيادة واضح لا يحتاج الى اضمار وقال الطبري النسي
والنسيء معناه الزيادة لانه تأخير في المدة فيلزم منه الزيادة ومنه النسيئة
في البيع يقال انسأ الله اجله وينسأ في اجله اي اخره وهو ممدود وعند اكثر القراء
للثاني انه فعيل بمعنى مفعول من نسأه اي اخره فهو منسوء ثم حوله مفعولا الى
فعيل كما حولت مقتولا الى قتيل والى ذلك ذهب ابو حاتم والجوهري وهذا
القول رده الفارسي بانه يكون المعنى انما الموخر زيادة وليس كذلك
الشهر ولا يكون الشهر زيادة في الكفر واجيب عن هذا بانه على حذف مضاف
اما من الاول اي انما انسا الناسي زيادة في الكفر واما من الثاني انما النسي
ذو زيادة وقرأ الجمهور النسيء بهمزة بعد السين وقرأ ورش عن نافع النسي
بابدال الهمزة ياء وادغام الياء فيها وروي هذه عن ابي جعفر والزهري
وحميد وذلك كما خففوا برية وخطيه وقرأ السلمي وطلحة والاشهب وشبل
النسا باسكان السين وقرأ مجاهد والسلمي وطلحة ايضا النسؤ بزنة
عزة مقلوب بفتح الفاء هو التاخير ومعمول في المصادر وقليل قد تقدم منه
الميقاظ في اوائل البقرة وتقدم في البقرة اشتقاق هذه المادة وههنا
عبارة عن تاخير بعض الشهور عن بعض قال

الهاء السنا اثنا سيين على معد شهور الحل نجعلها حراما

وقال اخر نساء الشهور بها وكانوا اهلها من بتلكم والعز لو يتحول

قوله يضل به قرأ الاخوان وحفص وابو عمرو في رواية بن مقسم بضل
مبنيا للمفعول اذ له ثلثة اوجه احدها يضل الله به الذين كفروا الثاني يضل
الشيطان به الذين كفروا الثالث يضل به الذين كفروا اتباعهم والباقون

مبنيا

مبنيا للفاعل والموصول فاعل به وقرأ ابن مسعود والحسن ومجاهد وقتادة
ويعقوب وعمرو بن ميمون يضل مبنيا للفاعل من اضل وهي الفاعل وجهان
احدهما ضمير الباري تعالى اي يضل الذين كفروا والثاني ان الفاعل الذين كفروا
وعلى هذا فالمفعول محذوف اي يضل الذين كفروا اتباعهم وقرأ ابو رجا يضل
بفتح الياء والضاد وهي من ضللت بكسر اللام اضل بفتحها والاصل اضلل
فنقلت فتحة اللام الى الصاد لاجل الادغام وقرأ النخعي والحسن في رواية
محبوب يضل بضم الياء وفتح الضاد والذين مفعول وهذه تقوي ان الفاعل ضمير الله
في قراءة من مبنيا للمفعول **قوله** محلونه قيل وجهان احدهما انها متعلقة بيحرمونه
وهذا يقتضي مذهب البصريين فانهم يعملون الثاني من المتنازعين والثاني
انها تتعلق بيحلونه وهذا يقتضي مذهب الكوفيين فانهم يعملون الثاني من
المتنازعين والثاني انها تتعلق بيحلونه وهذا يقتضي مذهب الكوفيين
فانهم يعملون الاول لسبقه وقول من قال انها تتعلق بالفعل معا فاسد
يعني من حيث المعنى لا اللفظ وقرأ ابو جعفر ليواطيوا بكسر الطاء وضم الياء
الصريحة والصحيح انه ينبغي ان يقرأ بضم الطاء وحذف الياء لانه لما ابدل
الهمزة ياء استثقل الضمة عليها فحذفها فالتقى ساكنان فحذفت الياء فالتقى
ساكنان فحذفت الياء وضمت الطاء لتخالس الواو وقرأ المواطاه الموافقة والاء
يقال تواطيوا على كذا اي اجتمعوا عليه كان كل واحد منهم يطاء حيث يطاء
الاخر ومنه قوله تعالى ان ناشئة الليل هي اشد وطاء وفي وطاء وسيا
ان شاء الله تعالى وقرأ الزهري ليواطيوا بتشديد الياء هكذا ترجموا قراءته
وهي مشكلة حتى قال بعضهم فان لو يريد به شدة بيان الياء وتحليبها من
الهمز دون التضعيف فلا اعرف وجهها وهو كما قال **قوله** زين الجمهور على بنائه
للمفعول والفاعل المحذوف هو الشيطان وقرأ زيد بن علي زين ببنائه للفاعل
وهو الشيطان ايضا وسوء مفعوله **فصل** معنى النسي هو تاخير حرم
شهر الى شهر اخر وذلك ان العرب كانت تعتقد تعظيم الاشهر الحرم وكان ذلك
مما تمسكت به من ملة ابراهيم وكان معايشهم من الصيد والغارة وكان يشق
عليهم الكف عن ذلك ثلثة اشهر متوالية وربما وقعت لهم حروب في الاشهر الحرم
يكرهون تاخيرها حوبهم فنسوءوا اي اخروا تحريم ذلك الشهر الى شهر اخر وكانوا
يوخرون تحريم المحرم الى صفر فيحرمون صفرا ويستحلون المحرم فاذا
احتاجوا الى تاخير تحريم صفر اخروه الى ربيع هكذا شهرا بعد شهر حتى استدار
التحريم على السنة كلها فقام الاسلام وقد رجع المحرم الى موضعه الذي وضعه
الله عز وجل وذلك بعد دهر طويل فخطب النبي صلى الله عليه وسلم وقال الا ان

ان الجملة تتعين به للضلال
والثاني انها حالية وقوله
يحل الخ في هذه اللام وجهان
احدهما

جناع
في
بلم

الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثني عشر شهرا منها
اربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين
رجب وشعبان ثم قال تعالى فامرهم بالمحافظة عليه لئلا يتبدل في مستانف
الايام واختلفوا في اول من نسيء النسي فقال ابن عباس والضحاك وقتادة ومجاهد
اول من نسأ بنو مالك بن كنانة وقال الكلبي اول من فعل ذلك رجل من بني كنانة ٥
يقال له نعيم بن ثعلبة وكان يكون على الناس بالموسم فاذا هم الناس بالصدور
قام فخطب فقال لا مرد لما قضيت وانا الذي لا اعاب ولا احاب فيقول له ٥
المشركون لبيك ثم يستيلونه ان ينسيئهم شهرا فيغيرون فيه فيقول له ان صفرا
العام حرام فاذا قال حللوا الاوتار ونزعوا الاسنة والاربجة فان قال احلال
عقدوا الاوتار وشدوا الاوجه واغاروا وكان من بعد نعيم رجل يقال له حباده
بن عوف وهو الذي ادركه النبي صلى الله عليه وسلم وقال عبد الرحمن بن
زيد بن اسلم هو رجل من كنانة يقال له القلمس قال شاعرهم ٥ ومنا ناسئ الشهر القلمس
وكانوا لا يفعلون ذلك الا في ذي الحجة اذا اجتمعت العرب للموسم وقال
جويبر عن الضحاك عن ابن عباس اول من سن النسي عمرو بن لحي بن قمعة بن
خندف ثم قال ان النسي زيادة في الكفر اي زيادة كفر تعالى كفر مضل به الذين كفروا
تقدم الكلام عليه يحلونه عاما اي النسي ويحرمونه عاما ليواطئوا اي يوافقوا
عدة ما حرم الله اي انهم لو حللوا شهرا من الحرم الاحرموا مكانه شهرا من الحلال ٥
ولو حرموا شهرا من الحلال الا احلوا مكانه شهرا من الحرم لئلا يكون
الحرم اكثر من اربعة اشهر فتكون الموافقة في العدد زين لهم سوء اعمالهم قال ابن
عباس زين لهم الشيطان والله لا يهدي القوم الكافرين **قوله** تعالى يا ايها
الذين ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض الاية لما ذكر ٥
مفاتيح الكفار عاد الى الترغيب في مقابلتهم قال ابن عباس نزلت هذه الاية في ٥
غزوة تبوك وذلك لانه عليه السلام لما رجع من الطايف اقام بالمدينة وامره
بجهاد الروم وتهيأوه وكان ذلك الوقت زمان شدة الحر وطابت ثمار المدينة
وظلالها فامرهم ليتهيأوا اهبة غزوهم فشق عليهم الخروج وثقلوا فنزلت
هذه الاية ومعنى اذا قيل لكم اي قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم انفروا
اخرجوا واسم القوم الذين يخرجون النفير **قوله** اثاقلتم اصله تثاقلتم
فلما اريد الادغام سكنت الثاء فاحتلبت همزة الوصل كما تقدم في ادارا ثروا الاصل
تدارأتم وقرأ الاعمش تثاقلتم بهذا الاصل وما في قوله ما لكم استفهامية وفيها ٥
معنى الانكار وقيل فاعله المحذوف هو الرسول كما تقدم واثاقلتم ماضي اللفظ
مضارع المعنى اي يتثاقلون وصوفي موضع الحال وهو عامل في الظرف اي ما لكم متثاقلين

وقت القول وقال ابو البقاء اثاقلتم ماض معنى المضارع اي ما لكم تتثاقلون وهو في
موضع نصب اي اي شيء لكم في التثاقل او في موضع جر على راي الخليل وقيل هو في موضع
حال قال ابو حيان وهذا ليس بجيد لانه يلزم منه حذف ان لانه لا ينسبك مصدر
الا من حرف مصدري والفعل وحذف ان في مثل هذا قليل جدا او ضرورة واذا كان
التقدير في التثاقل فلا يمكن عمله هنا اذ الان معموله المصدر الموصول لا يتقدم عليه
فيكون التاصب للاذا والمتعلق به في التثاقل ما تعلق به لكم الواقع خبر الما ٥
وقرئ اثاقلتم بالاستفهام بمعنى الانكار وحينئذ لا يجوز ان تعمل في اذا الان
ما بعد حرف الاستفهام لا يعمل فيما قبله فيكون العامل في هذا الظرف اما الاستقرار
المقدر في لكم او مضمر مدلول عليه باللفظ والتقدير ما تصنعون اذا قيل لكم
والله تعالى اعلم الزمخشري والظاهر ان يقدر ما لكم تتثاقلون اذا قيل لكم ليكون
مدلولا عليه من حيث اللفظ والمعنى وقوله الى الارض ضمن معنى الميل والاخلاد
فعدي بالى والمعنى تباطاتم الى الارض اي لزمتم ارضكم ومساكنكم وملتم ٥
الى الدنيا وشهواتها وكرهتم مشاق الجهاد ومتاعبه ونظير قوله اخلد الى ٥
الارض قال المفسرون معناه اثاقلتم الى نعيم الارض واتى الاقامة بالارض
وكذا قوله اصبروا وصابروا وقوله ايم من معك وقوله يا اسفا على يوسف
وقوله قاسمهما ان لمن الناصحين وقوله اعرض ونا بجانبه واذا مسه الشر ٥
فذو دعاء عريض وقوله على علم على العالمين وقوله مالك الملك **قوله**
ارضيتم بالحياة الدنيا من الاخرة اي بخفض الدنيا ودعتها وقوله الى ٥
الارض ارضيتم حبائس المطي **فصل** من الاخفش تظافرت اقوال المعربين
والمفسرين على ان معنى من معنى بدل كقوله جعلنا منكم ملايكة اي بدلكم
ومثله قول الاخر ٥

٥ جارية لم تاكل المرقعا ٥ ولم تذق من البقول الفستقا ٥ وقول الاخر

٥ فليت لنا من ماء زمزم شربة ٥ مبردة باتت على طهيان ٥

الا ان اكثر النحويين لم يثبتوا لها هذا المعنى ويتاولون ما اوهم ذلك والتقدير
هنا اعتضتم من الاخرة راضين بالحيوة وكذلك تاويلها وقال ابو البقاء ٥
من الاخرة في موضع الحال اي بدلا من الاخرة فقدر المتعلق كونا خاصا ويجوز
ان يكون اراد تفسير المعنى ثم قال فما متاع الحيوة الدنيا اي لذاتها وقوله
في الاخرة متعلق بمحذوف من حيث المعنى تقديره فما متاع الحياة الدنيا ٥
محسوبا في الاخرة محسوبا حال من متاع وقال الحوفي انه متعلق بقليل وهو
ضعيف المبتدا قال وجاز ان يتقدم الظرف على عامله المعنوي بالا لان الظروف
تتسامل فيها رواجح الافعال ولو قلت ما زيد الا عمرا يضرب لم يجز **فصل** الدليل على

قوله

ان متاع الدنيا في الاخرة قليل ان لذات الدنيا خسيسة في انفسها ومشوبة بالافات
والبليات ومنقطعة عن قرب لا محالة ومنافع الاخرة شريفة عالية خالصة عن كل
الافات دائمة ابدية بسرمدية وذلك يوجب القطع بان متاع الدنيا في جنب متاع
الاخرة قليل حقير **قوله** الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما في الاخرة ٥
وقيل هو احتباس المطر عنهم في الدنيا قال القرطبي هذا شرط قد ذلك حذفت
منه النون والجواب يعذبكم ويستبدل قوما غيركم وهذا تهديد شديد
ووعيد لتاركه الحصر النفر ويستبدل قوما غيركم خيرا منكم واطوع قاله
بن عباس هم التابعون وقال سعيد بن جبير هم ابناء فارس وقيل هم اهل
اليمن ولا تضروه شيا بترككم النصر قال الحسن الكناية راجعة الى الله تعالى
اي لا تنصروا الله وقال غيره تعود الى الرسول لان الله عصمه عن الناس ولا
يخذله ان تثاقلتم عنه والله على كل شي قدير قال الحسن وعكرمة هذه الاية
منسوخة بقوله تعالى وما كان المومنون لينفروا كافة وقال المحققون الصحيح
ان هذه الاية خطاب لمن استنفره رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينفروا
وعلى هذا فلا نسخ **قوله** الا تنصروه فقد نصره الله هذا الشرط
جوابه محذوف لدلالة قوله فقد نصره عليه والتقدير ان لم تنصروه وذكر
الزمخشري فيه وجهين احدهما ما تقدم والثاني قال انه اوجب له النصرة ٥
وجعله منصورا في ذلك الوقت فلم يحتج من بعده قال ابو حيان وهذا
لا يظهر منه جواب الشرط لان اسباب النصرة له امر سبق والماضي لا يترتب
على المستقبل فالذي يظهر انوجه الاول وهذا اعلام من الله انه المتكفل بنصر
رسوله واعزاز دينه اعانوه او لم يعينوه وانه قد نصره عند قلة الاولياء ٥
وكثرة الاعداء فكيف به اليوم وهو في كثرة من العدد والعدة وقوله اذ
اخرجه الذين كفروا اي انهم جاءوه كالمضطر الى الخروج من مكة حين مكروا
به وارادوا تبييته وهموا بقتله **قوله** ثاني اثنين منصوب على الحال
من مفعول اخرجه وقد تقدم معنى الاضافة في نحو هذا التركيب عند قوله ٥
ثالث ثلثة وقرات جماعة ثاني اثنين بسكون الياء قال ابو الفتح حكاها ابو
عمرو وجهها ان يكون سكن الياء تشبيها لها بالالف وبعضهم خصه
بالضرورة والمعنى هو احد الاثنين والاثنان احدهما رسول الله صلى الله
عليه وسلم والاخر ابو بكر الصديق رضي الله عنه **قوله** اذ هما في الغار
اذ بدل من اذ الاولى فالعامل فيها فقد نصره قال ابو البقاء ومن منع ان يكون
العامل في البدل هو العامل في المبدل منه قدر عاملا اخر اي نصره اذ هما في
الغار والغار نقب يكون في الجبل وهو هنا نقب في جبل ثور بمكة ويجمع على غيران

ومثله

ومثله تاج ومرتيجان وقاع وقيعان والغار ايضا نبت طيب الريح والغار ايضا
الجماعة والغار ان البطن والفرج والف الغار عن واو **قوله** اذ يقول بدل
ثان من اذ الاولى وقال ابو البقاء ان اذ هما في الغار واذ يقول ظرف لثاني
اثنين **فصل** روي حميد بن عمير قال اتيت بن عمر فسمعته يقول قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر انت صاحبي في الغار وصاحبي على الحوض
وقال ابو الحسين بن الفضل من قال ان ابا بكر لم يكن صاحب رسول الله صلى
الله عليه وسلم فهو كافر لانكاره نص القران وفي سائر الصحابة اذا انكر يكون
مبتدعا لا كافرا فان قيل ان الله تعالى وصف الكافر بكونه صاحبا للمومن في قوله
قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب فالجواب ان هناك
وان وصفه بكونه صاحبا لانه اراد فهما يدل على الاهانة والاذلال وهو قوله
اكفرت اما هنا بعد ان وصفه بكونه صاحبا له ذكر ما يدل على الاجلال له
والتعظيم وهو قوله لا تحزن ان الله معنا فاي مناسبة بين البابين **فصل**
روي ان قريشا لما بيتوا النبي صلى الله عليه وسلم وخرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم وابو بكر اول الليل الى الغار وامر عليا ان يضطجع على فراشه ليمنعهم
السواد من طلبه جعل ابو بكر يمشي ساعة بين يديه وساعة خلفه فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم مالك يا ابا بكر فقال اذكر الطلب فامشي خلفك ثم اذكر
الرصد فامشي بين يديك فلما انتهيا الى الغار دخل ابو بكر فكان اذكر ٥
الطلب فامشي خلفك ثم اذكر الرصد اولا يلتمس ما في الغار فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم مالك فقال بابي انت وابي العير ان ماوي السباع
والهوام فان كان فيه شي كان بي لا بك وكان في الغار جحر فوضع عقبه عليه ٥
ليبلا يخرج ما يوذي الرسول فلما طلب المشركون الاثر وقربوا بكا ابو بكر ٥
خوفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عليه السلام لا تحزن ان الله
معنا فقال ابو بكر وان الله لمعنا فقال الرسول نعم فجعل يمسح الدموع عن
خده ولم يكن حزن ابي بكر جبنا منه وانما كان اشفاقا على رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال ان اقتل فانا رجل واحد وان قتلت هلكت الامة وروي
ان الله تعالى بعث حمامتين فباضتا في اسفل باب الغار والعنكبوت نسجت ٥
عليه وقال رسول الله اللهم اعم ابصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يرون
احدا **فصل** دلت هذه الاية على فضيلة ابي بكر رضي الله عنه من وجوه ٥
احدها انه عليه السلام لما ذهب الى الغار كان خائفا من الكفار ان يقتلوه فلو
انه عليه السلام كان قاطعا بان ابا بكر من المومنين المحققين الصادقين الصديقين
والا لما اصحبه نفسه في ذلك الموضع لانه لو جوز ان يكون باطنه بخلاف ظاهره

لخافه من ان يدل اغداءه عليه او لخان من ان يقدر هو على قتله فلما استخلصه
لنفسه في تلك الحالة دل على انه عليه السلام كان قاطعا بان باطنه على وفق ٥
ظاهره وثانيها ان الهجرة كانت باذن الله وكان في خدمة رسول الله صلى الله
عليه وسلم جماعة من المخلصين وكان في السنب الى سخرة رسول الله صلى الله
عليه وسلم اقرب من ابي بكر فلولا ان الله تعالى امره ان يستصحب ابا بكر
في هذه الواقعة الصعبة والا لكان الظاهر ان لخصه بهذه الصحبة ويخصص
الله اياه بهذا التشريف يدل على علو منصبه في الدين وثالثها ان كل من ٥
سوى ابي بكر فارقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ابو بكر فما فارق رسول
الله كغيره ولا تخلف عنه كغيره بل صبر على مؤانسته وملازمته وخدمته
عند الخوف الشديد الذي لم يبق معه احد وذلك يوجب الفضل العظيم ٥
ورابعها انه تعالى سماه ثاني اثنين فجعله ثاني محمد عليه الصلاة والسلام
حال كونهما في الغار والعلم ذكروا انه كان ثاني محمد عليه الصلاة والسلام في
اكثر المناصب الدينية وانه صلى الله عليه وسلم ارسل الى الخلق وعرض
الاسلام على ابي بكر فصدقه فآمن وذهب وعرض الاسلام على طلحة والزبير
وعثمان وجماعة من كبار الصحابة فآمن الكل على يده ثم انه جاء بهم الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعد ايام قلائل وكان هو رضي الله عنه ثاني اثنين ٥
في الدعوة الى الله تعالى وكلما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة
كان ابو بكر يقف في خدمته فكان ثاني اثنين في المواقف كلها وكلما صلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقف خلفه ثاني اثنين هناك وكلما جلس رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان ثاني اثنين وكلما مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم
قام مقامه في الامامة فكان ثاني اثنين والمامات دفن بجنبه وكان ثاني اثنين
هناك وطعن بعض الحمقا من الروافض في هذا الوجه وقال كونه ثاني اثنين
للرسول لا يكون اعظم من كون الله رابعا لكل ثلاثة في قوله تعالى ما يكون من
نجوى ثلاثة الا هو رابعهم الاية ثم ان هذا الحكم عام في حق الكافر والمؤمن
فلما لم يكن هذا المعنى من الله دالا على فضيلة الانسان فلان لا يدل من النبي
عليه السلام على فضيلة الانسان اولى والجواب ان هذا تعسف بارد
لان المراد هناك كونه تعالى مع الكل بالعلم والتدبير وكونه مطلعا على ضمير
كل احد اما ههنا فالمراد بقوله تعالى ثاني اثنين تخصيصه بهذه الصفة ٥
معرض التعظيم قوله فانزل الله سكينته عليه فالضمير في عليه يعود الى
ابي بكر لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عليه السكينة دائما وقد ٥
تقدم القول في السكينة والضمير في ايده للنبي صلى الله عليه وسلم وهو اشارة

فصنة بدد وهو معطوف على قوله فقد نصره الله وقرا الحاهد وابيده بالتخفيف
ولم تروها صيغة الجنود قوله وجعل كلمة الذين كفروا السفلى كلمتهم الشرك
هي السفلى الى يوم القيامة وكلمة الله هي العليا الى يوم القيامة قال ابن عباس
هي قول لا اله الا الله وقيل كلمة الذين كفروا ما قدروا في انفسهم من المكيدة وكلمة
الله وعده انه ناصره والجمهور على رفع كلمة الله على الابتدا وهي يجوز ان يكون ٥
مبتدا ثانيا والعليا خبرها والجملة خبر الاول ويجوز ان تكون هي فصلا والعليا
الخبر وقرا يعقوب وكلمة الله بالنصب نسقا على مفعولي جعل اي وجعل كلمة الله
هي العليا قال ابو البقا وهو ضعيف لثلاثة اوجه احدها وضع الظاهر موضع
المضمر اذ الوجه ان يقول وكلمته الثاني ان فيه دلالة على ان كلمة الله كانت
سفلى فصارت عليا وليس كذلك الثالث ان توكيد مثل ذلك نهي يعيد اذ
ليس القياس ان يكون اياها قال شهاب الدين اما الاول فلا ضعف فيه كان
الكوفة القرآن ملأن من هذا النوع وهو من احسن ما يكون لان فيه تعظيما
وتفخيما واما الثاني فلا يلزم مما ذكر وهو ان يكون الشي المصير على الضد
الخاص بل يدل التصيير على انتقاله ذلك الشي المصير عن صفته ما الى هذه
الصفة واما الثالث فهي ليست تاكيدا البتة انما هي ضمير فصل على حالها فكيف
وكيف تكون تاكيدا وقد نص النحويون على ان المضمر لا يؤكد المظهر ثم قال
والله عزيز حكيم اي قاهر غالب حكيم لا يفعل الا الصواب قوله انفروا
خفافا وثقالا الاية لما توعد من لا ينفر مع الرسول اتبعه بهذا الامر الجزم
فقال انفروا خفافا وثقالا نصبهما على الحال من فاعل انفروا قال الحسن
والضحاك ومجاهد وقتادة وعكرمة شبانا وشيوخا وعن ابن عباس رضي الله
عنهما نشاطا وغير نشاط وقال ابن عطية العوفي ركبانا ومشاتا وقال ابو
صالح خفافا من المال اي فقرا وثقالا اغنيا وقال ابو زيد الثقيل الذي له
الضيعة والخفيف الذي لا ضيعة له وقيل خفافا من السلاح اي مقلين منه
وثقالا مستكثرين منه وقال مرة الهمداني صحاحا ومراضا وقال مجاهد بن ٥
ركاب عزابا ومتاهلين وقيل عسرا ويسرا وذلك والصحيح ان الكلام داخل فيه لان
الوصف المذكور وصف كلي فيدخل فيه كل هذه الجزئيات فروي ابن ام مكتوم
انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعلي ان انفر قال ما انت الا خفيف
او ثقيل فرجع الى اهله وليس سلاحه ووقف بين يديه فنزل قوله ليس على
الاعمى حرج وقال مجاهد ان ابا ايوب شهد بدرا مع الرسول ولم يتخلف عن
الغزوات مع المسلمين ويقول قال الله تعالى انفروا خفافا وثقالا فلا احد في
الارض الا خفيفا او ثقيلا وعن صفوان بن عمرو قال كنت واليا على حمص فلقيت شيخا

قد سقط حاجباه من اهل دمشق على راحلته يوم العزو فقلت يا عم انت معذور عند الله
فوضع حاجبيه وقال يا ابن اخي استفزونا الله خفافا وثقالا الا انه من احبه ابتلاه وعن
الزهري خرج سعيد بن المسيب الى الغزو وقد ذهبت احدى عينيه فقيل له انك عليل
صاحب ضر فقال استنفر الله الخفيف والثقيل فان عجزت عن الجهاد كثرت السواد
وحفظت المتاع وقيل للمقداد بن الاسود وهو بويد الغزو وانت معذور فقال انت
علينا سورة براءة انفروا خفافا وثقالا والقائلون بهذا القول يقولون ان
هذه الاية نسخت بقوله ليس على الاعمى حرج وبقوله ليس على الضعفاء ولا على
المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج وقال عطا الخراساني نسخت ٥
بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة والقائلون بان هذه ٥
الايات نزلت في غزوة تبوك وانفقوا على انه عليه السلام خلف النساء وخلق
من الرجال اقواما فدل ذلك على ان هذا الوجوب ليس على الاعيان بل من فروض
الكفايات فمن امره الرسول بالخروج لزمه خفافا وثقالا ومن امره بان يبقى
ترك النفير وحسبه لا حاجة الى التزام النسخ وايضا فقوله وسيحلفون ٥
بالله لو استطعنا لخرجنا معكم دليل على انه قوله انفروا خفافا وثقالا انما ٥
يتناول من كان قادرا ممكنا اذ لو لم تكن الاستطاعة محتملة معتبرة في ٥
ذلك التكليف لما امكنهم جعل عدم الاستطاعة عذرا في التخلف فدل على عدم
النسخ فيها **قوله** وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله فيه قولان
الاول انها تدل على الجهاد يجب على من له المال والنفس ومن لم يكن له ذلك
لم يجب عليه الجهاد والثاني ان الجهاد بالنفس يجب اذا انفرد وقوي عليه ويجب
بالمال اذا ضعف عن الجهاد بنفسه بل يلزمه ان يجهز واعنه بنفقة
من عنده وذهب الى هذا الكثير من العلماء ثم قال ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ٥
فان قيل كيف يصح ان يقال الجهاد خير من القعود عنه ولا خير في القعود ٥
فالجواب عنه من وجهين الاول ان لفظ الخير يستعمل في شيئين احدهما خير
من الاخر والثاني انه خير في نفسه كقوله تعالى اني لما انزلت الي من خير فقير
وقوله والله بما تعملون خبير لسديد وعلى هذا استقط السؤال والثاني سلمنا ٥
ان المراد كونه خيرا من غيره الا ان التقدير ان ما يستفاد من نعيم الاخرة بالجهاد
خير مما يستفيده القاعد عنه من الراحة والدعة والتنعم بها ولذلك قال
لو كنتم تعلمون **قوله** لتقاضى لو كان عرضا قريبا الاية تمام بالغ في ترغيبهم
في الجهاد وامرهم بالنفير عاد الى تقدير كونهم متثاقلين فقوله لو كان عرضا
اسم كان ضمير يعود على ما دل عليه السياق اي لو كان ما دعوتهم اليه والعرض
ما عرض لك من منافع الدنيا والمراد هنا قريبه المتناول وسفرا قاصدا اي

منهلا قريبا هينا لا شعوك فخرجوا معك ومثل بالقاصد لان المتوسط بين الافراط ٥
والتفريط يقال له مقتصد قال تعالى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومعنى
القاصد فاقصد كقولهم لابن وتامر ولكن بعدت قرا عيسى بن عمر والاعرج
بعدت بكسر العين وقرا عيسى الشقة بكسر الشين ايضا قال ابو حاتم تمام لغة
تميم والشقة الارض التي يشق ركوبها اشتقاقا من المشقة وقال الليث وبن ٥
فارس هي الارض البعيدة المشير اشتقاقا من الشق او من المشقة والمعنى بعدت
عليهم المسافة وهذه الاية نزلت في المنافقين الذين تخلفوا عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن غزوة تبوك **قوله** وسيحلفون بالله الجار ٥
متعلق بسيحلفون وقال الزمخشري بالله متعلق بسيحلفون اذ هو من جملة
كلامهم والقول مراد في الوجهين اي سيحلفون يعني المتخلفين عند رجوعك ٥
معتذرين يقولون بالله لو استطعنا او سيحلفون بالله يقولون لو استطعنا وقوله
لخرجنا سد مسد جواب القسم ولو جميعا قال ابو حيان قوله لخرجنا يسد مسد
جواب القسم ولو جميعا ليس بجيد بل للنحويين في هذا مذهبان احدهما ان لخرجنا ٥
جواب القسم وجواب لو محذوف على قاعده اجتماع القسم والشرط اذا تقدم ٥
القسم على الشرط وهذا اختيار بن عصفور والاخر ان لخرجنا جواب لو ولو
وجوابها جواب القسم وهذا اختيار بن مالك اما ان لخرجنا سد مسد هما ٥
فلا اعلم احدا ذهب الى ذلك ويحتمل ان يتناول كلامه على انه لما حذف جواب لو
ودل عليه جواب القسم جعل كانه سد مسد جواب القسم وجواب لو وقرا الاعمش
وزيد بن علي لو استطعنا بضم الواو وكانها فرا من الكسرة على الواو وان كان
الاصل وشبهها واو يواو الضمير كاشهوا واو الضمير يواو لو حيث كسر وما نحو
اشتروا الضلالة لا يلتقا الساكنين وقرا الحسن اشتروا الضلالة ولو استطعنا
بفتح الواو وتخفيفها **قوله** يهلكون في هذه الجملة ثلاثة اوجه احدها انها حال
من فاعل سيحلفون اي سيحلفون مهلكين انفسهم والثاني انها بدل من الجملة ٥
قبلها وهي سيحلفون الثالث انها حال من فاعل لخرجنا وقد ذكر الزمخشري
هذه الاوجه الثلاثة فقال يهلكون اما ان يكون بدلا من سيحلفون او حالا ٥
بمعنى مهلكين والمعنى انهم يوقعون اهلاك انفسهم بحلفهم الكاذب ويحتمل ان يكون
حالا من فاعل خرجنا اي لخرجنا فان اهلكنا انفسنا وجا بلفظ الغايب لانه ٥
مخبر عنهم الا ترى انه لو قيل سيحلفون بالله لو استطعنا لخرجوا لكان سديدا
يقال حلف بالله ليفعلن ولافعلن فالغيبة على حكم الاخبار والتكلم على الحكاية
قال ابو حيان اما كونه يهلكون بدلا من سيحلفون فبعيد لان الاهلاك ليس مرادفا
للحلف ولا هو نوع منه ولا يبدل فعل من فعل الا ان كان مرادفا له او نوعا منه

قال شهاب الدين يصح البدل على معنى انه بدل اشتمال وذلك لان المخالف سبب ۵
للاهلاك فهو مشتمل عليه فابدل المسبب من سببه لاشتماله عليه وله نظائر كثيرة
منها قوله ۵ ان علي الله ان تبايعا ۵ توخذ كرها او تجي طايعا ۵
فتوخذ بدل من تبايع بدل اشتمال بالمعنى المذكور وليس احدهما نوعا من الاخر
ثم قال ابو حيان واما كونه حالا من فوله لخرجنا فيه ضمير المتكلم فالذي يجري
عليه انما يكون بضمير المتكلم فلو كان حالا من فاعل لخرجنا فيه ضمير المتكلم فالذي ۵
~~جري عليه انما يكون بضمير المتكلم فلو كان حالا من فاعل لخرجنا~~ لكان التركيب
نهلك انفسنا اي مهلكي انفسنا واما قياسه ذلك على حلف زيد ليفعلن ۵
ولا فعلن فليس بصحيح لانه اذا اجراه على ضمير الغيبه لا يخرج منه الى ضمير
المتكلم لو قلت حلف زيد ليفعلن وانا قادر على ان يكون وانا قايم حالا من اه
ضمير ليفعلن لم يجز وكذا عكسه نحو حلفت زيد لا افعلن ليقوم زيد قايما لم يجز ۵
واما قوله وجايه على لفظ الغايب لانه مخبر عنهم فمغالطة ليس مخبرا عنهم بقوله
لو استطعنا لخرجنا بل هو حاك لفظ قولهم ثم قال وهيء الاتري لو قيل لو استطاعوا
لخرجوا لكان سديدا الي آخره كلام صحيح لكنه تعالى لم يقل ذلك اخبارا عنهم ۵
بل حكاية والحال من جملة كلامهم المحكي فلا يجوز ان يخالف بين ذي الحال وحاله
لاشتراكهما في العامل لو قلت قال زيد خرجت تضرب خالدا مرصدا ضرب خالدا
لم يجز ولو قلت قالت هند خرج زيد ضرب خالدا تريد خرج زيد ضاربا خالدا
لم يجز انتهى الرابع انها جملة استيناف فيه اخبر الله عنهم بذلك **فصل** معنى
الاية انه لو كان المنافع قريبة والسفر قريبا لاتبعوك طمعا منهم في الفوز بتلك
الغنايم ولكن طال السفر وكانوا كالايسين من الفوز بالغنيمة بسبب استعظامهم
غزوا لروم فلهذا تخلفوا ثم اخبر تعالى انه اذا رجع من الجهاد تحلفون له بالله
لو استطعنا لخرجنا معكم اما عند معاتبتهم بسبب التخلف واما ابتداء على طريق
اقامة العذر في التخلف ثم بين انهم يهلكون انفسهم بسبب الكذب والنفاق
وهذا يدل على ان الايمان الكاذبة توجب الهلاك ولهذا قال عليه السلام ۵
اليمين الغموس تدع الديار بلاقع ثم قال تعالى والله يعلم انهم لكاذبون في
قولهم انا كنا نستطيع الخروج فانهم كانوا مستطيعين فكانوا كاذبين في ايمانهم
واخبارهم انهم سيحلفون وهذا اخبار عن غيب يقع في المستقبل والامر فيه
وقع كما اخبر فكان اخبارا عن الغيب فكان معجزا **قوله** تعالى عفى الله عنك
لم اذنت لهم الاية لما بين تعالى بقوله لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك
انه تخلف قوم عن ذلك العدد وليس فيه بيان ان ذلك التخلف كان باذن الرسول

قوله لم اذنت لهم الخ واللام كلاهما معنى واحد متعلق باذنت وجاز ذلك لان
معنى اللامين مختلف فالاولى للتعليل والثانية للتبليغ وحذفت الف ما الاستفهامية
لاجرارها وتقدم الجار الاول واجيب لانه جزء ما له صدر الكلام ومتعلق
الاذن محذوف ويجوز ان يكون التقدير اي لم اذنت لهم في القعود ويدل عليه
السياق من اعتذارهم عن تخلفهم عنه عليه السلام ويجوز ان يكون الخروج
اي لم اذنت لهم في الخروج لان خروجهم فيه مفسدة من التحذيل وغيره يدل عليه
لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا **قوله** حتى يتبين يجوز ان يكون للغاية
ويجوز ان يكون للتعليل وعلى كلي التقديرين فهي جارة اما بمعنى الى واما
اللام وان مضمرة بعدها ناصبة للفعل وهي متعلقة بمحذوف قال ابو البقاء
تقديره هلا اخرتهم الى ان يتبين او ليتبين وقوله لم اذنت لهم يدل على المحذوف
ولا يجوز ان يتعلق حتى باذنت لان ذلك يوجب ان يكون اذن لهم الى هذه ۵
الغاية اولاجل التبيين وذلك لا يعاتب عليه وقال الحوفي حتى غاية لما ۵
تضمنه الاستفهام اي ما كان له ان يأذن لهم حتى يتبين له العذر وفي هذه
العبارة بعض عصاصة **فصل** احتج بعضهم بهذه الاية على صدور الذنب
عن الرسول عليه السلام من وجهين الاول قال تعالى عفى الله عنك والعفو
لا يستدعي سابقة الذنب والثاني انه تعالى قال لم اذنت لهم وهذا استفهام
بمعنى الانكار فدل على ان ذلك الاذن كان ذنبا وقال قتادة وعمرو بن ميمون
انما ان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمر فيهما بشيء اذنه للمنافقين ۵
واخذه الفداء من الاسارى وعاتبه الله كما تسمعون وقال سفين بن عيينة ۵
انظروا الى هذا اللطف بدا بالعفو قبل ان يعيره بالذنب والجواب عن ۵
الاول لا نسلم ان قوله عفى الله عنك يوجب الذنب بل يدل على المبالغة ۵
في تعظيمه وتوقيره باضفاح الكلام بالدعاء له كما يقول الرجل اذا كان كريما
عنده معظما عفى الله عنك ما صنعت في امري ورضي الله عنك ما جوابك عن
كلامي وعرضه من هذا الكلام مزيد التبجيل والتعظيم قال علي بن الجهم فيما خاطب
به المتوكل وقد امر بنفيه ۵

۵ عفى الله عنك الا حرمه ۵ تحود بفضلك يا ابن العلا ۵
۵ الم تر عبدا غداطوره ۵ ومولى عفا ورشد اهدا ۵
۵ اقلني اقالك من لم يزل ۵ يقيك ويصرف عنك الردا ۵

والجواب عن الثاني لا نسلم ان لا يكون المراد بقوله لم اذنت لهم الانكار
لانا نقول اما ان لا يكون صدر عنه ذنب فعلى هذا يمتنع ان يكون قوله لم اذنت

انكار اعليه وان كان صدر عنه ذنب فقوله عفى الله عنك يدل على حصول العفو
عند حصول العفو عنه وبعد حصول العفو يستحيل ان يتوجه الانكار عليه فعلى
جميع التقادير يمتنع ان يقال ان قوله لم اذنت لهم لا يدل على كون الرسول مذنبا
وعند هذا نقول قوله لم اذنت لهم يدل على كون الرسول مذنبا وعند هذا نقول
قوله لم اذنت لهم على ترك الاولى به والاكمل لاسيما وهذه الواقعة جرت كانت
من جنس ما يتعلق بالحروب ومصالح الدنيا **فصل** احتجوا بهذه الاية على
ان الرسول عليه السلام كان يحكم بالاجتهاد في بعض الوقايع ودلوا عليه
لسلام تحت قوله تعالى فاعتبروا يا اولي الابصار والرسول عليه السلام
كان سيدهم فقالوا امان يقال انه تعالى اذن له في ذلك الاذن او منعه عنه
او ما اذن له فيه وما منعه عنه فالاول باطل والا امتنع ان يقول لهم له لم اذنت
لهم والثاني باطل لانه يلزم منه ان يقال انه حكم بغير ما انزل الله فيدخل
تحت قوله ومن لم يحكم بما انزل الله الايات وذلك باطل بصريح العقل فلم يبق
الا انه عليه السلام اذن في تلك الواقعة من تلقاء نفسه فاما ان يكون ذلك
عن اجتهاد او لا والثاني باطل لانه حكم بمجرد التشهي وهو باطل لقوله تعالى
فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فلم يبق الا انه عليه
السلام اذن في تلك الواقعة بالاجتهاد فان قيل فالاية تدل على انه لا يجوز
له الاجتهاد لانه تعالى منعه بقوله لم اذنت لهم فالجواب انه تعالى ما
منعهم منعه من الاذن مطلقا لقوله حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم
الكاذبين والحكم المغيا بحتى يجب انتهاؤه عند حصول الغاية فدل على صحة
قولنا فان قالوا لم لا يجوز ان يكون المراد من ذلك التبيين هو التبيين
بطريق الوحي فلما ترك ذلك كان تركا للتبيين وعلى تقدير انا نكون ذلك الخطا خطا
في الاجتهاد فنحن حرزا عليه لقوله ومن اجتهد فاخطا فله اجر فكان حمل الكلام
عليه اولى **فصل** دلت هذه الاية على وجوب التثبت وعدم العجلة
والثاني وترك الاغترار بظواهر الامور والمبالغة في الفحص حتى يمكنه
معاملة كل فريق بما يستحقه **فصل** قال قتادة عاتبه الله كما تسمعون
في هذه الاية ثم رخص له في سورة النور فقال فاذا استاذنوك لبعض
شانهم فاذن لمن شئت منهم **فصل** قال ابو مسلم الاصفهاني في قوله لم
اذنت لهم ليس فيه ما يدل على ان الاذن لما اذا فيحتمل ان بعضهم استاذن
في القعود فاذن ويحتمل ان بعضهم استاذن في الخروج فاذن مع ان ما كان
خروجهم معه صوابا لكونهم عيونا للمسلمين عليهم وكانوا يثبطون الفتن
فلهذا ما كان خروجهم مع الخوف الرسول مصلحة قال القاضي هذا بعيد

لان

لان هذه الاية نزلت في غزوة تبوك على وجه الذم للمتخلفين والمدح للمبادرين
وايضا ما بعد هذه الاية يدل على ذم القاعدين وبيان حالهم **قوله** تعالى
لا يستاذنك الذين يومنون بالله واليوم الاية اي لا يستاذنك مؤمن في
التخلف فالله عليم بالمتقين **قوله** ان يجاهدوا فيه وجهان اظهرهما انه متعلق
بالاستيذان اي لا يستاذنونك المومنون في الخروج والقعود كراهة ان
يجاهدوا ومفعول من اجله تقديره لا يستاذنك المومنون في الخروج والقعود
كراهة ان يجاهدوا بل اذا امرتم بشيء بادروا اليه وقال بعضهم لا بد في الكلام
من اضمار اخر لان ترك استيذان الامام في الجهاد غير جايز فلا بد من اضماره
والتقدير لا يستاذنك هولاء في ان لا يجاهدوا الا انه حذف حرف النفي كقوله
يبين الله لكم ان تضلوا ويدل على هذا المحذوف ان ما قبل الاية وما بعده
يدل على ان هذا الذم انما كان على الاستيذان في القعود **قوله** انما يستاذنك
الذين لا يومنون بالله الاية بين ان هذا الاستيذان لا يصدر الا عند عدم
الايمان بالله واليوم الاخر ولما كان عدم الايمان قد يكون بسبب الشك
والريب دل على ان الشاك المرتاب غير مومن وقد تقدم الكلام على هذه
المسئلة عند قوله في سورة الانفال انما المومنون حقا ثم
قال فهم في ريبهم يترددون اي متحيرين **قوله** ولو ارادوا الخروج لاعدوا
له عدة بضم العين وتا التانيث وهي الزاد والراحلة وجميع ما يحتاج اليه
المسافر وقرا محمد بن عبد الملك بن مروان وابنه معويه عدده كذلك الا
انه جعل مكان تا التانيث هاء ضمير عايد على الخروج واختلف في تخريجها
فقيل اصلها كقراءة الجمهور بتا التانيث ولكنهم لم يحذفوها للاضافة كالتنوين
وجعل الفراء من ذلك قوله تعالى واقاموا الصلاة ومنه قوله زهير

ان الخليط اجدوا البين فانجردوا واخلفوك عد الامر الذي وعدوا

يريد عدة الامر وقال صاحب اللوامح لما اضاف جعل الكناية تايبه عن التا
فاسقطها وذلك لان العدد بغير يا ولا تقدير ها هو البشر الذي يخرج في الوجه
وقال ابو حاتم هو جمع عدة كبر جمع برة ودر جمع درة والوجه فيه عدد ولكن
لا يوافق خط المصحف وقرا زر بن حبيش وعاصم في رواية ابان عدة
بكسر العين مضافة الى الكناية قال ابن عطية هو عندي اسم لما يعد
كالذبح والقتل وقري ايضا عدة بكسر العين وتا التانيث والمراد عدة
من الزاد والسلاح مشتقا من العدد **قوله** ولكن كره الله انبعاثهم
الاستدراك هنا يحتاج الى تامل فلذلك قال الزمخشري فان قلت كيف
موقع حرف الاستدراك قلت لما كان قوله ولو ارادوا الخروج معطيا نفي

قرا العامة

وقد يكون بمعنى ان عدم ابان وهو ان اذا كان بمعنى الشك
ان عدم ابان وهو ان اذا كان بمعنى الشك
فاضمر ان بعد حتى وان الخافضة وان الناصبة على ان الخافض ان تعلق
وحسن اضمار ان بعد حتى لان الخافض اذا تعلق
الاستيذان اي لا يستاذنك هولاء لعدتهم لو اردوا الخروج
مفعول من اجله تقديره لا يستاذنك المومنون في الخروج والقعود

خروجهم واستبعادهم للغزو وقيل بل لكن كره الله كانه قيل ما خرجوا ولكن ثبطوا عن الخروج لكراهة انبعاثهم كما احسن زيد الي ولكن اساء الي انتهى يعني ان ظاهر الاية يقتضي ان ما بعد لكن موافق لما قبلها وقد تقرر فيها انها لا تقع الا بين ضدين او نقيضين او خلافين على خلاف في هذا الاخير فلذلك احتاج ابو حيان للتذكر قال ابو حيان وليست الاية نظير هذا المثال يعني ما احسن زيد الي ولكن اساء لان المثال واقع فيه لكن بين متفقين من جهة المعنى قال شهاب الدين مراده هم بالنقيضين النفي والاثبات لفظا وان كانا يتلاقيان في المعنى ولا يعد ذلك اتفاقا والانبعاث الانطلاق يقال بعثت البعير فانبعث وبعثته لكذا فانبعث اي نفذ فيه والتثبيط التعويق يقال ثبطت زيدا اي عقته عما يريده من قولهم ناقة ثبطة اي بطيئة السير والمراد بقوله اقعدوا التخلية وهو كناية عن شاطئه ٥ وانهم تشبهوا بالنساء والصبيان والزمنى وذوي الاعذار وليس المراد قعود اكقوله ٥ دع المكارم لا تقصد لبغيتها ٥ واقعد فانك انت الطاعم الكاسي والمعنى انه تعالى كره خروجهم مع الرسول فصرفهم عنه فان قيل خروجهم ٥ مع الرسول اما ان يقال انه كان مفسدة او مصلحة فان كان مفسدة فلم عاتبه ٥ الرسول في اذنه لهم بالقعود وان كان مصلحة فلم قال تعالى انه كره انبعاثهم وخروجهم والجواب ان خروجهم مع الرسول ما كان مصلحة لانه تعالى صرح بعد هذه الاية بذكر المفاسد بقوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا يبغونكم الفتنة فلما كان الاصلح ان لا يخرجوا فلم عاتب الرسول في الاذن فنقول قد حكينا عن ابي مسلم انه قال ليس في قوله لم اذنت لهم انه عليه السلام قد اذن لهم بالقعود بل يحتمل ان يقال انهم استاذنوه في الخروج معه فاذن لهم وعلى هذا سقط السؤال قال ابو مسلم ويدل على صحة ما قلنا ان هذه الاية دلت على ان خروجهم معه كان مفسدة فوجب حمل العتاب على انه عليه السلام اذن لهم في الخروج معه ويؤكد ذلك قوله تعالى فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا وقوله تعالى سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتاخذوها ذرونا نتبعكم فاندفع السؤال على طريق ابي مسلم واما الجواب على طريقة غيره وهو ان نسلم ان العتاب في قوله ٥ لم اذنت لهم انه يوجب انه عليه السلام اذن لهم في القعود فنقول ذلك العتاب ٥ ما كان لاجل ان ذلك القعود كان مفسدة بل لاجل ارادته عليه السلام ٥ بذلك القعود مفسدة وبيانه من وجوه الاول انه عليه السلام اذن لهم قبل اتمام الفحص والاكمال التامل ولهذا قال تعالى لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين والثاني ان التقدير انه عليه السلام ما كان ياذن

لهم

لهم في القعود فهم كانوا يقعدون من تلقاء انفسهم فكان يصير ذلك القعود علامة على نفاقهم فاذا ظهر نفاقهم احترز المسلمون منهم ولم يغتروا بقولهم فلما اذن الرسول في ذلك القعود بقي نفاقهم خفيا وفاتت تلك المصالح والثالث انهم لما استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عصب عليهم وقال اقعدوا مع القاعدين ثم انهم اعتمدوا هذه اللفظة وقالوا قد اذن لنا فقال تعالى لم اذنت لهم لم ذكرت عندهم هذا اللفظ الذي امكنهم ان يتوسلوا به الى غرضهم الرابع ان الذين يقولون ان الاجتهاد غير جايز على الانبياء عليهم السلام قالوا انه انما اذن ٥ بمجرد الاجتهاد وذلك غير جايز لانهم لما تمكنوا من الوحي كان الاقدام على الاجتهاد مع التمكن من الوحي جاريا مجرى الاقدام على الاجتهاد مع حضور النص ~~فلما كان~~ ٥ هذا غير جايز فكذا ذاك ثم قال تعالى وقيل اقعدوا مع القاعدين واختلفوا في قايل هذا القول فقيل هو الشيطان على طريق الوسوسة وقيل قاله بعضهم لبعض وقيل قاله الرسول عليه السلام لما اذن لهم في التخلف فعاتبه الله وقيل القايل هو الله تعالى لانه كره خروجهم لاجل الافساد فامرهم بالقعود عن هذا الخروج المخصوص ثم بين ذلك بقوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا اي في جيشكم او في جمعكم وقيل في بمعنى مع اي معكم **قوله** الا خبالا يجوز وافيه ان يكون استثناء منصلا وهو مفرغ لان يتعدى لاثنين قال الزمخشري المستثنى منه عام مذكور قال الا استثناء من اعم العام الذي هو الشيء وكان استثناء متصلا قان الخبال بعض اعم العام كانه قيل ما زادوكم شيا الا خبالا ويجوز فيه ان يكون ٥ منقطعا والمعنى ما زادوكم قوة ولا شدة ولكن خبالا وهذا مبني على قول من قال انه لم يكن في عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم خبال قال ابو حيان وفيه نظر لانه الخبال في اذا لم يكن في العسكر خبال اصلا فكيف يستثنى شيء لم يكن ولم يتوهم وجوده وتقدم تفسير الخبال في ال عمران قال الكلبي الا شرا ٥ وقال يمان الا مكرا وقيل الا جبنا وقال الضحاك الا عددا وقرا ابن ابي عبله ما زادوكم الا خبالا اي ما زادوكم خروجهم **قوله** ولاوضعوا خلالكم الايضاع الاسراع يقال اوضع البعير اي اسرع في سيره قال امرؤ القيس

٥ اذا ناموضعين لامرعيب ٥ ونسحر بالطعام وبالشراب ٥

وفاكهة احر ٥ ياليتني فيها جذع ٥ احب فيها واضع ٦

ومفعول اوضع محذوف اي اوضعوا ركابهم لان الراكب اسرع من الماشي قال الواحدي قال اكثر اهل اللغة ان الايضاع حمل البعير على العدو ولا تجوز ٥

ان يقال اوضع الرجل اذا سار بنفسه سيرا حثيثا يقال وضع البعير اذا عدا ه
واوضعه الراكب اذا حمله عليه وقال الفراء الوضع للقوم وضعت الناقة واوضع
الراكب وربما قالوا للراكب وضع وقال الاخفش وابو عبيد يجوز ان يقال ه
اوضع الرجل اذا سار بنفسه سيرا حثيثا من غير ان يراد وضع ناقته وروى
ابو عبيد ان النبي صلى الله عليه وسلم افاض من عرفة وعليه السكينة واوضع
في وادي محسر قال الواحدي والاية تشهد لقول الواحدي الاخفش وابي
عبيد والمراد من الاية السعي بينهم بالعداوة والنميمة والخلال جمع خلل
وهو الفرجة بين الشيئين ومنه قوله فتري الودق يخرج من خلاله وقوي
من خلله وهي تخارج مصب القطر ويستعار في المعاني فيقال في هذا
الامر خلل وقرا مجاهد ومحمد بن زيد ولاءوضعوا وهو الاسراع ايضا ه
من قوله تعالى الي نصب يوفضون وقرا ابن الزبير ولا رفضوا بالراء والفا
والضاد المعجمة من رفض اي اسرع ايضا قال حسان ه

ه بزجاجة رفضت بما في جوفها ه رفض القلوص براكب مستعجل ه

وقال ه الرافضات الي منى قانعات ه يقال رفض في مشيته رفضا ورفضانا
فان قيل كيف كتب في المصحف ولا اوضعوا بزيادة الف اجاب الزمخشري
ان الفتحة كانت الفا قبل الخط العربي والخط العربي اخترع قريبا من نزول
القران وقد بقي من ذلك الالف اثر في الطباع فكتبوا صورة الهمزة يعني في
زيادة الف بعد لا وهذا لا يجوز القراة به ومن قرا به متعمدا يكفر **قوله**
يبغونكم في محل نصب على الحال من فاعل اوضعوا اي لاسرعوا فيما بينكم حال
كونهم باغين اي طالبين الفتنة لكم ومعنى الفتنة هنا افتراق الكلمة **قوله**
وفيكم سماعون لهم هذه الجملة يجوز ان تكون حالا من مفعول يبغونكم او من فاعله
ويجاز ذلك لان في الجملة ضميرين بها ويجوز ان تكون مستانفة والمعنى ان فيكم
من يسمع لهم ويصغي لقولهم ويجوز ان يكون المراد وفيكم جواسيس منهم يسمعون
لهم الاخبار منكم فاللام على الاول للتقوية لكون العامل فرعا وفي الثاني للتعليل
اي لاجلهم ثم قال تعالى والله عليم بالظالمين الذين ظلموا انفسهم بكفرهم ونفاقهم
وظلموا غيرهم بسعيهم في الفتنة غيرهم في وجوه الافات **قوله** تعالى لقد
ابتغوا الفتنة من قبل اي طلبوا صد اصحابك عن الدين وردهم الي الكفر
وتخذيل الناس عنك قبل هذا اليوم كفعل عبد الله بن ابي يوم احد حين انصرف
عنك باصحابه وقال ابن جريج هو ان اثني عشر من المنافقين وقفوا على ثنية
الوداع ليلة العقبة ليفتكوا بالنبي صلى الله عليه وسلم **قوله** وقلبوا
لك الامور قرا مسلمة بن محارب وقلبوا مخففا والمراد بتقليب الامر تصريفه

وتدويره

وقيل التدبر والتامل فيه اي اجتهد واني الحيلة والكيد لك يقال للرجل
المتصرف في وجوه الحيل فلان محول قلبت اي يتقلب في وجوه الحيل ثم قال تعالى ه
حتى جاء الحق اي النصر والظفر **قوله** تعالى ومنهم من يقول ايذن لي ولا تفتني
الاية من يقول ايذن كقوله يا صالح ايتنا من انه يجوز تحقيق الهمزة وابدالها الفا
والف الضمة ما قبلها وان كانت منفصلة من كلمة اخرى وهذه الهمزة هي فا الكلمة
وقد كان قبلها همزة وصل سقطت درجا قال ابو جعفر اذا دخلت الواو والفا
على ايذن فتحا وما الف ودال ونون بغير ياء او ثم فالفتحا الف وياء دال ونون
والفرق ان ثم يوقف عليها وتنفصل بخلافهما قال شهاب الدين يعني انه اذا
دخلت واو العطف او فاوه على هذه اللفظة اشتد اتصالها بها فلم يعتد ه
بهمزة الوصل المحذوفة درجا فلم يرسم لها صورة فكتب فايذن وائذن وهذه
الالف هي صورة الهمزة التي هي فا الكلمة واذا دخلت عليها ثم كتبت كذا ثم
ايتوا فاعتدوا بهمزة الوصل فرسموا لها صورة قال شهاب الدين وكان هذا
الحكم الذي ذكره معتمن مختص بهذه اللفظة والا فغيرها مما فاوه همزة تسقط
صورة همزة وصله حظا فكتبت الامر من الاتيان مع ثم هكذا ثم ايتوا وكان
القياس على ثم ايذن ثم ايتوا وفيه نظر وقرا عيسى بن عمر وابن السميفع ه
واسماعيل المكي فيما روي عنه ابن مجاهد ولا تفتني بضم حرف المضارعة
من افتنه رباعيا قال ابو حاتم هي لغة تميم وقيل أفتنه ادخله فيها وقد جمع
الشاعر بين اللغتين فقال

ه لئن فتنتني فهي بالامس افتنت ه سعيدا فامسى قد علي كل مسلم ه

ومتعلق الاذن القعود والتخلف عن الغزو ولا تفتني بخروجي معك اي
لا تهلكني بخروجي معك فان الزمان شديد الحر ولا طاقة لي به وقيل لا
تفتني فاني ان خرجت معك هلك مالي وعيالي وقيل نزلت في جد بن قيس
المنافق وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما تجهز لغزوة تبوك قال له
يا ابا وهب هل لك في جلاد بني الاصفر يعني الروم تتخذ منهم السراري
ووصفاء فقال جد يا رسول الله لقد عرف قومي اني رجل مغرم بالنساء ه
واني اخشى ان رايت بنات الاصفر ان لا اصبر عنهن ايذن لي في القعود
ولا تفتني بهن واعينكم بمالي قال ابن عباس اعتل جد بن قيس وكم يكن ه
علة الا النفاق فاعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم وقال قد اذنت لك
فانزل الله عز وجل ومنهم من يقول ايذن لي الاية **قوله** الا في الفتنة
سقطوا اي في الشرك والاثم وقعوا ابتغاءها بهم وخلافهم امر الله ورسوله وفي
مصحف ابي سقط لان لفظة من موحد اللفظ مجموع المعنى وفيه تنبيه على ان من

وقيل التدبر والتامل فيه اي اجتهد واني الحيلة والكيد لك يقال للرجل المتصرف في وجوه الحيل فلان محول قلبت اي يتقلب في وجوه الحيل ثم قال تعالى ه حتى جاء الحق اي النصر والظفر **قوله** تعالى ومنهم من يقول ايذن لي ولا تفتني الاية من يقول ايذن كقوله يا صالح ايتنا من انه يجوز تحقيق الهمزة وابدالها الفا والف الضمة ما قبلها وان كانت منفصلة من كلمة اخرى وهذه الهمزة هي فا الكلمة وقد كان قبلها همزة وصل سقطت درجا قال ابو جعفر اذا دخلت الواو والفا على ايذن فتحا وما الف ودال ونون بغير ياء او ثم فالفتحا الف وياء دال ونون والفرق ان ثم يوقف عليها وتنفصل بخلافهما قال شهاب الدين يعني انه اذا دخلت واو العطف او فاوه على هذه اللفظة اشتد اتصالها بها فلم يعتد ه بهمزة الوصل المحذوفة درجا فلم يرسم لها صورة فكتب فايذن وائذن وهذه الالف هي صورة الهمزة التي هي فا الكلمة واذا دخلت عليها ثم كتبت كذا ثم ايتوا فاعتدوا بهمزة الوصل فرسموا لها صورة قال شهاب الدين وكان هذا الحكم الذي ذكره معتمن مختص بهذه اللفظة والا فغيرها مما فاوه همزة تسقط صورة همزة وصله حظا فكتبت الامر من الاتيان مع ثم هكذا ثم ايتوا وكان القياس على ثم ايذن ثم ايتوا وفيه نظر وقرا عيسى بن عمر وابن السميفع ه واسماعيل المكي فيما روي عنه ابن مجاهد ولا تفتني بضم حرف المضارعة من افتنه رباعيا قال ابو حاتم هي لغة تميم وقيل أفتنه ادخله فيها وقد جمع الشاعر بين اللغتين فقال

ه لئن فتنتني فهي بالامس افتنت ه سعيدا فامسى قد علي كل مسلم ه

ومتعلق الاذن القعود والتخلف عن الغزو ولا تفتني بخروجي معك اي لا تهلكني بخروجي معك فان الزمان شديد الحر ولا طاقة لي به وقيل لا تفتني فاني ان خرجت معك هلك مالي وعيالي وقيل نزلت في جد بن قيس المنافق وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما تجهز لغزوة تبوك قال له يا ابا وهب هل لك في جلاد بني الاصفر يعني الروم تتخذ منهم السراري ووصفاء فقال جد يا رسول الله لقد عرف قومي اني رجل مغرم بالنساء ه واني اخشى ان رايت بنات الاصفر ان لا اصبر عنهن ايذن لي في القعود ولا تفتني بهن واعينكم بمالي قال ابن عباس اعتل جد بن قيس وكم يكن ه علة الا النفاق فاعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم وقال قد اذنت لك فانزل الله عز وجل ومنهم من يقول ايذن لي الاية **قوله** الا في الفتنة سقطوا اي في الشرك والاثم وقعوا ابتغاءها بهم وخلافهم امر الله ورسوله وفي مصحف ابي سقط لان لفظة من موحد اللفظ مجموع المعنى وفيه تنبيه على ان من

اي ايذن لي في القعود منهم

عصى الله لغرض فانه تعالى يبطل عليه ذلك الغرض لان القوم لما اختاروا القعود
م ليلا يقعوا في الفتنة بين الله تعالى انهم واقعون ساقطون في عين الفتنة ۵
ثم قال وان جهنم لمحيطة بالكافرين مطيفة بهم **قوله** ان تصبك حسنة نصر
وغنيمة تسؤهم تحزنهم يعني المنافقين وان تصبك مصيبة نكبة وشدة ۵
وهزيمة يفرحوا ويتولوا قد اخذنا امرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون مسرورون ونقل عن ابن عباس ان الحسنة
في يوم بدر والمصيبة في يوم احد فان ثبت ان المراد هذا لم يحتج وجب المصير
اليه والا فالواجب حمله على كل حسنة وعلى كل مصيبة **قوله** قل لن يصيبنا
قال عمر بن سلمة شقيق سمعت اعين قاضي الري يقرأ لن يصيبنا بالتشديد
بتشديد النون قال ابو حاتم ولا يجوز ذلك لان النون لا تدخل مع لن في ولو
كانت لطلحة بن مصرف لجاز لانها مع هل قال الله تعالى هل يذهبن كيده ما يغيظ
يعني ابو حاتم ان المضارع يجوز توكيده بعد اداة الاستفهام دون مضروف
يقرأ هل يذ لن وهي قراءة ابن مسعود وقد اعتذر عن هذه القراءة بانها ۵
حملت لن على لم ولا النافيتين ولم ولا يجوز توكيد الفعل المنفي بعد ما اما
لا فقد تقدم تحقيق الكلام عليها في الانفال وامالم فقد سمع ذلك وانشدوا

۵ يحسبه الجاهل ما لم يعلما ۵ شيخا على كرسيه معمما ۵

اراد بعلمن فابدل الحنفية الفا بعد فتحة كالتنوين وقرأ القاضي ايضا وطلحة
هل يصيبنا بتشديد الياء قال الزمخشري ووجهه ان يكون تفعل
لا تفعل لانه من ذوات الواو كقولهم الصواب وصاب يصوب ومصاب ۵
في جمع مصيبة فحق تفعل منه تصوب الا ترى الى قولهم صوب رأيه الا ان
يكون من لغة من يقول صاب السهم يصيب كقوله ۵ اسهمي الصابات والصبيب
يعني اصله تصوب فاجتمعت الواو والياء وسبقت احداهما بالسكون ۵
فقلبت الواو ياء وادغمت فيها وهذا كما تقدم في تحير ان اصله تحيور واما
اذا اهدناه من لغة من يقول صاب السهم يصيب فهو من ذوات الياء ۵
فورنه على هذه اللغة تفعل **فصل** المعنى قل لهم يا محمد لن يصيبنا
الا ما كتب الله لنا اي علينا وقدره في اللوح المحفوظ او يكون المعنى لن ۵
يصيبنا الا ما كتب الله لنا اي في عافية امرنا من الظفر بالعدو والاستيلا
عليهم وقال الزجاج المعنى انا اذا صرنا مقلوبين صرنا مستحقين للاجر
العظيم والثواب الكبير وان صرنا غالبين صرنا مستحقين للثواب في الاجر
وفزنا بالمال الكثير والثناء الجميل في الدنيا والصحيح الاول ثم قال هو
مولانا فاصرنا وحافظنا وقال الكلبي هو اولي بنا من انفسنا في الحياة والموت

بلغ مقابلة

وعلى الله

وعلى الله فليتوكل المومنون وهذا كالتنبيه على ان حال المنافقين بالضد من ذلك وانهم
لا يتوكلون الا على الاسباب الدنيوية الفانية **قوله** تعالى قل هل تربصون
بنا الا احدى الحسنيين الاية هذا الجواب الثاني عن فرح المنافقين عصابا المومنين
اي هل تتربصون تنتظرون بنا ايها المنافقون الا احدى الحسنيين اما النصر ۵
والغنيمة فيحصل لنا الفوز بالاموال في الدنيا والنصر والثواب العظيم في الاخرة
قوله الا احدى الحسنيين مفعول التربص وهو استثناء مفرغ وقرأ ابن محيصن
الا احدي بوصل الف احدي اجرا الهمزة القطع مجرى همزة الوصل وهو كقول الشاعر
۵ انلم اقاتل لبسوني بوقعا ۵ وقول الاخر ۵
۵ يا ابا المغيرة رب امر معضل ۵ فرجته بالمكر مني والدها ۵
قوله ونحن نتربص بكم احدي السوءيين اما ان يصيبكم الله بعذاب من عنده ۵
فيهلككم كما اهلك الامم الخالية او بايدينا اي بايدي المومنين ان اظهرهم ما في
قلوبكم من النفاق فيقع بكم القتل والذهب مع الخزي والذل ومفعول التربص
ان يصيبكم ثم قال فتربصوا اي احدي الحالتين الشريفتين انا معكم متربصون
اي مواعيد الله من اظهار دينه واستيصال من خالفه فتربصوا وان كان
صيغة الامر الا ان المراد هنا التهديد كقوله ذق انك انت العزيز الكريم ۵
قوله تعالى قل انفقوا طوعا او كرها الاية طوعا او كرها معذران في
موضع الحال اي طايعين او كارهين وقرأ الاخوان كرها بالضم وقد تقدم ۵
تحقيق ذلك في النساء وقال ابو حيان هنا قرأ الاعمش وابن وثاب كرها بضم الكاف
وهذا يوهم انها لم تقرأ في السبعة قال الزمخشري وهو امر معنى الخبر كقوله
فليمدد له الرحمن مدا ومعناه لن يتقبل منكم انفقتم طوعا او كرها وكقوله
تعالى استغفر لهم او لا تستغفر لهم الاية وقوله كثر عزه ۵
۵ اسقي بنا او احسني لا ملومة ۵ اي لن يغفر الله لهم استغفرت ام لم تستغفر
ولا تلومنك احسنت الينا او اساءت وفي معناه قول القائل ۵
۵ احوك الذي ان قمت بالسيف عامدا ۵ بنصرته لم يستغشك في الود ۵
وقال ابن عطية هذا امر في صيغة خبر وهذا مستمر في كل امر معه خبر والتقدير
ان تنفقوا لن يتقبل منكم وامالم اذا عري الامر من الجواب فليس بصحيح بتضمن الشرط
قال ابو حيان ويقدح في هذا التخريج ان الامر اذا كان فيه معنى الشرط كان
الجواب لجواب الشرط فعلى هذا يقتضي ان يكون التركيب فلن يتقبل بالفا لان لن
لا تقع جوابا للشرط الا بالفا وكذلك ما ضمن معناه الا ترى جزمة الجواب في نحو
ائتني اكرمك اي ان تاتني اكرمك قال شهاب الدين انما اراد ابو محمد تفسير المعنى والا فلا
يحمل مثل هذه الواضحات وايضا فلا يلزم ان يعطي الامر التقديري حكم الشيء الظاهر

وقال الشيخ وجيه الدين المقرئ

من كل وجه وقوله انكم وما بعده جار مجرى التعليل فقوله لن يتقبل منكم محتمل ان يكون
المراد انها لا تصير مقبولة عند الله ان الرسول عليه السلام لا يتقبل تلك الاموال
منهم ويحتمل ان يكون المراد انها لا تصير مقبولة عند الله تعالى قيل نزلت في جد
بن قيس حين استاذن في القعود وقال اعينكم بمالي والمراد بالفسق هنا الكفر
لقوله بعده وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا **قوله** وما منعهم
ان تقبل منهم نفقاتهم الاية ان تقبل فيه وجهان احدهما انه معطوف على ثان لمنع اما
على تقدير واسقاط حرف الجر اي من ان تقبل فيه وجهان احدهما انه معطوف على ثان
منع اما على تقدير واما الوصول الفعل اليه بنفسه لانك تقول منعتك زيدا
حقه ومن حقه والثاني انه بدل من هم في منعهم قاله ابو البقاء كانه يريد بدل
الاشتمال ولا حاجة اليه وفي فاعل منع وجهان اظهرهما انه الا انهم كفروا
اي ما منعهم قبول نفقتهم الا كفرهم والثاني انه ضمير الله تعالى اي وما منعهم
الله ويكون الا انهم منصوب على اسقاط حرف الجر اي لانهم كفروا وقرا الاخوان
يقبل بالياء من تحت والباقون بالتاء من فوق وهما واضحان لان التانيث
مجازي وقرا زيد بن علي كالاخوين الا انه افرد النفقة وقرا الاعمش تقبل بالتا
من فوق نفقتهم بالافراد وقرا السلمي تقبل مبنيا للفاعل وهو الله تعالى
وقرئ تقتل بنون العظمة نفقتهم بالافراد **فصل** ظاهر اللفظ يدل على
ان منع القبول معلل بمجموع الامور الثلاثة وهي الكفر بالله ورسوله وانيانهم
الصلاة وهم كسالى والانفاق على سبيل الكراهة ويقابل ان يقول
الكفر بالله سبب مستقل بالمنع من القبول فلا يبقى لغير ما ثر فكيف يمكن اسناد
الحكم الى السببين المتباينين وجوابه ان هذا الاشكال انما يتوجه على قول
المعتزلة حيث قالوا ان الكفر لكونه كفرا موثر في هذا الحكم واما عند اهل
السنة فان سائر الافعال لا توجب ثوابا ولا عقابا وانما هي معرفات
واجتماع المعرفات الكثيرة على الشيء الواحد جايز **فصل** دلت الاية
على ان شيئا من اعمال البر لا يقبل مع الكفر بالله تعالى فان قيل كيف
الجمع بينه وبين قوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره فالجواب ان نصرف ذلك
الى تاثيره في تخفيف العقاب ودلت الاية على ان الصلاة تجب على الكافر لانه تعالى
ذم الكافر على ترك الصلاة على وجه التكسل قال الزمخشري كسالى بالضم
والفتح جمع كسلان نحو سكاري قال المفسرون معنى هذا الكسل انه ان كان
في جماعة صلى وان كان وحده لم يصل وقوله ولا ينفقون الا وهم كارهون
اي لا ينفقون لغرض الطاعة بل رعاية للمصلحة الظاهرة **قوله** فلا
تعجبك اموالهم الاية لما قطع في الاية الاولى رجاء المنافقين عن جميع منافعه

الاخرة بين هنا ان الاشياء التي يطلبونها من منافع الدنيا كانه تعالى جعلها
اسبابا لتعذيبهم في الدنيا والانخداع هو السرور بالشيء مع نوع من الاغترار
به ومع اعتقاد انه ليس لغيره ما يساويه **قوله** في الحياة الدنيا فيه
وجهان احدهما انه متعلق بتعجبك وليكون قوله انما يريد الله ليعذبهم بها
جملة اعتراض والتقدير فلا تعجبك في الحياة ويجوز ان يكون الجار حالا من
اموالهم والى هذا ذهب ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي وابن قتيبة
قالوا في الكلام تقديم وتاخير والمعنى فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم في
الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها في الاخرة قال ابو حيان الاان
تقييد الاعجاب بالنهي عنه الذي يكون ناشيا عن اموالهم واولادهم من العلم
انه لا يكون الا في الحياة الدنيا فيبقى ذلك كانه زيادة تاكيد كما ان
التعذيب فانه قد يكون في الدنيا كما يكون في الاخرة ومع ان التقديم
والتاخير يخصه اصحابنا بالضرورة قال شهاب الدين كيف يقال مع نص
من قدمت ذكرهم اصحابنا يخصون ذلك بالضرورة على انه ليس من
التقديم والتاخير الذي يكون في الضرورة في شيء انما هو اعتراض والاعتراض
لا يقال فيه تقدم وتاخير بالاصطلاح الذي يخص بالضرورة وسميتهم
اعني ابن عباس ومن معه رضي الله عنهم انما يريد ون به الاعتراض المشار
اليه لا ما خصه اهل الصناعة بالضرورة والثاني في الحياة متعلق بالتعذيب
والمراد بالتعذيب الدنيوي مصايب الدنيا ورزاياها وما الزمهم من الكلف
الشاقة فانهم لا يرجون عليها ثوابا قاله ابن زيد او ما فرض عليهم من الزكوات قاله
الحسن وعلى هذا فالضمير في بها يعود على الاموال فقط وعلى الاول يعود على
الاولاد والاموال فان قيل اي تعذيب في المال والولد وهما من جملة النعم
فالجواب على القول بالتقدم والتاخير فالسؤال زايل وعلى الثاني المصاب
الواقعة في المال والولد وقيل لا بد من تقدير حذف بان يقال اراد بالتعذيب
بهما من حيث كانا سببا للعذاب اما في الدنيا فان من احب شيئا كان تاله على
قراقه شديدا وايضا يحتاج الى في تحصيلها الى تعب شديد ومشاق عظيمة
ثم في حفظها كذلك واما في الاخرة فالاموال الحلال لها حساب وحرامها عذاب فان قيل
هذا المعنى حاصل للكل فما فايدة تخصيص المنافقين فالجواب ان المنافق
لا يومن بالله ولا باليوم الاخر فلا ينفق ماله في سبيل الله لانه يراه ضياعا لا يرجو
ثوابه واما المومن فينفق ماله طيبة به نفسه يرجو الثواب في الاخرة
والمنافق لا يجاهد في سبيل الله خوفا من ان يقتل والمومن يجاهد يرجو ثواب
الاخرة ثم قال وتزهق انفسهم وهم كافرون اي تخرج انفسهم وهم كارهون اي يموتون

على الكفر **قوله** ويحلفون بالله انهم لمنكم على دينكم وما هم منكم اي ليسوا على دينكم ولكنهم قوم يفرقون اي يظهر وا ما هم عليه فيقتلوا **قوله** لو يجدون ملجأ او مغارات الملجأ الحصن وقال عطا المهرب وقتل الحوز وهو مفعل من لجأ اليه يلجأ اي اجار يقال لجأته الي كذا اي اضطررته اليه فالتجأ والملجأ يصلح للمصدر والزمان والمكان والظاهر منها هنا المكان والمغارات جمع مغارة وهي مفعله وهي الموضع الذي يغور الانسان فيه اي يستتر قال ابو عبيد كل شيء جزت فيه فقد غرت فهي مغارة لك ومنه غار الماء في الارض وغارت العين من غار يغور وهي كالغار في المعنى وقيل المغارة السرب في الارض كنفق اليربوع والغار الثقب في الجبل والجمهور على فتح ميم مغارات وقرا عبد الرحمن بن عوف مُغارات بالضم وهو من اغار وأغار يكون لازما تقول العرب اغار بمعنى غار اي دخل ويكون متعديا اغرت زيدا اي ادخلته في الغار فعلى هذا يكون من اغار المتعدي والمفعول محذوف اي اماكن يغيبون فيها انفسهم اي يغيبونها والمدخل مفتعل من الدخول وهو ايضا مبالغة في هذا المعنى والاصل مدتخل فادغمت الدال في التاء كما ادّان من الدين وقرا قتادة وعيسى بن عمر والاعمش مدخلا نحو مندرين من ندر وقرا الحسن ايضا ومسيكة بن محاوب وابن ابي اسحاق وابن محيصن وابن كثير في رواية مدخلا بفتح الميم وسكون الدال وفتح الخاء خفيفة من دخل وقرا الحسن في رواية محبوب كذلك الا انه ضم الميم فجعله من ادخل وهذا من ابدع النظم ذكر اولا الامر الاعم وهو الملجأ من اي نوع كان ثم ذكر الغيران التي تختفي عينها في اعلا الاماكن وهي الجبال ثم الاماكن التي تختفي فيها في الاماكن السافلة وهي السروب وهي التي عبر عنها بالمدخل وقال الزجاج يصح ان تكون المغارات من قولهم حبل مغار اي محكم الفتل ثم يستعاد ذلك في الامر المحكم المبرم فيجيء التاويل على هذا الوجود بقوة او امورا مسددة مرتبطة تعصمهم منكم وجعل المدخل ايضا قوما يدخلون في جملتهم وقرا ابي مندخلا بالنون بعد الميم من اندخل قال ٥ ولا يدي في حمير حيث السمن مندخل ٥ وانكر ابو حاتم هذه القراءة عنه وقال انما هي بالتا وهو معذور لان الفعل ٥ قاصر لا يتعدى فكيف يبنى منه اسم مفعول وقرا الاشهب العقيلي لوالوا اي لتابعوا واسرعوا وكذلك رواها ابن ابي عبيدة بن معويه بن نوفل عن ابيه عن جده وكانت له صحبة من الموالاة وهذا ما جاء فيه فعل وفاعل بمعنى نحو ضعفته وضاعفته قال سعيد بن مسلم اظنها لوالوا

بهمزة مفتوحة بعد الواو من وأل اي التجا وهذه القراءة نقلها الزمخشري عن ابي وفسرها بما تقدم من الالتجا والجموح النفور باسراع ومنه فرس جموح اذا لم يرده لجام قال ٥ [illegible] ٥ [illegible]

٥ سموحا حموحا واحضارها ٥ لعمة السعف الموقد ٥ وقال اخر

٥ وقد حمحت جماحا في دمايهم ٥ حتى رايت ذوي احسابهم جهزوا ٥

وقرا انس بن مالك والاعمش يجمزون قال ابن عطية يهرولون في مشيهم وقيل يجمزون ويحمحون ويشتدون معنى وفي الحديث فلما اذلقته الحجارة جمز وقال [illegible] ربه

٥ اما ترى بني اليوم امر حمزى ٥ قاربت بين عنقي وجمزى ٥

ومنه لعدوا الجمزي وهو ان يجمع رجليه معا ويهمز بنفسه هذا اصله في اللغة وقوله اليه عاد الضمير على الملجا او على المدخل لان العطف بـ او يوجب ان يعود على المغارات لنا ويليها بمذكر ومعنى الاية انهم لو يجدون ملجا ٥ منكم او مهربا لفارقوكم **قوله** تعالى ومنهم من يلمزك في الصدقات الاية قرا العامة يلمزك بكسر الميم من لمزه يلمزه اي عابه واصله الاشارة بالعين قال الازهري اصله الدفع لمزته دفعته وقال الليث هو ٥ العز في الوجه ومنه همزة لمزة اي كثير هذين الفعلين وقال ابو بكر الاصم الهمز ان يشير الى صاحبه بعيب جليسه والهمز ان يكسر عينه على جليسه الى صاحبه وقرا يعقوب وحماد بن سلمة عن ابن كثير والحسن وابو رجاء وروبت عن ابي عمرو بضمها وهما لغتان في المضارع وقرا الاعمش يلمزك ٥ من المكرز ثلاثيا وروي حماد بن سلمة يلامزك على المفاعلة من واحد كساقوه وعاقب **فصل** هذا شرح نوع اخر من قبايح افعالهم وهو طعنهم في الرسول بسبب احد الصدقات نزلت في ذي الخويصرة التميمي واسمه حرقوص بن زهير اصل الخوارج قال ابو سعيد الخدري بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم مالا اذ جاءه ذو الخويصرة التميمي فقال يا رسول الله اعدل فقال ويلك فمن يعدل اذا لم اعدل فنزلت هذه الاية وقال الكلبي قال ٥ رجل من المنافقين يقال له ابو الخراط لرسول الله تزعم بان الله امرك بان تضع الصدقات في الفقرا والمساكين فلم تضعها في رعاة الشاء فقال رسول الله لا ابالك اما كان موسى راعيا اما كان داود راعيا فانزل الله تعالى هذه الاية فلما ذهب قال عليه السلام احذروا هذا واصحابه فانهم منا وروي ابو بكر الاصم في تفسيره انه عليه السلام قال لرجل من اصحابه ٥ ما علمك بفلان فقال ما علمت به علم الا انك تدنيه في المجلس وتجزل له العطا

الاية وقال الصر

فتون

فقال عليه السلام انه منافق اداريه عن نفاقه واخاف ان يفسد علي غيره ٥
فقال لو اعطيت فلانا بعض ما تعطيه فقال عليه السلام انه مؤمن اكله الى
ايمانه واما هذا فمنافق اداريه خوف فساده قال ابن عباس يلزمك بغتابك ٥
وقال قتاده يطعن عليك وقال الكلبي يعيبك في امرها قال ابو علي الفارسي
ههنا محذوف والتقدير يعيبك في تفريق الصدقات فان اعطوا كثيرا ٥
فرحوا وان اعطوا قليلا اذا هم يسخطون وقد تقدم الكلام على اذا الفجائية
والعامل فيها قال ابو البقاء يسخطون لانه قال انها ظرف مكان وفيه نظر ٥
يقدر في نظير قوله ولو انهم رضوا الظاهر ان جواب لو محذوف ٥
تقديره لكان خيرا لهم وقيل جوابها وقالوا والواو مزيدة وهذا مذهب ٥
الكوفيين والمعنى ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله اي فتغوا ما قسم ٥
لهم وقالوا حسبنا الله كافينا الله سيوتينا الله من فضله ورسوله ما نحتاج
اليه انا الى الله راغبون هاتان الجملتان كالشرح لقولهم حسبنا الله فلذلك
لم يتبعا بالواو قوله تعالى انما الصدقات للفقراء والمساكين الاية اعلم ان المنافقين لما لمزوا الرسول
عليه السلام في الصدقات بين لهم ان مصرف الصدقات هو لا ولا تعلق ٥
لي بها ولا اخذ لنفسي نصيبا منها وذكر العلماء في الحكمة في وجوب الزكاة ٥
امورا منها قالوا شكر النعمة عبارة عن صرفها الى مرضاة المنعم والزكاة
شكر النعمة فوجب القول بوجوبها لان شكر المنعم واجب ومنها ان الحب الزكاة
يوجب حصول الالف والمودة وزوال الحقد والحسد بين المسلمين وهذه
وجوه معتبرة في الحكمة المناسبة لوجوب الزكاة ومنها ان الفاضل
عن الحاجات الاصلية اذا امسكه الانسان عطله عن المقصود الذي لاجله
خلق المال وذلك سعي في المنع من ظهور حكمة الله تعالى وهو غير جائز فامر
الله بصرف طائفة منه الى الفقير حتى لا تتعطل تلك الحكمة ومنها ان الفقراء
عيال الله لقوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها والاغنياء
خزان الله لان الاموال التي في ايديهم لله تعالى ولولا ان الله تعالى ٥
القاها في ايديهم والا لما ملكوا منها حبة واحدة ومنها ان المال بالكلية
في يد الغني مع انه غير محتاج اليه واهمال حاجات الفقير العاجز عن الكسب
بالكلية لا يليق بحكمة الرحيم فوجب ان يجب على الغني صرف طائفة من ذلك
المال الى الفقير ومنها ان الاغنياء لو لم يقوموا بمهمات الفقراء لحلهم شدة
الحاجة ومضرة المسكنة على الالتحاق باعداء المسلمين او على الاقدام على
الافعال المنكرة كالسرقة وغيرها فايجاب الزكاة تقييد هذه الفايدة فوجب

القول

العقول بوجوبها وقبل غير ذلك فصل صيغة انما للحصر فدلت على انه ٥
لا حق في الصدقات لاحد غير هولاء في الصدقات الاصناف الثمانية ٥
وذلك مجمع عليه ويدل على ان كلمة انما للحصر لانها مركبة من ان وما وان
للاثبات وما للنفي فاجتماعها يوجب نفيا وبما على ذلك المفهوم ولذلك
تمسك ابن عباس رضي الله عنه في نفي ربا الفضل بقوله عليه السلام انما الربا في النسيئة
وتمسك بعض الصحابة في ان الاكساد لا يوجب الاعتساد بقوله عليه
السلام انما الماء من الماء ولولا افادتها الحصر لما كان كذلك وقال الله تعالى
انما الله اله واحد فدلت على نفي الالهية الغير وقال الاعشى ٥
ولست بالاكثر منهم حصى ٥ وانما العزة للكاثر ٥ ٥
وقال الفرزدق ٥
انا الزائد الحامي الذمار وانما ٥ يدافع عن احسابهم انا او مثلي
فدلت هذه الوجوه على ان كلمة انما للحصر وروي ان زياد بن الحارث الصدائي
قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعته فاتاه رجل فقال
اعطني من الصدقة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يرض
بحكم نبي ولا غيره في الصدقات حتى حكم فيها هو فجزاها ثمانية اجزاء فان كنت
من تلك الاجزاء اعطيتك حقك فصل مذهب ابي حنيفة انه يجوز صرف
الصدقة الى بعض الاصناف وهو قول عمر وحذيفة وسعيد بن جبير وابي
العالية والنخعي قال سعيد بن جبير لو نظرت الى اهل بيت من المسلمين
فقراء متعففين فجزأتهم لهم كان احب الي وقال الشافعي لابد من صرفها
الى الاصناف الثمانية وقال عكرمة والزهري وعمر بن عبد العزيز ٥
واحتج بظاهر الاية قال ولابد في كل صنف من ثلاثة فان دفع سهم الفقراء
قال ولابد من التسوية في انصباء هذه الاصناف مثاله لو وجد ٥
خمسة اصناف ولزمه ان يتصدق بعشرة دراهم لزمه ان يجعل العشرة
خمسة اسهم واختلفوا في صنفة الفقير والمسكين فقال ابن عباس والحسن
ومجاهد وعكرمة والزهري الفقير الذي لا يسال والمسكين السائل قال
ابن عمر ليس بفقير من جمع الدرهم الى الدرهم والتمرة الى التمرة ولكن من اتى
بنفسه وشابه لا يقدر على شيء يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف وقال ٥
قتادة الفقير المحتاج الزمن والمسكين الصحيح المحتاج وروي عن
عكرمة الفقراء من المسلمين والمساكين من اهل الكتاب وقال الشافعي رضي الله
عنه الفقير من لا مال له ولا حرفة تقع منه موقعا من مناكان او غيره زمن
والمسكين من له مال او حرفة لا تغنيه سايلا كان او غير سايل واستدل بقوله

هوم
الفقير من ينسب الى السؤال
وهو ذلك سهم الفقراء
من الصدقات والمساكين

اما السعية فكانت لمساكين فاثبت لهم ملكا وكان عليه السلام يتعوذ من الفقر
وقال كاد الفقر ان يكون كفرا وكان يقول اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا
وكيف كان يتعوذ من الفقر ويسأل ما هو دونه هذا تناقض وقال اصحابنا ه
الرأي الفقير احسن حالا من المسكين وقيل الفقير من له المسكن والخادم ه
والمسكين من لا ملك له وقالوا كل محتاج الى شيء فهو فقير اليه وان كان
غنيا عن غيره قال تعالى انتم الفقراء الى الله والمسكين المحتاج الى كل
شيء الا ترى كيف حض على طعامه وجعل طعام الكفارة له ولا فاقة اشد من
الحاجة الى سد الجوعة وقال ابراهيم النخعي الفقراء المهاجرون والمساكين
من لم يهاجر وقيل لا فرق بين الفقراء والمساكين فالله تعالى وصفهم بهذين
الوصفين والمقصود شيء واحد وهو قول ابي يوسف ومحمد وفائدة الخلاف
تظهر في مسئلة وهو انه لو اوصى لفلان وللفقراء والمساكين فالذي قالوا
الفقراء غير المساكين قالوا لفلان الثلث والذين قالوا الفقراء هم ه
المساكين قالوا لفلان النصف واختلفوا في حد الغنى الذي يمنع الله اخذ
اخذ الصدقة فقال الاكثرون حده ان يكون عنده ما يكفيه وعياله سنة
وبهذا قول مالك والشافعي وقال اصحابنا الرأي حده ان يملك مائتي درهم
وقيل من ملك خمسين درهما لا يحل له اخذ الصدقة لما روي في النبي صلى الله
عليه وسلم قال من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيمة ومسئلته
في وجهه خموشا وخدوش قيل وما يغنيه قال خمسون درهما او قيمتها من
الذهب وهو قول الثوري وابن المبارك واحمد واسحاق وقالوا لا يجوز ان
يعطى الرجل من الزكاة اكثر من خمسين وقيل اربعون درهما لقول النبي
صلى الله عليه وسلم من سأل وله اوقيه او عدلها فقد سأل الناس الحافا
قوله والعاملين عليها وهم السعاة لجباية الصدقات يعطون
بقدر اجور اعمالهم وقال مجاهد والضحاك يعطون الثمن ولا يجوز ان يكون
العامل على الصدقة هاشميا ولا مطلبيا لان الرسول عليه السلام لما
ان بعث ابا رافع عاملا على الصدقات وقال اما علمت ان مولى القوم منهم
قوله والمؤلفة قلوبهم قال ابن عباس هم قوم اشراف من الاحياء
اعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وكانوا خمسة عشر رجلا
ابو سفيان ه والاقرع بن حابس ه وعيينة بن حصن ه وحويطب بن العزا
وسهيل بن عمرو من بني عامر ه والحرث بن هشام ه وسهل بن عمرو الجمحي
وابو السنابك ه وحكيم بن حزام ه ومالك بن عوف ه وصفوان بن امية
وعبد الرحمن بن يربوع ه وجد بن قيس وعمرو بن مرداس ه والعلاء بن الحرث

اعطى

اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم كل رجل منهم مائة من الابل ورغبهم في الاسلام
الا عبد الرحمن بن يربوع اعطاه خمسين من الابل واعطى حكيم بن حزام مائتين من
الابل فقال يا رسول الله ما كنت اري احدا من الناس احق بعطائك مني فزاده
عشرة ثم سأله فزاده عشرة وهكذا حتى بلغ مائة ثم قال حكيم يا رسول
الله اعطيتك الاولى التي رغبت عنها خير ام هذه التي رضيت قنعت بها ه
فقال عليه السلام بل التي رغبت عنها فقال والله لا اخذ غيرها فقبل
ذلك حكيم وهو اكثر قريش مالا وشق على رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك
العطايا لكن تألفهم بذلك بذلك قال ابن الخطيب وهذه العطايا انما كانت
يوم حنين ولا تعلق لها بالصدقات ولا ادري لاي سبب ذكر ابن عباس
هذه القصة في تفسير هذه الاية وانما ذكر ابن عباس ذلك بيانا للمؤلفة
من هم وقد ذكرنا ذلك مثالا واعلم ان المؤلفة قسمان مسلمون وكفار ه
فاما المسلمون فيعطون لاجل قوة ايمانهم او معونتهم على اخذ الزكاة ممن
امتنع عن دفعها او ترغيبا لامثالهم في الاسلام واما الكفار فيعطون
ترغيبا لهم في الاسلام او خشية من شرهم كما اعطى النبي صلى الله عليه وسلم
صفوان بن امية لما يروي من ميله في الاسلام قال الواحدي ان الله تعالى ه
اعنى المسلمين عن تالف قلوب المشركين فان راي الامام في ذلك مصلحة
يعود نفعها على المسلمين اذا كانوا مسلمين حاز ويعطون من الغنى لا من الزكاة وقال
جماعة من اهل العلم ان المؤلفة منقطعة وسهمهم ساقط روي ذلك عن عمر وهو ه
قول الشعبي وبه قال الثوري وجماعة واصحاب الراي واسحاق بن راهويه ه
قال فقر سهمهم ثابت يروي ذلك عن الحسن وهو قول الزهري وابي جعفر محمد بن علي
وابي ثور وقال احمد يعطون ان احتاج المسلمون الى ذلك **قوله** وفي الرقاب
قال الزجاج فيه محذوف والمعنى سرف في فك الرقاب وقد تقدم الكلام في يسر
الرقاب اقوال احدها انهم المكاتبون يعتقوا من الزكاة وقال مالك وعشرة ه
انه لعتق الرقاب يشتري به عبيد فيعتقون وقال ابو حنيفة واصحابه
لا يعتق من الزكاة رقبة كاملة ولكن يعطى منها في رقبته ويعان بها مكاتب ه
لان قوله وفي الرقاب يقتضي ان يكون له فيه مدخل وذلك بيان في كونه تاما ه
فيه وقال الزهري سهم الرقاب نصفان نصف للمكاتبين المسلمين ونصف
يشتري به رقاب ممن صلوا وصاموا قال بعض العلماء والاحتياط في سهم الرقاب
دفعة الى السيد باذن المكاتب لانه تعالى اثبت الصدقات للاصناف الاربعة
المتقدم ذكرهم بلام التمليك بقوله انما الصدقات للفقراء ولما ذكر الرقاب ه
ابدل حرف اللام بحرف في فقال وفي الرقاب فلابد لهذا الفرق من فائدة

مالك وهو

في قوله وفي الرقاب تم في تفسير
وفي الرقاب تم
الرقاب ه

بعة

وهي ان الاصناف الاربعه يدفع نصيبهم في المصالح المتعلقه بهم لانهم قال الزمخشري
فان قلت لم عدل عن اللام التي في الاربعه الاخيره قلت للايذان بانهم ارسخ في ٥
استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره لان في للوعاء فنبه على انهم اخصاء بان توضع
فيهم الصدقات وتجعل مظنة لها ومصبا لها قال وتكرير في في قوله وفي سبيل
الله وبن السبيل فيه فصل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين **قوله**
والغارمين قال الزجاج اصل الغرم في اللغه لزوم ما يشق والتزام العذاب الكثير
اللازم وسمي العشق غراما لكونه شاقا على الانسان ولازما له ومنه قولهم
معذب بالنساء اذا كان مولعا بهن وسمي الدين غراما لكونه شاقا والمراد ٥
بالغارمين المديونون قال الدين ان حصل بسبب معصية لا يدخل في الاية
لان المقصود من صرف المال اليه الاعانه والمعصية لا تستوجب الاعانه
وان حصل لا بسبب معصية فهو ضمان دين حصل بسبب نفقات ضروريه
او في مصلحة ودين حصل بسبب حالات واصلاح ذات بين والكل داخل ٥
في الايه روي الاصم في تفسيره ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قضى في الغرة
في الجنين قالت العاقلة لا نملك الغرة يا رسول الله فقال الحمالين ما لك بن
النابغه اعنهم بغرة من صدقاتهم وكان حمل على الصدقه يوميذ **قوله**
وفي سبيل الله قال المفسرون يعني الغزاة قال اكثر العلماء يجوز له ان ياخذ
من الزكاة وان كان غنيا وقال ابو حنيفه وصاحباه لا يعطي الغازي الا مع
الحاجه ونقل القفال في تفسيره عن بعض الفقها انهم اجازوا صرف الصدقا
الى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى وبنا الحصون وعمارة المساجد لان قوله
في سبيل الله عام في الكل وقال اكثر اهل العلم لا يعطى منه شي في الحج وقالوا يجوز
ان يصرف سهم سبيل الله الى الحج يروى ذلك عن بن عباس وهو قول الحسن
واحمد واسحاق **قوله** وبن السبيل وهو كل من يريد سفرا مباحا ٥
ولم يكن له ما يتطع به المسافه يعطى له قدر ما يتطع به تلك المسافه وان كان
له يسار في بلده وقال قتاده بن السبيل هو الضيف وقال فقها العراق
بن السبيل الحاج المنقطع واعلم ان مال الزكاة لا يخرج عن هذه الثمانيه
واختلفوا هل يجوز وضعه في بعض الاصناف كما سبق او لا يجوز واذا قلنا يجوز
وضعه في بعض الاصناف فانما يجوز له في غير العامل فاما وضعه بالكليه في
العامل فلا يجوز بالاتفاق فان **فصل** في الحكمه في انه تعالى ذكر الاصناف
الستة وهم الفقرا والمساكين والعاملون والمولفه والرقاب والغارمون
بصيغة الجمع وذكر الصنفين الاخيرين وهما في سبيل الله وبن السبيل بصيغة
الافراد فالجواب ان المراد بهما الجنس وهو جمع حقيقه ولا يقال فهلا اذكر الاصنا

الستة

استه بصيغة الافراد ويكون المراد الجنس كهذين لانا نقول لو اورد في الجميع لاحتملوا
اما ان يعود هو معرفين بالالف واللام او منكرين فان عرفهم بالالف واللام
احتمل ان يكون الالف واللام للعهد فينصرف فهم السامع الى صرف الزكاة الى ٥
معهود سابق معين وليس هو المقصود من الاية بالاجماع وان اوردهم منكرين
لزم منه ان الزكاة لا يجوز دفعها الا الى فقير واحد او مسكين واحد وكذلك
سايرها ولا يجوز دفعها الى اثنين فما زاد وهو خلاف الاجماع **فصل**
والسبيل الطريق وهب المسافر اليها لملازمته اياها ومروره عليها قال بعض
العلما اذا كان المسافر غنيا في بلده وجد من يسلفه فلا يعطى وقيل يعطى وهو
الصحيح ولا بد منه ان يدخل تحت منة احد اذ وجد منة الله تعالى والله اعلم
اذا جا واد عى وصفا من الاوصاف الثانيه هل يقبل قوله او يقال له اثبت ٥
ما تقول اما الدين فلا بد ان يثبته واما البقيه فظاهر الحال يكفي **قوله**
فريضة واجبه وفي نصبها وجهان احدهما انها مصدر على المعنى لان معنى انما
الصدقات للفقرا في قوة فرض الله ذلك والثاني انها حال من الفقرا
قاله الكرماني وابو البقا بعينيا من الضمير المستكن في الجار لوقوعه خبره
اي انما الصدقات كاينة لهم حال كونها فريضة اي مفروضه ويجوز ان يكون فريضه
حسبه بمعنى مفعوله واما دخلت التا لجريانها مجرى الاسما كالنطيحة ويجوز ان
يكون مصدرا اي فرض الله ذلك فريضة ونقل عن الفرا انها منصوبة على القطع ٥
ثم قال والله عليم بمقادير المصالح حكيم لا يشرع الا ما هو الاصوب والاصلح
فضل وهذه الاية تدل على ان المراد بها فريضة الزكاة فاما صدقة ٥
التطوع فيجوز دفعها الى هولا والى غيرهم من بني هاشم ومواليهم ومن لا يجوز له
اخذ الزكاة الواجبه يجوز له الاخذ اذا كان غارما او مولفا او عاملا او هديه
ممن اخذها **قوله** تعالى ومنهم الذين يوذون النبي الاية وهذا
نوع اخر من طعن المنافقين وهو انهم كانوا يقولون في رسول الله انه اذن برلت
في جماعة من المنافقين كانوا يوذون النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون ٥
ما لا ينبغي فقال بعضهم لا تفعلوا فانا نخاف ان تبلغه ما تقول فيقع بنا فقال
الحلاس بن سويد يقول ما شينا ثم نايه وننكر ما قلنا ونحلف فيصدقنا فانما
يقوله انما محمد اذن اي اذن سامعة يقال فلان اذن واذنة على وزن
فعلة اذا كان يسمع كل ما قيل ويقبله واصله من اذن باذن اذا استمع وقال
محمد بن اسحاق بن يسار نزلت في رجل من المنافقين يقال له نبيل بن الحرث
وكان رجلا ادلم ثاير الشعر احمر العينين اسفع الخدين مشوه الخلقه وقد قال

فصل

النبي صلى الله عليه وسلم من اراد ان ينظر الى الشيطان فلينظر الى نبتل بن
الحرث وكان به حدث وسول الله صلى الله عليه وسلم الى المنافقين فقيل له ٥
لا تفعل فقال انما محمد اذن من حدثه شيئا صدقه فنقول ما شئتم ثم اتته فحلف
له فيصدقنا فنزلت الاية قال الاصم اظهر الله عن المنافقين وجوه كفرهم التي كانوا
يبدونها ليكون حجة للرسول وليزجروا فقال ومنهم من يلمزك في الصدقات ٥
ومنهم الذين يؤذون النبي ومنهم من عاهد الله الى غير ذلك من الاخبار عن ٥
الغيوب وكل ذلك دليل على كونه نبيا حقا من عند الله ومعنى اذن اي انه ليس
له ذكا ولا بعد عوريل هو سليم القلب سريع الاغترار بكل ما يسمع **قوله**
قل اذن خير اذن خبر مبتدا محذوف قل هو اذن خير والجمهور على جر خير بالاضافة
وقرا الحسن ومجاهد وزيد بن علي وابو بكر عن عاصم اذن بالتنوين خير بالرفع
وفيها وجهان احدهما انها وصف لاذن والثاني ان يكون خبرا بعد خبر وخير
يجوز ان يكون وصفا من غير تفضيل اي اذن ذو خير لكم ويجوز ان يكون للتفضيل
على بابها اي اكثر خيرا لكم وجوز صاحب اللوامح ان يكون اذن مبتدا وخير خبرها
وصار الابتداء هنا بالنكرة لانها موصوفة تقديرا اي اذن لا بواحد كم ويقال
رجل اذن اي يسمع كل ما يقال وفيه تاويلان احدهما انه سمي بالجارحة لانها
الة السماع وهي معظم ما يقصد منه وهو كقولهم للجاسوس عين وقيل المراد
بالاذن هنا الجارحة وحينئذ يكون على حذف مضاف اي ذو اذن والثاني
ان الاذن وصف على فعل كالكف وشلل يقال اذن باذن فهو اذن قال

٥ قد صرت اذنا للوشاة سميعة ٥ يبالون من عرضي ولو شئت ما نالوا ٥

ومعنى قراءة عاصم اي ان كانوا يقولون اذن فاذن خير يقبل منكم ويصدقكم من
ان يكذبكم ومعنى قراءة الجراي هو اذن خير لا اذن شر وقرا نافع اذن ساكن
الذال في كل القرآن والباقون بالضم وهما لغتان مثل عنق وطنف ثم بين كونه
اذن خير بقوله يومن بالله ويومن للمومنين ورحمة للذين امنوا منكم فجعل تعالى
هذه الثلاثة كالموجبة لكونه عليه السلام اذن خير اما قوله يومن بالله فلان
كل من آمن بالله كان خائفا من الله والخايف من الله لا يوذي بالباطل وقوله
ويومن للمومنين اي يسلم للمومنين قولهم اذا تواطوا على قول واحد وهذا
بيان كونه سليم القلب فان قيل لم عدا الايمان بالله بالباء والى المومنين باللام
فالجواب ان الايمان بالله المراد منه التصديق الذي هو نقيض الكفر ٥
فعدي بالباء والايمان المعدي الى المومنين معناه الاستماع منهم والتسليم ٥
لقولهم فعدي باللام كقوله وما انت بمومن لنا وقوله فما امن لموسى الا ذرية
من قومه وقوله انومن لك واتبعك الارذلون وقوله امنتم له قبل ان اذن لكم

وقال

وقال بن قتيبه هما زايدتان والمعنى يصدق الله ويصدق المومنين وهذا مردود
ويدل على عدم الزيادة تغاير الحرف الزايد فلو لم يقصد معنى مستقل لما غاير
بين الحرفين وقال المبرد هي متعلقة بمحذوف تقديره من الفعل كانه قال وايمانه
للمومنين وقيل يقال امنت لك بمعنى صدقتك ومنه وما انت بمومن لنا
قال شهاب الدين وعندي ان هذه اللام في ضمنها باء المعنى ويصدق للمومنين
بما يخبرونه به وقال ابو البقا واللام للمومنين زايدة دخلت لتفرق بين
يومن بمعنى يصدق وبين يومن بمعنى تثبت الايمان واما قوله ورحمة للذين
امنوا منهم ايضا يوجب الخيرية لانه يحوي امركم على الظاهر ولا يبالغ في
التفتيش عن بواطنكم ولا نهتك استاركم فدلت هذه الاوصاف الثلاثة على
وجوب كونه اذن خير وقرا الجمهور ورحمة رفعا نسقا على اذن اي وهو
رحمة الذين امنوا وقال بعضهم هو عطف على يومن لان يومن في محل رفع صفة
لاذن تقديره اذن يومن ورحمة وقرا حمزه والاعمش ورحمة الجر نسقا على
خير المخفوض باضافة اذن اليه والجملة على هذه القراءة معترضة بين المتعاطفين
تقديره اذن خير ورحمة وقرا ابن ابي عبلة ورحمة نصبا على انه مفعول من اجله
والمعلل محذوف اي باذن لكم رحمة بكم فحذف للدلالة قوله قل اذن خير فان قيل
كل رحمة خير فاي فايدة في ذكر الرحمة عقيب الخير فالجواب ان اشرف
اقسام الخير هو الرحمة فجاز ذكر الرحمة عقيب ذكر الخير كقوله ومليكة وجبريل
ولما بين كونه سببا للخير والرحمة بين ان كل من اذاه النبي وبم يقابلونا حسانه
بالاساءة وخبره بالشر فلذلك استوجبوا العذاب الاليم **قوله** تعالى
يحلفون بالله لكم ليرضوكم الاية وهذا نوع اخر من قبايح افعال المنافقين ٥
وهو اقدامهم على الايمان الكاذبة قال قتاده والسدي اجتمع ناس من المنافقين
فيهم خلاس بن سويد ووديعة بن ثابت فوقعوا في النبي صلى الله عليه وسلم ثم
قالوا ان كان ما يقوله محمد حقا فنحن شر من الحمير وكان عندهم غلام من الانصار
يقال له عامر بن قيس فحقروه وقالوا هذه المقالة فغضب الغلام وقال ٥
والله ان ما يقوله محمد حق وانتم شر من الحمير ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم
فاخبره فدعاهم فسالهم فحلفوا ان عامرا كذاب وحلف عامر انهم كذبة فصدقهم
النبي صلى الله عليه وسلم فجعل عامر يدعو ويقول اللهم صدق الصادق وكذب
الكاذب فانزل الله هذه الاية وقال مقاتل والكلبي نزلت في رهط من المنافقين
تخلفوا عن غزوة تبوك فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون ٥
ويحلفون فانزل الله تعالى الاية **قوله** والله ورسوله احق ان يرضوه وانما

افرد الضمير في يرضوه وان كان الاصل في العطف بالواو المطابقة لوجوه احدها
ان رضي الله ورسوله شيء واحد من اطاع الرسول فقد اطاع الله ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله فلذلك جعل الضمير بين ضميرا واحدا ثنيهما على ذلك الثاني
ان الضمير عائد على المثنى بلفظ الواحد بتأويل المذكور كقوله روبه ٥

٥ فيها خطوط من سواد وبلق ٥ كاتب في الجلد تو لبيع البهق ٥
اي كان ذلك المذكور وقد تقدم بيان هذا في اوائل البقرة الثالث قال المبرد
في الكلام تقدير وتاخير تقديره والله احق ان يرضوه وهذا على رأي من يدعي
الحذف من الثاني الرابع وهو مذهب سيبويه انه حذف خبر الاول واتبعا خبر الثاني
وهو احسن من عكسه وهو قول المبرد لان فيه عدم الفصل بين المبتدا وخبره
ولان فيه ايضا الاخبار بالشيء عن الاعز ان الله وايضا فهو منفي في قول الشاعر

٥ نحن بما عندنا وانت بما ٥ عندك راض والرأي مختلف ٥
اي نحن راضون حذف راضون لدلالة خبر الثاني عليه قال ابن عطية مذهب
سيبويه انهما جملتان حذفت الاولى لدلالة الثانية عليها قال ابو حيان ان
كان الضمير في انهما عائدا على كل واحدة من الجملتين فكيف يقول حذفت
الاولى والاولى لم تحذف وانما حذف خبرها وان كان عائدا على الخبر وهو احق
ان يرضوه فلا يكون جملة الا باعتقاد ان يكون ان يرضوه مبتدا وخبره احق
مقدما عليه ولا يتعين هذا القول اذ يجوز ان يكون الخبر مفردا بان يكون التقدير
احق بان يرضوه قال شهاب الدين انما اراد ابن عطية التقدير الثاني وهو المشهور
عند المعربين يجعلون احق خبرا مقدما وان يرضوه مبتدا موخرا والله
ورسوله ارضاؤه احق وقد تقدم تحقيق هذا في قوله فالله احق ان تخشوه ٥
وقوله ان كانوا مومنين شرط جوابه محذوف او متقدم **فصل** قال
القرطبي تضمنت هذه الاية قبول يمين الحالف وان يلزم المحلوف له الرضى
واليمين حق للمدعي وان يكون اليمين بالله عز وجل حسب وقال النبي صلى
الله عليه وسلم من كان حالفا فاليحلف بالله او ليصمت ومن حلف فليصدق ٥
قوله تعالى الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله الاية والمراد ٥
والمقصود من هذه الاية شرح احوال المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة ٥
تبوك وقرا الجمهور يعلموا بياء الغيبة رد اعلى المنافقين وقرا الحسن والاعرج
تعلموا بتاء الخطاب فقيل هو التفات من الغيبة الى الخطاب ان كان المراد المنافقين
وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وابى بصيغة الجمع تعظيما كقوله ٥
فان شيت حرمت النساء سواكم ٥ وقيل الخطاب للمومنين وبهذه التقادير
الثلاثة تختلف معنى الاستفهام للتقريع والتوبيخ كقول الانسان لمن حاول

فعلى الاول

تعليم

تعليمه مدة وبالغ في ذلك التعليم فلم يتعلم فقال له الم تتعلم وانما حسن ذلك لانه
طال مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم وكثرة تحذيره عن معصية الله ٥
وترغيبه في طاعة الله وعلى الثاني يكون للتعجب من حالهم وعلى الثالث يكون
للتقرير وانما لم يعلم هنا يحتمل ان يكون على بابه فتشد ان مسد مفعولي عند
سيبويه ومسد احدهما والاخر محذوف عند الاخفش وان تكون بمعنى العرفان
فتشد ان مسد مفعوله ومن شرطية فان له نار جهنم فتحت ان بعد
الفا لما تقدم في الانعام والجملة الشرطية في محل رفع خبر ان الاولى وهذا
تخريج واضح وقد عدل عن هذا التخريج جماعة الى وجوه اخر فقال الزمخشري
ويجوز ان يكون فان له معطوفا على ان الله على انه جواب من محذوف
تقديره الم يعلموا انه من يحاد الله ورسوله يهلك فان له وقال الحرمي والمبرد
ان الثانية مكررة للتوكيد كان التقدير فله نار جهنم وكررت ان توكيدا
وشبهه ابو البقا بقوله تعالى ثم ان ربك للذين عملوا السوء ثم قال ان
ربك من بعدها قال والفا على هذا جواب الشرط ورد ابو حيان على
الزمخشري قوله بانهم نصوا على انه اذا حذف جواب الشرط لزم ان يكون
فعل الشرط ماضيا او مضارعا معتورنا بلم والجواب على قوله محذوف
وفعل الشرط مضارع غير مقترن بلم وايضا فانا نجد الكلام تاما عند
بدون هذا الذي قدره ونقل عن سيبويه انه قال الثانية بدل من الا ولى
وهذا لا يصح عن سيبويه فانه ضعيف او ممتنع وقد ضعفه ابو البقا
بوجهين احدهما ان الفا تمنع من ذلك والحكم بزيادتها ضعيف والثاني ٥
ان جعلها بدلا يوجب سقوط جواب من من الكلام وقال ابن عطية وهذا يعترض
بان الشيء لا يبدل منه حتى يستوفى والاولى في هذا الموضع ان يقدر ما
بعد اذ لم يات جواب الشرط وتلك الجملة هي الخبر وايضا فان الفا ٥
تباين البدل فهي معنى اخر غير البدل فتعلق البدل وقال بعضهم فتحت ٥
على تقدير اللام اي فلان له نار جهنم وعلى هذا فلا بد من اضمار شيء يتم
به جواب الشرط تقديره فمحادته لان له نار جهنم وقدره غيره متاخرا
اي فان له نار جهنم واجب كذا قدره الاخفش ورده عليه بانها لا تبتدا
بها وهذا لا يلزمه فانه يجيز الابتدا بان المفتوحة من غير تقدير خبر وغيره
لا يجيز الابتدا بها الا بشرط تقدم اما نحو اما انك ذاهب فعندي او ٥
بشرط تقدم الخبر نحو عندي انك منطلق وقيل فان له خبر مبتدا محذوف
اي فالواجب ان له وهذه الجملة التي بعد الفا مع الفا في محل جزم جوابا
للشرط وقرا ابو عمرو فيما رواه ابو عبيده والحسن وابن ابي عبلة فان ٥

ولي

بالكسر وهي قراءة حسنة قوية تقدم انه قرأ بعض السبعة في الانعام وتقدم
هناك توجيهها والمحادة المخالفة والمعاندة ومحاورة الحد والمعاداة
قيل مشتقة من الحد وهو حد السلاح الذي يحارب به من الحديد وقيل من الحد
الذي هو الجهة كانه في حد غير حد صاحبه كقولهم شاقه اي كان في شق غير
شق صاحبه وعاداه اي كان في عدوه غير عدوته قال ابن عباس معناه
يخالف الله وقيل يحارب الله وقيل يعاند الله وقيل يعادي الله واختار
بعضهم قراءة الكسر بانها لا تحتاج الى اضمار ولم يرد قوله

﴿ ممن يك سائلا عني فاني ﴿ وجيروه لا يعار ولا يباع ﴾

الا بالكسر وهذا غير لازم فانه جاء على احد الجائزين وخالد انصب على
الحال قال الزجاج ويجوز كسر فان على الاستئناف تعذلها وجهنم من اسماء
النار وحكى اهل اللغة عن العرب ان البئر البعيدة القعر تسمى الجهنام
فيجوز ان تكون ماخوذة من هذا اللفظ ومعنى بعد قعرها انه لا آخر لعذابها
وتقدم معنى الخلود والخزي قد يكون بمعنى الذم وبمعنى الاستحياء والمراد
به هنا الذم لقوله واسروا الندامة لما رأوا العذاب قوله تعالى
يحذر المنافقون الاية قال قتادة هذه السورة كانت تسمى الفاضحة والحافرة
والمبعثرة والمثيرة اثارت مخازيهم ومثالبهم قال ابن عباس انزل الله
تعالى ذكر سبعين رجلا من المنافقين باسمائهم واسماء ابائهم ثم نسخ ذكر
الاسماء رحمة على المؤمنين لئلا يعير بعضهم بعضا لان اولادهم كانوا مؤمنين
وقال الحباي اجتمع اثني عشر رجلا من المنافقين على النفاق واخبر جبريل
الرسول باسمائهم فقال عليه السلام ان ناسا اجتمعوا على كيت وكيت فليقوموا
وليعترفوا وليستغفروا ربهم حتى اشفع لهم فلم يقوموا فقال عليه السلام قم
يا فلان ويا فلان حتى اتى عليهم ثم قالوا نعترف ونستغفر فقال الان انا
كنت فيكم في اول الامر اطيب نفسا بالشفاعة والله كان اسرع في الاجابة
اخرجوا عني اخرجوا عني فلم يزل يقول حتى خرجوا بالكلية وقال الاصم ان
عند رجوع النبي عليه السلام من تبوك وقعوا له على العقبة اثني عشر رجلا
ليفتكوا به فاخبره جبريل وكانوا متلثمين في ليلة مظلمة وامره ان يرسل
من يصرف وجوه دوابهم فامر حذيفة بذلك فضربها حتى نحاهم ثم قال من
عرفت من القوم فقال لم اعرف منهم احدا فذكر النبي صلى الله عليه وسلم اسمائهم
وعدهم له وقال ان جبريل اخبرني بذلك فقال حذيفة الا نبعث اليهم
فنقتلهم فقال اكره ان تقول العرب قاتل باصحابه حتى اذا ظفر صار يقتلهم
بل يكفينا يهم الله بالدبيلة فان قيل المنافق كافر فكيف تحذر نزول الوحي على

الرسول

الرسول عليه السلام فالجواب من وجوه احدها قال ابو مسلم هذا حذر
اظهره المنافقون استهزاء حين لم ار الرسول عليه السلام يذكر كل شيء ويدعي انه
عن الوحي وكان المنافقون يجدون بذلك فيما بينهم فاخبر الله تعالى رسوله
بذلك وامره ان يعلمهم انه مظهر سره الذي حذروا ظهوره ويدل على ذلك
قوله استهزؤا او ثانيها ان القوم وان كانوا كافرين بين يدي الرسول الا انهم
شاهدوا ان الرسول عليه السلام كان يخبرهم بما يضمرونه فلهذه التجربة وقع
الحذر والخوف في قلوبهم وثالثها قال الاصم انهم كانوا يعترفون كونه رسولا
حقا من عند الله الا ان كفرهم حسدا او عنادا اورثهما معنى الحذر الامر بالحذر
اي ليحذروا والمنافقون ذلك وخامسها انهم كانوا شاكين في صحة نبوته
والشاك خايف فلهذا خافوا ان ينزل عليه في امرهم ما يفضحهم قوله
ان تنزل مفعول به ناصبه يحذر فان يحذر متعد بنفسه لقوله تعالى
ويحذركم الله نفسه لولا انه متعد بنفسه في الاصل لواحد لما اكتسب بالتضعيف
مفعولا ثانيا ويدل عليه ايضا ما انشده سيبويه

﴿ حذر امورا لا تضير وامن ﴿ ما ليس منجيه من الاقدار ﴾

وفي البيت كلام قيل انه مصنوع وقال المبرد ان حذر لا يتعدى قال لانه
من هيئات النفس كفرق وهذا غير لازم فان لنا من هيئات النفس ما هو
متعد كخاف وخشي فان تنزل عند المبرد على اسقاط الخافض اي من ان
تنزل وقوله تنبئهم في موضع الرفع صفة لسورة قال الزمخشري الضمير في قوله
عليهم وتنبئهم للمؤمنين وفي قوله في قلوبهم للمنافقين ويجوز ايضا ان تكون الضمائر
كلها للمنافقين لان السورة اذا نزلت في معناهم فهي نازلة عليهم ومعنى تنبئهم
بما في قلوبهم ان السورة كانها تقول لهم في قلوبهم كيت وكيت يعني انها تذيع اسرارهم
اذاعة ظاهرة فكانها تخبرهم ثم قال قل استهزؤا وهذا امر تهديد ان الله مخرج
مظهر ما تحذرون قوله تعالى ولئن سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب
الاية قال الكلبي ومقاتل وقتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يسير في
غزوة تبوك وبين يديه ثلاثة نفر من المنافقين اثنان يستهزيان بالقرآن
والرسول والاخر يضحك فقيل كانوا يقولون ان محمدا يزعم انه يغلب الروم
ويفتح مدائنهم هيهات هيهات ما بعده من ذلك وقيل كانوا يقولون ان محمدا
يزعم انه نزل في اصحابنا المقيمين بالمدينة قرآن وانما هو قوله وكلامه فاطلع
الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال احبسوا الركب علي فدعاهم
وقال لهم قلتم كذا وكذا فقالوا انما كنا نخوض ونلعب اي كنا نتحدث ونخوض
في الكلام كما يفعل الركب لقطع الطريق بالحديث واللعب قال ابن عمر رايت عبد الله

بن ابي بشتد فدام النبي صلى الله عليه وسلم والحجارة تنكبه وهو يقول انما كنا نخوض ونلعب ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له اباالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن ما يلتفت اليه وقال ابو مسلم قوله يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم ان العزم اظهروا هذا الحذر واستهزاء فبين في هذه الحذره تعالى في هذه الاية انه اذا قيل لهم لم فعلتم ذلك قالوا لم نقصد ذلك الا لاجل انا كنا نخوض ونلعب **فصل** قال الواحدي اصل الخوض الدخول في مايع مثل الماء والطين ثم كثر حتى صار اسما لكل دخول فيه تلويث واذى والمعنى انا كنا نخوض في الباطل من الكلام كما يخوض الراكب لقطع الطريق فاجابهم الرسول بقوله اباالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن **قوله** اباالله متعلق بيستهزؤن وبيستهزؤن خبر كان ولكونه فيه دليل على ان تقدم العامل وقد يتقدم معمول الخبر على كان فليجز تقدمه بطريق الاولى وفيه بحث وذلك ان بن مالك قدح في هذا الدليل بقوله تعالى فاما اليتيم فلا تقهر واما السايل فلا تنهر قال فاليتيم والسايل قد يتقدما على الناهيه والعامل فيهما ما بعدها ولا يجوز تقدم ما بعد لا الناهية عليها لكونه محجوزا بما قبلها فقد تقدم المعمول حيث لا يتقدم العامل ذكر ذلك عند استدلاله على جواز على تقدم خبر ليس بقوله الا يوم ياتيهم ليس مصروفا عنهم **فصل** فرق بين قولك استهزي بالله وبين قولك اباالله تستهزي فالاول يقتضي الانكار على عمل الاستهزاء والثاني يقتضي الانكار على ايقاع الاستهزاء بالله لانه يقول هب انك تقدم على الاستهزاء الا انه كيف اقدمت على ايقاع الاستهزاء في الله كقوله تعالى لا فيها غول والمقصود ليس نفي الغول بل نفي ان يكون خمر الجنة محلا للغول ومعنى الاستهزاء بالله هو الاستهزاء بتكاليف الله او الاستهزاء بذكر الله فان اسماء الله قد تسمى بها الكفر كما ان المومن يعظمها والمراد بالاستهزاء بآياته هو القران وسائر ما يدل على الدين والرسول معلوم **قوله** لا تعتذروا قد كفرتم نقل الواحدي عن اهل اللغة في لفظ الاعتذار قولان الاول انه عبارة عن محو اثر الذنب واصله من تعذرت المنازل اي درست وامحى اثارها قال ابن احمر

قد كنت تعرف ايات فقد جعلت ... اطلال الفك بالوحساء تعتذر

فالمعتذر يزاول محو ذنبه والثاني قال ابن الاعرابي اصله من العذر وهو القطع ومنه العذره لانها تقطع بالافتراع ويقولون اعتذرت المياه اي انقطعت فكان المعتذر يحاول قطع الذم عنه **قوله** قد كفرتم بعد ايمانكم يدل على ان الاستهزاء بالدين كيف كان يكون كفرا في الحقيقة فان قيل كيف قال كفرتم بعد ايمانكم ولم يكونوا مومنين فالجواب قال الحسن اظهروا الكفر بعد ما اظهروا الايمان

فصل قال ابن العربي لا خلاف ما قالوا من ان يكون هزلا او هزلا وهو كيف ما كان كفرا فان القول بالكفر كفر بلا خلاف بين الامه قال تعالى اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين **فصل** اختلفوا في الهزل في سايل الاحكام كالبيع والنكاح والطلاق فقيل يلزم وقيل لا وقيل يفرق بين البيع وغيره فيلزم في النكاح والطلاق ولا يلزم في البيع وحكي بن المنذر الاجماع في ان جد الطلاق وهزله سوا وروى ابو داود والترمذي والدارقطني عن ابي هريره رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والرجعه قال الترمذي حديث حسن والعمل على هذا عند اهل العلم من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم قال القرطبي في الموطا عن سعيد بن المسيب قال ثلاثة ليس فيهن لعب النكاح والطلاق والعتق **قوله** ان نعف قراءا صر نعف بنون العظمة نعذب كذلك طايفة نصبا على المفعوليه وهي قراة ابي عبد الرحمن السلمي وزيد بن علي وقرا الباقون بالتا من تحت في الموضعين مبنيا للمفعول ورفع طايفة على قيامها مقام الفاعل والقايم مقام الفاعل في الفعل الاول الجار بعده وقرا المحدري ان يعف بالتا من تحت فيهما مبنيا للفاعل وهو ضمير الله تعالى ونصب طايفه على المفعول به وقرا مجاهد تعف بالتا من فوق فيهما مبنيا للمفعول ورفع طايفة لقيامها مقام الفاعل وفي القايم مقام الفاعل في الفعل الاول وجهان احدهما انه ضمير الذنوب اي ان تعف هذه الذنوب والثاني انه الكفر بجار وانما انث الفعل حملا على المعنى قال الزمخشري الوجه الاول لان المسند اليه الظرف كما تقول سير بالدابة ولا تقول سيرت بالدابه ولكنه ذهب الى المعنى كانه قيل ان ترحم طايفة فانت لذلك وهو عجيب

فصل قال محمد بن اسحاق الذي عفي عنه رجل واحد وهو محشي بن حمير الاشجعي يقال هو الذي كان يضحك ولا يخوض وكان يمشي محاذيا لظهر وينكو بعض ما سمع فلما نزلت هذه الاية تاب من نفاقه وقال اللهم اني لا ازال استمع اية تقرا عني بها يهم تقشعر منها الجلود وتجب منها القلوب اللهم اجعل وفاتي قتلا في سبيلك لا يقول احد انا غسلت انا كفنت انا دفنت فاصيب يوم اليمامة فما احد من المسلمين الا عرف مصرعه عنده **فصل** ثبت بالروايات ان الطايفتين كانوا ثلاثة فوجب ان يكون احد الطايفتين انسانا واحدا قال الزجاج الطايفة في اللغة اصلها الجماعة لانها المقدار الذي امكنها ان تطيف بالشي ثم يجوز ان تسمي الواحد بالطايفة قال تعالى وليشهد عذابهما طايفة من المومنين واقله الواحد

وروي الفراء باسناده عن ابن عباس انه قال الطايفة الواحد فما فوقه وقال تعالى وان طايفتان من المومنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما قال ابن الانباري العرب توقع لفظ الجمع على الواحد فتقول خرج فلان الى مكة على الجمال وقال تعالى الذين قال لهم الناس يعني نعيم بن مسعود ثم انه تعالى علل تعذيبه لهم بانهم كانوا مجرمين والله اعلم

قوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض الاية لما شرح انواع قبايح افعالهم بين ان اناثهم كذكورهم في تلك الافعال المنكرة فقوله بعضهم من بعض مبتدا وخبر اي من جنس بعض ممن هنا لبيان الجنس وقيل للتبعيض اي انهم امناء بتوالدون بعضهم من بعض اي هم على دين واحد وقيل امرهم واحد بالاجتماع على النفاق ثم فصل هذا الكلام فقال يامرون هذه الجملة لا محل لها لانها مفسرة لقوله بعضهم من بعض وكذلك ما عطف على يامرون ولفظ المنكر يدخل فيه كل قبيح ولفظ المعروف تدخل فيه كل حسن والاعظم ههنا من المنكر الشرك والمعصية والمراد الاعظم ههنا من المعروف الايمان بالرسول ويقبضون ايديهم اي يمسكونها عن الصدقة والانفاق في سبيل الله نسوا الله فتركهم من توفيقه وهدايته في الدنيا ومن رحمته في العقبى وانما حملنا النسيان على الترك لان من نسي شيا يذكره فجعل اسم اللزوم كناية عن اللازم ولان النسيان ليس في وسع البشر وهو في حق الله تعالى محال فلابد من التاويل وهو ما ذكرنا من الترك لانهم تركوا امر الله حتى صار كالشي المنسي كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها ثم قال ان المنافقين هم الفاسقون اي الكاملون في الفسق

قوله وعد الله المنافقين والمنافقات الاية قال القرطبي وغيره يقال وعد الله بالخير وعدا وعدا وبالشر وعيدا وقيل لا يقال في الشر الا اوعدته او توعدته وهذه الاية رد عليه لما بين في المنافقين والمنافقات انه نسيهم اي جازاهم على تركهم التمسك بطاعة الله اكد هذا الوعيد وضم الكفار الى المنافقين فيه فقال وعد الله المنافقين الاية فقوله خالدين حال من المفعول الاول للوعد وهي حال مقدرة لان هذه الحال لم تقارن الوعد وقوله هي حسبهم لا محل لهذه الجملة الاستيناف فيه والمعنى تلك العقوبة كافية لهم ولاشي ابلغ منها ولا يكون الزيادة عليها ثم قال ولعنهم الله ابعدهم من رحمة ولهم عذاب مقيم دايم فان قيل معنى المقيم والخالد واحد فكون تكرارا قالجواب من وجهين الاول ان لهم نوعا اخر من العذاب المقيم الدايم سوى العذاب بالنار فالخلود المذكور اولا يدل على ان العذاب بالنار دايم وقوله ولهم عذاب مقيم يدل على ان لهم مع ذلك نوعا اخر من العذاب فان قيل هذا مشكل لانه

قال

قال في النار الخالدين هي حسبهم وكونها حسبهم في الايلام ومع ذلك يضم اليه نوع اخر زيادة في تعذيبهم والكاف ان المراد بقوله ولهم عذاب مقيم العذاب العاجل الذي لا ينفك عنهم ويوما بيانا سوء من الخوف من اطلاع الرسول على بواطنهم وما يحذرونه من انواع الفضاح

قوله كالذين من قبلكم فيه اوجه احدها ان هذه الكاف في محل رفع تقديره انتم كالذين وهي خبر مبتدا محذوف الثاني انها في محل نصب قال الزجاج المعنى وعدكم كوعد الذين من قبلكم وهو متعلق بوعد قال ابن عطية وهذا قلق وقال ابو البقا ويجوز ان يكون متعلقا بتشبهون وفي هذا بعد كثير وقوله كانوا اشد تفسير لشبههم بهم وتمثيل لفعلهم وجعل الفراء محلها نصبا باصار وفعل قال التشبيه من جهة الفعل اي فعلتم كما فعل الذين من قبلكم فتكون الكاف في موضع نصب وقال ابو البقا الكاف في موضع نصب نعتا لمصدر محذوف وفي الكلام حذف مضاف تقديره وعد الكوعد الذين قال وذكر الزمخشري وجه الرفع المتقدم والوجه الذي تقدم عن الفراء وشبهه بقول الشمردل بن شريك

كاليوم مطلوبا ولا طالبا ... باضعف لكن اثأر

قوله كما استمتع الكاف في محل نصب نعتا لمصدر محذوف اي استمتاعا كاستمتاع الذين

قوله كالذين خاضوا الكاف كالتي قبلها وفي الذي وجوه احدها ان المعنى خضتم كخوض الذين خاضوا فحذفت النون تخفيفا او اوقع المفرد موقع الجمع وقد تقدم تحقيقه في اوايل البقرة فحذف المصدر الموصوف والمضاف الى الموصول وعاد الموصول بتقدير خاضوه والاصل خاضوا فيه لانه يتعدى بفي فاتسع فيه فحذف الجار فاتصل الضمير بالفعل فساغ حذفه ولولا هذا التدريج لما ساغ الحذف لما تقدم من انه متى جر العايد بحرف اشترط في جواز حذفه جر الموصول بمثل ذلك الحرف وان تتحد المتعلق مع شروط اخر تقدمت الثاني ان الذي صفة لمفرد مبهم اي وخضتم خوضا كالخوض الذي خاضوا او الفريق الذي خاضوا والكلام في العايد كما سبق قبل الثالث ان الذي من صفة المصدر والتقدير وخضتم خوضا كالخوض الذي خاضوه وعلى هذا فالعايد منصوب من غير واسطة حرف جر وهذا الوجه ينبغي ان يكون هو الراجح اذ لا حذف ولا رفع والرابع ان الذي يقع مصدرية والعقد نزوخضتم خوضا كخوضهم ومثله قتلت الله ما اتاك من حسب في المرسلين ونصرا كالذي نصروا اي كنصرهم وقول الاخر

يا ام عمرو جزاك الله مغفرة ... ردي علي فوادي الذي كانا

اي ككونه وقد تقدم ان هذا مذهب الفراء وبوس وقد تقدم تاويل البصريين لذلك قال الزمخشري فان قلت اي فايدة في قوله فاستمتعوا بخلاقهم وقوله

قال بعض المفسرين الذي اتيتم به من الخوض مثل ما وصف به من تقدمهم في قوله تعالى كمثل الذين من قبلكم كقوله تعالى ناقتي من الله والجمل كقوله تعالى ناقة الله وسقياها فان قيل كيف يشبه الله بشيء من خلقه قال ذهب الله بنورهم حين

كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم معفن عنه كما اعفى كالذي خاضوا قلت فايده تاه ان
يذم الاولين بالاستمتاع بما اوتوا ورضاهم بها عن النظر في العاقبة وطلب الفلاح
في الاخرة وان يحسس امر الاستمتاع وبهجن امر الراضي به ثم شبه حال المخاطبين بحالهم ٥
واما وخضتم كالذي خاضوا معطوف على ما قبله ومستند اليه مستغنى باسناده
اليه عن تلك المقدمه يعني انه استغنى عن ان يكون التركيب وخاضوا فخضتم ٥
كالذي خاضوا وفي قوله كما استمتع الذين ايقاع الظاهر موقع المضمر لنكتة ٥
وهو ان كان الاصل فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتعوا بخلاقهم فابرزهم بصورة الظاهر ٥
تحقيرا لهم كقوله تعالى لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا وكقوله
قبل ذلك المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ثم قال ان المنافقين هم
الفاسقون وهذا كما يدل بايقاع الظاهر موقع المضمر على التفخيم والتعظيم يدل
به على عكسه وهو التحقير **فصل** معنى الاية انكم فعلتم كفعل الذين
من قبلكم بالعدول عن امر الله والامر بالمنكر والنهي عن المعروف وقبض ٥
الايدي عن الخيرات وكانوا اشد منكم قوة وبطشا ومنعة واكثر اموالا ٥
واولادا فاستمتعوا مدة بالدنيا باتباع الشهوات ورضوا به عوضا عن ٥
الاخرى فاستمتعتم بخلاقكم وخلاق النصيب وهو ما قدر للانسان من خير
كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وسلكتم سبيلهم وخضتم في الباطل الكذب
على الله وتكذيب رسله والاستهزاء بالمومنين كالذي خاضوا اي كما خاضوا
اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة اي تطلب حسناتهم في الدنيا بسبب
الموت والفقر والانتقال من العز الى الذل ومن القوة الى الضعف وفي
الاخرة لانهم لا يثابون بل يعاقبون اشد العقاب واولئك هم الخاسرون
حيث اتعبوا انفسهم في الدعاء الانبياء ولم يجدوا منه الا الخوف الخبر ٥
في الدنيا والاخرة فكما حبطت اعمالهم وخسروا حبطت اعمالكم وخسرتم
روى ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لتتبعن ٥
سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا حجر ضب ٥
تتبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن وفي رواية ابي
هريرة فهل الناس الا هم قال ابن مسعود دانت اشبه الامم ببني اسرائيل
سمتا وهديا تتبعون عليه حذو القذة بالقذة غير اني لا ادري العجل
النحل امرا **قوله** تعالى الم يأتهم نبأ الذين من قبلهم الاية لما شبه ٥
المنافقين بالكفار المستقدمين بين اولئك الكفار منهم فقال الم يأتهم
يعني المنافقين بنا خبر الذين من قبلهم حين عصوا رسلنا وخالفوا امرنا
كيف عذبناهم واهلكناهم ثم ذكرهم فقال قوم نوح بدل من الموصول قبله

وهو يحتمل ان يكون بدل كل من كل ان كان المراد بالذين ما ذكر بعده خاصة وان
يكون بدل بعض من كل ان كان المراد الذين ما ذكر بعده وهو الذي يكون خاصة اذا اريد
به الاعم من ذلك اهلكوا بالطوفان وعاد اهلكوا بالريح وثمود بالرجفة وقوم
ابراهيم بسلب النعمة وهلاك نمرود واصحاب مدين يعني قوم شعيب اهلكوا
بعذاب يوم الظلة والمؤتفكات المنقلبات التي جعلنا عاليها سافلها وهم
قوم لوط يقال افكته فانتفك اي قلبته فانقلب والماده تدل على التحول
والصرف ومنه يوفك عنه من افك اي يصرف والضمير في انتهم يجوز ان ٥
يعود على من تقدم وخصه بعضهم بالمؤتفكات انتهم رسلهم بالبينات فكذبوا
وعصوهم كما فعلتم يا معشر الكفار فاحذروا النقم فما كان الله ليظلمهم
ولكن كانوا انفسهم يظلمون اي ان عذابهم ما كان ظلما من الله وانما استحقوه
بافعالهم القبيحة **قوله** تعالى والمومنون والمومنات بعضهم اولياء
بعض الاية لما بالغ في وصف المنافقين بالافعال الخبيثة وذكر وعيدهم
في الدنيا والاخرة ذكر بعده ما يكون المومنين موصوفين بصفات الخير على
ضد صفات المنافقين فان قيل ما الفايدة في صفة المنافقين بان ٥
بعضهم من بعض ولم يذكر في صفة المنافقين نقيض الاولياء فالجواب
ان قوله في صفة المنافقين بعضهم من بعض يدل على ان نفاق الاتباع وكفرهم
حصل بالتقليد للاكابر وبمقتضى الطبيعة والعادة واما الموافقة الحاصلة بين
المومنين فانها ما حصلت بالميل والعاده واما الموافقة الحاصلة بين المومنين
فانها ما حصلت بالميل والعاده بل بسبب المشاركة والاستدلال والتوفيق
والهداية فلهذا قال في المنافقين بعضهم من بعض وقال في المومنين بعضهم
اولياء بعض اذ لا ولاية بين المنافقين فقوله اولياء بعض اي في الدين واتفاق
الكلمة والتعاون والنصرة يامرون بالمعروف بالايمان والطاعة والخير ٥
ويقدم الكلام على يامرون وينهون عن المنكر عن الشرك والمعصية وما لا
يعرف في الشرع ويقيمون الصلاة المفروضة ويوتون الزكاة ويطيعون الله
ورسوله اولئك سيرحمهم الله فالسين للاستقبال اذ المراد رحمة خاصة وهي
ما حباها لهم في الاخرة وادعى الزمخشري انها تفيد وجوب الرحمة وتوكيد ٥
الوعد والوعيد محوسا ستم منك يعني انك لا تفوتني وان تنطاذ لك وتظن
قوله سيجعل لهم الرحمن وداوا لسوف يعطيك ربك سوف توتيهم اجورهم ٥
ثم قال ان الله عزيز حكيم وذلك يوجب المبالغة في الترغيب والترهيب
لان العزيز هو الذي لا يمتنع من مراده في عباده من رحمة او عقوبة والحكيم
هو المدبر امر عباده على ما تقتضيه الحكمة **قوله** وعد الله المومنين والمومنات

جنات تجري من تحتها الانهار والاقرب انه تعالى اراد بها البساتين التي بينا فيما المناظرة لانه تعالى قال بعده ومساكن طيبة في جنات عدن والمعطوف يجب ان يكون مغايرا للمعطوف عليه ويكون مساكنهم في جنات عدن ومناظرهم الجنات التي هي البساتين ويكون فائدة وصفها بانها عدن انها تجري في دار السكنى والاقامة وقوله خالدين حال مقدرة كما تقدم وقوله ومساكن طيبة اي منازل طيبة في جنات عدن اي خلد واقامة وفي عدن قولان احدهما انه اسم علم لموضع معين في الجنة قال عبد الله بن عمرو ان في الجنة قصرا يقال له العدن حوله البروج والمروج وله خمسة الاف باب على كل باب خمسة الاف حبرة لا يدخله الا نبي او صديق او شهيد قال الزمخشري وعدن علم بدليل قوله جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب ان والقول الثاني انه صفة للجنة قال الازهري العدن ما حوذ من قولك عدن بالمكان اذا اقام به يعدن عدنا ويقول تركت ابل بني فلان عواعدن بمكان كذا وهو ان يلزم الابل المكان فتالفه ومنه المعدن لمستقر الجواهر ويقال عدن عدونا فالمصدر ان هذا اصل هذه اللفظة لغة وذكر المفسرون لها معان كثيرة وقال الاعشى في معنى الاقامة

٦ وان لستضيفوا الى حكمة ٥ يضافوا الى راجح فدعدن

اي استقر وثبت ومنه عدن لمدينة باليمن لكثرة المقيمين بها قوله ورضوان من الله اكبر التنكير يفيد التقليل اي اقل شيء من الرضوان اكبر مفيد من جميع ما تقدم من الجنات ومساكنها قال ذلك هو الفوز العظيم اي هذا هو الفوز العظيم لا ما لا يطلبه المنافقون والكفار من الطيبات والتنعم الدنيوي روي ابو سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل لاهل الجنة يا اهل الجنة هل رضيتم فيقولون ربنا وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول الا اعطيكم افضل من ذلك فيقولون ربنا واي شيء افضل من ذلك فيقول احل عليكم رضواني فلا اسخط بعده ابدا قوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين الاية لما وصف الكفار المنافقين بالصفات الخبيثة وتوعدهم بالعقاب ثم ذكر المومنين بالصفات الحسنة ووعدهم بالثواب عاد الى شرح احوال الكفار والمنافقين فهذه الاية فان قيل محاهدة الكفار بالسيف ومحاهدة المنافقين غير جايزة فان المنافق يستر كفره وينكره بلسانه فالجواب من وجوه احدها قال الضحاك محاهدة المنافق تغليظ القول وهذا بعيد لان ظاهر قوله جاهد الكفار والمنافقين يقتضي الامر بجهادهما معا وكذا

ظاهر

ظاهر قوله واغلظ عليهم راجع الى الفريقين وشانهما ان الجهاد عبارة عن بذل الجهد وذلك وليس في اللفظ ما يدل على ان الجهاد بالسيف او باللسان او بطريق اخر فقال بن مسعود بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وقال لا يليق المنافق الا بوجه مكفهر وقال بن عباس باللسان وترك الرفق وقال لها قال الحسن وقتاده باقامة الحدود عليهم قال القاضي وهذا ليس بشيء لان اقامة الحدود واجبة على من ليس بمنافق قوله ومأواهم جهنم قال ابو البقاء قبل كيف حسنت الواو هنا وانما اسبب بهذا الموضع ففيه ثلاثة اجوبة احدها ان الواو واو الحال والتقدير وقد ذلك في حال استحقاقهم جهنم وتلك الحال حال كفرهم ونفاقهم والثاني ان الواو جيء بها تنبيها على ارادة فعل محذوف تقديره واعلم ان مأواهم جهنم الثالث ان الكلام قد تم على المعنى والمعنى انه قد اجتمع لهم عذاب الدنيا بالجهاد والغلظة وعذاب الاخرة بجعل جهنم مأواهم ولا حاجة الى هذا كله بل هي جملة استيناف فيه قوله تعالى يحلفون بالله ما قالوا الاية قال بن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في ظل شجرة فقال انه سيأتيكم انسان ينظر اليكم بعيني شيطان فاذا جاء فلا تكلموه فلم يلبثوا ان طلع رجل ازرق فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علام تشتمني انت واصحابك فانطلق الرجل فاتى باصحابه فحلفوا بالله ما قالوا فانزل الله هذه الاية وقال الكلبي نزلت في الجلاس بن سويد وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم بتبوك فذكر المنافقين فسماهم رجسا وعابهم فقال الجلاس لئن كان محمد صادقا لنحن شر من الحمير فسمعه عامر بن قيس فقال اجل ان محمدا لصادق وانت شر من الحمير فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة اتاه عامر بن قيس فاخبره بما قال الجلاس فقال الجلاس كذب يا رسول الله علي فامر بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحلفا عند المنبر فقام الجلاس عند المنبر بعد العصر فحلف بالله الذي لا اله الا هو ما قاله ولقد كذب علي عامر فقام عامر فحلف بالله الذي لا اله الا هو لقد قاله وما كذبت عليه ثم رفع عامر يده الى السماء فقال اللهم انزل على نبيك الصادق منا الصدق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنون امنين فنزل جبريل عليه السلام قبل ان يتفرقا بهذه الاية حتى بلغ فان يتوبوا يك خيرا لهم فقام الجلاس فقال يا رسول الله اسمع الله قد عرض علي التوبة صدق عامر بن قيس فيما قاله لقد قلته وانا استغفر الله واتوب اليه فقبل ذلك

رسول الله صلى الله عليه وسلم منه ثم تاب وحسنت توبته وقيل نزلت في عبد الله بن
ابي لما قال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وأراد به الرسول
عليه السلام سمع زيد بن ارقم ويلغه الى الرسول عليه السلام فهم عمر بقتل عبد الله
بن ابي فجاء عبد الله وحلف انه لم يقل فنزلت الاية وقال القاضي الاولى ان تحمل هذه
الاية على ما روي ان المنافقين هموا بقتله عند رجوعه من تبوك وهم خمسة عشر
رجلا تعاهدوا ان يدفعوه عن راحلته الى الوادي بالليل وكان عمار بن ياسر
اخذ بخطام راحلته وحذيفة خلفها يسوقها فسمع حذيفة وقع اخفاف الابل
وقعقعة السلاح فالتفت فاذا قوم متلثمون فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا
والظاهر انهم لما اجتمعوا لذلك الغرض فقد طعنوا في نبوته ونسبوه الى الكذب في
ادعاء الرسالة وذلك هو قولهم كلمة الكفر وهذا القول اختيار الزجاج فان قيل
قوله وكفروا بعد اسلامهم يدل على انهم اسلموا من قبل ولم يكونوا مسلمين فالجواب
ان المراد منه الاسلام الذي هو ضد الحرب لانهم لما وافقوا فقد اظهروا الاسلام
وقوله وهموا بما لم ينالوا المراد اطباقهم على الفتك بالرسول عليه السلام والله
تعالى اخبر الرسول بذلك حتى احترز عنهم ولم يصلوا الى مقصودهم وقال
السدي هو قولهم انا قدمنا المدينة عقدنا على رأس عبد الله بن ابي تاجا فلم
يصلوا اليه **قوله** وما نقموا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله ٥
في الاستثناء وجهان احدهما انه مفعول به اي وما كرهوا وعابوا الا اغناءهم
الله اياهم وهو من باب قولهم ما لي عندك ذنب الا ان احسنت اليك اي
ان كان ثم ذنب فهو هذا فهو تهكم بهم كقوله

ولا عيب فينا غير عرف لمعشر ... كرام واما لا نحط على الثمل

وقول الاخر

ما نقموا من بني امية الا ... انهم يحلمون اذا غضبوا

وانهم سادة الملوك ولا ... يصلح الا عليهم العرب

والثاني انه مفعول من اجله وعلى هذا فالمفعول به محذوف تقديره وما نقموا
منهم الايمان الا لاجل اغناء الله اياهم وتقدم الكلام على ثم قبل ان مولى ٥
للحلاس قتل فامر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بدية اثني عشر الفا
فاستغنى وقال الكلبي كانوا قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة
في ضنك من العيش فلما قدم عليهم النبي صلى الله عليه وسلم استغنوا
بالغنائم **قوله** فان يتوبوا اي من نفاقهم يك خيرا لهم وان يتولوا اي
يعرضوا يعذبهم الله عذابا اليما بالحرسي في الدنيا والاخرة اي وفي الاخرة
بالنار وما لهم في الارض من ولي ولا نصير اي ان عذاب الله اذا حق لم
ينفعه ولي ولا نصير **قوله** ومنهم من عاهد الله الاية عاهد الله فيه

بالخزي م

معنى القسم فلذلك اجيب بقوله لنصدقن وحذف جواب الشرط لدلالة هذا
الجواب عليه واللام للموطئة ولا يمتنع الجمع بين القسم واللام الموطئة له وقال
ابو البقاء فيه وجهان احدهما تقديره لئن اتانا والثاني ان يكون عاهد بمعنى
قال فان العهد قول ولا حاجة الى هذا **قوله** لنصدقن ولنكونن ٥
قرأهما الجمهور بالنون الثقيلة والاعمش بالخفيفة قال الزجاج الاصل لنتصدق فن
ولكن التاء ادغمت في الصاد لقربها منها قال الليث المصدق المعطي والمتصدق
السائل قال الاصمعي والفراء هذا خطأ فالمتصدق هو المعطي قال تعالى ٥
وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين واعلم ان هذه السورة نزل اكثرها
في شرح احوال المنافقين فلهذا ذكرهم على التفصيل فقال ومنهم الذين
يؤذون النبي ومنهم من يلمزك في الصدقات ومنهم من يقول ائذن لي ولا ٥
تفتني ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن والمشهور في سبب
نزول هذه الاية ما روي ابو امامة قال جاء ثعلبة بن حاطب الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير
لا تطيقه فقال له اما لك في رسول الله اسوة حسنة والذي نفسي بيده لو اردت ان تسير الجبال معي ذهبا وفضة لسارت
ثم راجعه بعد ذلك فقال يا رسول ادع الله ان يرزقني مالا والذي بعثك بالحق
لئن رزقني الله مالا لاعطين كل ذي حق حقه فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا قال فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود حتى ضاقت
بها المدينة فتنحى عنها ونزل واديا من اوديتها وكان يصلي مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم الظهر والعصر ويصلي في غنمه سائر الصلوات فلما كثرت
ونمت تنحى عدا بعيدا حتى كان لا يشهد جمعة ولا جماعة فكان اذا كان يوم الجمعة
خرج يتلقى الناس عن الاخبار فذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم
فقال ما فعل ثعلبة فقالوا يا رسول الله اتخذ غنما ما تسعها واد فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة فانزل الله هذه الاية اية
الصدقات فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بني سليم ورجلا
من جهينة وكتب لهما اسنان الصدقة كيف يأخذان وقال لهما مرا بثعلبة
بن حاطب وبرجل من بني سليم فخذا صدقاتهما فلما اتيا ثعلبة سألاه
الصدقة واقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الا
جزية ما هذه الا اخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم عودا الي فانطلقا وسمع بهما
السلمي فنظر الى خيار اسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما راوها

بخ حاشى ابيام

قالوا ما هذا عليك فقال خذاه فان نفسي بذلك طيبة فمر على الناس فاخذ الصدقات
ثم رجعا الى ثعلبة فقال ادوني كتابكما فقرأه ثم قال ما هذه الا اخت الجزية اذهبا حتى ارى رأي قال فانطلقا فلما رآهما النبي صلى الله عليه وسلم
قبل ان يكلماه قال يا ويح ثعلبة ثم دعا للسلمي بخير فاخبراه بالذي صنع ثعلبة
فانزل الله عز وجل فيه ومنهم من عاهد الله الاية الى قوله وبما كانوا يكذبون ٥
وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من اقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج
حتى اتاه فقال ويحك يا ثعلبة فدانزل الله فيك عز وجل كذا وكذا فخرج ٥
ثعلبة حتى اتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله ان يقبل منه صدقته فقال
ان الله عز وجل منعني ان اقبل منك صدقتك فجعل يحثو على راسه التراب
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امرتك فلم تطعني فرجع الى منزله
وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ابي بكر بصدقته فلم يقبلها اقتداء
بالرسول عليه الصلاة والسلام وقبضها ابو بكر ثم لم يقبلها عمر اقتداء برسول
الله وبابي بكر ثم لم يقبلها عثمان وهلك ثعلبة في خلافة عثمان وقال ابن
عباس وسعيد بن جبير وقتادة اتى ثعلبة مسلما من الانصار فاشهدهم
لئن اتاني الله من فضله اتيت كل ذي حق حقه وتصدقت منه ووصلت منه
القرابة فمات بن عم له فورثه مالا فلم يف بما قال فنزلت الاية وقال الحسن
ومجاهد نزلت في ثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير وبنما من بني عمرو بن عوف
حرجا على ملإ فقعود وقالا والله لئن رزقنا الله لنصدقن فلما رزقهما
بخلا به والمشهور فان قيل ان الله تعالى امره باخراج الصدقة فكيف يجوز ٥
للرسول ان لا يقبلها منه فالجواب لا يبعد ان يقال ان الله تعالى منع ٥
الرسول عليه السلام من قبوله الصدقة منه اهانة له ليعتبر غيره به فلا
يمتنع عن اداء الصدقة او انه اتى بتلك الصدقة على وجه الرياء لا على وجه ٥
الاخلاص واعلم الله الرسول بذلك فلذلك لم يقبل تلك الصدقة ويحتمل
ايضا ان الله تعالى لما قال خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها كان
هذا امرا ونفعا غير حاصل في ثعلبة مع نفاقه فلهذا امتنع الرسول عليه السلام
من اخذ تلك الصدقة فان قيل المنافق كافر والكافر لا يمكنه ان يعاهد الله
فالجواب ان المنافق قد يكون عارفا بالله لانه كان ينكر نبوة محمد عليه
السلام لكونه عارفا بالله يمكنه ان يعاهد الله ولكونه منكرا للنبوة محمد
عليه السلام كان كافرا واكثر العالم مقرون بوجود الصانع او لعله حين ٥
عاهد الله كان مسلما ثم لما بخل بالمال ولم يف بالعهد صار منافقا ولفظ الاية
يدل على ذلك لقوله فاعقبهم نفاقا فان قيل هل من شرط المعاهدة ان

يتلفظ

يتلفظ بها باللسان او يكفي النية فالجواب قال بعضهم تكفي النية وان قوله ٥
ومنهم من عاهد الله كان شيئا نووه في انفسهم لقوله الم يعلموا ان الله يعلم
سرهم ونجواهم وقال المحققون هذه المعاهدة مفيدة بالتلفظ باللسان
لقوله عليه السلام ان الله عفا لامتي ما حدثت به انفسها ما لم تتكلم به ٥
او تعمل وايضا فقوله لئن اتانا من فضله لنصدقن يشعر ظاهره بالقول
باللسان فان قيل المراد من الصدقة اخراج المال وهو على قسمين واجب
وغير واجب باصل الشرع كالزكوات والنفقات الواجبة وقسم لم يجب الا
اذا التزمه العبد كالنذور وقوله لنصدقن هل يتناول الاقسام الثلاثة
ام لا فالجواب ان الصدقات التي ليست واجبة غير داخلة في الاية
لقوله بخلوا به والبخل في عرف الشرع عبارة عن منع الواجب ولانه تعالى
ذمهم بهذا الترك وتارك المندوب لا يذم بقي القسمان الواجبان فالواجب
باصل الشرع داخل في الاية لامحالة بقي الواجب بالنذر والظاهر ان
اللفظ لا يدل عليه لانه ليس في الاية الا قوله لئن اتانا من فضله لنصدقن
وهذا ليس فيه اشعار بالنذر لان الرجل قد يعاهد ربه في ان يقوم بما
يلزمه من الزكوات والنفقات الواجبة ان وسع الله اليه فان قيل لفظ
الاية يدل على ان هذا الذي لزمهم انما لزمهم بسبب هذا الالتزام والزام
لا تلزم بسبب هذا الالتزام وانما تلزم بسبب ملك النصاب وحلول الحول
فالجواب قوله لنصدقن لا يوجب ان يفعلوا ذلك على الفور لانه اخبار
عن ايقاع هذا الفعل في المستقبل وهذا النذر يوجب الفور فكانهم قالوا
لنتصدقن في وقته كما قالوا ولنكونن من الصالحين اي في اوقات لزوم
الصلوات فثبت بما قررنا ان الداخل تحت هذا العقد العهد اخراج الا
الواجب باصل الشرع ويؤكد هذا ما روي في سبب النزول ان الاية ٥
انما نزلت في حق من امتنع من اداء الزكاة **فصل** المراد من الفضل ٥
ههنا اتيا المال باي طريق كان اما بتجارة او غنيمة او غير ذلك والمراد ٥
بالصدقة الواجبة كما قدمنا والمراد بالصالحين فالصالح ضد المفسد
والمفسد عبارة عمن يخل بما يلزمه في التكليف فالصالح من يعمل اهل الصلاح
من صلة الرحم والنفقة في الخير ونحو ذلك ثم قال تعالى فلما اتاهم من فضله
بخلوا به وتولوا وهم معرضون **قوله** فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى
يوم يلقونه قال الليث يقال اعقبت فلانا ندامة اذا صيرت عاقبة امره
ذلك قال الهذلي ٥

٦ اودى بني واعقبوني حسرة ٥ بعد الرقاد وعبرة لا تقلع ٦

جب

كوات

موال

وتقال اكل فلان اكلة اعقبته سقما واعقبه الله خيرا والمعنى اخلوهم نفاقا في
قلوبهم اي صيرها عاقبة امورهم النفاق وقيل عاقبهم في قلوبهم يقال عاقبته ٥
واعقبته بمعنى **قوله** قوله فاعقبهم فعل ولا بد من اسناده الى شئ تقدم
ذكره والذي تقدم ذكره هو الله تعالى والمعاهدة والتصدق والصلاح اذ البخل
والتولي والاعراض ولا يجوز اسناد اعقاب النفاق الى المعاهدة والتصدق
والصلاح لان هذه الثلاثة اعمال الخير فلا يجوز جعلها موثرة في حصول النفاق
في القلب لان النفاق عبارة عن الكفر وهو جهل وترك بعض الواجب لا يكون
موثرا في الوجود ولان البخل والتولي والاعراض قد يوجد في كثير من الفساق
مع انه لا يحصل معه النفاق ولان هذا الترك لو اوجب حصول الكفر في القلب
لاوجبه سواء كان هذا الترك جايزا شرعا او محرما شرعا لان بسبب اختلاف
الاحكام الشرعية لا يخرج الموثر عن كونه موثرا ولانه تعالى قال بما اخلفوا
الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون فلو كان فعل الاعقاب مستندا الى البخل
والتولي والاعراض لصار تقدير الاية فاعقبهم ببخلهم وتوليهم واعراضهم
نفاقا في قلوبهم بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون وذلك لا يجوز
لانه فرق بين التولي والاعراض وحصول النفاق في القلب بسبب التولي
ومعلوم انه كلام باطل فثبت بهذه الوجوه انه لا يجوز اسناد الاعقاب الى
شئ من الاشياء المتقدم ذكرها الا الى الله تعالى فوجب اسناده اليه فصار
المعنى ان الله تعالى هو الذي يعقب النفاق في قلوبهم وذلك يدل على
ان خالق الكفر في القلوب هو الله تعالى وهو الذي قاله الزجاج ان معناه انهم
لما صلوا في الماضي جهة تعالى جازاهم اضلهم عن الدين في المستقبل ويوكد ذلك
قوله تعالى فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه فالضمير في قوله يلقونه
عايد الى الله تعالى فكان الاولى ان يكون قوله فاعقبهم مسندا الى الله تعالى
قال القاضي المراد من قوله فاعقبهم نفاقا في قلوبهم اي فاعقبهم العقوبة ٥
عن النفاق وتلك العقوبة هي حدوث الغم في قلوبهم وضيق الصدر وما
ينالهم من الكمد والذل والذم ويدوم ذلك بهم الى الاخرة وهذا
بعيد لانه عدول عن الظاهر من غير دليل فان ذكروا دليلا عقليا ٥
قوبلوا بدليل عقلي والله اعلم **فصل** ظاهر الاية يدل على ان نقض
العهد وخلف الوعد يورث النفاق فيجب على المسلم الاحتراز عن ذلك
ويجتهد في الوفاء به ومذهب الحسن البصري انه يوجب النفاق لا محالة
لهذه الاية ولقوله عليه السلام من كن فيه كان منافقا وان صلى وصام ٥
وزعم انه مومن اذا حدث كذب واذا وعد خلف واذا ايتمن خان وتقل ان ٥

واصل

واصل بن عطا بن ابي ٣ قال اتى رجل الحسن فقال ان اولاد يعقوب حدثوه
في قولهم فاكله الذيب فكذبوه ووعدوه في قولهم وانا له لحافظون فاخلفوه
وايتمنهم ابوهم على يوسف فخانوه فهل نحكم بكونهم منافقين فوفق الحسن في مذهبه
وفسر عمر بن عبيد الحديث فقال اذا حدث عن الله كذب عليه وعلى دينه وعلى رسوله
واذا وعد اخلف كما ذكره الله فيمن عاهد الله واذا ايتمن على دين الله خان في
السر فكان قلبه على خلاف لسانه **قوله** الى يوم يلقونه قال الجباي عسى
في اثبات الرويه بقوله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام قال واللقا ليس عبارة
عن الرويه بدليل قوله في صفة المنافقين الى يوم يلقونه واجمعوا على ان
الكفار لا يرونه فدل على ان اللقا ليس عبارة عن الرويه ويويده قوله عليه
السلام من حلف على يمين كاذبة ليقتطع حق امرء مسلم لقي الله وهو عليه غضبان
واجمعوا على ان المراد من اللقا ههنا لقا ما عند الله من العقاب فكذا ههنا
قال ابن الخطيب وهذا دليل ضعيف لانا اذا تركنا حمل لفظ اللقا على الرويه
في هذه الاية وفي الخبر لدليل منفصل فلا يلزمنا ان نخصص جميع العمومات
من غير دليل فكما لا يلزمنا هذا لا يلزمنا ذلك **قوله** بما اخلفوا الله
ما وعدوه وبما كانوا يكذبون اي انه تعالى اعقبهم ذلك النفاق في قلوبهم ٥
لاجل اخلافهم الوعد وعلى كذبهم وقرا الجمهور يكذبون مخففا وابو رجا مثقلا
قوله تعالى الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم الاية قرا الجمهور يعلموا
بالياء من تحت وقرا علي بن ابي طالب والحسن والسلمي بالخطاب التفاتا للمومنين
دون المنافقين والسر ما ينطوي عليه صدورهم والنجوى ما تفاوض فيه ٥
بعضهم بعضا فيما بينهم ماخوذ من النجوه وهو الكلام الخفي كان المتناجيين ٥
منعا ادخال غيرهما معهما ونظيره قوله تعالى وقربناه نجيا وقوله ٥
تعالى فلما استياسوا منه خلصوا نجيا وقوله فلا تتناجوا بالاثم والعدوان
ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى فالمعنى ان الله تعالى يعلم سرهم
ونجواهم فكيف يخفون على النفاق الذي الاصل فيه الاستسرار ٥
والتناجي فيما بينهم مع علمهم بانه تعالى يعلم ذلك من حالهم كما يعلم الظاهر
وانه يعاقب عليه كما يعاقب على الظاهر ثم قال تعالى وان الله علام الغيوب
والعلام مبالغة في العلم والغيب ما كان غايبا عن الخلق **قوله**
تعالى الذين يلمزون المطوعين من المومنين في الصدقات الاية في الذين
يلمزون اوجه احدها انه اضمار مرفوع على اضمار مبتدا اي هم الذين الثاني
انه في محل رفع بالابتدا ومن المومنين حال من المطوعين وفي الصدقات ٥
متعلق بيلمزون والذين لا يجدون نسق على المطوعين اي يعيبون المباشر

كواوجه

ذكر في تاويل الضمير
كما ان اذا اوجب تاويل الدليل منفصل
في بعض الصور فلا يلزم منه

والفقراء قال مكي والذين جعفر عطفا على المؤمنين ولا يحسن عطفه على المطوعين
لانه لم يتم اسما بعد لان فسيسخرون نعت على يلمزون هكذا ذكره النحاس في الاعراب
له وهو عندي وهم منه قال شهاب الدين ولا امر فيه كما ذكر فان المطوعين قد تم
من غير احتياج لخبره وقوله فسيسخرون نسق على الصلة وخبر المبتدا الجملة
من قوله سخر الله منهم هذا اظهر اعراب قيل هنا وقيل والذين لا يجدون ٥
نسق على الذين يلمزون ذكره ابو البقاء وهذا لا يجوز لانه يلزم الاخبار عنهم
بقوله سخر الله منهم وهذا لا يكون الا ان كان الذين لا يجدون منافقين واما
اذا كانوا مؤمنين كيف يسخر الله منهم وقيل والذين لا يجدون نسق على ٥
المؤمنين قاله ابو البقاء قال ابو حيان وهو بعيد جدا ووجه بعده انه
يلزم ان الذين لا يجدون ليسوا مؤمنين لان اصل العطف الدلالة على المغايرة
وكانه قيل يلمزون المطوعين من هذين الصنفين المؤمنين والذين لا ٥
يجدون فيكون الذين لا مطوعين غير مؤمنين وقال ابو البقاء في الصدقات
متعلق بيلمزون ولا يتعلق بالمطوعين ليلا يفصل بينهما باجنبي وهذا
منه فطر اذ قوله من المؤمنين حال والحال ليست باجنبي وانما يظهر
في رد ذلك ان تطوع انما يتعدى بالباء لا بفي وكون في بمعنى الباء خلاف
الاصل وقيل فيسخرون خبر المبتدا او دخلت الفا لما تضمنه المبتدا
من معنى الشرط وفي هذا الوجه بعد من حيث انه يقرب من حيث انه ٥
يقرب من كون الخبر في معنى المبتدا فان من عاب انسانا وعنفه ٥ علم
انه يسخر منه فيكون كقولهم سيد الجارية مالكها الثالث ان يكون
محله نصبا على الاشتغال باضمار فعل يفسره سخر الله منهم من طريق
المعنى نحو عاب الذين يلمزون سخر الله منهم الرابع ان ينصب على الشتم ٥
الخامس ان يكون مجرورا بدلا من الضمير في سرهم ونحوا هم وقرئ يلمزون
بضم الجيم والميم وقد تقدم انها لغة وقرأ الجمهور جهدهم بضم الجيم ٥
وقرأ ابن مسعود وجماعة جهدهم بالفتح فقيل لغتان بمعنى واحد وقيل
المفتوح المشقة والمضموم الطاقة قاله الفتيبي وقيل المضموم شيء قليل
يعاش به والمفتوح العمل وقوله سخر الله يحتمل ان يكون خبرا محضا ٥
وان يكون دعاء **فصل** اعلم ان هذا نوع آخر من اعمالهم القبيحة وهو
لمزهم من يأتي بالصدقات قال المفسرون لما حث رسول الله صلى الله عليه
وسلم على الصدقة تحامل عبد الرحمن بن عوف باربعة الاف درهم فقال
يا رسول الله مالي ثمانية الاف جئتك باربعة الاف فاجعلها في سبيل
الله وامسكت اربعة الاف لعيالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

بارك

بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك الله في مال عبد الرحمن حتى
انه خلف امراتين يوم مات فبلغ ثمن ماله لهما مائة الف وستون الفا وتصدق
يومئذ عاصم بن عدي العجلاني بمائة وسق من تمر وجاء ابو
عقيل الانصاري واسمه الحباب بصاع من تمر وقال يا رسول الله بت
ليلتي اجر بالحبل الماء حتى نلت صاعين من تمر فامسكت احدهما لاهلي وقد
وانيتك بالاخر فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينثره في الصدقات
فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وان كان
الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه
ليعطى من الصدقة فانزل الله الذين يلمزون اي يعيبون المطوعين اي
المتطوعين المتبرعين من المؤمنين في الصدقات يعني عبد الرحمن بن ٥
عوف وعاصما والذين لا يجدون الا جهدهم اي طاقتهم والجهد شيء قليل
يعاش به المقل والجهد بالفتح والجهد بالضم بمعنى واحد يعني اباعقيل
فيسخرون منهم سيتهزؤن منهم سخر الله منهم اي جازاهم على السخرية
وقال الاصم المراد انه تعالى قتل من هؤلاء المنافقين ما اظهروه من
اعمال البر مع انه لا يتيسر عليها فكان ذلك كالسخرية ولهم عذاب اليم
قوله تعالى استغفر لهم او لا تستغفر لهم الاية قال ابن عباس
ان عند نزول هذه الاية الاولى في المنافقين قالوا يا رسول الله استغفر
لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سأستغفر لكم فنزلت قوله استغفر
لهم او لا تستغفر لهم لفظه امر ومعناه خبر تقديره استغفرت لهم ام لا ٥
تستغفر لهم لن يغفر الله لهم قال الضحاك لما نزلت هذه الاية قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد رخص لي فلازيدن على السبعين لعل الله
ان يغفر لهم فانزل الله عز وجل سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر
لهم لن يغفر الله لهم ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم
الفاسقين **قوله** سبعين مرة منصوب على المصدر كقولك ضربته
عشرين ضربة فهو لعدد مراته وقوله استغفر لهم او لا تستغفر لهم قد
تقدم الكلام على هذا عند قوله قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم
وانه نظير قوله ٥

٥ استي بنيا واحسني لا مسيئة ٥ لديا ولا مقلية ان تقلت ٥

قوله تعالى فرح المخلفون بمقعدهم الاية بمقعدهم متعلق ٥
بفرح وهو يصلح لمصدر ومقعد وزمانه ومكانه قال الجوهري يقال قعد قعودا
ومقعدا اي جلس واقعده غيره والمخلف المتروك اي خلفهم الله وثبطهم

اوخلفهم رسوله عليه السلام والمومنون لما علموا بقتا قلهم عن الجهاد والمراد
بالمقعد ههنا المصدر اي بقعودهم واقامتهم بالمدينه وقال ابن عباس يريد ٥
المدينه فعلى هذا هو اسم للمكان فان قيل انهم احتالوا حتى تخلفوا عن رسول
الله فكان الاولى ان يقال فرح المتخلفون فالجواب من وجوه احدها ان الرسول
عليه السلام منع اقواما من الخروج معه لعلمه بانهم يفسدون ويشوشون وكان
هذا في غزوة تبوك فهولا كانوا مخلفين مخلفين وثانيها ان اولئك المتخلفين
صاروا مخلفين في قوله بعد هذه الاية فان رجعك الله الى طايفة منهم فاستاذنوك
للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا فلما منعهم الله من الخروج
صاروا مخلفين وثالثها ان من يتخلف عن اكثر رسول صلى الله عليه وسلم بعد
تخصيصه الى الجهاد يوصف بانه تخلف من حيث انه لم ينهض وبقي واقام ٥
قوله خلاف رسول الله فيه ثلاثة اوجه احدها انه منصوب على
المصدر بفعل مقدر مدلول عليه بقوله مقعدهم لانه في معنى تخلفوا خلاف ٥
رسول الله الثاني ان خلاف مفعول من اجله والعامل فيه اما فرح واما
مقعد اي فرحوا لاجل مخالفتهم رسول الله حيث مضى هو للجهاد وتخلفوا
هم عنه او بقعودهم لمخالفتهم له والية ذهبا الطبري والزجاج وقطرب
ويويد ذلك قراءة من قرا خلفك بضم الخا وسكون اللام والثالث ان ٥
ينتصب على الظرف اي بعد رسول الله يقال اقام زيد خلاف القوم اي تخلف
بعدذهابهم قال الاخفش وابو عبيده ان خلاف بمعنى خلف وان يونس
رواه عن عيسى بن عمر وان معناه بعد رسول الله ويويده قراءة بن عباس
وابي حيوة وعمرو بن ميمون وخلف بفتح الخا وسكون اللام وعلى هذا
القول الخلاف اسم للجهة المعينه كالخلف وذلك ان المتوجه الى قدامه
جهة خلفه مخالفة لجهة قدامه في كونها جهة متوجها اليها وخلاف ٥
بمعنى خلف مستعمل وانشد ابو عبيد للاخوص ٥

٥ عقب الربيع خلافهم فكانما ٥ بسط الشواطب بينهن حصيرا ٥

وقول الاخر ٥ فقل للذي يبغي خلاف الذي مضى ٥ تاهب لاخري مثلها فكان قد ٥
قوله وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اي انهم
فرحوا بسبب التخلف وكرهوا الذهاب الى الغزو واعلم ان الفرح بالاقامة
يدل على كراهية الذهاب الا انه اعاده للتاكيد او لعل المراد ان طبعه
مال الى الاقامة لاجل الف البلده واستيناسه باهله وولده وكره
الخروج الى الغزو لانه تعريض بالمال والنفس للقتل وايضا منعهم من
الخروج شدة الحر في وقت خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو

المراد

المراد من قوله لا تنفروا في الحر فاجاب الله عن هذا بقوله قل نار جهنم اشد
حرا لو كانوا يفقهون اي يعلمون وكذلك هو في مصحف عبد الله بن مسعود
اي بعد هذه الدار دار اخرى وبعد هذه الحياة حياه اخرى وايضا ٥
هذه مشقه منقضية وتلك مشقه باقيه وانشد الزمخشري لبعضهم ٥

٥ مسرة احقاب تلقيت بعدها ٥ مصايب يوم واحد تناسب الصابه ٥

٥ فكيف بان تلقى مسرة ساعة ٥ ورا ان تقضيها مساة احقاب ٥

قوله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا الاية قليلا وكثيرا فيهما
وجهان اظهرهما انهما منصوبان على المصدر اي ضحكا قليلا وبكا كثيرا ٥
لحذف الموصوف وهو احد المواضع المطرد فيها حذف الموصوف واقامة الصفه
مقامه والثاني انهما منصوبان على ظرفي الزمان اي زمانا قليلا وزمانا
كثيرا والاول اولى لان الفعل يدل على المصدر بشيئين بلفظه ومعناه
بخلاف ظرف الزمان فانه لا يدل عليه بلفظه بل بهيئة الخاصه بلفظه وهذا
وان ورد بصيغة الامر الا ان معناه الاخبار بانه ستحصل هذه الحالة
لقوله تعالى بعده جزاء بما كانوا يكسبون **قوله** جزاء فيه وجهان الاول
قال الزجاج مفعول لاجله اي بسبب الامر بقلة الضحك وكثرة البكا
جزاء هم بعملهم وبما متعلق بجزاء لتعديته به ويجوز ان يتعلق بمحذوف
لانه صفته والثاني انه ينتصب على المصدر بفعل مقدر اي يجزون
جزاء بما كانوا يكسبون في الدنيا من النفاق **قوله** تعالى فان رجعك
الله الاية رجع يتعدى كهذه الاية الكريمة ومصدره والرجع ٥
كقوله والسماء ذات الرجع ولا يتعدى بحور الينا ترجعون في قراءة من
بناه للفاعل والمصدر الرجوع كالدخول والمعنى فان ردك الله من غزوه
بتوك الى المدينه ومعنى الرجع مصير الشي الى المكان الذي كان فيه يقال
رجعته رجعا كقولك رددته ردا وقوله الى طايفة منهم انما خصص
لان جميع من اقام بالمدينه ما كانوا منافقين بل كان بعضهم مخلفين معذو
فاستاذنوك للخروج معك في غزوة اخرى فقل لهم لن تخرجوا معي ابدا
في سفر ولن تقاتلوا معي عدوا وهذا الجزي مجزي الذم واللعن لهم
وتجري اظهار نفاقهم وفضايحهم لان ترغيب المسلمين في الجهاد امر معلوم
بالضرورة من دين محمد عليه السلام لما منعوا هو لا من الخروج الى الغزو
بعد الاستيذان كان ذلك تصريحا بكونهم خارجين عن الاسلام ونظير قوله
تعالى سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى قوله قل لن تتبعونا ثم علل انه
تعالى علة ذلك المنع بقوله انكم رضيتم اي لانكم رضيتم بالقعود اول مرة ٥

رين

في غزوة تبوك قال ابو البقاء اول مرة ظرف قال ابو حيان الصحيح ان المعنى اول مرة حيان يعني ظرف زمان وهو بعيد قال شهاب الدين لان الظاهر انها منصوبة على المصدر وفي التفسير اول خرجة خرجها رسول الله صلى الله عليه وسلم فالمعنى اول مرة من الخروج قال الزمخشري قال قلت مرة نكرة وضعت موضع المرات للتفصيل فلم ذكر اسم التفضيل المضاف اليها وهو دال على واحدة من المرات قلت اكثر اللغتين ان يقال عند اكثر النساء وهي اكبر لمن ثم ان قولك هي كبرى امراة لا يكاد يعبر عليه ولكن هي اكبر امراة واول مرة واخر مرة والمعنى ان الحاجة في المرة الاولى الى مرافقتكم كانت اشد بعد ذلك زالت تلك الحاجة فلما تخلفتم عند مسيس الحاجة الى حضوركم بعد ذلك لا يقبلكم ولا يلتفت اليكم **قوله** مع الخالفين هذا الظرف يجوز ان يكون متعلقا باقعدوا ويجوز ان يتعلق بمحذوف لانه حال من فاعل اقعدوا او الخالفين المتخلف بعد القوم قال الاخفش ابو عبيد الخالفون جمع واحد خالفة وهو من تخلف الرجل في قومه والمعنى مع الخالفين من الرجال الذين تخلفوك في البيت فلا يبرحون وقال الفراء المراد بالخالفين المخالفين يقال عند خالف وصاحب خالف اذا كان مخالفا وقال الاخفش فلان خالفه اهل بيته اذا كان مخالفا لهم وقال الليث يقال هذا رجل خالفه اي مخالف كثير الخلاف فاذا جمعت قلت الخالفون وقال الاصمعي الخالف هو الفاسد يقال خلف فلان عن كل خير يخلف خلوفا اذا فسد وخلف الدين وخلف النبيذ اذا فسد ومنه خلوف فم الصائم والمراد بهم النساء والصبيان والرجال العاجزون فلذلك جاز جمعه بالتغليب وقال قتادة الخالفون النساء وهو مردود لدخول الجمع في قراءة عكرمة ومالك بن دينار مع المخلفين منصوبا من الخالفين كقوله ۵

۵ مثل القى ابلده برد الظلل ۵ وقوله عوادي يرد ۵

يريد الظلال وعوادي يارد ۵ **قوله** تعالى ولا تصل على احد منهم الاية منهم صفة لاحد وكذلك الجملة من قوله مات في موضع جر ايضا كانه قيل على احد منهم ميت ويجوز ان يكون منهم حالا من الضمير في مات ۵ اي مات حال كونه منهم اي متصفا بصفة النفاق كقولهم انت مني يعني على طريقتي وابدا ظرف منصوب بالنهي في الاية الاولى **فضل** اعلم انه تعالى امر رسوله في الاية الاولى بان بهيئهم ويذلهم بمنعهم من الخروج معه الى الغزوات ثم منعه في هذه الاية من ان يصلي على من مات منهم روي ابن عباس انه لما اشتكى عبد الله بن ابي بن سلول عاده رسول الله صلى الله

عليه

عليه وسلم فطلب ان يصلي عليه اذا مات ويقوم على قبره ثم انه ارسل الى الرسول صلى الله ۵ عليه وسلم وطلب منه قميصه ليكفن فيه فارسل اليه القميص الذي فوق قميصه وطلب الذي يلي جلده ليكفن فيه فقال عمر تعطي قميصك للرجس النجس فقال صلى الله عليه وسلم ان قميصي لا يغني عنه من الله شيا ولعل الله يدخل به الفا في الاسلام وكان المنافقون لا يفارقون عبد الله فلما راوه يطلب القميص منه يرجوا ان ينفعه اسلم منهم الفا فلما مات جا ابنه يعرفه فقال لصلي الله عليه وسلم لابنه صل عليه وادفنه فقال ان لم تصل عليه يا رسول الله لم يصل عليه مسلم فقام صلى الله عليه وسلم ۵ ليصلي عليه فجا عمر فقام بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين العدو ليلا يصلي عليه فنزلت الاية واخذ عمر بثوبه وقال لا تصل على احد منهم مات ابدا وهذا يدل على منقبة عظيمة من مناقب عمر وذلك لان الوحي نزل على وفق قوله في ايات كثيرة منها اخذ الفداء من اساري بدر كما سبق ومنها اية تحريم ۵ الخمر ومنها اية تخويل القبلة ومنها اية امر النساء بالاحتجاب وهذه الايات فصار نزول الوحي على مطابقة قول عمر منصبا عاليا ودرجة رفيعة في الدين ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لو لم ابعث لبعثت يا عمر نبيا قال القرطبي ان قال قائل كيف قال له انصل عليه وقد نهاك الله ان تصلي عليه ولم يكن ۵ تقدم نهي عن الصلاة عليهم قيل له يحتمل ان يكون ذلك وقع له في خاطر من قبيل الالهام والتحديث الذي شهد له به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان القران ينزل على وفق مراده كما قال وافقت ربي في ثلاث وجاء في اربع ۵ فيكون هذا من ذلك ويحتمل ان يكون فهم مجرد ذلك من قوله استغفر لهم او لا تستغفر لهم الاية ويحتمل انه فهم ذلك من قوله ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين فان قيل كيف يجوز ان يرغب الرسول عليه السلام في الصلاة عليه بعد علمه بانه كافر وقد مات على كفره وان صلاة الرسول عليه السلام ۵ مجرى مجرى الاجلال والتعظيم وايضا فالصلاة عليه تتضمن الدعا له وذلك محظور لانه تعالى اعلم انه لا يغفر للكافر البتة وايضا دفع القميص اليه يوجب اعزازه فالجواب لعل السبب فيه انه لما طلب من الرسول عليه السلام ۵ القميص الذي يمس جلده وليس ليدفن فيه غلب على ظن الرسول صلى الله عليه وسلم انه امن لان ذلك الوقت وقت توبة الفاجر وايمان الكافر فلما راى منه اظهار الاسلام وشاهد منه هذه الامارات التي دلت على سلامه ۵ غلب على ظنه اسلامه فبنى على هذا الظن ورغب في الصلاة عليه فلما نزل جبريل واخبره بانه مات على كفره امتنع من الصلاة عليه واما دفع القميص اليه فقيل ان العباس عم الرسول عليه السلام لما اسر ببدر لم يجد والله قميصا

وفاته

وكان رجلا طويلا فكساه عبد الله قميصه وقيل ان المشركين قالوا له يوم الحديبية
انا لانقاد لمحمد ولكن ننقاد لك فقال الا ان لي في رسول الله اسوة حسنة فشكر
رسول الله ذلك قال ابن عيينة كانت له عند النبي صلى الله عليه وسلم يد فاحب
ان يكافيه فان قيل كيف يجوز ان يرغب الرسول عليه السلام في الصلاة عليه
بعد علمه بانه كافر وقد مات على كفره وان صلاة الرسول عليه السلام تجري مجرى
الاجلال والتعظيم وايضا فالصلاة عليه تتضمن الدعاء له وذلك محظور لانه
تعالى اعلمه وقيل ان الله تعالى امره ان لا يرد سائلا لقوله واما السائل فلا تنهر
فلما طلب القميص منه دفعه اليه لهذا المعنى وقيل ان منع القميص لا يليق باهل
الكرم وذلك ان ابنه عبد الله بن عبد الله ابن ابي كان من الصالحين فالرسول
اكرمه لمكان ابنه وقيل لعل الله تعالى اوحى اليه اذا وقعت قميصك آلبه صار
ذلك سببا لدخول نفر من المنافقين في الاسلام ففعل لهذا الغرض كما روي
فيما تقدم وقيل ان الرافة والرحمة كانت غالبة عليه صلى الله عليه وسلم لقوله
تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فامتنع من الصلاة عليه لامر الله تعالى
بدفع القميص رافة ورحمة واعلم ان قوله ولا تصل على احد منهم مات ابدا
يحتمل تابيد النفي ويحتمل نفي التاسد والاول هو المقصود لان قوانين هذه
الايات دال على ان المقصود منعه من ان يصلي على احد منافقا كليا دائما ثم
قال تعالى ولا تقم على قبره وفيه وجهان الاول قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا دفن الميت وقف على قبره ودعا له فمنع منه ههنا الثاني قال
الكلبي لا تقم بمهمات قبره ولا تتول دفنه من قولهم قام فلان بامر فلان اذا
كفاه امره ثم انه تعالى علل المنع من الصلاة عليه والقيام على قبره بانهم كفروا
بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون فان قيل الفسق ادنى حالا من الكفر
فلما علل بكونه كافرا فما فايدة وصفه بعد ذلك بالفسق فالجواب ان
الكافر قد يكون عدلا في دينه وقد يكون فاسقا في دينه خبيثا ممقوتا
عند قومه بالكذب والخداع والمكر وهذه امور مستقبحة في جميع الاديان
فالمنافقون لما كانوا موصوفين بهذه الصفات وصفهم الله تعالى بالفسق بعد
ان وصفهم بالكفر تنبيها على ان طريقة النفاق طريقة مذمومة عند جميع
العالم فان قيل قوله بانهم كفروا بالله صريح بان ذلك الذي معللا بهذه
العلة وذلك يقتضي تعليل الله تعالى وهو محال فان حكم الله قديم وهذه
العلة محدثة وتعليل القديم بالمحدث محال فالجواب ان البحث في هذه المسئلة
طويل وظاهر هذه الاية يدل عليه **فصل** قال القرطبي قوله تعالى ولا تصل على
احد منهم مات ابدا نص على الامتناع من الصلاة على الكفار وليس فيه دليل على الصلاة

على المومنين واختلفوا هل يوخذ من مفهومه وجوب الصلاة على المومنين فقيل يوخذ
لانه علل المنع من الصلاة على الكفار بكفرهم لقوله بانهم كفروا بالله ورسوله فاذا
زال وجب الصلاة كقوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون يعني الكفار
فدل على ان غير الكفار يرونه وهم المومنون وقيل انما توخذ الصلاة من
دليل خارج وهو الاحاديث والاجماع ومنشا الخلاف القول بدليل الخطاب وتركه
فصل جمهور العلماء على ان التكبير في الصلاة على الميت اربع تكبيرات وقال
ابن سيرين كان التكبير ثلثا باقراد وعن ابن مسعود وزيد بن ارقم يكبر خمسا
وعن علي ست تكبيرات **فصل** قال القرطبي والقراءة في صلاة الجنازة
في المشهور من مذهب مالك وابي حنيفة والثوري لقوله عليه السلام اذا
صليتم على الميت فاخلصوا له الدعاء وذهب الشافعي واحمد واسحاق ومحمد
بن مسلمة واشهب وداود الى انه يقرا بالفاتحة لقوله عليه السلام لا صلوة
لمن لم يقرا بفاتحة الكتاب والسنة ان يقف الامام عند راس الرجل وعند
مجمرة المراة **قوله** تعالى ولا تعجبك اموالهم واولادهم الاية قيل هذه
تاكيد للاية السابقة وقال الفارسي ليست للتاكيد لان تلك في قوم وهذه
في آخرين وقد تتغاير لفظ الايتين فهنا واو بالواو ولمناسبة عطف تهي على نهي
قبله في قوله ولا تصل ولا تقم ولا تعجبك فناسب ذلك الواو وهناك بالفا
لمناسبة تعقيب قوله ولا ينفقون الا وهم كارهون اي للانفاق فهم محجوبون
بكثرة الاموال والاولاد فنهاه عن الاعجاب بنا التعقيب وهنا واولادهم
دون لانه نهي عن الاعجاب بهما مجتمعين وهناك بزيادة لا لانه نهي عن كل واحد
واحد فدل مجموع الايتين على النهي بالاعجاب بهما مجتمعين ومنفردين قال ابن
الخطيب السبب فيه ان مثل هذا الترتيب يبدا فيه بالادنى ثم يرقى الى الاشرف
فيقال لا يعجبني امر الوزير ولا امر الامير وهذا يدل على انه كان اعجابا باولئك
الاقوام باولادهم فوق اعجابهم باموالهم وفي هذه الاية يدل على عدم التفاوت
بين الامرين عندهم وهنا قال ان يعذبهم وهناك ليعذبهم واتى باللام المشعرة
بالعلية ومفعوله الارادة محذوف اي انما يريد الله اختبارهم بالاموال والاولاد
واتى بان لان مصب الارادة التعذيب اي انما يريد الله تعذيبهم فقد اختلف
متعلق الارادة في الايتين هذا هو الظاهر وقال ابن الخطيب فايدة التنبيه
على ان التعليل في احكام الله تعالى محال وانه انما ورد حرف التعليل زايدا
ومعناه ان كقوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله اي وما امروا الا
بان يعبدوا الله وهناك في الحياة الدنيا وهنا سقطت الحياة تنبيها على
خسة الدنيا وانها لا تستحق من ان تسمى حياة لاسيما وقد ذكرت بعد ذكر موت

المنافقين فناسبان لا تشمئ حياة **قوله** تعالى واذا انزلت سورة الاية اذا لاتقتضي تكرارا بوضعها وان كان بعض الناس فهم منها ذلك هنا وقد تقدم ذلك اول البقرة واشد عليه ٥

٥ اذا وجدت اوان الحب في كبدي ٥ وان هذا انما بنهم من القرائن لا من وضع اذا **قوله** ان اصوافيه وجهان احدهما انها تفسيرية لانه قد تقدمها ما هو بمعنى القول لاحروفه والثاني انها مصدرية على حذف حرف الجر اي بان اصوا وفي قوله استاذنك التفات من غيبة الى خطاب وذلك انه قد تقدم لفظ رسوله فلو جاء على الاصل لقيل استاذنه **فصل** اعلم انه تعالى بين في الايات المتقدمة احتيال المنافقين في التخلف عن الرسول والقعود عن الغزو واجتهادهم ههنا انه متى نزلت اية فيها الامر بالغزو مع الرسول استاذن اولوا الثروة والقدرة منهم في التخلف عن الغزو وقالوا للرسول عليه السلام ذرنا نكن مع القاعدين اي مع الضعفا من الناس والمساكين في البلد والسورة يجوز ان يراد تمامها وان يراد بعضها كما يقع القرآن والكتاب على كله وبعضه وقيل المراد بالسورة براءة لان فيها الامر بالايمان والجهاد **قوله** رضوا بان يكونوا مع الخوالف الخوالف جمع خالفة من صيغة النساء وهذه صيغة تذكر للرجل ٥ وما ادري وسوف اخال ادري ٥٥ اقوم آل حصن ام نساء ٥

٥ فان يكن النساء مخبأة ٥ فحق لكل محصنة هداء ٥

وقال اخر ٥ كتب القتل والقتال علينا ٥٥ وعلى الغانيات جر الذيول ٥

وقال الخاص يجوز ان يكون الخوالف من صيغة الرجال بمعنى انها جمع خالفة يقال رجل خالفة اي لا خير فيه فعلى هذا يكون جمعا للمذكور باعتبار لفظه وقال ٥ بعضهم انه جمع خالف يقال رجل خالف اي لا خير فيه وهذا مردود فان فواعل لا يكون جمعا لفاعل وصفا لفاعل الا ما شذ من نحو فوارس وبواكس وهو لك ثم قال تعالى وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون وقد تقدم الكلام في الطبع والختم اول البقرة **قوله** تعالى لكن الرسول والذين امنوا الاية ومعنى هذا ٥ الاستدراك انه ان تخلف هؤلا المنافقون عن الغزو فقد توجه اليه من هو خير منهم ونظيره فان يكفر بها هؤلا فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين وقوله فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسامون ولما وصفهم بالمسارعة الى الجهاد ذكر ما حصل لهم من الفوائد وهي انواع اولها قوله اولئك لهم الخيرات والخيرات جمع خيرة على فعله بسكون العين وهو المستحسن من كل شي وغلب استعماله في النساء ومنه قوله تعالى فيهن خيرات حسان وقول الشاعر

٥٥٥ ولقد طعنت مجامع الذيلات ٥ ذيلات هند خيرة الملكات ٥ قال المفسرون

بلغ مقابلة

١٥

هي الجواري الحسان والجنة وقال ابن عباس الخيرات لا يعلم معناه الا الله كما قال جل ذكره فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقيل المراد بالخيرات الثوان وشابها قوله اولئك هم المفلحون والمراد منه التخلص من العقاب وثالثها قوله اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها احتمل ان تكون هذه الجنات كالتفسير للخيرات وللفلاح ويحتمل ان تحمل الجنات على ثواب الاخرة والفلاح على منافع الدنيا كالعز والثروة والقدرة والغلبة والفوز العظيم عبارة عن كون تلك الحالة مرتبة رفيعة ودرجة عالية **قوله** تعالى وجا المعذرون من الاعراب الاية لما شرح احوال المنافقين الذين كانوا في المدينة شرح في هذه الاية احوال المنافقين من الاعراب قرا الجمهور المعذرون بفتح العين وتشديد الذال وهي يحتمل الوجهين ان يكون وزنه فعل مضعفا ومعنى التضعيف التكلف والمعنى انه يوهم ان له عذرا ولا عذر له والثاني ان يكون وزنه افتعل والاصل اعتذروا فادغمت التا في الذال بان قلبت تا الافتعال ذالا ونقلت حركتها الى الساكن قبلها وهو العين ويدل على قراة سعيد بن جبير المعتذرون على الاصل واليه ذهب الاخفش والفراء وابو عبيد وابو حاتم والزجاج وابن الانباري والاعتذار قد يكون بالكذب كما في قوله يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم وكان ذلك الاعتذار فاسدا لقوله فلا تعتذروا لن ٥ وقد يكون بالصدق كقول لبيد ٥ ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر ٥ يريد فقد جا بعذر صحيح وقرا زيد بن علي والضحاك والاعرج وابو صالح وعيسى بن هلال وهي قراة ابن عباس ومجاهد ايضا ويعقوب والكسائي المعذرون بسكون العين وكسر الذال مخففة من اعذر بمعذر كاكوم بكومر وقرا مسلمة المعذرون بتشديد العين والذال من تعذر بمعنى اعتذر قال ابو حاتم اراد المعتذرون والتا لا تدغم في العين لبعد المخارج وهي غلط منه او عليه **قوله** ليوذن متعلق بجا وحذف الفاعل واقيم الجار مقامه للعلم به اي ليا ذن لهم الرسول **فصل** اما قراة التخفيف فهم الكاذبون في العذر وانما قراة التشديد فيحتمل ان يكونوا صادقين وان يكونوا كاذبين قال ابن عباس هم الذين تخلفوا بعذر باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول بعض المفسرين ايضا قال المعذرون كانوا صادقين لانه تعالى لما ذكرهم قال بعده وقعد الذين كذبوا الله ورسوله فلما ميزهم عن الكاذبين دل على انهم ليسوا ٥ كاذبين وقال الضحاك هم رهط عامر بن الطفيل جاوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذروا عن انفسهم فقالوا يا نبي الله انا نحن عذرنا معك لتغير اعراب طيي على حلائلنا واولادنا ومواشينا فقالوا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

قد نبأني الله من اخباركم وسيعفني الله عنكم وروي الواحدي عن ابي عمرو انه لما
قيل له هذا الكلام قال ان قوما تكلفوا اعذارا باطلة فهم الذين عناهم الله بقوله
وجاء المعذرون ويحتمل احرون لا بعذر ولا بشبهة عذر جراة على الله تعالى
فهم المرادون بقوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله فاوعدهم الله بقوله ٥
سيصيب الذين كفروا منهم عذاب اليم في الدنيا بالقتل وفي الاخرة بالنار
وانما قال منهم لانه تعالى كان عالما بان بعضهم سيؤمن فذكر بلفظة من الدالة
على التبعيض وقرا الجمهور كذبوا بالتخفيف اي كذبوا في ايمانهم وقرا الحسن
في المشهور عنه وابي واسماعيل كذبوا بالتشديد اي لم يصدقوا اما جاء به
الرسول عن ربه ولا امتثلوا امره ثم ذكر اعذار اهل العذر فقال ليس على الضعفا
قال ابن عباس يعني الزمنى والمشايخ والعجزة وقيل هم الصبيان وقيل هم
النسوان ولا على المرضى وهم اصحاب العمى والمرض والزمانة ومن كان ٥
موصوفا بمرض يمنعهم من المحاربة التمكن من المحاربة ولا على الذين لا يجدون
ما ينفقون يعني الفقراء حضورهم كلا ولا على المجاهدين حرج ما ثم
وقيل ضيق عن القعود في العذر وثم انه تعالى شرط هذا الشرط خبر شرطا
معينا فقال اذا نصحوا لله ورسوله قرا ابو حيوة نصحوا الله بدون لام وقد
تقدم ان نصح يتعدى بنفسه وباللام والنصح اخلاص العمل من الغش ومنه ٥
التوبة النصوح قال نفطويه نصحت الشيء اذا اخلصته ونصحت له في القول اخلصته
له قال عليه السلام الدين النصيحة قالها ثلاثا قالوا لمن قال لله ولكتابه
ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم قال العلماء النصيحة لله اخلاص الاعتقاد
في الوحدانية ووصفه بصفات الالهية وتنزيهه عن النقايص والرغبة ٥
في محابه والبعد عن مساخطه والنصيحة لرسوله التصديق بنبوته ٥
والتزام طاعته في امره ونهيه وموالاة من والاه ومعاداة من عاداه
وتوقيره ومحبته ومحبة اهل بيته وتعظيم سنته واحيائها بعد موته
بالبحث عنها والتفقه فيها والذب عنها ونشرها والدعا اليها والتخلق ٥
باخلاقه الكريمة وكذا النصح لكتاب الله قراءته والتفقه فيه والذب عنه
وتعظيمه واكرامه والتخلق به واما النصح لائمة المسلمين ترك الخروج عليهم
وارشادهم الى الحق وتنبيههم فيما اغفلوه من امور المسلمين ولزوم طاعتهم
والقيام بواجب حقهم واما النصح لائمة المسلمين ترك الخروج عليهم وارشادهم
الى الحق وتنبيههم فيما اغفلوه والقيام بواجب حقهم واما النصح للعامة فبترك
معاداتهم وارشادهم وحب الصالحين منهم والدعا لجميعهم وارادة الخير لكافتهم
والمعنى انهم اذا قاموا لا يلقوا الا ما يحبون ولا يثيروا الفتن ويسعوا في ايصال

في جواز ترك

لا لوم على المسلمين

الخير

الخير الى المجاهدين او يقوموا باصلاح مهمات بيوتهم ويسعوا في ايصال الاخبار ٥
السارة من بيوتهم اليهم ويخلصوا الايمان والعمل لله فهذه امور جارية مجرى
الاعانة على الجهاد ثم قال تعالى ما على المحسنين من سبيل فقوله من سبيل فاعل
بالجار قبله لاعتماده على النفي ويجوز ان يكون مبتدا والجار قبله خبره وعلى
كلى القولين فمن مزيدة فيه اي ما على المحسنين سبيل والمعنى انه لا اثم عليه
بتسبب الى عفوه القعود عن الجهاد والله غفور رحيم قال قتادة نزلت في عايذ
بن عمرو واصحابه وقال الضحاك نزلت هذه الاية في عبد الله بن ام مكتوم
وكان ضريرا **فصل** قال بعضهم في هذه الاية نوع من البديع يسمى التلميح
وهو ان يشار الى قصة مشهورة او مثل سايرا او شعر نادر نحوي كلامك ٥
من غير ذكر ومنه قوله ٥

اليوم خمر وغدا امر

اليوم بين انعام واياس

يشير لقول امرء القيس لما بلغه قتل ابيه ٥ اليوم خمر وغدا امر ٥ وقول الاخر ٥
ٱ فوالله ما ادري اجلم نايم ٥ ام الموت بنا امر كان في الركب يوشع ٥
يشير الى قصة يوشع عليه السلام واستيقافه الشمس ٥ وقول الاخر ٥

لعمرو مع الرمضاء والنار تلتظي ٥ ارق واحفى منك في ساعة الكرب

اشار الى البيت المشهور

والمستجير بعمرو عند كربته ٥ كالمستجير من الرمضاء بالنار

وكان قوله ما على المحسنين من سبيل اشهر ما هو بمعناه بين الناس فاشار اليه
من غير ذكر لفظه ولما ذكر ابو حيان التلميح لم يتقيده بقوله من غير ذكره ولا
بد منه لانه اذا ذكره بلفظه كان اقتباسا وتضمينا **فصل** اختلفوا ٥
في قوله ما على المحسنين من سبيل هل يفيد العموم فقال بعضهم لا لان اللفظ
مقصور على اقوام معينين نزلت الاية فيهم وقال اخرون لان العبرة بعموم
اللفظ لا بخصوص السبب والمحسن هو الاتي بالاحسان وراس ابواب
الاحسان قول لا اله الا الله فكل من قالها واعتقدها كان من المحسنين
فاقتضت نفي جميع السبيل فدل هذا اللفظ بعمومه على ان الاصل ٥
حرمة القتل وحرمة اخذ المال وان لا يتوجه عليه شيء من التكاليف الا
بدليل منفصل فصارت هذه الاية بهذه الطريق اصلا معتبرا في الشريعة
في تقرير ان الاصل براءة الذمة الى ان يرد نص خاص **قوله** ولا على
الذين فيه اوجه احدها ان يكون معطوفا على الضعفا اي ليس على الضعفا
ولا على الذين اذا ما اتوك فيكونون داخلين في خبر ليس مخبرا بمتعلقهم
عن اسمها ومورج الثاني ان يكون معطوفا على المحسنين فيكونون داخلا ٥

داخلين في خبر ليس فيما اخبر به عن قوله من سبيل يحتمل ان يكون مبتدا وان يكون اسم ما الحجازية ومن مزيدة في الوجهين الثالث ان يكون دليلا ولا على الدين خبر المبتدا المحذوف تقديره ولا على الذين اذا ما اتوك الى اخر الصلة حرج او سبيل وحذف لدلالة الكلام عليه قاله ابو البقاء ولا حاجة اليه لانه تقدير مستغني عنه اذ قدر شيئا يقوم مقامه هذا الموجود في اللفظ والمعنى وهذا الموصول اعني في قوله ولا على الذين اذا ما اتوك يحتمل ان يكون منصوبا معطوفا على الضمير المنصوب في لا يجدون ما ينفقون وذكر واعلى سبيل نفي الحرج عنهم وان لا يكونوا منذرجين بل بان يكون هو لاء وجدوا ما ينفقون الا انهم لم يجدوا مركوبا وقرا معقل بن هارون للحملهم بنون العظمة وفيها اشكال اذ كان مقتضى التركيب قلت لا اجد ما احملكم عليه الله **قوله** قلت فيه اربعة اوجه احدها انه جواب اذا الشرطية واذا وجوابها في موضع الصلة وقعت الصلة جملة شرطية وعلى هذا فيكون قوله تولوا جوابا لسؤال مقدر كان قائلا قال ما كان حالهم اذا جيبوا بهذا الجواب فاجيب بقوله تولوا الثاني انه في موضع نصب على الحال من كاف اتوك اي اذا اتوك وانت قائل لا اجد ما احملكم عليه وقد مقدره عند من يشترط ذلك في الماضي الواقع حالا كقوله اوجاؤكم حصرت صدورهم في احد الاوجه كما تقدم وفي هذا نحا الزمخشري الثالث ان يكون معطوفا على شرط فيكون في محل جر باضافة الظرف اليه بطريق النسق وحذف حرف العطف والتقدير وقلت وقد تقدم الكلام على هذه المسئلة والى هذا ذهب الجرجاني وشيعه بن عطية الا انه قدر العاطف فاء اي فقلت الرابع ان يكون مستانفا قال الزمخشري فان قلت هل يجوز ان يكون قوله قلت لا اجد استينافا فامثله مثل رضوا بان يكونوا مع الخوالف كانه قيل اذا ما اتوك لتحملهم تولوا فقيل لهم تولوا باكين قلت لا اجد ما احملكم عليه الا انه وسط بين الشرط والجزاء كالاعتراض قلت نعم وحسن انتهى قال ابو حيان ولا يجوز ولا يحسن في كلام العرب فكيف في كلام الله وهو فهم اعجمي قال شهاب الدين وما ادري ما سبب منعه وعدم استحسانه له مع وضوحه وظهوره لفظا ومعنى وذلك لان توليهم على حاله فيض الدمع ليس مرتبا على مجيئهم له عليه السلام ليحملهم بل على قوله لهم لا اجد ما احملكم واذا كان كذلك فقوله عليه السلام لهم ذلك سببا في بكائهم فحسن ان يجعل قوله قلت لا اجد ما احملكم جوابا لمن سال عن علة توليهم واعينهم فايضة ومقادهو المعنى الذي قصده ابو القاسم وعلى هذه الاوجه الثلاثة المتقدمة في قلت يكون جواب **فصل** قال ابو العباس المقرئ ورد لفظ التولي في

القرآن الكريم على اربعة اوجه الاول بمعنى الانصراف قال تعالى تولوا واعينهم تفيض ومثله قوله تعالى ثم تولى الى الظل اي انصرف الثاني بمعنى اباقال تعالى فان تولوا فاعلم انما يتبعون اهواءهم اي ابوا ان يوحدوا ومثله قوله تعالى فان تولوا فخذوهم واقتلوهم الثالث بمعنى اعرض قال تعالى ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا الرابع الاعراض على الاقبال قال تعالى فلما تولوم الادبار **قوله** واعينهم تفيض في محل نصب على الحال من فاعل تولوا قال الزمخشري تفيض من الدمع كقولك تفيض من الدمع وانه جعل من الدمع تمييزا ومن مزيده وتقدم الرد عليه في ذلك هناك **قوله** حزنا في نصبه ثلاثة اوجه احدها انه مفعول من اجله والعامل فيه تفيض قاله ابو حيان لا يقال ان الفاعل هنا قد اختلف فان الفيض مستند للاعين والحزن صادر من اصحاب الاعين واذا اختلف الفاعل وجب جره بالحرف لانا نقول ان الحزن يسند للاعين ايضا مجازا يقال عين حزينة وسخينة وعين مسرورة فتقديره وفي ضد ذلك ويجوز ان يكون الناصب له تولوا وحينئذ يتحد فاعلا العلة والمعلول لحقيقة الثاني انه في محل نصب على الحال اي تولوا حزينين او تفيض الدمع اعينهم حزينة على ما تقدم من المجاز الثالث انه مصدر ناصبه مقدر من لفظه اي يحزنون حزنا قاله ابو البقاء وهذه الجملة الذي قدرها ناصبة لهذا المصدر هي ايضا في محل نصب على الحال اما من فاعل تولوا واما من فاعل تفيض **قوله** ان لا يجدوا فيه وجهان احدهما انه مفعول من اجله والعامل فيه حزنا ان اعربنا مفعولا له او حالا واما اذا اعربناه مصدرا فلان المصدر لا يعمل اذا كان مؤكدا لعامله وعلى القول بان حزنا مفعول من اجله يكون ان لا يجدوا على حذف لام العلة يعني انه يكون علل فيض الدمع بالحزن وعلل الحزن بعدم وجدان النفقة وهو واضح وقد تقدم تظيره ذلك في قوله جزاء بما كسبا نكالا من الله والثاني ان انه متعلق بتفيض قال ابو حيان ولا يجوز ذلك على اعرابه حزنا مفعولا له والعامل فيه تفيض اذ العامل لا يقتضي اثنين من المفعول له الا بالعطف او البدل **فصل** قال المفسرون هم سبعة نفر سموا البكائين معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب الانصاري وعلبة بن زيد الانصاري وزيد وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن معقل المزني اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله قد ندبنا للخروج معك فاحملنا واختلفوا في قوله لتحملهم قال ابن عباس

سالوه ان يحملهم على الدواب وقيل سالوه ان يحملهم على الخفاف المدبوغة والنعال
المخصوفة ليغزوا معه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا اجد ما احملكم عليه
تولوا وهم يبكون وقال الحسن نزلت في ابي موسى الاشعري واصحابه اتوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحملونه وافق ذلك منه واعظام ذودا
فقال واكله ابو موسى انست حلفت يا رسول الله فقال اما اني ان شاء الله ٥
لا احلف يمينا فاري غيرها خيرا منها الا اتيت الذي هو خير وكفرت عن
يميني ولما قال تعالى ما على المحسنين من سبيل قال في هذه الاية انما السبيل
بالعقوبة على الذين يستاذنونك في التخلف وهم اغنيا **قوله** بضواه ٥
فيه وجهان احدهما انه مستانف كانه قال قايل ما بالهم استاذنوك في القعود
وهم قادرون على الجهاد فاجيب بقوله رضوا بان يكونوا مع الخوالف وانه
قال الزمخشري والثاني انه في محل نصب على الحال وقد مقدره في قوله
وتقدم الكلام في الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون **قوله**
وطبع نسق على رضوا تبينها على ان السبب في تخلفهم رضاهم بالقعود ٥
وطبع الله على قلوبهم وقوله انما السبيل على فاني بعلي وان كان قد
يصل باني لان على تدل على الاستعلاء وقلة منعه من تدخل عليه ٥
نحو لي سبيل عليك ولا سبيل لي عليك بخلاف الي فاذا قلت لا سبيل عليك
فهو مغاير لقولك لا سبيل اليك ومن يجيء الا معه قوله ٥
الا ليت شعري هل ابيتن ليلة ٥ فاما الصبر عنها فلا صبرا ٥ وقوله
هل من سبيل الى خمر فاشربها ٥ ام من سبيل الى نصر بن حجاج ٥
قوله تعالى يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم روي ان المنافقين
الذين تخلفوا عن غزوة تبوك كانوا بضعة وثمانين نفرا فلما رجع رسوله
الله صلى الله عليه وسلم جاوا يعتذرون بالباطل قال الله تعالى قل لا تعتذروا
لن نؤمن لكم لم نصدقكم **قوله** قد نبانا الله فيها وجهان احدهما ٥
انها المتعدية الى مفعولين اولهما ناو الثاني قوله من اخباركم وعلى هذا
فهي من وجهان احدهما انها غير زايدة والتقدير قد نبانا الله اخبارا من
اخباركم فهو في الحقيقة صفة للمفعول المحذوف والثاني ان من مزيدة
عند الاخفش لانه لا يشترط فيها شيا والتقدير قد نبانا الله اخباركم
الوجه الثاني من الوجهين الاولين انها متعدية لثلاثة كاعلم فالاول
والثاني ما تقدم والثالث محذوف اختصارا للعلم به والتقدير هي
نبانا الله اخباركم كذبا ونحو قال ابو البقا قد يتعدى الى ثلاثة ولا ثنا

الاحزان محذوف فان تقدير اخبارا من اخباركم مشبعة ومن اخباركم بدله
على المحذوف وليست من زايدة اذ لو كانت زايدة لكانت مفعولا ثانيا
والمفعول الثاني محذوف وهو خطا لان المفعول الثاني هنا ذكر في هذا الباب لزم ذكر الثالث وقيل من
بمعنى عن قال شهاب الدين قوله ان حذف الثالث خطا ان عنى حذف الاختصار
مسلم وان عنى حذف الاختصار ممنوع وقد تقدم مذاهب الناس
في هذه المسئلة وقوله قد نبانا الله من اخباركم علة تصديقهم ثم قال
وسيرى الله عملكم ورسوله في المستانف تتوبون من نفاقكم ام تقيمون
عليه ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فان قيل لما قال وسيرى
الله عملكم ورسوله فلم لم يقل ثم تردون اليه فالجواب ان في وصفه ٥
تعالى بكونه عالم الغيب والشهادة ما يدل على كونه مطلعا على بواطنهم
الخبيثة وضمايرهم المملوة من الكذب والكيد وفيه تخويف شديد
وزجر عظيم لهم **قوله** تعالى سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم ٥
اليهم الاية لما حكى عنهم انهم يعتذرون اليكم ذكر ههنا انهم كانوا يؤكدون
تلك الاعذار بالايمان الكاذبة اذا انقلبتم انصرفتم اليهم انهم ما قدروا ٥
على الخروج لنعرضوا عنهم اي تصفحوا عنهم ولا توبخوهم قال تعالى
فاعرضوا عنهم قال ابن عباس يريد ترك الكلام والسلام وقال مقاتل قال
النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم من الحديبية لا تجالسوهم ولا تكلموهم
ثم ذكر العلة في وجوب الاعراض فقال انهم رجس والمعنى ان خبث
باطنهم رجس روحاني فكما يجب الاعتراض عن ارجاس الحسيات فيه وجب
الاحتراز عن الارجاس الروحانية اولى وقيل ان علمهم قبيح ومأواهم في
الاخرة جهنم اي منزلهم قال الجوهري المأوى كل مكان يأوي اليه شي ليلا
وقد اوى فلان الى فلان منزله يأوي اويا على فعول وآوى اواية
اذا انزلته بك فعلت بمعنى عن ابي زيد وماوي الابل بكسر الواو لغة
في ماوي الابل خاصة ومأوى جزاء كانوا يكسبون **قوله** جزاء
يجوز ان ينتصب على المصدر بفعل من لفظه مقدر اي يجزون جزاء وان
ينتصب بمضمون الجملة السابقة لان كونهم يأوون في جهنم في معنى المجازاة
ويجوز ان يكون مفعولا من اجله **قوله** تعالى يحلفون لكم لترضوا
عنهم الاية لما قال في الاية الاولى انهم يحلفون بالله ليعرض المسلمون عن
ايذايهم بين ههنا ايضا انهم يحلفون لترضى المسلمون ثم نهى المسلمين عن
ان يرضوا عنهم وذكر العلة في ذلك النهي وهي ان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين

قوله تعالى الاعراب اشد كفرا ونفاقا الاية لما بين ذكر الله تعالى احوال
المنافقين ذكر من كان خارجا منها ونائيا عنها من الاعراب فقال كفرهم اشد قال
قتاده ولانهم ابعد عن معرفة السنن وقيل لانهم اقسا قلبا واجبر تولا واغلظ
طبعا وابعد عن سماع السنن لرذلك قال تعالى في حقهم واجدر اي احق ٥
اي لا يعلموا ولما دله الكلام على نقضهم على المرتبة الكاملة هن من سواهم ترتب
على ذلك احكاما منها انه لا حق لهم في الفي والغنيمة لقوله عليه السلام في حد
بريدة ولا يكون لهم في الغنيمة والفي شيء الا ان يجاهدوا مع المسلمين ومنها
اسقاط شهادة اهل البادية عن الحاضرة لتحقق التهمة واجازها ابو حنيفة ٥
لانها لا تنافي كل تهم والمسلمون كلهم عنده عدول واجازها الشافعي اذا كان
عدلا وهو الصحيح قوله الاعراب صيغة جمع وليس جمعا للعرب قال سيبويه
وذلك ليلا يلزم ان يكون الجمع اخص من الواحد فان العرب هذا الجيل الخاص
سواء سكن البوادي او سكن القرى واما الاعراب فلا يطلق الا على من ٥
يسكن البوادي فقط وقد تقدم ذلك عند قوله تعالى رب العالمين اول
الفاتحة ولهذا النزق نسب الى الاعراب على لفظه فقيل اعرابي وجمع على
اعاريب قال اهل اللغة يقال رجل عربي اذا كان نسبة في العرب وجمعه
العرب كما يقال مجوسي ويهودي ثم يحذف يا النسب في الجمع ويقال المجوس
واليهود ورجل اعرابي بالالف اذا كان بدويا يطلب مساقط العشب والكلا
سواء كان من العرب او من موالينهم يجمع الاعرابي على الاعراب والاعاريب
والاعرابي اذا قيل له يا عربي فرح والعربي اذا قيل له يا اعرابي غضب
فمن استوطن القرى العربية فهو عربي ومن نزل البادية فهو اعرابي وبدل
على الفرق قوله عليه السلام حب العرب من الايمان واما الاعراب فقد ذمهم
الله تعالى في هذه الاية وايضا لا يجوز ان يقال للمهاجرين والانصار ٥
اعراب انما هم عرب وهم مشتقدمون في مراتب الدين على الاعراب قال عليه
السلام لا يؤمن امرأة رجلا ولا فاسق مومن ولا اعرابي مهاجرا فصل
قال بعض الحلما الجمع المحلى بالالف واللام الاصل فيه ان ينصرف الى المعهود
السابق حمل على الاستغراق للضرورة قالوا لان صيغة الجمع تكفي في حصول
معناها الثلاثة فما فوقها والالف واللام للتعريف فان حصل جمع هو معهود
سابق وجب التصيير اليه وان لم يوجد حمل على الاستغراق دفعا للاجمال قالوا
واذا ثبت هذا فقوله الاعراب والمراد منه جمع معينون من منافقي الاعراب
المراد منه جمع عربي كانوا يوالون منافقي المدينة فانصرف هذا اللفظ اليهم
فصل سمي العرب عربا لانهم ان اباهم يعرب بن قحطان وهو اول من

نطق

نطق بالعربية وقيل سموا عربا لان ولد اسماعيل نشأوا بالعربة وهي من تهامة ٥
فنسبوا الى بلدهم وكل من يسكن جزيرة العرب وينطق بلسانهم فهو منهم لانهم انما
يتوالدون من اولاد اسماعيل وقيل سموا عربا لان لسانهم معربة عما في ضمائر ٩
وهذه الاقوال ليست بشيء اما الاول فان اسماعيل حين ولدته هاجر نزلت
عندهم جرهم فزيج بينهم وكانوا عربا فقيل اسماعيل ولان يعرب من ولد ٥
اسماعيل وكان اسماعيل عربيا واما الثاني فلان اسماعيل تعلم العربية
من جرهم حين نزلوا عند مكة والصحيح ان العرب العاربة قبل ٥
اسماعيل منهم عاد وثمود وطسم وجديس وجرهم والعمالقة وادم يقال
انه كان ملكا وانه اول من سقف البيوت بالخشب المنشور وكانت الفرس
تسميه ادم الاصغر وبيوته قبيلة يقال لها وبار هلكوا بالرمل اتى عليهم
فاهلكهم وطمس مناهلهم وفي ذلك يقول بعض الشعرا ٥

٥ وكرّ دهرٌ على وبارٍ ٥ فهلكت جهرةً وبادوا ٥

واما الثالث فكل ضمير متعرب عما في ضمير صاحبه وانما يظهر ما قاله النسابون
من ان سام بن نوح قال بعضهم والصحيح ان شاء الله تعالى ان ادم نطق
بالعربية وغيرها من الالسن لقوله وعلم ادم الاسماء كلها ولا شك ان ٥
اللسان العربي مختص بانواع من الفصاحة والجزالة لا توجد في سائر الالسنة
قال بعض الحكماء حكمة الروم في ادمغتهم لانهم يحكمون لكن يقدرون على التركيبات
العجيبة وحكمة الهند في اوهامهم وحكمة اليونان في افيدتهم لكثرة مبالهم
من المباحث العقلية وحكمة العرب في السنتهم لجلالة الفاظهم وعذوبة
عباراتهم فصل اعلم انه تعالى حكم على الاعراب بحكمين الاول انهم
اشد كفرا ونفاقا والسبب فيه وجوه احدها ان اهل البدو ليس بهم ٥
الوحوش وشاهدها استيلاء الهوى الحار اليابس عليهم وذلك يزيد في البيه
والتكبر والتخرو التطيش عليهم وثانيها انهم ما كانوا تحت سياسة سائس
ولا تاديب مؤدب فنشأوا كما شاؤا ومن كان كذلك خرج على اشد الجهات
فساد وراجعها ان من اصبح وامسى مشاهدا لوعظ رسول الله صلى الله
عليه وسلم وبيناته الشافية كيف يكون مساويا لمن لم يرَ الزهد الحاجر
الزهد الخبر ولم يسمع خبره وخامسها قابل الفواكه الجبلية بالفواكه ٥
البستانية ليتعرف الفرق بين اهل الحضر والبادية واشد اصله اشدد ٥
وقد تقدم وقوله كفرا نصبا على الحال ونفاقا عطف عليه واجدر ٥
عطف على اشد والحكم الثاني قوله واجدر ان لا يعلموا اجدر اي احق
واولى يقال هو جدير واجدر وحقيق واحق وخليق واخلق وقمن بكذا ٥

بكذا اكله بمعنى واحد قال الليث حدر يحدر حدارة فهو حدير وهو يونث ويثنى
ويجمع قال ـــــ الشاعر ۵

﴿ يحمل عليها جبة عبقرية ۵ حدير رون يومًا ان بيالوا فيستعلوا ﴾

وقد نبه الزاعب على استقاق هذه المادة وانها من الجدار اي الحائط فقال
والحدير المنتهى لانها الامتر الله انتها الشيء الى الجدار والذي يظهر ان
اشتقاقه من الجدر وهو اصل النجوه فكانه ثابت كثبوت الشخص الجدر في
حدير بكذا وقوله ان لا يعلموا اي بان لا يعلموا فحذف حرف الجر فجرى الخلاف
المشهور بين الخليل والكسائي مع سيبويه والمراد بالجحود ما انزل
الله على رسوله وذلك ليقدم عن سماع القران ومعرفة السنن والله اعلم
بما في قلوب خلقه حكيم فيما فرض من فرايضه **قوله** ومن الاعراب
من يتخذ ما ينفق معرما نزلت في اعراب اسد وغطفان وتميم من مبتدا
وبي اما موصوله واما موصوفه ومغرما مفعول ثان لان اتخذ هنا بمعنى
صير والمغرم الخسران مشتق من الغرام وهو الهلاك لانه سببه ومنه
ان عذابها كان غراما وقيل اصله الملازمه ومنه الغريم للزومه من
يطالبه والمغرم مصدر كالغرامه والمغرم التزام ما لا يلزم قال عطا
لا يرجون على ما اعطاه ثوابا ولا يجازون على امساكه عقابا وانما ينفق
خوفا ورياء وينتربص عطف على يتخذ فهو اما صلة واما صفة والتربص
الانتظار وقوله بكم الدوائر فيه وجهان اظهرهما ان الباء متعلقه بالفعل
قبلها والثاني انها حال من الدوائر قاله ابو البقاء وليس بظاهر وعلى
هذا فيتعلق بمحذوف على ما تقرر والدوائر جمع دايره وبي ما يحيط
بالانسان من مصيبة ونكبة تصورا من الدايره والمحيطة بالشيء من غير
اعلات منها واصلها داوره لانها من دار يدور اي احاط ومعنى تربص
الدوائر انتظار المصايب قال ـــــ ۵

﴿ تربص بها ريب المنون لعلها ۵ تطلق يومًا او يموت خليلها ۵ ﴾

قال يمان بن رئاب يعني ينقلب الزمان عليكم فيموت الرسول ويظهر
عليكم المشركون **قوله** عليهم دايره السوء هذه الجملة معترضه بين
جمل هذه القصة وبي دعا على الاعراب المتقدمين وقرا ابن كثير وابو
عمرو منها السوء وكذا الفتح الثانيه في الفتح بالضم والباقون بالفتح ۵
واما الاولى في الفتح وبي ظن السوء فاتفق على فتحها السبعة فاما ۵
المفتوح فقيل هو مصدر وقال الفراء فتح السين هو الوجه لانه مصدر يقال
سوء سواء ومساءة وساوية ومسائية وبالضم الاسم كقولك عليهم

دايرة السوء هذه الجملة معترضه بين جمل هذه القصة وبي دعا على الاعراب المتقدمين
وقرا ابن كثير وابو عمرو منها السوء وكذا الثانية في الفتح بالضم والباقون بالفتح
واما الاولى في الفتح وبي ظن السوء فاتفق على فتحها السبعة فاما ۵
المفتوح فقيل هو مصدر وقال الفراء فتح السين هو الوجه لانه مصدر يقال
سوء سواء ومساءة وساوية ومسائية وبالضم الاسم كقولك عليهم
دايرة السوء والعذاب قال ابو البقاء وهو الضرر وهو مصدر في الحقيقة يعني ان في الاصل
كالمفتوح في انه مصدر ثم اطلق على كل ضرر وشر وقال مكي من فتح السين ۵
معناه الفساد والرداءة ومن ضمها فمعناه الهزيمة والبلاء والضرر ۵
وظاهر هذا انهما اسمان لما ذكر ويحتمل ان يكونا في الاصل مصدرا ثم اطلقا
على ما ذكر وقال غيره المضموم العذاب والضرر والمفتوح الامر الذي
انه اجمع على فتح ظن السوء وقوله ما كان ابوك امرء سوء فالاولى ذكر العذاب ب
بهذين الوصفين وقال الزمخشري فاحسن المضموم العذاب والمفتوح
ذم لدايره كقولك رجل سوء وفي نقيض رجل عدل لان من قارف خلة
يذم بها يقال انها من باب اضافة الموصوف الى صفته فوصفت في الاصل
بالمصدر مبالغة ثم اضيفت لصفتها كقوله تعالى ما كان ابوك امرء سوء
قال ابو حيان وقد حكى بالضم والسدي الاخفش ۵

۵ وكنت كذئب السوء لما راى دمًا ۵ بصاحبه يومًا احال على الدم ۵

وفي الدايره مذهبان اظهرهما انها صفة على فاعله كقايمة وقال الفراء
يجوز ان يكون مصدرًا كالعافية قال ولو لم يضف الدايره الى السوء والسوء
منها معنى السوء لان دايرة السوء لا تستعمل الا في المكروه والمعنى يدور
عليهم البلاء فلا يرون في محمد ودينه الا ما يسوءهم ثم قال والله سميع لقولهم
عليم بنياتهم **قوله** ومن الاعراب من يومن بالله واليوم الاخر ۵
الاية لما بين ان في الاعراب من يتخذ انفاقه في سبيل الله مغرمًا بين ههنا
ان منهم ايضًا من يومن بالله واليوم الاخر قال مجاهد هم بنو مقرن
من مزينه وقال الكلبي اسلم وغفار وجهينه وروي ابو هريره قال ۵
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلم وغفار وسبي من جهينه ومزينه
خير عند الله يوم القيامة من تميم واسد بن خزيمة وهوازن وغطفان
ويتخذ ما ينفق قربات فقربات مفعول ثان لتيتخذ كما مر في مغرمًا ولم
يحلف قربة السبعة في ضم اكثر من قربات مع اختلافهم في راء قربة كما سياتي
فيحتمل ان تكون هذه حمى لقربه بالضم كما بي قراءة ورش عن نافع ويحتمل ۵
بكون حمى للساكنها وانما ضمت اتباعًا كغرفات وقد تقدم التنبيه على هذه

القاعدة وشروطها عند قوله في ظلمات اول البقرة قال الزجاج يجوز في القربات
ثلاثة اوجه ضم القراء واسكانها وضمها والمعنى انهم يتخذوا ما ينفقونه سببا
لحصول القربات عند الله **قوله** عند الله في هذا الظرف ثلاثة اوجه ٥
اظهرها انه متعلق بيتخذ والثاني انه ظرف لقربات قاله ابو البقاء ونبه
بذلك الثالث انه متعلق بمحذوف لانه صفة لقربات **قوله** وصلوات
الرسول فيها وجهان اظهرهما انه ينسق على قربات وهو ظاهر كلام الزمخشري
فانه قال والمعنى ان ما ينفقه سبب لحصول القربات عند الله وصلوات
الرسول لانه كان يدعو للمتصدقين بالخير كقوله اللهم صل على آل ابي اوفى
والثاني وجوزه ابن عطية وكرره ابو البقاء ان انها مستوفية على ما
ينفق اي ويتخذ بالاعمال الصالحة صلوات الرسول قربة **قوله** الا
انها قربة الضمير في انها قيل عائد على صلوات وقيل على النفقات اي ٥
المفهومة من ينفقون وقرأ ورش قربة بضم الراء والباقون بسكونها فقيل
لغتان وقيل الاصل السكون والضم اتباع وقد تقدم الخلاف بين اهل ٥
النحو في هل يجوز تثقيل نحو فعل اي فعل وان بعضهم جعل عسرا ايسرا ٥
بضم السين فوعين على سكونها وقيل الاصل قربة بالضم والسكون تخفيف
نحو كتب ورسل وهذا اجري على لغة العرب اذ مبناها الهرب من الثقل ٥
الى الخفة وفي لسقيناكم هذه الجملة وتقديرها بجيء في التقية والتحقيق
الموذنين بثبات الامر وتمكنه شهاده من الله بصحة ما اعتقده من النفقة
قال معناه الزمخشري وقال ولكذلك سد خلة وما في السين من تحقيق ٥
الوعد ثم قال ان الله غفور لسيآتهم رحيم بهم حيث وفقهم لهذه الطاعات
قوله تعالى والسابقون الاولون الاية والسابقون فيه وجهان
اظهرهما انه مبتدا وفي خبره ثلاثة اوجه اظهرها انه الجملة الدعائية ٥
من قوله رضي الله عنهم والثاني ان الخبر قوله الاولون والمعنى والسابقون
الى الهجرة الاولون من اهل هذه الملة او السابقون الى الجنة الاولون ٥
من اهل الجنة الثالث ان الخبر قوله من المهاجرين والانصار والمعنى
فيه الاعلام بان السابقين من هذه الامة من المهاجرين والانصار وذكر
ذلك ابو البقاء وفي الوجهين الاخيرين تكلف الكلفي الثاني من وجهين ٥
السابقين ان يكون فسقا على من يومن بالله اي فمنهم السابقون وفيه بعد
والجمهور على جر الانصار نسقا على المهاجرين يعني ان السابقين من
هذين الجنسين وقرا جماعة كثيرة اجلاء عمر بن الخطاب وقتادة والحسن
وسلام وسعيد بن ابي سعيد وعيسى الكوفي وطلحة ويعقوب والانصار ٥

وفيها وجهان احدهما انه مبتدا وخبره رضي الله عنهم والثاني عطفه على ٥
السابقون وقد تقدم ما فيه فيحكم عليه بحكمه **قوله** باحسان متعلق
بمحذوف لانه حال من فاعل اتبعوهم وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ٥
يري ان الواو ساقطة من قوله والذين اتبعوهم ويقول ان الموصول صفة لمن قبله
حتى قال له زيد بن ثابت انها بالواو فقال ايتوني بابي فاتوه به فقال له ٥
تصديق ذلك في كتاب الله في اول الجمعة واخرين منهم لما يلحقوا بهم واوسط
الحشر والذين جاءوا من بعدهم واخر الانفال والذين امنوا من بعد ٥،
وهاجروا وروي انه سمع رجلا يقرؤها فقال من اقراك فقال ابي فدعاه
فقال اقرانيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وانك لتتبع القوط بالقيع
قال فصدقت وان شئت قل شهدنا وغبتم ونصرنا وخذلتم وآوينا وطردتم
ومن ثم قال عمر لقد كنت اوانا رفضنا رفعة لا يبلغها احد بعدنا **فصل**
لما ذكر فضائل الاعراب الذين يتخذون ما ينفقون قربات عند الله وما اعد
لهم بين ان فوق منزلتهم منازل اعلا واعظم منها وهي منازل السابقين
الاولين واختلفوا فيهم فقال ابن عباس وسعيد بن المسيب وقتادة وابن
سيرين وجماعة منهم الذين صلوا الى القبلتين وقال عطاء ابي رباح هم اهل
بدر وقال الشعبي هم الذين شهدوا معه بيعة الرضوان وكانت بيعة الرضوان
بالحديبية وقال ابو مسلم فمن تقدم موته بعد الاسلام من الشهداء وغيرهم
قال ابن الخطيب والاصح عندي انهم السابقون في الهجرة والنصرة لكونه
وصفهم بكونهم مهاجرين وانصارا واختلفوا هل بقي منهم احد ام لا فجمهور الصحابة على
سبقوا الى القبلة او بقي منهم احد فقيل بقي بعضهم فقيل بقي كلهم والذين
والنصرة وعلى هذا فلا يتناول الا قدماء الصحابة لان كلهم من التشريف
بل للتبيين كقوله واجتنبوا الرجس من الاوثان وذهب الى هذا كثير من
من الناس روي عن حميد بن زياد انه قال قلت يوما لمحمد بن كعب القرظي
الا تخبرني عن اصحاب الرسول فيما كان بينهم وما رويت الناس قال ان الله
تعالى قد غفر لجميعهم واوجب الجنة في كتابه لمحسنهم ومسيئهم قلت له وفي اي
موضع اوجب لهم الجنة فقال سبحان الله الا تقرا قوله والسابقون الاولون
من المهاجرين والانصار الى اخر الاية فاوجب الله لجميع اصحاب النبي ٥
عليه السلام الجنة والرضوان واشترط على التابعين شرطا قلت وما ٥
ذلك الشرط فقال شرط عليهم ان يتبعوهم باحسان ويتوان يقتدوا باعمالهم
الحسنة ولا يقتدوا بهم في غير ذلك وقال المراد ان يتبعوهم باحسان ٥
في القول وهو ان لا يقولوا فيهم سوءا وان لا يوجهوا الطعن فيما اقدموا عليه

مالواو ٥

قال حميد بن زياد وكان في مناقرات هذه الاية فط قال ابو منصور البغدادي ه
التميمي اصحابنا يجمعون على ان افضلهم الخلفا الاربعة ثم الستة الباقون الى
تمام العشرة ثم البدريون ثم اصحاب احد ثم اهل بيعة الرضوان بالحديبية ه
فصل واختلفوا في اول من امن برسول الله صلى الله عليه وسلم بعده
امرأته خديجة مع اتفاقهم على انها اول من امن برسول الله صلى الله عليه وسلم ه
فقال جابر اول من امن وصلى علي بن ابي طالب قال مجاهد عن ابن اسحاق اسلم وهو
بن عشر سنين وقال ابن عباس وابراهيم النخعي والشعبي اول من امن بعد خديجة
ابو بكر الصديق وقال الزهري وعروة بن الزبير اول من اسلم زيد بن حارثة
وكان اسحاق بن ابراهيم الحنظلي بين هذه الاخبار فيقول اول من اسلم من
الرجال ابو بكر ومعه من النساء خديجة ومن الصبيان علي ومن العبيد زيد
بن حارثة قاله قال ابن اسحاق لما اسلم ابو بكر اظهر اسلامه ودعا الى الله والى
رسوله وكان رجلا محببا سهلا وكان انسب قريش واعلمها بما كان فيها وكان
تاجرا ذا خلق ومعروف وكان رجال قومه يأتونه ويأتونه لغير واحد من
الامر لعلمه وحسن مجالسته فجعل يدعوا الى الاسلام من وثق به من قومه
فاسلم على يديه فيما بلغني عثمان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن ه
عوف وطلحة بن عبيد الله فجاء بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
اسلموا وصلوا فكان هؤلاء الثمانية نفر الذين سبقوا الى الاسلام ثم تتابع
الناس في الدخول في الاسلام افواجا فكان من الانصار هم الذين بايعوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وكانوا اثنتين في العقبة الاولى
وسبعين في الثانية والذين آمنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب
بن عمير يعلمهم القران فاسلم معه خلق كثير وجماعة من النساء والصبيان ه
والمراد بالمهاجرين الذين هجروا قومهم وعشيرتهم وفارقوا اوطانهم والانصار
الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم على اعدائه وواساه والصحابة ه
والذين اتبعوهم باحسان فبقية المهاجرين والانصار سوى السابقين
الاولين وهذا على ان من للتبعيض وقيل هم الذين سلكوا سبيلهم في الايمان
والنصر الى يوم القيامة وعلى هذا ان من للتبيين وقال عظام
الذين يذكرون المهاجرين والانصار بالترحم والدعا قال بعض العلما دلت
هذه الاية على تفضيل السابقين الى كل منقبة من مناقب الشريعة في علم ه
او دين او شجاعة او غير ذلك من المناقب ثم جمع الله في الثواب فقال رضي الله
عنهم ورضوا عنه واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار فوق ابن اكثر من تحتها ه
بين الحارة وهي موسومة في مصاحف مكة والباقون تحتها بدونها ولم يرسموه ه

في مصاحفهم واكثر ما جا القران موافقا لقراة بن كثير في غير موضع **قوله**
تعالى ومن حولكم من الاعراب منافقون الاية لما شرح منافقي المدينة
ذكر بعده احوال منافقي الاعراب ثم بين ان في الاعراب من هو مؤمن ثم بين
ان رؤساء المؤمنين هم المهاجرون والانصار ذكر ههنا ان حول المدينة قوم
من الاعراب هم منافقون وان كثيرا لا يعلمونهم وهم مزينة وجهينة واشجع واسلم
وغفار كانوا نازلين حول المدينة **قوله** ومن حولكم خبر مقدم ومنافقون
مبتدا ومن يجوز ان تكون الموصولة او الموصوفة والظرف صلة او صفة وقوله
من الاعراب لبيان الجنس **قوله** ومن اهل المدينة يجوز ان يكون نسقا
على المجرور من قبله فيكون المجرور ان مشتركين في الاخبار عن المبتدا وهو
منافقون بهما كانه قيل المنافقون من قومكم وممن اهل المدينة وعلى هذا
هو من عطف المفردات او عطفت جملة على جملة وعلى هذا فكون قوله مردوا
على هذا فهو من عطف الجمل ويجوز ان يكون مردوا على الوجه الاول صفة ه
لمنافقون وقد فصل بينه وبين صفته بقوله ومن اهل المدينة والتقدير ومن
حولكم من اهل المدينة منافقون مادرون قال الزجاج وتبعه الزمخشري ه
وابو البقا ايضا واستبعده ابو حيان للفصل بالمعطوف بين الصفة وموصوفها
قال فيصير نظير جاني الذا زيد وفي القصر العاقل بعيني ففصلت بين زيد
والعاقل بقولك في القصر وشبه الزمخشري حذف المبتدا الموصوف ه
في الوجه الثاني واقامة صفته مقامه بقوله انا ابن جلا قال ابو حيان ه
ان عنى في مطلق حذف الموصوف فحسن وان كان شبهه به في خصوصيته ه
فليس بحسن لان حذف الموصوف مع من مطرد وقوله انا ابن جلا ضرورة
كقوله ه مرمى من كفي كان من ارمى البشر ه والبيت المشار اليه هو قوله
ه انا ابن جلا وطلاع الثنايا ه متى اضع العمامة تعرفوني
وللنحاة في هذا البيت تاويلات احدها ما تقدم والاخران هذه الجملة
محكية لانها قد تسمى بها هذا الرجل فان جلا فيه ضمير فاعل ثم سمي بها ه
وحكيت كما قالوا شاب قرناها وذراحبا ه وقوله
ه تنبيت اخوالي بني يزيد ه ظلما علينا لهم قديد ه والثالث
هو مذهب عيسى بن عمر انه فارغ من الضمير وانما لم يبنوا لانه عنده ه
غير متصرف فانه يمنع بوزن الفعل المشترك فلو سمي بضرب وقتل منهما
اما بمجرد الوزن من غير نقل من فعل فلا يمنع به البتة نحو جعل وجبل والمراد
باهل المدينة الاوس والخزرج ومردوا اي مهروا وتمرنوا وثبتوا على النفاق
وقال ابن اسحاق لجوافيه وابو عبيدة وقال ابن زيد اقاموا عليه ولم يتوبوا ه

وقد تقدم الكلام على هذه المادة في النساء عند قوله شيطانا مريدا **قوله** لا تعلمهم هذه الجملة في محل رفع ايضا صفة لمنافقون ويجوز ان يكون مستانفة والعلم هنا يحتمل ان يكون على بابه فيتعدى لاثنين اي لا تعلمهم منافقين فحذف الثاني للدلالة عليه بتقدم ذكر المنافقين ولان النفاق من صفات القلب لا يطلع عليه وان تكون العرفانية فيتعدى لواحد قاله ابو البقاء واما نحن نعلمهم فلا يجوز ان تكون الا على بابها لما تقدم في الانفال وان كان العامري في ايضاحه صرح باسناد المعرفة اليه تعالى وهو محدود لما تقدم **قوله** سنعذبهم مرتين تقدم الكلام في نصب مرة وانه من وجهين اما المصدرية واما الظرفية فكذلك هذا وهذه التثنية يحتمل ان يكون المراد بها شفع الواحد وعليه الاكثر واختلفوا في تفسير ما ان لا يراد بها التثنية بل يراد بها التكثير كقوله تعالى فارجع البصر كرتين اي كرات بدليل قوله ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير اي مرددا وهو كليل ولا يصيبه ذلك الا بعد كرات ومثله لبيك وسعديك وحنانيك وروي عباس عن ابي عمرو وسنعذبهم بسكون الباء وهو على عادته في تخفيف توالي الحركات كينعق بكم وبابه وان كان بابه بضركم احسن تسكينا لكون الراء حرف تكرار وكابنه توالي ضمتان بخلاف عنه وقد تقدم تحريره وقال ابو حيان وفي مصحف انس سيعذبهم بالياء وقد تقدم ان المصاحف كانت مهملة من النقط والضبط بالشكل فكيف يقال هذا **فصل** واما اختلافهم في هذين العذابين فقال الكلبي والسدي قام النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان اخرج من المسجد ناسا وفضحهم بهذا العذاب الاول والثاني عذاب القبر وقال مجاهد الاول القتل والسبي والثاني عذاب القبر وعنه رواية اخرى عذبوا بالجوع مرتين وقال قتادة الذبيلة في الدنيا وعذاب القبر وقال بن زيد المصائب في الاموال والاولاد في الدنيا والاخرى عذاب الاخرة وعن بن عباس الاولى اقامة الحدود عليهم والاخرى عذاب القبر وقال بن اسحاق هو ما يدخل عليهم من غيظ الاسلام ودخولهم فيه من غير حبة ثم عذاب القبر وقيل احديهما ضرب الملائكة وجوههم وادبارهم عند قبض ارواحهم ثم عذاب القبر وقيل الاولى احراق مسجد الضرار والاخرى احراقهم بنار جهنم ثم يردون الى عذاب جهنم يخلدون فيه وقال الحسن الاولى اخذ الزكاة من اموالهم ثم عذاب القبر **قوله** تعالى واخرون اعترفوا بذنوبهم الاية واخرون نسق على منافقون اي ومن حولكم اخرون

او

او من اهل المدينة اخرون ويجوز ان يكون مبتدا واعترفوا صفته والخبر قوله خلطوا **قوله** واخر فسق على علا قال الزمخشري فان قلت قد جعل كل واحد منهما مخلوطا فما المخلوط به قلت كل واحد مخلوط ومخلوط به لان المعنى خلط كل واحد منهما بالاخر كقولك خلطت الماء واللبن تريد خلطت كل واحد منهما بصاحبه وفيه ما ليس في قولك خلطت الماء باللبن لانك جعلت الماء مخلوطا واللبن مخلوطا ومخلوطا بهما كانك قلت خلطت الماء باللبن واللبن بالماء ثم قال ويجوز ان يكون من قولهم بعت الشاة شاة ودرهما بمعنى شاة ودرهم بمعنى مدرهم قال شهاب الدين لا يريد ان الواو بمعنى الباء واما هذا تفسير معنى وقال ابو البقاء ولو كان بالباء جاز ان تقول خلطت الخطة والشعير وخلطت الخطة بالشعير **قوله** عسى الله يجوز ان تكون الجملة مستانفة ويجوز ان تكون في محل رفع خبر الاخرون وتكون من باب قوله خلطوا في محل نصب على الحال وقد معه مقدرة اي قد خلطوا فتخلص في اخرون انه معطوف على منافقون او مبتدا الخبر عنه خلطوا او بالجملة الرجائية **فصل** قيل انهم قوم من المنافقين تابوا عن النفاق لانه عطف على قوله وممن حولكم من الاعراب منافقون والعطف يوجب التشريك الا انه تعالى وفقهم للتوبة وقيل انهم قوم من المسلمين تخلفوا عن غزوة تبوك كسلا لا نفاقا ثم ندموا على ما فعلوا وتابوا وروي انهم كانوا ثلاثة ابو لبابة ومروان بن عبد المنذر ووديعة بن حزام وروي عطية كانوا خمسة احدهم ابو لبابة وقال سعيد بن جبير كانوا ثمانية وقال قتادة والضحاك كانوا سبعة وقالوا جميعا احدهم ابو لبابة وقال قوم نزلت في ابي لبابة خاصة وروي علي بن ابي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل كانوا عشرة فسبعة منهم اوثقوا انفسهم لما بلغهم ما نزل في المتخلف فاوثقوا انفسهم بسواري المسجد فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل المسجد وصلى ركعتين وكانت عادته فلما قدم من سفر فراهم موثقين فسأل عنهم فقال هؤلاء تخلفوا عنك فعاهدوا الله ان لا يطلقوا انفسهم حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلقهم ويرضى عنهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت الاية فاطلقهم وعذرهم فقالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها عنا وطهرنا فقال ما امرت ان اخذ من اموالكم شيا فنزل قوله خذ من اموالهم الاية والاعتراف عبارة عن الاقرار بالشي عن معرفة ومعناه انهم اقروا بذنبهم والعمل الصالح هو توبتهم واعترافهم

بذنبهم وربطهم انفسهم والعمل السيئ هو تخلفهم وقبل العمل الصالح خروجهم مع ٥
الرسول عليه السلام الى سائر الغزوات والسبي تخلفهم عن غزوة تبوك ٥

فصل قال المفسرون عسى من الله تدل على الوجوب قالوا لان الكلام
ينزل على عرف الناس فالسلطان العظيم اذا التمس المحتاج منه شيئا فانه لا يجيب
الا بالترجي بلعل او عسى تنبيها على انه ليس ان يلزمني شيا بل كلما افعله ٥
على سبيل التفضل فهذا المعنى هو فائدة ذكر عسى والاعتراف مجرده لا يكون
توبة الا اذا اقترن به الندم على الماضي والعزم على تركه في المستقبل والله اعلم

فصل دلت هذه الاية على ان التقوم بالاحباط وان الطاعة تبقى موجبة ٥
للمدح والثواب والمعصية تبقى موجبة للذم والعقاب لان قوله تعالى خلطوا
عملا صالحا واخر سيئا يدل على ان كل واحد منهما بقي كما كان من غير ان يؤثر
احدهما بالاحوال لانه وصفهما بالاختلاط والمختلطان لا بد وان يكونا ٥
باقيين حال اختلاطهما لان الاختلاط صفة للمختلطين وحصول الوصف ٥
حال عدم الموصوف محال فدل على بقاء العاملين حال الاختلاط **قوله**
عسى الله ان يتوب عليهم يقتضي ان هذه التوبة انما تحصل في المستقبل
وقوله واخرون اعترفوا بذنوبهم يدل على ان ذلك الاعتراف حصل في الماضي
وذلك يدل على ان ذلك الاعتراف ما كان مقترنا بنفس التوبة بل كان
سابقا على التوبة والتوبة انما حصلت بعده **قوله** خذ من اموالهم
صدقة قال الحسن هذا راجع الى الذين تابوا لانهم بذلوا اموالهم للصدقة
فاوجب الله تعالى اخذها وصار ذلك معتبرا في كمال توبتهم ليكون كفارة
مجزية لكفاره وليس المراد منه الصدقة الواجبة وانما هي كفارة ٥
الذنب وهذا بناء على القول بانهم ليسوا منافقين ويدل عليه قوله
عليه السلام ما امرت ان اخذ من اموالكم شيا فلو كانت واجبة فلو كانت ٥
واجبة لم يقبل ذلك وروي انه عليه السلام اخذ الثلث وترك الثلثين
والواجبة ليست كذلك وقيل ان الزكاة كانت واجبة عليهم فلما تابوا
من تخلفهم عن الغزو وحسن اسلامهم وبذلوا الزكوات امر الله ورسوله
ان ياخذها منهم وهذا بناء على انهم كانوا منافقين وقيل هذا كلام مبتدا ٥
والمقصود منه الحاب اخذ الزكوات من الاغنياء وعليه اكثر الفقهاء واستدلوا
بقوله خذ من اموالهم صدقة فدل على ان الماخوذ بعض تلك الاموال
لا كلها لان من للتبعيض ثم ان مقدار ذلك البعض غير مصرح به ٥
بل المصرح به قوله صدقة وليس المراد منه التنكير حتى يكفي اخذ
اي جزء كان وان كان في غاية القلة مثل الحبة الواحدة من الحنطة او الجزء

الحقير

الحقير من الذهب فوجب ان يكون المراد منه صدقة معلومة الكمية والكيفية
والكمية عندهم حتى يكون قوله خذ من اموالهم صدقة امرا باخذ تلك ٥
الصدقة المعلومة لكن يزول الاجمال وليس الا الصدقة التي وصفها
رسول الله صلى الله عليه وسلم بان تاخذ في خمس وعشرين بنت مخاض و
ست وثلثين بنت لبون الى عشر ذلك واجاب الاولون بان النبي عليه
السلام بينها باخذه الثلث فزال الاجمال وظهر تعلق الاية بما قبلها و
قولكم لم يظهر تعلق الاية بما قبلها **قوله** من اموالهم يحوز فيه وجهان
احدهما انه متعلق بخذ ومن تبعيضيه والثاني ان يتعلق بمحذوف لانها
حال من صدقة اذ هي في الاصل صفة لها فلما قدمت نصبت حالا ٥
والصدقة ما اخوذ من الصدق اذ هي دليل على صحة ايمانه وصدق
باطنه مع ظاهره وانه ليس من المنافقين الذين يلمزون المطوعين من
المومنين في الصدقات **قوله** تطهرهم وتزكيهم يجوز ان يكون التا
في تطهرهم خطابا للنبي عليه السلام وان يكون للغيبة والفاعل ضمير ٥
الصدقة فعلى الاول ان تكون الجملة في محل نصب على الحال من فاعل
خذ ويجوز ايضا ان يكون صفة لصدقة ولا بد حينئذ من حذف عايد
تقديره تطهرهم بها وحذف بها لدلالة ما بعده عليه وعلى الثاني تكون
الجملة صفة لصدقة ليس الا واما وتزكيهم فالتا فيه للخطاب لا غير ٥
لقوله بها فان الضمير يعود على الصدقة فاستحال ان يعود الضمير من
تزكيهم الى الصدقة وعلى هذا فتكون الجملة حالا من فاعل خذ على قولنا
ان تطهرهم حال منه وان التا فيه للخطاب ويجوز ايضا ان يكون من
صفة ان قلنا ان تطهرهم صفة والعايد منها محذوف ويجوز ايضا ان
يكون تطهرهم صفة لصدقة على ان التا للمعصية وتزكيهم حالا من
فاعل خذ على ان التا للخطاب وردوه عليه بان الواو عاطفة اي ٥
~~صدقة مطهرة وردوه عليه بان الواو عاطفة~~ اي صدقة مطهرة ٥
ومزكيا بها ولو كان بغير واو جاز ووجه الفساد ظاهر فان الواو
مشركة لفظا ومعنى فلو كانت وتزكيهم عطفا على تطهرهم للزم ان
يكون صفة كالمعطوف عليه اذ لا يجوز اختلافهما ولكن يجوز ذلك على
ان تزكيهم خبر مبتدا محذوف ويكون الواو للحال تقديره وانت ٥
تزكيهم وفيه ضعف لقلة تظيره في كلامهم وتلخص من ذلك ان الجملتين
يجوز ان يكونا حالين من فاعل خذ على ان تكون التا للخطاب وان
يكونا صفتين لصدقة على ان التا للغيبة والعايد محذوف من الاولى

وان يكون تطهرهم حالا او صفة وتزكيهم حالا على ما جوزه مكي وان يكون تزكيهم
جزم مبتدا محذوف والواو للحال وقرا الحسن تطهرهم من اطهر مخففا عداه ٥
بالتصير **فصل** دلت هذه الاية على ان الزكاة تتعلق بالمال لا بالذمة
لقوله خذ من اموالهم فلو مات احد من الزكاة وقال الشافعي انها تتعلق ٥
بالذمة فلو فرط حتى هلك النصاب وجبت الزكاة لان الذي هلك ما كان
محلا للحق ودلت الاية ايضا على ان الزكاة انما وجبت طهرة للاثام فلا ٥
تجب الا على البالغ وهو قول ابي حنيفة واذا قلنا تتعلق بالمال وجبت
~~طهرة للاثام فلا تجب الا على البالغ~~ وهو قول ابي حنيفة واذا قلنا تتعلق
بالمال وجبت في مال الصبي وفي مال المديون **فصل** معنى التطهير
ما روي ان الصدقة اوساخ الناس فاذا اخذت الصدقة فقد اندفعت
تلك الاوساخ فكان دفعها جاريا مجرى التطهير والتزكية قبل مبالغة
في التطهير وقيل التزكية معنى التطهير من النجاسة
الذنب والمعصية والرسول يزكيهم ويعطيهم شانهم ويثني عليهم عند اخراجها
الى الفقراء ولذلك يقول الساعي اجرك الله لك فيما اعطيت وبارك لك
فيما ابقيت وجعله لك طهورا **قوله** وصل عليهم ان صلواتك ٥
سكن لهم فرا الاخوان وحفص ان صلاتك وفي هود اصلاتك تامرك
بالتوحيد والباقون ان صلواتك اصلواتك بالجمع فيهما وهما واضحتان
الا ان الصلاة هنا الدعاء وفي تلك العبادة قال ابو عبيده وقراءة
الافراد اولى لان العشرة اكثر قال تعالى اقيموا الصلاة والصلوات جمع
قلة تقول ثلث صلوات وخمس صلوات قال ابو حاتم وهذا غلط لان تلك
الصلوات ليس للقلة قال تعالى ما نفدت كلمات الله ولم يرد التقليل وقال
وهم في الغرفات وقال المسلمين والمسلمات والسكن الطمانينة وقال
ابن عباس رحمة لهم وقال ابو عبيدة تثبيت لقلوبهم ومن الطمانينة قوله
٥ ياحارة الحي الا كنت لي سكنا ٥ اذ ليس بعض من الجيران اسكنني
فعل بمعنى مفعول كالقبض بمعنى المقبوض والمعنى يسكنون اليها قاله
ابو البقاء ولم يبينه لكن الظاهر هنا بمعنى فاعل لقوله لهم ولو كان كما قال
لكان التركيب سكن اليها فقد ظهر ان المعنى مسكنة لهم **فصل** قال
ابن عباس معنى الصلاة عليهم ان يدعو لهم وقال احزون معناه ان يقول
اللهم صل على فلان ونقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ان آل ابي اوفى
لما اتوه بالصدقة قال لهم اللهم صل على آل ابي اوفى واختلفوا في وجوب
الدعا على الامام عند اخذ الصدقة فقال بعضهم يجب وقال بعضهم يستحب

وقال

بلغ مقابله

وقال بعضهم يجب في صدقة الفرض ويستحب في صدقة التطوع وقيل يجب على الامام ٥
ويستحب للغير ان يدعو للمعطي ثم قال والله سميع عليم **قوله** تعالى الم
يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده الاية لما قال في الاية الاولى عسى الله
ان يتوب عليهم ولم يصرح في قبول توبتهم صرح في هذه الاية بانه يقبل التوبة ٥
وانه ياخذ الصدقات اي يقبلها قال ابو مسلم قوله الم يعلموا وان كان بصيغة
الاستفهام الا ان المقصود منه التقرير في النفس ومن عادة العرب في ابهام
المخاطب وازالة الشك عنه ان يقول اما علمت ان من علمك وجب عليك خدمته
اما علمت ان من احسن اليك وجب عليك شكره فبشر الله هؤلاء التائبين بقبول
توبتهم وصدقاتهم ثم زاد تاكيدا بقوله هو التواب الرحيم وقرا الحسن قال
ابو حيان وفي مصحف ابي الم تعلموا بالخطاب وفيها احتمالان احدهما ان يكون
خطابا للمخلفين الذين قالوا ما هذه القصة الخاصة التي اختصصنا بها ولا
وان يكون التفاتا من غير اضمار قول والمراد التائبون وان يكون على اضمار
قول اي قل لهم يا محمد الم يعلموا **قوله** هو يقبل هو مبتدا ويقبل ٥
خبر والجملة خبر ان وان وما في حيزها سادة مسد المفعولين او مسد الاول
ولا يجوز ان يكون هو فصلا لان ما بعده لا يوهم الوصفية وقد تقدم تحرير
ذلك **قوله** عن عباده متعلق بيقبل وانما تعدى بعن فقيل لان
معنى من ومعنى عن يتقاربان قال ابن عطية وكثيرا ما يتوصل في موضع
احد هذين وبهذه نحو لا صدقة الا عن غنى ومن غنى وفعل ذلك فلان
من اشره وبطره وعن اشره وبطره وقيل لفظة عن تشعر بعد ما تقول
جلس عن يمين الامير اي مع نوع من البعد والظاهر ان عن للمجاوزة على
بابها والمعنى يتجاوز عن عباده بقبول توبتهم فاذا قلت العلم عن زيد فمعناه
المجاوزة واذا قلت منه فمعناه ابتدا الغاية قال القاضي لعل عن عباده ٥
ابلغ لانه يدعى عن القبول مع تسهيل سبيله الى التوبة التي قبلت **قوله**
ويا خذ الصدقات فيه سؤال وهو ان ظاهر هذه الاية تدل على ان الاخذ
هو الله تعالى وقوله خذ من اموالهم صدقة تدل على ان الاخذ هو الرسول
عليه السلام وقوله عليه السلام لمعاذ خذها من اغنيائهم تدل على ان ٥
اخذ تلك الصدقات معاذ واذا وقعت الصدقات الى القابض والحس يشهد
ان اخذها هو القابض فكيف الجمع بين هذه الالفاظ والجواب من وجهين
الاول انه تعالى لما قال خذ من اموالهم ثم ذكر هنا ان الاخذ هو الله علم
منه ان اخذ الرسول قايم مقام اخذ الله والمقصود منه التنبيه على تعظيم
شان الرسول عليه الصلاة والسلام ونظير قوله ان الذين يبايعونك انما

بيا بعون الله والثاني انه اضيف الى الرسول بمعنى انه ياخذ ما وبلغ حكم الله
في هذه الواقعة الى الناس واضيف الى الفقير بمعنى انه هو الذي يباشر الاخذ
ويطهر انه اضاف التوفي الى نفسه بقوله تعالى وهو الذي يتوفاكم واضافه
الى ملك الموت بقوله قل يتوفاكم ملك الموت واضافه الى الملئكة الذين هم
اتباع ملك الموت بقوله حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا فاضيف الى
الله بالخلق والى ملك الموت بالرياسة في ذلك النوع من العمل والى اتباعه
ملك الموت بالمباشرة التي عندها يخلق الله الموت فكذلك ههنا **قوله**
هو الثواب يجوز ان يكون فصلا وان يكون مبتدا خبره ما قبله **فصل** روي
ابو هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والذي نفسي بيده
ما من عبد يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الا طيبا ولا يصعد
الى السما الا الطيب الا كانما يضعها في يد الرحمن فيربيها له كما يربي احدكم
فلوه حتى ان اللقمة لتاتي يوم القيامة لمثل الجبل العظيم ثم تلا قرآن الله
هو يقبل التوبة عن عباده وياخذ الصدقات **قوله** تعالى وقل اعملوا
فسير الله عملكم ورسوله الاية قال ابن الخطيب هذا كلام جامع للترغيب والترهيب
لان المعبود اذا كان لا يعلم افعال العباد لم يبتغ العبد بفعله وجه الله قال
ابراهيم عليه السلام لابيه يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر وليس المقصود
من هذه الحجة التي ذكرها ابراهيم القدح في الاهية الصنم لان كل احد يعلم
بالضرورة انه حجر وخشب وانه عرضة لتصرف المتصرفين فمن شا احرقه
ومن شا اكثر ومن كان كذلك فكيف يتوهم العاقل كونه الها بل المقصود ان
اكثر عبدة الاصنام كانوا في زمن ابراهيم عليه السلام اتباع الفلاسفة
القايلين بان اله العالم موجب بالذات وليس بموجد بالمشية والاختيار
فقال الموجب بالذات اذا لم يكن عالما بالجزييات ولم يكن قادرا على نفع
ولا ضرار ولا يسمع دعا المحتاجين ولا يرى تضرع المساكين فاي فايدة
في عبادته فكان المقصود من دليل ابراهيم عليه السلام الطعن في قول من يقول
ان اله العالم موجب بالذات اما اذا كان عالما مختارا كان عالما بالجزييات
فحينئذ يحصل للعابد الفوايد العظيمة وذلك لان العبد اذا اطاع علم المعبود
طاعته وقدر على ايصال الخيرات اليه في الدنيا والاخرى وان عصاه علم
المعبود ذلك وقدر على ايصال العقاب اليه في الدنيا والاخرى فقوله
قل اعملوا فسير الله عملكم ترغيب عظيم للمطيعين وترهيب عظيم للمذنبين
وكانه قال اجتهدوا في المستقبل فان لعلكم في الدنيا حكما وفي الاخرى حكما
اما حكمه في الدنيا فهو ان يراه الله ويراه الرسول ويراه المومنون فان كان

طاعة حصل به الثنا العظيم في الدنيا والثواب العظيم في الاخرى وان كان معصية
حصل به الذم العظيم في الدنيا والعقاب الشديد في الاخرى فثبت ان هذه
اللفظة جامعة لخير ما تحتاج اليه المرء في دينه ودنياه ومعاده **فصل**
دلت هذه الاية على كونه تعالى رايا بالمريات لان الرويه المعداة الى ٥
مفعول واحد هي الابصار والمعداة الى مفعولين هي العلم كقولك رايت
زيدا قايما وههنا الرويه معداة الى مفعول واحد فيكون بمعنى الابصار
فدلت على كونه مبصرا للاشيا كما ان قول ابراهيم عليه السلام لم تعبد ما لا
يبصر يدل على كونه مبصرا للاشيا ويقوي هذا انه تعالى وصف نفسه
بالعلم بعده فقال وستردون الى عالم الغيب والشهاده فلو كانت هذه
الرويه هي العلم لزم التكرار او الخالي عن الفايده **فصل** دلت الاية على
ان كل موجود فانه يصح رويته لما بينا من ان الرويه معداة الى مفعول
واحد والبرهان اللغوي شاهد بان المعداة الى المفعول الواحد ٥
معناها الابصار فكانت هذه الرويه معناها الابصار ثم انه تعالى
عد هذه الرويه الى عملهم والعمل ينقسم الى اعمال القلوب كالارادات ٥
والكف اعلت والخواطر والى اعمال الجوارح كالحركات والسكنات فوجب كونه
تعالى رايا للكل واما الجبايي فانه استدل بهذه الاية على كونه تعالى ٥
رايا للحركات والسكنات فيقال له فيلزمك كونه تعالى رايا للاعمال القلوب
فاجاب بانه تعالى عطف عليه قوله ورسوله والمومنون وهم اما يرون
افعال الجوارح فلما قصد تقييد هذه الرويه باعمال الجوارح في حق المعطوف
وجب تقييدها بهذا القيد في حق المعطوف عليه وهذا استدلال ضعيف
لان العطف لا يريد الا اصل التشريك فاما التسوية في كل الامور فغير واجب
لان دخول التخصيص في المعطوف لا يوجب دخول التخصيص في المعطوف عليه
وعلى ان يقول الجبايي رويه الله تعالى حاصلة في الحال ولفظ الاية مختص
بالاستقبال لقوله فسيرى الله عملكم تدل على ان المراد ليس هو الرويه ٥
بل المراد منه الجزا على الاعمال اي فسوصل جزا اعمالكم وقد تجاب بان ايصال
الجزا اليهم مذكور بقوله فينبئكم بما كنتم تعملون فلو حملنا هذه الرويه على ٥
ايصال الجزا لزم التكرار وهو غير جايز **فصل** ذكروا في الفايدة في
ذكر الرسول والمومنين بعد ذكر الله في انهم يرون اعمال هولا التايبين ٥
وجهين الاول ان احدا مما يدعوا المرء الى العمل الصالح هو ما يحصل له من المدح
والتعظيم فاذا علم انه اذا فعل ذلك الفعل عظمه الرسول والمومنون ٥
عظم فرحه بذلك وقويت رغبته فيه فكانه قيل ان كنت من المحقين في عبودية

الحق فاعمل الاعمال الصالحة لله تعالى وان كنا من الضعفا المستعولين بنا
الخلق فاعمل الاعمال الصالحة لله تعالى ليروز بنا افضل الخلق وهو الرسول
والمومنون الثاني ما ذكره ابو مسلم ان المومنين شهدا الله يوم القيامة ٥
لقوله جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهدا على الناس ويكون الرسول شهيدا
لقوله وجيئنا بك على هولا شهيدا وثبت ان الرسول والمومنين شهدا الله
يوم القيامة والشهاده لا تقبل الا بعد الرويه فذكر الله تعالى ان الرسول
والمومنون يرون اعمالهم يوم القيامة والمقصود التنبيه على انهم يشهدون
يوم القيامة عند حضور الاولين والاخرين بانهم اهل الصدق والسداد
والعفاف والرشاد **قوله** وستردون الى عالم الغيب والشهاده
قال ابن عباس عالم الغيب ما تستورونه والشهاده ما تظهرونه قال حكما ٥
الاسلام الموجودات الغايبه عن الحس علل او كالعلل للموجودات المحسوسه
وعندهم ان العلم بالعله علة للعلم بالمعلول فوجب كون العلم بالغيب ٥
سابقا على العلم بالشهادة فلهذا السبب ابتدا جا هذا الكلام في القران
كان الغيب مقدما على الشهادة **فصل** اذا حملنا قوله تعالى فسيرى
الله عملكم على الرويه ظهر ان معناه مغاير لمعنى قوله فسترددون الى عالم
الغيب والشهاده وان حملنا تلك الرويه على العلم او على ايصال الثواب
كان قوله وستردون الى عالم الغيب والشهاده جاريا مجرى التفسير ٥
لقوله فسيرى الله عملكم ومعناه باطهار المدح والثناء والاعزاز في الدنيا ٥
او باظهار اضدادها وقوله وستردون الى عالم الغيب والشهاده
اي ما يظهر في القيامة من حال الثواب والعقاب فينبيكم بما كنتم تعملون
اي يعرفكم احوال اعمالكم ثم يجازيكم عليها لان المجازاة من الله تعالى لا تحصل
في الاخره الا بعد التعريف ليعرف كل احد ان الذي وصل اليه عدل لا ظلم
قوله تعالى واخرون مرجون الاية قرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر
وابو بكر عن حفص مرجيون بهمزة مضمومة بعدها واو ساكنة والباقون
مرجون دون همز وهذا كقرائتهم في الاحزاب ترجي بالهمز والباقون ٥
بدونه وبهما لغتان يقال ارجيته وارجاته كاعطيته ويحتمل ان يكونا
اصلين بنفسيهما وان تكون الياء بدلا من الهمزة لانه قد عهد تخفيفها كثيرا
كقرات وقريت وتوضات وتوضيت والارجا التاخير وسميت المرجية
بهذا الاسم لانهم لا يجزمون القول بمغفرة التايب ولكن يوخرونها الى ٥
مشية الله تعالى وقال الاوزاعي لانهم يوخرون العمل من الايمان ٥
قوله اما يعذبهم يجوز ان يكون هذه الجملة في محل رفع خبر المبتدا

ومرجون يكون على هذا نعتا للمبتدا ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر وان يكون
في محل نصب على الحال اي هم موخرون اما معذبين واما متوب عليهم واما
هنا بالشك اما بالنسبة الى المخاطب فناس يقولون هلكوا اذ لم يقبل الله
لهم عذرا واخرون يقولون عسى الله ان يغفر لهم واما للابهام بالنسبة
الى انهم انه ابهم على المخاطبين **فصل** اعلم انه تعالى قسم المخلفين ثلاثة
اقسام احدها المنافقون الذين ماتوا على النفاق والثاني التايبون ثم
المراد ون بقوله واخرون مرجيون اعترفوا وبين تعالى انه قبل توبتهم
والثالث الذين بقوا موقوفين وهم المذكورون في هذه الاية والفرق بين
هولا وبين القسم الاول الثاني ان هولا لم يبادروا الى التوبه واولئك
سارعوا اليها قال ابن عباس نزلت هذه الاية في الثلاثة الذين خلفوا ٥
كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية لم يبادروا الى التوبه والا عتذار
كما فعل ابو لبابه فوقفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسين ليلة وهي
الناس عن مخالطتهم حتى سئمهم القلق وضاقت عليهم الارض بما رحبت ٥
وكانوا من اهل بدر فجعل ناس يقولون هلكوا واخرون يقولون عسى الله
ان يغفر لهم فصاروا مرجيون لامر الله اما يعذبهم واما يوبهم حتى نزلت
توبتهم بعد خمسين ليلة والله عليم حكيم بما في قلوب هولا المرجين ٥
حكيم بما يحكم فيهم فان قيل انهم ندموا على تاخرهم عن الغزو وتخلفهم عن
الرسول عليه السلام ثم انه لم يحكم بكونهم تايبين بل قال اما يعذبهم واما
يتوب عليهم وذلك يدل على ان الندم وحده لا يكفي وحتى في صحة التوبه
فالجواب لعلهم حين ندموا خافوا من ان يفضحهم الرسول عليه السلام ٥
وعلى هذا فلا يكون توبتهم صحيحة فاستمر عدم قبول التوبة الى ان نزل
مدحهم فعند ذلك ندموا على المعصية لنفس كونها معصية فحصل صحت توبتهم
فصل احتج الجبائي بهذه الاية على انه تعالى لا يعفو عن غير التايب
لانه قال وحق هولا المذنبين اما يعذبهم واما يتوب عليهم وذلك يدل ٥
على انه لا حكم الا احد هذين الامرين وهو اما التعذيب واما التوبه ٥
واما العفو عن الذنب من غير توبه فهو قسم ثالث فلما اهمل الله تعالى ذكره
دل على بطلانه واجيب بانا لا نقطع بحصول العفو عن جميع المذنبين ٥
بل نقطع بحصول العفو في الجملة واما في حق كل واحد فذلك مشكوك قال
تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشا فنقطع بغفران ما سوى الشرك لكن
لا في حق كل احد بل في حق من يشا فلم يلزم من عدم العفو في حق هولا ٥
العفو على الاطلاق وايضا فعدم الذكر لا يدل على العدم الا ترى قوله

تعالى وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة وهم المومنون ووجوه يومئذ
عليها غبرة ترهقها قترة اولئك هم الكفرة الفجرة فذكر المومنين والكافرين
في آية ثم ان عدم ذكر القسم الثالث لم يدل عند الجبائي على نفيه فكذا ههنا
قوله تعالى والذين اتخذوا مسجدا ضرارا الاية قرا نافع وابن عامر
الذين اتخذوا بغير واو والباقون بواو العطف فاما قراءة نافع وابن عامر
فلموافقة مصاحفهم فان مصاحف المدينة والشام حذفت منها الواو وهي
ثابتة في مصاحف غيرهم فمن اسقط الواو ففيه اوجه احدها انها بدل من
احوون قبلها وفيه نظر لان هولاء الذين اتخذوا مسجدا ضرارا لا يقال
في حقهم انهم مرجئون لامر الله لانه روي في التفسير انهم من كبار المنافقين
كابي عامر الراهب الثاني انه مبتدا وفي خبره حينئذ اقوال احدها انه
الذين اسس بنيانه والعايد محذوف تقديره بنيانه منهم الثاني انه لا
يزال بنيانهم قاله النحاس والحوفي وفيه بعد لطول الفصل الثالث
انه لا تم فيه قاله الكسائي قال ابن عطية ويتجه اضمار اما في اول الاية
واما في آخرها بتقدير لا تقم في مسجدهم الرابع ان الخبر محذوف تقديره
يعذبون ونحوه قاله المهدوي الوجه الثالث انه منصوب على الاختصاص
وسيأتي في هذا الوجه ايضا في قراءة الواو واما قراءة الواو وفقها ما تقدم
الا انه يمتنع وجه البدل من اخوون لاجل العاطف وقال الزمخشري
فان قلت والذين اتخذوا ما محله من الاعراب قلت محله النصب على
الاختصاص كقوله تعالى والمقيمين الصلاة وقيل هو مبتدا وخبره
محذوف معناه فيمن وصفنا كقولك والسارق والسارقة يريد علي
مذهب سيبويه فان تقديره فيما يتلى عليكم السارق محذوف الخبر
وابقي المبتدا كهذه الاية قال القرطبي والذين اتخذوا مسجدا معطوف
اي ومنهم الذين اتخذوا مسجدا عطف جملة على جملة قوله ضرارا
فيه ثلاثة اوجه احدها انه مفعول من اجله اي مضارة لاخوانهم الثاني انه
مفعول ثان لاتخذ قاله ابو البقا الثالث انه مصدر في موضع الحال من
فاعل اتخذوا اي اتخذوه مضارين لاخوانهم ويجوز ان ينتصب على المصدر
اي يضرون بذلك غيرهم ضرارا ومتعلقات هذه المصادر محذوفة
اي ضرار الاخوانهم وكفرا بالله فصل قال ابن عباس ومجاهد
وقتاده وعامة المفسرين الذين اتخذوا مسجدا لضرار كانوا اثني
عشر رجلا من المنافقين ج ودبيعة بن ثابت ه وخذام بن خالد ومن
داره اخرج هذا المسجد ه وثعلبة بن حاطب ه وجارية بن عمرو ه وابناه مجمع

وزيد ه ومعتب بن قشير ه وعباد بن حنيف اخو سهيل بن حنيف وابو حبيبة
بن الازعر ه ونبتل بن الحرث ه ونجاد بن عثمان ه ورجل يقال له بخرج
بنوا هذا المسجد ضرارا يعني مضارة المومنين والضرار محاولة الضرر كما ان
الشقاق محاولة ما يشق وكفرا قال ابن عباس يريد ضرارا للمومنين وكفرا
بالنبي عليه السلام وما جابه قال ابن عباس ومجاهد وقتاده وعكرمه ان ابا
عامر الراهب كان خرج الى قيصر وتنصر ومذهم قيصر انه سيأتيهم فيتوا له
مسجد الضرار ويطرون فيه وقال عكرمه اتخذوه ليكفروا فيه بالطعن
على النبي عليه السلام والاسلام وتخريبا وتفريقا بين المومنين اي يفرقون
بوا سطته جماعة المومنين وذلك لان المنافقين قالوا نبني مسجدا ه
فنصلي فيه ولا نصلي خلف محمد فان اتانا فيه صلينا خلفه وفرقنا بينه
وبين الذين يصلون في مسجده فبنوه ذلك الى اختلاف وابطال الالفة
وكان يصلي بهم مجمع بن حارثه فلما فرغوا اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يتجهز الى تبوك فقالوا يا رسول الله انا بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة
والليلة المطيرة والليلة الشاتية وانا نحب ان تاتينا فتصلي لنا فيه ه
وتدعوا بالبركة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني على جناح سفر
ولو قدمنا ان شا الله اتيناكم فصلينا لكم فيه الاية فصل قال القرطبي
تقطن مالك رحمه الله من هذه الاية وقال لا نعطي نصلي جماعتان في مسجد
واحد بامامين خلافا لسائر العلما وروي عن الشافعي المنع لان ذلك ه
تشتيت للكلمة وابطالا لهذه الحكمة وذريعة الى ان يقول من يريد الانفراد
عن الجماعة كان له عذر فيقيم جماعة ويتقدم امامه فيقع الخلاف بينهم ويبطل
النظام وخفي ذلك عليهم قوله وارصادا لمن حارب الله ورسوله
من قبل الارصاد والانتظار قاله الزجاج وقال ابن قتيبه الانتظار مع العداوة
والمراد ابو عامر الراهب وهو ابو حنظله غسيل الملايكه وكان قد تزهد
في الجاهلية وتنصر ولبس المسوح فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينه
قال له ابو عامر ما هذا الذي جيت به قال جيت بالحنيفية دين ابراهيم ه
قال ابو عامر انا عليها فقال النبي صلى الله عليه وسلم انك لست عليها ه
قال بلى ولكنك ادخلت في الحنيفية ما ليس منها فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ما فعلت ولكن جيت بها بيضا نقيه فقال ابو عامر اماتت الله الكاذب
طريدا وحيدا غريبا فقال النبي صلى الله عليه وسلم امين وسماه اباعامر
الفاسق فلما كان يوم احد قال ابو عامر لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا اجد
قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين فلما انهزمت

بلس وخرج مارا بالى الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا بما استطعتم
من قوة وسلاح وابنوا مسجدا فاني ذاهب الى قيصر ملك الروم فآتي بجند
من الروم فاخرج محمدا واصحابه فبنوا مسجد الضرار الى جنب مسجد قبا ٥
فذلك قوله وارصادا لمن حارب الله ورسوله وهو ابو عامر الفاسق ٥
ليصلي فيه اذا رجع من الشام **قوله** من قبل فيه وحمان احدهما وهو
الذي لتريد كر الزمخشري عوده انه متعلق بقوله اتخذوا اي اتخذوا ٥
مسجدا من قبل ان يبايع هو لا والثاني انه متعلق بحارب اي حارب
من قبل اتخاذ هذا المسجد **قوله** وليحلفن ان اردنا الا الحسنى
ليحلفن جواب قسم مقدر اي والله ليحلفن وقوله ان اردنا جواب لقوله
ليحلفن فوقع جواب القسم المقدر فعلى قسم يحاب بقوله ان اردنا وان
نافية ولذلك وقع بعدها الا والحسنى صفة لموصوف محذوف اي الا
الخصلة الحسنى او الارادة الحسنى جعله علة فكانه ضمن اراد معنى ٥
قصد اي ما قصدنا ببنائه لشيء من هذه الاشياء الا الارادة الحسنى ٥
قال وهذا وجه متكلف واراد ٢ بالفعلة الحسنى الرفق بالمسلمين والتوسعة
على اهل الضعف والعلة والعجز عن المصير الى مسجد رسول الله صلى الله
عليه وسلم ٢ قالوا لرسول الله انا بنينا مسجد الذي العلة والحاجة والليلة
المطيرة ٢ قال تعالى والله يشهد انهم لكاذبون اي ان الله اطلع الرسول عليه
السلام على انهم حلفوا كاذبين روي انه لما انصرف رسول الله صلى الله عليه
وسلم من تبوك فنزل بذي اوان موضع قريب من المدينة اتوه فسألوه
اتيان مسجدهم فدعا بقميصه ليلبسه ويأتيهم فنزل عليه القرآن واخبره
خبر المسجد الضرار وما نووا به فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك
بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشي قاتل حمزة وقال لهم
انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه فخرجوا سراعا
حتى اتوا سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدخشم فقال مالك انظروني
حتى اخرج اليكم بنار من اهلي فدخل اهله فاخذ سعفا من النخل فاشعل
فيه نارا ثم خرجوا يستدون حتى دخلوا المسجد وفيه اهله فحرقوه ٥
وهدموه وتفرق عنه اهله وامر النبي صلى الله عليه وسلم ان تتخذ ذلك
كناسة تلقى فيه الجيف والنتن والقمامة ومات ابو عامر الراهب ٥
بالشام وحيدا غريبا وروي ان بني عمرو بن عوف الذين بنوا مسجد قبا
اتوا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته لياذن لمجمع بن حارثة فيؤمهم
في مسجدهم فقال لا والله ولا نعمة عين البيت بامام مسجد الضرار فقال

لـ يجمع يا امير المومنين لا تعجل علي فوالله لقد صليت فيه وانا لا اعلم ما اضمروا ٥
عليه ولو علمت ما صليت معهم فيه كنت غلاما قاريا للقرآن وكانوا شيوخا لا يقرؤن
فصليت ولا احسب الا انهم يبتغون الى الله ولم اعلم ما في انفسهم فعذره عمر
وصدقه وامره بالصلاة في مسجد قباء قال لعطا لما فتح الله تعالى على عمر بن
الخطاب الامصار امر المسلمين ان يبنوا المساجد وامرهم ان لا يبنوا في مدينتهم
مسجدين يضار احدهما صاحبه **قوله** لا تقم فيه ابدا قال بن عباس ٥
لا تصل فيه منع الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يصلي في مسجد الضرار قال
بن جريج فوعوا من اتمام ذلك المسجد يوم الجمعة فصلوا فيه ذلك اليوم ٥
ويوم السبت والاحد وانهاروا في يوم الاثنين ثم انه تعالى بين العلة في هذا
النهي وهي ان احد المسجدين لما كان مبنيا على التقوى من اول يوم وكانت ٥
الصلاة في مسجد اخر تمنع من الصلاة في مسجد التقوى علم بالضرورة ان
منع من الصلاة في المسجد الثاني فان قيل كون احد المسجدين افضل من
الاخر لا يوجب المنع من اقامة الصلاة في المسجد الثاني فالجواب علة المنع
وقعت بمجموع امورا حدها كون مسجد الضرار سببا للمفاسد المذكورة ٥
وهي المضارة والكفر والتفريق بين المومنين وارصاده لمن حارب الله ٥
ورسوله وكون مسجد التقوى يشتمل على الخيرات الكثيرة **فصل**
قال القرطبي قال علماءنا لا يجوز ان يبنى مسجد الى جنب مسجد ويجب هدمه
والمنع من بنائه لئلا يتصرف اهل المسجد الاول فيبقى شاغرا الا ان يكون
المحل واسعا كثيرا ولا يكفي اهلها مسجد واحد فيبنى حسنة وكذلك قالوا ٥
لا ينبغي ان يبنى في المصر لواحد جامعين وثلاثة ويجب منع الثاني ومن صلى
فيه الجمعة لم يجزه وقال علماءنا كل مسجد بني على ضرار ورياء وسمعة فهو
في حكم مسجد الضرار لا يجوز الصلاة فيه **فصل** قال النقاش ويلزم من
هذا ان لا يصلى في كنيسة ولا بيعة ونحوها لانها بنيت على شر قال القرطبي
وهذا لا يلزم لان الكنيسة لم يقصد بها بناؤها الضرر بالغير وان كان اصل
بنائها على شر وانما اتخذت النصارى الكنيسة واليهود البيعة موضعا للعبادة
بزعمهم كالمسجد لنا فافترقا وقد اجمع العلماء على ان من صلى في كنيسة او بيعة
على موضع طاهر ان صلاته صحيحة جائزة وذكر البخاري ان بن عباس كان ٥
يصلي في البيعة اذا لم يكن فيها تماثيل وذكر ابو عبيد داود عن عثمان
بن ابي العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم امره ان يبني مسجد الطايف
حيث كان طواغيتهم **فصل** قال القرطبي قال علماءنا من كان اماما لظالم لا
يصلي وراءه الا ان يظهر عنده او يتوب لان بني عمرو بن عوف الذين بنوا ٥

مسجد قبا سألوا ان يتخذوا عمر بن الخطاب في خلافته ان يأذن لمجمع بن حارثة
ان يصلي بهم في مسجدهم فقال لا والله ولا نعمة عين ليس بامام مسجد الضرار
فقال له مجمع يا امير المومنين لا تعجل علي فوالله لقد صليت فيه وانا لا اعلم
ما اضمروا عليه ولو علمت ما صليت بهم فيه كنت غلاما قاريا للقران شابا
وكانوا شيوخا قد غشوا على جاهليتهم وكانوا لا يقرؤن من القران شيا
فصليت ولا احسب ما صنعت اثما ولم اعلم ما في انفسهم فعذره عمر وصدقه
وامره بالصلاة في مسجد قبا **فصل** قال القرطبي قال العلماء اذا كان المسجد
الذي يتخذ للعبادة وحض الشارع على بنائه بقوله من بنى لله مسجدا ولو
كمحص قطاه بنى الله له بيتا في الجنة يهدم اذا كان فيه ضرر بغيره فما ظنك
بسواه بل هو اجري ان يزال كمن بنى فرنا او رحى او حفر بيرا او غير ذلك
مما يدخل ضررا على الغير والضابط فيه ان من ادخل ضررا على اخيه
منع فان ادخل على اخيه ضررا يسقط ما كان له فعله في ماله فاضر ذلك
بجاره او غيره حاره نظرنا الى ذلك الفعل فان كان تركه اكثر ضررا من الضرر
الداخل على الفاعل تطع اكثر الضررين مثل من فتح كوة في منزله يطلع منها على
دار اخيه وفيها العيال والاهل ومن شأن النساء في بيوتهن التجرد من بعض
ثيابهن والانتشار في حوائجهن ويعلم ان الاطلاع على العورات محرم
بنهي الشارع عن الاطلاع على العورات فرأى العلماء ان يغلقوا الكوة
وان كان فيها منفعة وراحة لان ضرر الكوة اعظم من ضرر سدها خلافا
للشافعي فان اصحابه قالوا لو حفر في ملكه بيرا لستر منها آبار الاولى
جاز لان كل واحد منهما حفر في ملكه فلا يمنع ومثله عندهم لو حفر الى جنب
بير جاره كنيفا يفسد عليه ماءه لم يكن له منعه لانه تصرف في ملكه
والقران والسنة يردان هذا القول ومن هذا النوع من الضرر الذي منع
العلماء منه دخان الفرن والحمام وغير ذلك وعبار الابار والدود
المتولد من الزبل المنثور في الوحاب فانه يمنع منه ما كثر ضرره وخشي
تماديه **قوله** لمسجد فيه وجهان احدهما انها لام الابتداء والثاني
انها جواب قسم محذوف تقديره والله لمسجد اسس اي بني اصله على
التقوى وعلى التقديرين فيكون لمسجد مبتدا واسس في محل رفع نعتا
له واحق خبره والقايم مقام الفاعل ضمير المسجد على حذف مضاف اي
اسس بنيانه من اول متعلق به وبه استدل الكوفيون على ان من تكون
لابتداء الغاية في الزمان واستدلوا ايضا بقوله
من الصبح حتى تطلع الشمس لاتري من القوم الا خاريا مسومة

وقول

وقول الاخر من ازمان يوم حليمة الى اليوم قد جربن كل التجارب
وقد تاوله البصريون على حذف مضاف اي من تاسيس اول يوم ومن طلوع
الصبح ومن مجيء ازمان يوم قال القرطبي من عند النحويين مقابلة منذ ومذ
في الزمان بمنزلة من في المكان اي من تاسيس اول الايام فدخلت على مصدر
الفعل الذي هو اسس كقوله من الديار بقنة الحجر افوين من حجج ومن دهر
اي من مر حجج ومن مر دهر وانما دعا الى هذا اصول النحويين ان من لا تجر
بها الازمان وانما تجر الازمان منذ تقول ما رايته منذ شهر ومنذ سنة
اخص من هو افعل من الحسن وافعل لا تدخل الا بين شيئين مشتركين لاحدهما
مزية في المعنى الذي اشتركا فيه على الاخر فمسجد الضرار وان كان باطلا لا حق
فيه فقد اشتركا في الحق من جهة بانيه او من جهة اعتقاد من كان يظن ان
الفتيا مرفيه جايز للمسجدية لكن احد الاعتقادين باطل باطنا عند الله
والاخر حقا باطنا وظاهرا ومثله قوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير
مستقرا واحسن مقيلا ومعلوم انه لا خير ثمة في النار ولكنه جرى على
اعتقاد كل فرقة انها على خير وان مصيرها اليه خيرا ذ كل حزب بما لديهم
فرحون قال ابو البقاء وهذا ضعيف لان التاسيس المقدر ليس بمكان حتى
يكون لابتداء الغاية ويدل على جوازه ذلك قوله لله الامر من قبل ومن
بعد وهو كثير في القران وغيره قال شهاب الدين المصريون انما فروا من
كونها لابتداء الغاية في المكان حتى يرد عليهم ما ذكروا الخلاف في هذه
المسئلة قوي ولابي علي فيها كلام طويل وقال ابن عطية وحسن عندي
ان تسعفني عن تقدير وان يكون من تجر لفظة اول لانها بمعنى البداءة
كانه قال من مبتدا الايام وقد حكى هذا الذي اخترته عن ابي علي النحو
وقوله احق ليس للتفضيل بل بمعنى حقيق اذ لا مفاضلة بين المسجدين
وان تقوم اي بان تقوم والتاء لخطاب الرسول عليه السلام وفيه متعلق
به **قوله** فيه رجال يجوز ان يكون فيه صفة لمسجد ورجال فاعل وان
يكون حالا من الهاء في فيه ورجال فاعل به ايضا وهذا اولى من حيث ان
الوصف بالمفرد اصل والجار قريب من المفرد ويجوز ان يكون فيه خبر مقدما
ورجال مبتدا موخرا وفي هذه الجملة ايضا ثلثة اوجه احدها الوصف
والثاني الحال على ما تقدم والثالث الاستيناف وقرا عبد الله بن زيد
فيه بكسر الهاء فيه الثانية بضمها وهو الاصل جمع بذلك بين اللغتين
وفيه ايضا رفع توهم التوكيد ورفع توهم ان رجالا من رفوع بتقوم وقوله
يحبون صفة لرجال وان مفعول به وقرا طلحة بن مصرف والاعمش

يطهروا ابا لادغام وعلي ابن ابي طالب المطهرين بالاظهار عكس قراءة الجمهور ٥
في اللفظتين **فصل** معنى اسس اي بنى اصله على التقوى من اول يوم راي من
اول يوم ربي ووضع اساسه احق ان تقوم فيه مصليا واختلفوا في المسجد
الذي اسس على التقوى فقال ابن عمر وزيد بن ثابت وابو سعيد الخدري هو
مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ويدل عليه ما روي حميد الخراط قال سمعت
ابا سلمة بن عبد الرحمن قال مر بي عبد الرحمن بن ابي سعيد الخدري قال قلت
له كيف سمعت اباك يذكر في المسجد الذي اسس على التقوى قال قال اني ٥
دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت بعض نسائه فقلت يا رسول
الله اي المسجد الذي اسس على التقوى قال فاخذ كفا من حصبا فضرب ٥
الارض ثم قال هو مسجدكم هذا المسجد المدينة قال فقلت اشهد اني اباك
هكذا يذكره وهذا قول سعيد بن المسيب وقال عمر انه مسجد قباء ٥
وهي رواية عطية عن ابن عباس وهو قول عروة بن الزبير وسعيد بن جبير ٥
وقتادة لما روي عن ابن عمر رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم
ياتي مسجد قباء كل سبت ماشيا وراكبا وكان عبد الله يفعله وزاد نافع
عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصلي فيه ركعتين وقوله فيه
رجال يحبون ان يتطهروا اي من الاحداث والجنابات والنجاسات قال عطا
كانوا يستنجون بالماء ولا ينامون الليل على جنابة روي ابو هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال نزلت هذه الاية في اهل قباء فيه رجال يحبون
ان يتطهروا قال كانوا يستنجون بالماء فنزلت هذه الاية والله يحب المطهرين
وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم وقف على مسجد قباء ثم قال يا معشر ٥
الانصار ان الله اثنى عليكم فما الذي تصنعون في الوضوء فقالوا نتبع الماء
الحجر فقال النبي عليه السلام رجال يحبون ان يتطهروا الاية قالوا المراد
منه الطهارة بالماء بعد الحجر وقيل المراد منه الطهارة من الذنوب ٥
والمعاصي وقيل محمول على كلي الامرين فان قيل لفظ الطهارة حقيقة
في ازالة النجاسات ومجاز في البراءة عن المعاصي واستعمال اللفظ
الواحد في الحقيقة والمجاز معا لا يجوز فالجواب ان لفظ التطهر اسم ٥
للمستقذر وهذا القدر مفهوم مشترك فيه بين القسمين فزال السؤال
قوله افمن اسس بنيانه قرا نافع وابن عامر اسس مبنيا للمفعول ٥
بنيانه بالرفع لقيامه مقام الفاعل والباقون اسس مبنيا للفاعل بنيانه
للمفعول به والفاعل ضمير من وقرا عمارة بن عائذ الاول مبنيا
للمفعول والثاني مبنيا للفاعل وبنيانه مرفوع على الاولى ومنصوب على

الثانية لما تقدم وقرا نصر بن علي ونصر بن عاصم اسس بنيانه وقرا ايضا
وابو حيوة الاساس بنيانه جمع اسس اسس وروي عن نصر بن عاصم ايضا
اس بهمزة مفتوحة وسين مضمومة وقري اساس بالكسر وهي جموع ٥
اضيفت الى البنيان وقري اساس بفتح الهمزة واس بضم الهمزة وتشديد
السين وهما مفردان اضيفا الى البنيان ونقل صاحب اللوامح فيه اسس
بالتخفيف ورفع السين بنيانه بالجر فاسس مصدر واسس الحايط يؤسه ٥
اسسا واساسا وهذه عشر قرات والاس والاساس القاعدة التي يبنى
عليها الشي ويقال كان ذلك على اس الدهر كقولهم على وجه الدهر ويقال
اس مضعفا اي جعل له اساسا والاسس بزنة فاعل والبنيان فيه قولان
احدهما انه مصدر كالغفران والشكران واطلق على المفعول كالخلق ٥
بمعنى المخلوق واطلاق المصدر على المفعول لمجاز مشهور يقال هذا ضرب
الامير ونسج زيد اي مضروبه ومنسوجه والثاني انه جمع وواحد بنيانه
بعتون انه اسم جنس كقمح وقمحة **قوله** على تقوى يجوز فيه وجهان احدهما
انه متعلق بنفس اسس فهو مفعول في المعنى والثاني انه متعلق بمحذوف ٥
على انه حال من الضمير المستكن في اسس اي قاصدا ببنيانه التقوى كذا
قدره ابو البقا وقرا عيسى بن عمر بتقوى منونة وحكى هذه القراة سيبويه
ولم يرتضها الناس لان الفها للتانيث فلا وجه لتنوينها وقد خرجها ٥
الناس على ان يكون الفها للالحاق قال ابن جني قياسها ان يكون الفها للالحاق
كارطى **قوله** خير خبر المبتدا والتفضيل هنا باعتبار معتقدهم وام
متصلة ومن الثانية عطف من الاولى واسس بنيانه كالاولى **قوله**
على شفا جرف هار كقوله على تقوى في وجهيه وانتصاب هوا نتشفير ٥
وشفا الشي حرفه يقال اشفا على كذا اذا دنا منه ويقدم الكلام عليه
في ال عمران وقرا حمزه وابن عامر وابو بكر عن عاصم جرف بسكون
الراء والباقون بضمها فقيل لغتان وقيل الساكن مخفف من المضموم
كعنق في عنق وطنب في طنب وقيل بالعكس كعسر ويسر والجرف ٥
البير التي لم تطو وقيل موانهره وما يجرفه السيل من الاودية قاله
ابو عبيدة وقيل هو المكان الذي ياكله الماء فيجرفه اي يذهب به ٥
ورجل جرا ان اي كثير الكلام كانه تجرف في ذلك العمل قاله الراغب
قوله هار نعت لجرف وفيه ثلاثة اقوال احدها هو المشهور انه مقلو
بتقديم لامه على عينه وذلك ان اصله هاور واهايز بالواو والياء لانه
سمع فيه الحرفان قالوا هار يهور وهيار وهما ر وتهور البنا وتهير فقدمت

اللام وهي الراء على العين وهي الواو والباء فصار كفار وزار فاعل بالنقص
كما علمتها فوزنه بعد القلب فالع ثم بزنه بعد الحذف بفال الثاني انه حذفت
عينه اعتباطا اي لغير موجب وعلى هذا فيجري بوجوه الاعراب ايضا كالذي
قبله كما تقول هذا ناب وزايت بابا ومررت بناب وهذا اعدل الوجوه لاستراحة
من ادغام القلب والحذف اللذين بنيا على خلاف الاصل لولا انه غير مشهور
عند اهل التصريف ومعنى هار اي ساقط مستداع منها له قال الليث ٥
الهور مصدر هار الجرف يهور اذا انصدع من خلفه وهو ثابت في مكانه ٥
ويوجرف هار هابر فاذا سقط فقد انهار وتهور ومعناه الساقط الذي
يتداعى بعضه في اثر بعض كما ينهار الرمل والشيء الرخو **قوله**
فانهار فاعله اما ضمير البنيان والهاء في به على هذا ضمير المؤسس الباني
اي فسقط بنيان الباني على شفا جرف هار واما ضمير الشفا واما ضمير ٥
الجرف اي فسقط الشفا او سقط الجرف والهاء في به للبنيان ويجوز ان يكون
للباني المؤسس والاولى ان يكون الفاعل ضمير الجرف لانه يلزم في انهياره
انهيار الشفا والبنيان جميعا ولا يلزم من انهيار احدهما انهيار ٥
والباني به يجوز ان يكون المعدية وان يكون التي للمصاحبة وتقدم الخلاف ٥
في اول الكتاب ان المعدية عند بعضهم تستلزم المصاحبة واذا قيل انها ٥
للمصاحبة هنا فمتعلق محذوف فالتها حال اي فانهار مصاحبا له **فصل**
معنى الاية امن اسس بنيان دينه على قاعدة قوية محكمة وهي الحق الذي
هو تقوى الله ورضوانه خير امن اسس على قاعدة وهي اضعف القواعد
واقلها بقاء وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل جرف هار
من اودية جهنم فكونه شفا جرف هار كان مشرفا على السقوط ولكونه
على طرف جهنم كان اذا انهار فانما ينهار في قعر جهنم فالمعنى ان
احد البنائين قصد بانيه ببنيانه تقوى الله ورضوانه والبناء الثاني
قصد بانيه ببنيانه المعصية والكفر وكان البناء الاول شريفا واجب
الابقاء والبناء الثاني خسيسا واجب الهدم فلا يرى مثال احسن
مطابقة لامر المنافقين من هذا المثال والله لا يهدي القوم الظالمين
قوله لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم اي ذلك البنيان
صار سببا لحصول الريبة في قلوبهم وبنيانهم يحتمل ان يكون مصدرا
على حاله اي لا يزال هذا الفعل الصادر منهم ويحتمل ان يكون مرادا
به المبني وحينئذ يضطر الى حذف مضاف اي بنيا بنيانهم لان المبني
ليس ريبة او يقدر الحذف من الثاني اي لا يزال مبنيهم بسبب ريبة ٥

وقوله

وقوله الذي بنوا تاكيد دفعا لوهم من يتوهم انهم لم يبنوا حقيقة وانما ٥
دبروا امورا من قولهم كم ابني وهدم وعليه قوله ٥

متى يبلغ البنيان يوما تمامه ٥ اذا كنت تبنيه وغيرك يهدم ٥

فصل في كونه سببا للريبة وجوه احدها ان المنافقين فرحوا ببنا
مسجد الضرار فلما امر الرسول عليه السلام بتخريبه ثقل عليهم وازداد
بغضه له وازدادوا ريبا بهم في نبوته وثانيها ان الرسول عليه السلام
لما امر بتخريبه ظنوا انه امر بتخريبه حسدا فارتفع امانهم عنه وعظم خوفهم
منه وخافوا وصاروا موتابين في انه هل يتركهم على ما هم فيه او يامر ٥
بقتلهم ونهب اموالهم وثالثها انهم اعتقدوا كونهم محسنين في بنا ذلك ٥
المسجد كما حبب العجل الى قوم موسى فلما امر الرسول عليه السلام بتخريبه
بقوا شاكين موتابين في انه لاي شيء امر بتخريبه قاله ابن عباس وقال
الكلبي ريبة اي حسرة وندامة لانهم ندموا على بنائه وقال السدي ٥
لا يزال هدم بنائهم ريبة اي حزازة وغيظا في قلوبهم **قوله** الا ان تقطع
المستثنى منه محذوف والتقدير لا يزال بنيانهم ريبة في كل وقت الا وقت
تقطع قلوبهم او في كل حال الا حال تقطيعها وقرا ابن عامر وحمزه وحفص
تقطع بفتح التا والاصل تتقطع بتاءين فحذفت احديهما وعن ابن كثير ٥
تقطع بفتح التا وتسكين القاف قلوبهم بالنصب اي تفعل انت بقلوبهم
هذا الفعل وقرا الباقون تقطع بضمها وهو مبني للمفعول مضارع قطع
بالتشديد وقرا ابي تقطع مخففا من قطع وقرا الحسن ومجاهد وقتادة
ويعقوب الى ان يأتي لي الحجارة وابو حيوة كذلك وهي قراءة واضحة
في المعنى الا ان اباحيان قرا تقطع بضم التا وفتح وكسر الطا مشددة
والفاعل ضمير الرسول عليه السلام قلوبهم نصبا على المفعول به والمعنى
بذلك انه يقتلهم ويتمكن منهم كل تمكن وقيل الفاعل ضمير الريبة اي ٥
الى ان تقطع الريبة وفي مصحف عبد الله ولو قطعت وبها قرا اصحابه ٥
وهي مخالفة لسواد مصاحف الناس والمعنى ان هذه الريبة باقية
في قلوبهم ابدا او يموتون على النفاق وقيل معناه الا ان يتوبوا توبة ٥
تقطع بها قلوبهم ندما واسفا على تفريطهم وقيل حتى تشق قلوبهم عماة
وحسرة والله عليم باحوالهم حكيم في الاحكام التي يحكم بها عليهم **قوله**
تعالى ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم الاية لما شرح احوال
المنافقين عاد الى بيان فضيلة الجهاد وقيل هذا تمثيل كقوله تعالى اولئك
الذين اشتروا الضلالة بالهدى قال محمد بن كعب القرضي لما بايعت الانصار

رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وهم سبعون نفسا فقال عبد الله بن رواحة
يا رسول الله اشترط لربك ولنفسك ما شئت فقال اشترط لربي ان ٥
تعبدوه ولا تشركوا به شيا واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون
منه انفسكم واموالكم قالوا فاذا فعلنا فلنا قال الجنة قالوا اربح البيع
لا نقيل ولا نستقيل فنزلت ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان
لهم الجنة قال الحسن ومجاهد ومقاتل يامرهم فاعلا منهم **قوله** بان لهم
متعلق باشترى ودخلت الباء هنا على المتروك على بابها وسماها ابو
البقا بالمقابلة كقولهم بعته بالعوض وبا التثمين وقرا عمر بن الخطاب
والاعمش بالجنة قال اهل المعاني ولا يجوز ان يشتري الله شيا في الحقيقة
لانه مالك الكل ولهذا قال الحسن انفسنا موخلقها واموالنا هو رزقها
وانما ذكر الله تعالى ذلك لان الحسن انلطف في الدعا الى الطاعة لان
المومن اذا قاتل في سبيل الله حتى يقتل فقد ذهب روحه وبذل ماله في سبيل
الله جعل الله تعالى جزاوه في الاخرة الجنة فكان هذا استبدالا وشرا قاله
الحسن والله بيعة رابحة وكفة راجحة بايع الله بها كل مومن والله
ما على الارض مومن الا وقد دخل في هذه البيعة وفيه لطيفة وهي ان ٥
المشتري لابد وان يغاير البايع وههنا البايع هو الله تعالى والمشتري
هو الله وهذا انما يصح في حق القيم في امر الطفل الذي لا يمكنه رعاية مصالحه
وصحة هذا البيع مشروطة برعاية العبيطة التامة **فصل** قال القرطبي
هذه الاية دليل على جواز معاملة السيد مع عبده وان كان الكل للسيد
لكن اذا ملكه عامله فيما جعل اليه وجايز بين السيد وعبده ما لا يجوز
بينه وبين غيره لان ماله له وله انتزاعه **فصل** اصل الشرا من الخلق
ان يعرضوا بما خرج من ايديهم ما كان انفع لهم او مثل ما خرج عنهم في النفع
فاشترى الله سبحانه من العباد اضلاف انفسهم واموالهم في طاعته ٥
وانلافها في مرضاته واعطاهم الجند عوض عظيم اذ افعلوا ذلك وهو عوض
عظيم لا يدانيه العوض فاجرى ذلك على مجرى ما يتعارفونه في البيع ٥
والشرا فمن العبد تسليم النفس والمال ومن الله الثواب والنوال فسمي
هذا شرا **فصل** قال بعض العلما كما اشترى من المومنين البالغين ٥
المكلفين كذلك اشترى من الاطفال اولادهم واستقرض لما في ذلك من المصلحة
ومن الاعتبار للبالغين فانهم لا يكونون عند شي اكثر صلاحا واقل
فسادا منهم عند الالم من الاطفال وما تحصل للوالدين من الثواب فيما يالم
من الهم ويتعلق بهم من التربية ثم ان الله تعالى يعوض هولا الاطفال عوضا اذا

صاروا

صاروا اليه **قوله** يقاتلون يجوز ان يكون مستانفا ويجوز ان يكون حالا
وقال الزمخشري يقاتلون فيه معنى الامر كقوله تجاهدون في سبيل الله ٥
باموالكم وانفسكم وعلى هذا فيتعين الاستيناف لان الطلب لا يقع حالا وقد
تقدم الخلاف في ويقتلون في الحمران قراحمزه والكسايي فيقتلون بتقديم
المفعوله على الفاعل على معنى يقتل بعضهم ويقتل الباقون وقرا الاخوان
بتقديم الفاعل **قوله** وعدا منصوب على المصدر المؤكد لمضمون الجملة ٥
لان معنى اشترى معنى وعدهم بذلك فهو نظير هذا ابني حقا ويجوز ان
يكون مصدرا في موضع الحال وفيه ضعف وحقا نعت له وعليه حال من
حقا لانه في الاصل صفة لو تاخر **قوله** في التوراة فيه وجهان
احدهما انه متعلق باشترى وعلى هذا فيكون كلا مة قد امرت بالجهاد
ووعدت عليه الجنة والثاني انه متعلق بمحذوف لانه صفة للوعد اي
وعدا مذكورا او كاينا في التورية وعلى هذا فيكون الوعد بالجنة ٥
لهذه الامة مذكورا او كاينا في التورية وعلى هذا فيكون الوعد بالجنة ٥
لهذه الامة مذكورا في كتب الله المنزله وقال الزمخشري في اثنا ٥
كلام لا يجوز عليه لنسخ قط قال ابو حيان استعمل قط في غير موضوعه لانه اتى
به مع قوله ولا يجوز عليه وقط ظرف لما مضى فلا يعمل فيه الا الماضي قال
شهاب الدين ليس المراد هنا زمن بعينه ثم قال تعالى ومن اوفى بعهده من
الله اي ان نقض العهد الكذب كذب ومكر وخديعة وكل ذلك من القبايح
وهي قبيحة من الانسان مع احتياجه اليها فالغني عن كل الحاجات اولى
ان تكون منزها عنه اي لا احد اوفى بعهده من الله وهذا يتضمن الوفا
بالوعد والوعيد فاما وعده للجميع واما وعيده فمخصوص ببعض الذنبين
وبعض الذنوب في بعض الاحوال **قوله** فاستبشروا فيه التفات ٥
من الغيبة الى الخطاب لان في خطابهم بذلك تشريفا لهم واستفعل هنا
ليس للطلب بل بمعنى افعل كاستوقد واوقد والمعنى اظهروا السرور
بذلك والبشاره اظهار السرور في البشره وقد تقدم **قوله**
الذي بايعتم به توكيد لقوله الذي بنو البيض لهم على هذا البيع بعينه
قوله تعالى التايبون الاية لما بين انه اشترى من المومنين ٥
انفسهم بين ههنا ان اولئك المومنين هم الموصوفون بهذه الصفات التسع
وقال جماعة الاية الاولى مستقلة بنفسها تقع تحت تلك المبايعة كل موحد
قاتل في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا وان لم يتصف بهذه الصفات
في هذه الاية او باكثرها **قوله** التايبون فيه خمسة اوجه احدها

انه مبتدأ والعابدون خبره وما بعده اوصاف او اخبار متعددة عند من
يرى ذلك الثاني ان الخبر قوله الامرون الثالث ان الخبر محذوف اي
التائبون الموصوفون بهذه الاوصاف من اهل الجنة اي من لم يجاهد غير
معاند ولا قاصد لترك الجهاد فله الجنة قاله الزجاج وهو حسن كانه
وعد الجنة لجميع المومنين كقوله وكلا وعد الله الحسنى ويويده قوله وبشر
المومنين وهذا عند من يرى ان هذه الاية منقطعة مما قبلها وليس شرطا
في المجاهدة واما من زعم انها شرط في المجاهدة كالضحاك وغيره فيكون
اعراب التائبين خبر مبتدا محذوف اي هم التائبون وهذا من باب
قطع النعوت وذلك ان هذه الاوصاف عند هولاء القائلين من صفات
المومنين في قوله تعالى من المومنين رجال ويويد ذلك قراءة ابي وابن
مسعود والاعمش التائبين بالياء ويجوز ان يكون هذه القراءة على
القطع ايضا فيكون منصوبا بفعل مقدر وقد صرح الزمخشري وابن
عطية بان التائبين في هذه القراءة نعت للمومنين الخامس لان التائبون
بدل من الضمير المستتر في يقاتلون ولم يذكر لهذه الاوصاف متعلقا
فلم يقل التائبون من كذا لله والعابدون الله لعلم ذلك الاصفتي
الامر والنهي مبالغة في ذلك ولم يات بعاطف بين هذه الاوصاف
لما سبتها لبعضها الا في صفتي الامر والنهي لتباين ما بينهما فان
الامر طلب فعل والنهي طلب تهي اوكف وكذا الحافظون عطفه وذكر
متعلقه وابى بترتيب هذه الصفات في الذكر على احسن نظم وهو ظاهر
بالتامل فانه قدم التوبة اولا لانها بني للعبادة التي احزها واقبل انما
دخلت الواو لانها واو الثمانية كقوله وثامنهم كلبهم وقوله وفتحت
ابوابها لما كان للجنة ثمانية ابواب اتى معها بالواو قال بعض النحويين هي
لغة فصيحة لبعض العرب يقولون اذا عدوا واحدا اثنان ثلاثة اربعة
خمسة ستة سبعة وثمانية تسعة عشرة قال القرطبي وهي لغة قريش
وقال ابو البقاء انما دخلت الواو في الصفة الثامنة ايذانا بان السبعة
عندهم عدد تام ولذلك قالوا سبع في ثمانية اشبار وانما دلت الواو
على ذلك لان الواو تنوذن بان ما بعدها غير ما قبلها ولذلك دخلت
في باب عطف النسق وهذا قول ضعيف جدا لا تحقيق له **فصل**
في تفسير هذه الصفات قوله التائبون قاله ابن عباس التائبون من
الشرك وقال الحسن من الشرك والنفاق وقيل التائبون الراجعون
عن الحالة المذمومة قال القرطبي الراجع الى الطاعة افضل من الراجع

عن

عن المعصية فجمعه بين الامرين وقال الاصوليون التائبون من كل معصية
لانها صفة تعم محلاة بالنهي بالالف واللام فيتناول الكل فالتخصيص بحكم
والعابدون قال ابن عباس الذين يودون العبادة الواجبة عليهم وقال
عنى المطيعون الذين اخلصوا العبادة لله تعالى وقال الحسن هم الذين
عبدوا الله في السراء والضراء وقال قتادة هم قوم راجعوا من انابهم في ليلهم
ونهارهم الحامدون الذين يحمدون الله في السراء والضراء السائحون قال
ابن مسعود وهم الصائمون وقال ابن عباس ما ذكر في القران من السياحة
فهو الصيام وقال عليه الصلاة والسلام سياحة امتي الصيام وعن
الحسن ان هذا صوم الفرض وقيل هم الذين يديمون الصيام قاله
سفيان بن عيينة انما سمي الصائم سائحا لتركه الذات كلها من المطعم
والمشرب والنكاح وقال عطا السائحون هم الغزاة في سبيل الله وهو
قول ابي مسلم وقال عكرمة هم طلبة العلم ينتقلون من بلد الى بلد وقوله
الراكعون الساجدون يعني المصلين وقوله الامرون بالمعروف بالايمان
والناهون عن المنكر عن الشرك وقيل المعروف السنة والمنكر البدعة
قوله والحافظون لحدود الله التائبون باوامر الله وقال الحسن اهل
الوفا ببيعة الله وبشر المومنين **قوله** تعالى ما كان للنبي والذين
امنوا ان يستغفروا للمشركين الايات لما بين في اول السورة الى هذا
الموضع وجوب البراءة عن احبا المشركين والمنافقين من جميع الوجوه
بين في هذه الاية وجوب البراءة عن اقربائهم وان كانوا في غاية القرب
من الانسان كالاب والام كما اوجب البراءة عن الاحبا منهم قال ابن عباس
لما فتح الله مكة اتى قبر امه فوقف عليها حتى جميت الشمس رجا ان
يوذن له فيها يستغفر لها فنزلت ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا
للمشركين وعن ابي هريرة قال زار النبي صلى الله عليه وسلم قبر امه
فبكى وابكى من حوله فقال استاذنت ربي في ان استغفر لها فلم يوذن
لي واستاذنته في ان ازور قبرها فاذن لي فزوروا القبور فانها
تذكر الموت قال قتادة قال النبي صلى الله عليه وسلم لاستغفرن لابي
كما استغفر ابراهيم لابيه فانزل الله هذه الاية وروي سعيد بن المسيب
عن ابيه قال لما حضرت ابا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه
وسلم فوجد عنده ابا جهل وعبد الله بن امية بن المغيرة فقال اي عم
قل لا اله الا الله كلمة احاج لك بها عند الله فقال ابو جهل وعبد الله بن
ابي امية اترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل صلى الله عليه وسلم يعرض

قال علي كل حال والتبرا والتضرع
الجنة يوم القيامة الذين يدعون الله

عليه ويعيد الله تلك المقالة حتى قال ابو طالب اخر ما كلمهم على ملة عبد المطلب
وابى ان يقول لا اله الا الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لاستغفرن
لك ما لم انه عنك فانزل الله هذه الاية وقوله انك لا تهدي من احببت
وفي رواية وفي رواية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه قل لا اله
الا الله اشهد لك بها يوم القيامة قال لولا ان تعيرني قريش يقولون
انما حمله على ذلك الجزع لاقررت بها عينك فنزل قوله انك لا تهدي من
احببت الاية قال الواحدي وقد استبعده الحسن بن الفضل لان هذه
السورة من اخر القران نزولا ووفاة ابي طالب بمكة اول الاسلام قال
بن الخطيب وليس هذا مستبعدا لانه يمكن ان النبي عليه السلام بقي يستغفر
لابي طالب من ذلك الوقت الى حين نزول انك لا تهدي من احببت وروى
عن علي بن ابي طالب انه سمع رجلا يستغفر لابويه وهما مشركان قال فقلت
له استغفر لابويك وهما مشركان فقال الیس قد استغفر ابراهيم لابيه و
وهما مشركان فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه
الاية وفي رواية فانزل الله عز وجل قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم
الى قوله الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك **فصل** قال القرطبي
تضمنت هذه الاية قطع موالاة الكفار حيهم وميتهم لان الله تعالى لم
يجعل للمومنين ان يستغفروا للمشركين فطلب المغفرة للمشرك لا يجوز
فان قيل فقد صح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم احد حين كسرت
رباعيته وشجوا وجهه اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون فكيف الجمع بين الاية
والخبر فالجواب ان ذلك القول من النبي صلى الله عليه وسلم كان
على سبيل الحكاية عمن تقدمه من الانبياء كما دل ما رواه مسلم عن عبد الله
قال كاني انظر الى النبي صلى الله عليه وسلم يحكي ان نبيا من الانبياء ضربه
قومه وهو يمسح الدم عن وجهه الكريم ويقول رب اغفر لي ولقومي فانهم
لا يعلمون وروى البخاري نحوه وهذا صريح في الحكاية عمن قبله قال
القرطبي الا انه قاله ابتداء عن نفسه وجواب ثان ان المراد بالاستغفار
في الاية الصلاة قال عطاء بن ابي رباح الاية في النهي عن الصلاة على
المشركين والاستغفار هنا المراد به الصلاة جواب ثالث ان الاستغفار
للاحياء جايز لانه يرجى ايمانهم ويمكن تالفهم بالقول الجميل وترغيبهم
في الدين بخلاف الاموات **فصلة** ولو كانوا اولي قربى كقوله اعطوا
السائل ولو على فرس وقد تقدم انها حال معطوفة على حال مقدرة
وقوله من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم كالعلة للمنع من الاستغفار

قوله وما كان استغفار ابراهيم لابيه الاعن موعدة في تعلق هذه الاية بما
قبلها وجوه احدها انه لا يتوهم احد انه تعالى منع محمدا من بعض ما اذن لابراهيم
فيه وثانيها انه تعالى لما بالغ في وجوب الانقطاع عن المشركين الاحياء والاموا
بين ههنا ان هذا الحكم غير مختص بدين محمد عليه السلام بل وجوب الانقطاع
مشروع ايضا في دين ابراهيم فتكون المبالغة في وجوب الانقطاع اكمل واولى
واقوى وثالثها انه تعالى وصف ابراهيم بكونه حليما اي قليل العضب و
وكونه اواها اي كثير التوجع والتضجع عند نزول المضار بالناس ومن كان
موصوفا بهذه الصفة كان ميل قلبه الى الاستغفار لابيه شديدا فكانه قيل
ان ابراهيم مع جلالة قدره وكونه موصوفا بالاواهية وبالحلمية منعه الله
من الاستغفار لابيه الكافر فمنع غيره اولى **قوله** وعدها اياه اختلف
في الضمير المرفوع والمنصوب المنفصل فقيل وهو الظاهر ان المرفوع يعود
على ابراهيم والمنصوب على ابيه بمعنى ان ابراهيم كان وعد اباه ان يستغفر
له ويويد هذا قراءة الحسن وحماد الراوية وبن السميفع وابي نهيك و
ومعاذ القاري وعدها اياه بالباء الموحدة وقيل المرفوع لابي ابراهيم
والمنصوب لابراهيم وفي التفسير انه كان وعد ابراهيم ان يؤمن فلذلك
طمع في ايمانه **فصل** دل القران على ان ابراهيم استغفر لابيه لقوله
واغفر لابي وقوله ربنا اغفر لي ولوالدي وللمومنين يوم يقوم الحساب
وقال سلام عليك سا ستغفر لك ربي وقال ايضا لاستغفرن لك والاستغفار
للكافر لا يجوز فاجاب تعالى عن هذا الاشكال بقوله وما كان استغفار
ابراهيم لابيه الاعن موعدة وعدها اياه والمعنى ان اباه وعده ان يؤمن
فلذلك استغفر له فلما تبين له انه لا يومن وانه عدو لله تبراء منه وقيل
ان الواعد ابراهيم وعدا اباه ان يستغفر له رجا اسلامه وقد تقدم هذا في
الوجهان في الاعراب وقيل في الجواب وجهان احدهما ان المراد منه
استغفار ابراهيم لابيه دعاوه له الى الاسلام وكان يقول له امس حتى
تخلص عن العقاب ويدعوا الله ان يوفقه الايمان فرد اهو الاستغفار
فلما اخبره تعالى بانه يموت كافرا ترك تلك الدعوة والثاني ان من الناس
من حمل قوله ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين على
صلوة الجنازة لا على هذا الطريق قالوا ويدل عليه قوله ولا تصل
على احد منهم مات ابدا **فصل** اختلفوا في السبب الذي تبين ابراهيم
به ان اباه عدو لله فقيل بالاصرار وحده وقيل بالوحي فكانه تعالى
يقول للنبيين لابراهيم انه عدو لله تبرا منه فكونوا كذلك لاني امرتكم بمتابعة ابراهيم

والله اعلم وقيل بالاضافة

في قوله اتبع ملة ابراهيم **قوله** ان ابراهيم لاواه حليم الاوّاه الكثير التاوه ه
وهو من يقول اوّاه وقيل من يقول اوّه وهو اقرب لان اوّه بمعنى اتوجع فالاواه
فعال مثال مبالغة من ذلك وقياس فعله ان يكون ثلاثيا فقال يقال آه يؤوه
كقام يقوم او هاوا نكر النحويون هذا القول على قطرب وقالوا الاتيال من اوّه ه
بمعنى اتوجع فعل ثلاثي انما يقال اوّه تاوها وناوّه تاوّها قال الراجز
ه فاوّه الداعي وصوّصا الكبه ه وقال المثقب العبدي ه
ه اذا ما قمت ارحلها بليل ه تاوّه آهة الرجل الحزين ه
وقال الزمخشري اواه فعال من اوه كلاّل من الدلو وهو الذي يكثر التأوّه
قال ابو حيان وتسميته اواه من اوه كلاّل من الدلو ليس بجيد لان ماده اوّه
موجوده في صورة اواه ومادة لولو مفقوده في لأل لاختلاف التركيب اذ
لال ثلاثي ولولو رباعي وشرط الاشتقاق التوافق في الحروف الاصلية
قال شهاب الدين لال كلاهما من الرباعي المكرر اي ان الاصل لأم وهمزة ثم ه
كرر ناغاية ما في الباب انه اجتمع الهمزتان في لأل فادغمت او لا هما في الاخرى
وعرف بينهما في لؤلؤ وقال ابن الاثير في قوله عليه السلام اوه عين الربا كله
يقولها الرجل عند الشكاية والتوجع وهي ساكنة الواو او مكسورة الها ورباه
فلوي الواو وإلفا فقالوا آه من كذا وربما شددوا الواو وكسروها وسكنوا
الها فقالوا أوّه وربما حذفوا فقالوا اوّ وبعضهم بفتح الواو مع التشديد
فيقول اوّه وقال الجوهري وبعضهم يقول اواه بالمد والتشديد وبفتح ه
الواو وساكنة الها للتطويل الصوت بالشكاية وربما اوحلوا فيه الفا فقالوا ه
اوتاه بمد وبغير مدّ **فصل** قال عليه السلام الاوّاه الخاشع المتضرع
وعن عمر انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاواه فقال الدعاء وروي
ان زينب تكلمت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بما تغيره به لونه فانكر عمر فقال
عليه السلام دعها فانها اوّاهة فقيل يا رسول الله وما الاوّاهة قال الداعية
الخاشعة المتضرعة وقيل معنى كون ابراهيم اوّاها كما ذكر لنفسه تقصيرا او
ذكر له شيء من شدايد الاخرة كان يتاوّه اشتقاقا واستعظاما له وعن ابن
عباس الاوّاه المؤمن بالحبشية وقال عطاء وعكرمة هو الموقن وقال مجاهد
والنخعي هو الفقير وقال الكلبي وسعيد بن المسيب هو المسبح الذي يذكر
الله في الارض الفقرا الموحشة وقال ابو ذر هو المتأوّه لانه كان يقول آوّه
آه من النار وقيل ان لا ينفعه اه والحليم معلوم وانما وصفه بهذين الوصفين
ههنا لانه تعالى وصفه بشدة الرحمة والشفقة والحنو ومن كان كذلك فانه
فانه تعظم رقته على ابيه واولاده ثم انه مع هذه الصفات تبرأ من ابيه وغلظ

قلبه

١٠٠

كاواها تواه

قوله تعالى وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم الاية لما منع المسلمين من ان يستغفروا
للمشركين والمسلمون يقولون كانوا قد استغفروا للمشركين قبل نزول هذه الاية
فلما نزلت هذه الاية خافوا بسبب ما صدر عنهم قبل ذلك من الاستغفار ه
للمشركين وايضا فان اقواما من المسلمين الذين استغفروا للمشركين قبل نزول
هذه الاية فلما نزلت هذه الاية خافوا بسبب ما صدر عنهم قبل ذلك من الاستغفار
للمشركين فانزل ايضا فان اقواما من المسلمين الذين استغفروا للمشركين
كانوا اما توا قبل نزول هذه الاية فوقع الخوف في قلوب المسلمين في انه كيف ه
يكون حالهم فازال الله ذلك عنهم بهذه الاية وبين ان لا يؤاخذهم بعمل الا
بعد ان يتبين لهم انه يجب عليهم ان يتقوه ويحترزوا عنه وهذا وجه النظم ه
فصل معنى الاية ما كان الله ليحكم عليكم بضلال بترك الاوامر ه
وبالاستغفار للمشركين حتى يتبين لهم ما يتقون اي يتبعد مرالكم بالنهي فاذا
بين ولم نأخذوا به بعد ذلك فستحقون الضلال قال المحاهد بيان الله للمؤمنين
في ترك الاستغفار للمشركين خاصة وبيانه لهم في معصيته وطاعته عامة
فافعلوا ولوه وا وقال الضحاك ما كان الله ليعذب قوما حتى يتبين لهم ما يأتون
ويذرون وقال مقاتل والكلبي هذا في المنسوخ وذلك ان قوما قد ماتوا
على القبلة قبل ان يصلى الله عليه وسلم وأسلموا ولم يكن الخمر حراما ولا القبلة مصروفة
الى الكعبة فرجعوا الى قومهم وهم على ذلك فحرمت الخمر وصرفت القبلة
ولا علم لهم بذلك ثم قدموا بعد ذلك المدينة فوجدوا الخمر قد حرمت والقبلة
قد صرفت فقالوا يا رسول الله قد كنت على دين ونحن على غيره فنحن ضلال
فانزل الله تعالى وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ه
الناسخ وقيل المعنى انه اضله عن طريق الجنة اي صرفه عنه ومنعه من التوجه
اليه وقالت المعتزلة المراد من هذا الاضلال الحكم عليهم بالضلالة ه
واحتجوا بقول الكميت ه وطايفة قد اكفروني بحبكم ه قال ابن الانباري وهذا
وهذا تاويل فاسد لان العرب اذا اراد ذلك المعنى قالوا اضلل يضلل ه
واحتجاجهم ببيت الكميت باطل لانه لا يلزم من قولنا الكفر في الحكم صحة قولنا
اضل وليس كل موضع صح فيه فعل صح فيه افعل فانه يجوز ان يقال كسر وقتل
ولا يجوز اكسد واقتل بل يجب فيه الرجوع الى السماع **قوله** ان الله له
ملك السموات والارض وانه هو يحيي ويميت وانه اذا كان هو يحيي ويميت
وبانها ان المسلمين لما قالوا امرتنا بالانقطاع عن الكفار لحسنة لا يكنا ه
ان نختلط بآبائنا وابنائنا واخواننا فكانه قيل ان صح ذلك فحرموا من معاونتهم

لما كان الله له ملك السموات والارض وانه هو يحيي ويميت وانه اذا كان هو يحيي ويميت

ومناصرتهم فالاله المالك للسموات والارض المحي المميت ناصركم فلا مضر كم
انقطاعكم عنهم وثالثها انه تعالى لما امر بهذه التكاليف الشاقة كانه قال وجب
عليكم ان تنقادوا لحكمي لكوني الها لكم وكونكم عبيدا لي **قوله** تعالى لقد
تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الاية لما شرح احوال العسرة بتوكه
واحوال المتخلفين عنها عاد الى شرح ما بقي من احكامها فقال لقد تاب الله على
النبي الاية تاب الله اي تجاوز وصفح ومعنى توبته على النبي صلى الله عليه وسلم
باذنه للمنافقين بالتخلف عنه فقال عفى الله عنك لم اذنت لهم وعلى المومنين
من ميل قلوب بعضهم الى التخلف عنه وقيل توبة الله عليهم استنقاذه من شدة
العسره وقيل خلاصهم من نكاية العدو لوجود معنى التوبة فيه وهو الرجوع
الى الحالة الاولى وقيل افتتح الكلام به لانه كان سبب توبتهم فذكره معهم كقوله
تعالى فان لله خمسه وللرسول وقيل لا يبعد ان يكون صدر عن اولئك
الاقوام انواع من المعاصي لا انه تعالى تاب عليهم وعفى عنهم لاجل تحملهم
مشاق السفر في شدة الحر للجهاد ثم انه تعالى صدر ذكر الرسول الى ذكرهم
تنبيها على عظم مراتبهم في الدين وانهم قد بلغوا الى الدرجة التي لاحلها
صدر الرسول عليهم في قبول التوبة **قوله** اتبعوه يجوز فيه وجهان احدهما
انه اتباع حقيقي ويكون عليه السلام خرج اولا وتبعه اصحابه وان يكون
مجازا اي ائتمروا امره ونهيه وساعة العسره عبارة عن وقت الخروج الى
الغزو وليس المراد حقيقة الساعة بل كقولهم لقيته لوم الكلاب وعشيه فاوعناهم
فاستعيرت الساعة لذلك كما استعيرت الغداة والعشية في قوله

غداة طفت علما بكوبن وابل عشية فارقنا حذام وعصيرا اذا جاءوا
وادنى بتغني الغنا **فصل** في المراد بساعة العسرة قولان الاول انها غزوة
تبوك والمراد منها الزمان والمراد بعضها الوقت الذي صعب الامر عليهم
جدا في ذلك السفر والعسره تعذر الامر وصعوبته قال جابر حصلت عسرة
الظهر وعسرة العصر اما عسرة الظهر فقال الحسن كانت العشرة
من المسلمين يخرجون على بعير يعتقبونه بينهم واما عسرة الزاد فربما قبض
التمرة الواحدة جماعة بننا ولونها حتى لا يبقى من التمرة الا النواة وكان معهم
شيء من شعير مسوس فكان احدهم اذا وضع اللقمة في فيه اخذ ائقه من نتن
اللقمة واما عسرة الماء فقال عمر خرجنا في قيظ شديد واصابنا فيه عطش
شديد حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه وهذه تسمى غزوة
العسرة ومن خرج فيها منهم جيش العسرة وجهزهم عثمان وعشر من الصحابة
والثاني قال ابو مسلم يجوز ان يكون المراد بساعة العسرة جميع الاحوال

والاوقات

الشديدة على الرسول وعلى المومنين فيدخل فيه غزاة الخندق وغيرها وقد ذكر الله
تعالى بعضها في القرآن كقوله واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر
وقوله لقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم الاية والمقصود منه
وصف المهاجرين والانصار بانهم اتبعوا الرسول عليه السلام في الاوقات الشديدة
والاحوال الصعبة وذلك يفيد نهاية المدح والتعظيم **قوله** من بعد ما كاد
تزيغ قلوب قرا حمزه وحفص عن عاصم بتزيغ بالياء من تحت والباقون بالتاء من
فوق فالقراءة الاولى يحتمل ان يكون اسم كان ضمير شان وقلوب مرفوع
بتزيغ والجملة في محل رفع خبرها وان يكون اسمها ضمير القوم او الجمع الذي دل
عليه ذكر المهاجرين والانصار ولذلك قدره ابو البقاء بن عطية من بعد
ما كاد القوم وقال ابو حيان في هذه القراءة فتعين ان يكون في كاد ضمير
الشان وارتفاع قلوب الحناجر بتزيغ لا مبتدا ان يكون قلوب اسم كاد
وتزيغ في موضع الخبر لان النية به التاخير ولا يجوز من بعد ما كاد قلوب بزيغ
بالياء قال شهاب الدين ولا يتعين ما ذكر في هذه القراءة لما سيذكر من انه
يجوز ان يكون اسم كاد ضميرها عائدا على الجمع والجملة الفعلية خبرها
ولا محذور يمنع من ذلك وقوله لا مبتدا ان يكون قلوب اسم كاد يعني انا لو
جعلنا قلوب اسم كاد لزم ان يكون تزيغ خبرا مقدما فيلزم ان يرفع ضميرا
عائدا على قلوب ولو كان كذلك للزم تانيث الفعل لانه حينئذ مسند الى
ضمير مونث مجازي لان جمع التكسير يجري مجرى المونث مجازا او قراءة
التاء من فوق فيحتمل ان يكون في كاد ضمير الشان كما تقدم وقلوب موضع بتزيغ
وانث لتانيث الجمع وان يكون قلوب اسمها وتزيغ خبر متقدم ولا محذور
في ذلك لان الفعل قد انث قال ابو حيان وعلى كل واحد من هذه الاعاريب الثلاثة
اشكال على ما تقرر في علم النحو من ان خبر افعال المقاربة لا يكون الا مضارعا
رافعا ضميرا اسمها فبعضهم اطلق وبعضهم قيد يعني عسى من افعال المقاربة
ولا يكون سببيا وذلك بخلاف كان فان اسمها يرفع الضمير والسببي لاسم كان
فاذا قدرنا فيها ضمير الشان كانت الجملة في موضع نصب على الخبر والمرفوع
ليس ضميرا يعود على اسم كاد بل ولا سببيا له وهذا يلزم في قراءة التاء ايضا
واما توسط الخبر فهو مبني على جواز مثل هذا التركيب في مثل كان يقوم زيد
وفيه خلاف والصحيح المنع واما الوجه الاخير فضعيف جدا من حيث اضمر
في كاد ضميرا ليس له على من يعود ولا بتوهم ومن حيث يكون خبر كاد رافعا سببيا
قال شهاب الدين كيف يقول والصحيح المنع وهذا التركيب موجود في القرآن
كقوله تعالى ما كان يصنع فرعون وكان يقول سنبينها وفي قول امرء القيس

والقوم

وان يكن قد سبقت مني خليقة هذا التركيب واقع لا محالة وانما اختلفوا في ٥
تقدم هل من باب تقدم الخبر اما لانه كتقدم المبتدا او الخبر والخبر ٥
الصريح متى كان كذلك امتنع تقديمه على المبتدا المبلا يلتبس بباب الفاعل فكذلك
بعد نسخه ومن اجاز فلا من اللبس ثم قال ابو حيان ويخلص من هذه الاشكالات
اعتقاد كون كاد زايدة ومعنا ما مراد ولا عمل لها اذ ذاك في اسم ولا خبر ٥
فيكون مثل كان اذا زيدت يراد معناها ولا عمل لها ويويد هذا التاويل ٥
قراءة بن مسعود من بعد ما زاغت باسقاط كاد وقد ذهب الكوفيون الى
زيادتها في قوله تعالى لم يكد يراها مع تاثرها بالعامل وعملها فيما بعدها
فاجري ان يدعي زيادتها وهي ليست عاملة ولا معمولة قال شهاب الدين
زيادتها اياه الجمهور وقال به من البصريين الاخفش وجعل منه كاد اخفيها
وتقدم الكلام على ذلك وقرا الاعمش والحدري تزيغ بضم التاء وكانه جعله ٥
ازاغ وزاغ بمعنى وقرا ابي كادت بتا التانيث قوله كاد عند بعضهم ٥
تقيد المقاربة وعند اخرين تقيد المقاربة مع عدم الوقوع والزيغ الميل اي من
بعد ما كاد تميل قلوب فريق منهم اي بعضهم ولم يرد الميل عن الدين بل اراد الميل
للتخلف والانصراف تمذه التوبة توبة عن تلك المقاربة واختلفوا في الذي
وقع في قلوبهم فقيل هم بعضهم عند تلك الشدة العظيمة ان يفارقوا الرسول
عليه السلام لكنه صبر واحتسب فكذلك قال تعالى ثم تاب عليهم بما صبروا ٥
وندموا على ذلك الامر اليسير وقال اخرون بل كان ذلك بحديث النفس الذي ٥
كان يقوم في العرية فلما انتهم الشده وقع ذلك في قلوبهم ومع ذلك تلافوا ذلك
اليسير وقال اخرون بل كان ذلك حديث النفس الذي هو فوق ان يكون معصية
فلذلك قال تعالى ثم تاب عليهم فان قيل ذكر التوبة في اول الاية وفي اخرها
ما فايدة التكرار فالجواب من وجوه احدها انه تعالى ابتدا بذكر التوبة
قبل ذكر ذلك الذنب تطييبا لقلوبهم ثم لما ذكر الذنب اردفه مرة اخرى بذكر
التوبة تعظيما لشانهم وثانيها اذا قيل عفى السلطان عن فلان ثم عفى عنه دل
على ان ذلك العفو متاكد بلغ الغاية القصوى في الكمال والقوة قال عليه
السلام ان الله ليغفر ذنب الرجل المسلم عشرين مرة وهذا معنى قوله
بن عباس في قوله ثم تاب عليهم يريد ازداد عنهم رضا قال بن عباس من تاب
الله عليه لم يعذبه ابدا وثالثها انه قال تلقد تاب الله على النبي والمهاجرين
والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسره ثم انه تعالى زاد عليه فقال
من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم هذه الزيادة افادت حصول ٥
وساوس توبة فلاجرم اتبعها تعالى بذكر التوبة مرة اخرى ليلا يبقى ٥

في خاطر احد شك في كونهم موآخذين بتلك الوساوس ثم قال تعالى انه بهم رووف
رحيم وهما صيغتان لله تعالى ومعناهما متقاربان وعكس ان يكون الرافة ازالة
عن عباده الضرر والرحمة عباره عن ايصال المنفعه وقيل احديهما السالفه
والاخرى المستقبله قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا الاية تجوز ان
يكون وعلى الثلاثة تسق على النبي اي تاب على النبي وعلى الثلاثه وان يتسق
على الضمير في عليهم اي ثم تاب عليهم وعلى الثلاثة وكذلك كرر حرف الجر وقرا
الجمهور خلفوا مبنيا للمفعول مسندا من خلفه بخلفه وقرا ابو مالك كذلك
الا انه خفف اللام وقرا عكومة وزر بن حبيش وعمرو بن عبيد وعكومة
بن هارون المخزومي ومعاذ القاري خلفوا مبنيا للفاعل مخففا من خلفه ٥
والمعنى الذين خلفوا اي صدوا من خلوف الغم ويجوز ان يكون المعنى انهم
خلفوا الغازين في المدينه وقرا ابو العالية وابو الجوزا كذلك الا انهما شددا
اللام وقرا ابو رزين وعلى بن الحسين وابناه زيد ومحمد الباقر وابنه
جعفر الصادق خالفوا بالف اي لم يوافقوا الغازين في الخروج قال الباقر
والخلفوا لم يكن لهم قرا الاعمش وعلى الثلاثة المخلفين وانظر هنا بحث العلم
كقوله ٥ فقلت لهم ظنوا بالقي مدجج ٥ سراتهم كالفارسي المسرهد ٥
وقوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم لانه تعالى ذكر هذا الوصف في معرض
المدح والثنا ولا يكون ذلك الامع علمهم وقيل هو على بابه لانه عليه السلام
وقف امرهم على الوحي فلم يقطعوا بان الله لم ينزل في شانهم قرانا بل ٥
كانوا مجوزين لذلك او كانوا قاطعين بان الله ينزل براتهم عن النفاق ٥
ولكنهم جوزوا ان تطول المده في بقايهم في الشده فانظن عاد الى مجوزيكون
تلك البراة طويلة امر قضين قوله ان لا ملجا ان المخففه سادة ٥
مسد المفعولين ولا ما في خبرها الخبر ومن الله خبرها ولا يجوز ان يتعلق
ملجا ويكون الا اليه الخبر لانه كان يلزم اعرابه لانه يكون مطولا وقد
قال بعضهم انه يجوز تشبيه الاسم المطول بالمضاف فينزع ما فيه من تنوين
ونون كقوله ٥ اراني ولا كفران لله ايه ٥ وقوله عليه السلام لا صمت ٥
يوم الى الليل ترفع يوم وقد تقدم ذلك قوله الا اليه تقدم استثنا
من ذلك العام المحذوف اي لا ملجا الى احد الا اليه كقولك لا اله الا الله

فصل هولا الثلاثة هم المذكورون في قوله تعالى واخرون مرجون
لامر الله واختلفوا في السبب الذي لاجله وصفوا بكونهم مخلفين فقيل ٥
ليس المراد انهم امروا بالتخلف او حصل الرضا من الرسول بذلك بل هو
كقولك لصاحبك اين خلفت فلانا فيقول موضع كذا الجيد به انه امره ٥

بالتخلف بل لعله قدمناه عنه واما يريد انه تخلف عنه وقيل لا يمتنع ان هؤلا
الثلاثة كان عزمهم الذهاب الى الغزو فاذن لهم رسول الله الرسول عليه ٥
السلام في قدر تحصيل الالات فلما بقوا مدة ظهر التواني والكسل فصح ان يقال
خلفهم الرسول وقيل انه حكى قصتهم اقوام وهم الموصوفون بقوله واخرون مرجون
لامر الله والمراد من كون هؤلا مخلفين كونهم موجلين في قبول التوبة قال
كعب بن مالك وهو احد الثلاثة الذين خلفوا ليس تخلفنا اما هو تاخير رسول
الله صلى الله عليه وسلم امرنا بشيء الى قوله واخرون موجؤن لامر الله

فصل هؤلا الثلاثة هم كعب بن مالك الشاعر وهلال بن امية
الذي فيه نزلت اية اللعان ومرارة بن الربيع وهم اوايل اسامهم مكي
واواخرها اسما اباهم عكه وفي قصتهم قولان الاول انهم ذهبوا خلف الرسول
عليه السلام قال الحسن كان لاحدهم ارض ثمنها مائة الف درهم فقال
يا ارضاه ما خلفني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا امرك فاذهبي
في سبيل ولا كابدن المفاوز حتى اصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفعل وكان للثاني اهل فقال يا اهلاه ما خلفني عن رسول الله صلى الله
صلى الله عليه وسلم الا امرك ولا كابدن المفاوز حتى اصل اليه وفعل ٥
والثالث ما كان له اهل ولا مال فقال لمالي الا سبة الا الظن بالجباة
والله لا كابدن المفاوز حتى اصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ٥
فلحقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل قوله واخرون مرجؤن لامر
الله والثاني وهو قول الاكثرين انهم ما ذهبوا خلف الرسول عليه السلام
قال كعب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب حديثي فلما ابطأت عليه
في الخروج قال عليه السلام ما الذي حبسك عنا فلما قدم المدينه اعتذر
المنافقون وحلفوا هم واتيته وقلت ان كراعي وزادي كان حاضرا واحببت
بذنبي فاستغفرلي فاما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ثم انه عليه السلام
نهى عن مجالسته هؤلا الثلاثة وامر بمقاطعتهم حتى امر بذلك نساءهم فضاقت ٥
عليهم الارض بما رحبت وجاءت امراة هلال ابن امية وقالت يا رسول الله ٥
لقد بكا حتى خفت على بصره حتى اذا مضى خمسون يوما انزل الله تعالى ٥
لقد تاب الله على النبي والمهاجرين وقوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى ٥
بقي الثلث الاخر من الليل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حجرته وهو
عند ام سلمة فقال الله اكبر قد انزل الله عذرا صحابنا فلما صلى الفجر ذكر ذلك
لاصحابه وبشرهم بان الله تاب عليهم فانطلقوا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فتلا عليهم ما نزل فيهم فقال كعب توبتي الى الله تعالى ان اخرج مالي صدقة

قال لا قلت نصفه قال لا قلت فثلثه قال نعم **فصل** معنى ضاقت عليهم الارض
بما رحبت تقدم تفسيره في هذه السورة وسببه اعراض الرسول عنهم ومنع
المومنين من مكالمتهم وامر ازواجهم باعتزالهم وبقاءهم على هذه الحالة خمسين
يوما وقيل اكثر وضاقت عليهم الارض انفسهم اي ضاقت صدورهم بالهم
والغم ومجانبة الاولياء ونظر الناس اليهم بعين الاهانة وظنوا اي تيقنوا
ان لا ملجا اي لا مفزع من الله الا اليه قال ابن الخطيب يقرب معناه ٥
من قوله عليه السلام اعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك ٥
وبك منك **قوله** ثم تاب عليهم ليتوبوا فيه وجوه احدها قال اهل السنة
المراد منه ان فعل العبد مخلوق لله تعالى فقوله تاب عليهم يدل على
ان التوبة فعل الله وقوله ليتوبوا يدل على انها فعل العبد فهو نظير
قوله فالبضحكوا قليلا مع قوله انه هو اضحك وقوله كما اخرجك ربك من
بيتك مع قوله اذ اخرجه الذين كفروا وقوله هو الذي يسيركم مع قوله
قل سيروا وثانيها تاب الله عليهم في الماضي ليكون داعيا لهم الى التوبة
في المستقبل وثالثها اصل التوبة الرجوع اي تاب عليهم ليرجعوا الى ما
كان عليه من حالهم وعاداتهم في الاختلاط بالمومنين وزوال المباينة فتسكن نفوسهم عند
ذلك ورابعها تاب عليهم ليتوبوا اي ليدوموا على التوبة ولا يراجعوا
ما يبطلها وخامسها تاب عليهم ليتوبوا بالتوبة ان الله هو التواب الرحيم
واعلم ان ذكر الرحيم عقيب ذكر التواب يدل على ان قبول التوبة لمحض ٥
الرحمة والكرم لا لاجل الوجوب كما يقوله المعتزلة وذلك يقوي انه لا يجب
عقلا على الله قبول التوبة **قوله** تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله
الاية لما قبل توبة هؤلا الثلاثة ذكر ما يكون كالزاجر عن فعل مثل ما مضى
وهو التخلف عن رسول الله في الجهاد اي اتقوا الله في مخالفة امر الرسول
وكونوا مع الصادقين اي مع النبي واصحابه في الغزوات ولا تتخلفوا عنها
وتجلسوا مثل المنافقين في البيوت قال نافع مع الصادقين اي مع محمد
وقال سعيد بن جبير مع ابي بكر وعمر وقال ابن جريج مع المهاجرين لقوله
تعالى للفقرا المهاجرين الى قوله اولئك هم الصادقون وقال ابن
عباس مع الذين صدقت نياتهم فاستقامت قلوبهم واعمالهم وحرجوا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك باخلاص وسنة وقتل من ٥
الذين صدقوا في الاعتراف بالذنب ولم يعتذروا بالاعذار الكاذبة
فصل دلت الاية على فضيلة الصدق وكمال درجته قال ابن مسعود
ان الكذب لا يصلح ولا ان يعد احدكم صبيه شيئا ثم لا ينجز له اقول ان شيئا

في جد ولا هزل

وقرا الاية وروي ان رجلا جا الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال اني اريد ان
اومن بك الا اني احب الزنا والخمر والسرقة والكذب والناس يقولون انك
تحرم هذه الاشيا ولا طاقة لي الى تركها باسرها فان فتعتني بشي تركت مني تركت واحدة
منها امنت بك فقال عليه السلام اترك الكذب فقبل ذلك ثم اسلم فلما خرج
من عند النبي عليه السلام عرضوا عليه الخمر فقال ان شربت الخمر فسالني رسو
الله صلى الله عليه وسلم عن شربها وكذبت فقد نقضت العهد وان صدقت
اقام الحد علي فتركها ثم عرضوا عليه الزنا فجا ذلك الخاطر فتركه وكذا
في السرقة فجا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ما احسن ما قلت لما
منعتني من الكذب استحت ابواب المعاصي علي وتاب عن الكل قال ابن مسعود
عليكم بالصدق فانه يقرب الى البر والبر يقرب الى الجنة وان العبد
ليصدق فيكتب عند الله صديقا واياكم والكذب فان الكذب يقرب الى
الفجور والفجور يقرب الى النار وان الرجل ليكذب حتى يسمى عند الله كذابا
الا ترى انه يقال صدقت وبررت وكذبت وفجرت وقيل في قول ابليس
فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين ان ابليس لو لم يذكر هذا
الاستثنا لصار كاذبا في ادعائه اغواء الكل فكانه استثنى عن الكذب
فذكر هذا الاستثنا واذا كان الكذب شيا يستثنى عنه ابليس فالمسلم اولى
ان يستثنى منه ومن فضايل الصدق ان الايمان منه لا من ساير الطاعات
ومن معايب الكذب ان الكفر منه لا من ساير الذنوب **قوله** تعالى ما كان
لاهل المدينة الى قوله ومن حولهم من الاعراب الاية لما اوجب عليهم موافقة
الرسول في جميع الغزوات والمشاهد اكد ذلك بالنهي في قوله هذه الاية قال
المفسرون ظاهره خبر ومعناه نهي كقوله تعالى وما كان لكم ان تؤذوا
رسول الله ومن حولهم من الاعراب سكان البوادي مزينة وجهينة واشجع
واسلم وغفار قاله ابن عباس وقيل يتناول جميع الاعراب الذين كانوا حول
المدينة فان اللفظ عام والتخصيص تحكم ليس لهم ان يتخلفوا عن رسول
الله اذا غزا ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه اي لا يطلبوا لانفسهم الخفض والدعة
حال ما يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحر والمشقة والمعنى
ليس لهم ان يكرهوا الا انفسهم ما يرضاه الرسول عليه السلام لنفسه يقال
رغبت بنفسي عن هذا الامر اي توقفت عنه وتركته وارغب بفلان
عن هذا الامر اي ابخل به علينا ولا اتركه له وظاهر الاية وجوب الجهاد على
الكل الا ما خصه الدليل من المرضى والضعفا والعاجزين ولما منعهم
من التخلف بين انهم لا يصبرون بصيبهم في ذلك السفر نوع من المشقة الا

وهو يوجب الثواب العظيم عند الله تعالى وذكر امورا منها **قوله** ذلك
بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب وهو العطش يقال ظمي يظمى ظمأ فهو ظمآن
وربي ظمأي وفيه لغتان القصر والمد وبالمد قرا عمرو بن عبيد بخوسفه
سفاها والظمأ ما بين الشربتين ومنها قوله ولا نصب اي اعيا وتعب
ولا مخمصة في سبيل الله اي مجاعة شديدة يطير بها صفور البطن يقال
فلانا خمص البطن ومنها قوله ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار موطئا مفعل
من وطي ويحتمل ان يكون مصدرا بمعنى الوطي وان يكون مكانا والاول
اظهر لان فاعل يغيظ يعود عليه من غير تاويل بخلاف كونه مكانا فانه يعود
على المصدر وهو الوطء الدال عليه مكان الوطي والمعنى لا يضع الانسان
قدمه ولا يضع فرسه حافره ولا يضع بعيره خفه بحيث يصير ذلك
سببا لغيظ الكفار **قوله** يغيظ الكفار قال ابن الاعرابي يقال
غاظه وغيظه واغاظه ثلاث لغات واحدا بي اعصبه وقرا زيد بن علي
يغيظ بضم الياء وقوله ولا ينالون من عدو نيلا النيل مصدر ويحتمل
ان يكون على بابه وان يكون واقعا موقع المفعول به وليس ياوه منزلة
من واو وكاد زعم بعضهم بل تاله ينوله مادة اخرى ومعنى اخرو هو المتناول
يقال نلته انوله وانيله اي ادركته والمعنى ولا يبالم من العدو اسرا
او قتلا او مزية كانت او كبيرة الا كتب لهم عمل صالح اي كان ذلك
قربة عند الله تعالى لهم تقال قتاده وهذا الحكم من خواص رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا غزا بنفسه فليس لاحد ان يتخلف عنه الا بعذر وقال
ابن زيد هذا حين كان المسلمون قليلين فلما كثروا نسخها الله بقوله
وما كان المومنون لينفروا كافة وقال عطية ما كان لهم ان يتخلفوا عن رسو
الله اذا دعاهم وهذا هو الصحيح قال الوليد بن مسلم سمعت الاوزاعي
وابن المبارك وابن جابر وسعيد بن عبد العزيز يقولون في هذه الاية
انها الاول هذه الامة واخرها وذلك لانا لو سوغنا للمندوب ان يتقاعد
لم يختص بذلك بعض دون بعض فيودي ذلك الى تعطيل الجهاد
قوله ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة اي تمرة فما فوقها ولا قطعا
سوط فما فوقها ولا يقطعون واديا قال الزمخشري الوادي كل منفرج
بين جبال واكثر ما يكون منفذا للسيل والجمع اودية وهو في الاصل
فاعل من ودي اذا سال ومنه الوادي وقد شاع في استعمال العرب
بمعنى الارض وجمع على اودية وليس بقياس وكان قياسه الاوادي
كواصل جمع واصل وآصل والاصل واصل فقلبت الواو الاولى همزة وهم

قة

يسفلون واحدة حتى قالوا امس بى وقت وحكى الخليل وسيبويه فى تصغير
واصل اسم رجل اريجيل ولا يقولون عنين قال النحاس ولا اعرف فاعلا
وافعله سواه وقد استدرك هذا على سيبويه فزاد وانادٍ واندية واشدوا
٥ وفيهم مقامان حسنان وجوههم ٥ وانديته يعنى بها القول والفعل ٥
والنادي المجلس وقال الفراء اندية جمع ملى او داءٍ كصاحب واصحاب وانشد
الجوهري ٥ عرفت ببرقة الاوداء رسما ٥ كخط الوحى الحق عهدك من رسوم ٥
وزاد الراغب فى فاعل وافعله ناجٍ وانجيه فقد كملت ثلثة الفاظ فى فاعل
وافعله ويقال وداه اي اهلكه كانهم تصوروا منه اسالة الدم وسميت الدية
دية لانها فى مقابلة اسالة الدم ومنه الودي وهو ماء الفحل عند المداعبة ٥
وما يخرج عند البول والودي بكسر الدال وتشديد الياء صغار النخل
قوله الا كتب هذه الجملة فى محل نصب على الحال من ظمأ ولا ما عطف ٥
عليه اي لا يصيبهم ظمأ الا مكتوبا وافرد الضمير فى به وان تقدمه اشيا اجراء
له مجرى اسم الاشارة اي كتب لهم بدلك عمل صالح قال ابن عباس يكل روعة
تنالهم فى سبيل الله الف حسنة وقوله الا كتب كتبين والمضمر
يحتمل ان يعود على العمل الصالح المفهوم وان يعود على احد المصدرين ٥
المفهومين من ينفقون ويقطعون اي الا كتب لهم الانفاق او القطع وقوله
ليجزيهم متعلق بكتب وقوله احسن ما كانوا يعملون فيه وجهان الاول
الاحسن من صفة فعلهم وفيه الواجب والمندوب والمباح فالله تعالى ٥
يجزيهم على الاحسن وهو الواجب والمندوب دون المباح والثانى ان ٥
الاحسن صفة للجزا اي يجزيهم جزاءً هو احسن من اعمالهم وافضل وهو ٥
الثواب روي حرم بن فاتك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
انفق نفقة فى سبيل الله كتب الله له سبع مائة ضعف قوله تعالى وما
كان المومنون لينفروا كافة الاية يمكن ان يقال هذه الاية من بقية احكام
الجهاد ويمكن ان يقال انه كلام مبتدا لا تعلق له بالجهاد اما الاول ٥
فنقل عن ابن عباس انه عليه السلام كان اذا خرج الى الجهاد لم يتخلف عنه
الا منافق او صاحب علة فلما بالغ الله تعالى فى عيوب المنافقين فى غزاة
تبوك قال المومنون والله لا نتخلف عن شى من الغزوات مع الرسول
ولا عن سرية فلما قدم الرسول عليه السلام المدينة وامر السرايا الى ٥
الكفار نفر المسلمون جميعا الى العدو وتركوه وحده بالمدينة فنزلت
هذه الاية والمعنى لا يجوز للمومنين كلهم الى الجهاد بل يجب ان يبعث واطائفتين ان ينفروا
طائفة منهم تبقى فى خدمة الرسول وطائفة اخرى تنفر للجهاد وذلك لان

الاسلام

الاسلام فى ذلك الوقت كان محتاجا الى الجهاد وايضا كانت التكاليف والشرايع
تنزل فكان بالمسلمين حاجة الى من يكون مقيما بحضرة الرسول عليه السلام
يتعلم الشرايع والتكاليف ويبلغها للغايبين وبهذا الطريق يتم امر الدين
وعلى هذا القول ففيه احتمالان احدهما ان تكون الطايفة المقيمة هم الذين
يتفقهون فى الدين طلازمتهم الرسول عليه السلام ومشاهدتهم التنزل ٥
وكلما نزل تكليف وشرع عرفوه وحفظوه فاذا رجعت الطايفة النافرة
من الغزو واندرتهم الطايفة المقيمة ما تعلموه من التكاليف والشرايع ٥
وعلى هذا فلا بد من الاضمار والتقدير فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة ٥
واقامت طايفة لتفقه المسلمين فى الدين ولينذروا قومهم ليعني النافرين
الى الغزو اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون معاصي الله تعالى والاحتمال ٥
الثاني ان التفقه صفة للطايفة النافرة قاله الحسن والمعنى فهلا نفر من
كل طايفة منهم فرقة حتى تبقى طايفة حتى تتفقه هذه الطايفة النافرة فتنذر
اذا رجعت اليهم اذا شاهدوا ظهور المسلمين على المشركين مع قلة عدد المسلمين
وعددهم يغلبون العالم من المشركين فيتبصروا ويعلموا ان ذلك ٥
بسبب ان الله تعالى خصهم بالنصر والتاييد وان الله تعالى يريد اعلا
دين محمد وتقوية شريعته فاذا رجعوا الى قومهم من الكفار انذروهم
ما شاهدوا من دلايل النصر والظفر والفتح لعلهم يحذرون فيتركوا الكفر
والنفاق واما الثاني وهو ان هذا حكم مبتدا فتقريره ان الله تعالى
لما بين فى هذه السورة امر الهجرة ثم امر الجهاد وهما عبادتان بالسفر بين
ايضا عبادة التفقه من جهة الرسول وله تعلق بالسفر فقال وما كان
المومنون لينفروا كافة الى حضرة الرسول عليه السلام ليتفقهوا فى الدين
بل ذلك غير واجب وليس حاله كحال الجهاد مع الرسول الذي يجب ان ٥
يخرج فيه كل من لا عذر له ثم قال فلو نفر من كل فرقة منهم يعني من الفوق
الساكنين فى البلاد طايفة الى حضرة الرسول عليه السلام ليتفقهوا فى
الدين وليبشروا الحلال والحرام ويعودوا الى قومهم فينذروا ويحذروا
قومهم لكى يرجعوا عن كفرهم وعلى هذا فالمراد وجوب الخروج الى حضرة
الرسول للتفقة والتعلم فان قيل افتدل التفقة على الاية على وجوب
الخروج للتفقه فى كل زمان فالجواب متى عجز عن التفقه الا بالسفر ٥
وجب عليه السفر وفى زمان الرسول عليه السلام كان الامر كذلك لان
الشريعة ما كانت مستقرة بل كان يحدث فى كل يوم تكليف جديد وشرع
حادث واما الان فقد صارت الشريعة مستقرة فاذا امكنه تحصيل العلم

في الوطن لم يجب السفر **قوله** فلولا نفر من كل فرقة لولا تحضيضه والمراد
به الامر لان لولا اذا دخل على الفعل كان بمعنى التحضيض مثل هلا لان هلا
كذلك وهو استفهام وعرض لانك اذا قلت للرجل هلا تاكل كانك عرضت
ذلك عليه ولا وهو حد فهلا لامركب من امرين عرض وحد فاذا قلت هلا
فعلت كذا فكانك قلت هل فعلت ثم معه لاي ما فعلت ففيه تنبيه على
وجوب الفعل وتنبيه على انه حصل الاخلال بهذا الواجب وهكذا الكلام في لولا
لانك اذا قلت لو دخلت علي ولو اكلت عندي ايضا عرض واخبار عن
سرورك به لو فعل وهذا الكلام في لوما ومنه قوله لوما تاتينا بالملكة
فلولا وهلا ولوما الفاظ متقاربة والمراد بها الترغيب والتحضيض
ومنهم يجوز ان تكون صفة لفرقة وان يكون حالا من طايفة لانها في الاصل
صفة لها وعلى كلا التقديرين فمتعلق محذوف والذي ينبغي ان يقال
ان من كل فرقة حال من طايفة ومنهم صفة لفرقة ويجوز ان يكون من كل
متعلقا بنفر وفي الضمير من قوله ليتفقهوا قولان احدهما انه للطايفة
الناذره والثاني انه للطايفة القاعده على ما تقدم والضمير في رجعوا
عايد على الناذره **فصل** دلت هذه الاية على ان خبر الواحد حجة
لان كل ثلاثة فرقة وقد اوجب الله تعالى ان يخرج من كل فرقة طايفة
والخارج من الثلاثة يكون اثنين او واحدا على معنى نفس طايفة
فوجب ان يكون الطايفة اما اثنين او واحدا ثم انه تعالى اوجب العمل بخبرهم
لقوله وليندروا قومهم وهو عبارة عن اخبارهم وقوله لعلهم يحذرون
اخبار على قومهم ان يعملوا باخبارهم وذلك يقتضي ان يكون خبر الواحد
او الاثنين حجة في الشرع قال القاضي لا تدل الاية على وجوب العمل بخبر
الواحد لان الطايفة قد تكون جماعة يقع بخبرها الحجة ولان قوله وليندروا
قومهم يصح وان لم يختلف يجب القبول كما ان الشاهد الواحد يلزمه الشهادة
وان لم يلزم القبول لان الانذار يتضمن التخويف وهذا القدر لا يقتضي
وجوب العمل به والجواب انا بينا ان كل ثلاثة فرقة وقد اوجب الشرع
ان يخرج من كل فرقة طايفة فلو لم يكن الطايفة اما اثنين او واحدا لبطل
كون الطايفة جماعة تحصل العلم بخبرهم فان قيل انه سبحانه وتعالى اوجب
العمل بقول اولئك الطوايف فلعلهم بلغوا في الكثرة الى حيث تحصل العلم
بخبرهم فالجواب انه تعالى اوجب على كل طايفة ان يرجعوا الى قومهم فاقتضى
كل طايفة الى قومها خاص ثم انه تعالى اوجب العمل بقول تلك الطايفة وهو
المطلوب واما قوله ليندروا قومهم يصح وان لم يجب القبول فالجواب انا

لانتمسك

لا تنتمسك في وجوب العمل بخبر الواحد بقوله ليندروا قومهم بل بقوله لعلهم
يحذرون فانه ترهيب منه تعالى في الحذر بناء على ذلك الانذار فيقتضي
ايجاب العمل على وفق ذلك الانذار **فصل** الفقه معرفة احكام الدين
وهو ينقسم الى فرض عين وفرض كفاية ففرض العين مثل علم الطهارة
والصوم والصلاة فعلى كل مكلف معرفته قال عليه السلام طلب العلم
فريضة على كل مسلم وكذلك كل عبادة اوجبها الشرع على كل واحد
يجب عليه معرفة علمها مثل علم الزكاة ان كان له مال وعلم الحج ان وجب
عليه واما فرض الكفاية هو ان يتعلم حتى يبلغ رتبة الاجتهاد ودرجة
الفتيا فاذا فعله اهل بلد عن تعلمه عصوا جميعا واذا قام من كل بلد
واحد سقط الفرض عن الاخرين وعليهم تقليده فيما يقع لهم من الحوادث
قال عليه السلام فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم وقال
عليه السلام فقيه واحد اشد على الشيطان من الف عابد وتقدم الكلام
على حد الفقه في اللغة في سورة النساء عند قوله لا يكادون يفقهون حديثا
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار الاية
نقل عن الحسن انه قال هذه الاية نزلت قبل الامر بقتال المشركين كافة
وانكر المحققون هذا النسخ وقالوا انه تعالى لما امر بقتال المشركين
كافة ارشدهم في ذلك الى الطريق الاصلح وهو ان يبتدوا بالاقرب
فالاقرب منتقلا الى الابعد فالابعد لانه يجري ان امر الدعوة وقع على
هذا الترتيب قال تعالى وانذر عشيرتك الاقربين وامر الغزوات
وقع على هذا الترتيب لانه عليه السلام حارب قومه اولا ثم انتقل الى
غزو ساير العرب ثم انتقل منهم الى غزو الشام والصحابة لما فرغوا من
امر الشام دخلوا العراق والعلة في الابتدا بالاقرب وجوه احدها
ان مقابلة الكل دفعة واحدة متعذر والكل متساوون في وجوب القتال
لما فيهم من الكفر والمحاربة والجمع متعذر والقرب مرجح ظاهر كما في الدعوة
وثانيها ان النفقات في الاقرب اقل والحاجة الى الدواب والالات
اقل وثالثها ان المجاهدين اذا تجاوزت من الاقرب الى الابعد
فقد عرضوا ذراريهم الى الفتنة واموالهم الى النهب ورابعها ان
المجاورين لدار الاسلام اما ان يكونوا اقويا او ضعفا فان كانوا اقويا
كان تعرضهم للمسلمين اشد واكثر من تعرض الابعد والشر الاكثر
اولى بالدفع وان كانوا ضعفا كان استيلا المسلمين عليهم اسهل
فكان الابتدا بهم اولى وخامسها ان القريب يعلم حاله اكثر من علم حال

القصد البعيد فيكون غزوه اسهل وسائر سهما ان دار الاسلام واسعة فاذا
اشتغل اهل كل بلد بقتال من يليهم من الكفار كانت المؤنة اسهل وسائرها
انه اذا اجتمع واجبان قدم ايسرهما حصولا وتأثيرا مما تقدم من ان النبي
صلى الله عليه وسلم امر بابتداء الدعوة بالاقرب فالاقرب وفي
جميع المهمات كذلك حتى ان الاعرابي الذي جلس على المائدة قال له عليه
السلام كل مما يليك فدلت هذه الاية على ان الابتداء بالاقرب واجب قان ٥
قيل ربما كان التخطي من الاقرب الى الابعد اصلح لان الابعد يقع في قلبه
اما جاور الاقرب لانه يفهم له ورنا فالجواب ان ذاك احتمال واحد ٥
ومما ذكرنا احتمالات كثيرة ومصالح الدنيا مبنية على ترجيح الاكثر مصلحة
وهذا الذي قلناه انما هو فيما اذا تعذر الجمع بين الكل فالاولى هو الجمع
قوله وليجدوا فيكم هو من باب لا ارينك ههنا وتقدم شرحه ٥
وغلظة قرا الجمهور غلظه بكسر الغين وهي لغة اسد وقرا الاعمش وابان
بن ثعلب والمفضل كلاهما عن عاصم بفتحها وهي لغة الحجاز وقرا ابو حيوة
والسلمي وابن ابي عبله والمفضل وابان في رواية عنهما بالضم وهي لغة
تميم وحكى ابو عمرو اللغات الثلاث فاستعيرت هنا للشدة والصبر ٥
والتجلد قال المفسرون شجاعة وقيل عنفا وقيل شدة والغلظة ضد
الرقة وفائدتها انها اقوى تاثيرا في الزجر والمنع عن القبيح وهذا غير مطرد
بل يحتاج تارة الى الرفق واللطف وتارة الى العنف ولهذا قال ٥
وليجدوا فيكم غلظة تنبيها على انه لا يجوز الاقتصار على الغلظة البتة
فانه ينفر ويوجب تفرق القوم فقوله وليجدوا فيكم غلظة يدل على
تقبيل الغلظة كانه قيل لا بد وان تكونوا بحيث لو فتشوا عن اخلاقكم
وطبايعكم لوجدوا فيكم غلظة وهذا الكلام انما يصح فيمن اكثر احواله
الرحمة والرافة ومع ذلك فلا بد له من نوع غلظة وهذه الغلظة
انما تعتبر فيما يتعلق بالدعوة الى الدين اما باقامة الحجة واما بالقتال
فاما فيما يتعلق بالبيع والشراء ونحوه فلا ثم قال واعلموا ان الله مع المتقين
اي بالعون والنصر ويكون اقدامه على القتال بسبب تقوى الله
لا بسبب طلب المال والجاه **قوله** تعالى واذا ما انزلت سورة
فمنهم من يقول الاية لما ذكر مجازي المنافقين واعمالهم القبيحة قال واذا
ما انزلت سورة ما صلة موكده فمنهم اي فمن المنافقين من يقول فقيل
يقول بعضهم لبعض ليبتتوهم على النفاق وقيل يقولونه لعوام المسلمين
ليصدوهم عن الايمان وقيل يقولوا ذلك على سبيل الهزو **قوله** ايكم

الجمهور

الجمهور على رفع ايكم بالابتداء وما بعده الخبر وقرا زيد بن علي وعبيد بن عمير ٥
بالنصب على الاشتغال ولكن يبتدر الفعل متاخرا عنه من اجل ان له صدر
الكلام وانتصب عند الاخفش في هذا النحو احسن من الرفع لانه يجري اسم
الاستفهام مجرى الاسماء المبهمة باداة الاستفهام نحو ازيدا ضربته في ترجح
اضمار الفعل **قوله** فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا اي يقينا وتصديقا
لانهم يقولونها ويعترفون بانها حق من عند الله وتقدم الكلام في زيادة
الايمان ونقصانه في اول سورة الانفال ثم قال وهم يستبشرون اي بما
ينزل القران وقيل بثواب الاخرة وقيل بالنصر والظفر والاستبشار
ادعا البشاره فهو بالتذكر يطلب بجدد البشاره ثم جمع للمنافقين امرين ٥
مقابلين للامرين المذكورين في المومنين فقال واما الذين في قلوبهم مرض
اي شك ونفاق فزادتهم رجسا الى رجسهم والمراد بالرجس اما العقايد
الباطلة واما الاخلاق المذمومة فعلى الاول ان المعنى كانوا مكذبين
بالسور النازلة قبل ذلك والان صاروا مكذبين بهذه السورة الجديدة
فقد انضم كفر الى كفر وعلى الثاني انهم كانوا في الحسد والعداوة واستنباط
وجوه المكر والكيد والان زادت تلك الاخلاق الذميمة بسبب نزول ٥
هذه السورة الجديدة والامر الثاني انهم يموتون على كفرهم وهذه الحالة
مضادة للاستبشار الذي حصل للمومنين وهذه الحالة اقبح من الحالة
الاولى لان الحالة الاولى عبارة عن ازدياد الرجاسة وهذه الحالة عبارة
عن مداومة الكفر وموتهم عليه قال مجاهد في هذه الاية الايمان يزيد وينقص
وكان عمر ياخذ بيد الرجل والرجلين من اصحابه فيقول قما لوا نزدد ايمانا
وقال علي بن ابي طالب ان الايمان بيد والمظة بيضا في القلب فكلما ازداد د
الايمان عظما ازداد ذلك البياض حتى يبيض القلب كله وان النفاق ٥
ليبد والمظة سودا في القلب فكلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد
حتى يسود القلب كله وايم الله لو شققتم عن قلب مومن لوجدتموه ٥
ابيض ولو شققتم عن قلب المنافق لوجدتموه اسود **قوله** اولا يرون
قرا حمزه ويعقوب تترون بتا الخطاب وموخطاب للذين اسروا والباقون
بيا الغيبة رجوعا على الذين في قلوبهم مرض والرويه هنا يحتمل ان تكون
قلبية وان تكون بصرية قال الواحدي في قوله اولا هذه الالف الف الاستفهام
دخلت على واو العطف فهو متصل بذكر المنافقين وهو خطاب على سبيل
التنبيه قال سيبويه عن الخليل في قوله الم تر ان الله انزل من السماء ماء
المعنى انزل الله من السماء ماء فكان كذا وكذا **قوله** انهم يفتنون في كل

عام مرة اي يبتلون في كل عام مرة او مرتين بالامراض والشدائد لا يتوبون
عن ذلك النفاق ولا يتعظون كما يتعظ المؤمن اذا مرض فانه يتذكر ذنوبه ٥
وموقفه بين يدي الله فيزيده ذلك خوفا وايمانا قاله ابن عباس وقال مجاهد
يفتنون بالخصب والشدة والجوع وقال قتادة بالغزو والجهاد لانهم اذا تخلفوا
وقعوا في السنة الناس باللعن والمخزي والذكر القبيح وان ذهبوا الى الغزو
مع كونهم كافرين فقد عرضوا انفسهم للقتل واموالهم للنهب من غير فائدة وقال
مقاتل يفضحون باظهار نفاقهم وقال عكرمة بنافقون ثم يتوبون ثم ينافقون
وقال ايمان ينقضون عهدهم في السنة مرة او مرتين ثم لا يتوبون من نقض ٥
العهد ولا يرجعون الى الله من النفاق ولا هم يذكرون اي لا يتعظون بما يرون
من تصديق وعد الله بالظفر والنصر للمسلمين **قوله** واذا ما انزلت
سورة الاية وهذا نوع اخر من مخازي المنافقين وشانه كلما نزلت سورة ٥
مشتملة على شرح فضائح المنافقين وسمعوها تاذوا من سماعها ونظر بعضهم
الى بعض نظر اخصوصا دالا على الطعن في تلك السورة والاستهزاء وتحقير
شانها ويحتمل انهم كانوا يستخفون القرآن كله فلما سمعوا سوره استهزؤا بها
وطعنوا فيها وتغامزوا وضحكوا وقيل نظر بعضهم الى بعض يريدون الهرب
قوله هل يراكم من احد في محل نصب بقول مضمر اي يقولون هل يراكم
وجملة القول في محل نصب على الحال والمعنى انهم عند سماع تلك ٥
السورة يتاذون ويريدون الخروج من المسجد فيقول بعضهم للبعض هل يراكم من
احد من المؤمنين ان قمتم فان لم يروهم احد خرجوا من المسجد وان علموا ان احدا
يراهم اقاموا وثبتوا وقيل انهم كانوا اذا نزلت سورة اشتد كربهم وقبحت فذلك
النظر دال على ما في الباطن من الانكار الشديد والنية الذامة فخافوا ان يرى
احد من المسلمين ذلك النظر الدال على تلك الاحوال الدالة على النفاق والكفر
فبعد ذلك قالوا هل يراكم من احد اي لو راكم احد على هذا النظر وهذا ٥
الشكل لصركم حينئذ ثم انصرفوا عن الايمان بتلك السورة وقيل انصرفوا عن مواضعهم
التي سمعوا القرآن فيها قال تعالى صرف الله قلوبهم قال ابن عباس عن كل رشد
وخير وهدى وقال الحسن طبع الله على قلوبهم وقال الزجاج اضلهم الله تعالى
مجازاة على فعلهم ذلك بانهم قوم لا يفقهون عن الله دينه قال ابن عباس لا يقولوا
اذا صليتم انصرفنا من الصلاة فان قوما انصرفوا فصرف الله قلوبهم ولكن
قولوا قد قضينا الصلاة والمقصود التفاوت بينهم وبين ترك هذه اللفظة الدالة ٥
الواردة فيما لا ينبغي والترغيب في تلك اللفظة الواردة في الخير قال تعالى
فاذا قضيت الصلاة **قوله** تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم الاية لما امر رسوله

عليه السلام ان يبلغ المكاليف الشاقة في هذه السورة الى الخلق وبين ما يعسر
عليهم احكامها الا لمن خصه الله بالتوفيق ختم السورة بما يوجب سهولة تحمل تلك ٥
المكاليف ومؤنها ان هذا الرسول منكم فكل ما حصل له من العز والشرف فهو عائد
اليكم وهو كالطبيب المشفق لكم والاب الرؤف الرحيم في حكم واذا كان كذلك صارت
تلك المكاليف وتلك التاديبات جارية مجرى الاحسان **قوله** من انفسكم
صفة لرسول اي من صميم العرب قال ابن عباس ليس من العرب قبيلة الا وقد ولد
النبي صلى الله عليه وسلم وله فيهم نسب وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما ولدني من سفاح اهل الجاهلية شيء ما ولدني الا نكاح كنكاح الاسلام وقراءة
ابن عباس وابو العالية والضحاك وابن يحيص ومحبوب عن ابي عمرو والزهري
وعبد الله بن قسيط المكي ويعقوب من بعض طرقه ومن قراءة رسول الله صلى
الله عليه وسلم وفاطمة وعائشة بفتح الفاء اي من اشرافكم من النفاسة ٥
وصل اعلم انه تعالى وصف الرسول في هذه الاية بخمس صفات اولها قوله
من انفسكم وفيه وجوه احدها ما تقدم عن ابن عباس والمراد منه ترغيب
العرب في نصره والقيام بخدمته اي كما حصل له من الدولة والرفعة
في الدنيا فهو سبب لعزكم فانه منكم ومن نسبكم وثانيها يريد انه بشر مثلكم
كقوله اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم وقوله انما انا بشر مثلكم ٥
والمعنى انه لو كان من جنس الملائكة لتصعب الامر بسببه على الناس كما تقرر
في الانعام وثالثها ان هذا خطاب لاهل الحرم لان العرب كانوا يسمون ٥
اهل الحرم اهل الله وخاصته وكانوا يحدثونهم فكانه قيل للعرب كنتم قبل
مقدمه مجتهدين في خدمة اسلافه فلم تتكاسلون عن خدمته مع انه اعلا
في الشرف من اسلافه ورابعها الصفة الثانية **قوله** عزيز عليه اوجه احدها
انه صفة لرسول وفيه انه تقدم غير الوصف الصريح وقد يجاب بان من انفسكم
متعلق بجاء وما يجوز ان تكون مصدرية او بمعنى الذي وعلى كلي التقديرين
هي فاعل يعز يز اي يعز عليه عنتكم اي عنتكم بسببه فحذف العائد على الدرج
وهذا كقوله ٥ يسر المرء ما ذهب الليالي ٥ وكان ذهابهن له ذهابا ٥
اي يسره ذهاب الليالي ويجوز ان يكون عزيز خبر مقدما وما عنتم مبتدا
موخرا والجملة صفة لرسول ويجوز الحوفي ان يكون عزيز مبتدا وفيه الابتدا
بالنكرة ولاجل عملها في الجار بعدها وتقدم معنى العنت والارجح ان يكون
عزيز صفة لرسول لقوله بعده لكم حريص فلم يجعل خبر الغير وادعاء كونه
خبر مبتدا مضمر اي وهو حريص لا حاجة اليه قال الفراء في قوله ما عنتم في
موضع رفع اي عزيز عليه عنتكم اي يشق عليه مكروهكم وقال القتيبي ما اعنتكم

وضركم وقال ابن عباس ما ضللتم وقال الضحاك والكلبي اثمتم والصفة الثالثة
قوله حريص عليكم والحريص يمتنع ان يكون متعلقا بد وانما بل المراد حريص
على ايصال الخيرات اليكم في الدنيا والاخرى وعلى هذا التقدير يكون قوله عزيز عليه
ما عنتم اي شديد نفرته عن وصول شيء من آفات الدنيا والاخرة اليكم لان
العزيز هو الغالب الشديد وبهذا التقدير لا يحصل التكرار والصفة الرابعة
قوله بالمومنين رؤف رحيم بالمومنين متعلق برؤف ولا يجوز ان يكون
المسئلة من التنازع لان من شرطه تاخر المعمول عن العاملين وان كان بعضهم
قد خالف ويجيز زيدا ضربت وشتمته على التنازع واذا فرعنا على هذا
الضعيف فيكون من اعمال الثاني لا الاول لما عرف انه متى اعمل الاول اضمر
في الثاني من غير حذف **فصل** قال ابن عباس سماه الله ههنا باسمين
من اسمائه والمعنى رؤف بالمطيعين رحيم بالمذنبين فان قيل كيف يكون
كذلك وقد كلفهم في هذه السورة بانواع من التكاليف الشاقة التي لا يقدر على
تحملها الا من وفقه الله تعالى فالجواب انه تقدم لهذا المعنى مثل الطبيب
الحاذق والاب المشفق والمعنى انه فعل بهم ذلك ليخلصوا من العقاب المؤبد
ويفوزوا بالثواب المؤبد فان قيل لما قال عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم
فهذا النسق يوجب ان يقال رؤف رحيم بالمومنين فلم ترك هذا النسق وقال
بالمومنين فاما الكفار فليس له عليهم رافة ولا رحمة وهذا كالمتمم لما ورد في
هذه السورة من التغليظ كانه يقول اني وان بالغت في التغليظ في هذه
السورة الا ان ذلك التغليظ على الكفار والمنافقين واما رافتي ورحمتي
مخصوصة بالمومنين فقط **قوله** تعالى فان تولوا يعني المشركين والمنافقين
اي اعرضوا عنك وقيل تولوا عن طاعة الله تعالى وتصديق الرسول عليه
السلام وقيل تولوا عن قبول التكاليف الشاقة المذكورة في هذه السورة
وقيل تولوا عن نصركم في الجهاد فقل حسبي الله لا اله الا هو والمراد انه
لا يدخل في قلب الرسول حزن ولا اسف لان الله حسيبه وكافيه في نصره
على الاعداء عليه توكلت اي لا توكل الا عليه وهو رب العرش العظيم
فان قيل العرش غير محسوس فلا يعرف وجوده الا بعد ثبوت الشريعة
فكيف يمكن ذكره في معرض شرح عظمة الله تعالى فالجواب وجود العرش
امر مشهور والكفار سمعوه من اليهود والنصارى وايضا لا يبعد انهم كلما
سمعوه من اسلافهم وقرا الجمهور بجر الميم من العظيم صفة للعرش وقرا ابن محيصن
برفعها نعتا للرب وروي بذلك هذه قراءة عن ابن كثير قال ابو بكر الاصم وهذه
القراءة اعجب الي لان جعل العظيم صفة لله تعالى اولى من جعله صفة للعرش

بلغ مقابلة

وايضا

وايضا قال فان جعلناه صفة للعرش كان المراد من كونه عظيما كبر جثته وعظم جرمه
واتساع جوانبه على ما ذكر في الاخبار وان جعلناه صفة لله تعالى كان المراد
من العظمة وجوب الوجود والتقدس عن الجسمية والاجزاء والابعاض وكمال
العلم والقدرة وكونه منزها عن ان يتمثل في الاوهام او تصل اليه افهام
فضل روي عن ابي بن كعب والحسن قال اخر ما نزل من القران
هاتان الايتان لقد جاءكم رسول الى اخرهما وقال ابي بن كعب هما احدث
الايات بالله عهدا وفي رواية اقرب القران من السماء عهدا وهو قول
سعيد بن جبير وقيل اخر ما نزل من القران قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون
فيه الى الله قال القرطبي يحتمل ان يكون قول ابي اقرب القران من السماء عهدا
بعد قوله واتقوا يوما والله اعلم وقيل عن حذيفة انه قال انكم تسمون هذه
السورة بالتوبة وهي سورة العذاب ما تركت احدا الا نالت منه قال ابن
الخطيب وهذه الاية الرواية يجب تكذيبها لانا لو جوزنا ذلك لكان ذلك
دليلا على تطرق الزيادة والنقصان الى القران وهو باطل روت عائشة قالت
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ما نزل علي القران الا اية اية وحرفا حرفا
خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف
من الملائكة كلا يقول يا محمد استوصوا بنسبة الله خيرا والله اعلم بالصواب

﴿ سورة يونس عليه السلام مكية ﴾

الا ثلاث ايات وقال مقاتل الا اية من قوله فان كنت في شك مما انزلنا اليك
وقال الكلبي انها مكية الا قوله ومنهم من يومن به ومنهم من لا يومن به وربك اعلم
بالمفسدين فانها نزلت مدنية نزلت في اليهود وقال قرة نزل من اولها الى الخوض من
اربعين اية نزلت بمكة وباقيها بالمدينة وهي مائة وتسع ايات وعدد كلماتها
الف وثمان مائة واثنتان وثلثون كلمة وعدد حروفها سبعة الاف وخمسمائة
وسبعة وستون حرفا والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم الر تقدم الكلام على الحروف المقطعة في اوائل الكتاب
واختلف القراء في امالة هذه الحروف اذا كانت في اخرها الف وهي را
وطا وها ويا وحا فاما را من جميع سورها امالة محضة الكوفيون
الا حفصا وابو عمرو وابن عامر وامال الاخوان وابو بكر طا من جميع سورها
نحو طس طسم طه وياسين وافقهم ابن عامر والسوسي على تا من كهيعص
بخلاف عن السوسي واما الاخوان وابو عمرو وورش وابو بكر ها من طاها طه وكذلك
اما لها من كهيعص ابو عمرو والكسائي وابو بكر ودون حمزة وورش واما ابو عمرو

وصل مقابلة

وورش والاخوان وابو بكر وبن ذكوان جامن جميع سورها السبع الا ان ابا عمرو ه
وورشا يميلان بين بين والقرا في هذا عمل كثير مذكور في كتب القرآت وكلها لغات
صحيحة قال الواحدي الاصل ترك الامالة في هذه الكلمات من نحو ما ولا لان
الفاتها ليست منقلبة عن الياء وامامن امال فلان هذه الالفاظ اسما للحروف
المخصوصة فقصد بذكر الامالة التنبيه على انها اسما للحروف **فصل**
اتفقوا على ان قوله طه وحده اية والفرق ان قوله الر لا تشاكل مقاطع الاي
التي بعده بخلاف قوله طه فانه يشاكل مقاطع الاي التي بعده ~~يشاكل مقاطع الاي التي بعده~~ قال
ابن عباس والضحاك الر معناه انا
الله اري وقيل انا الرب لا غير اي وقال سعيد بن جبير الر وحم ون
حروف اسم الرحمن معروفة ورواه ايضا بزيد عن عكرمه عن بن عباس عن قال
الراوي لحدثت به الاعمش فقال عندي اشباه هذا ولا يجري به **قوله**
تلك ايات الكتاب تلك يحتمل ان تكون اشارة الى ايات هذه السورة وان يكون
اشارة الى ما تقدم هذه السورة من ايات القران لان تلك اشارة الى غايب
مونث وقيل تلك بمعنى هذه اي هذه تلك ايات ومنه قول الاعشي

تلك خيلي وتلك ركابي هن صفر اولادها كالزبيب

اي هذه خيلي وهذه ركابي والكتاب يحتمل ان يكون المراد به القران ويحتمل
~~ان يراد به القران~~ ويحتمل ان يراد به الكتاب المخزون المكنون عند الله تعالى
الذي منه نسخ كل كتاب لقوله انه لقران كريم في كتاب مكنون وقوله وانه
في ام الكتاب لدينا وقوله وعنده ام الكتاب وقيل المراد من الكتاب الحكيم
التوريه والانجيل والمقدر ان الايات المذكوره في هذه السوره هي الايات
المذكوره في التوراة والانجيل والمعنى ان القصص المذكورة في هذه السورة
موافقة للقصص المذكوره في التوراة والانجيل لحصول هذه الموافقة لا يمكن
الا اذا خص الله محمدا بانزال الوحي عليه وقال ابو مسلم قراة تلك اشارة
الى حروف التهجي فقوله الر تلك ايات الكتاب يعني ان هذه الحروف هي الاية
التي جعلت ايات وعلامات لهذا الكتاب الذي به وقع التحدي فلولا امتياز
هذا الكتاب عن كلام الناس بالوصف المعجز والا لكان اختصاصه لهذا النظم
دون سايرالقادرين على التلفظ بهذه الحروف محالا **وله** الحكيم
فعيل ذو الحكمة بمعنى استمال له على الحكم وقيل وصف الكتاب بصفة من تكلم
به كقول الاعشي

وغريبة تاتي الملوك حكيمة قد قلتها ليقال من ذا قالها

فيكون فعيل بمعنى مفعل وقال الاكثرون الحكيم بمعنى الحاكم فعيل بمعنى فاعل

لقوله

لقوله تعالى وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس وقيل بمعنى المحكوم
فيه وقيل الحكيم في اصل اللغة عبارة عن الذي يفعل الحكمة والصواب من حيث
انه يدل على هذه المعاني صار كانه هو الحكيم في نفسه **قوله** أكان للناس
عجبا الهمزة للانكار وكان اوحينا اسم كان وعجبا خبرها وللناس متعلق
بمحذوف على انه حال من عجبا لانه في الاصل صفة له او متعلق بعجبا ولا
يضر كونه مقدما لانه يتسع في الظرف وعديله ما لا يتسع في غيرها
وقيل لان عجبا مصدر وواقع موقع اسم الفاعل او اسم المفعول ومتى كان كذلك
كان تقدم معموله وقيل هو متعلق بكان الناقصه وهذا على راي من يجوز فيها
ذلك وهذا مرتب على الخلاف في دلالة كان الناقصه على الحدث فان قلنا
انها تدل على ذلك فيجوز والا فلا وقيل هو متعلق بمحذوف على التبيين
والتقدير في الاية اكان ايحاؤنا الى رجل منهم عجبا لهم ومنهم صفة لرجل
وقرا ورويه رجل بسكون الجيم وهي لغة يسكنون فعلا نحو سبع وعضد
وقرا عبد الله بن مسعود عجبت وفيها تحذير كان اظهرها انها التامة اي حدث
للناس عجب وان اوحينا متعلق بعجب على حذف لام العله اي عجب لان
اوحينا او يكون على حذف مضاف من ان اي من ايحاء وعلى الثاني ان يكون
والثاني ان يكون الناقصه ويكون قد جعل اسمها النكره وخبرها
المعرفه على حد قوله يكون مزاجها عسل وماء وقال الزمخشري
والاجود ان تكون التامه وان اوحينا بدل من عجب يعني به بدل الاشتمال
او كل من كل لانه جعل هذا نفس العجب مبالغة والتخريج الثاني لابن
عطية **فصل** التعجب حالة تعتري الانسان من رويه شيء على خلاف
العادة وسبب نزول الاية ان الله تعالى لما بعث محمدا صلى الله عليه وسلم
رسولا تعجب كفار قريش وقالوا الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا
فانكر الله تعالى عليهم ذلك التعجب اما بيان تعجبهم من تخصيص محمد بالرسالة
من وجوه الاول قوله تعالى وعجبوا ان جاءهم منذر منهم الى قوله ان هذا
لشيء عجاب والثاني ان اهل مكة كانوا يقولون ان الله تعالى ما وجد
رسولا الى خلقه الا يتيم ابي طالب والثالث انهم قالوا لو انزل هذا
القران على رجل من القريتين عظيم فانكر الله عليهم هذا التعجب بقوله
اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم فلفظه استفهام ومعناه الانكار
لان يكون ذلك عجبا والمراد بالناس اهل مكه والالف فيه للتوبيخ فان قيل
لم يقل اكان عندا لناس عجبا بل قال اكان للناس عجبا فالجواب
ان قوله اكان للناس عجبا معناه انهم جعلوه لانفسهم اعجوبة يتعجبون

منها وعيبوه وتضبوه للاستهزاء والتعجب الية وليس في قولة اكان عند الناس عجبا
هذا المعنى وقوله ان اوحينا الى رجل منهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم قوله
ان انذر الناس يجوز ان تكون المفسرية وان تكون التفسيرية ثم لك في الصدرية
اعتباران احدهما ان تجعلها المخففة من الثقيلة واسمها واسمها ضمير الامر والشان
محذوف كذا قال ابو حيان وفيه نظر من حيث ان اخبارهذه الاحرف لا تكون
جملة طلبية حتى توارد هنا يوهم ذلك يوول على اضمار القول كقوله ۵
ولو اصابت لقالت وهي صادقة ۵ ان الرياضة لا تنسبك للسبب ۵
وقوله الاخر ۵
۵ ان الذين قتلتم امس سيدهم ۵ لا تحسبوا البلكم عن ليلكم ناما ۵
وايضا فان الخبر في هذا الباب اذا وقع جملة فعلية فلا بد من الفصل باشيا
قدمت في المائدة ولكن ذلك الفاصل هنا مفقود والثاني انها التي يقصد
ان ينتصب الفعل المضارع وهي توصل بالفعل المتصرف مطلقا نحو كتبت
اليه بان قم وقد تقدم البحث فيه ولم يذكر المنذر به وذكر المبشر به لان
المقام يقتضي ذلك وقدم الانذار على التبشير لان ازالة ما لا ينبغي مقدمة
في الرتبة على ما ينبغي فالانذار للكفار والفساق ليرتدعوا عن فعل ما لا
ينبغي والتبشير لاهل الطاعة والتقوى ليرغبهم فيها قوله ان لهم قدم
ان وما في خبرها هي المبشر بها اي بشرهم باستقرار قدم صدق محذوفة البا
تجري في محلها المذهبان والمراد بقدم صدق السابقة والفضل والمنزلة
الرفيعة والية ذهب الزجاج والزمخشري ومنه قول ذي الرمة ۵
۵ لكم قدم لا ينكر الناس انها ۵ مع الحسب العادي طمت على البحر ۵
لما كان السعي والسبق بالقدم سمي السعي المحمود قدما كما سميت اليد نعمة لما
كانت صادرة عنها واضيفت الى الصدق دلالة على فضله وهو من باب رجل
صدق ورجل سوء وقيل معناه هو سابقة الخير التي قدموها ومنه قول
وضاح اليمني ۵ ما لكذ وضاح دايم الغزله ۵ الست تخشى تقارب الاجل ۵
۵ صل لذي العرش واتخذ قدما ۵ ينجيك يوم العثار والزلل ۵
وقيل هو التقدم في الشرف ومنه قول الحجاج ۵
۵ ذل بنو العوام من آل الحكم ۵ وتركوا الملك لملك ذي قدم ۵
اي ذي تقدم وشرف قال ابن عباس اجرا حسنا بما قدموا من اعمالهم وروي عن
ابن ابي طلحة عن ابن عباس هو السعادة في الذكر الاول وقال زيد بن اسلم ۵
هو شفاعة الرسول عليه السلام وقال عطا مقام صدق لا زوال له ولا بوس
فيه واضيف القدم الى الصدق وهو نعته كقولهم مسجد الجامع وحبة الحصيد

وقال

وقال ابو عبيد كل سابق في خير او شر فهو عند العرب قدم يقال لفلان قدم في الاسلام
وله عندي قدم صدق وقدم سوء وهو مؤنث فيقال قدم حسنة وقدم صالحة ولهم
جر مقدم وقدم اسمها وعندربهم صفة لقدم ومن جوز ان يتقدم معمول خبر ان
على اسمها اذا كان حرف جر كقوله ۵
۵ فلا تطمعي منها فانا بحبها ۵ اخاك مصاب القلب جم بلابله ۵
قال فبحبها متعلق بمصاب وقد تقدم على الاسم وكذلك يجوز ان يكون متعلقا
بعندربهم لما تضمن من الاستقرار ويكون عندربهم هو الخبر قوله
قال الكافرون ان هذا لساحر مبين ما جاهم رسول منهم فانذرهم وبشرهم
قالوا متعجبين ان هذا لسحر قرأ نافع وابو عمرو وابن عامر لسحر والباقون
لساحر فعلى هذا يجوز ان يكون اشارة للقران وان يكون اشارة للرسول على القراءة
الاولى ولكن لا بد من تاويل على قولنا هو اشارة للرسول اي ذو سحر او
جعلوه اياه مبالغة وعلى القراءة الثانية فالاشارة للرسول عليه السلام
فقط فاعلم ان اقدامهم على وصف القران انه سحر محتمل انهم ذكروه في معرض
الذم ومحتمل انهم ذكروه في معرض المدح فلهذا قال بعض المفسرين ارادوا انه
كلام مزخرف حسن الظاهر لكنه باطل في الحقيقة ولا حاصل له وقال
اخرون ارادوا انه لكمال فصاحته وبعد مثله عن قدرة البشر يجري مجرى السحر وهذا
كلام فاسد فلذلك لم يذكر جوابه وبيان فساده انه عليه السلام كان منهم ۵
ونشا بينهم وما غاب عنهم ولم يخالط احدا اسوأهم ولم تكن مكة بلدة العلما
حتى يقال انه تعلم السحر منهم او تعلم العلوم الكثيرة منهم فيقدر على الاتيان
بمثل هذا القران واذا كان الامر كذلك كان حمل القران على السحر كلاما في
غاية الفساد فلهذا ترك جوابه قوله تعالى ان ربكم الله الذي خلق
السموات والارض في ستة ايام الاية لما حكى عن الكفار بعضهم من الوحي والبعثة
والرسالة ازال ذلك التعجب بانه لا يبعد ان يبعث خالق الخلق اليهم رسولا
يبشرهم على الاعمال الصالحة بالثواب وعلى الاعمال الباطلة بالعقاب وهذا
الجواب انما يتم بابيان امرين احدهما اثبات ان هذا العالم لها قادرا
قادرا نافذ الحكم بالامر والنهي والتكليف والثاني اثبات الحشر والنشر
والبعثة والقيامة حتى يحصل الثواب والعقاب اللذان اخبر الانبيا ۵
عليهم السلام عن حصولهما فلذلك ذكر ما يدل على تحقيق هذين الامرين ۵
فاما اثبات الاله فقوله تعالى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض ۵
واما اثبات المعاد فقوله تعالى اليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا انه يبدؤا الخلق
من غاية الحسن فان قيل كلمة الذي وضعت للاشارة الى شي معروف عند السامع

كما اذا قيل لك من ربك فتقول الذي ابوه منطلق فهذا التعريف انما حسن لو كان كون ابيه منطقا امرا معلوما عند السامع فهاهنا لما قال ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام يوجب ان يكون ذلك امرا معلوما عند السامع والعرب ما كانوا عالمين بذلك فكيف يحسن هذا التعريف فالجواب ان هذا كان مشهورا عند اليهود والنصارى لانه مذكور عندهم في التوراة والانجيل والعرب كانوا يخالطونهم فالظاهر انهم سمعوه منهم فلهذا حسن هذا التعريف فان قيل ما الفائدة في بيان الايام التي خلق الله فيها السموات والارض مع انه تعالى قادر على خلق جميع العالم في اقل من لمح البصر فالجواب على قول اهل السنة انه تعالى يحسن منه كل ما اراد ولا يعلل شيء من افعاله بشيء من الحكمة والمصالح واما على قول المعتزلة وهو ان افعاله تعالى مشتملة على المصالح والحكمة فقال القاضي لا يبعد ان يكون خلق الله السموات والارض في هذه المدد المخصوصة داخلا في الاعتبار في حق بعض المكلفين ثم قال فان قيل فمن المعتبر ثم اجاب فقال اما المعتبر فهو انه لا بد من مكلف خلقه الله تعالى قبل خلقه السموات والارض والا لكان خلقهما عبثا فان قيل فهلا جاز ان خلقها لاجل حيوان خلقه من بعد قلنا انه تعالى لا يخاف الفوت فلا يجوز ان يقدم على خلق لاجل حيوان سيحدث بعد ذلك وانما يصح ذلك منا في مقدمات الامور لانا نخشى الفوت ونخاف العجز قال واذا ثبت هذا فقد صح ما روي في الحيوان خلق الملائكة والجن كان سابقا على خلق السموات والارض فان قيل اولئك الملائكة لا بد لهم من مكان وقبل خلق السموات والارض لا مكان فكيف يمكن وجودهم بلا مكان قلنا الذي يقدر على تسكين العرش والسموات في امكنتها كيف يعجز عن تسكين اولئك الملائكة في انحائها اجبارها بقدرته وحكمته واما وجه الاعتبار في ذلك فهو انه لما حصل هناك معتبر لم يمتنع ان يكون اعتبار ما شاهده حالا بعد حال اقوى لانه كلما ازداد حدوث على هذا الوجه فانه يدل على انه صادر من فاعل حكيم واما المخلوق دفعة واحدة فانه لا يدل على ذلك فان قيل فهلا خلق هذه الايام كايام الدنيا وكما قال ابن عباس انها ستة ايام من ايام الاخرة كل يوم منها الف سنة مما تعدون فالجواب قال القاضي الظاهر انه تعريف لعباده مدة خلقه لها ولا يجوز ان يكون ذلك تعريفا الا والمدة هذه الايام المعلومة ويمكن ان يقال لما وقع التعريف في الايام المذكورة في التوراة والانجيل وكان المذكور هناك ايام الاخرة لا ايام الدنيا لم يكن ذلك قادحا في صحة التعريف بها فان قيل هذه الايام انما تتقدر بحسب طلوع الشمس وغروبها وهذا المعنى معدوم قبل خلقها

فكيف

فكيف يعقل هذا التعريف فالجواب التعريف حصل بما انه لو وقع حدوث السموات والارض في مدة لوجد هناك افلاك ودوره وشمس وقمر لكانت المدة مساوية لستة ايام فان قيل فهذا يقتضي حصول مدة قبل حصول العالم وذلك يوجب قدم المدة فالجواب ان تلك المدة غير موجودة بل هي مفروضة موهومة لان تلك المدة المعينة حادثة وحدوثها لا يحتاج الى مدة اخرى والا لزم اثبات ازمنة لا نهاية لها وذلك محال فكل ما يقولونه في حدوث المدة فنحن نقوله في حدوث العالم فان قيل اليوم قد يراد به اليوم مع ليلته وقد يراد به النهار وحده فما المراد بهذه الاية فالجواب ان الغالب في اللغة هو اليوم بليلته **قوله** ثم استوى على العرش قال ابن الخطيب لا يمكن حمل هذه الاية على ظاهرها لان الاستواء على العرش معناه كونه مستقرا عليه بحيث انه لولا العرش لسقط ولزل واثبات هذا المعنى يقتضي كونه تعالى محتاجا الى العرش وانه لولا العرش لسقط ولزل وذلك محال لاجماع المسلمين على انه تعالى هو الممسك له والحافظ له وايضا فان قوله ثم استوى يدل على انه قبل ذلك ما كان مستويا عليه وذلك يدل على انه تعالى يتغير من حال الى حال وكل متغير محدث وذلك باطل بالاتفاق وايضا لما حدث الاستواء في هذا الوقت دل على انه تعالى كان قبل هذا الوقت مضطربا متحركا وذلك من صفات المحدثات وايضا ظاهر الاية يدل على انه تعالى انما استوى على العرش بعد خلق السموات والارض لان كلمة ثم للتراخي وذلك يدل على انه تعالى كان قبل العرش غنيا عن العرش فلما خلق العرش امتنع ان يكون بعد ذلك حقيقة وذاته من الاستغناء الى الحاجة فوجب ان يبقى بعد خلق العرش غنيا عن العرش فثبت بهذه الوجوه انه لا يمكن حمل هذه الاية على ظاهرها واذا كان كذلك امتنع الاستدلال بها في اثبات المكان والجهة واذا تقرر هذا فقال جمهور المفسرين المراد بالعرش هنا هو الجسم العظيم الذي في السماء وهو مخلوق قبل خلق السموات والارض بدليل قوله وكان عرشه على الماء وكان خلقه وقيل المراد من العرش الملك يقال فلان على عرشه اي ملكه وقال ابو مسلم الاصفهاني المراد بالعرش انه تعالى لما خلق السموات والارض سطحها ورفع سمكها فان كل بناء يسمى عرشا وبانيه يسمى عاد شا قال تعالى ومن الشجر ومما يعرشون وقال فهي خاوية على عروشها والمراد ان القرية خلت منهم مع سلامة بنايها وقيام سقفها وقال وكان عرشه على الماء اي بناؤه على الماء واما ذكر الله تعالى لانه اعجب في القدرة لان الباني يتباعد عن الماء الى الارض الصلبة لئلا يهدم بناؤه والله تعالى بنى السموات والارض على الماء ليعرف العقلاء كمال قدرته فالمراد

حديث خلق العالم

ومن كان كذلك امتنع ان يكون مستقرا على العرش

اي يعلمون

بالاستواء على العرش هو الاستعلاء عليه بالقهر كقوله تعالى وجعل لكم من الفلك ٥
والانعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه
فوجب حمل اللفظ على ذلك ولا يجوز حمله على العرش الذي في السماء لان الاستدلال
على وجود الصانع يجب ان يكون بشيء معلوم ومشاهد والعرش الذي في السما
ليس كذلك واما اجرام السموات والارض فهي محسوسة مشاهدة فكان
الاستدلال باحوالها على وجود الصانع اولى واحسن وبهذا الوجه تصير هذه
الاية موافقة لقوله انتم اشد خلقا ام السما بناها الاية **قوله** يدبر ٥
الامر فيه ثلاثة اوجه احدها انه في محل رفع خبرا ثانيا لان الثاني انه حال
الثالث انه مستانف لا محل له من الاعراب ومعنى يدبر الامر يقضيه وحده
على حسب مقتضى الحكمة اي يدبر احوال الخلق واحوال ملكوت السموات والارض
قوله ما من شفيع الا من بعد اذنه ولا تدبير مدبر فان قيل كيف يليق ذكر
الشفيع مع ذكر مدبر مبدء الخلق وانما يليق ذكره باحوال القيمة فالجواب
قال الزجاج ان الكفار كانوا مخاطبين بهذه الاية معناه ان الشفعا لا يشفعون
الا باذنه وهذا رد على النضر بن الحارث كان يقول اذا كان يوم القيمة ٥
شفعني اللات والعزى وقال ابو مسلم الشفيع ههنا هو الثاني ما خوذ
من الشفع الذي يخالف الوتر كما يقال الزوج والفرد فمعنى الاية خلق السموات
والارض وحده ولا شريك بعينه ثم خلق الملئكة والجن والبشر وهو المراد
من قوله الا من بعد اذنه اي لم يحدث احد ولم يبد حال في الوجود الا من بعد
ان قال له كن حتى كان ثم قال ذلكم الله فاعبدوه مبينا بذلك ان العبادة ٥
لا تصلح الا له وانه هو المستحق لجميع العبادات لانه هو المنعم بجميع النعم التي ذكرها
ثم قال افلا تذكرون فالا بد لك على وجوب التفكر في تلك الدلايل القاهرة
الباهرة **قوله** تعالى اليه مرجعكم جميعا الاية لما ذكر الدلالة على الدالة ٥
على اثبات المبدا اردفه بما يدل على صحة القول بالمعاد فقوله اليه مرجعكم ٥
المرجع بمعنى الرجوع وجميعا نصب على الحال اي ذلكم الرجوع يحصل حال الاجتماع
وهذا يدل على ان المراد بالرجوع القيمة لا الموت وقوله وعد الله منصوب
على المصدر الموكد لان معنى اليه مرجعكم وعدكم بذلك وقوله حقا مصدر اخر
موكد لمعنى هذا الوعد وناصبه مضمر اي احق ذلك حقا وقيل انتصب حقا ٥
بوعد على تقدير في اي وعد الله في حق على التشبيه بالظرف وقال الاخفش
الصغير التقدير وقت حق وانشد

احقا عباد الله ان لست ذاهبا ولا والجا الا علي رقيب

قوله انه يبدا الخلق الجمهور على كسر الهمزة للاستيناف وقرا عبد الله وابن

القعقاع والاعمش وسهل بن شعيب بفتحها وفيها تاويلات احدها ان يكون فاعلا ٥
بما نصب حقا اي حق حقا بدء الخلق ثم اعادته كقوله احقا عباد الله انك جانبا
البيت وهو مذهب الفراء ثانيها قال السدي يحق انه يبدء الخلق الثاني انه منصوب
بالفعل الذي نصب وعد الله اي وعد الله تعالى بدء الخلق ثم اعادته والمعنى
اعادة الخلق بعد بدئه الثالث انه على حذف لام الجر اي لانه ذكر هذه الاوجه
الثلاثة الزمخشري وغيره الرابع انه بدل من وعد الله قاله ابن عطية الخامس
انه مرفوع بنفس حقا الذي بالمصدر المنون وهذا انما يتاتى على جعل حقا ٥
غير موكد لان المصدر الموكد لا عمل له الا اذا ناب عن فعله وفيه بحث ٥
السادس ان يكون حقا مشبها بالظرف خبرا مقدما وانه في محل رفع مبتدا
هو خبره كقولهم احقا انك ذاهب قالوا انتصب اي احق ذا بك وقرا ابن
ابي عبله حق انه برفع حق وفتح ان على الابتداء والخبر حق قال ابو حيان
وكون حق خبر مبتدا وانه هو المبتدا هو الوجه في الاعراب كما يقول صحيح
انك خارج لان ان معرفة والذي تقدمها في نحو هذا المثال نكرة فظاهر
هذه العبارة يشعر بجواز العكس وهذا اورده في باب ان كقوله ٥

وان حراما ان اسب مجاشعا بآبائي الشم الكرام الخضارم ٥

وقوله ٥ وان شفاعبرة ان سفحتها ٥ وهل عند رسم دارس من معول ٥
على جعل ان سفحتها بدلا من عبرة وقد اجيز في ان عن نكرة بمعرفة كقوله
ولا يك موقف منك الوداعا ٥ وقوله ٥ يكون مزاجها عسل وماء ٥ قال
مكي واجاز الفراء رفع وعد بجعله خبرا لمرجعكم واجاز الحوفي رفع وعد بجعله
خبرا لو لم يقرا به احد قال شهاب الدين نعم لم يرفع وعد وحق معا احد واما
رفع حق وحده فقد تقدم انه ابي ابي عبله قراءة وتقدم توجيهه ولا يجوز ان يكون
وعد الله عاملا في انه لانه قد وصف بقوله حقا قاله ابو الفتح وقرئ وعد الله
بلفظ الفعل الماضي ورفع الجلالة فاعله وعلى هذا يكون انه بدل ببدا ٥
مفعولا له ان كان هذا القاري يفتح انه والجمهور على بيد ابفتح الياء من بدا
وبن ابي طلحة بيدي من ابد اوبدا وابد ايمعنى **فصل** في هذه الاية
اضمار تقديره انه يبدا الخلق ليا مرهم بالعبادة ثم يميتهم ثم يعيدهم كقوله
في البقرة كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم الا انه
تعالى حذف ذكر الامر بالعبادة ههنا لانه تعالى قال من قبله ذلكم الله ربكم ٥
لا اله الا هو فاعبدوه وحذف ذكر الامانة لان ذكر الاعادة يدل عليه وهذه
الاية تدل على انه تعالى يعيد جميع المخلوقات واعادتها لا يمكن الا بعد اعدامها
والا لزم ايجاد الموجود وهو محال ونظير قوله تعالى يوم نطوي السماء كطي

وحق على الابتدا والخبر وهو حين

السجل للكتاب كما بدانا اول خلق نعيده فحكم بان خلق الاعادة تكون مثل الابتدا
قوله ليجزي متعلق بقوله ثم يعيده وبالقسط متعلق بيجزي ويجوز ان
يكون حالا اما من الفاعل او من المفعول اي يجزيهم ملتبسا بالقسط او ملتبسين
به والقسط العدل **فصل** قال الكعبي اللام في قوله ليجزي الذين امنوا
يدل على انه تعالى خلق العباد للثواب والرحمة وايضا فانه ادخل لام التعليل
على الثواب ولم يدخلها على العقاب بل قال والذين كفروا لهم شراب من حميم
فدل على انه خلق الخلق للرحمة لا للعقاب وذلك يدل على انه تعالى ما اراد
منهم الكفر ولم يخلق الكفر فيهم والجواب ان لام التعليل في افعال الله ٥
تعالى محال لانه تعالى لو فعل فعلا لعلة لكانت تلك العلة ان كانت قديمة
لزم قدم الفعل وان كانت حادثة فيلزم التسلسل وهو محال **فصل**
في تفسير القسط وجهان الاول انه العدل كما تقدم فان قيل العدل هو الذي
يكون لا زايدا ولا ناقصا وذلك يدل على انه تعالى لا يزيدهم على ما يستحقونه
باعمالهم ولا يتفضل عليهم ابتداء بشيء قالجواب ان الثواب ايضا محض
التفضل وايضا فيقدر ان نساعد على حصول الاستحقاق الا ان لفظ القسط
يدل على توفية الاجر فاما المنع من الزيادة فلفظ القسط لا يدل عليه ٥
فان قيل لم خص المومنين بالقسط مع انه تعالى مجازي الكافرين ايضا ٥
بالقسط قالجواب ان تخصيص المومنين يدل على مزيد العناية في حقهم
وعلى كونهم مخصوصين بمزيد الاحسان الوجه الثاني في تفسير القسط ان ٥
المعنى ليجزي الذين امنوا بقسطهم وبما اقسطوا وعدلوا ولم يظلموا انفسهم ٥
حين امنوا وعملوا الصالحات لان الشرك ظلم قال تعالى ان الشرك لظلم عظيم
والعصاة ايضا قد ظلموا انفسهم قال تعالى فمنهم ظالم لنفسه وهذا قول لانه
في مقابلة قوله بما كانوا يكفرون **قوله** والذين كفروا يحتمل ان يكون
وجهين احدهما ان يكون مرفوعا بالابتدا والجملة بعده خبره والثاني ان يكون
منصوبا عطفا على الموصول قبله وتكون الجملة معنية لجزايهم وشراب يجوز ان
يكون فاعلا وان يكون مبتدا والاول اولى **قوله** بما كانوا الظاهر ٥
تعلقه بالاستقرار المضمر في الجار الواقع خبرا والتقدير استقر لهم شراب
من حميم وعذاب اليم بما كانوا وجوز ابو البقا فيه وجهين ولم يذكر غيرهما
الاول ان يكون صفة اخرى لعذاب والثاني ان يكون خبرا لمبتدا محذوف ٥
وهذا لا حاجة معنى له ولا حاجة الى العدول عن الاول قال الواحدي الحميم
الذي اسخن ناره حتى انتهى حره يقال حممت الماء اي سخنته احمه فهو حميم ومنه ٥
الحمام **فصل** دلت الاية على انه لا واسطة بين ان يكون المكلف مومنا وبين

ان يكون كافرا لانه اقتصر في الاية على ذكر هذين القسمين واجاب القاضي ٥
بان ذكر هذين القسمين لا ينفي القسم الثالث لان قوله تعالى والله خلق كل
دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على
اربع لم يدل ذلك على نفي القسم الرابع بل ربما ذكر المفقود او الاكثر ٥
وترك ما عداه اذا كان قد بين في موضع اخر وقد بين الله تعالى حال القسم
الثالث في ساير الايات وجوابه انما يترك القسم الذي يجري مجرى النادر ٥
ومعلوم ان الفساق اكثر من اهل الطاعة فكيف يجوز ترك ذكرهم في هذا
الباب واما قوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء فانما ترك ذكر القسم
الرابع لان اقسام دواب الارض كثيرة فكان ذكرها باسرها يوجب الاطناب
بخلاف مسيلتنا فانه ليس هنا الا القسم الفاسق الذي يزعم الخصم انه لا مومن
ولا كافر فظهر الفرق **قوله** تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء الاية
لما ذكر الدلايل الدالة على الالهية وهي التمسك بخلق السموات والارض ٥
ثم فرع عليها صحة القول بالحشر والنشر عاد الى ذكر الدلايل الدالة على
ذكر الالهية وهي التمسك باحوال الشمس والقمر وهو اشارة الى توكيد الدليل
الدال على الحشر والنشر لانه تعالى اثبت القول بالحشر والنشر بناء على
انه لا بد من ايصال الثواب الى اهل الطاعة والعقاب الى الكفار وانه
يجب تمييز المحسن عن المسيء ثم ذكر في هذه الاية انه جعل الشمس ضياء ٥
والقمر نورا وقدره منازل ليتوصل المكلف بذلك الى معرفة السنين
والحساب فيرتب مهمات معاشه وزراعته وحراثته ويعد مهمات الشتا
والصيف وكانه تعالى يقول تمييز المحسن عن المسيء اوجب واولى من تعليم احوال
السنين والشهور فلما اقتضت الحكمة خلق الشمس والقمر لهذا المهم الذي ٥
لا نفع له فبان تقتضي الحكمة والرحمة تمييز المحسن عن المسيء بعد الموت مع انه
النفع الابدي والسعادة السرمدية اولى فلما كان الاستدلال باحوال
الشمس والقمر من الوجه المذكور في هذه الاية مما يدل على التوحيد من
وجه وعلى صحة القول بالمعاد من الوجه الذي ذكرناه لا جرم ذكر الله تعالى
هذا الدليل بعد ذكر الدليل على صحة المعاد **قوله** ضياء اما مفعول
ثان على ان الجعل للتصيير واما حال على انه بمعنى الانشاء والجمهور على ضياء
بصريح آيا قبل الالف واصلها واو لانه من الضوء وقرا قنبل عن ابن
كثير هنا وفي الانبيا ضيا والقصص بقلب الياء همزة فتصير الف بين
همزتين واولت على انه مقلوب قدمت لامه واخرت عينه فوقعت الياء
طرفا بعد الف زايده فقلبت همزة على حد رداء وان شيت قلت لما قلبت

الثالث وهو

الكلمة صارت ضياءً بالواو وعادت العين الى اصلها من الواو لعدم موجب قلبها ٥
ياءً وهو الكسر لانفتاحها ٥ ابدلت الواو همزة على حد كساء وقال ابو البقاء
قلبت الفا ثم قلبت الالف همزة ليلا يجتمع الفان واستبعدت هذه القراءة ٥
من حيث ان اللغة مبنية على تسهيل الهمز فكيف يتخيلون في قلب الحرف الخفيف
الى اثقل منه ولا عروض في ذلك فقد قلبوا حروف العلة الالف والواو واليا
همزة في مواضع لا تحصر الا بعسر الا انه هنا ثقل لاجتماع همزتين وانكر
الناس على تغليط هذه القراءة لان ضياء منقلبة عن واو مثل قيام وصيام
فلا وجه للهمزة فيها قال ابو شامة وهذه قراءة ضعيفة فان قياس اللغة
الفرار من اجتماع همزتين الى تخفيف احديهما فكيف يتخيل بتقدم وتاخير
يؤدي الى اجتماع همزتين لم يكونا في الاصل هذا خلاف حكم اللغة وقال
ابو بكر بن مجاهد وهو ممن قرأ على قنبل قرأت على ابن كثير وحده ضياء بهمزتين
في كل القرآن الهمزة الاولى قبل الالف والثانية بعدها كذلك قرأت على
قنبل وهو غلط وكان اصحاب البزي ومن طريق بكر وفلح يقولون هذا ويقولون ضياء مثل
الناس قال شهاب الدين كثيرا ما يتجرأ ابو بكر على شيخه ويغلطه وسيمر بك
مواضع من ذلك وهذا لا ينبغي ان يكون فان قنبلا بالمكان الذي يمنع ان يتكلم
فيه احد ٥ وقوله في جانب الشمس ضياء لان الضوء اقوى من النور وقد تقدم
ذلك اول البقرة وضياء ونورا يحتمل ان يكونا مصدرين وجعلا نفس
الكوكبين مبالغة كما يقال الكرم انه كرم وجود او على حذف مضاف اي ذات
ضياء وذات نور وضياء يحتمل ان يكون جمع ضوء كسوط وسياط وحوض
وحياض ٥ قوله منازل عطف على حذف مضاف اما من الاول اي
قدر مسيري واما من الثاني اي قدره ذا منازل فعلى التقدير الاول يكون
منازل ظرفا كما مر وعلى الثاني يكون مفعولا ثانيا على تضمين قدر معنى
صيره ذا منازل بالتقدير وقال ابو حيان بعد ان ذكر التقديرين ولم
يعزهما للزمخشري او قدر له منازل فحذف واوصل الفعل اليه ٥
فانتصب بحسب هذه التقادير على الظرف او الحال او المفعول كقوله
والقمر قدرناه منازل وقد سبقه الى ذلك ابو البقاء والضمير في قدرناه
يعود على القمر وحده لانه هو عمدة العرب في تواريخهم وقال ابن عطية
ويحتمل ان يريد بهما معا بحسب انهما يتصرفان في معرفة عدد السنين ٥
والحساب لكنه اجتزى بذكر احدهما كقوله تعالى والله ورسوله احق ان
يرضوه كما قال الشاعر ٥

٥ رماني بامر كنت منه ووالدي ٥ بريئا ومن اجل الطوي رماني ٥

قوله لتعلموا متعلق بقدره وسيل عمرو عن الحساب انتصبه ام يجره فقال
ومن يدري ما عدد الحساب يعني انه سئل هل نقطعه على عدد فنتصبه ام على
السنين فنجره فكانه قال لا يمكن جره اذ يقتضي ذلك ان يعلم عدد الحساب ٥
ولا يقدر احد ان يعلم عدده فصل معنى الاية هو الذي جعل الشمس ضياء
بالنهار والقمر نورا بالليل وقيل جعل الشمس ذات ضياء والقمر ذا نور ٥
وقدره منازل اي قدر له يعني مديا له منازل لا يجاوزها ولا يقصر ٥
دونها والمعنى يقل قدرهما قيل يقدر المنازل ينصرف اليهما وانكر بذكر ٥
احدهما لما قدمنا وقيل ينصرف الى القمر خاصة لان بالقمر يعرف انقضاء ٥
الشهور والسنين لا بالشمس ومنازل القمر هي المنازل المشهورة وهي الثمانية ٥
والعشرون وهذه المنازل مقسومة على البروج الاثني عشر لكل برج ٥
منزلتان وثلث فينزل القمر كل ليلة منها منزلا فيستتر ليلتين ان كان
الشهر ثلاثين وليلة واحدة ان كان الشهر تسعا وعشرين فيكون انقضاء
الشهر مع نزوله تلك المنازل ويكون مقام الشمس في كل منزلة ثلثة عشر ٥
يوما فيكون انقضاء السنة مع انقضائها واعلم ان الشمس سلطان النهار والقمر
سلطان الليل وبحركة الشمس تحصل السنة التي الفصول الاربعة وبالفصول ٥
الاربعة تنتظم مصالح هذا العالم وبحركة القمر تحصل الشهور باختلاف حاله ٥
في زيادة ضوئه ونقصانه تختلف احوال الرطوبات هذا العالم وبسبب الحركة
اليومية تحصل النهار والليل فالليل زمان الراحة للحيوان والنهار زمان للكسب والطلب
والليل زمان للراحة وهذا يدل على كثرة رحمة الله تعالى للخلق وعظم عنايته
لهم قال الحكماء الاسلام هذا يدل على انه تعالى اودع في اجرام الافلاك ٥
والكواكب خواصا معينة وقوى مخصوصة باعتبارها ينتظم مصالح هذا
العالم السفلي اذ لو لم يكن لها آثار وفوائد في هذا العالم لكان خلقها عبثا
وباطلا بغير فائدة وهذه النصوص تنافي ذلك قوله ما خلق
الله ذلك الا بالحق ذلك اشارة الى الخلق والتقدير او ذلك المذكور ٥
الا ملتبسا بالحق فيكون حالا من الفاعل او من المفعول وقيل الباء معنى
اللام اي للحق ولا حاجة اليه والمعنى لم يخلقه باطلا بل اظهارا لصنعته ٥
ودلالة على قدرته قوله يفصل قرا ابن كثير وابو عمرو وابو جعفر
ويعقوب نفصل بنيا الغيبة جريا على اسم الله تعالى والباقون بنون ٥
العظمة التفاتا من الغيبة الى التكلم للتعظيم ومعنى التفصيل هو ذكر هذه ٥
الدلايل الباهرة واحدة عقيب اخرى مع الشرح والبيان ثم قال لقوم
يعلمون قيل المراد منه العقل الذي به يعلم الكل وقيل المراد منه من يكون وعلم

فوايد مخلوقاته وآثار احسانه لان العلماء والمنتفعون بهذه الدلايل كقوله
انما انت منذر من يخشاها مع انه عليه السلام كان منذرا للكل **قوله**
تعالى ان في اختلاف الليل والنهار الاية اعلم انه تعالى استدل على التوحيد
والالهية اولا بتخليق السموات والارض وثانيا باحوال الشمس والقمر ٥
وبالثاني هذه الاية بالمنافع الحاصلة من اختلاف الليل والنهار وقد تقدم
تفسيره في سورة البقرة عند قوله ان في خلق السموات والارض واعلم ان
الحوادث الحادثة في هذا العالم اربعة اقسام احدها الاحوال الحادثة
في العناصر الاربعة ويدخل فيها احوال الكون الرعد والبرق والسحاب
والامطار والثلوج ويدخل فيها احوال البحار واحوال المد والجزر ٥
واحوال الصواعق والزلازل والخسف وثانيها احوال المعادن وهي
عجيبة كثيرة وثالثها احوال النبات ورابعها اختلاف احوال
الحيوانات وكلها داخلة في قوله وما خلق الله في السموات والارض ثم قال
لايات لقوم يتقون خصها بالمتقين لانهم يحدون العاقبة **قوله**
ان الذين لا يرجون لقاءنا الاية لما ذكر الدلايل القاهرة على اثبات الالهية
وعلى صحة القول بالمعاد والحشر والنشر شرح بعده احوال من يكفر بها
ومن يؤمن بها واما شرح احوال الكفار فهو هذه الاية وصفهم فيها باربع صفا
الاولى قوله ان الذين لا يرجون لقاءنا قال ابن عباس ومقاتل والكلبي ٥
معناه لا يخافون البعث لانهم لا يؤمنون به والرجاء الخوف لقوله ما لكم
لا ترجون لله وقارا وقال الهذلي ٥

اذا لسعته النحل لم يرج لسعها ٥ وخالفها في بيت نوب عواسل ٥

وقيل الرجاء الطمع والمعنى لا يطمعون في ثوابنا واعلم ان اللقاء ٥
هو الوصول الى الشيء وهذا في حق الله تعالى محال لانه منزه عن جميع الجهة
فوجب ان يكون مجازا عن الرويه فانه يقال لست فلانا اذا رايته الصفة
الثانية قوله ورضوا بالحياة الدنيا وهذا اشارة الى استغراقهم في طلب
اللذات الجسمانية والصفة الثالثة **قوله** واطمانوا يجوز ان يكون
عطفا على الصلة وهو الظاهر وان يكون الواو للحال والتقدير وقد
اطمانوا وهذه صفة الاشقياء وهو ان تحصل لهم الطمانينة في حب الدنيا
والاشتغال بلذاتها فاذا زل عن قلوبهم الوجل فاذا سمعوا الانذار والتخو
لم توجل قلوبهم وصارت كالميتة عند ذكر الله تعالى وهذا بخلاف صفة
السعداء فانهم قال تحصل لهم الوجل عند ذكر الله تعالى كما قال اذا ذكر الله و

وجلت

قلوبهم ثم اذا قويت هذه الحالة اطمانوا بذكر الله كما قال وتطمين قلوبهم بذكر الله
الا بذكر الله تطمين القلوب ويقتضي اللغة ان يقال واطمانوا اليها الا ان
حروف الجر يحسن اقامة بعضها مقام البعض الصفة الرابعة **قوله**
والذين هم عن اياتنا غافلون يحتمل ان يكون من باب عطف الصفات بمعنى
انهم جامعون بين عدم رجاء لقاء الله وبين الغفلة عن الايات والمراد ٥
بالغفلة الاعراض وان يكون هذا الموصول غير الاول فيكون عطفا على
اسم ان اي ان الذين لا يرجون وان الذين هم اولئك مبتدا وما وابعده
مبتدا ثان والنار خبر هذا الثاني والثاني وخبره خبر اولئك ٥
واولئك وخبره خبر ان الذين وبهما كانوا مقتضين لما تضمنه الجملة من
قوله ماواهم النار والباء سببيه وما مصدريه وجي بالفعل بعدها
مضارعا دلالة على استمرار ذلك في كل زمان وقال ابو البقاء ان الباء
تتعلق بمحذوف اي يجوزون وبما كانوا **قوله** تعالى ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات الاية لما شرح احوال المشركين ذكر احوال المومنين قال القفال
ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اي صدقوا بقلوبهم ثم حققوا التصديق بثمرات
بالعمل الصالح الذي جاءت به الانبياء من عند الله ثم ذكر بعد ذلك درجا
ثوابهم فقال يهديهم ربهم بايمانهم فقيل يهديهم الى الجنة ثوابا لهم على ايمانهم
واعمالهم الصالحة ويدل عليه قوله تعالى يوم ترى المومنين والمومنات
يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم وما روي عن انه عليه السلام ٥
قال ان المومن اذا خرج من قبره صور الله عمله في صورة حسنة فيقول
له انا عملك فيكون له نورا وقايدا الى الجنة والكافر اذا خرج من قبره ٥
صور له عمله في صورة سيئة فيقول له انا عملك فينطلق به حتى يدخله
النار وقال مجاهد المومن يكون له نور يمشي به الى الجنة وقال ابن
الانباري ايمانهم يهديهم الى حصايص المعرفة ولوامع من نور الشرع ٥
بما قلوبهم وتزول عنها الشكوك والشبهات كقوله تعالى والذين اهتدوا
زادهم هدى واثابهم وهذه الاية الفوايد يجوز حصولها في الدنيا
قبل الموت ويجوز حصولها في الاخرة بعد الموت قال القفال واذا
حملنا الاية على هذا الوجه كان المعنى يهديهم ربهم بايمانهم ويجري ٥
من تحتهم الانهار الا انه حذف الواو ويقال يجري من تحتهم مستانفا منقطعا
عما قبله ويجوز ان يكون حالا من مفعول يهديهم **قوله** من تحتهم ٥
اي يكونون جالسين على سرر مرفوعة في البساتين والانهار تجري من
بين ايديهم كقوله قد جعل ربك تحتك سريا وهي ما كانت قاعدة عليه بل

متعلق

المعنى بين يديك وكذا قوله وهذه الانهار تجري من تحتي اي بين يدي وقيل
تجري من تحتهم اي بامرهم **قوله** في جنات يجوز ان يتعلق بتجري وان
يكون حالا من الانهار وان يكون خبرا من بعد خبر لان وان يكون متعلقا
بيدي **قوله** دعواهم مبتدأ وسبحانك معمول لفعل مقدر لا يجوز
اظهاره وهو الخبر والخبر هنا هو نفس المبتدأ والمعنى ان دعاءهم هذا اللفظ
فدعوي يجوز ان يكون بمعنى الدعاء ويدل عليه اللهم لانه ندا في معنى يا الله
يقال دعا يدعو دعاء كما يقال شكا يشكو شكاية وشكوى ويجوز ان يكون
الدعاء هنا بمعنى العبادة نظيره قوله وما يدعون من دون الله اي وما
يعبدون فدعوي مصدر معنى والله اعلم ان شئت جعل هذا من باب الاسناد
اللفظي اي دعاؤهم في الجنة هذا اللفظ بعينه فيكون نفس سبحانك هو الخبر
وجاء محكيا على نصبه بذلك الفعل وان شئت جعلته من باب الاسناد
المعنوي فلا يلزم ان يقولوا هذا اللفظ فقط بل يقولونه وما يؤدي معناه
من جميع صيغ التنزيه والتقديس وقد تقدم نظير هذا عند قوله
تقولوا قولوا حطة وقيل المراد من الدعوي نفس الدعوي التي تكون للخصم
على خصمه والمعنى ان اهل الجنة يدعون في الدنيا وفي الاخرة تنزيه الله
عن كل المعايب والاقرار له بالالهية قال القفال واصل ذلك من الدعاء
لان الخصم يدعو احدهما الى من يحكم بينهما وقال ابو مسلم دعواهم اي فعلهم
واقرارهم وكلامهم هو قوله سبحانك اللهم وقال الناصي دعواهم اي طريقتهم
في تحميد الله وتقديسه وشأنهم وسنتهم لان قوله سبحانك اللهم ليس بدعاء
ولا بدعوي لان المدعي يكون مواظبا على ذكره لاجرم حصل لفظ الدعوي
كناية عن تلك المواظبة والملازمة فاهل الجنة لما كانوا ملازمين مواظبين
على هذا الذكر اطلق لفظ الدعوي عليهم وقال القفال قيل في قوله
لهم ما يدعون اي يتمنون والعرب تقول ادع ما شئت علي اي تمن
ما شئت وقال ابن جريج اخبرت ان قوله دعواهم فيها سبحانك اللهم
هو انه اذا مر بهم طير يشتهونه قالوا سبحانك اللهم فيأتيهم الملك بذلك
المشتهى قال ابن الخطيب وفيه وجه اخر وهو ان يكون المعنى ان تمنيهم في
الجنة اي تسبيح الله اي تمنيهم لما يتمنونه ليس الا في تسبيح الله وتقديسه
وتنزيهه **قوله** سبحانك اللهم قال بعض المفسرين ان اهل الجنة
جعلوا هذا الذكر علامة على طلب المشتهيات فيؤتون بذلك المشتهى فاذا
نالوا منه شهوتهم قالوا الحمد لله رب العالمين وضعف من الخطيب هذا من
وجوه احدها ان بعد بامثل الجنة ان يجعلوا هذا الذكر العالي المقدس

علامة على طلب المأكول والمنكوح وهذا في غاية الحساسة وثانيها انه تعالى قال
في صفة اهل الجنة ولهم ما يشتهون فاذا اشتهوا اكل ذلك الطير فلا حاجة الى
الطلب فسقط هذا الكلام وثالثها ان هذا صرف للكلام عن ظاهره الشريف
العالي الى محل خسيس لا اسعاد للفظ به وانما المراد ان استعمال اهل الجنة
بتقديس الله سبحانه وتحميده والثناء عليه لان سعادتهم وابتهاجهم وسرورهم
بهذا الذكر قال القاضي انه تعالى لما وعد المتقين بالثواب العظيم في قوله
اول السورة ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط فاذا دخلوا
اهل الجنة الجنة وجدوا تلك النعم العظيمة عرفوا ان الله كان صادقا في وعده
اياهم بتلك النعم فعند هذا قالوا سبحانك اللهم اي سبحانك عن الخلف
في الوعد والكذب في القول **قوله** وتحيتهم مبتدأ وسلام خبره وهو
كالذي قبله والمصدر هنا يحتمل ان يكون مضافا لفاعله اي تحيتهم التي
يحيون بها بعضهم سلام ويحتمل ان يكون مضافا لمفعوله اي تحيتهم التي
تحييهم بها الملائكة سلام ويدل له والملائكة يدخلون عليهم من كل باب
سلام عليكم وفيها في الموضعين متعلق بالمصدر قبله وقيل يجوز ان يكون
حالا مما بعده فيتعلق بمحذوف وليس بذاك وقال بعضهم يجوز ان يكون
تحيتهم مما اضيف فيه المصدر لفاعله ومفعوله معا لان المعنى تحيي
بعضهم بعضا ويكون كقوله تعالى وكنا لحكمهم شاهدين حيث اضافه
لداود وسليمان وهما الحكمان والى المحكوم عليه وهذا مبني على مسئلة
اخرى وهي انه هل يجوز الجمع بين الحقيقة والمجاز امر لا فان قلنا نعم
جاز ذلك لان اضافة المصدر لفاعله حقيقة ولمفعوله مجازا ومن
منع ذلك اجاب بان اقل الجمع اثنان فلذلك قال الحكمهما **قوله**
وقولهم واخر دعواهم مبتدأ وان هي المخففة من الثقيلة واسمها ضمير
الامر والشان حذف والجملة الاسمية بعدها في محل الرفع خبرا لها
كقول الشاعر

في فتية كسيوف الهند قد علمت ان هالك كل من يحفى وينتعل

وان واسمها وخبرها في محل رفع خبرا المبتدأ الاول وزعم الجوحاني
ان ان هنا زايدة والتقدير واخر دعواهم الحمد لله وهي دعوى لا دليل
عليها مخالفة لنص سيبويه والنحويين وزعم المبرد ايضا ان المخففة يجوز
اعمالها مخففة كهي مشددة وقد تقدم ذلك وتخفيف ان ورفع الحمد هو قراءة
العامة وقرأ عكرمة وابو مجلز وابو حيوة وقتادة ومجاهد وابن يعمر وبلال
بن ابي برده وابن محيصن ويعقوب بتشديدها ونصب الحمد على انه اسمها

وهذه مؤيدة انها المختصة في قراءة العامة وترد على الجرجاني ومعنى الاية ان اهل الحجة
يستحون كلامهم بالتسبيح ويحمونه بالتحميد **قوله** تعالى ولو يعجل الله الاية
هذا الامتناع شيء في المعنى تقديره لا يعجل الله لهم الشر فقال الزمخشري فان قلت
كيف تطابق قوله فنذر الذين لا يرجون لقاءنا وما معناه قلت قوله ولو يعجل
متضمن معنى نفي التعجيل كأنه قيل ولا تعجل لهم الشر ولا يقتضي اجلهم **قوله**
استعجالهم فيه اوجه احدها انه منصوب على المصدر التشبيهي تقديره استعجالا
مثل استعجالهم ثم حذف الموصوف وهو استعجالا واقام صفته مقامه وهي مثله
الاستعجالهم ثم حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه قاله مكي وهذا مذهب
سيبويه وقد تقدم مرارا ان مذهب سيبويه في هذا انه منصوب على الحال من
ذلك المصدر المعدد وان كان مشهورا اقوال المعربين غيره ففي شبه ما ذكرنا او
لسيبويه نظر الثاني في ان تقديره تعجيلا مثل استعجالهم ثم فعل به ما تقدم قبله
وهذا تقدير ابي البقاء فقدر المحذوف مطابقا للفعل الذي قبله فان تعجيلا
مصدر لعجل وما ذكره مكي موافق للمصدر الذي بعده والذي يظهر ما قدره
ابو البقاء لان موافقة الفعل اولى ويكون قد شبه تعجيله تعالى باستعجالهم
بخلاف ما قدره مكي فانه لا يظهر اذ ليس استعجالهم مصدرا لعجل وقال الزمخشري
اصله ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم بالخير فوضع استعجالهم موضع تعجيله
لهم الخير استعارا لسرعة اجابته لهم واسعافا بطلبتهم كانا استعجالهم بالخير تعجيل
لهم قال ابو حيان وهو مفعول يعجل عبر عنه بالمستقبل لان عجل يدل على الوقوع
واستعجل يدل على طلب التعجيل وذلك واقع من الله وهذا مضاف اليهم فلا
يكون التقدير على ما قاله الزمخشري ليحتمل وجهين ان يكون المقدر تعجيلا
مثل استعجالهم بالخير فشبه التعجيل بالاستعجال لان طلبهم وقوع تعجيله متقدم
عندهم على كل شيء والثاني ان يكون ثم محذوف يدل عليه المصدر لقدروه ولو
ولو يعجل الله للناس الشر اذا استعجلوا به استعجالهم بالخير لانهم كانوا
يستعجلون بالشر وقوعه على سبيل التهكم كما كانوا يستعجلون بالخير الثالث
انه منصوب على اسقاط الحافض وهو كاف التشبيه والتقدير كاستعجالهم
قال ابو البقاء وهو بعيد اذ لو جاز ذلك لجاز زيد علام عمرو اي كعلام عمرو وهذا
ضعفه جماعة وليس بضعيف صحيح اذ ليس في المثال الذي ذكر فعل يتعدى
بنفسه عند حذف الجار وفي الاية فعل يصح فيه ذلك وهو قوله يعجل وقال مكي
ويلزم من جوز حذف حرف الجر منه ان يجيز زيد الاسد اي كالاسد قال
شهاب الدين قوله ويلزم الى آخره لا دفع فيه على هذا القايل اذ يلتزم منه ولا
التزام صحيح سايغ اذ لا يكون احد زيد الاسد على معنى كالاسد وعلى تقدير

التسليم

التسليم فالفرق ما ذكره ابو البقاء ان الفعل يطلب مصدرا مشبها فصار مذكورا لا
عليه وقال بعضهم يقدره في استحالهم نقله مكي فلا حذف في النصب وهذا لا
معنى له وقال البغوي المعنى ولو يعجل الله اجابة دعائهم في الشر والمكروه
استعجالهم بالخير اي كما يحبون استعجالهم الخير وقال ابن عطية التعجيل
من الله والاستعجال من العبد وقال على بما من الله **فصل** في كيفية النظم
وجوه احدها قال ابن الخطيب انه ابتدا السورة بذكر شبهات المنكرين للنبوة مع
الجواب عنها فالشبهة الاولى ان القوم تعجبوا من تخصيص الله محمدا بالنبوة فازال الله
ذلك التعجب بقوله اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم ثم ذكر دلايل التوحيد
ودلايل صحة المعاد وحاصل الجواب ان يقول اني ما جيتكم الا بالتوحيد والاقرار
بالمعاد وقد دللنا على صحتهما فلم يبق للتعجب من نبوتي معنى والشبهة الثانية
انهم كانوا يقولون اللهم ان كان محمد محقا في ادعاء الرسالة فامطر علينا حجارة من السما
او ائتنا بعذاب اليم فاجاب الله تعالى عن هذه الشبهة بهذه الاية وشابهها
قال القاضي لما بين الله تعالى فيما تقدم الوعد والوعيد اتبعه بما يدل على ان
من حقها ان تتاخر عن هذه الحموق الدنيوية لان حصولها في الدنيا كالمانع من بقاء
التكليف وثالثها قال القفال انه لما وصف الكفار بانهم لا يرجون لقاء الله ورضوا
بالحياة الدنيا واطمانوا بها وكانوا غافلين عن ايات الله بين ان من غفلتهم ان الرسول
عليه السلام متى انذرهم استعجلوا العذاب جهلا منهم وسفها **فصل** اخبر تعالى
في ايات كثيرة ان مولا الكفار المشركين متى خوفوا بنزول العذاب في الدنيا
استعجلوا ذلك العذاب كقولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الاية وقوله
تعالى سال سايل بعذاب واقع الاية ثم انهم لما توعدوا بعذاب الاخرة في هذه
الاية بقوله اولئك ماواهم النار بما كانوا يكسبون استعجلوا ذلك العذاب
وقالوا متى يحصل ذلك كما قال تعالى يستعجل بها الذين لا يومنون بها وقال
بعد هذه الاية في هذه السورة ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين الى قوله
الان وقد كنتم به تستعجلون وقال تعالى في سورة الرعد ويستعجلونك بالسيئة
قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات فبين تعالى انه لا مصلحة في تعجيل ما
الشر لهم لانه تعالى لو اوصل ذلك اليهم لما تولد الا تركيتهم في الدنيا لا يحتمل ذلك
ولا صلاح في اماتتهم فربما امنوا بعد ذلك او خرج من صلبهم من يومن وذلك انه
لا يقتضي ان لا يعاجلهم الله بايصال الشر اليهم كلهم وسمى العذاب شرا لانه اذى
في حق المعاقب كما سماه سيئة في قوله ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وفي قوله
وجزاء سيئة مثلها والمراد من استعجالهم الخبر انهم كانوا عند نزول الشدايد يدعون
الله تعالى ليكشفها كقوله اذا مسكم الضر في البحر تخلصون واذا مس الانسان ضر دعانا

قوله لقضى قرا ابن عامر ويعقوب لقضي بفتح القاف مبنيا للفاعل اجلهم ٥ بالنصب مفعولا والباقون بالضم والكسر مبنيا للمفعول اجلهم رفعا لقيامه مقام الفاعل وقرا الاعمش وعند الله لقضينا مسند الضمير المعظم نفسه وهي مويدة ٥ لقراءة ابن عامر **فصل** معنى لقضي اليهم اجلهم اي لفرغ من هلاكهم ولما نزلت ٥ جميعا وقيل انها نزلت في النضر بن الحرث حين قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الاية **قوله** فنذر الذين فيه ثلاثة اوجه احدها انه معطوف على قوله ولو يعجل الله على معنى انه في قوة النفي وقد تقدم تحقيقه في سؤال الزمخشري وجوابه فيه الا ان ابا البقاء رد عطفه على محل فقال ولا يجوز ان يكون معطوفا على يعجل اذ لو كان كذلك لدخل في الامتناع الذي يقتضيه لو وليس كذلك ٥ لان التعجيل لم يقع وتركهم في طغيانهم وقع قال شهاب الدين انما يتم هذا الرد لو كان معطوفا على يعجل فقط باقيا على معناه وقد تقدم ان الكلام صار في قوة ٥ لا يعجل لهم الشر فنذرهم معطوفا على جملة النفي لا على الفعل الممتنع وحده حتى يلزم ما قال والثاني انه معطوف على جملة نمهلهم فنذرهم قاله ابو البقا والثالث ان يكون جملة مستانفة اي فنحن نذر الذين قاله الحوفي **فصل** معنى فنذر الذين لا يرجون لقاءنا لا يخافون البعث والحساب في طغيانهم يعمهون قال اهل السنة انه تعالى لما حكم عليهم بالطغيان والعمه امتنع ان لا يكونوا كذلك والا لزم ان ينقلب حكم الله تعالى الصدق كذبا وعلمه جهلا وحكمه باطلا وكل ذلك محال **قوله** تعالى واذا مس الانسان الضر الجهد والشدة دعانا لجنبه اي على جنبه مضطجعا او قاعدا او قائما يريد في جميع حالاته لان الانسان لا يعدو احدى هذه الحالات وفي كيفية النظم وجهان الاول انه تعالى بين في الاية الاولى انه لو انزل العذاب على العبد في الدنيا لهلك وليقضى عليه فبين في هذه الاية ما يدل عليه على ضعفه وغاية عجزه ليكون ذلك مؤكدا لما ذكره ٥ من انه لو انزل عليه العذاب لمات الثاني انه تعالى حكى عنهم انهم يستعجلون نزول العذاب فبين في هذه الاية انه لو نزل بالانسان ادنى شيء يوذيه فانه يتضرع الى الله في ازالته عنه فدل على انه ليس صادقا في هذا الطلب **قوله** لجنبه في محل نصب على الحال ولذلك عطف الحال الصبر تحته عليه والتقدير دعانا مضجعا لجنبه او ملقيا لجنبه واللام على بابها عند البصريين وزعم بعضهم انها بمعنى على لا حاجة اليه واختلف في صاحب الحال فقيل الانسان ٥ والعامل فيها مس قاله بن عطية ونقلها ابو البقا عن عنى واستضعفه من وجهين احدهما ان الحال على هذا واقعة بعد جواب اذا وليس بالوجه كانه يعني انه ينبغي ٥ ان لا يجاب الشرط الا اذا استوفى معموليه وهذه الحال معمولة للشرط وهو مس

وقد اجيب قبل ان يستوفي معموله ثم قال والثاني ان المعنى كثرة دعائه في كل احواله لا على ان الضر يصيبه في كل احواله وعليه جاءت ايات كثيرة في القران قال ابو حيان وهذا الثاني يلزم فيه من مسه الضر في هذه الاحوال الدعاء في هذه الاحوال لانه جواب ما ذكر فيه هذه الاحوال فالقيد في الشرط قيد في الجواب كما تقول اذا جاء زيد فقيرا احسنا اليه فالمعنى احسنا اليه في حال فقره وقيل صاحب الحال هو الضمير الفاعل في دعانا وهو واضح اي دعانا في جميع احواله لان هذه الاحوال الثلاثة لا تخلو الانسان عن واحدة منها وقيل المراد بالانسان ٥ الجنس وهذه الاحوال بالنسبة الى المجموع اي منهم من يدعوا مستلقيا ومنهم من يدعوا قائما او يراد به شخص واحد جمع بين هذه الاحوال الثلاثة ٥ بحسب الاوقات فيدعوا في وقت على هذه الحال وفي وقت على اخرى والصحيح ان المراد بالانسان الجنس وقال اخرون كل موضع في القران ورد فيه ذكر الانسان فالمراد به الكافر وهذا باطل لقوله يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه واما من اوتي كتابه بيمينه فدخل المومن ولا بد وكذا قوله هل اتى على الانسان حين من الدهر وقوله ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه والحق ان اللفظ المفرد المحلى بالالف واللام ان حصل معهود سابق ٥ صرف اليه وان لم يحصل معهود سابق صرف اليه ان لم يوجد معهود سابق حمل على الاستغراق صونا له عن الاجمال والتعطيل قال صاحب النظم قوله واذا مس الانسان وضعه للمستقبل وقوله فلما كشفنا للماضي وهذا النظم يدل على معنى الاية يدل على انه كان هكذا فيما مضى وهكذا يكون في المستقبل فدل ما في الاية من الفعل المستقبل على ما فيه من المعنى المستقبل وما فيه من الماضي على الماضي **قوله** كان لم يدعنا قد تقدم الكلام على مثل ٥ هذا عند قوله كان لم يكن بينكم تقديره كانه لم يدعنا ثم اسقط الضمير تخفيفا كقوله تعالى كان لم يلبثوا قال الزمخشري فحذف ضمير الشان كقوله كان بداء جفان ٥ يعني على رواية من رواه بدياه بالالف ويروى كان ندسه بالسا على انها اسم كان في الظاهر وهو شاذ وهذا البيت صدره وجه مشرق البحر كان بداه حيان وهذه الجملة التشبيهية في محل نصب على الحال من فاعل مر اي على طريقة مشبها من لم يدع الى كشف ضر ومسه صفة لضر وقيل مر عن موقف الانتهاك والتضرع لا يرجع اليه ٥ وشبه ما كان فيه من الجهد والبلا كان لم يدعنا ولم يطلب منا كشف ضره **قوله** كذلك زين الكاف من كذلك في موضع نصب على المصدر اي مثل

اي مثل ذلك التزيين والاعراض عن الانتهال وفاعل زين المحذوف اما الله تعالى
واما الشيطان وما كانوا يعملون في محل رفع لقيامه مقام الفاعل ويجوز
ان تكون مصدرية وان تكون بمعنى الذي **فصل** قال ابو بكر الاصم سمي
الكافر مسرفا لانه ضيع ماله ونفسه اما النفس فانه جعلها عبدة للوثن واما
المال فانهم كانوا يضيعون اموالهم في البحيرة والسائبة والوصيلة والحام
وقيل من كان عادته كثرة التضرع والدعاء عند نزول البلاء وعند زوال
البلاء يعرض عن ذكر الله وعن شكره يكون مسرفا في امر دينه وقال ابن
الخطيب المسرف هو الذي ينفق المال الكثير لاجل الغرض الخسيس ومعلوم
ان لذات الدنيا وطيباتها خسيس جدا في مقابلة سعادات الاخرى والله
تعالى اعطى الحواس والعقل والفهم والقدرة لا لاكتساب السعادات
العظيمة الاخروية فمن بدل هذه الالات العظيمة الشريفة ليفوز بالسعادات
الخسيسة كان قد انفق اشياء عظيمة ليفوز باشياء حقيرة فوجب ان يكون
من المسرفين **قوله** تعالى ولقد اهلكنا القرون من قبلكم الاية لما
حكي عنهم انهم كانوا يقولون اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا
حجارة الاية واجاب بان ذكر انه لا صلاح في اجابة دعائهم ثم بين انهم
كاذبون في هذا الطلب لانه لو نزلت بهم آفة تضرعوا الى الله تعالى في ازالتها
بين ههنا ما جرى مجرى الهندند وهو انه تعالى قد انزل بهم عذاب الاستئصال
ولم يزله عنهم ليكون ذلك ردعا لهم عن قولهم ان كان هذا هو الحق من عندك
لانهم متى سمعوا ان الله قد يجيب دعاءهم وينزل عليهم عذاب الاستئصال
ثم سمعوا من اليهود والنصارى ان ذلك قد وقع مرارا كثيرة ضار ذلك
زاجرا عالما عن ذكر هذا الكلام **قوله** من قبلكم متعلق ولا يجوز ان
يكون حالا من القرون لانه ظرف زمان فلا يقع حالا عن الجثة كما لا يقع خبرا
عنها وقد تقدم تحقيق هذا اول البقرة وتقدم الكلام على ما قال الزمخشري
لما ظرف لاهلكنا وجاءتهم رسلهم يجوز ان يكون معطوفا على ظلموا فلا محل له
عند سيبويه ومحله الجر عند عيسى لانه يعطف عليه عطف على ما هو في محل
جر بإضافة الظرف اليه ويجوز ان يكون في محل نصب على الحال اي ظلموا
بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم بالحجج والشواهد على صدقهم وبالبينات
يجوز ان يتعلق بجاءتهم ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه حال من رسلهم
جاءوا ملتبسين بالبينات مصاحبين لها **قوله** وما كانوا ليؤمنوا يجوز
عطفه على ظلموا وهو الظاهر وجوز الزمخشري ان يكون اعتراضا قال
واللام لتاكيد نفي ايمانهم ويعني بالاعتراض كونه وقع بين الفعل ومفعوله

التشهيري

التشهيري في قوله كذلك يجزي والضمير في كانوا عائد على القرون ويجوز مقاتل
ان يكون ضمير اهل مكة وعلى هذا يكون التفاتا اذ فيه خروج من ضمير الخطاب
في قوله قبلكم الى الغيبة والمعنى وما كنتم لتؤمنوا وكذلك نعت لمصدر
محذوف اي مثل ذلك الجزاء الخزي نجزي سائر الغيبة وهو التفات
من التكلم في قوله اهلكنا الى الغيبة **قوله** ثم جعلناكم خلائف اي خلفنا
في الارض من بعدهم اي من بعد القرون الذين اهلكناهم وهذا خطاب
للذين بعث اليهم محمد صلى الله عليه وسلم **قوله** لننظر متعلق بالجعل
وقرا الحسن للرمادي بنون واحدة وتشديد الظاء قال ابن خالويه هكذا رايته
في مصحف عثمان يعني انه راها بنون واحدة ولا يعني انه راها مشددة
لان بهذا الشكل الخاص ما حدث بعد عثمان وخرجوها على ادغام
النون الثانية في الظاء وهو ردي جدا واحسن ما يقال فيه انه بالغ
في اخفاء النون الساكنة فظنه السامع ادغاما وروي له بنون
واحدة لا يدل على قراءته اياه مشدد الظاء لاحتمالها قال ابو حيان
ولا يدل على حذف النون من اللفظ وفيه نظر لانه كيف يقرا اما لم يكن
مكتوبا في المصحف الذي راه وقوله كيف منصوب بيعملون على المصدر
اي اي عمل يعملون وهي معلقة للنظر فان قيل كيف جاز النظر على الله
تعالى وفيه معنى المقابلة فالجواب انه استعير لفظ النظر للعلم
الحقيقي الذي لا يتطرق اليه الشك وشبه هذا العلم بنظر الناظر
وعيان المعاين فان قيل قوله لينظر كيف يعملون مشعر بان الله تعالى
ما كان عالما باحوالهم قبل وجودهم فالجواب انه تعالى عامل العباد
معاملة من يطلب العلم عما يكون منهم ليجازيهم بحسبه كقوله ليبلوكم ايكم
احسن عملا قال عليه السلام الدنيا حضرة حلوة وان الله مستخلفكم فيها
فناظر كيف تعملون قال الزجاج موضع كيف نصب بقوله يعملون لانها حرف
استفهام والاستفهام لا يعمل فيه ما قبله **قوله** واذا تتلى عليهم
ايانا بينات الاية روي عن ابن عباس ان جماعة من الكفار كانوا يستهزؤن
بالرسول عليه السلام وبالقرآن الوليد بن المغيرة المخزومي والعاص بن
وائل السهمي والاسود بن المطلب والاسود بن يغوث والحارث بن حنظلة
فقتل الله تعالى كل واحد منهم بطريق كما قال انا كفيناك المستهزئين
وقال مقاتل هم خمسة عبد الله بن امية المخزومي والوليد بن المغيرة
ومكرز بن حفص وعمرو بن عبد الله بن ابي قيس العامري والعاص بن
عامر بن هشام قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت تريد ان نؤمن بك

فان يقران ليس فيه عبادة اللات والعزى ومناة وليس فيه عيبها والم
ينزله الله فقل ايت بقران من عند نفسك او بدله فاجعل مكان اية عذاب اية رحمة
او مكان حرام حلالا او حلالا حراما فان فعلت اذا بدلت هذا القران فقد
اتي بغير هذا القران واذا كان كذلك كان كل واحد من هذين هو نفس
الاخر ومما يدل على ان كل واحد منهما هو عين الاخر انه عليه السلام
اقتصر في الجواب على نفي احدهما فقال ما يكون لي ان ابدله من تلقاء
نفسي فيكون التبديل فيه والتخيير باطلا فالجواب ان احد الامرين غير
الاخر فالاتيان بكتاب اخر لاعلى ترتيب هذا القران ولا على نظمه يكون
اتيانا بقران اخر واما الذي في هذا القران الا انه وضع مكان ذم بعض
الاشياء مدحها ومكان اية رحمة اية عذاب كان تبديلا او بقول الاتيان
بقران غير هذا هو ان يأتيهم بكتاب اخر سوى هذا الكتاب مع بقاء
هذا الكتاب والتبديل هو ان يغير هذا الكتاب وقوله ائت بقران في
الجواب ينفي احد القسمين فالجواب عن احد القسمين هو عين الجواب عن
القسم الثاني فاكتفى بذكر احدهما عن الاخر لانه عليه السلام بين انه لا يجوز
ان يبدله من تلقاء نفسه لانه وارد من الله تعالى ولا يقدر على مثله كما
لا يقدر على مثله سائر العرب لان ذلك كان مستقرا عندهم لما تحداهم
بالاتيان بمثله واعلم ان التماسهم لهذا احتمل ان يكون سخرية واستهزاء
ويحتمل ان يكون ذلك على سبيل الجد ويكون غرضهم انه ان فعل واذ لك
علموا كذبه في قوله ان القران منزل عليه من عند الله ويحتمل ان يكون
التماسهم كتابا اخر لان هذا القران مشتمل على ذم الهتهم وطوايفهم فطلبوا
~~كتابا اخر لان هذا القران مشتمل على ذم الهتهم وطوايفهم فطلبوا كتابا~~
اخر ليس فيه ذلك ويكونوا قد جروا اكون القران من عندهم لكن المقصود منه
الله لكنهم التمسوا منه نسخ هذا القران وتبديله بقران اخر قوله تلقاء
مصدر على تفعال ولم يجيء مصدر بكسر التاء الا هذا والتبيان وقري
شاذا بفتح التاء وهو قياس المصادر الدالة على التكرار كالتطواف والتجوال
وقد يستعمل التلقاء بمعنى قبالتك فينتصب انتصاب الظروف المكانية
قوله ان اتبع الا ما يوحى لما امره ان يقول ما يكون لي ان ابدله
من قبل نفسي امره بان يقول ان اتبع الا ما يوحى الي فيما امرکم به وانهاکم
عنه وهذا تدل على انه لم يحكم قط بالاجتهاد وتمسك نفاة القياس
بهذه الاية لانها تدل على انه عليه السلام ما حكم الا بالنص قال اني
اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم قالت المعتزلة هذا مشروط بعدم

التوبه قوله تعالى قل لو شاء الله ما تلوته عليكم الاية لما اتهموه بانه
اتى هذا الكتاب من عند نفسه احتج عليهم بهذه الاية بقوله وذلك لانهم
كانوا عالمين باحواله وانه ما طالع كتابا ولا تلمذ لاستاذ ثم انه بعد اربعين
سنة اتى بهذا الكتاب العظيم المشتمل على نفايس علم الاصول ودقايق علم
الاحكام ولطايف علم الاخلاق واسرار قصص الاولين وعجز عن معارضته
العلماء والفصحاء البلغاء فكل من له عقل سليم يعرف ان مثل هذا الاكمل
الا بالوحي والالهام من الله تعالى والمعنى لو شاء الله ما انزل القران
على قوله ولا ادراكم به اي ولا اعلمكم الله به من دريت اي علمت
ويقال دريت بكذا وادريت كذا اي احطت به بطريق الدراية وكذلك
في علمت به فتضمن العلم معنى الاحاطة فتعدى تعديتها وقرا ابن كثير
خلاف عن البزي ولا ادراكم بلام داخلة على ادراكم منبئا والمعنى
ولا علمكم به من غير وساطتي اما بواسطة ملك او رسول غيري من البشر
ولكنه خصني بهذه الفضيلة وقراة الجمهور لا فيها موكدة لان المعطوف
على المنفي مثله وليست لا هذه التي ينفي بها العقل لانه لا يصح
نفي الفعل بها اذا وقع جوابا والمعطوف على الجواب جواب ولو قلت لو
كان كذا لكان كذا لم يجز الا كان كذا لم يجز قل ما كان كذا وقرا ابن عباس
والحسن وابن سيرين وابو رجا ولا ادراكم به بهمزة ساكنة بعد الراء
وفي هذه القراة تخريجان احدهما انها مبدلة من الف والالف مبدلة
عن ياء لانفتاح ما قبلها وهي لغة لبعض العقيل حكاها قطرب يقولون في اعطيتك
اعطائك وقال ابو حاتم قرا قتلت الحسن الياء الفا كما في لغة بني الحرث
يقولون علاك وعلاني ثم همز على لغة من قال في العالم العالم وقيل بل
ابدلت الهمزة من نفس الياء كما قالوا في اثيب واثأب وراثت
والثاني ان الهمزة اصلية وان اشتقاقه من الدرء وهو الدفع كقوله
ويدرء عنها العذاب ويقال ادرأته اي جعلته دارئا والمعنى ولاجعلكم
بتلاوته خصما تدرؤني بالجدال وقال ابو البقا وقيل هو غلط لان
قارئها ظن انها من الدرء وهو الدفع وقيل ليس بغلط والمعنى لو شاء الله
لدفعكم عن الاتيان به وقرا اشهب بن حوشب والاعمش ولا انذرتكم
من الانذار وكذلك هي في حرف عبد الله قوله فقد لبثت فيكم
عمرا حينا وهو اربعون سنة من قبله اي من قبل نزول القران فقيل
الضمير في قبله عائد يعود على النزول وقيل على القران وقيل على وقت
النزول وعمرا مشبه بظرف الزمان فانتصب انتصابه اي مدة متطاولة

وقيل على حذف مضاف اي مقدار عمر وقرا الاعمش عمرا بسكون الميم كقولهم
عضدا في عضد ثم قال افلا تعقلون انه ليس من قبلي ثم قال المشركون ٥
لبث النبي صلى الله عليه وسلم فيهم قبل الوحي اربعين سنة ثم اوحي اليه فاقام
بمكة بعد الوحي ثلاث عشرة سنة ثم هاجر الى المدينة فاقام بها عشر سنين
وتوفي وهو بن ثلاث وستين سنة وروي انه اقام بمكة بعد الوحي ٥
عشر سنين وبالمدينة عشر سنين وتوفي وهو بن ستين سنة والاول اشهر
واظهر والله اعلم **قوله** ممن اظلم ممن افترى على الله كذبا الاية
والمعنى ان هذا القران لو لم يكن من عند الله لما كان احد في الدنيا اظلم
على نفسه مني حيث افتريته على الله ولما اقمت الدلايل على انه ليس الامر كذلك
بل هو وحي من الله تعالى وجب انه ليس في الدنيا احد اجهل ولا اظلم
على نفسه منكم والمقصود نفي الكذب عن نفسه وقوله او كذب بايانه
فالمراد الحاق الوعيد الشديد بهم حيث انكروا دلايل الله وكذبوا بايات
الله تعالى ومحمد صلى الله عليه وسلم وبالقران ثم قال انه لا يفلح المجرمون
اي لا ينجو المشركون وهذا تاكيد لما سبق من هذين الكلامين **قوله**
تعالى ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم الاية لما طلبوا استدلال القران
لانه مشتمل على ذم الاصنام التي اتخذوها الهة ذكر في هذا الموضع قبح
عبادة الاصنام ليتبين تحقيرها **قوله** ما لا يضرهم ما موصولة او
نكرة موصوفة وهي واقعة على الاصنام وكذلك راعى لفظها فافرد في قوله
ما لا يضرهم ولا ينفعهم وراعى معناها فجمع في قوله هؤلاء شفعاؤنا ٥
فصل المعنى ما لا يضرهم ان عصوه وتركوا عبادته ولا ينفعهم ان
عبدوه يعني الاصنام ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله فقيل انهم اعتقدوا
ان المتولي لكل اقليم روح معين من ارواح الافلاك فعينوا لذلك الروح
ثم اعتقدوا ان ذلك الروح صنما معينا واشتغلوا بعبادة ذلك الصنم ٥
ومقصودهم عبادة ذلك الروح ثم اعتقدوا ان ذلك الروح يكون عند الاله
الاعظم مشتغلا بعبوديته وقيل انهم كانوا يعبدون الكواكب فوضعوا
لها اصناما معينة واشتغلوا بعبادتها ومقصودهم عبادة الكواكب ٥
وقيل انهم وضعوا طلسمات معينة على تلك الاوثان والاصنام ثم تقربوا
اليها وقيل انهم وضعوا الاصنام والاوثان على صور انبيائهم واكابرهم
وزعموا انهم متى اشتغلوا بعبادة هذه التماثيل فان اولئك الاكابر يكونون
شفعاءهم عند الله **قوله** اتنبئون الله قرا بعضهم اتنبئون مخففا من ٥
انباء يقال انباء ونباء كاخبر وخبر وقوله بما لا يعلم ما موصولة او نكرة

موصوفة

وضعوه كالتي تقدم وعلى كلتي التقديرين فالعايد محذوف اي يعلمه والفاعل
هو ضمير الباري تعالى والمعنى اتنبئون الله بالذي لا يعلمه الله واذا لم يعلم
الله شيا استحاله وجود ذلك الشي لانه تعالى لا يعزب عن علمه شي وذلك
الشي هو الشفاعة لو كانت لعلمها الباري تعالى ومثل هذا الكلام مشهور في العرف
فان الانسان اذا اراد نفي شي عن نفسه يقول ما علم الله هذا مني ومقصوده
ان ذلك ما حصل اصلا وقوله في السموات ولا في الارض تاكيد لنفيه لان
كل موجود لا يخرج عنهما ويجوز ان يكون ما عبارة عن الاصنام وفاعل
يعلم عايد عليها والمعنى اتعلمون الله بالاصنام التي لا تعلم شيا في
السموات ولا في الارض فاذا ثبت انها لا تعلم فكيف تشفع والشافع ٥
لا بد وان يعرف المشفوع عنده والمشفوع عنده له هكذا اعربه ابو حيان
لكن هل ما عبارة عن الاصنام لا عن الشفاعة والاول اظهر وما في عما يشركون
يحتمل ان تكون عن بمعنى الذي اي عن شركايهم الذين يشركونهم به في العبادة
او مصدرية اي عن اشراكهم به غير وقرا الاخوان هما وفي النحل موضعين
عما يشركون تنزل الملكة وبالحق تعالى عما يشركون وفي الروم هل من
شركايكم من يفعل من ذلكم من شي سبحانه وتعالى عما يشركون بتا الخطاب ٥ ها هنا
والباقون بالغيبة في الجميع وهما واضحتان وهنا اني يشركون بتاء
الخطاب والباقون بالغيبة في الجميع وهما واضحتان واتى يشركون مضارعا
دون الماضي تنبيها على استمرارهم كما جا يعبدون وتنبيها ايضا ٥
على انهم على الشرك في المستقبل كما كانوا عليه في الماضي **قوله** تعالى
وما كان الله الناس الا امة واحدة لما اقام الدلالة على فساد القول
بعبادة الاصنام بين السبب في كيفية حدوث هذه المقالة الباطلة
فقال وما كان الناس الا امة واحدة اي على دين متابعا لابيها مشتملة عليه
وقرى ايضا متاع الحياة بجر متاع وخرجت على البعث لانسكم ولا بد ٥
من حذف مضاف حسنه تقدير على انسكم ذوات متاع الحيوة كذا ٥
خرجه بعضهم ويجوز ان يكون مما حذف منه حرف الجر وبقي عمله اي انما بغيكم
على انفسكم لاجل متاع ويدل على ذلك قراة النصب في وجه من جعله
مفعولا من اجله وحذف الجر واتى عمله قليل وهذه القراة لا تنقاعده ٥
عنه وقال ابو البقا ويجوز ان يكون المصدر بمعنى اسم الفاعل ثم قال
ويضعف ان يكون بدلا اذ امكن ان يحمل صفة قال شهاب الدين واذا
جعل بدلا على ضعفه فمن اي قبيل البدل يحمل والظاهر انه من بدل
الاشتمال ولا بد من ضمير محذوف حسنه اي متاع الحياة الدنيا لهم ثم

الاية
تقدم كثير

قال ثم انما مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون والانباء الاخبار وهو هنا عبارة
وعيد بالعذاب كقول الرجل لغيره سأخبرك بما فعلت تعالى
انما مثل الحياة الدنيا الاية لما قال تعالى انما بغيكم على انفسكم متاع الحياة
الدنيا ضرب مثلا لهذا المثل لمن اغتر بالحياة الدنيا بنبات الارض وقد
شرح الله تعالى وجه التشبيه بما ذكر قال الزمخشري هذا من التشبيه ٥
المركب شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد الاقبال
بحال نبات الارض في جفافه وذهابه حطاما بعد ما التف ونكاثف ٥
وزين الارض بخضرته ورونقه والتشبيه المركب في اصطلاح
البيانيين اما ان يكون طرفاه مركبين اي تشبيه مركب بمركب كقول
بشار بن برد

كان مثار النقع فوق رؤسنا ... واسيافنا ليل تهاوى كواكبه

وذلك انه شبه الهيئة الحاصلة من هوي اجرام مشرقة طويله مستطيلة
متناسبة المقادير متفرقة في جوانب شئ مظلم بليل سقطت كواكبه واما
ان يكون طرفاه مختلفين بالافراد والتركيب وتقسيمانه في غير هذا
الموضوع قوله كماء هو خبر المبتدا وانزلناه صفة لماء ومن ٥
السما متعلق بانزلناه ويضعف جعله حالا من الضمير المنصوب وقوله
فاختلط به في هذه الباء وجهان احدهما انها سببية قال الزمخشري ٥
فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا وقال ابن عطية وصلت فرقة
النبات بقوله فاختلط اي اختلط النبات بعضه ببعض فسبب ٥
الماء والثاني انها للمصاحبة بمعنى ان الماء يجري مجرى الغذاء له فهو مصاحبه
وزعم بعضهم ان الوقف على قوله فاختلط على ان الفاعل ضمير عائد على الماء
ويبتدي به نبات الارض على الابتداء والخبر والضمير في به على هذا يجوز
عوده على الماء وان يعود على الاختلاط الذي تضمنه الفعل قاله ابن ٥
عطية قال ابو حيان والوقف على قوله فاختلط لا يجوز وخاصه في القرآن
لانه تفكيك للكلام المتصل الصحيح والمعنى الفصيح وذهاب الى اللغو
والتعقيد قوله مما يأكل فيه وجهان احدهما انه متعلق باختلط
وبه قال الحوفي والثاني انه حال من النبات قاله ابو البقاء وهو ٥
الظاهر والعامل فيه محذوف على القاعدة المستقرة اي كائنا او ٥
مستقرا مما يأكل ولو قبل ان من للتبيان لبيان الجنس لجاز وقوله حتى غاية
فلا بد لها من شئ معيا والفعل الذي قبلها وهو اختلط لا يصلح ان يكون
ناصبا للفظ منه فتقدير منه فعل محذوف اي لم يزل النبات ينمو حتى كان

كيت وكيت واذا بعد حتى مذ فقد تقدم الكلام عليها قوله وازينت قرا
الجمهور وازيينت بوصل الهمزة وتشديد الزاي والياء والاصل وتزيينت
فلما اريد ادغام التاء في الزاي بعدها قلبت زايا وسكنت فاجتلبت همزة
الوصل لتعذر الابتدا بالساكن فصار ازيينت وتقدم تحرير هذا عند
قوله تعالى فاداراتم وقرا ابي بركعب وعبد الله وزيد بن علي والاعمش
وتزينت على تفعلت وهو الاصل المشار اليه وقرا سعد بن ابي وقاص
والسلمي وابن يعمر والحسن والشعبي وابو العالية ونصر بن عاصم
وابن هرمز وعيسى الثقفي وازينت على وزن افعلت وافعل هنا
بمعنى صار ذا كذا كاحصد الزرع واعد البعير والمعنى صارت
ذات زينة اي حصرت زينتها وحانت وكان من حق الياء على هذه القراءة
ان تقلب الفا فيقال ازانت كما بانت فتنقل حركتها الى الساكن
قبلها فتحرك حينئذ وتنفتح ما قبلها فتقلب الفا كما تقدم في نحو اقام
وابان الا انها فتحت شذوذا كقوله اغيمت السما واعتلت المراة
وقد ورد ذلك في القران نحو استحوذ وقياسه استحاذ كاستقام
وقرا ابو عثمان المهدي وعزاه بن عطية لعرفة غير معينة وازيانت
بهمزة وصل بعدها راي ساكنة بعدها الفا مفتوحة فخفيفة بعدها همزة
مفتوحة بعدها نون مسدده قالوا واصلها وازيانت بوزن
احمارت بالف صريحة ولكنهم كرهوا الجمع بين الساكنين فقلبت الالف
همزة كقراءة الضالين وحان وعليه قولهم احماريت بالهمز وانشد
اذا ما الهوادي بالعسيط احمارت ٥ وقد تقدم هذا مشبعا عند
قراءة الفاتحة وقرا الشياخ عوف بن ابي جميلة وازيانت بالاصل المشار
اليه وعزاها بن عطية لابي عثمان المهدي وقرئ وازانت والاصل
ترأيت فادغم وقوله املها اي اهل بناتها قوله اتاها هو جواب
اذا وهو العامل فيها وقيل الضمير عايد على الزينة وقيل على الغلة اي القوت
فلا حذف حينئذ ولا ونهارا اطرفان للاتيان او للامر والجعل هنا ٥
تصيير وحصيدا مفعول ثان لجعل بمعنى مفعول ولذلك لم يؤنث بالتا وان كان عبارة
عن مؤنث كقولهم امراة حريح قوله كان لم تغن هذه الجملة يجوز ان يكون
حالا من مفعول جعلنا مما الاول وان تكون مستانفة جوابا لسؤال مقدر ٥
وقراها ورش من الحكم تتغن تتابن بزنة تتفعل كقول الاعشى

طويل الثواء طويل المغن ... وهو بمعنى الاقامة وقد تقدم في الاعراف
وقرا الحسن وقتاده كان لم يغن بيا الغيبة وفي هذا الضمير ثلثة اوجه

احدها ان يعود على الحصيد لانه اقرب مذكور وقيل يعود على الزخرف اي
كان لم يقم الزخرف وقيل يعود على النبات او الزرع الذي قدرته مضافا
اي كان لم يغن زرعها او نباتها وبالامس المراد به الزمن الماضي لا اليوم
الذي قبل يومك كقوله

وَاعلم علم اليوم والامس قبله ولكنني عن علم ما في غد عم

لم يقصد بها حقايقها والفرق بين الامسين ان الذي يراد به قبل يومك
مبني لتضمنه معنى الالف واللام وهذا معرب يدخل عليه ال وتضاف
وقوله كذلك نفصل نعت مصدر محذوف اي مثل هذا التفصيل الذي
فصلناه في الماضي نفصل في المستقبل **فصل** معنى الاية انما مثل
الحياة الدنيا في فنائها وزوالها كما انزلناه من السما فاختلط به اي بالمطر
نبات الارض قال ابن عباس نبت بالماء كل لون مما يأكل الناس من الحبوب
والثمار والانعام من الحشيش حتى اذا اخذت الارض زخرفها حسنها
وبهجتها وظهور الزرع اخضر واحمر واصفر وابيض وازينت شبهها
بالعروس وظن اهلها انهم قادرون عليها على حدادها وقطافها وحصادها
رد الكناية الى الارض والمراد النبات اذ كان معهودا وقيل الى الغلة
وقيل الى الزينة اتاها امرنا قضاء وتأبيدا كما ليلا او نهارا وجعلناها
حصيدا اي محصودة منقوعة وقال ابو عبيد الحصيد المستاصل كان لم
تغن بالامس من غنى بالمكان اذا اقام به قال الليث تقول للشيء اذا فني كأنه
يغن بالامس اي كأن لم يكن **فصل** اعلم ان تشبيه الحياة الدنيا
بالنبات يحتمل وجوها الحصر القاضي احدها ان عاقبة هذه الحياة التي
ينفقها المرء في هذه الدنيا كعاقبة هذا النبات الذي حين عظم الرجاء
في الانتفاع به وقع اليأس منه لان المتمسك بالدنيا اذا عظمت رغبته
فيها رأى نهايته الموت وهو معنى قوله حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت
احد نابهم بغتة وثانيها انه تعالى بين انه كما لم يحصل لذلك الزرع عاقبة
محمودة فكذلك المغتر بالدنيا والمحب لها لا تحصل له عاقبة محمودة وثالثها
ان هذا التشبيه كقوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء
منثورا اي لما صار سعي هذا الزارع باطلا بسبب حدوث المهلك فكذلك
سعي المغتر بالدنيا وراتبها ان عاقبه هذا النشأن لما انقلب نفسه في
عمارة وكد الزرع وحرث وعلق قلبه بالانتفاع به فاذا حدث السبب
المهلك صار العناء الشديد الذي تحمله في الماضي سببا لحصول الشقاء
الشديد له في المستقبل وهو ما يحصل في قلبه من الحسرات فكذلك من

الدنيا واتعب نفسه في تحصيلها فاذا مات وفاته كل ما فاته صار العناء
الذي تحمله في تحصيل الدنيا سببا لحصول الشقاء العظيم له في الاخرة
وخامسها لعله تعالى انما ضرب هذا المثل لمن لا يؤمن بالمعاد لانه يزي
الزرع الذي انتهى الى الغاية في الحسن ثم ان ذلك الحسن يزول بالكلية
ثم تصير تلك الارض موصوفة بتلك الزينة مرة اخرى فذكر تعالى هذا
المثال ليدل على ان من قدر على ذلك كان قادرا على اعادة الاحيا
في الاخرة ليجازيهم على اعمالهم **قوله** تعالى والله يدعوا الى دار
السلام الاية لما نفر العقلا عن الميل الى الدنيا رغبهم في الاخرة بهذه
الاية قال قتادة السلام هو الله وداره الجنة وسمي الله تعالى بالسلام
لوجوه احدها انه لما كان واجب الوجود لذاته فقد سلم من الفنا والتغير
وسلم في ذاته وصفاته من الافتقار الى الغير وهذه الصفة ليست الا
له سبحانه وثانيها وصف بالسلام اي ان الخلق سلموا من ظلمه ولا كذلك
سواه فهو ملكه وملكه وتصرف المالك في ملكه لا يكون ظلما
وثالثها قال المبرد وصف بالسلام اي لا يقدر على السلام الا هو والسلام
عبارة عن تخليص العاجزين عن الافات وهو المنصف للمظلومين من الظلمة
وعلى هذا التقدير السلام مصدر سلم وقيل سميت الجنة دار السلام
لان من دخلها سلم من الافات وقيل المراد بالسلام التحية لانه تعالى
سلم على اهلها قال تعالى سلام قولا من رب رحيم والملئكة يسلمون
عليهم ايضا قال تعالى والملئكة يدخلون عليهم من كل باب سلام
عليكم وهم يحيون بعضهم بعضا بالسلام قال تعالى تحيتهم فيها سلام
وروي جابر قال جاءت ملئكة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ان
لصاحبكم هذا مثلا مثله كمثل رجل بنى دارا وجعل فيها مأدبة
وبعث داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل من المأدبة ومن لم يجب
الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فالدار الجنة والداعي
محمد فمن اطاع محمدا فقد اطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله قال
ابن عباس للجنان سبع دار الخلد ودار السلام وجنة عدن وجنة
المأوى وجنة الخلد وجنة الفردوس وجنة النعيم ثم قال تعالى
ويهدي من يشا الى صراط مستقيم وهو الاسلام **فصل** احتج اهل
السنة على ان الكفر والايمان بقضاء الله لانه تعالى بين في هذه الاية
انه دعى جميع الخلق الى دار السلام ثم بين ان ما هدى الا بعضهم فهذه
الهداية الخاصة يجب ان تكون مغايرة لتلك الدعوة العامة ولا شك ان

ان الاقدار والتمكين وارسال الرسل وانزال الكتب امور مجبية فوجب ان
تكون الهداية الخاصة مغايرة لكل هذه الاشياء وما ذاك الا انه تعالى ٥
خصه بالعلم والمعرفة دون غيره واجاب القاضي بوجهين الاول ان المراد
وبهدي الله من يشاء اجابته تلك الدعوة اي ان من اجاب الدعاء واطاع وانتهى
فان الله يهديه اليها والثاني ان المراد بهذه الهداية الالطاف واجيب
عن هذين الوجهين بان عندكم على الله تعالى فعل هذه الهداية وما يكون
واجبا لا يكون معلقا بالمشية فامتنع حمله على ما ذكرتم **قوله** تعالى
للذين احسنوا الحسنى وزيادة الاية لما دعى الى الاسلام دار السلام ٥
ذكر السعادات الحاصلة لهم فقال للذين احسنوا الحسنى وزيادة ٥
اي احسنوا العمل في الدنيا اتوا المامورات واجتنبوا المنهيات وقال ابن
عباس ذكروا كلمة لا اله الا الله فاما الحسنى اي احسنوا العمل في الدنيا ٥
فهي الجنة واما الزيادة فقال ابو بكر الصديق وحذيفة وابو موسى وعبادة
بن الصامت هي النظر الى وجه الله الكريم وبه قال الحسن وعكرمة ٥
وعطا ومقاتل والضحاك والسدي لما روي بن ابي ليلى عن صهيب
قال قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية للذين احسنوا الحسنى
وزيادة قال اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار نادى منادٍ ٥
يا اهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد ان ينجزكموه قالوا وما هذا الوعد
الم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار
قال فيرفع الحجاب فينظرون الى وجه الله عز وجل قال فما اعطوا شيا
احب اليهم من النظر اليه ويؤيد هذا قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة
الى ربها ناظرة وقال المعتزلة لا يجوز حمل الزيادة على الرويه
لوجوه احدها ان الدلايل العقلية دلت على ان رويه الله تعالى ممتنعة
وثانيها ان الزيادة يجب ان تكون من جنس المزيد عليه ورويه الله ٥
تعالى ليست من جنس نعيم الجنة وثالثها ان الحديث المروي يوجب التشبيه
لان النظر عبارة عن تقليب الحدقة الى جهة المرئي وذلك يقتضي ٥
كون المرئي في الجهة ولان الوجه اسم للعضو المخصوص وذلك يوجب
التشبيه فثبت ان هذه الالفاظ لا يمكن حمله على الرويه فوجب حمله على
شي اخر قال الحياي الحسنى هي الثواب المستحق والزيادة ما يزيدهم
الله تعالى على ذلك الثواب من التفضيل لقوله تعالى ليوفيهم اجورهم
ويزيدهم من فضله ونقل عن علي رضي الله عنه قال الزيادة غرفة
من لولوة واحدة وعن بن عباس الحسنى هي الجنة والزيادة عشرة امثالها

وعن

وعن الحسن عشر امثالها الى سبع مايه ضعف وعن مجاهد الزيادة مغفرة من الله ورضوان
وعن زيد بن سمرة الزيادة ان تمر السحابة باهل الجنة فتقول ما تريدون ان
امطركم فلا يريدون شيا الا امطرتهم واجاب اهل السنة من هذه الوجوه
فقالوا اما قولهم ان الدلايل العقلية دلت على انقطاع رويه الله تعالى فهذا
ممنوع لما بينا في كتب الاصول ان تلك الدلايل في غاية الفتور وثبت بالاخبار
الصحيحة اثبات الرويه فوجب اجراوها على ظواهرها وقولهم الزيادة يجب
ان يكون من جنس المزيد عليه فنقول المزيد عليه اذا كان مقدارا بمقدار
معين كانت الزيادة من جنسها واذا كان مقدارا بمقدار غير معين ٥
وجب ان يكون الزيادة مخالفة لها مثال الاول قول الرجل اعطيك عشرة
امداد من الحنطة وزيادة فتكون تلك الزيادة من الحنطة ومثال الثاني
قوله اعطيك الحنطة وزيادة فيجب ان يكون غير الحنطة فلفظ الحسنى ٥
وهي الجنة مطلقة غير متمثل ومقدره بقدر معين فتكون الزيادة شيا ٥
مغايرا لما في الجنة وقولهم الحديث يدل على اثبات الوجه وذلك يوجب
التشبيه فنقول قام الدليل على انه تعالى ليس بجسم ولو سلم الدليل ٥
على امتناع الرويه فوجب ترك العمل بمقتضى الدليل على فساده **فصل** قال ابو العباس القرطبي
وقد وردت الحسنى على اربعة معان الاول بمعنى الجنة قال تعالى للذين
احسنوا الحسنى الثاني الحسنى الصلاح قال تعالى وقد جئتك ان اردنا ٥
الا الحسنى اي الصلاح الثالث المثوبة قال تعالى وتصف السنتهم الكذب
ان لهم الحسنى اي المثوبة الرابع الخلف في النفقة قال تعالى فاما من اعطى
واتقى وصدق بالحسنى اي بالخلف ومثله وكذب بالحسنى **قوله**
والاظهر فيه ثلثة اوجه احدها انها مستانفة والثاني انها في محل نصب
على الحال والعامل في هذه الحال الاستقرار الذي تضمنه الجار وهو ٥
للذين لوقوعه خبرا عن الحسنى قاله ابو البقا وقدره بقوله استقر لهم
الحسنى مضمونا لهم السلامة وهذا ليس بجيد جايز لان المضارع ٥
متى وقع حالا منفيا بلا امتنع دخول واو الحال عليه كالمثبت وان ورد
ما يوهم ذلك فتوله باضمار مبتدا وقد تقدم تحقيقه مرارا والثالث
انها في محل رفع نسقا على الحسنى ولا بد حينيذ من اضمار حرف مصدري
يصح جعله معه مخبرا عنه بالجار والتقدير للذين احسنوا الحسنى ٥
وان لا يرهق اي وعدم رهقهم فلما حذفت ان رفع الفعل المضارع
لانه ليس من مواضع اضمار ان ناصبة وهذا كقوله تعالى ومن اياته
يريكم اي ان يريكم وقوله فشرع بالمعيدي خير من ان تراه ٥ وقوله

الا ايها ذا الزاجري احضر الوغا ۝ اي ان احضر روي يرفع احضر ونصبه
ومنع ابو البقا هذا الوجه وقال ولا يجوز ان يكون منصوبا فاعلا على الحسني لان
الفعل اذا عطف على المصدر احتاج الى ان ذكر وتقدير وان غير مقدرة
لان الفعل مرفوع بقوله وان غير مقدرة لان الفعل مرفوع ليس بجيد لان
قوله تعالى ومن اياته يريكم معه ان مقدرة مع انه مرفوع ولا يلزمه
من اضمار ان نصب المضارع بل المشهور انه اذا اضمرت ان في غير المواضع
التي نص النحويون على اضمارها فيها ناصبة ارتفع الفعل وانتصب قليلا
جدا والرمق الغشيان يقال رمقه يرهقه رمقا اي غشيه بسرعة
ومنه ولا ترهقني من امري عسرا فلا يخاف بخسا ولا رمقا يقال رمقته وارمقته
بخور دفته وازدفته فعل وافعل بمعنى ومنه ارمقت الصلاة اذا
اخرتها حتى غشي وقت الاخرى ورجل مرموق اي مغشاه الاضياف وقال
الازهري الرمق اسم من الارهاق وهو ان حمل الانسان على نفسه ما لا
يطيق ويقال ارهقته عن امره اي اعجلته عنها وقال بعضهم اصل الرمق
المقاربة ومنه علام مرامق اي قارب الحلم ومنه الحديث ارمقوا القبلة
اي اقربوا منها ومنه رمقت الارنب الصيد اي لحقته والقتر والقتار
الغبار معه سواد والنشد والتلفود دق

مفوج برد الملك بينعه ۝ موج يري فوقه الرايات والقتر
اي غبار العسكر وقيل القتر الدخان ومنه قتار القدر وقيل القتر
التقليل ومنه لم يسرفوا ولم يقتروا ويقال قترت الشيء واقترته
واقترته اي قللته ومنه وعلى المقتر قدره وقد تقدم والقترة ناموس
الصايد وقيل الحفرة ومنه فوك امرء القيس

رب رام من بني ثعل ۝ مبلغ كفيه في قتره
اي في حفرته التي يحفرها وقرا الحسن وعيسى بن عمر وابو رجاء والاعمش
قتر بسكون التاء وهما لغتان قتر وقتر كعذر وعذر
المعنى ولا يغشى وجوههم قتر عار رجع قترة وقال ابن عباس وقتاده
سواد الوجوه ولا ذلة هوان وقال قتادة كاية قال ابن ابي ليلى هذا
بعد تظريم الى ربهم اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون اشارة الى
ان هذا النعيم دايما آمنا من الانقطاع قوله تعالى والذين
كسبوا السيئات الاية لما شرح حال المحسنين شرح بعده حال المسيئين
قوله والذين كسبوا فيه سبعة اوجه احدها ان يكون والذين معطوفا
على للذين احسنوا الحسنى وللذين كسبوا السيئات جزا سيئة بمثلها

فيتعادل التقسيم كقولك في الدار زيد وفي الحجرة عمرو وهذا تسميه النحويون
عطفا على معمولي عاملين وفيها ثلاثة مذاهب احدها الجواز مطلقا وهو
قول الفراء والثاني المنع مطلقا وهو مذهب سيبويه والثالث التفصيل
بين ان يتقدم الجار نحو في الدار زيد والحجرة عمرو فيجوز او لا فيمتنع
نحو ان زيدا في الدار وعمرا القصر اي وان عمرا في القصر وسيبويه واتباعه
يخرجون ما ورد منه على اضمار الجار كقوله تعالى واختلاف الليل والنهار
ايات بنصب ايات في قراءة الاخوين على ما سياتي كقوله

كل امرء يحسبين امرءا ۝ ونار توقد بالليل نارا ۝ وقول الاخر
اوصت من بره فلما حرا ۝ با لكلب خيرا والحماة شرا ۝

وسياتي لهذا مزيد بيان ان شاء الله وممن ذهب الى ان هذا الموصول
مجرور عطفا على الموصول قبله هو عطية والزمخشري والثاني ان الذين
مبتدا وجزا سيئة مبتدا ثان وخبره بمثلها والباء فيه زايدة وتقديره
اي وجزا سيئة مثلها كقوله تعالى وجزا سيئة سيئة مثلها كما زيدت
في الخبر كقوله ۝ فلا تطمع ابيت اللعن فيها ۝ ومنعكما بشيء يستطاع ۝
اي شيء يستطاع وكقوله ۝ امون القيس ۝

فان تنأ عنها حقبة لا تلامها ۝ فانك مما احدثت بالحرب ۝
اي المحروب وممن اقول بن كيسان في الاية الثالث ان الباء لبست بزايدة
والتقدير مقدرة بمثلها او مستقر بمثلها والمبتدا الثاني وخبره خبر عن
الاول والرابع ان خبر جزا سيئة محذوف فقدره الحوفي بقوله لهم جزا
سيئة قال ودل على تقدير لهم قوله للذين احسنوا الحسنى حتى يتشاكل هذه
بهذه وقدره ابو البقا جزا سيئة بمثلها واقع وهو وخبره ايضا خبر عن
الاول وعلى هذين التقديرين فالباء متعلقة بنفس جزا لان هذه
الماده تتعدى بالباء قال تعالى جزيناهم بما كفروا وجزاهم بما صبروا
اي عبروا لكن فان قلت اين الرابط من هذه الجملة والموصول الذي هو
المبتدا قلت على تقدير الحوفي هو الضمير المجرور باللام المقدر خبرا
وعلى تقدير ابي البقا هو محذوف تقديره جزا سيئة بمثلها منهم واقع
نحو السمن منوان بدرهم وهو حذف مطرد لما عرف الخامس ان يكون
الخبر الجملة المنفية من قوله ما لهم من الله من عاصم ويكون من عاصم اما
فاعل بالجار قبله لاعتماده على منحاز بحاصم النفي واما مبتدا وخبره
الجار مقدما عليه ومن مزيدة فيه على كلا القولين ومن الله متعلق
بعاصم وعلى كون هذه الجملة خبر الموصول يكون قد فصل بين المبتدا وخبره

بحملتي اعتراض وفي ذلك خلاف عن الفارسي تقدم التنبيه عليه وما استدل به
عليه السادس ان الخبر هو الجملة التشبيهية من قوله كأنما اغشيت وجوههم
وكأنما حرف مكفوف وما هذه زايدة تسمى كافة ومهيئة وتقدم ذلك وعلى
هذا الوجه فيكون قد فصل بين المبتدا وخبره بثلاث جمل اعتراض السابع ان
الخبر هو الجملة من قوله اولئك اصحاب النار وعلى هذا القول فيكون قد
فصل باربع جمل معترضة وهي جواسية بمثلها الثانية وترميقهم دلة الثالثة
مالهم من الله من عاصم الرابعة كأنما اغشيت وينبغي ان لا يجوز الفصل بثلاث
جمل فصلا عن اربع **قوله** وترميقهم فيها وجهان احدهما انها في محل
نصب على الحال ولو يبين ابو البقا صاحبها وصاحبها هو الموصول او ضميره
وفيه ضعف لمباشرته الواو الا ان يجعل خبر مبتدا محذوف والثاني انها
محذوفة معطوفة على كسبوا قال ابو البقا وهو ضعيف لان المستقبل
لا يعطف على الماضي فان قيل هو بمعنى الماضي فضعيف جدا او قري ولا
يرميقهم مالنا من تحت لان الدلالة الدلة ثانيتهما مجاري **قوله** قطعا
قرا ابن كثير والكسائي قطعا فيكون الطاء والباقون بتسكينها واما القراة
الاولى فاختلفت عبارات الناس فيها فقال اهل اللغة القطع ظلمة اخر
الليل وقال الاخفش في قوله بقطع من الليل بسواد من الليل وقال بعضهم
طايفة من الليل وانشد الاخفش

افتحي الباب فانظري في النجوم ... كم علينا من قطع ليل بهيم

واما قراة الباقين فجمع قطعة نحو ومنه ودمن وكسرة وكسر وعلى القراتين
تختلف اعراب مظلما فانه على قراة الكسائي وابن كثير يجوز ان يكون نعتا لقطعا
وصف بذلك مبالغة في وصف وجوههم بالسواد ويجوز ان يكون حالا من هذه اربعة
اوجه احدها انه حال من قطعا وجاز ذلك لتخصصه بالوصف بالجار بعده وهو
من الليل والثاني انه حال من الليل والثالث انه حال من الضمير المستتر في
الجار لوقوعه صفة الرابع ان يكون صفة لقطعا على المبالغة والتاكيد
ايضا لان الاظلام مفهوم من لفظ القطع قال الزمخشري فان قلت اذا جعلت
مظلما حالا من الليل فما العامل فيه قلت لا يخلوا اما ان يكون اغشيت من قبل
ان من الليل فما العامل فيه قلت لا يخلوا اما ان يكون اغشيت من قبل ان من
الليل صفة لقوله قطعا فكان اقتضاءه الى الموصوف كاقتضايه الى الصفة واما
ان يكون معنى الفعل من الليل قال ابو حيان اما الوجه الاول فهو بعيد لان
الاصل ان يكون العامل في ذي الحال هو العامل في ذي الحال والعامل في من الليل
هو الاستقرار واغشيت عامل في قوله قطعا الموصوف بقوله من الليل فاختلفا

فلذلك كان الوجه الاخير اولى اي قطعا مستقرة من الليل او كائنة من الليل في حال
اظلامه قال شهاب الدين ولا يعني الزمخشري بقوله ان العامل اغشيت الا ان الموصوف
والصفة هي من الليل فهي معموله لاغشيت وهي صاحبة الحال والعامل في الحال هو
العامل في ذي الحال حتى من ذلك ان العامل في الحال هو العامل في صاحبها
بهذه الطريقة ويجوز ان يكون قطع اي جمع قطعة اي اسم جنس لها فيجوز حسد وحسد
بالتذكير نحو نخل منقعر والتانيث نحو نخل خاوية واما قراة الباقين فقال مكي
وغيره ان مظلما حال من الليل فقط ولا يجوز ان يكون صفة لقطعا ولا حالا منه
ولا من الضمير في من الليل لانه كان يجب ان يقال فيه مظلمة يعنون ان الموصوف
جمع وكذا صاحب الحال فتجب المطابقة واجاز بعضهم ما صنعه هو لا وقالوا
جاز ذلك لانه في معنى الكثير وهذا تعسف وقراة ابي يغشى وجوههم قطع بالرفع
مظلم وقرا ابن ابي عبله كذلك الا انه فتح الطاء واذا جعلت مظلما نعتا لقطعا
فيكون قد قدمت النعت غير الصريح على الصريح قالوا ان نعتا
يعني مظلما استغرق من الليل مظلما على نحو قوله وهذا كتاب انزلناه مبارك قال
ابو حيان ولا يتعين تقدير العامل بالجر وربا الفعل فيكون جملة بل الظاهر
تقديره باسم الفاعل فيكون من قبيل الوصف بالمفرد والتقدير قطعا كائنا
من الليل مظلما مظلما قال شهاب الدين المحذور تقدم غير الصريح على الصريح
ولو كان مقدرا بمفرد وقطعا منصوب باغشيت مفعولا ثانيا **فصل**
المعنى والذين كسبوا السيات جواسية بمثلها كقوله ومن جا بالسيية فلا
يجزى الا مثلها والفرق بين الحسنات يكون مضاعفا وذلك حسن وقبيه
ترغيب في الطاعة واما الزيادة على قدر الاستحقاق على السيات
فهو ظلم والله منزه عنه ثم قال وترميقهم ذلة اي هوان وتحقير مالهم من الله
من عاصم اي مالهم عاصم من الله في الدنيا ولا في الاخرة كأنما اغشيت
وجوههم اي البست وجوههم قطعا من الليل مظلما والمراد سواد الوجه
وقال حكما الاسلام المراد من هذا السواد سواد الجهل وظلمة الضلالة
فان العلم طبعه طبع النور والجهل طبعه طبع الظلمة قيل المراد بقوله والذين
كسبوا السيات الكفار لان سواد الوجه من علامات الكفر قال تعالى فاما
الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم وقال وجوه يومئذ عليها غبرة
ترهقها قترة اولئك هم الكفرة الفجرة وقال الغاضي قوله والذين كسبوا
السيات عام يتناول كل الكافر والفاسق واجيب بان الصيغة وان كانت
عامة الا ان الدلايل التي ذكرناها مخصصة ثم قال اولئك اصحاب النار
هم فيها خالدون **قوله** تعالى ويوم نحشرهم جميعا الاية يوم منصوب

بفعل مقدر اي خوفهم او ذكرهم ولا يمر والضمير عائد على العزيز من اي الذين احسنوا
والذين كسبوا وحسنا حال ويجوز ان يكون تاكيدا عند من عدها من الفاظ التاكيد
قوله مكانكم اسم فعل ففسره النحويون باثبتوا فيجعل ضميرا ولذلك اكد بقوله
انتم وعطف عليه شركاكم ومنه قول الشاعر

وقولي كلما جشأت وجاشت ... مكانك تحمدي او تستريحي

اي اثبتي ويدل على ذلك جزم جوابه وهو تحمدي وفسره الزمخشري بالزموا
قال مكانكم اي الزموا امكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم قال ابو حيان وتقدر
له بالزموا ليس بجيد اذ لو كان كذلك لتعدى كما يتعدى ما ناب هذا عنه فان
اسم الفعل يعامل معاملة مسماه ولذلك لما قدروا عليك بمعنى الزم عدوه
تعدية نحو عليك زيدا قال شهاب الدين قال الزمخشري قد سبق بهذا التفسير
والعذل لمن فسره بذلك انه قصد تفسير المعنى قال الحوفي مكانكم نصب
باضمار فعل اي الزموا مكانكم او اثبتوا وكذلك الذي ذكره من كونه مبنيا
خلاف للنحويين منهم من ذهب الى ما ذكر ومنهم من ذهب الى انها حركة
اعراب وهذان الوجهان مبنيان على خلاف في اسما الافعال هل لها محل
من الاعراب وان قلنا لا موضع لها كانت حركات بناء واما تقديره بالزموا
فتقدم جوابه قوله انتم فيه وجهان احدهما انه ضمير المستتر تاكيد
للضمير المستتر في الظرف لقيامه مقام الفاعل كما تقدم التنبيه عليه
والثاني اجازه ابن عطية وهو ان يكون مبتدا وشركاكم معطوف عليه
وخبرهما محذوف قال تقديره انتم وشركاكم مهانون او معذبون وعلى
هذا فتوقف على قوله مكانكم ثم يبتدا بقوله انتم وهذا لا ينبغي ان يقال
لان فيه تفكيكا لافصح كلام من غير داعيه الى ذلك ولان قراءة من قرا وشركائكم
نصبا يدل على ضعفه اذ لا يكون الا من الوجه الاول ولقوله فزيلنا بينهم
فهذا يدل على انهم امروا هم وشركاؤهم بالثبات في مكان واحد حتى يحصل
التزييل بينهم وقال ابن عطية ايضا ويجوز ان يكون انتم تاكيد للضمير الذي
في الفعل المقدر الذي هو قفوا ونحوه قال ابو حيان وهذا ليس بجيد اذ
لو كان تاكيدا لكان ضمير الذي في الفعل لذلك الضمير المتصل بالفعل لجاز تقدم
على الظرف اذ الظرف ليس يتحمل ضميرا على هذا القول فيلزم تاخيره وهو
غير جايز لا تقول انت مكانك ولا يحفظ من كلامهم والاصح انه لا يجوز حذف
المذكور في التاكيد المعنوي فكذلك هذا لان التاكيد بنا في الحذف وليس
من كلامهم انت زيدا المن رايته قد شهر سيفا وانت تريد اضرب انت زيدا
انما كلام العرب زيدا تريد اضرب زيدا قال شهاب الدين لم يعين ابن عطية ان

انت تاكيد لذلك الضمير في قفوا من حيث ان الفعل مراد غير منوب عنه بل لانه
ناب عنه هذا الظرف فهو تاكيد له في الاصل قبل النيابة عنه بالظرف وانما
قال الذي هو قفوا لتفسير المعنى المقدر وقرات فرقه وشركاكم نصبا على المعية
والناصب له اسم الفعل قوله فزيلنا اي فرقنا وميزنا كقوله تعالى
لو تزيلوا لعذبنا واختلفوا في زيل هل وزنه فعل او فيعل والظاهر
الاول والتضعيف فيه للتكثير لا للتعدية لان ثلاثيه متعد بنفسه حكى
الفراء زلت الصان من المعز فلم تزل وبقال زلت الشي عن مكانه ازيله
وهو على هذا من ذوات الياء والثاني انه فيعل كبيطر وبيقر وهو من
زال يزول والاصل زيول لنا فاجتمعت الياء والواو وسبقت احداهما بالسكون
فاعلت بقلب الواو ياء وادغام الياء فيها كميت وسيد في ميوت وسيود
وعلى هذا فهو من مادة الواو وال هذا ذهب ابن قتيبه وتبعه ابو البقا
وقال مكي ولا يجوز ان يكون فعلنا من زال يزول لان فيه الواو فيكون
رددنا وهذا صحيح وقد تقدم تحريره في قوله او متحيزا الى فيه وردا بو
حيان كونه فيعل بان فعل اكثر من فيعل ولان مصدره التزييل ولو كان
فيعل لكان مصدره فيعلة كبيطرة لان فيعل ملحق بفعلل ولقولهم في معنا
زايل ولم يقولوا زاول بمعنى فارق انما قالوا بمعنى حاول وحالط وحكى
الفراء فزايلنا وبها قرات فرقة قال الزمخشري مثل صاعر خده وصعره
وكلمه وكلمه بمعنى ان فاعل بمعنى فعل وزايل بمعنى فارق قال وقال
العذاري انما انت

وقال العذاري انما انت عنا ... وكان الشباب كالخليط نزايله

وقال اخر ... لعمري لموت لا عقوبة بعده ... لذي البث اشفى من هوى لا تزايله

اي لا تفارقه وقوله تعالى فزيلنا وقال هذان الفعلان ماضيان لفظا
مستقبلان معنى لعطفهما على مستقبل وهو ويوم نحشرهم وبما نظيره
قوله تعالى يقدم قومه يوم القيامة فاوردهم وايانا مفعول مقدم
قدم للامتنا مربه والاختصاص وهو واجب التقديم على ناصبه لانه
ضمير منفصل لو تاخر عنه لزم اتصاله وقد تقدم الكلام على ما بعد هذا
من كفى وان المخففه واللام التي بعدها بما يغني عن الاعادة فصل
المعنى ويوم نحشر العابد والمعبود ثم ان المعبود يتبرا من العابد
وقوله ثم نقول للملكه اهؤلا اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت
ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا الجن اكثرهم
والحشر الجمع من كل جانب الى موقف واحد ثم نقول للذين اشركوا مكانكم

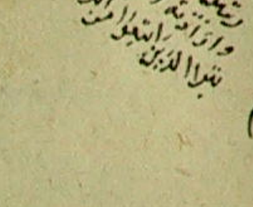

اي الزموا مكانكم انتم وشركاؤكم يعني الاوثان حتى سئلوا فزيلنا بينهم اي ميزنا وفرقنا
بينهم وجاءت هذه الكلمة على لفظ الماضي بعد قوله ثم نقول وهو مستقبل لان
ما حكم الله عليه بانه سيكون صار كالكائن الان كقوله ونادى اصحاب الجنة ۵
واضاف الشركاء اليهم لانهم جعلوا لهم نصيبا من اموالهم وقيل لان الاضافة
يكفي فيها ادنى تعلق فلما كان الكفار هم الذين احدثوا هذه الشركة
اضيفت اليهم لانهم جعلوا احدثت اضافة الشركاء اليهم وقيل لما خاطب العابدين والمعبودين
بقوله مكانكم صار واشركاء في هذا الخطاب قال بعض المفسرين المراد بهؤلاء ۵
الشركاء الملائكة لقوله ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون وقيل
هم الاصنام ثم اختلف هؤلاء لم ذكرت الاصنام هذا الكلام فقيل
ان الله تعالى يخلق فيها الحياة والعقل والنطق وقيل يخلق فيهم الروح
من غير حياة حتى يسمعوا منهم ولكن فان قيل اذا احياهم الله هل يبعثهم ۵
او يفنيهم فالجواب ان الكل محتمل ولا اعتراض على الله في افعاله واحوال
القيمة غير معلومة الا القليل ولا شك ان هذا خطاب تهديد في حق العابد
وهل يكون تهديدا في حق المعبودين قالت المعتزلة لا يجوز ذلك لانه
لا ذنب له يقبح تهديده وتخويفه وقال اهل السنة لا يسأل عما يفعل ۵
فان قيل قول الشركاء ما كنتم ايانا تعبدون وهم كانوا قد عبدوهم ۵
يكون كذبا وقد تقدم في سورة الانعام اختلاف الناس في ان اهل القيمة
هل يكذبون ام لا والجواب هيهنا ان منهم من قال المراد من قولهم ۵
ما كنتم ايانا تعبدون بامرنا وارادتنا اياهم فسنشهد والله في ذلك
بقولهم وكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين ومن
الناس من اجرى الاية على ظاهرها وقالوا ان الشر كما حين اخبروا
ان الكفار ما عبدوها لوجوه اولها ان ذلك الموقف موقف دهشة وحيرة
فذلك الكذب جار مجرى كذب الصبيان والمجانين المدهوشين ۵
الثاني انهم ما اقاموا الاعمال الكفار ورضا وجعلوها لنطلانها ۵
كالعدم فلهذا قالوا ما عبدونا الثالث انهم تخيلوا في الاصنام التي
عبدوها صفات كثيرة فهم في الحقيقة انما عبدوا ذواتا موصوفة
بتلك الصفات ولما كانت ذواتها خالية عن تلك الصفات فهم ما عبدوا
وانما عبدوا امورا تخيلوها ولا وجود لها في الاعيان وتلك الصفات
التي تخيلوها في الاصنام انها تضر وتنفع وتشفع عند الله تعالى ۵
قوله تعالى هنالك تبلوا كل نفس ما اسلفت الاية في هنالك
وجهان اظهرهما بقاؤه على اصله من دلالته على ظرف المكان اي في ذلك

بلغ مقابلة

الموقف

الموقف الدهش وقيل هو هنا ظرف زمان على سبيل الاستعارة ومثله
هنالك ابتلي المؤمنون اي في ذلك الوقت وكقوله ۵

۵ واذا الامور تعاظمت وتشابكت ۵ فهناك يعترفون ابن المفزع ۵

واذا امكن بقاء الشيء على موضوعه فهو اولى وقرأ الاخوان تتلوا بتاءين ۵
منقوطتين من فوق اي تطلب وتتبع ما اسلفته من اعمالها ومن هذا قوله
ان المريب يتبع المريبا ۵ كما رأيت الذيب يتلو الذيبا ۵
اي يتبعه ويتطلبه ويجوز ان يكون من التلاوة المتعارفة اي تقرأ كل نفس
ما عملته مسطرا في صحف الحفظة لقوله تعالى يا ويلتنا مال هذا الكتاب ۵
لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وقوله ونخرج له يوم القيامة
كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك وقرأ الباقون تبلوا من البلاء وهو
الاختبار اي تعرف عملها اخير هو ام شر وقرأ عاصم في رواية تبلوا بالتون
والباء الموحدة اي نختبر نحن وكل منصوب على المفعول به وقوله ما اسلفت
على هذه القراءة يحتمل ان يكون في محل نصب على اسقاط الخافض اي بما اسلفت
فلما اسقط الخافض انتصب مجروره كقوله

۵ يمرون الديار فلم يعوجوا ۵ كلامكم اذن علي اذن حرام ۵

ويحتمل ان يكون منصوبا على البدل من كل نفس ويكون من بدل الاشتمال ۵
ويجوز ان يكون تبلوا من البلاء والعذاب اي تعذبها بسبب ما اسلفت وما ۵
يجوز ان يكون موصولة اسمية او حرفية او نكرة موصوفة والعائد محذوف
على التقدير الاول والاخيرين على المشهور وقرأ ابن وثاب وردوا ۵
بكسر الراء تشبيها للعين المضعفة بالمعتلة نحو قيل وبيع ومثله
۵ وما حل من حمل حباحلمانا ۵ بكسر الحاء وقد تقدم بيان ذلك
قوله الى الله لابد من مضاف اي الى جزاء الله او موقف جزايه والجمهور على الحق جرا ۵
وقرئ منصوبا على احد وجهين اما القطع واصله انه تابع فقطع باضمار امدح ۵
كقولهم الحمد لله اهل الحمد واما انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة المتقدمة وهو
ردوا الى الله والية يحا الزمخشري قال كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل
على التاكيد لقوله ردوا الى الله وقال مكي ويجوز نصبه على المصدر ولم يقرا
به وكانه لم يطلع على هذه القراءة وقوله ما كانوا يفترون يحتمل الاوجه الثلاثة

فصل المعنى هنالك في ذلك الوقت تبلوا اي تختبر والمعنى نعمل بها
فعل المختبر وعلى القراءة الاخرى ان كل نفس تختبر اعمالها في ذلك الوقت وردوا
الى الله اي ردوا الى جزاء الله قال ابن عباس مولاهم الحق الذي تجازيهم بالحق ۵
وقيل جعلوا ملجئين الى الاقرار بالالهية مولاهم الحق اي المعوض عن المولى الباطل

ورجعوا الى المولى الحق وقد تقدم تفسير مولانا الحق في الانعام وضل عنهم ما كانوا يفترون اي يعبدون ويعتقدون انهم شفعاء فان قيل قد قال وان الكافرين لا مولى لهم قيل المولى هناك هو الناصر وههنا بمعنى المالك

قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض الاية لما ذكر مفاتيح عبده الاوثان استفهم بذكر الدلايل الدالة على فساد هذا المذهب وهي احوال الرزق واحوال الحواس واحوال الموت والحياة اما الرزق فانه اما يحصل من السماء والارض اما من السماء فنزول المطر الموافق واما من الارض فلان الارض تنبته واما الحيوان فهو محتاج ايضا الى الغذاء ولا يمكن ان يكون غذاء كل حيوان اخر والا لزم التسلسل وهو محال فثبت ان غذاء الحيوان لا بد انتهاؤه الى النبات والنبات انما يتولد من الارض فثبت ان الرزق انما يحصل من السماء والارض ولا مدبر لهما الا الله تعالى واما الحواس فلذلك قال علي رضي الله عنه سبحان من بصر بشحم واتقن بعظم واتقن بلحم

قوله من السماء يجوز ان يكون لابتداء الغاية وان يكون للتبعيض وان يكون لبيان الجنس ولا بد على هذين الوجهين من تقدير مضاف محذوف اي من اهل السماء

قوله أم هذه ام المنقطعة لانه لم يتقدمها همزة استفهام ولا تسوية ولكن انما يقدر هنا بل وحدها دون الهمزة وقد تقدر ان المنقطعة عند الجمهور تقدر بهما وانما لم تقدر هنا بل والهمزة لانها وقع بعدها اسم استفهام صريح وهو من فهو كقوله تعالى ام ما كنتم تعملون والاضراب هنا على المقدر في القرآن انه اضراب انتقال لا اضراب ابطال

القاعدة

قوله ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي قيل الانسان يخرج من النطفة والطاير من البيضة ويخرج الميت من الحي كخروج النطفة والبيضة من الانسان والطاير وقيل يخرج المومن من الكافر والكافر من المومن ثم قال ومن يدبر الامر وهذا كلام كلي لان تدبير اقسام الله في العالم العلوي والسفلي امور لا نهاية لها وذكرها كالمتعذر وقلما يعقل تلك التفاصيل عقيبها بالكلام الكلي ليدل على الباقي ثم بين ان الرسول عليه السلام اذا سألهم عن مدبر هذه الاحوال فسيقولون هو الله ان فكروا وانصفوا فقل يا محمد افلا تتقون اي الا تخافون عقابه وقيل فسيقولون انه الله وهذا يدل على ان المخاطبين بهذا الكلام كانوا يعرفون الله تعالى ويقرون به وهم الذين قالوا في عبادتهم الاصنام انها تقربنا الى الله زلفى وانهم شفعاؤنا عند الله وكانوا يعلمون ان هذه الاصنام لا تنفع ولا تضر فعند ذلك قال لرسوله فقل افلا تتقون الشرك مع هذا الاقرار وقيل افلا تخافون عقابه في شركهم

قوله فذلكم الله ربكم الذي يفعل هذه

الاشيا

الاشيا هو ربكم لا الحق

قوله فماذا بعد يجوز ان يكون ماذا كله اسما واحدا لتركيبهما وغلب الاستفهام على اسم الاشارة وصار معنى الاستفهام معنا النفي ولذلك اوجب بعد بالا ويجوز ان يكون ذا موصولا بمعنى الذي والاستفهام ايضا بمعنى النفي والتقدير ما الذي بعد الحق الا الضلال واذا ثبت ان الله هو الحق وجب ان يكون ما سواه ضلالا اذ باطلا لان النقيضين يمتنع ان يكونا حقين وان يكونا باطلين فاذا كان احدهما حقا وجب كون ما سواه باطلا ثم قال فانى تصرفون اي كيف تعدلون عن عبادته وانتم مقرون بذلك قال الجبايي دلت هذه الاية على بطلان قول المجبره انه تعالى يصرف الكفار عن الايمان لانه لو كان كذلك لما جاز ان يقول انى تصرفون كما لا يقول اذا عمي اخذ بيد اعمى وسيأتي جوابه

قوله كذلك حقت الكاف في محل نصب نعتا لمصدر محذوف والاشارة بذلك الى المصدر المفهوم من يصرفون اي مثل صرفهم عن الحق بعد الاقرار به في قوله تعالى فسيقولون الله وقيل اشارة الى الحق قال الزمخشري كذلك مثل ذلك الحق حقت كلمة ربك

قوله انهم لا يومنون فيه اربعة اوجه احدها انها في محل نصب وفع بدلا من كلمة اي حق عليهم انتفاء الايمان الثاني انها في محل رفع خبر المبتدا محذوف اي الامر عدم ايمانهم الثالث انها في محل نصب بعد اسقاط حرف الجر الرابع انها في محل جر على ابدال الكلمة من الكلمة اذا اراد بالكلمة العدة بالعذاب وانهم لا يومنون تعليل اي لانهم وهذا على من قرا انها بالكسر وقرا ابو عمرو وابن كثير والكوفيون كلمات بالجمع وكذا في آخر السورة وتقدم ذلك في الانعام وقرا ابن ابي عبله انهم لا يومنون بكسر ان على الاستيناف وفيها معنى التعليل وهذه تقوي الوجه الصائر الى التعليل

فصل احتج اهل السنة بهذه الاية على ان الكفر بقضاء الله واراداته لانه تعالى اخبر عنهم قطعا انهم لا يومنون فلو امنوا لكان اما ان يبقى ذلك الخبر صدقا اولا والاول باطل لان الخبر بانه لا يومن يمتنع ان يبقى صدقا حال ما يوجد الايمان والثاني باطل لان انقلاب خبر الله تعالى كذبا محال فثبت ان صدور الايمان منهم محال والمحال لا يكون مرادا فثبت انه تعالى ما اراد الايمان من هذا الكافر وانه اراد الكفر منه ثم نقول ان كان قوله اني تصرفون يدل على صحة مذهب القدرية فهذه الاية الموضوعة بجنبه تدل على فساده وقد كان من الواجب على الجبايي مع قوة خاطره حين استدل بتلك الاية على صحة قوله ان يذكر هذه المعارضة ويجيب عنها حتى يحصل مقصوده والمراد بالكلمة حكمه السابق على الذين فسقوا اي كفروا

قوله تعالى قل هل من شركايكم من يبدا الخلق ثم يعيده

الاية وبذا تمّ الحجة الثانية عليهم فان قيل الكفار كانوا منكرين للاعادة والحشر والنشر فكيف احتج عليهم بذلك فالجواب انه تعالى قدم في هذه السورة ما يدل عليه وهو وجوب التمييز بين المحسن والمسيء وهذه الدلالة دلالة ظاهرة قوية لا يمكن العاقل دفعها فلاجل قوتها وظهورها تمسك بها سواء ساعد الخصم عليها اولا فان قيل لم امر رسوله ان يعترف بذلك والالزام انما يحصل لو اعترف الخصم به فالجواب ان الدليل لما كان ظاهرا جليا فاذا اورد على الخصم في معرض الاستفهام كانه بنفسه يقول الامر كذلك فكان هذا تنبيها على ان هذا الكلام بلغ في الوضوح الى حيث لا حاجة فيه الى اقرار الخصم به وانه سواء اقر او انكر فالامر متقرر ظاهر **قوله** قل الله يبدء الخلق هذه الجملة جواب لقوله هل من شركائكم من يبدء وانما اتى بالجواب جملة اسمية مصدرة بجزء ما عاد فيها الخبر مطابقا لخبر اسم الاستفهام للتاكيد والتثبيت ولما كان الاستفهام قبل هذا الامر موجبا لهم عن الاعتراف به جاءت الجملة محذوفا منها احد جزئيها في قوله فسيقولون الله ولم يحتج الى التاكيد بتصريح جزئيها **فصل** ومعنى الاية هل من شركائكم من يبدء الخلق ينشيه من غير اصل ولا سبق مثال ثم يعيده بعد الموت كهيئته فان اجابوك ولا فقل انت الله يبدء الخلق ثم يعيده ثم قال فانى تؤفكون اي تصرفون عن قصد السبيل والمراد التعجب منهم في الدنيا من هذا الامر الواضح الذي دعاهم الهوى والتقليد الى مخالفته لان الاخبار عن كون الاوثان الهة كذب وافك والاشتغال بعبادتها مع انها لا تستحق العبادة ايضا افك **قوله** قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق الاية وهذه حجة ثالثة واعلم ان الاستدلال على وجود الصانع بالخلق اولا ثم بالهداية ثانيا عادة مطردة في القرآن قال تعالى حكاية عن الخليل عليه السلام الذي خلقني فهو يهدين وحكى عن موسى عليه السلام في جوابه لفرعون ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وامر محمد عليه السلام فقال سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى واعلم ان الانسان له جسد وروح فالاستدلال على وجود الصانع باحوال الجسد هو الخلق والاستدلال باحوال الروح هو الهداية والمقصود من خلق الجسد هو الخلق هو الاستدلال حصول الهداية للروح كما قال تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون وهذا كالتصريح بانه تعالى انما خلق الجسد واعطى الحواس ليكون آلة في اكتساب المعارف والعلوم **قوله** يهدي الى الحق قد تقدم في اول الكتاب ان هدى يتعدى الى اثنين ثانيهما اما باللام او بالى

وقد يحذف الحرف تخفيفا وقد جمع بين التعديتين منا بحرف الجر فعدى الاول بالى والثالث باللام والثاني باللام وحذف المفعول الاول من الافعال الثلاثة والتقدير هل من شركائكم من يهدي غيره الى الحق قل الله يهدي من يشاء للحق افمن يهدي الى عين الى الحق وزعم الكسائي والفراء وتبعهما الزمخشري ان يهدي الاول قاصر وانه بمعنى اهتدى وفيه نظر لان مقابله وهو قل الله يهدي متعد وقد انكر المبرد ايضا مقالة الكسائي والفراء وقال لا يعرف هدى بمعنى اهتدى قال شهاب الدين والكسائي والفراء اثبت منه بما نقلاه ولكن انما ضعف ذلك هنا كون مقابله متعد وقد تقدم ان التعدية بالى واللام من باب التفنن في البلاغة ولذلك قال الزمخشري يقال هداه للحق والى الحق فجمع بين اللغتين وقال غيره انما عدي المسند الى الله باللام لانها ادل في بابها على ان المراد للعين المراد من الى اذ اصلها الافادة الملك وكان الهداية مملوكة لله تعالى وفيه نظر لان المراد بقوله افمن يهدي الى الحق هو الله تعالى مع تعدي الفعل المسند اليه بالى **قوله** احق ان يتبع حتم لقوله افمن يهدي وان في موضع نصب او جر بعد حذف الخافض والمفضل عليه محذوف والتقدير هذا كله افمن يهدي الى الحق احق بان يتبع ممن لا يهدي ذكر ذلك مكي بن ابي طالب ويجعل احق بنا على بابها من كونها للتفضيل بل المعنى حقيق بان يتبع وجوز مكي ايضا في المسئلة وجهين احدهما ان يكون من مبتدا ايضا وان في محل رفع بدلا منها بدل اشتمال واحق خبر على ما كان والثاني ان يكون ان يتبع في محل رفع بالابتداء واحق خبر مقدم عليه وهذه الجملة خبر لمن يهدي فحصل في المسئلة ثلاثة اوجه **قوله** امن لا يهدي عطف على افمن وجاء هنا على الافصح من حيث انه قد فصل بين ام وبين ما عطفت عليه بالخبر كقولك ازيد قايم ام عمرو ومثله اذلك خير ام جنة الخلد وبذا انحلاف قوله تعالى اقريب ام بعيد ما توعدون وسيأتي هذا في موضعه وقرا ابو بكر عن عاصم يكسر يا يهدي ومايه وحفص يكسر الهاء دون الياء فاما كسر الهاء فلالتقاء الساكنين وذلك ان اصله يهتدي فلما قصد ادغامه سكنت الياء والهاء قبلها ساكنة فكسرت الهاء لالتقاء الساكنين وابو بكر اتبع الياء الهاء للكسر في الكسر وقال ابو حاتم في قراءة حفص هي لغة سفلى مضر ونقل عن سيبويه انه لا يجيز يهدي وبجيز تهدي ونهدي واهدى قال لان الكسرة تثقل في الياء يعني انه يجوز كسر حروف المضارعة من هذا النحو تهدي ونهدي واهدي اذ لا ثقل في ذلك ولم يجزه في الياء لثقل الحركة المجانسة لها عليها وهذا فيه

وقد منع ابو حيان كونها للتفضيل فقال واحق ليست للتفضيل م

عض من قراة ابي بكر لكنه قد تواتر قرآه فهو مقبول وقرا ابو عمرو وقالون عن نافع
بفتح الياء واختلاس فتحة الهاء وتشديد الدال وذلك انما لما ثقلا الفتحة
للادغام اختلسا الفتحة تنبيها على ان الالف ليس اصلها الحركة بل السكون ٥
وقرا ابن كثير وابن عامر وورش باكمال فتحة الهاء على اصل النقل وقد روي س
عن ابي عمرو وقالون اختلاس كسرة الهاء على اصل التقاء الساكنين والاختلا
للتنبيه على ان اصل الهاء السكون كما تقدم وقرا اهل المدينة خلا ورشا بفتح
الياء وسكون الهاء وتشديد الدال وهي القراءة استشكلها جماعة من حيث
الجمع بين الساكنين قال المبرد من رام هذا لابد ان يحرك حركة خفيفة ٥
وقال ابو جعفر النحاس لا يقدر احد ان ينطق به قال شهاب الدين وقد قاله
في التيسير والنص عن قالون بالاسكان قلت ولا بعد في ذلك فقد تقدم
ان بعض القراء يقر انما ولا يعدوا الجمع بين الساكنين وتقدمت قراءات
كثيرة في قوله تخطف ابصارهم وسيأتي مثل هذا في يخصمون وقرا الاخوان
يهدي بفتح الياء وسكون الهاء وتخفيف الدال من هدي يهدي وفيه قولان
احدهما ان هدي بمعنى اهتدي والثاني انه متعد ومفعوله محذوف كما تقدم
وتقدم قول الكسائي والفراء في ذلك ورد المبرد عليهما وقال ابن عطية والذي
اقول قراءة حمزة والكسائي محتمل ان يكون للعني ام لا يهدي احدا الا ان يهدى ٥
يهدي ذلك الاحد لهداية الله واما على غيرها من القراءات التي مقتضاها
امن لا يهدي الا ان يهدي فيتجه المعنى على ما تقدم ثم قال وقيل تم الكلام
عند قوله ام لا يهدي اي لا يهتدي غيره ثم قال الا ان يهتدي استثناء منقطع
اي لكنه يحتاج الى ان يهدي كما تقول فلان اعمى لا يبصر غيره الا ان يبصر
اي لكنه يحتاج الى ان يبصر انتهى ويجوز ان يكون استثناء متصلا لانه اذا ٥
اذا كان يهدي فيهم قابلية الهداية بخلاف الاصنام ويجوز ان يكون استثناء
من عام المفعول له اي لا يهدي لشيء من الاشياء الا لاجل ان يهدي بغيره
قوله فما لكم مبتدا وخبر ومعنى الاستفهام هنا الانكار والتعجب
اي اي شيء لكم في اتخاذ هؤلاء اذ كانوا عاجزين عن هداية انفسهم فكيف ٥
يمكن ان يهدوا غيرهم وقد تقدم ان بعض النحويين نص على ان مثل هذا
التركيب لا يتم الا بحال بعد نحو فما لهم عن التذكرة معرضين وما لنا ٥
لا نؤمن الى غير ذلك وعسى لا يمكن ان يقدر الجملة بعد هذا التركيب حالا
لانها استفهامية والاستفهامية لا تقع حالا وقوله كيف تحكمون ٥
استفهام اخر اي كيف تحكمون بالباطل وتجعلون لله اندادا وشركاء ٥
فصل المعنى هل من شركائكم من يهدي بوجه الى الحق فاذا قالوا

لا ولا بد لهم من ذلك قل الله يهدي للحق اي الى الحق افمن يهدي الى الحق احق ٥
ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدي اي الله الذي يهدي الى الحق احق بالاتباع
ام الصنم الذي لا يهتدي الا ان يهدى فان قيل الاصنام جماد فكيف تقبل
الهداية فكيف قال الا ان يهدى والصنم لا يتصور ان يهدي ولا ان ٥
يهدي فالجواب من وجوه احدها ان المراد من قوله هل من شركائكم
من يهدي الى الحق بعد الخلق ثم يعيده الاصنام والمراد من قوله ٥
هل من شركائكم من يهدي الى الحق رؤساء الكفر والضلالة والدعاة
اليها لقوله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله الى
قوله سبحانه عما يشركون اي ان الله تعالى هدى الخلق الى الدين بالدلائل
العقلية والنقلية وهؤلاء الدعاة لا يقدرون ان يهدوا غيرهم الا اذا
هداهم الله فكان التمسك بدين الله اولى من قبول قول هؤلاء الجهال
وثانيها ان معنى الهداية في حق الاصنام الانتقال والهدى عبارة عن
النقل والحركة يقال اهديت المراة الى زوجها اذا نقلت اليه والهدى
ما يهدى الى الحرم من النعم وسميت الهدية هدية لانتقالها من شخص
الى غيره وخلاف حاملان يهادى بين رجلين اذا كان يمشي معتمدا ٥
عليهما لضعفه وتمايله واذا ثبت ذلك فالمراد اي انها لا تنتقل من ٥
مكان الى مكان الا ان تحمل وتنقل بسبب عجز الاصنام وثالثها انه
ذكر الهداية على وجه المجاز لان المشركين لما اتخذوا الاصنام الهة
وانها تشفع لهم في الاخرة وانزلوها منزلة من يعقل فلذلك عبر
عنها كما يعبر عمن يعلم ويعقل ورابعها ان نحمل ذلك على التعجيز اي
انها لو كانت بحيث يمكنها ان تهدي فانها لا تهدي غيرها الا بعد ان يهديها
غيرها ثم قال فما لكم كيف تحكمون اي تقضون حين زعمتم ان لله شريكا
قوله تعالى وما يتبع اكثرهم الا ظنا الاية اي يقولون ان الاصنام
الهة وانها تشفع لهم في الاخرة ظنا لم يرد به كتاب ولا رسول واراد ٥
بالاكثر جميع من يقول ذلك وقيل ما يتبع اكثرهم في اقرارهم بالله الا ظنا ٥
لانه قول غير مستند الى برهان عندهم بل سمعوه من اسلافهم وهذا القول
اولى لانا في الاول نحتاج الى تفسير الاكثر بالكل قوله لا يغني ٥
خبر ان وشيئا منصوب على المصدر اي شيئا من الاغناء ومن الحق نصب
على الحال من شيئا لانه في الاصل صفة له ويجوز ان يكون بمعنى بدل اي
لا يغني بدل الحق وقرا الجمهور يفعلون على الغيبة وقرا عبد الله شيئا ٥
وقيل لا يقوم مقام العلم فصل تمسك نفاة القياس بهذه الاية

فقالوا العمل بالقياس عمل بالظن فوجب ان لا يجوز لهذه الاية واجيبوا بان
الدليل الذي دل على وجوب العمل بالقياس معلوما فلم يكن العمل بالقياس
مظنونا فاجابوا بانه لو كان الحكم المستفاد من القياس يعلم كونه حكما لله ٥
تعالى لكان ترك العمل به كفرا لقوله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك
هم الكافرون ولما لم يكن كذلك بطل العمل به ثم عبروا عن هذه الجملة فقالوا
الحكم المستفاد من القياس اما ان يعلم كونه حكما لله تعالى او يظن والاول
باطل والا لكان من لم يحكم به كافرا لقوله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله ٥
فاولئك هم الكافرون وبالاتفاق ليس كذلك والثاني باطل لان الحكم ٥
بالظن لا يجوز لقوله تعالى ان الظن لا يغني من الحق شيأ والثالث باطل لانه
اذا لم يكن ذلك الحكم معلوما ولا مظنونا كان مجرد التشهي فكان باطلا لقوله
تعالى اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات واجاب القاضي مثبتو القياس
بان حاصل هذا الدليل يرجع الى التمسك بالعمومات والتمسك بالعمومات
لا يفيد الا الظن فاذا دلت العمومات على المنع من التمسك بها وما اقتضى
ثبوته الى نفيه كان متروكا فان قيل دلت هذه الاية على ان من
كان ظانا في مسائل الاصول ولم يكن قاطعا فانه لا يكون مومنا فان قيل ٥
فيقول اهل السنة انا مومن ان شاء الله بمنع من القطع فوجب ان يلزمهم الكفر
فالجواب من وجهين الاول ان مذهب الشافعي رضي الله عنه ان الايمان ٥
عبارة عن مجموع الاعتقاد والعمل والاقرار والعمل والشك انما هو في ٥
ان هذه الاعمال هل هي موافقة لامر الله تعالى والشك في احد اجزاء الماهية
لا يوجب الشك في تمام الماهية الثاني ان الغرض من قوله ان شاء الله بقاء ٥
الايمان عند الخاتمة الثالث الغرض منه كسر النفس وهضمها قوله
تعالى وما كان هذا القران ان يفترى من دون الله الاية لما بين تقدم
قول القوم ويقولون لولا انزل عليه اية من ربه وذكروا ذلك لاعتقادهم
ان القران ليس معجزا كما وان محمدا اتاني به من عند نفسه افتعالا ٥
واختلاقا وذكر تعالى اجوبة كثيرة عن هذا الكلام وامتدت تلك البيانات
الى هذا الموضع بين تعالى هنا ان اتيان محمد عليه السلام بهذا القران
ليس هو افتراء على الله تعالى وانما هو وحي نازل عليه من عند الله احتج
على صحة هذا الكلام بقوله قل فاتوا بسورة مثله وذلك يدل على انه
معجز من عند الله وانه مبرا عن الاحتمال والافتراء قوله ان يفترى
فيه وجهان احدهما انه خبر كان تقديره وما كان هذا القران افتراء الى
ذا افتراء وجعل نفس المصدر مبالغة او يكون بمعنى مفترى والثاني

زعم بعضهم ان ان هذه هي المضمرة بعد لام الجحود ظهرت والاصل وما كان هذا القران
ليفتري فلما حذفت لام الجحود ظهرت ان وزعم ان اللام وان سقطا ٥
فحذف منه تارة وتثبت الاخرى وهذا القول مرغوب عنه وعلى هذا
القول يكون خبر كان محذوفا وان ومافي حيزها متعلقة بذلك الخبر
وقد تقدم تحرير ذلك ومن دون الله متعلق بيفترى والتمام مقام
الفاعل ضمير عائد على القران قوله ولكن تصديق نصب
عطف على خبر كان ووقعت لكن هنا احسن موقع اذ هي بين نقيضين
وبما الكذب والتصديق لتضمن الصدق وقرا الجمهور تصديق ٥
وتفصيل بالنصب وفيه اوجه احدها العطف على خبر كان كما تقدم ومثله
ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله والثاني انه خبر كان مضمرة
بعد ولكن كان تصديق والية ذهب الكسائي والفراء وابن سعدان
والزجاج وهذا كالذي قبله في المعنى والثالث انه منصوب على المفعول
من اجله لفعل مقدر اي وما كان هذا القران ان يفترى ولكن انزل
للتصديق والرابع انه منصوب على المصدر بفعل مقدر ايضا ٥
والتقدير ولكن يصدق الذي بين يديه من الكتب وقرا عيسى ٥
بن عمر تصديق بالرفع وكذلك التي في يوسف ووجهه الرفع على خبر
مبتدا محذوف اي ولكن هو تصديق ومثله قول الشاعر ٥

• ولست الشاعر السفساف فيهم ٥ ولكن مدرة الحرب العوان •

برفع مدرة على تقدير انا مدره وقال مكي ويجوز عند ما اي الكسائي
والفراء الرفع على تقدير ولكن هو تصديق وكانه ابطع هو على انها قراءة
قد ورد في قراءة السبعة التخفيف والتشديد في لكن نحو ولكن ٥
الشياطين ولكن الله رمى قوله لا ريب فيه فيه اوجه احدها
ان يكون حالا من الكتاب وجاز مجيء الحال من المضاف اليه لانه مفعول
في المعنى وتفصيل الكتاب منفيا عنه الريب والثاني
انه مستانف فلا محل له من الاعراب والثالث انه معترض بين تصديق
وبين من رب العالمين قاله الزمخشري فان قلت ام افصل قوله لا ريب
فيه من رب العالمين قلت وهو داخل في حيز الاستدراك كانه قال
ولكن كان تصديقا وتفصيلا حقيقا عنه الريب كائنا من رب العالمين
ويجوز ان يراد ولكن تصديقا من رب العالمين وتفصيلا منه لا ريب
في ذلك فيكون من رب العالمين متعلقا بتفصيل وتصديق ويكون لا ريب
فيه اعتراضا كما تقول زيد لا شك فيه كريم انتهى قوله من رب يجوز

فيه اوجه احدها ان يكون متعلقا بتصديق او بتفصيل وتكون المسئلة من باب التنازع او يصح ان يتعلق بكل من الفعلين العاملين من جهة المعنى ٥ وهذا هو الذي اراده الزمخشري بقوله فيكون من ربب متعلقا بتصديق وبتفصيل يعني انه متعلق بتصديق بكل منهما من حيث المعنى واما من حيث الاعراب فلا يتعلق الا باحدهما واما الاخر فيعمل في ضميره كما قدم تحريره والاعمال هنا حسن انما هو للثاني بدليل الحذف من الاول والوجه ٥ الثاني ان من ربب حال ثانية والثالث انه متعلق بذلك الفعل المقدر اي انزل للتصديق من ربب **فصل** المعنى وما ينبغي لمثل هذا القران ان يفتري من دون الله كقوله وما كان لنبي ان يغل وقيل ان معنى اللام اي وما كان هذا القران ليفتري كقوله وما كان المومنون لينفروا كافة وما كان الله ليذر المومنين وما كان الله ليطلعكم على الغيب اي ليس وصف هذا القران وصف شيء يمكن ان يفتري على الله والافتراء افتعال من فريت الاديم اذا قددته للقطع ثم استعمل في الكذب كما استعمل قولهم اختلق فلان الحديث في الكذب ثم انه تعالى احتج على صحة الدعوى بامور الاول قوله ولكن تصديق الذي بين يديه اي ان محمدا عليه السلام ٥ كان رجلا اميا لم يتعلم العلم وما كانت مكة بلدة العلماء وليس فيها شيء من كتب العلم ثم انه عليه السلام اتى بهذا القران المشتمل على اقاصيص الاولين والقوم كانوا في غاية العداوة له فلو لم تكن هذه الاقاصيص موافقة لما في التوراة والانجيل لعدوا فيه وبالغوا في الطعن فلما لم يقل احد ذلك مع شدة حرصهم على الطعن فيه علمنا انه اتى بتلك الايات قاصيص مطابقة للتوراة والانجيل مع انه ما طالعها ولا تلمذ لاحد فيها فدل ذلك على انه انما اتى بهذه الاشياء من قبل الوحي الحجة الثانية ان كتب الله المنزلة دلت على تقدم محمد عليه السلام موافقا لما في تلك الكتب ومصدقا لما فيها من البشارة بمجيئه فكان هذا عبارة عن تصديق الذي بين يديه الدليل الثاني قوله تعالى وتفصيل كل شيء واعلم ان العلوم اما ان تكون دينية او ليست دينية والقسم الاول ارفع حالا واعظم شانا من القسم الثاني والدينية اما ان تكون علم العقايد والاديان او علم الاعمال فاما علم العقايد والاديان فهو ٥ عبارة عن معرفة ذاته ومعرفة صفات جلاله وصفات افعاله واحكامه واسمايه والقران مشتمل على دلايل هذه المسايل وتفاريعها وتفاصيلها على وجه لا يساويه شيء من الكتب ولا يقرب منه واما علم الاعمال فهو اما

عبارة

عبارة عن علم التكاليف الظاهرة وهو عبارة علم الفقه فمعلوم ان جميع الفقها انما استنبطوا مباحثهم من القران واما عبارة عن علم الباطن ورياضة القلوب فهي القران من مباحث هذا العلم ما لا يكاد يوصف في غيره ٥ كقوله خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقوله ان الله ٥ يامر بالعدل والاحسان الاية الى غير ذلك فثبت ان القران مشتمل على تفاصيل جميع العلوم الشريفة وكان ذلك معجزا ثم قال لا ريب فيه من رب العالمين وذلك ان الكتاب الطويل المشتمل على العلوم ٥ الكثيرة لا بد وان يقع فيه نوع من التناقض وحيث خلا هذا الكتاب عنه علمنا انه من عند الله قال تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا **قوله** تعالى ام يقولون افتراه الاية لما اقام الدلايل على ان هذا القران لا يليق بحاله ان يكون مفتريا عاد مرة اخرى بلفظ الاستفهام على سبيل الانكار ابطال هذا القول ٥ فقال ام يقولون افتراه وقد تقدم تقرير هذه الحجة في البقرة عند قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا **قوله** ام ٥ يقولون في ام هذه وجهان احدهما انها منقطعة فتقدر ببل والهمزة عند سيبويه واتباعه والتقدير بل يقولون انتقل عن الكلام ٥ الاول واخذ في انكار قول اخر والثاني انها متصلة ولا بد حينئذ من حذف جملة ليصح التعادل والتقدير اتقرون ام يقولون افتراه وقال بعضهم ام هذه بمنزلة الهمزة فقط وعبر بعضهم عن ذلك ٥ فقال الميم زايدة على الهمزة وهذا قول ساقط اذ زيادة الميم قليلة جدا لا سيما ممن زعم ابو عبيدة انها بمعنى الواو والتقدير ويقولون افتراه **قوله** قل فاتوا جواب شرط مقدر قال ٥ الزمخشري قل ان كان الامر كما تزعمون فاتوا انتم على وجه الافتراء الافترا بسورة مثله فانتم مثله في العربية والفصاحة والابلغية وافترا عمرو بن فايده بسورة مثله باضافة سورة الى مثله على حذف الموصول واقامة الصفة مقامه والتقدير بسورة كتاب مثله او بسورة كلام مثله ويجوز ان يكون التقدير فاتوا بسورة بشر مثله فالضمير يجوز ان يعود في هذه القراة على القران وان يعود على النبي صلى الله عليه وسلم واما في قراة العامة فالضمير القران فقط فان قيل كم قال في البقرة فاتوا بسورة من مثله وقال ههنا فاتوا بسورة مثله فالجواب ان محمدا عليه السلام كان اميا لم يتلمذ

لاحد ولم يطالع كتابا فقيل في سورة البقرة فاتوا بسورة من مثله اي قليلات
انسان بيساوي محمدا في هذه الصفات وعدم الاشتغال بالعلوم بسورة
تساوي هذه السورة وحيث لا يقدرون على ذلك فظهر ان مثل هذه السورة
من انسان مثل محمد عليه السلام في عدم التلمذ والتعلم يكون معجزا
ومما بين ان السورة في نفسها معجز فان الخلق وان تلمذوا وتعلموا
فانه لا يمكنهم الاتيان بمعارضة سورة واحدة من هذه السور فلذلك
قال تعالى ههنا فاتوا بسورة مثله **فصل** تمسكت المعتزلة بهذه
الاية على ان القران مخلوق قالوا انه عليه السلام تحدى العرب بالقران
والمراد بالتحدي انه يطلب الاتيان بمثله منهم فاذا عجزوا عنه ظهر كونه
حجة من عند الله تعالى دالة على صدقه وهذا انما يمكن اذا كان الاتيان
بمثله صحيح الوجود في الجملة ولو كان القران قديما لكان الاتيان بمثله
منهم محالا فيعجزوا عنه ظهر كونه حجة من عند الله تعالى القدم محالا في نفس
الامر فوجب ان لا يصح التحدي به واجيبوا بان القران اسم دال بالاشتراك
على الصفة القديمة القائمة بذات الله تعالى وعلى هذه الحروف ٥
والاصوات فلا نزاع في ان هذه الكلمات المركبة من هذه الحروف ٥
والاصوات محدثة مخلوقة والتحدي انما وقع بها لا بالصفة القديمة
ثم قال تعالى وادعوا من استطعتم ممن يعبدون من دون الله ليعينوكم
على ذلك ان كنتم صادقين ان محمدا افتراه والمراد منه كيف يمكن الاتيان
بهذه المعارضة لو كانوا قادرين عليها وتقريره ان الجماعة اذا تعاونوا
وتعاضدت صارت تلك العقول الكثيرة كالعقل الواحد فاذا توجهوا
نحو شيء واحد قدر مجموعهم على ما يعجز عنه كل واحد عند انفراده فكانه تعالى
يقول هب ان عقل الواحد منكم والاثنين لا يفي باستخراج معارضة القران
فاجمعوا وليعن بعضكم بعضا في هذه المعارضة فاذا عرفتم عجزكم حالة
الاجتماع وحالة الانفراد عن هذه المعارضة فحينئذ يظهر ان تعذرها
المعارضة فاذا عرفتم عجزكم حالة الاجتماع وحالة الانفراد عن هذه
المعارضة فحينئذ يظهر ان تعذر هذه المعارضة امما كان لان قدرة
البشر عاجزة عنها فحينئذ يظهر ان ذلك فعل الله لا فعل البشر فظهر
بما تقرر ان مواقع تحدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقران ست الاولى
انه تحداهم بكل القران في قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا ٥
بمثل هذا القران لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا والثانية انه ٥
عليه السلام تحداهم بعشر سور في قوله فاتوا بعشر سور مثله مفتريات ٥

وثالثها

وثالثها انه تحداهم بسورة واحدة في قوله فاتوا بسورة مثله ورابعها تحداهم بحديث
مثله في قوله فليأتوا بحديث مثله وخامسها ان في تلك المراتب الاربع ٥
كان يطلب منهم ان يأتي بالمعارضة رجل يساوي رسول الله في عدم التلمذ
والتعليم في سورة يونس طلب منهم معارضة سورة واحدة من اي انسان
كان سواء تعلم العلوم او لم يتعلمها وسادسها ان في المراتب المتقدمة
تحدي كل واحد من الخلق وفي هذه المرتبة تحدي مجموعهم وجوز ان يستعين
البعض بالبعض في الاتيان بهذه المعارضة كما قال وادعوا من استطعتم
من دون الله فهذه مجموع الدلايل التي ذكرها الله تعالى في اثبات ان ٥
القران معجز ثم انه تعالى ذكر السبب الذي لاجله كذبوا بالقران ٥
فقال بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه يعني كذبوا بالقران ولم يحيطوا بعلمه ٥
قوله ولما يأتهم تأويله جملة حالية من الموصول اي سارعوا الى
تكذيبه حال عدم اتيان التأويل قال الزمخشري فان قلت ما معنى التوقع
في قوله تعالى ولما يأتهم تأويله قلت معناه انهم كذبوا به على البديهة
قبل التدبر ومعرفة التأويل ثم قال ايضا ويجوز ان يكون المعنى ولما يأتهم
بعد تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب اي عاقبته حتى يتبين لهم الكذب
هو ام صدق انتهى وفي وضعه لم موضع لما نظر لما عرف ما بينهما من ٥
الفرق ونفيت جملة الاحاطة بلم وحملة اتيان التأويل بلما لان لم للنفي
المطلق على الصحيح ولما لنفي الفعل المتصل بزمن الحال فالمعنى انه عدم
التأويل متصل بزمن الاخبار **فصل** قيل المعنى بل كذبوا بالقران
ولما يأتهم تأويله اي عاقبة ما وعد الله في القران انه يؤول اليه ٥
امرهم من العقوبة يريد انهم لا يعلمون ما يؤول اليه عاقبة امرهم وقيل كلما
سمعوا شيأ من القصص قالوا ليس في هذا الكتاب الا اساطير الاولين
ولم يعرفوا ان المقصود منها ليس هو نفس الحكاية بل امور اخروية
بيان قدرة الله تعالى على التصرف في هذا العالم ونقل اهله من ٥
العز الى الذل ومن الذل الى العز وذلك دليل على القدرة الكاملة
وايضا فيه دلالة على ان الدنيا فانية غير باقية كما قال تعالى لقد كان
في قصصهم عبرة لاولي الالباب وايضا فيها دلالة على المعجز ٥
لكون النبي عليه السلام لم يتعلم ولم يتلمذ لاحد فدل ذلك على انه
وحي من الله تعالى كما قال في سورة الشعراء بعد ذكر القصص وانه ٥
لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين
وقيل انهم كلما سمعوا حروف التهجي في اوايل السور لم يفهموا ما ساء ظنهم

بالقرآن فاجاب تعالى بقوله هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات
وقيل انهم لما سمعوا القرآن ينزل شيا فشيا ساظنهم فقالوا لو انزل علينا
القرآن جملة واحدة فاجاب تعالى بقوله كذلك لنثبت به فؤادك وقيل
ان القرآن لما كان مملوا من اثبات الحشر والنشر وكانوا الفوا الحياة ٥
فاستبعدوا حصول الحياة بعد الموت فكذبوا بالقرآن وقيل ان القرآن ٥
لما كان مملوا بالامر بالصلاة والزكاة والعبادات قال القوم ان الله ٥
العالم غني عنا وعن طاعتنا وانه تعالى اجل من ان يامرنا بشي لا فايدة
فيه فاجاب الله عنه بقوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسانم ٥
فلها وبالجملة فشبهات الكفار كثيرة فلما راوا القرآن مشتملا على امور ما عرفوا
حقيقتها ولم يطلعوا على وجه الحكمة فيها لاجرم كذبوا بالقرآن **قوله**
كذلك نعت لمصدر محذوف اي مثل ذلك التكذيب كذب الذين من قبلهم ٥
اي قبل انظروا التدبر وقوله فانظر كيف كان عاقبة كيف خبر لكان والاستفهام
معلق للنظر قال ابن عطية قال الزجاج كيف في موضع نصب على خبر كان
ولا يجوز ان يعمل فيها انظر لان ما قبل الاستفهام لا يعمل فيما بعده تقول كيف زيد
ولكيف تصرفات اخر فتحل محل المصدر الذي هو كيفية وتخلع معنى ٥
الاستفهام ويحتمل هذا الموضع ان يكون منها ومن تصرفاتها قولهم لا ادري كيف
شئت وانظر الى قول البخاري كيف كان بدء الوحي فانه لم يستفهم انتهى
فقول الزجاج لا يجوز ان تعمل انظر في كيف يعني لا يتسلط عليها وكذلك هو
متسلط على الجملة المنسحبة عليها حكم الاستفهام وهكذا على سبيل كل تعليق
قال وقول ابن عطية هذا قول النحويين الى اخره ليس كما ذكر بل لكيف
معنيان احدهما الاستفهام المحض ويسوغ السؤال عن الهيئة الا ان يعلق عنها
العامل فمعناها معنى الاسما التي تستفهم بها اذا علق عنها العامل ٥
والثاني الشرط كقول العرب كيف تكون اكون وقوله ولكيف تصرفات
الى اخره ليس كيف محل المصدر ولا لفظ كيفيه هو مصدر وانما ذلك نسبة ٥
الى كيف وقوله ويحتمل ان يكون هذا الموضع منها ومن تصرفاتها قولهم ٥
لا ادري كيف شئت لا يحتمل ان يكون منها لانه لم يثبت لها المعنى الذي ذكره ٥
من كون كيف بمعنى كيفيه وادعا مصدرية كيفيه واما كون كيف شئت ٥
فكيف ليست بمعنى كيفية وانما هي شرطية وهو المعنى الثاني الذي لها ٥
وجوابها محذوف التقدير كيف شئت فكن كما تقول لم متى شئت فمتى اسم
شرط ظرف لا يعمل فيه قم والجواب محذوف تقديره متى شئت فقم وحذف
الجواب لدلالة ما قبله عليه كقولهم اضرب زيدا ان اساء اليك فاضربه وحذف

فاضربه

لدلالة اضرب المتقدم عليه واما قول البخاري كيف كان بدء الوحي فهو استفهام
محض اما على سبيل الحكاية كان سايلا سال كيف كان بدء الوحي واما ان ٥
يكون من قوله هو كانه سال نفسه كيف كان بدء الوحي فاجاب بالحديث الذي
فيه كيفيه ذلك وقوله الظالمين من وضع الظاهر موضع المضمر ويجوز ان
يراد به ضمير من عاد عليه ضمير بل كذبوا وان يراد به الذين من قبلهم ومعنى
الاية ما طلبوا انهم طلبوا الدنيا وتركوا الاخرة فلما ماتوا فاتتهم الدنيا
والاخرة فبقوا في الخسار العظيم وقيل المراد عذاب الاستيصال الذي
نزل بالامم السالفة **قوله** تعالى ومنهم من يومن به الاية لما قال
فانظر كيف كان عاقبة الظالمين والمراد منه تسليط العذاب عليهم في
الدنيا اتبعه بقوله ومنهم من يومن به تنبيها على ان الصلاح عنده ٥
تعالى كان في هذه الطايفة والاقرب ان الضمير في قوله به يرجع الى
العذاب لانه المذكور ومن قبل والى القرآن واختلفوا في قوله ومنهم
من يومن به لان يومن يتصل للحال وللاستقبال فحمله بعضهم على الحال
اي ومنهم من يومن بالقرآن باطنا لكنه يتعمد الجحد ومنهم من باطنه
كظاهره وقيل المراد الاستقبال اي منهم من يومن به في المستقبل ٥
بان يتوب عن الكفر ومنهم من يصر على الكفر وربك اعلم بالمفسدين ٥
اي باحوالهم اي هل يتوفوا على الكفر او يتوبوا ثم قال وان كذبوك فقل
لي عملي وجزاوه ولكم عملكم وجزاوه انتم بريون مما اعمل وانا بري مما
تعملون هذا كقوله تعالى لنا اعمالنا ولكم اعمالكم دينكم ولي دين ومعنى
الكلام الردع والزجر وقيل معناه استمالة قلوبهم قال مقاتل والكلبي
هذه الاية منسوخة باية السيف وهذا بعيد لان شرط الناسخ ان ٥
يكون رافعا لحكم المنسوخ ومدلول هذه الاية اختصاص كل واحد
بافعاله وثمراتها من الثواب والعقاب وذلك لا يقتضي حرمة القتال
فاية القتال ما رفعت شيا من مدلول هذه الاية فكان القول ٥
بالنسخ باطلا **قوله** تعالى ومنهم من يستمعون اليك الاية لما قسم الكفار
في الاية الاولى الى من يومن ومن لا يومن قسم من لا يومن ههنا الى
قسمين منهم من يكون في نهاية البغض والعداوة ومنهم من لا يكون كذلك
فوصف ههنا القسم الاول فقال ومنهم من يستمعون اليك مع انه يكون
كالاصم من حيث انه لا ينتفع البته بذلك الكلام فان الانسان اذا قوي
بغضه لانسان اخر كان معرضا عن سماع كلامه ولا يلتفت اليه كما ان
الصمم في الاذن يمنع ادراك الصوت والعمى في العين يمنع ادراك البصر

فكذا البغض الشديد يمنع من الوقوف على محاسن كلامه ويمنع الوقوف على محاسن
من يعاديه **قوله** من يستمعون مبتدأ وخبره الجار قبله والضمير جمع
مراعاة لمعنى من والاكثر مراعاة لفظه كقوله ومنهم من ينظر اليك قال ابن عطية
حاء ينظر على لفظ من واذا جاء على لفظها فجايز ان يعطف عليه اخر على المعنى
واذا جاء اولا على معناها فلا يجوز ان يعطف باخر على اللفظ لان الكلام
يلبس حينيذ قال ابو حيان وليس كما قال بل يجوز ان يراعي المعنى اولا فيعيد
الضمير على حسب ما يريد به من المعنى من تانيث وتثنية وجمع ثم يراعي اللفظ
فيعيد الضمير مفردا مذكرا وفي ذلك تفصيل تقدم اول البقرة **فصل**
اخبر تعالى في الاية ان الايمان والتوفيق به لا يقع فقال ومنهم من
يستمعون اليك باسماعهم الظاهرة ولا ينفعهم انك تسمع الصم ولو يبصر
القلب ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر اليك بعينه الظاهرة ولا ينفعه
انك تهدي العمي ولو يهدي القلب ولو كانوا لا يبصرون وهذه تسلية
من الله عز وجل لنبيه عليه السلام بقوله انك لا تقدر تسمع من سلبته السمع
ولا انت تهتدي من سلبته البصر ولا ان توفق للايمان من حكمت عليه
بانه لا يومن والمقصود اعلام الرسول عليه السلام بانهم قد بلغوا من مرض
العقل الى حيث لا يقبلون العلاج فالطبيب اذا راى مريضا لا يقبل العلاج
اعرض عنه ولم يستوحش من عدم قبوله للعلاج فكذلك انت لا تستوحش
من حال هولاء الكفار **فصل** احتج اهل السنة بهذه الاية على ان
افعال العباد من الله لان الاية دلت على ان قلوب الكفار بالنسبة الى الايمان
كالاصم بالنسبة الى استماع الكلام وكالاعمى بالنسبة الى نظر الاشياء
فكما ان هذا ممتنع فكذلك حصول الايمان في القلب ليس باختيار الانسان
واحتج المعتزلة على صحة قولهم بقوله تعالى بعد هذا ان الله لا يظلم الناس
شيا ولكن الناس انفسهم يظلمون فدل ذلك على انه تعالى ما الجا احدا الى
فعل القبايح ولكنهم يقدمون عليها باختيارهم واجاب الواحدي
بانه تعالى انما نفى الظلم عن نفسه لانه يتصرف في ملك نفسه ومن كان
كذلك لم يكن ظالما وانما قال ولكن الناس انفسهم يظلمون لان الفعل
منسوبا اليهم بسبب الكسب **فصل** احتج ابن قتيبه بهذه الاية على
ان السمع افضل من البصر لانه تعالى قرن بذهاب السمع ذهاب العقل
ولم يقرن بذهاب النظر الا ذهاب البصر فكان السمع افضل من البصر
ورده ابن الانباري بان الذي نفاه الله من السمع بمنزلة ما نفاه من البصر
لانه تعالى اراد ابصار القلوب ولم يرد ابصار العيون والذي يبصره

القلب

القلب هو الذي يعقله واحتج ابن قتيبة بحجة اخرى فقال كلما ذكر الله السمع في
القران فانه غالبا يقدم السمع على البصر فدل على ان السمع افضل من البصر
وذكر بعض الناس في تفضيل السمع على البصر وجوها اخر احدها ان العمى
في حق الانبياء عليهم السلام واما الصمم فغير جايز عليهم لانه يخل باداء
الرسالة لانه اذا لم يسمع كلام السايل تعذر عليه الجواب فيعجز عن
تبليغ الشرايع وثانيها ان القوة السامعة ترتدرك المسموعات من
جميع الجهات والقوة الباصرة لا تدرك المرئي الا من جهة المقابلة وحدها
وثالثها ان الانسان انما لم يستفيد العلم من استناده الا بقوة السمع
ولا يتوقف على قوة البصر فكان السمع افضل ورابعها انه تعالى قال ان
في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد والمراد بالقلب ههنا
العقل فجعل السمع قرينا للعقل وبويده قوله تعالى وقالوا لو كنا نسمع او نعقل
ما كنا في اصحاب السعير فجعلوا السمع سببا للخلاص من عذاب السعير
وخامسها ان المعنى الذي به يمتاز الانسان من ساير الحيوانات هو النطق
وانما يتمكن بذلك القوة السامعة فتعلق السمع النطق الذي شرف الانسان
به وتعلق البصر ادراك الالوان والاشكال وذلك امر يشترك
فيه الناس وسايير الحيوانات فوجب ان يكون السمع افضل من البصر
وسادسها ان الانبياء عليهم السلام يؤاخذ الناس ويسمعون كلامهم فتبوتهم
انما حصلت بما فهم معهم من الصفات المرئية وانما حصلت بما معهم
من الاقوال المسموعة وهو تبليغ الشرايع والاحكام فوجب ان يكون المسموع
افضل من المرئي فلزم كون السمع افضل من البصر وقال اخرون البصر
افضل من السمع لوجوه الاول قوله في المثل البين وذا العيان بيان
فدل على ان وجوه الادراك هو البصر الثاني ان الة القوة الباصرة هي
العين وآلة القوة السامعة هي الهوى والنور اشرف من الهوي فالقوة
الباصرة اشرف من القوة السامعة الثالث ان عجايب حكمة الله تعالى
في تخليق العين التي هي محل الابصار اكثر من عجايب خلقته في الاذن
التي هي محل السماع فانه تعالى جعل لكل عين سبعة ارواح السبعة
الدماغية من العصب الة الابصار وركب العين من سبع طبقات وثلاث
رطوبات وجعل لحركات العين عضلات كثيرة على صور مختلفة والاذن
ليس كذلك وكثرة العناية في تخليق الشي يدل على كونه افضل من غيره
الرابع ان البصر يدرك ما فوق سبع سموات والسمع لا يدرك ما بعد
منه على فرسخ فكان البصر اقوى وافضل وبهذا البيان يدفع قولهم ان السمع

يدرك من كل الجوانب والبصر لا يدرك الا من الجانب الخامس الواحد الخامس
ان كثيرا من الانبيا عليهم السلام سمع كلام الله في الدنيا واختلفوا هل
رآه احد في الدنيا ام لا وايضا قال موسى عليه السلام اسمعه كلامه من غير
سبق سؤال ولما سال الرويه قال لن تراني فدل على ان حال الرويه اعلا
من حال السمع السادس قال ابن الانباري كيف يكون السمع افضل من البصر
وبالبصر يحصل كماله الوجه ويذهاب البصر عنه وذهاب السمع لا يورث
في الانسان عيبا والعرب تسمي العينين كريمتين ولا تصف السمع بمثل
ذلك ومنه الحديث يقول الله من اذهبت كريمتيه فصبر واحتسب لم ارض
له ثوابا دون الجنه **قوله** تعالى ان الله لا يظلم الناس شيئا يجوز ان
ينتصب شيئا على المصدر اي شيا من الظلم قليلا ولا كثيرا وان ينتصب
مفعولا ثانيا ليظلم بمعنى لا ينقص الناس شيئا عن كلامهم من اعمالهم **قوله**
ولكن الناس قرا الاخوان بتخفيف لكن ومن ضرورة ذلك كسر النون
لالتقا الساكنين وصلا ورفع الناس والباقون بالتشديد ونصب الناس
وتقدم توجيه ذلك في البقرة ومعنى لا يظلم الناس شيئا لانه في جميع افعاله
متفضل او عادل ولكن الناس انفسهم يظلمون بالكفر والمعصية **قوله**
تعالى ويوم نحشرهم الاية لما وصف الكفار بقلة الاصغا وترك التدبر
اتبعه بالوعيد فقال ويوم نحشرهم يوم منصوب على الظرف فاذكر في ناصبه
اوجه احدها انه منصوب بالفعل الذي تضمنه قوله كان لم يلبثوا الثاني
انه منصوب بيتعارفون الثالث انه منصوب بمقدر اي اذكر يوم وقرا
الاعمش ويحفص عن عاصم نحشرهم بيا الغيبه والضمير لله تعالى لتقدم
اسمه في قوله ان الله لا يظلم **قوله** كان لم يلبثوا تقدم الكلام على كان
هذه وهي المخففه من الثقيلة والتقدير كانهم لم يلبثوا فخفف كقوله وكان
ولكن اختلفوا في محل هذه الجملة على اوجه احدها انها في محل نصب صفة
للظرف وهو يوم قاله ابن عطية قال ابو حيان لا يصح لان يوم نحشرهم معرفة
والجمل نكرات ولا تتعرف المعرفه بالنكرة لا يقال ان الجمل التي يضاف اليها
اسما الزمان نكرة على الاطلاق لانها ان كانت في التقدير تحل الى معرفة
فان ما اضيف اليها يتعرف وان كانت تحل الى نكرة كان ما اضيف اليها نكرة
تقول مررت في يوم قدم زيد الماضي فتصف يوم بالمعرفه وحيت ليلة
قدر زيد المباركه علينا وايضا فكان لم يلبثوا لا يمكن ان يكون صفة لليوم
من جهة المعنى لان ذلك من وصف المحشورين لا من وصف يوم نحشرهم
وقد تكلف بعضهم تقدير رابط يربطه فقدره كان لم يلبثوا قبله فحذف قبله

اي

اي قبل اليوم وحذف مثل هذا الرابط لا يجوز قال شهاب الدين قوله بعضهم
هو مكي بن ابي طالب فانه قال الكاف وما بعدها من كان صفة لليوم
وفي الكلام حذف ضمير يعود على الموصوف تقديره كان لم يلبثوا قبله فحذف
قبل فصارت الها متصله بيلبثوا فحذفت لطول الاسم كما تحذف من الصلا
ونقل هذا التقدير ايضا ابو البقا ولم يسم قائله فقال وقيل فذكره
والوجه الثاني ان تكون الجملة في محل نصب على الحال من مفعول نحشرهم
مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة هذا تقدير الزمخشري ومن جوز الحالية ايضا
ابن عطية ومكي وابو البقا وجعله بعضهم هو الظاهر الوجه الثالث ان تكون
الجملة نعتا لمصدر محذوف والتقدير نحشرهم بيا الغيبة حشرا كان لم يلبثوا
وذكر ابن عطية وابو البقا ومكي وقدر مكي وابو البقا العايد محذوفا
قدراه حال جعلها الجملة صفة لليوم وقد تقدم ما في ذلك الرابع قال
ابن عطية ويصح ان يكون قوله كان لم يلبثوا كلاما مجملا لم يبين العمل الذي
يتضمنه كان لم يلبثوا قال ابو حيان ولعله اراد ما قاله الحوفي من ان
الكاف في موضع نصب بما تضمنه من معنى الكلام وهو السرعة انتهى
قال فيكون التقدير ويوم نحشرهم يسرعون كانهم لم يلبثوا الا من فاعل يسرعون
ويكون كان لم يلبثوا حالا من فاعل يسرعون ويجوز ان يكون كان لم يلبثوا
يسرعون المقدره **فصل** قال الضحاك كان لم يلبثوا في الدنيا
الا ساعة من النهار وقال ابن عباس كان لم يلبثوا في قبورهم الا قدر ساعة
من النهار قال القاضي الاول اولى لوجهين احدهما ان حال المومنين
كحال الكافرين في انهم لا يعرفون مقدار لبثهم بعد الموت الى وقت الحشر
فيجب ان يحمل ذلك على امر يختص به الكفار وهو انهم لما لم ينتفعوا بعمرهم
استقلوه والمومن لما انتفع بعمره فكانه لم يستقله الثاني انه قال
يتعارفون بينهم والتعارف انما يضاف الى حال الحياة لا الى حال الموت
وفي سبب الاستقلال وجوه الاول قال ابو مسلم انهم لما ضيعوا اعمالهم
اعمارهم في طلب الدنيا والحرص على لذاتها لم ينتفعوا بعمرهم البته وكان
وجود ذلك العمر كالعدم فلهذا استقلوه ونظيره قوله تعالى وما هو بمزحزحه
من العذاب ان يعمر الثاني قال الاصم انهم لما شاهدوا احوال الاخرة
وعظمها عظم خوفهم فنسوا امور الدنيا والانسان اذا عظم خوفه نسي
الامور الحقيرة الثالث قل عندهم مقامهم في الدنيا في جنب مقامهم في
الاخرة الرابع قل عندهم مقامهم في الدنيا لطول وقوفهم في المحشر **قوله**
يتعارفون فيه اوجه احدها ان الجملة في محل نصب على الحال من فاعل يلبثوا

هذام

قال الحوفي يتعارفون فعل مستقبل في موضع الحال من الضمير في يلبثوا ٥
وهو العامل كانه قال متعارفين فالعامل فعل الحشر وعلى هذا فمن جوز تعدد
الحال جوز ان يكون كان لم يكن حالا اولى وهذه حال ثانية ومن منع ذلك
جعل كان لم على ما تقدم من غير الحالية قال ابو البقاء وهي حال مقدرة ٥
لان التعارف لا يكون حال الحشر والثالث انها مستانفة اخبر تعالى عنهم
بذلك قال الزمخشري فان قلت كان لم يلبثوا ويتعارفون كيف موقعها
قلت اما الاولى فحال منهم اي يوم يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة
واما الثانية فاما ان يتعلق بالظرف يعني فيكون حالا واما ان تكون ٥
مبينة لقوله كان لم يلبثوا الا ساعة لان التعارف لا يبقى مع طول العهد
وبتقلب تناكرا **فصل** في هذا التعارف وجوه الاول يعرف بعضهم
بعضا كما كانوا يعرفون في الدنيا الثاني يعرف بعضهم بعضا ما كانوا عليه
من الخطا والكفر ثم تنقطع المعرفة اذا عاينوا العذاب ويتبرأ بعضهم ٥
فان قيل كيف توافق هذه الاية قوله ولا يسال حميم حميما فالجواب
من وجهين احدهما انهم يتعارفون بينهم بتوبيخ بعضهم بعضا فيقول كل
فريق منهم للاخر انت اضللتني يوم كذا او ذبت لي الفعل القبيح الفلاني
فهو تعارف توبيخ وتباعد وتقاطع لا تعارف عطف وشفقة واما قوله
ولا يسال حميم حميما اي سؤال رحمة وعطف والثاني ان نحمل هذين الاثبات
على حالتين وهي انهم يتعارفون اذا بعثوا ثم تنقطع المعرفة فلذلك لا يسال
حميم حميما **قوله** قد خسروا فيها وجهان احدهما انها مستانفة ٥
اخبر تعالى بان المكذبين بلقائه خاسرون لا محالة ولذلك اتى بحرف
التحقيق ويكون هذا شهادة عليهم من الله بالخسران والمعنى ان من باع
اخرته بدنياه فقد خسر لانه اعطى الشريف الباقي في احد الخسيسين الفاني ٥
والثاني ان يكون في محل نصب باضمار قول اي قائلين قد خسر الذين ثم
لك في هذا القول المقدر وجهان احدهما انه حال من مفعول يحشرهم
اي يحشرهم قائلين ذلك والثاني انه حال من مفعول يتعارفون وقد ذهب
الى الاستئناف والحالية من فاعل يتعارفون الزمخشري الى انه قال هو
استئناف فيه معنى التعجب كانه قيل ما احسرهم ثم قال قد خسر على ارادة
القول اي يتعارفون بينهم قائلين ذلك وذهب الى انها حال من مفعول ٥
يحشرهم بن عطية **قوله** وما كانوا مهتدين يجوز فيها وجهان احدهما
ان تكون معطوفة على قوله خسر فيكون حكمه حكمه والثاني ان يكون معطوفة
على صلة الذين وهي كالتوكيد للجملة التي وقعت صلة لان من كذب بلقاء الله ٥

بلغ شامله

غير مهتدين والمراد من الخسران خسران النفس ولا شيء اعظم منه **قوله**
واما نرينك قد تقدم الكلام على اما هذه وقال ابن عطية ولاجلها اي لاجل زيادة
ما جاز دخول النون الثقيلة ولو كانت ان وحدها لم يجز اي ان توكيد الفعل
بالنون مشروط بزيادة ما بعد ان وهو مخالف لظاهر كلام سيبويه ٥
وقال قد جاء التوكيد في الشرط بعد ان كقوله ٥

٦ من ينعقن منهم فليس بسانب ٦ ابدا وقتل بني قتيبة شافي ٦

قال ابن جزوف اجاز سيبويه الاتيان بما وان لا يوتى بهما والاتيان بالنون مع
ما وان لا يوتى بهما والاراه هنا بصرية ولذلك تعدى الفعل الى اثنين
بالهمزة اي نجعلك رائيا بعض الموعودين او بعض الذي نعدهم من العذاب
او نتوفينك قبل ان نريك ذلك فانك سنراه في الاخرة قال مجاهد وقتادة
البعض الذي اراه قتلهم ببدر وسائر انواع العذاب بعد موته **قوله**
ثم الينا مرجعهم مبتدا وخبر وفيه الوجهان اظهرهما انه جواب الشرط
وما عطف عليه اذ معناه صالح لذلك والى هذا ذهب الحوفي وابن عطية
والثاني انه جواب لقوله او نتوفينك وجواب الاول محذوف قال ٥
الزمخشري كانه قيل ان نريك فنحن نريك لا محالة قال ابو حيان فجعل
الزمخشري في الكلام شرطين لهما جوابان ولا حاجة الى جواب محذوف ٥
لان قوله فالينا مرجعهم صالح لان يكون جوابا للشرط والمعطوف عليه
وايضا فقوله الزمخشري فذاك هو اسم مفرد لا ينعقد منه جواب شرط
وكان ينبغي ان يأتي بجملة يصح منها جواب الشرط اذ لا يفهم من قوله فذاك
الخبر الذي حذف وهو الذي يحصل به فايدة الاسناد قال شهاب الدين
قد تقرر ان اسم الاشارة قد ينابر به الى شيئين فاكثر وهو بلفظ الافراد
وكان ذلك رافع موقع الجملة الواقعة جوابا ويجوز ان يكون قد حذف ٥
الخبر لدلالة المعنى عليه اذ التقدير فذاك المراد والمتمنى او نحو وقوله
اذ لا يفهم الخبر الذي حذف الى اخره ممنوع بل هو مفهوم كما بينا وقوسي يتبادر
الى الذهن **قوله** ثم الله شهيد ثم ليست هنا للترتيب الزماني بل
هي لترتيب الاخبار لا لترتيب المخبر به في انفسها قال ابو البقاء كقولك
زيد عالم ثم هو كريم وقال الزمخشري فان قلت الله شهيد على ٥
ما يفعلون في الدارين فما معنى ثم قلت ذكرت الشهادة والمراد مقتضاها
وتبعتها وهو العقاب كانه قيل ثم الله معاقب على ما يفعلون وقرا ٥
ابراهيم بن ابي عبلة ثم بفتح الثا جعله ظرفا للشهادة اي الله فيكون ثم مضبوب
لشهيد اي الله شهيد عليهم في ذلك المكان وهو مكان حشرهم ويجوز ان يكون

عبر مهتدين

نكرنا لمرجعهم اي فالينا مرجعهم بعيني رجوعهم في ذلك المكان الذي يثاب فيه ٥
المحسن ويعاقب فيه المسيء **قوله** تعالى ولكل امة رسول الاية ٥
لما بين حال محمد عليه السلام في قومه بين ان حال كل الانبياء عليهم السلام
مع قومهم كذلك وهذه الاية تدل على ان كل جماعة ممن تقدم قد بعث الله
اليهم رسولا ولم يهمل امة من الامم ويؤيده قوله تعالى وان من امة الا
خلا فيها نذير فان قيل كيف يصح هذا مع ما نعلمه من احوال الفترة فالجواب
ان الدليل الذي ذكرناه لا يوجب ان يكون الرسول حاضرا مع القوم لان عدم
الرسول لا يمنع من كونه رسولا اليهم كما لا يمكن تقدم رسولنا من كونه
مبعوثا الينا الى الاخر الا بد وفي الكلام اضمار تقديره اذا جاء رسولهم
وبلغ وكذبه قومه وصدقه اخرون قضي بينهم اي حكم وفصل والمراد من
الاية اما بيان ان الرسول اذا بعث الى كل امة فانه بالتبليغ واقامة الحجة
يزيح عللهم ولم يبق لهم عذر فيكون ما يعذبون به في الاخرة عدلا لا ظلما
ويدل عليه قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقوله رسلا
مبشرين ومنذرين ليلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل واما
ان يكون المراد ان القوم اذا اجتمعوا في الاخرة جمع الله بينهم وبين رسولهم
وقت المحاسبة وبيان الفصل بين المطيع والعاصي ليشهد عليهم بما
شاهد منهم وليقع منهم الاعتراف بانه بلغ رسالات ربه ويدل عليه
قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا **قوله**
تعالى ويقولون متى هذا الوعد الاية وهذه شبهة خامسة من شبهات منكري
النبوة فانه عليه السلام كما هددهم بنزول العذاب ومر زمان ولم يظهر ذلك
العذاب قالوا له متى هذا الوعد فاحتجوا بعدم ظهوره على القدح في نبوته
واعلم انهم قالوا ذلك على وجه التكذيب للرسول عليه السلام لما اخبرهم
بنزول العذاب على الاعداء وبنصرة الاولياء على وجه الاستبعاد وتدل
الاية على ان كل امة قالت لرسولها مثل ذلك القول بدليل قوله تعالى الى
كنتم صادقين لانه جمع وهو موافق لقوله ولكل امة رسول ثم انه تعالى امره
بان يجيب عن هذه الشبهة بقوله جوابه بجسم المادة وهو قوله قل لا املك
لنفسي ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله والمعنى ان انزال العذاب على الاعداء
واظهار النصرة للاولياء لا يقدر عليه الا الله سبحانه وانه تعالى ما عين
لذلك وقتا معينا بل يعين الوقت مفوضا الى الله سبحانه بحسب مشيته
قوله الا ما شاء الله فيه وجهان احدهما انه استثناء منقطع تقديره
الا ما شاء الله ان املكه وافدر عليه والثاني انه منقطع قال الزمخشري هو

استثناء

استثناء منقطع اي ولكن ما شاء الله من ذلك كائن فكيف املك لكم الضر وجلب
العذاب **فصل** احتج المعتزلة بقوله قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ما
شاء الله بان هذا الاستثناء يدل على ان الصدقة العبد قد يملك لنفسه ٥
ضرا ونفعا وما ذلك الا الطاعة والمعصية فهذا الاستثناء يدل على كون
العبد مستقلا بهما واجيبوا بان هذا الاستثناء منقطع اي ولكن ما شاء الله
من ذلك كائن **قوله** لكل امة اجل اي مدة مضروبة فاذا جاء اجلهم ٥
وقت فناء اعمارهم قرا ابن سيرين فاذا جاء اجالهم فلا يستاخرون ساعة
ولا يستقدمون اي لا يتاخرون ولا يتقدمون وهذه الاية تدل على ان
احدا لا يموت الا بانقضاء اجله **قوله** اذا جاء اجلهم شرط جوابه ٥
وقوله فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون جزاء الشرط فوجب ٥
ادخاله في الجزاء فدلت الاية على ان الجزاء يحصل مع حصول الشرط لا
يتاخر عنه وان حرف الفاء لا يدل على التراخي وانما يدل على كونه جزاء
واذا ثبت هذا فنقول اذا قال لامراته اجنبية ان تزوجتك فانت طالق
فقال بعضهم لا يصح هذا التعليق لان هذه الاية دلت على ان الجزاء انما
يحصل حال حصول الشرط فلو صح حصول هذا التعليق وقال ابو حنيفة ٥
يصح **قوله** تعالى قل ارايتم ان اتاكم عذابه الاية وهذا جواب
ثان عن قولهم متى هذا الوعد وقد تقدم الكلام على ارايت هنا وقد تقدم
الكلام على ارايت مرارا وانما تضمن معنى اخبروني فيتعدى الى اثنين ٥
ثانيهما عائد الى الجملة استفهامية فيفتقد منها مع ما قبلها مبتدا وخبر كقولهم
ارايتك زيدا ما صنع وتقدم مذاهب الناس فيها في سورة الانعام ٥
ومفعولها الاول في هذه الجملة الاية محذوف والمسئلة من باب الاعمال
لانه من باب التنازع في الاعمال لانه تنازع ارايت واتيكم في عذابه والاعمال
الثاني اذ هو المختار عند البصريين ولما اخبره اعمله اضمر في الاول
وحذفه لان ابقاءه محصوص بالضرورة او جايز الذكر على قلة عنده ٥
احرزين ولو اعمل الاول لاضمر في الثاني اذ الحذف منه لا يكون الا ضرورة
او في قليل من الكلام ومعنى الكلام قل لهم يا محمد اخبروني عن عذاب الله
ان اتاكم اي اي شيء تستعجلون منه وليس شيء من العذاب يستعجل به
لمرارته وشدة مصابته فهو مقتض لمفور الطبع منه قال الزمخشري
فان قلت لم يتعلق الاستفهام وابن جواب الشرط قلت تعلق ٥
بالرايتم لان المعنى اخبروني ماذا يستعجل منه المجرمون وجواب الشرط
محذوف وهو يدل عليه الاستفهام ويعزى الخطابيه قال ابو حيان

حوفه

ليصح ان يحصل الطلاق
عقيب النكاح لما ثبت ان
الجزاء يحصل مع حصول
الشرط وذلك لان وجه التمسك
بين الصدقين ولما ثبت هذا
الاصل وجب ان لا يصح التعليق

المسئلة من باب التنازع

ومما قدره غير سابق لانه لا يقدر الجواب الا مما تقدمه لفظا او تقديرا نحو لما ان
ظالم ان فعلت التقدير ان فعلت فانت ظالم وكذلك واما ان شاء الله نهتد ان
التقدير ان شاء الله نهتد فالذي يسوغ ان يقدر ان اتاكم عذابه فاخبروني
ماذا يستعجل منه المجرمون وقال الزمخشري ايضا ويجوز ان يكون ماذا
يستعجل منه المجرمون استئنافا به جوابا للشرط وماذا يستعجل منه المجرمون
اعتراضا والمعنى ان اتاكم عذابه استئنافا به فلا يصح لان جواب الشرط
اذا كان استفهاما فلا بد فيه من الفا نحو ان زارنا فلان فاي رجل هو
وان زارنا فلان فاي بدله بذلك ولا يجوز حذفها الا ان كان في ضروره
والمثال الذي ذكره وهو ان اتتك ما قطعني فهو من تمثيله لا من كلام
العرب واما قوله ثم تتعلق الجمله بارايتم اعني بالجمله ماذا يستعجل
فلا يصح ذلك لانه قد جعلها جوابا للشرط وان عنى بالجمله جمله الشرط
فقد فسد هو ارايتم بمعنى اخبروني واخبرني يطلب متعلقا منفولا
ولا يقع جمله الشرط موقع مفعول اخبرني واما تجويزه ان يكون اثم اذا
ما وقع امتنع به جوابا للشرط وماذا يستعجل منه المجرمون اعتراضا
فلا يصح ايضا لما ذكرناه من ان جمله الاستفهام لا يقع جوابا للشرط
الا ومعها فا الجواب وايضا فثم هنا هي حرف عطف تعطف الجمله التي
بعدها على التي قبلها فالجمله الاستفهامية معطوفه واذا كانت معطوفه
لم يصح ان يقع جواب الشرط وايضا فارايتم بمعنى اخبروني يحتاج الى
مفعول ولا يقع جمله الشرط موقعه وكون ارايتم بمعنى اخبروني
هو الظاهر المشهور وقال الكوفي الرويه من رويه القلب التي بمعنى العلم
لانها داخله على الجمله من الاستفهام التي معناها التقرير وجواب
الشرط محذوف وتقدير الكلام ارايتم ما يستعجل من العذاب المجرمون
ان اتاكم عذابه انتهى فهذا ظاهر في ان ارايتم غير متضمنه معنى الاخبار
وان الجمله الاستفهامية سدت مسد المفعولين ولكن المشهور الاول
قوله ماذا يستعجل قد تقدم الكلام على هذه الكلمه ومذاهب
الناس فيها وجوز بعضهم هنا ان يكون ما مبتدا وذا خبره وهو موصول
بمعنى الذي ويستعجل صلته وعائده محذوف تقديره اي شئ الذي يستعجله
منه اي من العذاب او من الله تعالى وجوز مكي وغيره ان يكون ما ذا كله
مبتدا اي بجعل الاسمين بمنزلة اسم واحد والجمله بعده خبره قال ابو علي
وهو ضعيف لخلو الجمله من ضمير يعود على المبتدا وقد اجاب ابو البقا
عن هذا بان الهاء في منه تعود على المبتدا كقولك زيد اخذت منه درهما

قال

١٢٠

قال شهاب الدين ومثل ابي علي لا يخفى عليه مثل ذلك الا انه لا يرى عود
الهاء على الموصول لان الظاهر عودها على العذاب قال ابو حيان والاولى
والظاهر عود منه على العذاب وبه يحصل الرابط بجملة الاستفهام مفعوله
ارايتم المحذوف الذي هو مبتدا في الاصل وقال مكي ان شئت جعلت ما
وذا بمنزلة اسم واحد في موضع رفع بالابتدا والجمله التي بعده الخبر
والهاء في منه تعود ايضا على العذاب قال شهاب الدين فقد ترك
المبتدا بلا رابط لفظي حيث جعل الهاء عائده على غير المبتدا فيكون
العايد عنده محذوفا والكنه قال بعد ذلك فان جعلت الهاء في منه تعود
على الله جل ذكره وماذا اسما واحدا كانت ما في موضع نصب
بيستعجل المجرمون من الله فقوله هذا يوذن بان الضمير لما عاد على
غير المبتدا جعله مفعولا لما تقدم وهذا الوجه بعينه جايز فيما اذا
اذا جعل الضمير عايدا على العذاب ووجه الرفع على الابتدا جايز فيما اذا
اذا جعل الضمير عايدا على الله تعالى اذ العايد الرابط مقدر كما تقدم
التنبيه عليه فصل حاصل الجواب ان يقال لا وليك الكفار
الذين يطلبون نزول العذاب ان حصل هذا المطلوب ما الفايده لكم
فيه فان قلتم نؤمن عنده فذلك باطل لان الايمان في ذلك الوقت
لا يفيد نفعا البته لانه ايمان في وقت الجاء النفس فثبت ان الذي
يغلبونه او اياكم لم يحصل الا العذاب في الدنيا ثم يحصل عقيبه يوم
القيامة عذاب اخر اشد منه ثم بتقدير ذلك العذاب بكلام يدل
على الاهانة وهو قوله هل تجزون الا بما كنتم تكسبون فالحاصل ان
هذا الذي يطلبونه محض الضرر العاري عن جهات النفع والعاقل
لا يفعل ذلك وقوله بيانا اي ليلا يقال اتيت ليلتي افعل كذا الا ان
الظاهر ان الانسان يكون في البيت بالليل فجعل هذا اللفظ كناية
عن الليل والبيات مصدر مثل التبيين كالوداع والسراح ويقال
في النهار ظللت افعل كذا الا ان الظاهر ان الانسان يكون في النهار
في الظل وانتصب بيانا على الظرف اي وقت بيات قوله ام
قد تقدم خلاف الزمخشري للجمهور في ذلك حيث يقدر جمله بين همزه
الاستفهام وحرف العطف وهم حرف عطف واعلم ان دخول حرف الاستفهام
على ثم كدخوله على الواو والفا في قوله اوامن اهل القرى افامن اهل
القرى وهو يفيد التقريع والتوبيخ وقال الطيبي ام هذه بضم الشا
للبيت التي بمعنى العطف والمعنى بمعنى همزة الانكار وهذا لا يوافق عليه لان هذا المعنى

الضمير في منه

الى اي شئ يستعجل

لا يجوز في ثم بضم الثا الا انه قد قرأ طلحة بن مصرف انثم بفتح الثا وحينئذ يصح تفسيرها
بمعنى هنالك **قوله** الآن قد تقدم الكلام في الآن وقرأ الجمهور الآن بهمزة ٥
استفهام مدخلة على الان وقد تقدم مذاهب القراء في ذلك الان نصب بمضمر
تقديره الان امنتم ودل على هذا الفعل المقدر الفعل الذي تقدمه وهو قوله ٥
اذا ما وقع امنتم به ولا يجوز ان يعمل فيه امنتم الظاهر لان ما قبل الاستفهام
لا يعمل فيما بعده كما انما بعده لا يعمل فيما قبله لان له صدر الكلام وهذا
الفعل المقدر ومعموله على اضمار قوله اي قيل لهم اذ امنوا بعد وقوع الفعل
آمنتم الان به وقرأ عيسى وطلحة امنتم به الان فوصل الهمزة من غير استفهام
وعلى هذه القراءة فالآن منصوب باسم هذا الظاهر **فصل** قوله وقد
كنتم به تستعجلون يعني بكذبون لان استعجالهم كان على سبيل جهة التكذيب
والانكار فجعله من باب الكناية لانه دلالة على الشيء بلازمه نحو هو طويل
النجاة كنيت به عن طوله قامته لان طول نجاده لازم لطول قامته وهو باب
بليغ وقوله ثم قيل للذين ظلموا هذه الجملة على ذلك الفعل المقدر الناصب ٥
الآن وعلى قراءة طلحة هو استيناف اخبار عما يقال لهم يوم القيامة وذوقوا
وهل يجزون كله في محل نصب بالقول وقوله الا بما هو المفعول الثاني ليجزون
والاول قايم مقام الفاعل وهو استثنا مفرغ **فصل** دلت الاية على ان
الجزا موجب العمل اما عند الفلاسفة فلانه اثر العمل واما عند المعتزلة فلان ٥
العمل الصالح يوجب استحقاق الثواب على الله تعالى واما عند اهل السنة ٥
فلان ذلك الجزا حكم الوعد المحض قالت المعتزلة ودلت الاية على كون العبد
مكتسبا وعند اهل السنة معناه ان مجموع القدرة مع الداعية الحاصلة توجب
الفعل **قوله** تعالى ويستنبئونك احق هو الاية لما اخبر عن تعالى عن
الكفار بانهم يقولون متى هذا الوعد واجاب عنه بما تقدم حكى عنهم انهم رجعوا الى
الرسول مرة اخرى في هذه الواقعة وسالوه عن ذلك السؤال مرة اخرى وقالوا
احق هو واعلم انهم سالوا اولا عن زمان وقوعه وههنا سالوا عن تحققه في نفسه
ولهذا اختلف جوابهما فاجاب عن الاول وهو السؤال عن الزمان بقوله ولكل
امة اجل واجاب عن الثاني بتحققه بالقسم بقوله اي وربي انه لحق وقابيدته
ان تستقبلهم وتتكلم معهم بالكلام المعتاد ولان الظاهر ان من اخبر عن شيء واكده ٥
بالقسم فقد اخرجه عن الهزل الى الجد واجاب عن الثاني بتحققه وايضا
فان الناس طبقات فمنهم من لا يقر بشيء الا بالبرهان الحقيقي ومنهم من يقنع بالاقناع
بالاشيا الاقناعية نحو القسم **قوله** احق هو يجوز ان تكون حق مبتدا وهو
مرفوعا بالجار عليه سد مسد الخبر وحق وان كان في الاصل مصدرا البس باسم ٥

فاعل

ولا مفعول لكنه في قوة ما ثبت فلذلك رفع الظاهر ولك ان يكون احق خبرا
مقدما وهو مبتدا مؤخرا واختلف في يستنبئونك هذه هل هي متعدية الى واحد
او الى اثنين او الى ثلاثة فقال الزمخشري يستنبئونك فيقولون احق هو فظاهر
هذه العبارة انها متعدية لواحد وان الجملة الاستفهامية في محل نصب بذلك ٥
القول المضمر المعطوف على يستنبئونك وكذا فهم عنه ابو حيان اعني تعديها لواحد
وقال مكي احق هو ابتدا وخبر في موضع المفعول الثاني اذا جعلت يستنبئونك
بمعنى يستخبرونك فاما اجعلت يستنبئونك بمعنى يستعلمونك كان احق هو ابتدا
وخبر في موضع المفعولين لان انبا اذا كان بمعنى اعلم كان متعديا الى ثلاثة ٥
مفعولين يجوز الاكتفا بواحد ولا يجوز الاكتفا باثنين دون الثالث واذا كان
انبا بمعنى اخبر تعدت الى مفعولين لا يجوز الاكتفا بواحد دون الثاني ٥
وانبا وانبا في التعدية سوا وقال ابن عطية معناه ويستخبرونك وهو
على هذا يتعدى الى مفعولين احدهما الكاف والاخر في الابتدا والخبر ٥
ثم قال ولا يجوز ان يكون يستنبئونك معلقة بالاستفهام وافضل استفهما
ان يتعدى الى مفعولين احدهما بعن نحو قوله استفهمت زيدا عن عمرو اني طلبت
منه ان يبين لي عن عمرو ثم قال والظاهر انها تحتاج الى ثلاثة مفعولين ٥
احدهما الكاف والابتدا والخبر سد مسد المفعولين قال ابو حيان وليس كما
ذكر لان استعلم لا يحفظ كونها متعدية الى مفاعيل ثلاثة لا يحفظ استعلمت
زيدا عمرا قايما بكون جملة الاستفهام سد مسد المفعولين ولا يلزم من ٥
كونها بمعنى يستعلمونك ان يتعدى الى ثلاثة لان استعلم لا يتعدى الى ثلاثة
كما ذكرنا وقد سبق ابن عطية الى هذا مكي كما تقدم عنه والظاهر جوازه ذلك
ويكون التعدي الى ثالث قد حصل بالسين لانهم نصوا على ان السين تعدي
فتكون الاصل علم بزيد عمرا قايما ثم تقول استعلمت زيدا امرا قايما الا
ان النحويين نصوا على انه لا يتعدى الى ثلاثة الا علم ورأى المفعولين
بخصوصية همزة التعدي الى ثالث وانبا ونبا واخبر وخبر وحدث ٥
وقرأ الاعمش الحق بلام التعريف قال الزمخشري وهو داخل في الاستهزا ٥
لتضمنه معنى التعريض بانه باطل وذلك لان اللام للجنس فكانه قيل امو الحق
لا الباطل او هو الذي سميتموه الحق والضمير في هو عايد اما على العذاب
او على الشرع او على القران او الوعيد او امر الساعة **قوله** اي وربي
اي حرف جواب بمعنى نعم ولكنها تختص بالقسم اي لا تستعمل الا في القسم ٥
خلافا لمن قال الزمخشري وابي بمعنى نعم في القسم خاصة كما كان هل بمعنى قد في
الاستفهام خاصة وسمعهم يقولون في التصديق ايو فيصلونه بواو القسم ولا

ينطقون به وحده قال ابو حيان لا حجة فيما سمعه لعدم الحجة في كلام من سمعه ه
لفساد كلامه وكلام من قبله بان زمانا كثيرة وقال بن عطية بل لفظة تتقدره
القسم بمعنى نعم ونحن نعدها حرف القسم وقد لا يجي نقول اي وربي اي ربي ه
قوله وما انتم بمعجزين يجوز ان يكون الخبر به وان تكون التميمة
لحقا النصب او الرفع في الخبر وهذا عند عيو الفارسي واتباعه اعني جواز زيادة
الباء في خبر التميمة وهذه الجملة تحتمل وجهين احدهما ان تكون معطوفة
على جواب القسم فتكون قد اجاب القسم بجملتين احديهما مثبتة موكدة بان
واللام والاخرى منفية موكدة بزيادة الباء والثاني انها مستانفة ه
سيقت للاخبار بعجزهم عن التعجيز ومعجز من اعجز فهو متعد لواحد كقوله تعالى
ولن نعجزه هربا فالمفعول هنا محذوف اي بمعجزين الله وقال الزجاج ه
اي ما انتم ممن يعجز من يعذبكم ويجوز ان يكون استعمل استعمال اللازم ه
لانه قد كثر فيه حذف المفعول حتى قالت العرب اعجز فلان اذا ذهب في الارض
فلم يقدر عليه قال بعض المفسرين المعنى ما انتم بمعجزين اي بفائتين من
العذاب لان من عجز عن شي فقد فاته قوله تعالى ولو ان لكل نفس
ظلمت ما في الارض الاية ظلمت اي اشركت ما في الارض لافتدت به الاان
ذلك متعذر ولان في القيامة لا يملك شيا لقوله تعالى وكلهم اتيه يوم ه
القيامة فردا وبتقدير ان يملك خزاين الارض لا يقبل منه الفداء لقوله ه
تعالى ولا يوخذ منها عدل وقوله ظلمت في محل جر صفة لنفس اي لكل نفس ظالمة
وما في الارض اسم ان ولكل هو الخبر قوله لافتدت به الاان ذلك ه
متعذر لانه في القيامة لا يملك شيا لقوله تعالى افتدي يجوز ان يكون متعديا
وان يكون قاصرا فان كان متعديا كان قاصرا التقول فديته فافتدى
ويكون المعنى بمعنى فدي فيتعدى لواحد والفعل هنا يحتمل الوجهين فان جعلنا
متعديا فمفعوله محذوف تقديره لافتدت به نفسها وهو في المجاز كقوله ه
كل نفس تجادل عن نفسها قوله واسروا قيل اسر من الاضداد يستعمل
بمعنى اظهر كقول العوردق ه

ولما راي الحجاج اظهر سيفه ه اسر الحروري الذي كان اظهرا ه

وقول الاخر فاسررت الندامة يوم ناد ه برد حمال عاصره المنادي ه

ويستعمل بمعنى اخفى وهو المشهور في اللغة كقوله يعلم ما يسرون وما يعلنون
وهو في الاية يحتمل الوجهين وقيل انه ماض على بابه قد وقع وقيل بمعنى
المستقبل لانها لما كانت واجبة الوقوع جعل مستقبلها كالماضي وقد انعد بعضهم
فقال اسروا الندامة اي بدت بالندامة اسرة وجوههم اي بكاسير جبابهم

قوله

قوله لما راوا يجوز ان يكون حرفا وجوابها المحذوف لدلالة ما تقدم عليه ه
او هو المتقدم وعند من يري تقديم جواب الشرط حينيذ او يجوز ان يكون بمعنى
حين والناصب لها اسروا فصل اذا فسرنا الاسرار بالاخفاء ففيه
وجوه الاول انهم لما راوا العذاب الشديد صاروا مبهوتين لم يطيقوا الكلام ه
ولا صراخا سوي اصرارا لندامة كمن يذهب به ليصلب فانه يبقى مبهوتا ه
لا ينطق بكلمة الثاني انهم اسروا الندامة من سفلتهم واتباعهم حياء منهم وخوفا
من توبيخهم فان قيل مهابة ذلك الموقف يمنع الانسان من هذا التدبير ه
فكيف اقدموا عليه فالجواب ان هذا الكتمان قبل الاحتراق فاذا احترقوا
تركوا هذا الاخفاء واظهروه لقوله تعالى ربنا غلبت علينا شقوتنا الثالث
انهم اسروا الندامة لانهم اخلصوا لله في تلك الندامة ومن اخلص في الدعاء
اظهره وفيه تهكم بهم وباخلاصهم اي انهم انما تابوا بهذا الاخلاص في غير وقته
ومن فسر الاسرار بالاظهار فانهم انما اخفوا الندامة على الكفر والفسق في الدنيا
لاجل خطر الرياسة وفي القيامة يبطل هذا الغرض فوجب هذا الاظهار ه
قوله وقضي يجوز ان يكون مستانفا وهو الظاهر ويجوز ان يكون معطوفا ه
على راوا فيكون داخلا في خبر لما والضمير في بينهم يعود على كل نفس في المعنى
وقال الزمخشري بين الظالمين والمظلومين ودل على ذلك ذكر الظلم وقيل
يعود على الرؤساء والاتباع قوله بالقسط يجوز ان تكون الباء ه
للمصاحبة وان تكون للالة وقوله والية ترجعون تقدم الخلاف للاختصاص
اي الية لا الى غيره ترجعون ولاجل ابقاء اصل وقرا العامة يرجعون ه
بالخطاب وقرا الحسن وعيسى بن عمر يرجعون بيا الغيبة قوله تعالى
الا ان لله ما في السموات والارض الاية قيل تعلق هذه الاية بما قبلها هو
انه تعالى لما قال ولو ان لكل نفس ظلمت ما في الارض لافتدت به قال ههنا
ليس للظالم شي يفتدي به فان الاشياء كلها ملك لله وقيل انه تعالى لما قال
وبشتنبونك احق هو قال له قل اي وربي وانه لحق اتبعه بهذا اليمين ان
القاطع على اثبات الاله القادر الحكيم وهو قوله الا ان لله ما في السموات
والارض الاية فدل على ان كل ما سواه ملكه وملكه ولم يذكر الدليل
على ذلك لانه استقصى تقريره في اول السورة في قوله ان في اختلاف الليل
والنهار الاية وقوله هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا فاكتفى بذكره
هناك واذا كان الامر كذلك كان قادرا على كل الممكنات عالما بكل المعلومات
غنيا عن جميع الحاجات فيكون قادرا على صحة المعاد وعلى ازالة العذاب على الكفار
في الدنيا والاخرة وعلى ايصال الرحمة للاولياء في الدنيا والاخرة ويكون

قادرا على تاييد رسوله بالدلالة القاطعة والمعجزات الباهرة وكان كلما
وعد به فهو حق لابد وان يقع وانه منزه عن الخلف في وعده فلما اخبر عن نزول
العذاب بهؤلاء الكفار وبحصول الحشر والنشر وجب القطع بوقوعه فثبت
بهذا البيان ان قوله الا ان لله ما في السموات والارض يوجب الجزم بصحة قوله
الا ان وعد الله حق ثم قال ولكن اكثرهم لا يعلمون اي غافلون عن هذه ٥
الدلايل ثم اكد هذا الدليل بقوله هو يحيي ويميت واليه ترجعون ٥
اي انه لما قدر على الامانة والاحياء فاذا اماته وجب ان يبقى قادرا
على احيايه ثانيا فظهر امره لنبيه بان يقول اي وربي انه لحق قوله
تعالى يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة الاية اعلم انه تعالى لما بين ان
الرسول لحق وصدق بظهور المعجزات على يديه في قوله وما كان هذا
القران ان يفترى من دون الله الى قوله ان كنتم صادقين وصف القران
ههنا بصفات اربع اولها كونه موعظة وثانيها كونه شفاء لما في الصدور
وثالثها كونه هدى ورابعها كونه رحمة للعالمين قوله من ربكم
يجوز ان تكون من لابتداء الغاية فتتعلق حينئذ بجاءتكم وابتداء الغاية ٥
مجاز ويجوز ان تكون للتبعيض فتتعلق بمحذوف على انها صفة لموعظة ٥
اي موعظة كائنة من مواعظ ربكم وقوله موعظة من ربكم وشفاء ورحمة من
باب ما عطف فيه الصفات بعضها على بعض اي قد جاءتكم موعظة جامعة
لهذه الاشياء كلها وشفاء لما في الصدور في الاصل مصدر جعل وصفا ٥
مبالغة او بمواسم لما يشفي به اي يداوي فهو كالدواء والمايداوي به ولما في
الصدور يجوز ان يكون صفة لما لشفاء فيتعلق بمحذوف وان تكون اللام
زايده في المفعول لان العامل فرع اذا قلنا بانه مصدر وقوله للمومنين ٥
محتمل لهذين الوجهين وهو من التنازع لان كلا من الهدى والرحمة يطلبه فصل
اما كون القران موعظة فلاشتماله على المواعظ والقصص وكونه شفاء اي دواء
لعلل ما في الصدور اي شفاء لعمى القلوب والصدر موضع القلب وهو اعز موضع
في الانسان لجوار القلب قال تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب
التي في الصدور وكونه هدى اي من الضلالة ورحمة للمومنين والرحمة هي
النعمة على المحتاج فانه لو اهدي ملك الى ملك شيا فانه لا يقال رحمة وان
كان ذلك نعمة فانه لم يضعها في المحتاج قوله قل بفضل الله وبرحمته ٥
في تعلق هذا الجار وجه احدها ان بفضل وبرحمته متعلق بمحذوف تقديره
بفضل الله وبرحمته ليفرحوا فبذلك فليفرحوا فحذفت الفعل الاول لدلالة
الثاني عليه فهما جملتان ويدل على ذلك قول الزمخشري اصل الكلام بفضل الله

وبرحمته

وهدى ج

وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا فبذلك فليفرحوا والتكرير للتوكيد ٥
والتقرير والايجاب لاختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من
فوايد الدنيا فحذف احد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة لمعنى
الشرط كانه قيل ان فرحوا بشي فليخصوهما بالفرح فانه لا مفروح به احق
منهما الثاني ان الجار الاول متعلق ايضا بمحذوف دل عليه السياق ٥
والمعنى لا تنفس الفعل الملفوظ به والتقدير بفضل الله وبرحمته فليعتنوا
فبذلك فليفرحوا قاله الزمخشري الثالث ان يتعلق الجار الاول بجاءتكم
قال الزمخشري ويجوز ان يراد قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك
فليفرحوا اي فبمجيئهما فليفرحوا قال ابو حيان اما اصمار فلا يعتنى به ولا
دليل عليه قال شهاب الدين الدليل عليه من السياق واضح وليس شرط
الدلالة ان يكون لفظيا وقال ابو حيان واما تعلقه بقوله قد جاءتكم ٥
فينبغي ان يقدر بعد وفا بعد قل ولا يكون متعلقا بجاءتكم الاولى ٥
للفصل بينهما بقل وهذا ابعاد واضح ويجوز ان يكون بفضل الله صفة
لموعظة اي موعظة مصاحبة او ملتبسة بفضل الله الرابع قاله الحوفي
الباء متعلقة بما دل عليه المعنى اي قد جاءتكم الموعظة بفضل الله ٥
الخامس ان الفا الاولى زايده وان قوله بذلك بدل مما قبله وهو
بفضل الله وبرحمته وانما شير بذلك الى اشيين كقوله لا فارض ولا بكر
عوان بين ذلك وقوله ٥

٥ ان للخبر وللشرمدري ٥ وكلا ذلك وجه وقبل ٥

ومن هاتين الفائتين اوجه احدها ان الاولى زايده وقد تقدم في الوجه
الخامس الثاني ان الفا الثانية مكررة للتوكيد فعلى هذا لا تكون الا
زايده ويكون اصل التركيب فبذلك ليفرحوا على القول الاول قبله
يكون اصل التركيب بذلك فاليفرحوا بنيا الغيبة وقرا عثمان بن عفان
وابي وانس والحسن وابو رجا وابن هرمز وابن سيرين بتا الخطاب
وهي قراة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الزمخشري وهو الاصل ٥
والقياس وقال ابو حيان انها لغة قليلة يعني ان القياس ان يومر المخاطب
بصيغة افعل وبعد اقرا ابي فافرحوا وهي في مصحفه كذلك وهذه قاعدة
كلية وهي ان الامر باللام تكثر في الغايب والمخاطب المبني للمفعول
مثال الاول ليقم زيد وكالاية الكريمة في قراة الجمهور ومثاله الثاني
لتعن بحاجتي ولتصرف بازيد فان كان مبنيا للفاعل كان قليلا ٥
كقراة عثمان ومن معه وفي الحديث لتاخذوا مصافكم بل الكثير في هذا

ولي
الفا التي قال ابو حيان انها لغة قليلة يعني ان القياس ان يومر المخاطب بصيغة افعل وبعد اقرا ابي فافرحوا وهي في مصحفه كذلك وهذه قاعدة كلية وهي ان الامر باللام تكثر في الغايب والمخاطب المبني للمفعول مثال الاول ليقم زيد وكالاية الكريمة في قراة الجمهور ومثاله الثاني لتعن بحاجتي ولتصرف بازيد فان كان مبنيا للفاعل كان قليلا ٥ كقراة عثمان ومن معه وفي الحديث لتاخذوا مصافكم بل الكثير في هذا فليفرحوا فبذلك فليفرحوا والكثير هنا فليفرحوا

الاصل

النوع الامر بصيغة افعل نحو فمروهم وقوموا ولذلك يضعف الامر باللام للمتكلم وحده او ومعه غيره فالاول نحو لاعبد قمرنا من فضلك بالقيام ومنه قوله عليه السلام قوموا فلاصل لكم ومثال الثاني لنقم اي فالمخبر نحن وكذلك النهي ومنه قوله

الشاعر

اذا ما خرجنا من دمشق فلا نعد ... بها ابدا ما دام فيها الجراضم

ونقل بن عطية عن بن عامر انه قرا فالتفرحوا خطابا وهذه ليست مشهورة عنه وقرا الحسن وابو السماح فليفرحوا بكسر لام الامر وهو الاصل لانه هو حيث ما يجمعون هو عائد على الفضل والرحمة وان كانا شيئين لانهما بمعنى شيء واحد وعبر عنه بلفظين على سبيل التاكيد ولذلك اشير اليهما باشارة الواحد وقرا ابن عامر يجمعون بتاء الخطاب وهو محتمل وجهين احدهما ان يكون من باب الالتفات فيكون في المعنى كقراءة الجماعة فان الضمير يراد به من يراد بالضمير في قوله فليفرحوا والثاني انه خطاب لقوله يا ايها الناس قد جاءتكم وهذه القراءة تناسب قراءة الخطاب في قوله فالتفرحوا كما نقلها بن عطية عنه ايضا

فصل قال مجاهد وقتادة هو فضل الله الايمان ورحمته القران وقال ابو سعيد الخدري فضل الله القران ورحمته ان جعلنا من اهله وقال بن عمرو فضل الله الاسلام ورحمته تزيينه في القلب وقال خالد بن معدان فضل الله الاسلام ورحمته السنن وقيل فضل الله الايمان ورحمته الجنة فبذلك فليفرحوا اي ليفرح المومنون ان جعلهم من اهله هو خير مما يجمعون بجمعه الكفار من الاموال لان الاخرة خير وابقى وما كان عند الله هو اولى بالطلب

قوله تعالى قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق الاية قال بن الخطيب ذكر الناس في تعلق هذه الاية بما قبلها وجوها ولا استحسن واحدا منها والذي يخطر بالبال وجهان الاول ان المقصود من هذا الكلام ذكر هذا طريق ثالث في اثبات النبوة وذلك انه عليه السلام قال للقوم انكم تحكمون بحل بعض الاشياء وحرمة بعضها بهذا الحكم بقولون انه افتراء على الله ام يقولون انه حكم حكم الله به فالاول باطل بالاتفاق فلم يبق الا الثاني ومن المعلوم انه تعالى ما خاطبكم به من غير واسطة ولما بطل هذا ثبت ان هذه الاحكام انما وصلت اليكم وبني به الله اليكم وذلك يدل على اعترافكم بصحة النبوة الوجه الثاني انه عليه السلام لما ذكر الدلايل الكثيرة على صحة نبوته نفسه وبين فساد سوء الائهم وشبهاتهم في انكارها اتبع ذلك ببيان فساد طريقتهم في شرايعهم واحكامهم وبين التمييز بين هذه الاشياء بالحل والحرمة مع انه

لم يشهد بذلك لا عقل ولا نقل فدل على انه طريق باطل وانهم ليسوا على شيء

قوله ارايتم هذه بمعنى اخبروني وقوله ما انزل يجوز ان يكون ما موصولة بمعنى الذي والعائد محذوف اي ما انزله وهي في محل نصب مفعولا اول والثاني هو الجملة من قوله ما انزل الله اذن لكم والعائد من هذه الجملة على المفعول الاول محذوف تقديره الله اذن لكم واعترض على هذا بان قوله قل يمنع من وقوع الجملة بعده مفعولا ثانيا واجيب عنه بانه تكرر توكيدا ويجوز ان يكون ما استفهامية منصوبة المحل بانزل وهي حينئذ معلقة لارايتم والى هذا ذهب الحوفي والزمخشري ويجوز ان يكون ما الاستفهامية في محل رفع بالابتداء والجملة من قوله الله اذن لكم خبره والعائد محذوف كما تقدم اي اذن لكم فيه وهذه الجملة الاستفهامية معلقة لارايتم والظاهر من هذه الاوجه هو الاول لان فيه ابقاء ارايت على بابها من تعديها الى اثنين وانها موثرة في اولهما بخلاف جعل ما استفهامية فانها معلقة لارايت وسادة مسد المفعولين

قوله من رزق يجوز ان يكون حالا من الموصول وان يكون من للبيان الجنس وانزل عليها وعلى حذف مضاف اي انزله من سبب رزق وهو المطر وقيل يجوز بالانزال عن الخلق كقوله وانزلنا الحديد فيه وانزل لكم من الانعام

قوله ام على الله تفترون في امر هذه وجهان احدهما انها متصلة عاطفة تقدير اخبروني الله اذن لكم في التحليل والتحريم وانكم تفعلون ذلك باذنه ام تكذبون على الله في نسبة ذلك اليه والثاني ان تكون منقطعة قاله الزمخشري ويجوز ان تكون الهمزة للانكار وام منقطعة بمعنى بل اتفترون على الله تقريرا للافتراء والظاهر هو الاول اذ المعادله بين هاتين الجملتين اللتين بمعنى المفردين واضحة اذ التقدير اي الامرين واقع اذن الله لكم في ذلك ام افتراؤكم عليه

فصل المراد بالشيء الذي جعلوه حراما ما ذكروه من تحريم السائبة والوصيلة والحام وقولهم هذه انعام وحرث حجر وجعلوا الله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا وقولهم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ويحرم على ازواجنا وقولهم ثمانية ازواج من الضان اثنين ويدل على ذلك ان قوله جعلتم منه حراما وحلالا اشارة الى امر تقدم منهم ولم يحك الله تعالى عنهم الا هذا فوجب توجيه الكلام اليه لما حكى تعالى ذلك عنهم قال لرسوله قل لهم الله اذن لكم ام على الله تفترون ويلزمه قسمة صحيحة لان هذه الاحكام اما ان تكون من الله تعالى او لم تكن فان كانت

من الله فهو المراد بقوله الله اذن الكرم وان كانت ليست من الله فهو المراد بقوله او على الله
تفترون قوله وما ظن الذين يفترون ما مبتدأ استفهامية وظن خبره
ويوم منصوب بفعل الظن او المصدر مضاف لفاعله ومفعولا الظن محذوفان ه
واي شيء المعنى واي شيء يظن الذين يفترون يوم القيامة اي فاعل بهم اذا جمعهم
من العذاب اذا انتقم منهم وفضل المحسنين الله لا بواخذتهم به ولا يعاقبهم عليه ه
فالمراد تعظيم وعيد من يفتري وفخر اعلى من عمرو وما ظن الذين يفترون
جعله فعلا ماضيا والموصول فاعله وما على هذا الوجه استفهامية ه
ايضا في محل نصب على المصدر وقد مر لان الاستفهام له صدر الكلام
والتقدير اي ظن ظن المفترون وما الاستفهامية قد تنوب عن المصدر
ومنه قول الشاعر ه

ماذا يعير ابني ربيع عويلهما ... لا برقدان ولا يوسي بن رقاد

وتقول ما يضرب زيد بن يضربه قال الزمخشري اي اتى به فعلا
ماضيا لانه واقع لا محالة فكان قد وقع وانقضى وعند الاستقبال لانه
لانه صار نصا في الاستقبال لدخوله في الظرف المستقبل وهو يوم القيامة
وان كان بلفظ الماضي ثم قال ان الله لذو فضل على الناس ما اعطاهم العقل
وارسال الرسل ولكن اكثر الناس لا يشكرون لا يستعملون العقل في تامل
دلايل الله ولا يقبلون دعوة انبيا الله ولا ينتفعون باستماع كلام الله
قوله تعالى وما تكون في شان الاية لما توعدوا بالآيل على شهادة
من امن الكفار وامر الرسول بالجواب عن شبههم وتحمل اذاهم والوقوف
ذكر هذا الكلام ليحصل به تمام السير وزاد المطيعين وتمام الخوف للمذنبين
وهو كونه تعالى عالما بعمل كل واحد وما في قلبه من الدواعي والصوارف
قوله وما تكون في شان وما تتلوا امانية في الموضعين ملذكر
عطف باعادة لا النافية واوجب بالا بعد الافعال لكونها منفية وفي شان
خبر تكون والضمير في منه عايد على شان ومن قران تفسير للضمير
وخص من العموم لان القران هو اعظم شؤونه صلى الله عليه وسلم ه
وقيل يعود على التنزيل والتقدير وما تتلوا من القران من قران وفسر
بالقران لان في كل جزء منه قران وانما اضمر قبل الذكر تعظيما له وقيل يعود
على الله اي وما تتلوا من عند الله من قران وقال ابو البقا من الشان اي
من اجله ومن قران مفعول تتلوا ومن زايدة يعني انها زيدت في المفعول
به ومن الاولى والثانية جارة للمفعول من اجله تقديره وما تتلوا من اجل
الشان قران او زيدت لان الكلام غير موجب والمجرور ونكره وقال مكي منه انها

عند

عند الفرا تعود على الشان على تقدير حذف مضاف تقديره وما تتلوا من
اجل الشان اي بحدث لكن شان فتتلوا القران من اجله والشان مصدره
شان يشان شانه اي قصد يقصد قصده واصله الهمز ويجوز تخفيفه
والشان ايضا الامر ويجمع على شؤون والشان الحال تقول العرب ما شان
فلان اي ما حاله قال الاخفش وتقول العرب ما شانت شانه اي ما علمت
علمه قال ابن عباس وما تكون يا محمد في شان اي من اعمال البر وقال الحسن
في شان من شان الدنيا قوله ولا تعملون من عمل وهذا خطاب
للنبي وامته وخص النبي عليه السلام بالخطاب اولا ثم عم الخطاب مع
الكل لان تخصيصه وان كان في الظاهر مختصا بالرسول الا ان الامة ه
داخلون فيه لان رييس القوم اذا خوطب دخل قومه في ذلك الخطاب
كقوله يا ايها النبي اذا طلقتم قوله الا كنا مذه الجملة حالية
وهو استثنا منقرع وولي هنا الا الفعل الماضي دون قد لانه قد تقدمها
فعل وهو مجوز لذلك وقوله اذ هذا الظرف معمول لشهودا ولما كانت
الافعال السابقة المراد بها الحالة الدايمة وتنسحب على الافعال ه
الماضية كان الظرف ماضيا وكان المعنى وما كنت وما تلوت ولا ه
عملتم الا كنا عليكم شهودا اذ افضتم فيه واذ تختص المضارع لمعنى ه
الماضي ومعنى تفيضون اي اذ تدخلون وتخوضون فيه والافاضة
الدخول في العمل يقال افاض القوم في الحديث اذا اندفعوا فيه وقد
افاضوا من عرفة اذا دفعوا منها بكثرتهم فان قيل اذ ههنا بمعنى حين
فيصير التقدير لا كنا عليكم شهودا حين تفيضون فيه وشهادة الله ه
تعالى عبارة عن علمه فيلزم منه انه تعالى ما علم الاشيا الا عند وجودها
وذلك باطل فالجواب ان هذا السؤال بنا على ان شهادة الله عبارة
عن علمه وهذا ممنوع فان الشهادة لا تكون الا عند وجود المشهود عليه
اما العلم فلا يمتنع تقدمه عليه ويدل على ذلك ان الرسول لو اخبرنا
عن زيد انه يأكل غدا كنا من قبل حصول تلك الحالة عالمين بها ولا ه
توصيف بكونها شاهدين بها قوله وما يعزب عن ربك قرا
الكسايي بضم الزاي وفي سبا يعزب بكسر الزاي والباقون بضمهما وهما
لغتان في مضارع عزب يقال عزب يعزب ويعزب اي غاب حتى خفي
ومنه الروض العازب قال ابو تمام ،

وطفل باي من حراسان جاشها ه فقلت لطفي انظر الروض عازبه ،

وقيل للغايب عن اهله عازب حتى قالوا للمتزوج له عازب وقال الراغب

في عمله

العازب المتباعد في طلب الكلا ويقال رجل عزب وامراة عزبة وعزب عنه حمله اي عاب وفوم يتعزفون اي عزبت عنهم ابلهم وفي الحديث من قرا القران في اربعين يوما فقد عزب اي فقد بعد عهده بالحفظ وقال قرب منه الهروي قاله قال اي بعد عهده بما ابتدا منه وارتباطي تلاوته وفي حديث ام معبد والشاة عازب حيال قال العازب البعيد الذهاب في المرعى والحايل التي ضربها الفحل فلم تحمل الجذوبة السنة وفي الحديث ايضا اصبحنا بارض عزبية صحرا اي بعيدة المرعى ويقال للمال الغايب عازب وللحاضر عاهن والمعنى في الاية وما يبعد اي ما تخفي او ما يغيب عن ربك ومن مثقال فاعل ومن مزيدة فيه اي وما يبعد عنه من مثقال والمثقال هنا اسم لاصغه والمعنى به الوزن اي وزن ذرة ومثقال الشي ما يساويه في الثقل والمعنى ما يشاوي ذره والذر الصغار من النمل واحدتها ذره وبني تكون خفيفة الوزن جدا قان قيل لم قدم الله ذكر الارض بنا على ذكر السما وقال في سبا لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض فالجواب حق السما ان تقدم على الارض الا انه تعالي لما ذكر في هذه الاية شهادته على احوال اهل الارض والسما وانهما لهم وصل ذلك بقوله لا يعزب عنه ناسب ان يقدم الارض على السما في هذا الموضع قوله ولا اصغر من ذلك ولا اكبر قرا حمزه برفع را اصغر واكبر والباقون بفتحها فاما الفتح ففيه وجهان احدهما وعليه اكثر المغربين انه خبر وانما كان بالفتحة لانه لا ينصرف للوزن والكرف والوصف والحمل على عطفه على المجرور وهو اما مثقال او ذره واما الوجه الثاني فهو ان لا نافيه للجنس واصغر واكبر اسمها فهما مبنيان على الفتح واما الرفع فمن وجهين ايضا اشهرهما عند المغربين العطف على محل مثقال اذ هو مرفوع بالفاعلية ومن مزيده فيه كقولك ما قام من رجل ولا امراة بجر امراة ورفعها والثاني انه مبتدا قال الزمخشري والوجه النصب على نفي الجنس والرفع على الابتدا لئلا يكون كلاما بواسه وفي العطف على محل مثقال ذرة او على لفظ مثقال ذرة فتحا في موضع الجر لامتناع الصرف اشكال لان قولك لا يعزب عنه شي لا في كتاب مشكل لانه يلزم منه ان يكون ذلك الشي الذي في الكتاب خارجا عن علم الله ويصير التقدير الا في كتاب مبين فيعزب وهو باطل وهذان الوجهان اختيار الزجاج وقد يزول هذا الاشكال بما ذكره ابو البقا من ان يكون الا في كتاب استثنا منقطعا قاله الا في كتاب الا هو في كتاب والاستثنا منقطع وقال ابن الخطيب اجاب بعض المحققين من وجهين احدهما ان الاستثنا منقطع والاخر ان العزوب عبارة عن مطلق

البعد والمخلوقات قسمان قسم اوجده الله ابتدا من غير واسطة كالملكة والسموات والارض وقسم اوجده بواسطة القسم الاول مثل الحوادث الحادثة في عالم الكون والفساد وهذا قد يتباعد في سلسلة العلية والمعلولية عن مرتبة وجود واجب الوجود فالمعنى لا يبعد من مرتبة وجوده مثقال ذرة في الارض ولا في السما الا وهو في كتاب مبين كتبه الله واثبت فيه صور تلك المعلومات قال شهاب الدين فقد آل الامر الى انه جعله استثنا منقطعا وهو حال من اصغر واكبر وهو في قوة الاستثنا المتصل ولا يقال في هذا انه متصل ولا منقطع اذ المنقطع لا يقال فيه ذلك وقال الجرجاني الا بمعنى الواو والتقدير وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السما ولا اصغر من ذلك ولا اكبر وههنا تم الكلام وانقطع ثم ابتدا بقوله الا في كتاب مبين اي وهو في كتاب مبين والعرب تضع الا موضع واو النسق كقوله الا من ظلم الا الذين ظلموا منهم وهذا الذي قاله الجرجاني ضعيف جدا وقد تقدم الكلام في هذه المسئلة في البقرة وانه شي قاله الاخفش ولم يثبت ذلك بدليل صحيح وقال ابو شامه ويزيل الاشكال ان يقدر قبل قوله الا في كتاب مبين ليس شي من ذلك الا في كتاب وكذا يقدر في اية الانعام وكم يقدر في سبا الا بالرفع وهو يقوي قول من قال انه معطوف ويثبته ان مثقال فيها بالرفع اذ ليس قبله حرف جر وقد تقدم الكلام على نظير هذه المسئلة في سورة الانعام في قوله وما تسقط من ورقة الى قوله الا في كتاب مبين وان صاحب النظم الجرجاني احال الكلام فيها على الكلام في هذه السورة وان ابا البقا قال لو جعلناه كذا لفسد المعنى وتقدم بيان فساده والجواب عنه هناك فالتفت اليه قوله تعالى الا ان اولياء الله الاية اختلفوا فيمن يستحق هذا الاسم فقال بعضهم هم الذين ذكرهم الله تعالى بقوله الذين امنوا وكانوا يتقون وقال قوم هم المحابون في الله لما روي ابو مالك الاشعري قال لبث عند النبي صلى الله عليه وسلم قال ان لله عبادا ليسوا بانبيا ولا شهدا يغبطهم النبيون والشهدا بقربهم ومقعدهم من الله يوم القيامة قال وفي ناحية المسجد اعرابي قال فجثا على ركبتيه ورمى بيده ثم قال حدثنا يا رسول الله عنهم قال فرايت في وجه النبي صلى الله عليه وسلم البشر فقال هم عباد من الله عباد الله من بلدان شتى وقبايل شتى لم يكن بينهم ارحام يتواصلون بها ولا دنيا يتباذلونها يتحابون بروح الله جعل الله وجوههم نورا وجعل لهم منابر من لؤلؤ قدام الرحمن يفزع الناس ولا يفزعون

يقول

ويخاف الناس ولا يخافون قال ابو بكر الاصم اولياء الله هم الذين تولى الله صدابتهم
بالبرهان وتولوا القيام بحق معبودية الله والدعوة اليه واعلم ان تركيب الواو
واللام والياء يدل على معنى القرب فولي كل شيء هو الذي يكون قريبا منه ۵
والقرب من الله تعالى بالمكان والجهة محال فالقرب منه انما يكون اذا كان القلب
مستغرقا في بحر معرفة الله تعالى فان راي راي دلائل قدرة الله وان
سمع سمع ايات الله وان نطق نطق بالثناء على الله وان تحرك تحرك في خدمة
الله وان اجتهد اجتهد في طاعة الله فهناك يكون في غاية القرب من الله فحينئذ
يكون وليا قوله الذين امنوا في محله اوجه احدها انه مرفوع بالابتداء
خبر مبتدا مضمر اي هم الذين امنوا او خبر ثان لانا ومبتدا والخبر الجملة
من قوله لهم البشرى او نعتا على موضع اولياء لان موضعه رفع بالابتداء ۵
قيل دخول ان او بدل من الموضع ايضا ذكرهما مكي وهذان الوجهان على مذهب
الكوفيين لانهم يجرون التوابع كلها مجرى عطف البيان في النسق في اعتبار المحل وقيل
محله الجر بدلا من الها والميم في عليهم وقيل منصوب المحل نعتا لاوليا او بدلا
منه على اللفظ او على اضمار فعل لائق وهو امدح فقد تحصل فيه تسعة اوجه ۵
الرفع من خمسة والجر من وجه الجر واحد والنصب من ثلاثة واذا جعل الجملة
من قوله لهم البشرى جر الذين جاز فيها الاستيناف وان يكون خبرا ۵
ثانيا لان او ثالثا قوله لهم البشرى روي عن عبادة بن الصامت
قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى لهم البشرى في الحياة
الدنيا قال هي الرويا الصالحة يراها المسلم او ترى له وروي ابو هريرة
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لم يبق من النبوة الا المبشرات
قالوا وما المبشرات قال الرويا الصالحة وقال عليه السلام الرويا الصالحة
جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة وقيل البشرى في الدنيا هي الثناء ۵
الحسن وفي الاخرة الجنة لما روى ابو ذر قال قلت يا رسول الله الرجل
يعمل لنفسه ويحبه الناس قال تلك عاجل بشرى المومن وقال الزهري ۵
وقتادة هي نزول الملئكة بالبشارة من الله عند الموت قال تعالى تتنزل
عليهم الملئكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة وروي عطا نحوه ۵
عن ابن عباس وقال الحسن هي ما بشر الله المومنين في كتابه من جنته وكرم
ثوابه كقوله وبشر الذين امنوا وبشر المومنين وابشروا بالجنة وقيل
يبشرهم في الدنيا بالكتاب والرسول انهم اولياء الله ويبشرهم في القبور ۵
وفي كتب اعمالهم بالجنة قوله في الحياة الدنيا يجوز فيه وجهان الظاهر
انه متعلق بالبشرى اي البشرى تقع في الدنيا كما فسرت بالرويا الصالحة

والثاني

والثاني انها حال من البشرى فتتعلق بمحذوف والعامل في الحال الاستقرار الذي لهم لوقوعه
خبرا قوله لا تبديل لجملة مستانفة لقوله ولا يحزنك قوله وذلك اشارة
للبشرى وان كانت مونثة لانها في معنى التبشير وقال ابن عطية اشارة الى النعيم ۵
وقال الزمخشري هو اشارة الى قولهم كونهم مبشرين في الدارين قوله ولا
يحزنك قولهم وبهذا تم الكلام واعلم ان الله تعالى لما حكى عن الكفار شبهاتهم المتقدمة
واجاب عنها عدل الى طريق اخر وهو انهم هددوه وحزنوه بانهم اصحاب اموال
واتباع فنسعى في تهزك وفي اتباع ابطال امرك فاجاب تعالى عن هذا الطريق
بقوله ولا يحزنك قولهم ثم ابتدا فقال ان العزة لله جميعا العامة على كسر ان
استيناف او هو مستانف بالعلية وقيل هو جواب سوال مقدر كان قايلا قال لا يحزنه
قولهم وهو مما يحزنه فاجيب بقوله ان العزة لله جميعا ليس لهم منها شيء فكيف
يبالي بهم ويقوى هذا الوقف على قوله قولهم ينبغي ان يعتقد ويقصد ثم يبتدا ۵
بقوله ان العزة لله جميعا ليس لهم منها شيء فكيف يبالي بهم وان كان من المستحيل
ان يتوهم احد ان هذا من مقولهم الا من لا يعتبر بفهمه وقرا ابو حيوة ان العزة
بفتح ان وفيها تخريجان احدهما انها على حذف لام العلة اي لا يحزنك قولهم لاجل
ان العزة لله جميعا والثاني ان ما قبلها حبرها بدل من قولهم كانه قيل ولا يحزنك
ان العزة لله وكيف يظهر هذا التوجيه او يجوز القول به وكيف ينهى رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن ذلك في المعنى وهو لم يتعاط شيا من تلك الاسباب
وايضا من اي قبيل الابدال هذا قال الزمخشري ومن جعله بدلا من قولهم
ثم انكره فالمنكر هو تخريجه لا ما انكره من القراة به يعني ان انكاره للقراة ۵
منكر لان معناها صحيح على ما ذكر من التعليل وانما المنكر هذا التخريج ۵
وقد انكر جماعة هذه القراة ونسبوها للغلط ولاكثر منه قال القاضي
فتحها شاذ يقارب الكفر واذا كسرت كان استيناف وهذا يدل على
فضيلة علم الاعراب وقال ابن قتيبه لا يجوز فتح ان في هذا الموضع وهو كفر
وعلو قال ابو حيان وانما قالا ذلك بنا منهما على ان معمولة لقولهم قال
شهاب الدين كيف تكون معمولة لقولهم وهي واجبة الكسر بعد القول اذا
حكيت به كيف يتوهم ذلك وكما لا يتوهم هذا المعنى مع كسرها لا يتوهم ايضا
مع فتحها ما وارد له وجه صحيح وجميعا حال من العزة ويجوز ان يكون توكيدا
ولم يوث بالتاء لان فعيلا يستوي فيه المذكر والمونث لشبهه بالمصادر ۵
وقد تقدم تحريره في قوله ان رحمة الله قريب فصل قيل المعنى ان جميع
العزة والقدرة لله تعالى يعطي ما شاء لعباده والغرض منه انه لا يقطع ۵
الكفار قدرة عليه بل يعطيه القدر عليهم حتى يكون هو اعز منهم ونظيره كتب

الله لاغلبن انا ورسلي انا لننصر رسلنا قال الاصم المراد ان المشركين ه
يقودون بكثرة خدمهم واموالهم ويخوفونك بها وتلك الاشياء كلها لله تعالى ه
هو تعالى قادر على ان يسلب منهم كل تلك الاشياء وينصرك ويثبل اموالهم وديارهم
اليك فان قيل قوله ان العزة لله جميعا كالمضاد لقوله ولله العزة ولرسوله
وللمومنين فالجواب لا مضادة لان عزة الرسول والمومنين كلها لله فهي لله ه
هو السميع العليم بسمع ما يقولون ويعلم ما يضمرون فيجازيهم على ذلك والله اعلم

قوله تعالى الا ان لله من في السموات ومن في الارض الاية لما ذكر في الاية
المتقدمة الا ان لله ما في السموات والارض دل على ان كل ما لا يعقل فهو ملك لله تعالى
وملك له ومعنى اني بكلمة من وهي مختصة بالعقلاء فدل على ان كل العقلاء داخلون
تحت ملك الله وملكه فدل مجموع الايتين على ان الكل ملكه وملكه وعلله وقيل ه
المراد بمن في السموات العقلاء المميزون وهم الملائكة والثقلان وخصهم بالذكر ه
ليدل على ان مولاة اذا كانوا له وفي ملكه فالجمادات اولى بهذه العبودية فيكون
من باب التنبيه بالاعلى على الادنى ويجوز ان يراد العموم وغلب العاقل على
غيره **قوله** وما يتبع يجوز في ما هذه ان تكون نافية وهو الظاهر وشركاء ه
مفعول يتبع ومفعول يدعون محذوف لفهم المعنى والتقدير وما يتبع الذين ه
يدعون من دون الله الهة شركاء والهة مفعول يدعون وشركاء مفعول يتبع وهو
قول الزمخشري قال والمعنى وما يتبعون شركاء اي وما يتبعون لحقيقة الشركاء
وان كانوا يسمونها شركاء لان شركة الله في الربوبية محال ان يتبعون الا ظنهم انها
شركاء ثم قال ويجوز ان يكون ما استفهاما منتصبا باي شيء يتبعون وشركاء ه
على هذا نصب بيدعون وعلى الاول بيتبع وكان حقه وما يتبع الذين يدعون
من دون الله شركاء فاقتصر على احدهما للدلالة وهذا الذي ذكره الزمخشري
قد رده مكي وابو البقاء امام مكي فقال انتصب شركاء بيدعون ومفعول يتبع ه
قام مقامه ان يتبعون الا الظن الا انه هو ولا ينتصب الشركاء بيتبع لانك ه
تنفي عنهم ذلك والله قد اخبر عنهم وقال ابو البقاء وشركاء مفعول يدعون ه
ولا يجوز ان يكون مفعول يدعون يتبعون لان المعنى يصير الى انهم لم يتبعوا شركاء
وليس كذلك قال شهاب الدين معنى كلامهما انه يؤول المعنى الى نفي ه
اتباعهم الشركاء والواقع انهم قد اتبعوا الشركاء وجوابه ما تقدم من ان المعنى ه
انهم وان اتبعوا شركاء فليسوا بشركاء في الحقيقة بل في تسميتهم لهم بذلك ه
فكانهم لم يتخذوا شركاء ولا اتبعوهم لسلب الصفة الحقيقية عنهم ومثله قولك ما
رايت رجلا اي من يستحق ان يسمى رجلا وان كنت قد رايت الذكور من بني ادم
ويجوز ان تكون ما استفهامية وتكون خبر مقدم منصوب بما بعدها وقد تقدم قول

مع مقابله

الزمخشري

الزمخشري في ذلك وقال مكي لو جعلت ما استفهاما بمعنى الانكار والتوبيخ كانت ه
اسما في موضع نصب بيتبع وقال ابو البقاء نحوه ويجوز ان تكون موصولة معنى الذي
نسقا على من في قوله الا ان لله من في السموات قاله الزمخشري ويجوز ان تكون
ما موصولة منطوفة على من كانه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله
شركاء اي وله شركاء ايضا ويجوز ان تكون ما هذه الموصولة في محل رفع بالابتداء
والخبر محذوف تقديره والذي يتبعه المشركون باطل فهذه اربعة اوجه ه
وقرا السلمي تدعون بالخطاب وقراها الزمخشري لعلي بن ابي طالب قال ه
ابن عطية وهي قراءة غير معتمدة قال شهاب الدين قد ذكر توجيهها الزمخشري
فقال ووجهه ان محل وما يتبع على الاستفهام اي واي شيء يتبع الذين تدعونهم
شركاء من الملكة والنبيين يعني انهم يتبعون الله تعالى ويطيعونه فما
لكم لا تتبعون مثل فعلهم كقوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى
ربهم الوسيلة ايهم اقرب **قوله** ان يتبعون الا ظنهم ان نافية والظن منصوب ه
به وهو استثناء مفرغ ومفعول الظن محذوف فقدره ان يتبعون الا الظن
انهم شركاء وعند الكوفيين تكون العوضا من الضمير تقديره ان يتبعون
الا الظن الا اليقين وقوله ان يتبعون قرا يدعون بيا الغيبة فقدحا
يتبعون مطابقا له ومن قرا تدعون بالخطاب فيكون يتبعون التفاتا وهو
خروج من خطاب الى غيبة والمعنى ان يتبعون الا ظنهم الباطلة ه
فان هم الا يخرصون يكذبون وقد تقدم في الانعام **قوله** هو الذي
جعل لكم الليل الاية لما ذكر ان العزة لله جميعا احتج عليه بهذه الاية ه
وانظر الى فصاحتها حيث حذف من كل جملة ما اثبت في الاخرى وذلك انه
ذكر علة جعل الليل لباسا وهي قوله لتسكنوا وحذف منها من جعل النهار
وذكر صفة النهار وهي قوله مبصرا وحذف منها من الليل لدلالة المقابل ه
عليه والتقدير هو الذي جعل لكم الليل مظلما لتسكنوا فيه والنهار مبصرا
لتتحركوا فيه لمعاشكم فحذف مظلما لدلالة مبصرا عليه وحذف لتتحركوا
لدلالة لتسكنوا وهذا افصح وقوله مبصرا اسند الابصار الى الطرق
مجازا كقولهم نهاره صائم وليله قائم وناهم قال ه رمت وما ليلي بنائم
وقال فطرت بقال اظلم الليل صار ذا ظلمة واضا النهار صار ذا ضياء فكون
هذا من باب التفسير كقولهم لابن وتامر وقوله تعالى عيشة راضية ه
الا ان ذلك انما جاء في الثلاثي وفي فعل بالتضعيف عند بعضهم وقوله
تعالى وما ربك بظلام للعبيد في احد الاوجه ثم قال ان في ذلك لايات
لقوم يسمعون اي يتدبرون ما يسمعون ويعتبرون فان قيل جعل لكم الليل

الاظهر انهم شركاء والاحسن ان الاتباع
لظن وهو اذ الحق يتبعون الظن ص

لتسكنوا فيه يدل على انه تعالى ما جعله الا لهذا الوجه وقوله ان في ذلك
لايات يدل على انه تعالى اراد بتخليق الليل والنهار انواعا كثيرة من
الدلايل فالجواب ان قوله تعالى لتسكنوا لا يدل على انه لا حكمة فيما
ذلك يقتضي حصول تلك الحكمة قوله تعالى قالوا اتخذ الله ولدا
سبحانه هو الغني وهذا نوع اخر من اباطيلهم التي حكاها الله تعالى عنهم
قالوا يعني المشركين الملايكة بنات الله وقيل قولهم الاوثان اولاد الله
ويحتمل ان يكون قد كان فيهم قوم من النصارى قالوا ذلك ثم استنكر هذا
القول وقاله بعده هو الغني له ما في السموات فكونه تعالى غنيا مالكا
لكل ما في السموات والارض يدل على انه سبحانه يستحيل ان يكون له
ولد وبيانه من وجوه الاول انه لو كان محتاجا لافتقر الى صانع اخر
وهو محال ومن كان غنيا فانه لابد وان يكون فردا منزها عن الاعضاء
والابعاض ومن كان كذلك يمتنع ان يكون بينفصل عنه جزء من اجزايه
والولد عبارة عن انفصال جزء من اجزاء الانسان ثم يتولد عن ذلك
الجزء مثله واذا كان هذا محالا ثبت ان كونه تعالى يمنع من ثبوت الولد
له الثاني ان من كان غنيا كان قديما ازليا سرمديا وكل من كان
كذلك امتنع عليه الانقراض والانقضاء والولد انما يحصل للشيء الذي
ينقض وينقرض فيكون ولد قايما مقامه فثبت انه كونه تعالى غنيا
يدل على انه يمتنع ان يكون له ولد الثالث ان كل من كان غنيا يمتنع ان
يكون موصوفا بالشهوة والالذة والمستغني لا يكون موصوفا بالشهوة
والحاجة واذا امتنع ذلك امتنع ان يكون له صاحبة وولد وباقي الوجوه
يطول ذكرها ثم قال له ما في السموات وما في الارض وهذا تنبيه قوله ان
كل من في السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا ولما بين بالدليل الواضح
امتناع ما اضافوا اليه عطف عليهم بالانكار والتوبيخ فقال ان عندكم
من سلطان ان ناتيه وعندكم يجوز ان يكون خبرا مقدما ومن سلطان مبتدا
موخرا ويجوز ان يكون من سلطان مرفوعا بالفاعلية بالظرف قبله لاعتماده
على النفي ومن مزيده على كلي المذهبين وبهذا يجوز ان يتعلق بسلطانا
لانه بمعنى الحجة والبرهان وان يتعلق بمحذوف صفة له فيتحكم على موضعه
بالجر على اللفظ وبالرفع على المحل لان موصوفه مجرور بحرف جر زايد وان
يتعلق بالاستقرار قال الزمخشري الياحقها ان تتعلق بقوله ان عندكم
على ان يجعل القول مكانا للسلطان كقولك ما عندكم مما تقولون سلطان
وقال الحوفي وبهذا متعلق بمعنى الاستقرار يعني الذي تعلق به الظرف

قال

قال اتقولون على الله ما لا تعلمون وقد تقدم ان الاية تحتج بها اثبات
القياس وفي ابطال التقليد قوله تعالى قل ان الذين يفترون
على الله الكذب الاية لما بين بالدليل القاطع ان اثبات الولد قول باطل
شرع بين انه ليس لهذا القايل دليل على صحة قوله ظهر ان ذلك المذهب افترا
على الله تعالى فبين بهذه الاية ان من حاله هذا فانه لا يفلح البتة اي
لا يتجح في سعيه ولا يفوز بمطلوبه بل خاب وخسر قوله متاع
في الدنيا يجوز رفع متاع من وجهين احدهما انه خبر مبتدا محذوف والجملة
جواب لسوال مقدر فهي استيناقية كان قايلا قال كيف لا يفلحون وهم في
الدنيا مفلحون بانواع ما يتلذذون به فقيل ذلك والثاني انه مبتدا
والخبر محذوف تقديره لهم متاع وفي الدنيا يجوز ان يتعلق بنفس متاع اي
يتمتع في الدنيا ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه نعت لمتاع فهو في محل رفع
ولم يقرا بنصبه بما خلاف قوله متاع الحياة الدنيا في اول السورة وقوله
بما كانوا الباء للسببية وما مصدرية اي بسبب كونهم كافرين قوله
تعالى واتل عليهم نبا نوح الاية لما بالغ في تقرير الدلايل والجواب عن
الشبه شرع في بيان قصص الانبيا لوجوه الاول ان الكلام اذا طال في تقرير
نوع من انواع العلوم فربما حصل نوع من الملالة فاذا انتقل الانسان
من ذلك الفن الى فن اخر انشرح وجد في نفسه رغبة جديدة الثاني
لنبا سني الرسول واصحابه بسلف الانبيا فان الرسول اذا سمع ان بعاملة
مولاه الكفار مع الرسول ما كان الاعلى هذا الوجه خف ذلك على قلبه
كما يقال المصيبة اذا عمت خفت الثالث ان الكفار اذا سمعوا هذه القصص
وعلموا ان الجهال وان بالغوا في ايذا الانبيا المتقدمين الا ان الله تعالى
اعانهم بالاخرة ونصرهم وايدهم وقهر اعداهم كان سماع هولا الكفار لهذه
القصص سببا لانكسار قلوبهم ووقوع الخوف في صدورهم تحبيبا لهم
يقلعون من الاذا والسفاهة الرابع ان محمدا عليه السلام لما لم يتعلم علما
ولم يطالع كتابا ثم ذكر هذه القصص من غير تفاوت بزيادة ولا نقصان
دل ذلك على انه عليه السلام انما عرفها بالوحي والتنزيل وحذفت الواو
من واتل لانه امر قوله اذ قال يجوز ان يكون اذ مجرورا لنبا وان
يكون بدلا من نبا بدل اشتمال ويجوز ابو البقا ان يكون حالا من نبا
وليس بظاهر ولا يجوز ان يكون منصوبا باتل لفساده اذ اتل مستقبل
واذ ماض ولقومه اللام اما للتبليغ وهو الظاهر واما للعلة وليس
بظاهر قال المفسرون قوم نوح ولد قابيل قوله كبر عليكم مقامي

من باب الاسناد المجازي كقولهم ثقل علي ظله وقرا ابو رجاء وابو مجلز وابو الجوزاء مقامي بضم الميم والمقام بالفتح مكان القيام وبالضم مكان الاقامة والاقامة نفسها وقال ابن عطية وكلهم يقرأ هنا بضم الميم كانه لم يطلع على قراءة هؤلاء قال الواحدي يقال كبر يكبر كبرا في السن وكبر الامر والشيء اذا عظم يكبر كبرا وكبارة قال ابن عباس ثقل عليكم وشق عليكم وأراد بالمقام ههنا مكثه وسبب هذا الثقل امران الاول انه عليه السلام مكث فيهم الف سنة الا خمسين عاما والثاني ان اولئك الكفار كانوا قد اعتادوا تلك المذاهب الفاسدة ومن الف طريقة في الدين خانه يثقل عليه ان يدعى الى خلافها فان اقترن بذلك طول مدة الدعا كان اثقل واشد وقوله ﴿قد كبر﴾ بي بآيات الله حجته وبيانه فعزمتم على قتلي وطردي قوله ﴿فعلى الله﴾ جواب الشرط وقوله فاجمعوا عطف على الجواب ولم يذكر ابو البقاء غيره واستشكل عليه انه متوكل على الله دائما كبر عليهم مقامه او لم يكبر وجواب الشرط قوله فاجمعوا وقوله فعلى الله توكلت جملة اعتراضية بين الشرط وجوابه وهو كقول الشاعر

فاما تريني قد تخلت ومن يكن ﴿ غرضا لاطراف الاسنة يخضل

فلرب ابلج مثل بعلك ماذن ﴿ فضحت على ظهر الجواد مهيل

وقيل الجواب محذوف اي فافعلوا ما شئتم وقرا العامة فاجمعوا امرا من اجمع بهمزة القطع يقال اجمع في المعاني وجمع في الاعيان فيقال اجمعت امري وجمعت الجيش وهذا هو الاكثر قال الحرث بن حلزة

اجمعوا امرهم بليل فلما ﴿ اصبحوا اصبحت لهم ضوضاء

وقال اخر

يا ليت شعري والمنى لا ينفع ﴿ هل اغدون يوما وامري مجمع

وهل اجمع متعد بنفسه او بحرف جر ثم حذف فسماعا قال ابو البقاء تقول اجمعت على الامر اذا عزمت عليه الا انه حذف حرف الجر فوصل الفعل اليه وقيل هو متعد بنفسه او بحرف جر ثم حذف فسماعا قال ابو البقاء من قولك اجمعت على الامر اذا عزمت عليه الا انه حذف حرف الجر فوصل الفعل اليه وقيل هو متعد في الاصل وانشد قول الحرث وقال ابو زيد السد وهي اجمعت الامر افصح من اجمعت عليه وقال ابو الهيثم اجمع امره جعله مجموعا بعد ما كان متفرقا قال وتفرقته أنه مرة يقول الفعل كذا ومرة افعل كذا واذا عزم على امر واحد فقد جمعه اي جعله جميعا فهذا هو الاصل في الاجماع ثم صار بمعنى العزم حتى وصل بعلى فقيل اجمعت على الامر اي عزمت عليه والاصل اجمعت الامر وقرأت العامة وشركاءكم نصبا وفيه

اوجه احدها انه معطوف على امركم بتقدير حذف مضاف اي وامر شركاءكم كقوله واسئل القرية وكل على ذلك ما تقدم من ان اجمع للمعاني والثاني انه عطف على ضمير الفاعل من غير تقدير حذف مضاف قبله لانه يقال ايضا اجمعت شركائي الثالث انه منصوب باضمار فعل لا بتي اي واجمعوا شركاءكم بوصل الهمزة وقيل تقدير وادعوا وكذلك في مصحف ابي وادعوا فاصر فعلا لا بتا كقوله والذين تبوؤا الدار والايمان اي واعتقدوا الايمان ومثله قول الاخر

فعلفتها تبنا وماء باردا ﴿ حتى شبت همالة عيناها

اي وسقيتها ماء وكقوله

﴿ يا ليت زوجك قد غدا ﴿ متقلدا سيفا ورمحا ﴾ وقول الاخر

﴿ اذا ما الغانيات برزن يوما ﴿ وزججن الحواجب والعيونا

يريد معتقلا رمحا وكحلن العيونا وقد تقدم ان في هذه الاماكن غير هذا التخريج الرابع انه مفعول معه اي مع شركائكم قال الفارسي وقد ينتصب الشركاء واو مع كما قالوا جاء البرد والطيالسة ولم يذكر الزمخشري غير قول ابي علي قال الزجاج معناه فاجمعوا امركم مع شركائكم فلما ترك مع انتصب قال ابو حيان وينبغي ان يكون هذا التخريج على انه مفعول معه من الفاعل وهو الضمير في فاجمعوا لا من المفعول الذي هو امركم وذلك على اشهر الاستعمالين لانه يقال اجمع الشركاء امرهم ولا يقال اجمع الشركاء امرهم الا قليلا قال شهاب الدين يعني انه اذا جعلناه مفعولا معه من الفاعل كان جائزا بلا خلاف وذلك لان من النحويين من اشترط في صحة نصب المفعول معه ان يصلح عطفه ثم يصح نصبه مفعولا معه فلو جعلناه من المفعول لم يجز على المشهور اذ لا يصلح عطفه على ما قبله اذ لا يقال اجمعت شركائي بل جمعت وقرأ الزهري والاعمش والاعرج والحدري وابو رجاء ويعقوب والاصمعي عن نافع فاجمعوا بوصل الالف وفتح الميم من جمع يجمع وشركاءكم على هذه القراءة ينتصب نسقا على ما قبله ويجوز فيه ما تقدم في القراءة الاولى من الاوجه قال صاحب اللوامح اجمعت الامر اي جمعته جميعا وجمعت الامر اجمعا فكان الاجماع في الاحداث والجمع في الاعيان وقد يستعمل كل واحد مكان الاخر وفي التنزيل مجمع كيده قال شهاب الدين وقد اختلف القراء في قوله تعالى فاجمعوا كيدكم فقرأ السته بقطع الهمزة جعلوه من اجمع وهو موافق لما قيل ان اجمع في المعاني وقرأ ابو عمرو وحده فاجمعوا بوصل الالف وقد اتفقوا على قوله مجمع كيده ثم اتى فانه من الثلاثي مع انه متسلط على معنى لا غير ومنهم من جعل الثلاثي في معنى غير معنى الرباعي فقال في قراءة ابي عمرو من جمع يجمع ضد

فرق بفرق وجعل قراءة الباقين من اجمع امره اذا احكمه وعزم عليه ومنه قول
الشاعر ٥ يا ليت شعري والمنى لا ينفع ٥ هل اغدون يوما وامري مجمع ٥
وقيل المعنى فاجمعوا على كيدكم فحذف حرف الجر وقرأ الحسن والسلمي وعيسى
بن عمر وبن ابي اسحاق وسلام ويعقوب وشركاكم رفعا وقيه ٥
تنبيهان انه تنسق على الضمير المرفوع باجمعوا قبله وجاز ذلك اذ الفصل ٥
سوغ العطف والثاني انه مبتدا محذوف الخبر تقديره وشركاؤكم ٥
فليجمعوا امرهم وشدت فرقة وقرات وشركاءكم بالخفض ووجهت ٥
على حذف المضاف واقيمت المضاف اليه مجرورا على حاله كقوله
اكل امرئ تحسبين امرءا ٥ ونار توقد بالليل نارا
اي وكل نار فتقدير الاية وامور شركائكم فحذف الامور وابقي ما بعده ٥
على حاله ومن رأى رأي الكوفيين جوز عطفه على الضمير في امركم من
غير تاويل وقد تقدم ما فيه من المذاهب اعني العطف على الضمير ٥
المجرور من غير اعادة الجار في سورة البقرة **قوله** غمة يقال
غم وغه نحو كرب وكربه قال ابو الهيثم هو من قولهم غم علينا الهلال فهو مغموم
اذا التمس فلم ير قال طرفة بن العبد ٥

٦ لعمرك ما امري علي بغمة ٦ نهاري ولا ليلي علي بسرمد ٦

وقال الليث يقال هو في غمة من امره اذا لم يتبين له **قوله** ثم افضوا
محذوف اي افضوا الي ذلك الامر الذي تريدون ابقاعه بي كقوله وقضينا
اليه ذلك الامر وعداه بعداه لمفعول صريح وقرأ السدي ثم افضوا بقطع
الهمزة والفاء من افضي يفضي اذا انتهى يقال افضيت اليك قال تعالى وقد
افضى بعضكم الى بعض فالمعنى ثم افضوا الي بشركم اي انتهوا به الي وقيل
معناه اسرعوا به الي وقيل هو من افضى اي خرج الى الفضاء فاصحروا به الي
وابرزوه لي كقوله ٥

٦ اني الصم والنعمان يحرق نابه ٥ عليه فاضحى والسيوف معاقله ٦

ولام العضاه اولا نه من فضا يفضو اي اتسع **فصل** المعنى فاحكموا امركم
واعزموا عليه وادعوا شركاءكم اي الهتكم فاستعينوا بها لتجتمع معكم وروي
الاصمعي عن نافع فاجمعوا ذوي الامر منكم فحذف المضاف وجري على المضاف
اليه ما كان يجري على المضاف لو ثبت قال ابن الانباري المراد من الامر ههنا
وجوه كيدهم ومكرهم والتقدير لا تتركوا من امركم شيا الا احضروه والمراد
من الشركاء اما الاوثان لانهم كانوا يعتقدون انها تضر وتنفع اما ان يكون
المراد من كان على مثل دينهم لا يكن امركم عليكم غمة اي خفيا مبهما من قولهم غم الهلا

على السايل اي عم عليهم ثم افضوا الي ولا اي افضوا ما في انفسكم وافرغوا منه ٥
يقال قضى فلان الامر اذا امات وقضى دينه اذا فرغ منه وقيل معناه توجهوا ٥
الي بالقتل والمكروه وقيل فاقضوا ما انتم قاضون كقول السحرة لفرعون ٥
فاقض ما انت قاض اي اعمل ما انت عامل قال الفقال وجاز دخول كلمة الى ٥
في هذا الموضع من قولهم بريت اليك وخرجت اليك من العهد وفيه معنى الاخبار
وكانه تعالى قال ثم اقولوا الي ما يستقر رايكم عليه محكما مفروغا منه ثم لا
تنظرون اي لا تمهلون ولا تؤخرون وقد نظم التقاضي هذا الكلام على ٥
احسن الوجوه فقاله انه عليه السلام قال في اول الامر فعلى الله توكلت فاتى ٥
واثق بوعد الله جازم بانه لا يخلف الميعاد فلا تنظروني ان تهددتكم اياي
بالقتل والايذاء تمعنوني من الدعاء الى الله ثم انه عليه السلام اورد عليهم ٥
ما يدل على صحة دعواه فقال فاجمعوا امركم كانه يقول اجمعوا كل ما تقدرون
عليه من الاشياء التي توجب حصوله مطلوبكم ثم لم يقتصر على ذلك بل امرهم
ان يضموا الى انفسهم شركاءهم الذين كانوا يزعمون ان حالهم يقوي بمكانهم ٥
وبالتعرف اليهم ثم لم يقتصر على هذين بل ضم اليهما بالثاء وهو قوله لا يكن ٥
امركم عليكم غمة اراد ان يبلغ في كل غاية في المكاشفة والمجاهرة ثم لم ٥
يقتصر على ذلك حتى ضم اليه رابعا فقال ثم افضوا الي والمراد ان وجهوا ٥
كل تلك الشرور الي ثم ضم الي ذلك خامسا وهو قوله لا تنظرون اي عجلوا
ذلك باشد ما تقدرون عليه من غير انتظار ومعلوم ان مثل هذا الكلام ٥
يدل على انه عليه السلام كان قد بلغ الغاية في التوكل على الله وانه كان ٥
قاطعا بان كيدهم لا يضره ولا يصل اليه ومكرهم لا ينفذ فيه **قوله** فان
تولبتم اعرضتم عن قولي وقبول نصحي فما سالتكم على تبليغ الرسالة والدعوة ٥
من اجر جعل وعوض ان اجري ما اجري وثوابي الا على الله قال المفسرون ٥
وهذا اشارة الى انه ما اخذ منهم مالا على دعوتهم الى دين الله وكلما كان الانسا
فارغا على الطمع كان قوله اقوى تاثيرا في القلب قال ابن الخطيب وعندي فيه وجه
احر وهو انه عليه السلام بين انه لا يخاف منهم بوجه من الوجوه وذلك لان ٥
الخوف انما يحصل باحد شيئين اما بانصيال الشر او بقطع المنافع فبين فيما تقدم
انه لا يخاف شرهم وبين في هذه الاية انه لا يخاف منهم بسبب ان يقطعوا
عنه خيرا لانه ما اخذ منهم شيا فكان يخاف ان يقطعوا عنه خيرا ثم قال ان
اجري الا على الله وامرت ان اكون من المسلمين وفيه قولان الاول انكم سوا
قبلتم دين الاسلام او لم تقبلوه فانا مامور بان اكون على دين الاسلام الثاني
اني مامور باستسلام لكل بلاء يصل الي لاجل هذه الدعوة وهذا الوجه ٥

اليق بهذا الموضع لانه لما قال افضوا الى بيّن انه مامور باستسلام لكل ما حصل
اليه **قوله** فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك لما حكى كلام نوح مع ٥
الكفار وذكر تعالى مآل امرهم اليه اما في حق نوح واصحابه فنجاهم وجعلهم ٥
خلائف اي يخلفون من هلك بالغرق واما في حق الكفار فانه تعالى اغرقهم واهلكهم
وهذه الفقه اذا سمعها من صدق الرسول ومن كذب به كان زجرا للكذبين
بحانون ان ينزل بهم مثل ما نزل بقوم نوح ويكون داعية للمومنين الى الثبات
على الايمان ليصلوا الى مثل ما وصل اليه قوم نوح **قوله** في الفلك يجوز
فيه وجهان احدهما ان يتعلق بنجيناه اي وقع الانجاء في هذا المكان والثاني
ان لا يتعلق بالاستقرار الذي تعلق به الظرف وهو معه لوقوعه صلة ٥
اي والذين استقروا معه في الفلك وقوله وجعلناهم اي صيرناهم وجمع
الضمير في جعلناهم حملا على معنى من وخلائف اي يخلفون الغارقين
قوله ثم بعثنا من بعده اي بعد نوح رسلا الى قومهم ولم يسم
الرسل وقد كان منهم هود وصالح وابراهيم ولوط وشعيب فجاءوهم ٥
بالبينات وهي المعجزات القاهرة وبالبينات متعلق بجاءتهم وهم او بمحذوف
على انه حال اي ملتبسين بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل
اي ان حالهم بعد بعثة الرسل كحالهم قبلها في كونهم اهل جاهلية واتى بلام
الجحود وفي ليؤمنوا تاكيدا والضمير في كذبوا عائد على من عاد عليه
الضمير في كانوا وهم قوم الرسل وقال ابو البقاء ويمكن ان الضمير في كانوا
يعود على قوم الرسل ليؤمنوا بما كذب به قوم نوح ويجوز ان يكون الهاء
عائدة على نوح نفسه من غير حذف مضاف والتقدير فما كان قوم ٥
الرسل بعد نوح ليؤمنوا بنوح اذ لو امنوا به لامنوا بنبيائهم ومن قبل
متعلق بكذبوا اي من قبل بعثة الرسل وقيل الضمائر كلها تعود على قوم
الرسل بمعنى احر وهو انهم بارزوا وارسلهم بالتكذيب كلما جاء رسول لحق الذي
وتمادوا على ذلك فلم يكونوا ليؤمنوا بما سبق تكذيبهم من قبل لجهلهم في الكفر وتمادهم
وقال ابن عطية ويحتمل اللفظ عندي معنى احر وهو ان يكون ما مصدرية والمعنى
فكذبوا رسلهم فكان عتابهم من الله ان لم يكونوا ليؤمنوا بتكذيبهم من قبل اي
من سببه ومن جزايه وبه يريد هذا التاويل كلام يطبع وهو كلام محتاج لتامل
قال ابو حيان والظاهر ان ما موصولة ولذلك عاد الضمير عليها في قوله بما كذبوا
به ولو كانت مصدرية بقي الضمير غير عايد على غير مذكور فيحتاج ان يتكلف ما
يعود عليه الضمير قال شهاب الدين الشيخ بناء على قول جمهور النحاة في عدم
كون ما المصدرية اسما فيعود عليها ضمير وقد تقدم مرارا ان مذهب الاخفش

كذلك الكلام

وبن

وبن السراج انها اسم يعود عليها الضمير وقرا العامة نطبع بالنون الدالة على
تعظيم المتكلم وقرا العباس بن الفضل بيا الغيبة وهو الله تعالى ولذلك صرح
به في موضع اخر كذلك يطبع الله والكاف نعت لمصدر محذوف او حال من ضمير
ذلك المصدر على حسب ما تقدم من الخلاف اي مثل ذلك الطبع المحكم المتمنع
زواله يطبع على قلوب المعتدين على حدود الله **فصل** احتج اهل ٥
السنة على انه تعالى قد يمنع المكلف من الايمان بهذه الاية قالت المعتزلة له فقد
قال تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يومنون الا قليلا ولو كان هذا الطبع
مانعا لما صح هذا الاستثناء وقد تقدم البحث في ذلك عند قوله تعالى ختم
الله على قلوبهم **قوله** ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون الاية
قرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وحفص وابو جعفر وابن محيصن وحمزة
والكسائي وخلف وهذا احسن ٥
الى موسى اشير اليه لتقدم ذكره في قراءة الجماعة المشار اليه الشيء الذي
جاء به موسى من قلب العصا حية واخراج يده بيضاء كالشمس ويجوز ان ٥
يشار بهذا الى ما في قراءة ابن جبير الى المعنى الذي جاء به موسى مبالغة حيث
وصفوا المعاني بصفات الاعيان كقولهم شعر شاعر وجد جده فان قيل
ان القوم لما قالوا ان هذا لسحر مبين فكيف حكى عنهم موسى انهم قالوا ان هذا
اسحر هذا على سبيل الاستفهام فالجواب من وجهين احدهما انه معمول
لمقولون الجملة من قوله اسحر هذا الى اخرها كانهم قالوا اجيتنا بالسحر ٥
الفلاح ولا يفلح الساحرون كقول موسى عليه السلام للسحرة ما جيتم به ٥
الا السحر ان الله سيبطله والثاني ان معمول القول محذوف مدلول عليه
بما تقدم ذكره وهو ان هذا السحر مبين ومعمول القول محذوف للدلالة ٥
عليه كثيرا كما حذف نفس القول كثيرا ويكون تقدير الاية ان موسى عليه
السلام قال لهم اتقولون للحق لما جاءكم ما تقولون ثم حذف منه مفعوله ٥
ما تقولون للدلالة الحال عليه ثم قال اسحر هذا او هو استفهام على سبيل
الانكار ثم احتج على انه ليس بسحر بقوله ولا يفلح الساحرون ومثل
الاية في حذف المقول قول الشاعر ٥

نحن الاولى فلم فاني مسلم ٥ بروعنا فمن اسمامر بكم وعنا

وفي كتاب سيبويه متى رايت وقلت زيدا منطلقا على اعمال الاول ٥
وحذف مفعول القول ويجوز اعمال المقول بمعنى الحكاية به فيقال متى
رايت او قلت زيد منطلق وقيل القول في الاية بمعنى العيب والطعن
والمعنى انكم تعيبون الحق وتطعنون فيه وكان من حقكم تعظيمه والاذعان
له من قولهم فلان يحاف القاله وبين الناس تقاول اذا قال بعضهم

لبعض ما يسوءه ونحو القول الذكر في قوله سمعنا فتى يذكرهم وهذا ملخص من كلام
الزمخشري **فصل** قالوا يعني فرعون وملأه اجئتنا لتلفتنا اللام
اللام متعلقة بالمجيء اي اجئت لهذا الغرض انكروا عليه مجيئه لهذه العلة ٥
والافتاء واللي والصرف لفته عن كذا صرفه ولواه عنه وقال الزمخشري
الازهري لفته بالشيء وفتله لواه وهذا من المقلوب قال شهاب الدين ولا ٥
يدعي فيه قلب حتى يرجح احد اللفظين في الاستعمال على الاخر ولذلك
لم يجعلوا اجذب وجبذ وجمد ومدح من هذا القبيل لتساوي يديهما ٥
ومطاوع لفت التفت وقيل انفتل وكانهم استعملوا مطاوع فتل عن مطاوع
لفت التفت وقيل انفتل وقيل كانهم استعملوا مطاوع فتل عن مطاوع ٥ انفتل وصح
لفت وامراة لعوت اي تلتفت لولدها عن زوجها اذا كان الولد لغيره
واللفيته ما يلفظ من العصيده والمعنى انهم قالوا لا نترك الذي نحن
عليه لاجلك ولا وجدنا آباءنا عليه فتمسكوا بالباطل بالتقليد ودفعوا الحجة
الظاهرة بمجرد الاصرار **قوله** وتكون لكما الكبرياء اسم كان ٥
ولكم الخبر وفي الارض جوز ابو البقاء فيها خمسة اوجه احدها ان تكون
متعلقة بنفس الكبرياء الثاني ان تتعلق بنفس تكون الثالث ان
تتعلق بالاستقرار في لكم لوقوعه خبرا الرابع ان يكون حالا من الكبر
الخامس ان يكون حالا من الضمير في لكم لتحمله اياه والكبرياء مصدر يراد
وزن فعيلا فعليا ومعناها العظمة قال عدي بن الرقاع ٥

سود ذعر فاحش لا يدانيه حمارة ولا كبرياء ٥

وقال بن الرقيات يمدح مصعب بن الزبير ٥

ملكه ملك رأفة ليس فيه ٥ جبروت منه ولا كبرياء ٥

يعني ليس هو على ما عليه الملوك من التجبر والتعظم والجمهور على تكون ٥
بالتاء من فوق مراعاة لتانيث اللفظ وقرا ابن مسعود والحسن واسماعيل
وابو عمرو وعاصم في رواية ويكون بالياء من تحت لانه تانيث مجازي
قال المفسرون والمعنى ويكون لكما الملك والعز في ارض مصر والخطاب
لموسى وهارون قال الزجاج لانه اكبر ما يطلب من امر الدنيا وايضا
فالنبي اذا اعترف القوم بصدقه صارت مقاليد امرامته اليه ٥
فصار اكبر القوم واعلم ان القوم لما ذكروا هذين السببين في عدم اتباعهم
وهما التقليد والحرص على طلب الرياسة صرحوا بالحكم فقالوا ٥
وما نحن لكما بمومنين ثم شرعوا في معارضة معجزات موسى عليه السلام
بانواع من السحر ليظهر عند الناس ان ما اتى به موسى من باب السحر فقال

فقال فرعون ايتوني بكل ساحر عليم قرا الاخوان سحار وهي قراءة بن مصرف
وبن وثاب وعيسى بن عمر ولما جاءا السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ٥
ملقون فان قيل كيف امرهم بالسحر والسحر كفر والامر بالكفر كفر فالجواب
انه عليه السلام امرهم بالقاء الحبال والعصي ليظهر للخلق انما اتوا به عمل
فاسد ورسعي باطل لانه عليه السلام امرهم بالسحر فلما القوا حبالهم ٥
وعصيهم قال موسى عليه السلام ان ما ذكرتموه باطل بل الحق ان الذي جيتم به
هو السحر الذي يظهر بطلانه ثم اخبرهم بان الله يحق الحق ويبطل الباطل ٥
قوله ما جيتم به هو السحر الذي يظهر بطلانه ثم اخبرهم بان الله
يحق الحق ويبطل الباطل **قوله** ما جيتم به السحر قرا ابو عمرو وحده
السحر بهمزة الاستفهام وبعدها الف محضة وهي بدل عن همزة ٥
الوصل الداخلة على لام التعريف ويجوز ان تسهل بين بين وقد تقدم
تحقيق هذين الوجهين في قوله الذكرين وهي قراءة مجاهد واصحابه
وابي جعفر وقرا باقي السبعة بهمزة وصل تسقط في الدرج
فاما قراءة ابي عمرو ففيها اوجه احدها ان ما استفهامية في محل رفع ٥
بالابتداء وجيتم به الخبر والتقدير اي شيء جيتم انكار وتقليل للشيء ٥
المجاء به والسحر بدل من اسم الاستفهام ولذلك اعيد معه اداته لما
تقرر في كتب النحو وذلك ليساوي المبدل منه في انه استفهام كما تقول
كم مالك اعشرون ام ثلاثون فجعلت اعشرون بدلا من كم ولا يلزم ان
يضمر للسحر خبرا لانك اذا ابدلته من المبتدا صار في موضعه وصار خبر
المبتدا خبرا عنه الثاني ان يكون السحر خبر مبتدا محذوف تقديره اهو
السحر الثالث ان يكون مبتدا محذوف الخبر تقديره السحر هو ذكره
هذين الوجهين ابو البقاء وذكر الثاني مكي وفيهما بعد الرابع ان تكون
ما موصولة بمعنى الذي وجيتم به صلتها والموصول في محل رفع بالابتدا
والسحر على وجهيه من كونه خبر امبتدا محذوف او مبتدا محذوف الخبر
تقديره الذي جيتم به اهو السحر او الذي جيتم به السحر هو وبدا الضمير
هو الرابط كقولك الذي جاءك ازيد هو قال ابو حيان قال شهاب الدين
قد منع مكي ان تكون ما موصولة على قراءة ابي عمرو فقال وقد قرا ابو عمرو
السحر بالمد فعلى هذه القراءة تكون ما استفهاما مبتدا وجيتم به الخبر
والسحر خبر مبتدا محذوف اي اهو السحر ولا يجوز ان يكون ما بمعنى ٥
الذي على هذه القراءة اذ لا خبر لها وليس كما ذكر بل خبرها الجملة ٥
المقدر احد جزئيها وكذلك الزمخشري وابو البقاء يجيزان كونها موصولة

الا في قراءة ابي عمرو ولكنها لم يتعرضا لعدم جوازه الخامس ان تكون ما ه
استفهامية في محل نصب بفعل مقدر بعدها لان لها صدر الكلام وجيتم به
مفسر لذلك الفعل المقدر وتكون الصلة المسئلة حينئذ من باب الاشتغال
والتقدير اي شيء جيتم به والسحر على ما تقدم ولو قري بنصب السحر
على انه بدل مما بعد التقدير لكان له وجه لكنه لم يقرا به فيما علمنا وسيأتي
ما حكاه مكي عن الفراء من جواز نصبه لمدرك اخر لا على انها قراءة منقولة
عن الفراء واما قراءة ابن عامر التاسعة ففيها اربعة اوجه احدها ان تكون
ما بمعنى الذي في محل رفع بالابتدا وجيتم به صلته وعائده والسحر خبر
والتقدير الذي جيتم به السحر ويؤيد هذا التقدير وما في مصحفه ما ه
ايتيتم به سحر وقراءة عبد الله والاعمش ما جيتم به سحر الثاني ان تكون
ما استفهامية في محل نصب باضمار فعل على ما تقرر والسحر خبر ابتدا ه
مضمر او مبتدا مضمر الخبر الثالث ان تكون ما في محل رفع بالابتدا والسحر
على ما تقدم من كونه مبتدا او خبرا والجملة خبر ما الاستفهامية في موضع
رفع بالابتدا او في موضع رفع على الاشتغال وهو استفهام على سبيل
التحقير والتقليل لما جاوا والسحر خبر مبتدا محذوف اي هو السحر قال
شهاب الدين ظاهر عبارته انه لم يره معبرة حيث قال عندي وهذا قد
جوزه ابو البقا ومكي قال ابو البقا بعد ذكر قراءة غير ابي عمرو وبقرا
بلفظ الخبر وفيه وجهان ثم قال ويجوز ان تكون ما استفهامية والسحر خبر ه
مبتدا محذوف وقال مكي في قراءة غير ابي عمرو بعد ذكره كون ما بمعنى الذي
ويجوز ان تكون ما رفعا بالابتدا وهي استفهام وجيتم به الخبر والسحر
خبر مبتدا محذوف اي هو السحر ويجوز ان تكون ما في موضع نصب على
اضمار فعل بعد ما تقديره اي شيء جيتم به والسحر خبر مبتدا محذوف ه
الرابع ان يكون هذه القراءة كقراءة ابي عمرو في المعنى اي انها على نية ه
الاستفهام ولكن حذفت ادلته للعلم بها قال ابو البقا ويقرا بلفظ الخبر
وفيه وجهان احدهما انه استفهام في المعنى ايضا وحذفت الهمزة للعلم
بها وعلى هذا الذي ذكره يكون الاعراب على ما تقدم واعلم انك ه
اذا جعلت ما موصولة بمعنى الذي امتنع نصبها بفعل مقدر على الاشتغال
قال مكي ولا يجوز ان تكون ما بمعنى الذي في موضع نصب لان ما بعدها
صلتها والصلة لا تعمل في الموصول ولا تكون تفسيرا للعامل في
الموصول وهو كلام صحيح فتلخص من هذا انها اذا كانت استفهامية جاز
ان تكون في محل رفع او نصب واذا كانت موصولة تعين ان يكون محلها الرفع

بالابتدا

بالابتدا وقال مكي واجاز الفراء نصب السحر بجعل ما شرطا وينصب السحر على المصدر ه
ويضمر الناصب ان الله سيبطله وجعل الالف واللام في السحر زايدتين وذلك كله ه
بعيد وقد اجاز علي بن سليمان حذف الفا من جواب الشرط في الكلام واستدل
على جوازه بقوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ولم يجز
عنه الا في ضرورة شعر قال شهاب الدين واذا مشيا مع الفراء فكون ما ه
شرطا مرآة لها المصدر تقديره ان سحر جيتم به فان الله سيبطله وبين ان
ما يراد بها السحر قوله السحر ولكن يقلق قوله ان نصب السحر على المصدر ه
فيكون تاويله انه منصوب على المصدر الواقع موقع الحال ولذلك قدره بالمكون
وجعل الي مزيدة فيه وقد نقل عن الفراء ان هذه الالف واللام للتعريف
وهو تعريف العهد قال الفراء انما قال السحر بالالف واللام لان النكرة
اذا اعيدت اعيدت بالالف واللام يعني ان النكرة قد تقدمت في قوله ان
هذا لسحر مبين وبهذا شرحه ابن عطية قال ابن عطية والتعريف هنا في السحر
اريب لانه قد تقدم منكرا في قولهم ان هذا لسحر فجاء هنا بلام العهد كما قال
اول الرسالة سلام عليك قال ابو حيان وما ذكراه هنا في السحر ليس من تقدم
النكرة معرفا اخبر عنها بعد ذلك لان شرط هذا ان يكون المعرف بال هو المنكر
المتقدم ولا يكون غيره كقوله تعالى كما ارسلنا الى فرعون الرسول فعصى
فرعون الرسول ويقول زارني رجل فاكرمت الرجل لما كان اتاه جاز ان
ياتي بضمير يدل له فتقول اكرمته والسحر هنا ليس هو السحر الذي في قولهم ان
هذا لسحر لان الذي اخبروا عنه بانه سحر هو ما ظهر على يدي موسى من معجزة
العصا والسحر الذي في قول موسى ما جيتم به هو الذي جاء به فقد اختلف
المدلول اذ قالوا نم عن معجزة موسى وقال موسى عما جاوا به ولذلك
لا يجوز ان يوتى هنا بالضمير يدل السحر فيكون عايدا على قولهم لسحر قال
شهاب الدين والجواب ان الفراء وابن عطية انما اراد السحر المتقدم
الذكر في اللفظ وان كان الثاني هو عين الاول في المعنى ولكن لما اطلق عليهما
لفظ السحر جاز ان يقال ذلك ويدل على هذا انهم قالوا في قوله تعالى ه
والسلام علي ان الالف واللام للعهد لتقدم ذكر السلام في قوله تعالى
وسلام عليه وان كان السلام الواقع على عيسى هو غير السلام الواقع على
يحيى لاختصاص كل سلام بصاحبه من حيث اختصاصه وهذا النقل المذكور عن
الفراء في الالف واللام ينافي ما نقله عنه مكي فيهما اللهم الا ان يقال يحتمل ان
يكون له مقالتان وليس ببعيد فانه كلما كثر العلم اتسعت المقالات قوله
ان الله سيبطله اي سيهلكه ويظهر فضيحة صاحبه ان الله لا يصلح عمل المفسدين ه

اي لا يقوبه ولا يكمله وقوله المفسدين من وقوع الظاهر موقع المضمر ضمير المخاطب
اذ الاصل لا يصلح عملكم فابرزهم في هذه الصفة الذميمة شهادة عليهم بما تو قاله
ويحق الله الحق اي يظهره ويقويه بكلماته اي بوعده موسى وقيل بما سبق من قضايه
وقدره وقرئ بكلمته بالتوحيد وتقدم نظيره **قوله** فما آمن لموسى الا ذ
للتعقيب وفيها اشعار بان ايمانهم لم يتاخر عن الالقاء بل وقع عقيبه لان الفاء
تفيد ذلك وقد تقدم توجيه تعديه آمن باللام والضمير في قومه فيه وجهان
اظهرهما انه يعود على موسى لانه هو المحدث عنه ولانه اقرب مذكور ولو عاد
على فرعون لم يكن لفظه ظاهرا بل كان التركيب على خوف منه وال هذا ذهب
بن عباس وغيره وقالوا المراد موسى بني اسرائيل الذين كانوا بمصر وخرجوا
معه قال ابن عباس لفظ الذرية يعبر به عن القوم على وجه التحقير والتمييز
والتصغير ولا سبيل لحمله على الحقيقة على وجه التحقير على وجه الاهانة منهما فوجب
حمله على التصغير بمعنى قلة العدد قال مجاهد كانوا اولاد الذين ارسل اليهم
موسى من بني اسرائيل هلك الاباء وبقي الابناء وقيل هم قوم نجوا من قتل فرعون
وذلك ان فرعون لما امر بقتل ابناء بني اسرائيل كانت المراة من بني اسرائيل
اذا ولدت ابنا وهبت لقبطية خوفا من القتل فنشاوا عند القبط واستمروا
في اليوم الذي غلبت فيه السحرة والثاني ان الضمير يعود على فرعون ويروى
عن ابن عباس ايضا ورجح بن عطية هذا وضعف الاول وقال ومما يضعف
عود الضمير على موسى ان المعروف من اخبار بني اسرائيل انهم كانوا قد فشت
فيهم المسوءات وكانوا قد نالهم ذل مفرط وكانوا يرجون كشفه بظهور مولود
فلما جاءهم موسى اتبعوه واعلنوا به وبايعوه ولم يحفظ ان طائفة من بني اسرائيل
كفرت بموسى فكيف تعطي هذه الاية ان الاقل منهم كان الذي امن قالذي يترجح
عوده على فرعون ويويده ايضا ما تقدم من محاورة موسى ورده عليهم وتوبيخهم
قيل المراد بالذرية اقوام كانوا بمصر من قوم فرعون وامهاتهم من بني اسرائيل
وهو من ملك فرعون فجعل الرجل يتبع امه واخواله وروي عن ابن عباس انهم
كانوا سبعين اهل بيت من القبط قال الفراء سموا ذرية لان اباءهم كانوا من
القبط وامهاتهم من بني اسرائيل كما يقال لاولاد اهل فارس الذين سقطوا الى
اليمن الابناء لان امهاتهم من غير جنس اباءهم وقيل المراد بالذرية من آل فرعون
آسية امراته ومومن آل فرعون وخازنه واصراة خازنه وماشطته واعلم انه
تعالى انما ذكر ذلك تسلية لمحمد عليه السلام لانه كان يغتم بسبب اعراض القوم
عنه واستمرارهم على الكفر فبين ان له في هذا الباب اسوة بسائر الانبياء
لان الذي ظهر من موسى كان في الاعجاز في مراي العين اعظم ومع ذلك فما امن

منهم الا ذرية **قوله** على خوف حال اي امنوا كائنين على خوف والضمير ٥
فيه في وملايهم فيه اوجه احدها انه عائد على الذرية وهذا قول ابي الحسن
واختاره ابن جرير اي على خوف من ملاء الذرية وهم اشراف بني اسرائيل الثاني ٥
انه يعود على قومه بوجهين اي سوا جعلنا الضمير في قومه لموسى او لفرعون
اي وملا قوم موسى او وملاء قوم فرعون الثالث ان يعود على فرعون كانهم
انما كانوا خائفين من فرعون واعترض على هذا بانه كيف يعود ضمير جمع ٥
على مفرد واعتذر ابو البقاء بذلك عن وجهين احدهما ان فرعون لما كان ٥
عظيما عندهم عاد الضمير عليه جمعا كما يقول العظيم نحن نامر وهذا فيه نظر
لانه لو ورد ذلك من كلامهم تحكيا عنهم لاحتمل ذلك والثاني ان فرعون
صار اسما لاتباعه كما ان ثمود اسما للقبيلة كلها وقال مكي وجهين اخرين
قريبين من هذين ولكنهما اخلص منهما قال انما جمع الضمير في ملايهم لانه
اخبار عن جبابرة والجبابرة يعبر عنه بلفظ الجمع وقيل لما ذكر فرعون علم ان معه ٥
غيره فرجع الضمير عليه وعلى من معه وقد تقدم نحو من هذا عند قوله الذين ٥
قال لهم الناس ان الناس والمراد بالقائل نعيم بن مسعود لانه لا يخلو امن مساعد
له على ذلك القول الرابع انه يعود على مضاف محذوف وهو ال تقديره
على خوف من ال فرعون وملايهم قاله الفراء كما حذف في قوله واسال القرية
قال ابو البقاء بعد ان حكي هذا ولم يعزه لاحد وهذا عندنا غلط لان المحذوف
لا يعود اليه ضمير لانه اذا لو جاز ذلك لجاز ان يقول زيد قاموا قال شهاب الدين ٥
قوله لان المحذوف لا يعود اليه ضمير ممنوع بل اذا حذف مضاف قام المضاف اليه
مقامه فيعود الضمير عليه كما هنا وهو الاكثر ويدل على ذلك انه قد جمع ٥
بين الامرين في قوله وكم من قرية اهلكناها اي اهل قريتهم قال اوهم ٥
تاملون وقد حققت ذلك في موضعه المشار اليه وقوله لجاز زيد قاموا ٥
ليس بنظير فان فيه حذف من غير دليل بخلاف الاية قال ابو حيان بعد ان
حكى كلام الفراء ورد عليه بان الخوف تمكن من فرعون ولا يمكن سوال القرية
فالحذف الاما دل عليه الدليل وقد يقال ويدل على هذا المحذوف ٥
جمع الضمير في وملايهم يعني انهم ردوا على الفراء بان الفرق بين واسال القرية
وبين هذه الاية بان سوال القرية غير ممكن فاضطررنا الى تقدير المضاف
بخلاف الاية فان الخوف ممكن من فرعون فلا اضطرار بنا يدلنا على مضاف
محذوف وجواب هذا ان الحذف قد يكون لدليل عقلي او لفظي على انه
قيل في واسال القرية انه حقيقة اذ يمكن النبي ان يسال القرية فتجيبه ٥
الخامس ان ثم معطوفا محذوفا للدلالة عليه والدليل كون الملك لا يكون

وحده بل له حاشية وعساكر وجند فكان القدر على خوف من فرعون وقومه ٥
وملايهم اي ملا فرعون وهو منقول عن الفراء ايضا قال شهاب الدين حذف
المعطوف قليل في كلامهم ومنه عند بعضهم قوله تعالى سرابيل تقيكم الحر اي والبرد
وقوله الاخر ٥

٦ كان الحصا من خلفها وامامها ٥ اذا حذفته رجلها حذف اعسرا ٥
اي وبيدها قوله ان يفتنهم اي يضرهم عن دينهم وفيه تلاثة اوجه احدها
انه في محل جر على البدل من فرعون وهو بدل اشتمال تقديره على خوف من
فرعون فتنته كقولك اعجبني زيد علمه الثاني انه في موضع نصب على المفعول
به بالمصدر اي خوف فتنته واعمال المصدر المنون كثير كقوله او اطعام في يوم
ذي مسغبة يتيما وقوله الاخر ٥

٦ فلولا رجا النصر منك ورهبة ٥ عقابك قد كانوا لنا بالموارد ٦
الثالث انه منصوب على المفعول من اجله بعد حذف اللام ويجري فيها الخلاف
المشهور وقرا الحسن وسيح يفتنهم بضم الياء من افتن وقد تقدم ذلك ٥
قوله وان فرعون لعال في الارض اي متكبرا وظالما وقاهرا ٥
وفي الارض متعلق بعال كقوله ٥

٦ فاعمد لما تعلو فانك بالذي ٥ لا تستطيع من الامور يدان ٥
اي لما يقهر ويجوز ان يكون في الارض متعلقا بمحذوف لكونه صفة لعال
فيكون مرفوع المحل ويرجح الاول قوله ان فرعون علا في الارض ثم قال
وانه لمن المسرفين المجاوزين الحد لانه كان عبدا فادعى الربوبية وقيل
لانه كان كثير القتل والتعذيب لمن خالفه والغرض منه بيان السبب في كون
اولئك المومنين خايفين قوله تعالى وقال موسى يا قوم ان كنتم
امنتم بالله الاية قوله فعليه جواب الشرط الاول والشرط الثاني هو ان
كنتم مسلمين شرط في الاول وذلك ان الشرطين متى لم يترتبا في الوجود ٥
فالشرط الثاني شرط في الاول ولذلك يجب تقديمه عليه الاول وقد تقدم
تحقيق ذلك قال الفقهاء المتاخرين يجب ان يكون متقدما والمتقدم يجب ان يكون
متاخرا مثاله قول الرجل لامراته ان دخلت الدار فانت طالق ان كلمت
زيدا والمشروط متاخر عن الشرط وذلك يقتضي ان يكون المتاخر في اللفظ
متقدما في المعنى وان يكون المتقدم في اللفظ متاخرا في المعنى فكانه يقول
لامراته حالما كلمت زيدا ان دخلت الدار فانت طالق فلو حصل هذا ٥
المعلق قبل ان كلمت زيدا لم يقع الطلاق فقوله ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا
ان كنتم مسلمين يقتضي ان يكون كونه مسلمين شرطا لان يصيروا محاطين بقوله

ان

ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا فكانه تعالى يقول للمسلم حال اسلامه ان كنت من المومنين
بالله فعلى الله توكل والامر كذلك لان الاسلام عبارة عن الاستسلام وهو الانقياد
لتكاليف الله وترك التمرد والايمان عبارة عن معرفة القلب بان واجب الوجود
لذاته واحد وما سواه محدث تحت تدبيره وقهره واذا حصلت هاتان
الحالتان فعند ذلك يفوض العبد جميع اموره الى الله تعالى ويحصل في القلب
نور التوكل على الله تعالى فصل اما قال فعليه توكلوا ولم يقل توكلوا
عليه لان الاول بعيد الحضر كانه عليه السلام امرهم بالتوكل عليه ونهاهم عن
التوكل على الغير ثم بين تعالى ان موسى لما امرهم بذلك قبلوا قوله وقالوا
على الله توكلنا اي توكلنا عليه واعتمادنا ولم نلتفت الى احد سواه ثم ٥
اشتغلوا بالدعا وطلبوا من الله شيئين احدهما قولهم ربنا لا تجعلنا فتنة ٥
للقوم الظالمين وبخسابرحمتك من القوم الكافرين اما قولهم لا تجعلنا فتنة
للقوم الظالمين والثاني وبخسابرحمتك من القوم الكافرين لو سلطهم علينا
لاستوجبوا العقاب الشديد في الاخرة وذلك يكون فتنة لهم الثالث المراد
بالفتنة المفتون لان اطلاق اللفظ المصدر على المفعول جايز كالخلق بمعنى
المخلوق والتعذيب لا تجعلنا معذبين لان يقهرونا بالظلم على ان نصرف
عن هذا الدين الحق الذي قبلناه ويوكد هذا قوله فما امن لموسى الا ٥
ذرية من قومه على خوف من فرعون وملايهم ان يفتنهم واما المطلوب الثاني
وهو قولهم ونجنا برحمتك من القوم الكافرين فيدل على ان اهتمامه بامر
دينهم كان فوق اهتمامهم بامر دنياهم لانا اذا حملنا قولهم لا تجعلنا فتنة ٥
للقوم الظالمين على تسليط الكفار علينا وصيرورة ذلك التسليط ٥
شبهة للكفار في ان هذا الدين باطل فتضرعوا الى الله تعالى في صون ٥
الكفار عن هذه الشبهة وتقدم هذا الدعا على طلب النجاة لانفسهم يدل
على اهتمامهم بمصالح اديانهم فوق اهتمامهم بمصالح ابدانهم قوله
تعالى واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا الاية لما
شرح خوف المومنين من الكفار وما ظهر منهم من التوكل على الله اتبعه بان
امر موسى وهارون باتخاذ المساجد والاقبال على الصلوات قوله
ان تبوءا يجوز ان يكون المفسره لانه قد تقدمها وما هو بمعنى القول
وهو الايحا ويجوز ان تكون المصدرية فتكون في موضع نصب باوحينا ٥
مفعولا به اي اوحينا اليهما التبوء والجمهور على الهمز في تبوءا وقرا
حفص ببياء خالصة وهي بدل عن الهمزة وهو تخفيف غير قياسي اذ قياس
تخفيف مثل هذه الهمزة ان تكون بين الهمزة والالف وقد ذكرنا هذه الرواية عن

فعليه وجوب الاول لانك لو سلطتهم
فرعون وقع في قلوبهم انا لقوينا
علينا لحقد فيما سلطهم علينا فيكون
فيصير ذلك سببا لمزيد قوتهم
فكانهم اصاروا هم على انفسهم
وذلك فتنة لهم

في
خص جماعة من الغزاوخصها بعضهم بحالة الوقف وهو الذي لم يحك ابو عمرو الدا
والشاطبي غيره وبعضهم يطلق ابدالها عنه ياء وصلا ووقفا وعلى الجملة
وهي قراءة ضعيفة في العربية وفي الرواية والتبوء النزول والرجوع ٥
يقال تبوا المكان اذا اتخذه مباءة وقد تقدمت هذه المادة في قوله تبوء
المومنين والمعنى اجعلا مصر بيوتا لقومكما ومرجعا ترجعون اليه للعبادة
قوله لقومكما يجوز ان يكون الامر واللام زايدة في المفعول الاول
وبيوتا مفعول ثاني بمعنى بوا لقومكما بيوتا اي انزلوهم وفعل وتفعل
بمعنى مثل علقتها وتعلقتها قاله ابو البقا وفيه ضعف من حيث انه
زيدت اللام والعامل فرع ولم يتقدم المفعول الثاني انها غير زايدة وفيها
حينئذ وجهان احدهما انها حال من البيوت والثاني انها وما بعدها مفعول
التبوا قوله بمصر جوز فيه ابو البقا وجهين احدهما انه متعلق ٥
بالتبوا وهو الظاهر الثاني انه حال من ضمير تبوا واستضعف ولم يبين
وجه ضعفه لو صوحه الثالث انه حال من البيوت الرابع انه حال من
لقومكما وقد ثنى الضمير في قوله تبوا اوجمع في قوله واجعلوا واقيموا وافراد
في قوله وبشر لان الاولى امر لهما والثاني لهما ولقومهما والثالث لموسى
فقط لان اخاه تبع له ولما كان فعل المثنى شريفا خص به موسى لانه هو
الاصل وقيل وبشر المومنين يا محمد فصل قال بعضهم المراد بالبيو
المساجد لقوله تعالى في بيوت اذن الله ان ترفع وقيل مطلق البيوت اما الاولون
فعكسوا القبلة بالجانب الذي يستقبل في الصلاة اي اجعلوا بيوتكم مساجد
تستقبلونها في الصلاة وقال الانباري المعنى اجعلوا بيوتكم قبلا اي مساجد
فاطلق لفظ الواحد والمراد الجمع ومن قال المراد مطلق البيوت فعينه
وجهان احدهما قال العراقي اجعلوا بيوتكم الى القبلة الثاني اجعلوا بيوتكم
متقابلة والمقصود منه حصول الجمعية واعتضاد البعض بالبعض ٥
واختلفوا في هذه القبلة اين كانت وظاهر القران لا يدل على تعيينها
فروي عن ابن عباس انه قال كانت الكعبة قبلة موسى عليه السلام وكان
الحسن يقول الكعبة قبلة كل الانبياء وانما وقع النعدول عنه بامر الله تعالى
في ايام الرسول عليه السلام بعد الهجرة وقال اخرون كانت القبلة بيت
المقدس فصل ذكر المفسرون في كيفية هذه الواقعة وجوها احدها
ان موسى ومن معه كانوا مامورين في اول امرهم بان يصلوا في بيوتهم خفية
من الكفار لانه لا يظهر واعليهم فيودوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المومنون
في اول الاسلام بمكة قال مجاهد خاف موسى ومن معه من فرعون ان يصلوا

في الكنايس الجامعة فامروا ان يجعلوا في بيوتهم مساجد مستقبلة الكعبة يصلون
فيها سرا وثانيها انه لما ارسل موسى الى فرعون بتخريب مساجد بني اسرايل
ومنعهم من الصلاة فامرهم الله تعالى باتخاذ المساجد في بيوتهم رواه عكرمة
عن ابن عباس وهو قول ابراهيم وثالثها انه تعالى لما ارسل موسى اليهم واظهر
فرعون لهم العداوة الشديدة امر الله تعالى موسى وهارون وقومهما ٥
باتخاذ المساجد على رغم الاعداء وتكفل الله بصونهم عن شر الاعداء والله اعلم
قوله فتعالى وقال موسى ربنا انك اتيت فرعون وملاه زينة واموالا
الاية لما بالغ موسى عليه السلام في اظهار المعجزات ورأى القوم مصرين
على الجحود والعناد دعا عليهم ومن حق من يدعو على الغير ان يذكر اوكد
جرحه وجرمهم كان حب الدنيا فلذلك لما جاءه تركوا الدين فلهذا قال عليه
السلام ربنا انك اتيت فرعون وملاه زينة واموالا والزينة عبارة ٥
عن الصحة والجمال واللباس والدواب واثاث البيت والمال ما يزيد
على هذه الاشيا من الصامت والناطق وفراء الفضل الرماشي انك ٥
اتيت على الاستفهام قوله ليضلوا في هذه اللام ثلاثة اوجه
احدها انها لام العلة والمعنى انك اتيتهم ما اتيتهم على سبيل الاستدراج
فكان الاتيان لهذه العلة والثاني انها لام الصيرورة والعاقبة كقوله ٥
فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقوله ٥ لدوا للموت وابنوا لخراب
وقوله ٥ وللموت نغدو والوالدات فصالها ٥ كما لخراب الدا تبني المساكن ٥
وقوله ٥ وللمنايا تربي كل مرضعة ٥ وللخراب يجد الناس عمرانا ٥
والثالث انها للدعا عليهم بذلك كانه قال ليشتوا على ما هم عليه من الضلال
وليكونوا ضلالا والية ذهب الحسن البصري وبدا به الزمخشري وقد ٥
استبعد هذا التاويل بقراة الكوفيين ليضلوا بضم الياء فانه يبعد ان
يدعى عليهم بان يضلوا غيرهم وقرا الباقون بفتحها وقرا الشعبي بكسرها
متوالي بين ثلاث كسرات احديها في ياء وقال الجبايي ان لام قدرة بين ٥
اللام والفعل تقديره ليلا يضلوا وراي البصريين في مثل هذا تقدير
كراهة اي كراهة ان يضلوا فصل احتج اهل السنة بهذه الاية
على انه تعالى يضل الناس من وجهين احدهما ان اللام في ليضلوا لام
التعليل والثاني قوله واشدد على قلوبهم فلا يومنوا فقال تعالى قد
اجيبت دعوتكما قال القاضي لا يجوز ان يكون المراد من الاية ما ذكرتم لوجوه
احدها انه تعالى منزه عن فعل القبايح وارادة الكفر فيجب ان ينبها انه
تعالى منزه عن فعل القبايح وارادة الكفر فيجب وثانيها انه تعالى لو اراد ذلك

لكان الكافر مطيعا لله تعالى بكفره لان الطاعة هي الاتيان بمراد الامر ولو كانوا
كذلك لما استحقوا الدعاء عليهم وثالثها لو جوزنا ارادة اضلال العباد لجوزنا
ان تبعث الانبياء لا لدعاء الى الاضلال ولجاز ان يقوي الكذابين الضالين
المضلين باظهار المعجزات وفيه هدم الدين ورابعها انه لا يجوز ان يقول
لموسى وهارون فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى وان يقول ولقد
اخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون ثم انه تعالى
اراد الضلال منهم واعطاهم النعم لكي يضلوا وهذا كما لمينا قضه فلابد من
حمل احدهما على الاخر وخامسها لا تجوز ان يقال ان موسى دعا ربه بان ٥
يطمس على اموالهم لاجل ان لا يؤمنوا مع تشدده في ارادة الايمان واذا
ثبت هذا وجب تاويل هذه الكلمة وذلك من وجوه الاول ان اللام ٢١
ليضلوا لام العاقبة كما تقدم ولما كانت عاقبة قوم موسى هو الضلال
عبر عن هذا المعنى بهذا اللفظ الثاني ان التقدير لئلا يضلوا كقوله
يبين الله لكم ان تضلوا اي كراهة ان تضلوا والمحذوف لدلالة المعقول عليه كقوله تعالى بلى ٥
شهدنا ان يقولوا يوم القيامة اي لئلا يقولوا الثالث ان يكون موسى ذكر
ذلك على وجه التنجيا المقرون بالانكار اي انك اتيتهم بذلك لهذا الغرض
فانهم لا ينفقون هذه الاموال فيه كانه قال اتيتهم زينة واموالا لاجل ان
يضلوا عن سبيلك ثم حذف حرف الاستفهام كما في قوله ٥

٦ كذبتك عينك ام رأيت بواسط ٦ غلس الظلام من الرجال ام الا

والمراد اكذبتك فكذا ههنا الرابع ان هذه لام الدعاء وهي لام الكلمة مكسورة
تجزم المستقبل ويفتتح بها الكلام فيقال ليغفر الله للمؤمنين وليعذب الله
الكافرين والمعنى ربنا ائتهم بالضلال عن سبيلك الخامس سلمنا انها لام التعليل
لكن بحسب ظاهر الامر في نفس الحقيقة والمعنى انه تعالى لما اعطاهم هذه
هذه الاموال وصارت سببا لبغيهم وكفرهم اشبهت حال من اعطى المال لاجل
الاضلال فورد هذا الكلام بلفظ التعليل لهذا المعنى السادس ان ٥
الضلال قد جاء في القرآن بمعنى الهلاك يقال ضل الماء في اللبن اي اهلك ٥
فقوله ليضلوا عن سبيلك اي ليهلكوا ويموتوا كقوله تعالى ولا تعجبك ٥
اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الدنيا واعلم قال ابن
الخطيب واعلم ان الجواب قد تقدم مرارا ويعيد بعضه فنقول الذي
يدل على ان الاضلال من الله تعالى وجوه احدها ان العبد لا يقصد الا
حصول الهداية فلما لم تحصل الهداية بل حصل الاضلال الذي لا يريده ٥
علمنا ان حصوله ليس من العبد بل من الله تعالى فان قالوا انه ظن ان هذا الضلا

هدى فلذلك اوقعه فنقول اقدامه على هذا الجهل ان كان بجهل سابق فذلك ٥٥
الجهل السابق يكون حصوله بسبق جهل اخر وبلزم التسلسل وهو محال فثبت ٥
ان هذه الجهالات والضلالات لابد من انتهائها الى جهل اول وضلال اول له ٥
وذلك لا يمكن ان يكون باحداث العبد لانه يكرهه ويريد ضده ٥٥
فوجب ان يكون من الله تعالى الثاني انه تعالى لما خلق الخلق محبون ٥
المال حباشديدا بحيث لا يمكنهم ازالة هذا الحب عن النفس البتة وكان ٥
حصول هذا الحب يوجب الاعراض عن خدمة الله وطاعته ويوجب ٥
التكبر عليه لانه يكرهه ويريد ضده فوجب ان يكون من الله تعالى ٥
الثالث وترك الالتفات لاوامره وذلك يوجب الكفر فهذه الاشياء ٥
يودي بعضها الى بعض نادرا على سبيل اللزوم فوجب ان يكون ٥٥
فاعل هذا الكفر هو الذي خلق الانسان محبوبا على حب المال ٥
والجاه الثالث ان القدرة بالنسبة الى الضدين على السوية ٥
فلا يترجح احد الطرفين على الاخر الا لمرجح وذلك المرجح ليس من ٥
العبد والا لعاد الكلام فيه فلابد وان يكون من الله تعالى واذا ٥
كان كذلك كانت الهداية والضلال من الله تعالى واذا عرفت ذلك ٥
فنقول اما حملهم اللام على لام العاقبة فضعيف لان موسى عليه السلام ٥
ما كان عالما بالعواقب فان قالوا ان الله اخبر عن ذلك قلنا فلما لم ٥
اخبر الله عنهم انهم لا يؤمنون كان صدور الكلام الايمان منهم محالا الان ٥
ذلك يستلزم انقلاب خبر الله تعالى كذبا وهو محال والمفضي الى المحال ٥
محال واما قولهم محل قوله ليضلوا على ان المراد لئلا يضلوا كما ذكره ٥٥
الحبائي فنقول انه لما فسر قوله تعالى ما اصابك من حسنة فمن الله وما ٥
اصابك من سيئة فمن نفسك ثم نقل قراءة فمن نفسك على سبيل الاستفهام ٥
بمعنى الانكار ثم انه استبعد هذه القراءة وقال انها تقتضي تحريف القرآن ٥
وتغييره وفتح تاويلات الباطنية وبالغ في انكار تلك القراءة وهذا ٥
الوجه الذي ذكره منا شر من ذلك لانه قلب النفي اثباتا والاثبات نفيا ٥
ويجوز بفتح ان لا يعتمد على القرآن لا في نفيه ولا اثباته وحينئذ يبطل ٥
القرآن بالكلية وهذا بعيد بعينه الجواب عن قوله المراد منه الاستفهام ٥
بمعنى الانكار فان تجويزه يوجب تجويز مثله في سائر المواضع فلعله ٥
تعالى انما قال اقيموا الصلاة واتوا الزكاة على سبيل الانكار والتعجب ثم ٥
قال ربنا اطمس على اموالهم قال مجاهد املكها وقال الطمس المحو وقال اكثر المفسرين ٥
استحها وغيرها عن هيئتها قال ابن عباس بلغنا ان الدراهم والدنانير ٥

بلغ مقابلة

صارت حجارة منقوشة كهيئتها صحاحا وانصافا واثلاثا وجعل سكرهم حجارة ۵
وقال محمد بن كعب كان الرجل يدع اهله في فراشه فصار احجرين والمراة قائمة تخبز
فصارت حجرا ودعا عمر بن عبد العزيز بخريطة فيها اشياء من بقايا الدرعون
فاخرج منها البيضة مشقوقة والجوزة مشقوقة وانها لحجر واشد دعا قتلوا
اي افتنهما واطبع عليهما حتى لا تلين ولا تنشرح للايمان قال الواحدي ۵
وهذا دليل على ان الله تعالى يفعل ذلك لمن يشاء ولولا ذلك لما احسن من موسى
عليه السلام الدعاء بذلك هذا السؤال **قوله** فلا يوسوسوا يحتمل النصب
والجزم على ان لا للدعاء كقولك لا تعذبني يا رب وهو قريب من معنى ۵
ليضلوا في كونه دعاء هذا في جانب شبه النهي وذلك في جانب شبه الامر
وحتى يرو اغاية لنفي ايمانهم والاول قول الاخفش والثاني بدأ به ۵
الزمخشري والثالث قوله الكسائي والفراء وانشدا قوله الشاعر ۵

فلا يبسطن من بين عينيك ما الذي ولا تلقني الا وانفك راغم

وعلى القول بانه معطوف على ليضلوا يكون ما بينهما اعتراضا قوله
قد اجيبت دعوتكما الضمير لموسى وهارون قيل كان موسى يدعو وهارون
يؤمن فنسب الدعاء اليهما لان المؤمن ايضا داع لان قوله امين اي استجب
وقيل المراد موسى وحده ولكن كني عن الواحد بضمير الاثنين وقيل
لا يبعد ان يكون كل واحد منهما ذكر هذا الدعاء عن موسى بقوله وقال
موسى ربنا انك اتيت فرعون وملاه زينة الاية هذا الاتيان في ان يكون
هارون ذكر ذلك الدعاء ايضا وقرا السلمي والضحاك دعواتكما على الجمع
وقرا ابن السميفع قد اجيبت دعوتكما بتاء المتكلم وهو الباري تعالى ۵
ودعوتكما نصب على المفعول به وقرا الربيع اجيبت دعوتيكما تثنية وهي
تدل لمن قال ان هارون شارك موسى في الدعاء **قوله** فاستقيما
اي على الدعوة والرسالة وامضيا لامري الى ان ياتيهم العذاب قاله
ابن جريج لبث فرعون بعد هذا الدعاء اربعين سنة ولا تتبعان قرا العامة
بتشديد التاء والنون وقرا حفص بتخفيف النون مكسورة مع تشديد التاء
وتخفيفها وللقراء في ذلك كلام مضطرب بالنسبة للنقل عنه فاما قراءة
العامة فلانه نهي للنهي ولذلك اكد الفعل بعدها وبضعف ان تكون
نافية لان تاكيد المنفي ضعيف ولا ضرورة بنا الى ادعائه وان كان
بعضهم قد ادعاه لكن في قوله لا تصيبن الذين ظلموا الضرورة دعت الى
ذلك وقد تقدم تحريره في موضعه وعلى الصحيح تكون هذه جملة نهي
معطوفة على جملة امر قال الزجاج ولا يتبعان موضعه جزم والتقدير

ولا تتبعا الا ان النون الشديدة دخلت على النهي موكدة وكسرت لسكونها
وسكون النون التي قبلها فاختير لها الكسرة لانها بعد الالف تشبهها بنون
التثنية واما قراءة حفص فلا يحتمل ان تكون للنفي وان تكون للنهي فان كانت
للنفي كانت النون نون رفع والجملة حينئذ يحتمل وجها احدها انها في موضع
الحال اي فاستقيما غير متبعين الا ان هذا معترض بما تقدم من ان ۵
المضارع المنفي بلا كالمثبت في كونه لا يباشره واو الحال الا ان يقدر
قبله مبتدا فتكون الجملة اسمية اي وانتما لا تتبعان والثاني ان
انه نفي في معنى النهي كقوله تعالى لا تعبدون الا الله الثالث انه خبر
محض مستانف لا تعلق له بما قبله والمعنى انهما اخبرا بانهما لا يتبعان
سبيل الذين لا يعلمون وان كانت للنهي كانت النون للتوكيد وهي ۵
الخفيفة وهذا لا يجيزه سيبويه والكسائي اعني وقوع النون الخفيفة
بعد الالف سواء كانت الالف الف تثنية او الف وصل بين نون الاناث
ونون التوكيد نحو هل مصرسان يا بشوة وقد احار بوتس والفراء
وقوع الخفيفة بعد الالف وعلى قولهما تخرج القراءة وقيل اصلها
الشديدة وانما خففت للثقل فيها كقولهم رب في رب وامالة التاء
التاء وتخفيفها فلغتان من اتبع تتبع واتبع يتبع وقد تقدم مثل
هما بمعنى واحد او مختلفان في المعنى والملخص ان تبعه مشى خلفه
واتبعه كذلك الا انه جاء في المشي وافتدى به واتبعه لحقه ر

فصل المعنى ولا تسلك طريق الجاهلين الذين يظنون انه
متى كان الدعاء مجابا حصل المقصود في الحال فربما اجاب الله تعالى ۵
دعاء الانسان في مطلوبه الا انه يوصله اليه في وقته المقدر فان
وعد الله لا خلف فيه والاستعجال لا يضر الا من الجاهلين كما قال ۵
ليوح عليه السلام اني اعظك ان تكون من الجاهلين وهذا النهي لا يدل
على صدور ذلك من موسى عليه السلام كما ان قوله لئن اشركت ليحبطن عملك
لا يدل على صدور ذلك منه **قوله** تعالى وجاوزنا ببني اسرائيل
البحر الاية قد تقدم الكلام في نظير الاية وقرا الحسن وجوزنا بتشديد الواو
وقال الزمخشري وجوزنا من اجاز المكان وجاوزه وجوزه وليس من جوز
الذي في بيت الاعشى ۵

واذا تجوزها حيال فبسله احذف من الاخزي الذكر حبالها

لانه لو كان منه لكان حقه ان يقال وجوزنا ببني اسرائيل في البحر كما قال
كما جوز السبكي في الباب فينق يعني ان فعل بمعنى فاعل وافعل وليس التضعيف

للتعدية اذ لو كان كذلك لتعدي بنفسه كما في البيت المشار اليه دون الثاني قرا الحسن فاتبعهم بالتشديد وقد تقدم ان نظير الفرق **قوله** بغيا ٥ وعدوا يجوز ان يكونا مفعولين من اجلهما اي لاجل البغي والعدو وشروط النصب متوفرة ويجوز ان يكونا مصدرين في موضع الحال اي باغين ٥ متعدين وقرا الحسن وعدوا بضم العين وهما لغتان المشددة وقد تقدم ذلك في سورة الانعام عند قوله حتى اذا عاينة لاشياعه **قوله** امنت انه قرا الاخوان بكسر ان وفيها اوجه احدها انها استيناف اخبار فلذلك كسرت لوقوعها ابتداء كلام والثاني انه على اضمار القول اي فقال انه ويكون هذا القول مفسرا لقوله امنت والثالث ان تكون هذه الجملة بدلا من قوله امنت والجملة بدل الجملة الاسمية من الفعلية جايز لانها في معناها ٥ وحينئذ تكون مكسورة لانها محكية بقال هذا الظاهر والرابع ان امنت ضمن معنى القول لانه قول وقال الزمخشري كرر المحذول المعنى الواحد ثلاث مرات في ثلاث عبارات حرصا على القبول يعني انه قال امنت فهذه مرة وقال انه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرايل فهذه ثانية وقال ٥ وانا من المسلمين فهذه ثالثة والمعنى واحد وهذا جنوح منه الى الاستثناء فيما انه وقرا الباقون بفتحها وفيها اوجه احدها انها في محل نصب على المفعول به اي امنت توحيد الله لانه بمعنى صدقت الثاني انها في موضع نصب بعد اسقاط الجار اي لانه الثالث انها في محل جر بذلك الجار وقد تقدم ٥ ما فيه من الخلاف **فصل** لما اجاب الله تعالى دعاءهما امر بنو اسرايل بالخروج من مصر وكان فرعون غافلا عن ذلك فلما سمع بخروجهم اتبعهم ٥ اي لحقهم بغيا وعدوا اي ظلما واعتداء وقيل بغيا في القول وعدوا ٥ في الفعل وكان البحر قد انفلق لموسى وقومه فدخلوا وخرجوا وبقاه الله تعالى ذلك الطريق اليبس ليطمع فرعون وجنوده في العبور فلما دخل مع جمعه ودخل آخرهم وهم أولهم بالخروج انطبق عليهم البحر فلما ادركه ٥ الغرق اي عاينه وقرب هلاكه قال امنت فان قيل ان الايمان اذا ٥ وقع في الغرق لا يمكنه ان يتلفظ بهذا اللفظ فكيف ذكره الله عنه انه فعل ذلك ذكر ذلك لما الجواب من وجهين الاول ان الكلام الحقيقي هو كلام النفس لا كلام اللسان فذكر هذا الكلام بالنفس الثاني ان يكون المراد من الغرق ٥ مقدماته فان قيل انه امن ثلاث مرات على ما تقدم عن الزمخشري ٥ فما السبب في عدم القبول له الجواب من وجوه احدها انه انما آمن عند نزول العذاب والايمان في هذا الوقت غير مقبول قال تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما

لما رأوا بأسنا وثانيها انما ذكر هذه الكلمة ليتوسل بها الى دفع تلك البلية ٥ الحاصرة ولم يكن مقصوده بالكلمة الاقرار بوحدانية الله تعالى فلم يكن مخلصا وثالثها ان ذلك الاقرار كان تقليدا فانه قال لا اله الا الذي ٥ امنت به بنو اسرايل فكانه اعترف بانه لا يعرف الله وانما سمع من بني ٥ اسرايل ان للعالم الها فاقر بذلك الاله الذي سمع بني اسرايل يقرون بوجوده وهذا محض التقليد وفرعون قبل انه كان من الدهرية المنكرين لوجود الصانع ومثل هذا الاعتقاد الفاسد لا تزول الحجة الا بالحجة القطعية اليقينية لا بالتقليد المحض ورابعها ان بعض بني اسرايل لما جاوزوا البحر عبدوا العجل فلما قال فرعون امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرايل انصرف ذلك الى العجل الذي اتوا بعبادته فكانت هذه الكلمة في حقه سببا لزيادة الكفر وخامسها انا اكثر اليهود يقولون بالتشبيه والتجسيم ولهذا اشتغلوا بعبادة العجل لظنهم انه تعالى في جسد ذلك العجل ٥ فلما قال فرعون امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرايل فكانه امن بالاله الموصوف بالجسمية والحلول وما اعتقد ذلك هو كافر فلذلك ما صح ايمانه وسادسها ان الايمان انما يتم بالاقرار بوحدانية الله تعالى والاقرار بنبوة موسى عليه السلام فلما اقر فرعون بالوحدانية ولم يقر بنبوة موسى لم يصح ايمانه كما لو قال الكافر الف مرة اشهد ان لا اله الا الله لم يصح ايمانه حتى يقول معه واشهد ان محمدا رسول الله فكذا ههنا وسابعها روي الزمخشري ان جبريل عليه السلام اتى فرعون يقتاده ما قول الامير في عبد تشاءى ما له مولاه ونعمته فكفر بنعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه فكتب فرعون يقول ابو العباس الوليد بن مصعب جزا العبد الخارج على سيده الكافر بنعمته ان يغرق في البحر فلما غرق دفع جبريل عليه السلام اليه فتياه **قوله** الان منصوب بمحذوف اي امنت الان اتؤمن الان وقوله وقد عصيت جملة اعتراضية تقدم نظيرها واختلفوا في قايل هذا الكلام فقيل جبريل وانما قاله وكنت من المفسدين في مقابلة قوله وانا من المسلمين وقيل القايل هو الله تعالى ٥ لانه قال بعده فاليوم ننجيك ببدنك الى ان قال وان كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون وهذا لا يليق الا بكلام الله تعالى فان قيل ظاهر اللفظ يدل على انه انما لم يقبل التوبة للمعصية المتقدمة والفساد السابق ٥ وهذا التعليل ممنوع من قبول التوبة فالجواب من وجهين الاول ان قبول التوبة غير واجب عقلا ويدل عليه هذه الاية الثاني ان التعليل ما وقع لمجرد

بل يتلك مع كونه من المفسدين **فصل** روي ان جبريل عليه السلام اخذ يملا
فيه بالطين لئلا يتوب غضبا عليه والاقرب ان هذا لا يصح لانه في تلك ٥
الحال اما ان يقال التكليف كان ثابتا او ما كان ثابتا اكم بحر لجبريل ان يمنعه
من التوبة بل يجب عليه ان يعينه على التوبة وعلى كل الطاعات لقوله ٥
تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ٥
وايضا فلو منعه بما ذكر لكانت التوبة ممكنة لان الاخرس قد يتوب بان
يندم بقلبه ويعزم على ترك معاودة القبيح فلا يبقى لما فعله جبريل ٥
عليه السلام فائدة وايضا لو منعه من التوبة لكان قد رضي ببقائه على
الكفر والرضا بالكفر كفر وايضا كيف يليق بالله تعالى ان يقول لموسى وهارون
عليهما السلام فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى ثم يامر جبريل ان يمنعه
من الايمان فان قيل ان جبريل انما فعل ذلك من قبل نفسه لا بامر الله ٥
فهذا يبطله قول جبريل وما نتنزل الا بامر ربك وقوله تعالى في صفة ٥
الملئكة لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وقيل ان التكليف كان زايلا
عن فرعون في ذلك الوقت فلا يبقى للفعل المنسوب لجبريل فايدة اصلا ٥

قوله فاليوم ننجيك ببدنك في بابدنك وهان احد هما انها آية ٥
المصاحبة بمعنى مصاحبا لبدنك وبي الدرع فيكون ببدنك في موضع الحال
قال المفسرون لم يصدقوا بغرقه وكانت له درع تعرف فالقي بنجوة ٥
من الارض وعليه درعه ليعرفوه والعرب تطلق البدن على الدرع قال
عمرو بن معدي كرب ٥

٦ اعاد سكني بدن في وسيفي ٥ وكل مقلص سلس القياد ٦

وقال اخر ٦ تري الابدان فيها مسبغات ٦ على الابطال والبلب الحصا ٦
اراد بالابدان الدروع والبلك الدروع اليمانية كانت تتخذ من الجلود
يخرز بعضها الى بعض وهو اسم جنس الواحد بلكة وقيل ببدنك اي عريانا
لا شيء عليك وقيل بدنا بلا روح والثاني ان تكون سببية على سبيل المجاز
لان بدنه سبب في تبيينه وذلك على قراءة ابن مسعود وابن السميفع بندايك
من النداء وهو الدعاء اي بما نادى به في قومه من كفرانه في قوله وناداي فرعون
في قومه فحشر فنادي فقال انا ربكم الاعلى يا ايها الملا ما علمت لكم من
اله غيري وقرا يعقوب ننجيك مخففا من الانجاء وقرا ابو حنيفة بابدانك
جميعا اما على ارادة الاوعاء لانه كان يلبس كثيرا منها خوفا على نفسه من
ان يجعل كل جزء من بدنه بدنا كقوله ٦ شابه مفارقه فقال
شاب المفارق واكتسين قتيرا ٥ وقرا ابن مسعود وابن السميفع وبزبد

اليزيدي ننجيك بالحا المهملة من التنحية اي نلقيك بناحية فيما يلي البحر قال
المفسرون رماه الى ساحل البحر كالثور وهل ننجيك من النجاة بمعنى ٥
نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر وهو تمكنهم بهم او من القاه على نجوة
اي ربوة مرتفعة او من النجاء وهو الترك او من العوم يقال النجاء وهو العلامة
وكل هذه معان لائقة بالقصة والظاهر ان قوله فاليوم ننجيك خبر
محض وزعم بعضهم انه على نية همزة الاستفهام وفيه بعد لحذفها من
غير دليل ولان التقابل بقوله لتكون لا يناسب الاستفهام ولتكون
متعلق بننجيك وآية اي علامة وقيل عبرة وعظة ولمن خلفك في محل ٥
نصب على الحال من اية لانه في الاصل صفة لها وقرا بعضهم لمن خالفك آية ٥
كسابرا بانه وقري لمن خلفك بفتح اللام فعلا ماضيا اي لمن خلفك من
الجبابره ليتعظوا بذلك وقري لمن خلفك بالقاف فعلا ماضيا وهو الله
تعالى اي ليجعلك الله ٨ اية له في عباده **فصل** في كونه اية لمن خلفه
وجوه احدها ان الذين اعتقدوا الالهية لما لم يشاهدوا غرقه كذبوا
بذلك وزعموا ان مثله لا يموت فاخرجه الله تعالى بصورته حتى ابصروه
وزالت الشبهة عن قلوبهم الثاني انه تعالى اراد ان يشاهده الخلق على ذلك
الذل والمهانة بعد ما سمعوا منه قوله انا ربكم الاعلى ليكون ذلك ٥
زجرا للخلق عن مثل طريقته الثالث انه تعالى لما غرقه مع جميع قومه
ثم لم يخرج احدا منهم من قعر البحر بل خصه بالاخراج كان تخصيصه بهذه الحالة
عجيبة دالة على قدرة الله تعالى وعلى صدق موسى عليه السلام في دعوى
النبوة الرابع ما تقدم في قراءة من قرا لمن خالفك آية ثم قال تعالى وان
كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون والظاهر ان هذا الخطاب لامة محمد عليه
السلام زجرا لهم عن الاعراض عن الدلائل وبعثا لهم على التامل فيها
والاعتبار بها كما قال تعالى لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب

قوله تعالى ولقد بوانا بني اسرائيل مبوا صدق الاية لما
ذكر خاتمة امر فرعون وهامان ذكر خاتمة بني اسرائيل فقال ولقد بوانا اي
اسكنا بني اسرائيل مبوا صدق اي مكانا محمودا ويجوز ان يكون مبوا
صدق منصوبا على المصدر اي بوانا هم مبوا صدق وان يكون مكانا اي
مكان تبوا صدق ويجوز ان ينتصب مبوا على انه مفعول ثان كقوله تعالى
لنبوئنهم من الجنة غرفا تجري اي لننزلنهم ووصف المبواء بكونه صدقا لان
عادة العرب اذا مدحت شيا اضافته الى الصدق تقول رجل صدق وقوم

صدق قال تعالى رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق والمراد بالمدخل
الصدق قبل مصر وقبل الاردن وفلسطين وهي الارض المقدسة ورزقناهم
من الطيبات الحلال فما اختلفوا يعني اليهود الذين كانوا في زمن عمل
النبي صلى الله عليه وسلم في تصديقه وانه نبي حتى جاءهم العلم يعني القرآن
والبيان بانه رسول الله صدق ودينه حق وسمي القرآن علما لانه سبب
العلم وتسمية المسبب باسم السبب مجاز مشهور قال ابن عباس هم قريظة
والنضير وبنو قينقاع انزلناهم منزل صدق ما بين المدينة والشام
ورزقناهم من الطيبات وهو ما في تلك البلاد من الرطب والتمر الذي
لا يوجد مثله في البلاد وقيل المراد بني اسرائيل الذين نجوا من فرعون
اورثهم جميع ما كان تحت ايدي قوم فرعون من المناطق والمصانع والحروث
والنسل كما قال واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض
ومغاربها **فصل** في كون القرآن سببا لحدوث الاختلاف وجهان
الاول ان اليهود كانوا يخبرون بمبعث محمد عليه السلام ويفتخرون به على
سائر الناس فلما بعثه الله تعالى كذبوه حسدا وبغيا وايثارا للبقاء الرياسة
وامن به طائفة منهم فهذا الطريق صار القرآن سببا لحصول الاختلاف
فيهم الثاني ان هذه الطائفة من بني اسرائيل كانوا قبل نزوله القرآن كفارا
محضا بالكلية وبقوا على هذه الحال حتى جاءهم القرآن فعند ذلك اختلفوا
فامن قوم وبقي قوم كفارا ثم قال ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما
كانوا فيه يختلفون اي ان هذا الاختلاف لا يمكن ازالته في هذه الدنيا
وانما يقضي بينهم في الآخرة فيميز المحق من المبطل **قوله** تعالى فان
كنت في شك الآية لما ذكر اختلافهم عند ما جاءهم العلم ذكر في هذه الآية ما يقوي
قلبه في صحة القرآن والنبوة وفي ان هذه وجهان اظهرهما انها شرطية
واستشكلوا على ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن في شك قط قال
الزمخشري فان قلت كيف قال لرسوله فان كنت في شك مع قوله للكفرة
وانهم لفي شك منه مريب قلت فرق عظيم بين اثبات الشك على سبيل
التوكيد والتحقيق وبين قوله فان كنت بمعنى الفرض والتمثيل وقال ابو
حيان واذا كانت شرطية فقالوا انها تدخل على الممكن وجوده او المحقق وجوده
المبهم زمن وقوعه كقوله تعالى افان مت فهم الخالدون قال والذي اقوله
ان ان الشرطية تقتضي تعليق شيء على شيء ولا يستلزم تحقق وقوعه ولا
امكانه بل قد يكون ذلك في المستحيل عقلا كقوله تعالى ان كان للرحمن ولد فانا

اول

اول العابدين ومستحيل ان يكون له ولد فكذلك ما يستحيل ان يكون في شك
وفي المستحيل عادة كقوله تعالى فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض لكن
وقوعها في تعليق المستحيل قليل قال والذي خفي هذا الوجه على اكثر الناس
اختلفوا في تخريج هذه الآية فقال ابن عطية الصواب انها مخاطبة له والمراد
من سواه من امته ممكن ممن يمكن ان يشك او يعارض كقوله تعالى يا ايها
النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين وقوله لئن اشركت ليحبطن
عملك ويدل على ذلك قوله في آخر السورة يا ايها الناس ان كنتم في شك وايضا
فيتقدير ان يكون شاكا في نبوة نفسه فكيف يزول ذلك الشك باخبار اهل
الكتاب على نبوته فانهم كفار وان كان قد حصل فيهم مومن الا ان قوله ليس
بحجة لاسيما وقد تقرر انهم حرفوا التوراة والانجيل فثبت ان هذا الخطاب
وان كان في الظاهر مع الرسول الا ان المراد الامة وعلى هذا فان الناس
في زمانه كانوا فرقا ثلاثة المصدقون والمكذبون والمتوقفون في امره
الشاكون فيه فخاطبهم الله تعالى بهذا الخطاب فقال ان كنت ايها الانسان
في شك مما انزلنا اليك من الهدى على لسان محمد فاسأل اهل الكتاب
ليدلوك على صحة نبوته والمراد ذكرهم ما يزيل الشك عنهم حذرهم بان
يلحقوا بالقسم الثاني وهم المكذبون فقال ولا تكونن من الذين كذبوا
بايات الله الآية وقيل كنى بالشك عن الضيق وقيل كني به عن التقرير ووجه
المجاز فيه ان كلا منهما فيه تردد وقال الكسائي ان كنت في شك ان هذا
عادتهم مع الانبياء فسألهم كيف كان صبر موسى عليه السلام وقيل انه تواتر
علم ان الرسول لم يشك في ذلك الا ان المقصود منه انه متى سمع هذا الكلام
فانه يصرح ويقول يا رب لا اشك ولا اطلت الحجة من قول اهل الكتاب لما
كفى ما انزله على من الدلائل الظاهرة ونظيره قوله تعالى للملائكة اهؤلاء
اياكم كانوا يعبدون والمقصود منه ان يصرح عيسى بالبراءة من ذلك وقيل
التقدير انك لست بشاك البتة ولو كنت شاكا لكان لك طرق كثيرة في ازالة
ذلك الشك كقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا اي انه لو فرض
ذلك الممتنع واقعا لزم منه المحال الفلاني فكذا ههنا لو فرضنا وقوع الشك
فارجع الى التورية والانجيل لتعرف بهما ان هذا الشك زايل والوجه الثاني
من وجهي ان انها نافية قال الزمخشري اي ما كنت في شك فاسئل يعني
لا تامرك بالسؤال لكونك شاكا ولكن لتزداد يقينا كما ازداد ابراهيم عليه
السلام بمعاينة احياء الموتى وهذا القول سبقه اليه الحسن البصري ويحيى
والحسين بن الفضل وكانه فر من الاشكال المتقدم في جعلها شرطية وقد تقدم

جوابه من وجوه **فصل** قال المحققون المراد بالذين يقرؤن الكتاب ٥
هم الموسومون من اهل الكتاب كعبد الله بن صوريا وتميم الداري وكعب
الاحبار لانهم الذين يوثق باخبارهم وقال بعضهم المراد الكل سواء كانوا من
المسلمين او من الكفار لانهم اذا بلغوا عدد التواتر ثم قرؤا اية من التوراة
او الانجيل وتلك الاية دالة على البشارة بمقدم النبي عليه السلام فقد
حصل الغرض وقرأ ابي وابن مسعود الكتب بالجمع وهي مبينة ان المراد ٥
بالكتاب الجنس لا كتاب واحد فان قيل ان كتبهم قد دخلها التحريف والتغيير
فكيف يمكن التعويل عليها فالجواب انهم انما حرفوها لاخفاء الايات الدالة
على نبوة محمد عليه السلام فان بقيت فيها ايات دالة على نبوته كان ذلك
من اقوى الدلائل على صحة نبوة محمد لانها لما بقيت مع توفر دواعيهم
على ازالتها دل ذلك على انها في غاية الظهور **فصل** قيل السؤال
كان عن القرآن ومعرفة نبوة الرسول عليه السلام وقيل السؤال راجع
الى قوله فما اختلفوا حتى جاءهم العلم والاول اولى لانه اتم ولما بين
هذا الطريق قال لقد جاءك الحق من ربك اي ثبت عندك الايات والبراهين
القاطعة ان ما اتاك هو الحق فلا تكونن من الممترين اي لا مدخل للمرية
فيه ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله اي اثبت ودم على ما انت عليه
من انتفاء المرية واتقاء التكذيب بايات الله روي انه عليه السلام قال
عند نزوله لا اشك ولا اسأل اسايل اشهد انه الحق ثم لما فصل تعالى ٥
بهذا التفصيل بين ان له عبادا اقضى عليهم بالشقاوة فلا تغيير وعبادا
اقضى لهم بالكرامة فلا تغيير فقال ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون
قرأ نافع وابن عامر كلمات على الجمع والباقون بالافراد بحسب الجنسية والمراد
بهذه الكلمة حكم الله بذلك واخباره عنه وخلقه في العبد مجموع القدرة
والداعية الموجبة لحصول ذلك الاثر واحتجوا بهذه الاية على صحة القول
بالقضاء والقدر ثم قال ولو جاءتهم كل اية حتى يروا العذاب الاليم اي انهم
لا يؤمنون البتة ولو جاءتهم الدلايل التي لاحد لها ولا حصر لان الدليل ٥
لا يهدي الا باعانة الله فاذا لم تحصل تلك الاعانة ضاعت تلك الدلايل
القصة الثالثة **قوله** تعالى فلولا كانت قرية امنت الاية لما بين
بقوله ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل اية اتبعه بهذه
الاية لانها دالة على ان قوم يونس امنوا بعد كفرهم وانتفعوا بذلك ٥
الايمان فدل ذلك على ان الكفار فريقان فريق ختم له بالايمان وفريق ختم
له بالكفر وكل ما قضى الله به فهو واقع **قوله** فلولا هنا تخصيصيه ٥

وفيها

وفيها معنى التوبيخ كقوله الفرزدق ٥

تعدون عقر اليلنا فضل مجدكم ۞ بني ضوطري لولا الكمي المقنعا ۞

وفي مصحف ابي وعبد الله وقرا كذلك فهذا لا يبقى نص في التخصيص وزعم
علي بن عيسى والنحاس ان لولا تاتي بمعنى ما النافية وحملا على ذلك هذه
الاية اي ما كانت قرية الا قوم يونس ونقله بن قاسم وتو منقولا ايضا عن الهروي وكانت
هنا تامة وامنت صفة لقرية وفتحها مشبع على الصفة **قوله**
الا قوم يونس فيه وجهان احدهما انه استثناء منقطع والية ذهب سيبويه
والكسائي والاخفش والفراء لذلك ادخله سيبويه في باب ما لا يكون
فيه الا النصب لانقطاعه وانما كان منقطعا لان ما بعد الا لا يندرج تحت
لفظ قرية والثاني انه متصل قال الزمخشري استثنا من القرى لان
المراد اهلها انما اليها او هو استثناء منقطع ولذلك رسمه النحويون ونحو
حسب المعنى متصل لان تقدير ما امن اهل قرية الا قوم يونس قال
شهاب الدين وتقدير هذا المضاف هو الذي صحح كونه استثناء متصلا
ولذلك قال ابو البقاء ومكي وغيرهما واما الزمخشري فان ظاهر عبارته
ان المصحح لكونه متصلا كون الكلام في معنى النفي وليس كذلك بل المسوغ
كون القرى يراد بها اهلها لما بينهما من باب اطلاق المحل على الحال وهو
احد الاوجه المذكورة في قوله واسئل القرية وقرات فرقة الا قوم
بالرفع قال الزمخشري وقرئ بالرفع على البدل روي ذلك عن الجرمي
والكسائي وقال المهدوي والرفع على البدل من قرية فظاهر هاتين
العبارتين انها قراءة منقوله وظاهر قول مكي وابو البقاء انها ليست
قراءة واخيرا نما ذلك من الجايز وجعلا الرفع على وجه اخر غير البدل
وهو كون الا بمعنى غير في وقوعها صفة قال مكي ويجوز الرفع على ان يجعل
الا بمعنى غير صفة للاول المحذوف في المعنى ثم يعرب بعرب ما بعد الا بلفظ
غير لو ظهرت في موضع الا وقال ابو البقاء واظنه اخذه منه ولو كان قد
قرئ بالرفع لكانت الا فيه بمنزلة غير فتكون صفة وقد تقدم ان في نون
يونس ثلاث لغات قرئ بها **فصل** قال البغوي المعنى فلولا
تكن قريه لان في الاستفهام ضربا من الجحد اي لم تكن قرية امنت عند معاينة
العذاب فنفعها ايمانها في حال الياس الا قوم يونس فانهم نفعهم ٥
ايمانهم في ذلك الوقت وقوم نصب على الاستثناء المنقطع اي ولكن ٥
قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم
الى حين وهو وقت انقضاء اجالهم واختلفوا في انهم هل راوا العذاب عيانا

وابن عطية

فقال بعضهم لما وادلبل العذاب والاكثرون على انهم رأوا العذاب عيانا لقوله
كشفنا عنهم عذاب الخزي والكشف يكون بعد الوقوع او اذا قرب **قوله**
ولو شاء ربك يا محمد لآمن من في الارض كلهم جميعا واعلم ان هذه السورة ٥
من اولها الى هنا في بيان شبهات الكفار في انكار النبوة والجواب عنها
ولو كانت احدى شبهاتهم ان النبي عليه السلام كان يهددهم بنزول العذاب
على الكفار ويعد اتباعه بنصرهم وعلو شانهم وتقوية جاههم وجاههم ثم
ان الكفار مارأوا ذلك فجعلوا ذلك شبهة في الطعن في نبوته وكانوا ٥
يبالغون في استحالة العذاب على سبيل السخرية ثم ان الله تعالى بين ان
تاخير الموعود به لا يقدح في صحة الوعد وضرب لهذا مثله وهي قصة
نوح وموسى الى ههنا ثم بين في هذه الاية بيان ان حد الرسول في دخولهم
في الايمان لا ينفع ومبالغته في تقرير الدلايل وفي الجواب عن الشبهات
لا يفيد لان الايمان لا يحصل الا بخلق الله ومشيته وهدايته فاذا لم
يحصل هذا المعنى لم يحصل الايمان **فصل** استدلوا بهذه ٥
الاية على ان جميع الكاينات لا تحصل الا بمشية الله تعالى لان كلمة لو ٥
تفيد انتفاء الشي لانتفاء غيره فقوله ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم
جميعا يقتضي انه ما حصلت تلك المشية وما حصل ايمان اهل الارض ٥
بالكلية فدل على انه تعالى ما اراد ايمان الكل واجاب الجبائي والقاضي وغيرهما
بان المراد مشية الالجاء اي لو شاء الله ان يلجيهم الى الايمان لصاد من هذه
العبد على سبيل الالجاء لا ينفعه ولا يفيده فايده ثم قال الجبائي ومعنى
الجاء الله تعالى اياهم الى ذلك ان يعرفهم انهم لو حاولوا تركه حاول الله
بينهم وبين ذلك وعند هذا لا بد وان يفعلوا اما الجيوش اليه والجواب
من وجوه احدها ان الكافر ان كان قادرا على الكفر ولم يقدر على الايمان
فحينئذ تكون القدرة على الكفر مستلزمة للكفر فاذا كان خالق تلك
القدرة هو الله تعالى لزم ان يقال انه تعالى خلق فيه قدرة مستلزمة
للكفر فوجب ان يقال اراد منه الكفر وان كانت القدرة صالحة للضدين
فرجحان احد الطرفين على الاخر ان لم يتوقف على المرجح فقد حصل
الرجحان لا لمرجح وهو باطل وان لم يتوقف توقف على مرجح فذلك ٥
المرجح اما ان يكون من العبد او من الله فان كان من العبد عاد التقسيم ولزم
التسلسل وهو محال وان كان من الله كان مجموع تلك القدرة مع تلك ٥
الداعية موجبة للكفر فاذا كان خالق القدرة والداعية هو الله تعالى
عاد الالزام وثانيها ان قوله ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم يوجب ان

لذلك ح

يكون

يكون المراد منه هذا الايمان النافع حتى ينتظم الكلام ويحمل اللفظ على مشية القهر
والالجاء لا يليق بهذا الموضع وثالثها ان الالجاء اما ان يكون بان يظهر له ايات ٥
هايلة تعظم خوفه عند وقوعها فينافي بالايمان عندها واما ان يكون تخليق الايمان
فيهم وكلا الامرين باطل لانه تعالى قال ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يومنون ولو
جاءتهم كل اية حتى يروا العذاب الاليم وقال ولو اننا نزلنا اليهم الملئكة ٥
وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شي قبلا ما كانوا ليومنوا الا ان يشاء الله فبين
ان انزال الايات لا يفيد وان كان المراد هو الثاني لم يكن هذا الجواب الى
الايمان بل كان عبارة عن خلق الايمان فيهم فدل على انه ما اراد حصول
الايمان لهم وهو المطلوب ثم قال افانت تكره الناس حتى يكونوا مومنين
اي انه لا قدرة لك على التصرف في احد **قوله** افانت تجوز في انت ٥
وجهان احدهما ان يرتفع بفعل مقدر مفسر بالظاهر بعده وهو الارجح
لان الاسم قد ولي اداة هي بالفعل اولى والثاني انه مبتدا والجملة ٥
بعده خبره وقد تقدم ما في ذلك من كون الهمزة مقدمة على العاطف او
ثم جملة محذوفة تحو ما مر اي المخشري وفايدة ابدال الاسم للاستفهام
اعلام بان الاكراه ممكن مقدور عليه وانما الشان في المكره من هو وما
هو الاوحد لا يشاركه فيه غيره وحتى غاية للاكراه **قوله** وما
كان لنفس ان تومن الا باذن الله كقوله ان تموت وقد تقدم في ال عمران ٥
والمعنى وما ينبغي لنفس وقبل ما كانت لتومن الا باذن الله قال ابن عباس
بامر الله وقال عطا بمشية الله وقيل بعلم الله وجعل قرا ابو بكر عن ٥
عاصم ينون العظمة والباقون بيا الغيبة وهو الله تعالى وقرا الاعمش
وجعل الله الرجز بالزاي دون السين وقد تقدم مثل ما بمعنى او بينهما فرق
ثم قال على الذين لا يعقلون اي عن الله امره ونهيه **فصل** احتجوا
بقوله وجعل الرجس على الذين لا يعقلون على ان خالق الكفر والايمان
هو الله تعالى وتقريره ان الرجس قد يراد به العمل القبيح قال تعالى انما
يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا والمراد
العمل القبيح مهما سواء كان كفرا او معصية وبالتطهير نقل العبد من
رجس الكفر والمعصية الى طهارة الايمان والطاعة فلما ذكر الله ٥
تعالى فيما قبل هذه الاية ان الايمان انما حصل بمشيته وتخليقه ذكر
بعده ان الرجس لا يحصل الا بتخليقه والرجس الذي يقابل الايمان
ليس الا الكفر واجاب ابو علي الفارسي النحوي فقال الرجس يحتمل
وجهين احدهما ان يكون المراد منه العذاب فيكون المعنى يلحق العذا

بالذين لا يعقلون كقوله ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات
الثاني انه تعالى حكم عليهم بانهم نجس كما قال انما المشركون نجس اي انطهارة
الثالثة للمسلمين كما تحصل لهم واجاب ابن الخطيب بان حمل الرجس على العذاب
باطل لان الرجس عبارة عن الفاسد المستقذر المستكره فحمل هذا اللفظ ٥
على كفرهم وجهلهم اولى من حمله على عذاب الله مع كونه خاصا صدقا صوابا
واما حمل الرجس على حكم الله برجسانتهم فهو في غاية البعد لان حكم الله ٥
تعالى بذلك صفته فكيف يجوز ان يقال ان صفة الله رجس فثبت ان دلالة
الاية على الكفر ظاهرة **قوله** تعالى قل انظروا ماذا في السموات
والارض الاية لما بين في الايات السالفة ان الايمان لا يحصل الا بتخليق
الله تعالى ومشيئته امر بالنظر والاستدلال في الدلايل فقال قل انظروا
بكسر اللام لالتقاء الساكنين والاصل فيه الكسر والباقون بضمها ٥
نقلوا حركة الهمزة الى اللام **قوله** ماذا يجوز ان يكون ما وذا كله ٥
استفهاما مبتدا وفي السموات خبره اي شيء في السموات ويجوز
ان يكون ما مبتدا وذا بمعنى الذي وفي السموات صلته وهو خبر المبتدا
وعلى التقديرين فالمبتدا وخبره في محل نصب باسقاط الخافض لان ٥
الفعل قبله معلق بالاستفهام ويجوز ان يكون على ضعف ان يكون ما كله
ماذا كله موصولا بمعنى الذي وهو في محل نصب بانظروا ووحد ضعفه ٥
انه لا يخلو اما ان يكون النظر بمعنى البصر فيتعدى بالى واما ان
يكون قلبيا فيتعدى بفي وقد تقدم الكلام في ماذا **فصل** المعنى قل
للمشركين الذين يسالونك الايمان انظروا ماذا في السموات والارض ٥
واعلم انه لا سبيل الى معرفة الله تعالى الا بالنظر في الدلايل قال عليه
السلام تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق والدلايل اما ان تكون
من عالم السموات او من عالم الارض اما الدلايل السماوية فهي حركات
الاملاك ومقاديرها والكواكب وما يختص به كل واحد منها واما الدلايل
السماوية هي حركات الاملاك ومقاديرها والكواكب وما يختص به كل ٥
واحد منها واما الدلايل السماوية هي حركات الاملاك ومقاديرها
والكواكب وما يختص به كل واحد منها واما الدلايل السماوية هي حركات
الارضية فهي النظر في احوال العناصر العلوية وفي احوال المعادن والنبات
واحوال الانسان وتشقسم كل واحد من هذه الاجناس الى انواع لا نهاية لها ٥
ولولا ان الانسان اخذ يتفكر في كيفية حكمة الله تعالى في تخليق جناح بعوضة

نصب ٥

لا تقطع

لا تقطع عقله قبل ان يصل الى اول مرتبة من مراتب تلك الفوايد ثم لما امر بهذا التفكر
بين بعده ان هذا التفكر والتدبر في هذه الايات لا تنفع في حق من حكم الله عليه
في الازل بانه لا يؤمن فقال وما تغني الايات والنذر عن قوم لا يؤمنون ٥ ٥
قوله وما تغني يجوز في ما ان تكون استفهامية وبني لوقوعه موقع المصدر
اي اي غنا تغني الايات ويجوز ان تكون نافية وهو الظاهر وقال ابن عطية ويحتمل
ان يكون ما في قوله وما تغني مفعول كقوله انظروا معطوفة على قوله ماذا اي
تاملوا قد رعنا الايات والنذر عن الكفار قال ابو حيان وفيه ضعف وفي
قوله معطوفة على ماذا يجوز يعني ان الجملة الاستفهامية التي هي ماذا في ٥
السموات في موضع المفعول لا ان ماذا وحده منصوب بما نظروا فيكون ٥
ماذا موصولة وانظروا بصرية لما تقدم من انه لو كانت بصرية لتعدت ٥
بالى والنذر يجوز ان يكون جمع نذير المراد به المصدر فيكون النذير وما
تغني الايات والانذارات وان يكون جمع نذير مراد به اسم الفاعل ٥
بمعنى منذر فيكون التقدير والمنذرون وهم الرسل وقرى وما يغني
بالياء **قوله** تعالى هل ينتظرون يعني مشركي مكة الا مثل ايام
الذين خلوا مضوا من قبلهم من مكذبي الامم قال قتادة يعني وقايع الله في
قوم نوح وعاد وثمود والعرب تسمي العذاب والنعم اياما كقوله وذكرهم
بايام الله وكل ما مضى عليك من خير وشر فهي ايام ثم انه تعالى امره بان
يقول لهم فانتظروا اني معكم من المنتظرين **قوله** ثم ننجي رسلنا
قال الزمخشري وهو معطوف على كلام محذوف يدل عليه قوله الا مثل ايام
الذين خلوا من قبلهم كانه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا معطوف على حكاية
الاحوال الماضية وقرا الكسائي في رواية نضر ننجي المومنين والمعنى ٥
ننجي رسلنا والذين امنوا معهم عند نزول العذاب معناه نجينا مستقبل ٥
معنى الماضي ونحا وانجى بمعنى واحد كذلك اي كما انجينا هم حقا واجبا علينا
ننجي المومنين **قوله** حقا فيه اوجه احدها ان يكون منصوبا بفعل مقدر ٥
اي حق ذلك حقا والثاني ان يكون بدلا من المحذوف النايب عنه الكاف تقديره
انجاء مثل ذلك حقا والثالث ان يكون كذلك وحقا مصدرين بننجي الذي بعدهما
والرابع ان يكون كذلك منصوبا بننجي الاولى وحقا بننجي الثانية وقال الزمخشري
مثل ذلك الانجا ننجي المومنين منكم ونهلك المشركين وحقا علينا اعتراض ٥
يعني حق ذلك علينا اعتراضا يعني حق ذلك علينا حقا وقرا الكسائي ونضر
ويعقوب ننجي المومنين مخففا من انجى يقال انجى ونجا كانزل ونزل وجمهور ٥
القرا لم ينقلوا الخلاف الا في هذا دون قوله فاليوم ننجيك ببدنك ودون نقوله

ثم ننجي رسلنا وقد نقل ابو علي الاهوازي الخلاف فيهما ايضا ورسم في المصاحف
ننج بحيم دون ياء **فصل** قال القاضي قوله حقا علينا المراد به الوجوب
لا ان تخليص الرسول والمومنين من العذاب آل الثواب واجب ولولاه ما حسن
من الله تعالى ان يلزمهم الافعال الشاقة وهذا يجري مجرى قضاء الدين واجب
بان نقول انه حق بحسب الوعد والحكم ولا نقول بانه حق بحسب الاستحقاق ٥
لما ثبت ان العبد لا يستحق على خالقه شيا **قوله** تعالى قل يا ايها الناس
ان كنتم في شك من ديني الاية لما بالغ في ذكر الدلايل امر رسوله باظهار دينه
والمباينة عن المشركين لكي يزول الشكوك والشبهات في امره فان قيل كيف قال
في شك وهم كافرون يعتقدون بطلان ما اجابه قيل كان فيهم شاكون وهم المراد
بالاية وانهم لما راوا الايات اضطربوا وشكوا في امرهم وامر النبي صلى الله عليه
وسلم **قوله** فلا اعبد جواب الشرط والفعل خبر ابتدا مضمر تقديره ٥
فانا لا اعبد ولو وقع المضارع منفيا بلا دون ما لجزم ولكنه مع الغابر فرق
ما تقدم ذكره وكذا لو لم ينف بلا كقوله تعالى ومن عاد فينتقم الله منه اي
فهو ينتقم ثم قال ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم ويقبض ارواحكم فان
قيل لما الحكمة في وصف المعبود ههنا بقوله الذي يتوفاكم فالجواب
من وجوه الاول ان المعنى اني اعبد الله الذي خلقكم اولا ثم يتوفاكم ثانيا ثم يعيدكم
ثالثا فاكتفى بذكر التوفي لكونه منبها على البواقي الثاني ان الموت اشد الاشيا
نهاية فخص هذا الوصف بالذكر ههنا ليكون اقوى في الزجر والردع الثالث
انهم لما استعجلوا نزول العذاب قال تعالى فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين
خلوا من قبلهم قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين ثم ننجي رسلنا والذين
امنوا وهذا يدل على انه تعالى يهلك اعداء الكفار وينقي المومنين ويقوي
دولتهم فلما كان قرب العهد بذكر هذا الكلام لاجرم قال ههنا ولكن اعبد
الله الذي يتوفاكم وسمى اشارة الى ما ذكره وبينه في تلك الاية كانه يقول
اعبد والله الذي وعدني باهلاككم وابقائي بعدكم **قوله** وامرت
ان اكون قال الزمخشري اصله بان اكون فحذف الجار وهذا الحذف وطن ٥
محتمل ان يكون من الحذف المطرد الذي هو حذف الحروف الجارة مع ان وان يكون
من الحذف غير المطرد وهو قوله امرتك الخير فاصنع بما تومر يعني بغير المطرد
ان حذف حرف الجر مسموع في افعال لا يجوز القياس عليها ومنى امروا استغفروا
كما تقدم واشار بقوله امرتك الخير الى البيت المشهور امرتك الخير فافعل ما امرت به ٥
وقد قاس ذلك بعض النحويين ولكن بشرط ان يتعين ذلك الحرف ويتعين ٥
موضعه ايضا وهو راي علي بن سليمان فجوز بوبت القلم السكين بخلاف صككت الحجر

اولئك ج

بالحشية

بالحشية **قوله** وان اقم يجوز ان يكون على اضمار فعل اي وامرني ان اقم
شريك في ان وجهان احدهما ان تكون تفسيرية لتلك الجملة المقدرة كذا قاله ابو حيان
وفيه نظر اذ المفسر لا يجوز حذفه وقد ذهب في موضع غير هذا والثاني ان
تكون المصدرية فيكون هي وما في حيزها في محل رفع بذلك الفعل المقدر ٥
ويحتمل ان يكون ان مصدرية فقط وعلى هذا معمولة لقوله امرت مراعى فيها
معنى الكلام لان قوله ان اكون كون من اكوان المومنين ووصل ان بصيغة الامر
جايز كما تقدم تحريره وقال الزمخشري فان قلت عطف قوله وان اقم على اكون
فيه اشكال لان ان لا تخلو اما ان تكون التي للعباره او التي تكون مع الفعل
في تاويل المصدر فلا يصح ان تكون التي للعباره وان كان الامر مما يتضمن ٥
معنى القول لان عطفها على الموصوله يابى ذلك والقول بكونها موصولة مثل
الاولى لا يساعد عليه لفظ الامر وهو اقم لان الصلة حينيذ ان تكون جملة
تحتمل الصدق والكذب قلت سوغ سيبويه ان يوصل ان بالامر والنهي
وشبه ذلك بقولهم انت الذي تفعل على الخطاب لان الغرض وصلها بما يكون
معه في تاويل المصدر والامر والنهي دالان على المصدر دلالة غير مما من الافعال
قال شهاب الدين وقد تقدم الاشكال في ذلك وهو انه اذا قدرت بالمصدر
فاتت الدلالة على الامر والنهي ورجح ابو حيان كونها مصدرية على اضمار فعل
كما تقدم تقريره وقال ليزول قلق العطف لوجود الكاف اذ لو كان وان اقم عطفا
على ان اكون لكان التركيب وجهي بيا المتكلم ومراعاة المعنى فيه ضعف ٥
واضمار الفعل فيه اكثر قال ابن الخطيب قوله وامرت ان اكون قايم مقام
قوله وقيل لي كن من المومنين ثم عطف عليه وان اقم وجهك وقيل قوله
وان اقم وجهك قايم مقام قوله وامرت باقامة الوجه فبصير التقدير وامرت
بان اكون من المومنين وباقامة الوجه الدين حنيفا **قوله** حنيفا يجوز
ان يكون حالا من الدين وان يكون حالا من فاعل اقم او مفعوله **فصل**
قال ابن عباس ومعنى قوله وان اقم وجهك للدين اي عملك وقيل استقم ٥
على الدين حنيفا قال ابن الخطيب اقامة الوجه كناية عن توجيه العقل ٥
بالكلية اي طلب الدين لان من يريد ان ينظر الى شيء نظرا استقصائيا فانه يقيم
وجهه في مقابلته بحيث لا يصرفه عنه لانه لو صرفه عنه ولو بالقليل فقد
بطلت تلك المقابلة واذا بطلت المقابلة اختل الابصار فلهذا جعل اقامة ٥
الوجه كناية عن صرف العقل بالكلية الى طلب الدين وقوله حنيفا اي مايلا
ميلا كليا معرضا عما سواه اعراضا كليا ثم قال ولا تكونن من المشركين
وهذا لا يمكن ان يكون نهيا عن عبادة الاوثان لان ذلك مذكور في قوله اول

الاية لا اعبد الذين تعبدون من دون الله فلا بد من حمل هذا الكلام على فائدة زائدة
وهي ان من عرف مولاه لو التفت بعد ذلك الى غيره كان ذلك شركا وهذا الذي
تسميه اصحاب القلوب بالشرك الخفي قال ابن الخطيب قوله ولا تدع يجوز ان
تكون هذه الجملة استينافية ويجوز ان تكون عطفا على جملة الامر وهي اقم فيكون
داخلة في صلة ان بوجميها اعني كونها تفسيرية ومصدرية وقد تقدم مثل
قوله قالا ينفعك يجوز ان يكون نكرة موصوفة فان تكون موصوله **قوله**
فانك هو جواب الشرط واذن حرف جواب توسطت بين الاسم والخبر وبينتها
التاخير عن الخبر وانما وسطت ردعا للفواصل وقال الزمخشري اذن جواب
الشرط وجواب السؤال مقدر كان سائلا سالني عن سعة عبادة الاوثان
وفي جعله اذن جزاء للشرط نظرا لجواب الشرط محصور في اشياء ليس هذا
منها **فصل** المعنى ولا تدع اي لا تعبد من دون الله ما لا ينفعك ولا
ان اطعته ولا يضرك ان عصيته فان فعلت فعبدت غير الله ولو اشتغلت بطلب
النفع والمضرة من غير الله فانك اذن من الظالمين الضارين لانفسهم الواضعين
العبادة في غير موضعها لان الظلم عبارة عن وضع الشيء في غير موضعه ٥
قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو الاية قوله
وان يمسسك قد تقدم ما في ذلك من صناعة البديع في سورة الانعام
وقال هنا في جواب الشرط الاول بنفي عام والجاب وفي جواب الثاني بنفي ٥
العام دون الجاب لان ما اراده لا بد وان يراده ولا هو ولا غيره لان ارادته
قديمة لا تتغير فلذلك لم يجي التركيب فلا راد له الا هو هذه عبارة ابي
حيان وفيها نظر وكانه يقول بخلاف الكشف فانه هو الفاعل لذلك وحده ٥
دون غيره بخلاف ارادته تعالى فانه لا يتصور فيها الوقوع على خلافها وهي
مسئلة خلاف فيه بين اهل السنة والاعتزال قال الزمخشري فان قلت لم ذكر
المس في احدهما والارادة في الثاني قلت كانه اراد ان يذكر الامرين جميعا
الارادة والاصابة في كل واحد من الضر والخير وانه لا راد لما يريد فيهما ولا
مزيل لما يصيب منهما فالامر والجزاء الكلام بان ذكر المس وهو الاصابة في احدهما
والارادة في الاخر ليدل بما ذكر على ما يذكر على انه قد ذكر الاصابة في الخير
في قوله يصيب به من يشا **فصل** اعلم ان الشيء اما ان يكون ضارا او اما ان
يكون نافعا وهذان القسمان مشتركان في اسم الخير ولما كان الضر ابدا وجوديا
والخير قد يكون امرا عدميا لا جرم لم يذكر لفظ الامساس فيه بل قال وان يردك
بخير والاية دالة على ان الضر والخير واقعان بقدرة الله وبقضائه فدخل فيه
الكفر والايمان والطاعة والعصيان والشرور والخيرات والالام واللذات

الاية ان يصبك الله بضر اي بشدة وبلاء فلا دافع له الا هو وان يردك بخير اي
بغنى وسعة فلا راد لفضله لا دافع لرزقه يصيب به بكل واحد من الضر ٥
والخير من يشا من عباده وهو الغفور الرحيم قال الواحدي **قوله** وان
يردك بخير من المغلوب معناه وان يردك الخير ولكنه لما تعلق كل واحد
منهما بالاخر جاز تقديم كل واحد منهما قال المفسرون لما بين تعالى في الاية
الاولى ان الاصنام لا تضر ولا تنفع بين في هذه الاية انها لا تقدر على دفع
الضر الواصل من الغير ولا دفع الخير الواصل من الغير **قوله** تعالى
قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم الاية قوله من ربكم يجوز ان يتعلق
بجاءكم ومن لابتداء الغاية مجازا ويجوز ان يكون حالا من الحق **قوله**
فمن اهتدى ومن ضل يجوز ان يكون من شرطا فالفاء واجبة الدخول ٥
وان تكون موصولة فالفاء جايزة الدخول **فصل** المراد بالحق القرآن
والاسلام فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها
اي على نفسه **قوله** وما انا عليكم بوكيل اي بكفيل بحفظ اعمالكم
ويجوز ان تكون الحجازية او التميمية تحقيقا للنصب في الخبر قال ابن عباس
هذه الاية منسوخة باية القتال ثم قال تعالى واتبع ما يوحى اليك واصبر
حتى يحكم الله امره باتباع الوحي والتنزيل حتى يحكم الله من نصرك وقهر
عدوك واظهرك ودينه وهو خير الحاكمين حكم بقتل المشركين وبالجزية
على اهل الكتاب فيعطونها عن يد وهم صاغرون روي ابي بن كعب قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة يونس اعطي من الاجر
عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق وغوى

سورة هود عليه السلام مكية

الا قوله واقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل وهي مايه وثلاثة ٥
وعشرون اية وعدد كلماتها الف وتسع مايه وخمس وعشرون كلمة ٥
وعدد حروفها سبعة الاف وستماية وستة احرف وليس فيها سوى الان الاول
ان سورة القصص لم يقص فيها سوى قصة واحدة وهي قصة موسى
وفي هذه السورة قص فيها قصصا كثيرة فكان تسمية هذه بالقصص
اولى من تسمية تلك وكان ينبغي ان تسمى القصص لسورة موسى كما
سميت سورة يوسف وسورة نوح الثاني ان في هذه السورة قصصا
كثيرة فالحكمة في انها خصت باسم هود دون غيره من الانبيا المذكورين
فيها **فصل** يجوز في هود ما اراد به السورة الصرف وتركه وذلك باعتبارين

وبما انها ان عينت انه اسم للسورة تعين منعه من الصرف وهذا راي الخليل
وسيبويه وكذلك نوح ولوط اذا جعلتهما اسمين للسورتين المذكورتين ٥
فيها فتقول قرات هود ونوح وتبركت بهود ونوح ولوط فان قلت قد تصوا على
الوسط الثلاثي الساكن الوسط نحو نوح ولوط يجوز فيه الصرف وتركه مع
ان الصحيح وجوب صرف نوح فالجواب ان شرط ذلك ان لا يكون الوسط
منقولا من مذكر الى مونث فلو سميت امراة بزيد تحتم منعه وشرط الاعجمي
ان لا يكون مونثا تحتم منعه نحو ماه وجور وهود ونوح من هذا القبيل
فان هودا في الاصل المذكور لمذكر وكذلك نوح ثم سمي بهما السورة وهي مونثة
وان كان تانيثهما مجازيا وان اعتبرت انها على حذف مضاف وجب صرفه
فتقول قرات هودا ونوحا يعني سورة هود وسورة نوح وقد جوز الصرف ٥
بالاعتبار الاول عيسى بن عمر وفيه ضعف ولا خفا انك اذا قصدت ٥
بهود ونوح النبي نفسه صرفت فقط عند الجمهور في الاعجمي واما مود ٥
فانه عربي فيتحتم صرفه وقد عد النحويون لاسما السور والالفاظ
والاحياء والقبايل والاماكن بابا في منع الصرف وعدمه حاصله انك
ان عنيت قبيله او اما او بقعة او سورة او كلمة منعت وان عنيت حيا
او ابا او مكانا او غير سورة او لفظا صرفت بتفصيل مذكور في كتب النحو
بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** الركتاب احكمت ايانه الاية
كتاب يجوز ان يكون خبر الم على ان را اخبر عن هذه الاحرف بانها كتاب
موصوف بكيت وكيت قال الزجاج هذا غلط لان الم ليس هو الموصوف
بهذه السورة الصفة وحده قال ابن الخطيب وهذا اعتراض فاسد لانه
ليس من شرط كون الشي مبتدا ان يكون خبره محصورا فيه ويجوز ان يكون
خبر ابتدا مضمر تقديره ذلك كتاب قال ابن الخطيب وهذا عندي ضعيف ٥
لوجهين الاول ان على هذا التقدير يقع كلامه الركلاما باطلا لافايدة ٥
فيه والثاني انك اذا قلت هذا كتاب فقولك هذا يكون اشارة الى الايات
المذكورات وذلك يدل على ان الرفيصير حينئذ اخبارا عنه بانه كتاب ٥
قوله احكمت ايانه وقد تقدم الكلام في ذلك عند قوله ذلك الكتاب
احكمت ايانه في محل رفع صفة لكتاب والهمزة في احكمت يجوز ان يكون
للنقل من حكم بضم الكاف اي صار حكيما بمعنى جعلته حكما كقوله
تعالى تلك ايات الكتاب الحكيم ويجوز ان يكون من قولهم احكمت الدابة
اذا وضعت عليها الحكمة لمنعها من الجماح كقولك جربته
ابني حنيفة احكموا سفهاكم اني اخاف عليكم ان اغضبا

فالمعنى

فالمعنى انها منعت من الفساد ويجوز ان يكون لغير النقل من الاحكام وهو الاتقان
كالبنا المحكم المرصف والمعنى انها نظمت نظما وصيغا متقنا ويجوز ان يكون قوله ٥
احكمت اي لم تنسخ بكتاب كما نسخت الكتب والشرايع قاله ابن عباس **قوله**
ثم فصلت ثم على بابها من التراخي لانها احكمت ثم فصلت بحسب اسباب النزول
وقد اعكدمة والضحاك والجحدري وزيد بن علي وبن كثير في رواية فصلت
بتحتيتين خفيفة العين قال ابو البقاء المعنى فرقت كقوله فلما فصل طالوت
اي فارق وفسر ما غيره بمعنى فصلت بين الحق والمبطل وهو احسن ٥
وجعل الزمخشري ثم للترتيب في الاخبار لا للترتيب الوقوع في الزمان قال
فان قلت ما معنى ثم قلت ليس معناها التراخي في الوقت ولكن
في الحال كما تقول هي محكمة احسن الاحكام ثم مفصلة احسن التفصيل وفلان
كريم الاصل ثم كريم الفعل وقرى ايضا احكمت ايانه ثم فصلت باسناد ٥
الفعلين الى تا المتكلم ونصب ايانه مفعولا بها اي احكمت انا ايانه ثم ٥
فصلتها حكى هذه القراة الزمخشري **فصل** قال الحسن احكمت بالامر
والنهي ثم فصلت بالوعد والوعيد وقال قتادة احكمها الله فيها اختلاف ٥
ولا تناقض وقال مجاهد فصلت اي فسرت وقيل فصلت اي انزلت شيا فشيا
كقوله تعالى فانزلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ايات مفصلات
وقيل جعلت فصولا حلالا وحراما وامثالا وترغيبا وترهيبا وامرا ونهيا ٥
فصل احتج الجبايي بهذه الاية على ان القران محدث مخلوق من ثلاثة اوجه
الاول قال المحكم هو الذي لا نقض فيه فاعله ولولا ان الله تعالى خلق هذا القران
والا لم يصح ذلك لان الاحكام لا يكون الا في الافعال ولا يجوز ان يقال كان
موجودا غير محكم فجعله الله محكما لان هذا يقتضي ان بعضه الذي جعله محكما ان
يكون محدثا او لم يقل احد ان القران بعضه قديم وبعضه محدث الثاني ان قوله
فصلت يدل على انه حصل فيه انفصال وافتراق ويدل على ان ذلك الانفصال
والافتراق انما حصل بجعل جاعل الثالث قوله تعالى من لدن حكيم خبير والمراد
من عنده والقديم لا يقال له انه حصل من عند قديم اخر لانهما ان كانا قديمين ٥
لم يكن القول بان احدهما حصل من عند الاخر اولى من العكس واجيب بان ٥
هذه النعوت عايدة الى هذه الحروف والاصوات ونحن معترفون بانها مخلوقة
وانما الذي ندعي قدمه امر اخر سوى هذه الحروف والاصوات **قوله** من
لدن واي من عند ويجوز ان يكون صفة ثانية لكتاب وان يكون خبرا ثانيا عند
من يرى جواز ذلك ويجوز ان يكون معمولا لاحد الفعلين المسندين اعني احكمت
او فصلت ويكون ذلك من باب التنازع ويكون من اعمال الثاني اذ لو اعمل الاول

وتم اعظم

لم معا له

في الثاني والبه نحا الزمخشري فقال وان تكون صلة احكمت وفصلت اي من عنده
احكامها وتفصيلها والمعنى احكمها حكيم وفصلها اي شرحها وبينها خبير بكيفيات
الامور قال ابو حيان لا يريد ان من لدن تتعلق بالفعلين معا من حيث صناعة ٥
الاعراب بل يريد ان ذلك من باب الاعمال فهي متعلقة بهما من حيث المعنى وهو قول
ابي البقاء ويجوز ان يكون مفعولا والعامل فيه فصلت **قوله** ان لا تعبدوا
فيها اوجه احدها ان يكون ان المخففة من الثقيلة ولا تعبدوا جملة نهي في محل
رفع خبرا لان المخففة واسمها على ما تقدم ضمير الامر والشان محذوف ٥
الثاني انها المصدرية الناصبة ووصلت هنا بالنهي ويجوز ان يكون لا نافية
والفعل بعدها منصوب بان نفسها وعلى هذه التقادير فان اما في محل جزم
او نصب او رفع فالنصب والجزم على ان الاصل لان لا تعبدوا او بان لا تعبدوا
فلما حذف الحافض جرى الخلاف المشهور والعامل اما فصلت وهو المشهور
واما احكمت عند الكوفيين فتكون المسئلة من باب الاعمال لان المعنى
احكمت ثم لا تعبدوا او بان لا تعبدوا او فصلت لان لا تعبدوا او قيل فصلت
بفعل مقدر تقديره ضمن الكتاب ان لا تعبدوا فان لا تعبدوا هو المفعول ٥
الثاني اضمروا الاول قام مقام الفاعل والوقف على اوجه احدها انها مبتدا
وخبرها محذوف فقيل تقديره من النظران لا تعبدوا الا الله وقيل تقديره
في الكتاب ان لا تعبدوا الا الله وقيل تقديره بي ان لا تعبدوا الا الله ٥
والثالث انه مرفوع على البدل من اياته قال ابو حيان واما من اعرابه انه
بدل من لفظ اياته او من موضعها يعني انها في الاصل مفعول بها فموضعها
نصب وهي مسئلة خلاف هل يجوز ان يراعى اصل المفعول القايم مقام الفاعل
فيتبع لفظه تارة وموضعه اخرى فيقال ضربت مذ اليوم او مذ اليوم بالرفع
ورفعها باعتبار اللفظ ام لا مذهبان المشهور مراعاة اللفظ فقط الوجه
الثالث ان تكون تفسيرية لان في تفصيل الايات معنى القول فكانه قيل لا تعبدوا
الا الله او امركم وهذا اظهر الاقوال لانه لا يخرج الى اضمار **قوله**
منه في هذا الضمير وجهان اظهرهما انه يعود على الله تعالى اي اني لكم من جهته
الله نذير وبشير لمطيعين قاله ابو حيان فيكون في موضع الصفة فيتعلق بمحذوف
اي كائن من جهته وهذا على ظاهره ليس بجيد لان الصفة لا تتقدم على الموصوف
فكيف بجعل صفة للنذير وكانه يريد انه صفة في الاصل لو تاخر ولكن لما تقدم
صار حالا وكذا صرح به ابو البقاء فكان صوابه ان يقول فيكون في موضع الحال
والنذير كائنا من جهته الثاني انه يعود على الكتاب اي نذير لكم من مخالفته
وبشير منه لمن امن وعمل صالحا وفي متعلق هذا الجار ايضا وجهان احدهما

انه

انه حال من نذير فيتعلق بمحذوف كما تقدم والثاني انه متعلق بنفس نذير اي
انذركم منه ومن عذابه ان كفرتم وابشركم بثوابه ان امنتم وقدم الانذار
لان التخويف اهم اذ حصل به الانزجار **قوله** وان استغفروا فيه
وجهان احدهما انه عطف على ان الاولى سواء كانت لا تعبدوا نفيا او نهيا ٥
فتعود تلك الاوجه المتقولة فيها الى ان هذه الثاني ان تكون منصوبة ٥
على الاغراء قال الزمخشري في هذا الوجه ويجوز ان يكون كلاما مستانفا منقطعا
منقطعا عما قبله على لسان النبي صلى الله عليه وسلم اغرا منه على اختصاص
الله تعالى بالعبادة ويدل عليه قوله اني لكم منه نذير وبشير كانه قال ٥
ترك عبادة غير الله اني لكم منه نذير كقوله تعالى فضرب الرقاب **قوله**
ثم توبوا عطف على ما قبله من الامر بالاستغفار وثم على بابها من التراخي لان
يستغفروا ثم يتوبوا ويتجردوا من ذلك الذنب المستغفر منه قال الزمخشري
فان قلت ما معنى ثم في قوله ثم توبوا اليه قلت معناه استغفروه من الشرك
ثم ارجعوا اليه بالطاعة او استغفروا والاستغفار توبة ثم اخلصوا ٥
التوبة واستقيموا عليها كقوله تعالى ثم استقاموا قال شهاب الدين قوله ٥
او استغفروا الى آخره يعني ان بعضهم حمل الاستغفار والتوبة بمعنى
واحد فلذلك احتاج الى تاويل توبوا باخلصوا التوبة قال الفراء ثم ههنا
بمعنى الواو اي وتوبوا اليه لان الاستغفار هو التوبة والتوبة هي الاستغفار
وقيل وان استغفروا ربكم في الماضي ثم توبوا اليه في المستانف **قوله**
يمتعكم جواب الامر وقد تقدم الخلاف في الجازم هل هو نفس الجملة الطلبية
او حرف شرط مقدر وقرا الحسن وابن هرمز وزيد بن علي وابن محيصن ٥
يمتعكم بالتخفيف من امتع وقد تقدم ان نافعا وابن عامر قرآ فامتعه ٥
قليلا في البقرة بالتخفيف كهذه القراءة **قوله** متاعا في نصبه ٥
وجهان احدهما انه منصوب على المصدر بحذف الزوائد اذ التقدير تمتيعا
هو كقوله انبتكم من الارض نباتا والثاني ان ينتصب على المفعول به ٥
والمراد بالمتاع اسم ما يتمتع به هو كقولك متعت زيدا ثوبا قال المفسرون
معناه يعيشكم عيشا في خفض وجهة **وقوله** الى اجل مسمى الى حين الموت
فان قيل اليس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الدنيا سجن المومن
وجنة الكافر وقال ايضا خص البلاء بالانبياء ثم الامثل فالامثل
وقال تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم
سقفا من فضة فدلت هذه النصوص على ان نصيب المطيع عدم الراحة
في الدنيا فكيف الجمع بينهما فالجواب من وجوه الاول ان المعنى لا يعذبهم

بعذاب الاستيصال كما اسنا صل اهل العرة من الكفار الثاني انه تعالى يوصل
اليه الرزق كيف كان واليه الاشارة بقوله وامر اهلك بالصلوة واصطبر
عليها لانسالك رزقا نحن نرزقك الثالث ان المشتغل بالعبادة مشتغل
بحب شيء ممتنع تغييره وزواله وفناوه وكلما كان ممكنه في ذلك الطريق اتم ٥
كان انقطاعه عن الخلق اتم واكمل وكلما كان الكمال في هذا الباب اكثر كان ٥
الابتهاج والسرور اكمل لانه امن من تغير مطلوبه وامن من زواله محبوبه
واما من اشتغل بحب غير الله كان ابدا في الم الخوف من فوات المحبوب وزواله
فكان عيشه منغصا وقلبه مضطربا ولذلك قال تعالى في صفة المشتغلين
بخدمة قلبي تحيينه حياة طيبة فان قيل هلا يدل قوله الى اجل مسمى
على ان للعبد اجلين فانه يقع في ذلك التقدم والتاخير فالجواب
لا ومعنى الاية انه تعالى حكم بان هذا العبد لو اشتغل بالعبادة لكان اجله
في الوقت الفلاني ولو اعرض عنها لكان اجله في وقت اخر لكنه تعالى عالم
بانه يشتغل بالعبادة فلاجرم كان عالما بان اجله ليس الا في ذلك الوقت
المعين فثبت ان لكل انسان اجلا واحدا وسمى منافع الدنيا متاعا تنبيها
على حقارتها وقلتها وانها منقضية بقوله تعالى الى اجل مسمى **قوله**
ويوت كل ذي فضل فضله كل مفعول اول وفضله مفعول ثان وقد تقدم
للسهيلي والضمير في فضله يجوز ان يعود على الله تعالى اي يعطي كل صاحب فضل
فضله اي ثوابه وان يعود على لفظ كل اي يعطي كل صاحب فضل فضله ٥
لا ينقص منه شيا اي جزاء عمله قال المفسرون ويعط كل ذي عمل صالح في الدنيا
اجره وثوابه في الاخرى وقال ابو العالية من كثرت طاعاته في الدنيا
زادت درجاته لان الدرجات تكون بالاعمال وقال ابن عباس من زادت
حسناته على سياته دخل الجنة ومن زادت سياته على حسناته دخل
النار ومن استوت حسناته وسياته كان من اهل الاعراف ثم يدخلون الجنة
ثم قال وان تولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير وهو يوم القيامة ٥
وقرا الجمهور تولوا بفتح الواو على الماضي والتاء والواو وضم اللام وهو مضارع ولي
كقولك زكى يزكي وحكى صاحب اللوامح عن النباي وعيسى وان تولوا ٥
بثلاث ضمات مبنيا للمفعول ولم يبين ما هو ولا تضريفه وهو فعل ما
ولما بني للمفعول ضم اوله على الفاعل وضم ثانيه ايضا لانه يفتح تبعا مطاوعه
وكلما افتتح تبعا مطاوعه ضم اوله وثانيه وضمت اللام ايضا وان كان اصلها
الكسر لاجل واو الضمير والاصل تولييوا كحوجوا فاستثقلت الضمة
على الياء فحذفت فالتقى ساكنان حذفت الياء لانها اولهما فبقي ما قبل واو ٥

الضمير

الضمير مكسور فقصر ليجانس الضمير قصار وزنه تفعوا بحذف لامه والواو ٥
قائمة مقام الفاعل وقرا الاعرج تولوا بضم التاء وسكون الواو وضم اللام
مضارع اولى وهذه القراة لا يظهر لها معنى طائل هنا والمفعول محذوف
يقدر لا يتبا بالمعنى وكبير صفة ليوم مبالغة لما يتبع من الاهوال وقيل بل
كبير صفة لعذاب وهو منصوب وانما حضض على الجوار كقولهم جحر ضبا خرب
بجر خرب وهو صفة للجحر وقول امرء القيس
٥ كان ثبيرا في عرانين وبله ٥ كبير انا س في بجاد مزمل ٥
بجر مزمل وهو صفة لكبير وقد تقدم البحث في ذلك في سورة المايدة ٥
ثم قال الى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير وهذا فيه تهديد وبشارة ٥
فالتهديد قوله الى الله مرجعكم يدل على ان مرجعنا اليه وهو قادر على
جميع المقدورات لا دافع لقضايه ولا مانع لمشيته والرجوع الى الحاكم الموصوف
بهذه الصفة مع العيوب الكثيرة والذنوب العظيمة مشكل واما البشارة
فان ذلك يدل على قدرة عالمة وحكمة تحظيمة لهذا الحاكم وعلى ٥
ضعف تام وعجز عظيم لهذا العبد والملك القادر القاهر العالي اذا
راى احدا اشرف على الهلاك فانه يخلصه من تلك الهلكة ومنه المثل
المشهور ملكت فاسجح **قوله** تعالى الا انهم يثنون صدورهم الاية
لما قال وان تولوا عن عبادة الله وطاعته بين بعده صفة ذلك التولي فقال
الا انهم يعني الكفار يثنون صدورهم يقال ثنيت الشيء اذا عطفته وطويته
وقراه الجمهور بفتح الياء وسكون الثاء المثلثة وهو مضارع ثني يثني ثنيا
اي طوي وروي وصدورهم مفعول به والمعنى يحرفون صدورهم ووجوههم
عن الحق وقبوله والاصل يثنيون فاعل بحذف الضمة عن الثاء تحذف
الضمة عن الثاء لالتقاء الساكنين وقرا سعيد بن جبير يثنون صدورهم يقال
ثنيت الشيء اذا عطفته وطويته وقراة الجمهور بفتح الياء وسكون الثاء المثلثة ٥
وهو مضارع ثنى يثني ثنيا اي طوي وروي وصدورهم مفعول به والمعنى يحرفون
صدورهم ووجوههم عن الحق وقبوله والاصل يثنيون فاعل بحذف الضمة ٥
عن الثاء تحذف لالتقاء الساكنين وقرا سعيد بن جبير يثنون بضم الياء
وهو مضارع اثنى كاكرمهم واستشكل الناس هذه القراة فقال ابو البقاء ما ضمنه
اثنى ولا يعرف في اللغة الا ان يقال معناه عرضونها للانثناء كما يقال اعنت
الفرس اذا عرضتها للبيع وقال صاحب اللوامح ولا يعرف الاثناء في هذا
الباب الا ان يراد بها وحدتها مثنيه مثل احدثه واحدثته ولعله قلب
النون وهذا مما فعلوه بهم فيكون نصب صدورهم بنزع الخافض ويجوز على ذلك

ان يكون صدورهم رفعا على البدل بدل البعض من الكل يعني بتوله ولعله فتح النون
اي ولعل زجيرا ذلك بفتح نون يثنون فيكون مبنيا للمفعول وهو معنى قوله
وهذا مما فعل بهم اي وجد واكذلك فعلى هذا يكون صدورهم منصوبا بنزع
الخافض اي في صدورهم اي بوجد الشفي في صدورهم ولذلك جوز رفعه على البدل
كقولك ضرب زيد الظهر ومن جوز تعريفا التمييز لا يبعد عنده ان تنتصب
صدورهم على التمييز بهذا التقدير الذي قدرنا وقرا ابن عباس وعلي بن
الحسين وابناه زيد ومحمد وابنه جعفر ومجاهد وبن يعمر وعبد الرحمن
بن ابزي وابو الاسود تثنوني مضارع اثنوني على وزن افعوعل من الثني
كاحلولي من الحلاوه وهو بناء مبالغه صدورهم بالرفع على الفاعلية ونقل عن
بن عباس وبن يعمر ومجاهد وبن ابي اسحاق تثنوني صدورهم بالتاء للالتفات
التانيث مجازي فجاز تذكير الفعل باعتبار تاويل فاعله بالجمع وتانيثه باعتبار
تاويل فاعله بالجماعة وقرا ابن عباس ايضا وعروة وبن ابي اسوي والاعشى
يثنون بفتح الياء وسكون التاء وفتح النون وكسر الواو وتشديد النون
الاخيره والاصل تثنوني بوزن مفعوعل من الثن وهو ما هش وضعف
من الكلا يريد مطاوعة نفوسهم للشي كما يثني الهش من النبات او اراد ضعف
ايمانهم ومرض قلوبهم وصدورهم بالرفع على الفاعلية وقرا مجاهد وعروة
ايضا كذلك الا انهما جعلا مكان الواو المكسوره همزة مكسورة فاخرجاها
مثل تظمين وفيها تخريجان احدهما ان الواو قلبت همزه لاستثقال الكسرة
عليها ومثله اعاد واشاح في وعاء ووشاح لما استثقلوا الكسرة على الواو
وابدلوها همزة مكسورة فاخرجاها والثاني ان وزنه تفعيل من الثن
وهو ما ضعف من النبات كما تقدم وذلك انه مضارع لاثنان مثل احمار
واصفار وقد تقدم ان من العرب من يقلب مثل هذه الالف همزة كقوله
بالعسط اذ هاء مت فجاء مضارع اثنان على ذلك كقولك احمار
يحمئر كاطمان يطمئن واما صدورهم فبالرفع على ما تقدم وقرا الاعشى
ايضا تثنوني بفتح التاء وسكون النون وبهمزه مضمومه وواو ساكنه
بزنة تفعلون كيد يئولون صدورهم بالنصب قال صاحب اللوامح ولا اعرف
وجهه لانه يقال ثنيت ولم اسمع ثنات ويجوز انه قلب الباء الفا على لغة
من يقول اعطات في اعطيت ثم همز الالف على لغة من يقول ولا الضالين
وقرا ابن عباس ايضا تثنوني بفتح التاء وسكون المثلثه وفتح النون وكسر
الواو بعدها ياء ساكنه بزنه تدعوني وهي قراة مشكله جدا حتى قال ابو حاتم
وهذه القراة غلط لا يتجه وانما قال لانها غلط لانه لا معنى للواو في هذا

الفعل

الفعل اذ لا يقال ثنوته فاثنوي اي كرعوته اي كففته فارعوي اي فانكف
ووزنه افعل كاحمر وقرا نصر بن عاصم وبن يعمر وبن ابي اسحاق يثنون
بتقديم النون الساكنه على المثلثه وقرا ابن عباس ايضا ليثنون بلام التاكيد
في خبر ان وفتح الياء وسكون المثلثه وفتح النون وسكون الواو وبعدها نون
مكسورة وهي بزنة يفعون كما تقدم الا انها حذفت التاء التي هي لام الفعل
تخفيفا كقولهم لا ادر وما ادر وصدورهم فاعل كما تقدم وقرات طائفة
يثنون بفتح الياء ثم مثلثه ساكنه ثم نون مفتوحة ثم همزة مضمومة ثم
نون مشدده مثل يقرؤن وهو من ثنيت الا انه قلب الياء واوا لان
الضمة تنافرها فجعلت الحركة على ما تناسبها فصار اللفظ بثنوؤن ثم
قلبت الواو المضمومة همزة كقولهم اجوه في وجوه واكمئت في وكمئت
فصار يثنؤن كما ترى وصدورهم فلما اكد الفعل بنون التوكيد حذفت
نون الرفع فالتقى ساكنان وهما واو الضمير والنون الاولى من نون التوكيد
فحذفت الواو وبقيت الضمة تدل عليها فصار يثنؤن كما ترى وصدورهم
منصوب بمفعولا به فهذه احدى عشر قراة **قوله** ليستخفوا فيه
وجهان احدهما ان هذه اللام متعلقه بيثنون وكذا قاله الحوفي والمعنى
انهم يفعلون ثني الصدور لهذه العلة والثاني ان اللام متعلقه بمحذوف
قال الزمخشري ليستخفوا منه يعني ويريدون ليستخفوا من الله فلا يطلع
رسوله والمومنون على ازورارهم وتطييرا ضمار يريدون لعود المعنى الى
اضماره الاضمار في قوله تعالى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق قال
شهاب الدين ليس المعنى الذي يقودنا الى اضمار الفعل هنا كالمعنى
هنا لان ثم لا بد من حذف معطوف يضطر الفعل الى تقديره لانه ليس
من لازم الامر بالضرب انفلاق البحر فلا بد ان يتعقل وضرب فانفلق
واما في هذه فالاستخفاء علة صالحه لثنيهم صدورهم فلا اضطرار الينا
الى اضمار الارادة والضمير في منه فيه وجهان احدهما انه عايد على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ظاهر على تعلق اللام بيثنون والثاني انه عايد
على الله تعالى كما قال الزمخشري **قوله** الا حين يستغشون في هذا الظرف
وجهان احدهما ان ناصبه مضمر تقديره الزمخشري يريدون كما تقدم تقريره ومعنى الا
حين يستغشون ثيابهم ويريدون الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم ايضا كراهة
لاستماع كلام الله كقول نوح عليه السلام جعلوا اصابعهم في اذانهم واستغشوا
ثيابهم وقدره ابو البقا فقال الا حين يستغشون ثيابهم والثاني ان الناصب
له يعلم اي الا يعلم سرهم وعلنهم حين يفعلون كذا وهذا معنى واضح وكانهم ازادوا

انما جوزوا غيره ليلا يلزم تقييد علمه تعالى بهم وعلنهم بهذا الوقت الحاضر وهو
تعالى عالم بذلك في كل وقت وهذا غير لازم لانه اذا علم سرهم وعلنهم في
وقت النقشة الذي يخفى السر فاولى في غيره وهذا احسن العادة والا فالله
تعالى لا يتفاوت علمه وما يجوز ان تكون مصدرية وان تكون بمعنى الذي والعائد
محذوف اي يسرونه ويعلنونه **فصل** قال ابن عباس نزلت في الاخنس
بن شريق وكان رجلا حلو الكلام حلو المنظر يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بما يحب وينطوي بقلبه على ما يكره فقوله يثنون صدورهم اي يخفون ما في
صدورهم من الشحناء والعداوة قال عبد الله بن شداد نزلت في بعض المنافقين
كان اذا مر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وظهره وطاطا راسه
وغطى وجهه كي لا يراه النبي صلى الله عليه وسلم قال قتادة كانوا يحنون صدورهم
لكي لا يسمعوا كلام الله ولا ذكره وقيل كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخي
ستره ويحني ظهره ويتغشى بثوبه ويقول هل يعلم الله ما في قلبي وقال السدي
يثنون اي يعرضون بقلوبهم من قولهم ثنيت عناني وقيل يطوون ومنه ثني الثوب
ليستخفوا منه اي من رسول الله وقال مجاهد ليستخفوا من الله كما يقدم في
الاعراب ان يستغشون ثيابهم يطوون رؤسهم بثيابهم والا كلمة تنبيه اي الا
انهم يستغشون ثيابهم ثم ذكر انه لا فائدة لهم في استخفائهم فقال
يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور وقال الازهري معنى الآية
من اولها الى اخرها ان الذين اصروا عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يخفى علينا حالهم قال ابن جريج اخبرني محمد بن عباد بن جعفر انه سمع ابن عباس
يقرأ الا انهم يثنون صدورهم قال اناس كانوا يستحيون ان يتخلوا فيفضوا الى
السماء وقال مجاهد وان جامعوا نساءهم يفضوا الى السماء فنزلت ذلك فيهم **قوله**
تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها الآية لما ذكر ان
انه يعلم ما يسرون وما يعلنون اردفه بما يدل على انه تعالى عالم بجميع المعلومات
وهي ان رزق كل حيوان انما يصل اليه من الله لانه لو لم يكن عالما بجميع المعلومات
لما حصلت هذه المهمات قال الزجاج الدابة اسم لكل حيوان ماخوذ من الدبيب
وبنيت هذه اللفظة على هاء التانيث هذا موضوعها اللغوي ومن صلة الآية
الله رزقها هو المتكفل بذلك فضلا وهو الموالي مشيته ان شاء رزق وان شاء
لم يرزق وقيل على بمعنى من اي من الله رزقها قال مجاهد ما جاها من رزق
فمن الله وربما لم يرزقها حتى تموت جوعا ويعلم مستقرها ومستودعها
قال ابن مفسر ويروي عن ابن عباس مستقرها المكان الذي تاوي اليه وتستقر
فيه ليلا ونهارا ومستودعها الموضع الذي تدفن فيه اذا ماتت وقال عبد الله

بن مسعود المستقر ارحام الامهات والمستودع اصلاب الآباء ورواه سعيد بن
جبير وعلي بن ابي طلحة وعكرمة عن ابن عباس وقيل المستقر الجنة او النار
والمستودع القبر لقوله تعالى في صفة الجنة والنار حسنت مستقرا وساءت
مستقرا ومقاما كل في كتاب مبين قال الزجاج معناه كل ذلك ثابت في علم
الله وقيل كل ذلك مثبت في اللوح المحفوظ قبل ان خلقها **قوله** مستقرها
ومستودعها يجوز ان يكونا مصدرين اي استقرارها واستيداعها ويجوز ان
يكونا مكانين اي مكان استقرارها واستيداعها ويجوز ان يكونا مكانين اي
مكان استقرارها واستيداعها ويجوز ان يكون مستودعها اسم مفعول لتعدي
فعله ولا يجوز ذلك في مستقر لان فعله لازم ونظيره في المصدرية قول الشاعر
الم يعلم مسرحي القوافي اي تسرحي وكل المضاف اليه محذوف تقديره
كل دابة ورزقها ومستقرها ومستودعها في كتاب مبين **قوله** تعالى
وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام الآية لما اثبت الدليل المتقدم
على كونه عالما بالمعلومات اثبت بهذا الدليل كونه قادرا على كل المقدورات
وقد مضى تفسير خلق السموات والارض في سورة يونس في ستة ايام في اول
سورة يونس **قوله** وكان عرشه على الماء قال كعب خلق الله عز وجل
ياقوتة خضراء ثم نزل اليها بالهيبة فصارت ماء ثم بعد ثم خلق الريح فجعل الماء على
متنها ثم وضع العرش على الماء وقال ضمره ان الله عز وجل كان عرشه على الماء
ثم خلق السموات والارض وخلق القلم فكتب به ما هو خالق وما هو كائن من خلقه
قالت المعتزلة في الآية دلالة على وجود الملكة قبل خلق السموات والارض
لان خلقها اما ان تكون لمنفعة او لا لمنفعة والثاني عبث فبقي انه خلقها لمنفعة
وتلك المنفعة اما ان تكون عائدة الى الله تعالى وهو محال لكونه متعاليا
عن النفع والضر فلزم ان يكون نفعها مختصا بالغير فوجب كون الغير حيا لان
غير الحي لا ينتفع وكل من قال بذلك قال كان ذلك الحي من الملكة فان قيل
ما الفائدة في ذكر ان عرشه كان على الماء قبل خلق السموات والارض فالجواب
ان فيه دلالة على كمال القدرة من وجوه احدها ان العرش مع كونه اعظم من السموات
والارض كان على الماء فلولا انه تعالى قادر على امساك الثقيل بغير عمد لما صح ذلك
وثانيها انه تعالى امسك الماء على قرار والا للزم ان يكون احساء العالم
غير متناهية وقد دل على كمال القدرة وثالثها ان العرش الذي هو اعظم المخلوقات
قد امسكه الله تعالى فرق سبع سموات من غير دعامة تحت ولا علاقة فوقه
فدل على كمال القدرة **قوله** ليبلوكم في هذه اللام وجهان احدهما انها متعلقة
بمحذوف فقيل تقديره اعلم بذلك ليبلوكم وقيل ثم جعل بمحذوفة والتقدير وكان خلقه

لهما المنافع تعود عليكم نفعها في الدنيا دون الاخرى وفعل ذلك ليبلوكم وقيل تقديره
وخلقكم ليبلوكم والثاني انها متعلقة بخلقكم قاله الزمخشري اي خلقهن لحكمة بالغة
وهي ان جعلها مساكن لعباده وينعم عليهم فيها بصنوف النعم ويكلفهم فعل الطاعات
واجتناب المعاصي فمن شكر واطاع اثابه ومن كفر وعصى عاقبه ولما اشبه ذلك
اختبار المختبر قال ليبلوكم كما يفعل المبتلي لاخوانكم واعلم انه لما بين
انه انما خلق هذا العالم لاجل ابتلاء المكلفين وامتحانهم وجب القطع بحصول
الحشر والنشر لان الابتلاء والامتحان يوجب الرحمة والثواب للمحسن والعقاب ٥
للمسيء وذلك لا يتم الا بالاعتراف بالمعاد والعقبة فعند هذا خاطب محمدا صلى الله عليه
وسلم فقال ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا
الا سحر مبين اي انكم تنكرون هذا الكلام وتحكمون بفساد القول بالبعث **قوله**
ايكم احسن عملا مبتدا وخبر في محل نصب باسقاط الخافض لانه معلق لفعله ٥
ليبلوكم قال الزمخشري فان قلت كيف جاز تعليق فعل البلوى قلت
لما في الاختبار من معنى العلم لانه طريق اليه فهو ملابس له كما تقول انظر ايهم احسن
وجها واستمع ايهم احسن صوتا لان النظر والاستماع من طرق العلم وقد وا
ابو حيان في تمثيله بقوله واستمع فقال لما علم احدا ذكرا ناسمع تعلق وانما ٥
ذكروا من غير افعال القلوب سل وانظر وفي جواز تعليق راي البصرية خلاف
قوله ولئن قلت هذه لام التوطية للقسم وليقولن جوابه وحذف
جواب الشرط للدلالة القسم عليه وانكم تحكى بالقول ولذلك كسرت في قراءة
الجمهور وقرئ بفتحها وفيها تاويلان ذكرهما الزمخشري احدهما انها بمعنى
لعل قال من قولهم ايت السوق انك تشتري لحما اي لعلك اي ولئن قلت لهم ٥
لعلكم مبعوثون معناه توقعوا بعثكم وظنوه لا تنسوا القول بانكار ولقالوا والثاني
ان يضمن قلت معنى ذكرت يعني فتفتح الهمزة لانها مفعول ذكرت **قوله**
ان هذا الا سحر قد تقدم انه قرئ سحر وساحر فمن قرا ساحر فهذا اشارة الى البعث
المدلول عليه بما تقدم او اشارة الى القران لانه ناطق بالبعث ومن قرا ساحر
فالاشارة بهذا الى النبي صلى الله عليه وسلم ايضا ويكون جعلوه سحرا ٥
مبالغة او على حذف مضاف اي الاذو سحر ويجوز ان يراد بساحر نفس
القران مجازا كقولهم شعر شاعر وجد جده فان قيل كيف يمكن وصف هذا
القول بانه سحر فالجواب من وجوه احدها قال القفال معناه ان هذا القول
خديعة منكر وصعتموها لمنع الناس من لذات الدنيا واجترارا لهم الى الانقياد
لكم والدخول تحت طاعتكم وثالثها نبها ان قولهم ان هذا الا سحر مبين معناه ٥
ان السحر امر باطل قال تعالى حاكيا عن موسى عليه السلام ما جيتم به السحر ان الله

سيبطله ورابعها ان القران هو الحاكم بحصول البعث وطعنوا في القران بكونه سحرا ٥
والطعن في الاصل غير الطعن في الفرع وقرا ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي لمن هذا الا
ساحروا لساحر كاذب **قوله** ولئن اخرنا عنهم العذاب قال الحسن حكمة الله
انه لا يعذب احدا من هذه الامة بعذاب الاستيصال واخر ذلك الى العذاب الى
القيمة فلما اخر عنهم ذلك العذاب قالوا على سبيل الاستهزاء ما الذي حبسه عنا
وقيل المراد بالعذاب ما نزل بهم يوم بدر واهل الامة الجماعة قال تعالى وجد
عليه امة من الناس يسقون وقوله وادكر بعد امة اي انقضا امة فكانه
قال الى انقراض امة ومجيء اخرى وقيل استقاق الامة من الامر وهو القصد
كانه يعني الوقت المقصود باتباع الموعود فيه ليقولن ما يحبسه اي شيء يحبسه
يقولونه استعجالا للعذاب واستهزاء بعنون انه ليس بشيء **قوله** ليقولن
هذا الفعل معرب على المشهور لان النون مفصولة تقديرا اذ الاصل ليقولونن
النون الاولى للرفع وبعدها نون مشددة فاستثقل توالي ثلاثة امثال
فحذفت نون الرفع لانها لا تدل من المعنى على ما يدل عليه نون التوكيد فالتقى
ساكنان فحذفت الواو التي هي ضمير الفاعل لالتقائهما وقد تقدم تحقيق ذلك
وما يحبسه استفهام فما مبتدا ويحبسه خبره وفاعل الفعل ضمير اسم الا
والمنصوب يعود على العذاب والمعنى اي شيء من الاشيا يحبس العذاب ٥
قوله الا يوم ياتيهم يوم منصوب بمصروفا الذي هو خبر ليس وقد
استدل به جمهور البصريين على جواز تقديم خبر ليس عليها ووجه ذلك ان تقديم ٥
المعمول يؤذن بتقديم العامل ويوم منصوب بمصروفا فقد تقدم على ليس
فليجز تقدم الخبر بطريق الاولى لانه اذا تقدم الفرع فاولى ان يتقدم
الاصل وقد رد بعضهم هذا الدليل بشيئين احدهما ان الظرف يتوسع
فيه ما لا يتوسع في غيره والثاني ان هذه القاعدة مخرمة اذ لنا مواضع
يتقدم فيها المعمول ولا يتقدم فيها العامل واورد من ذلك نحو قوله تعالى
فاما اليتيم فلا تقهر واما السائل فلا تنهر فاليتيم منصوب بتقهر والسائل
منصوب بتنهر وقد تقدما على لا الناهية ولا يتقدم العامل وهو المجزوم
على لا والبحث في هذه المسئلة موضع يليق به قاله ابو حيان وقد تبعت
جملة من رد وابن العرب فلم اطلع بتقدم خبر ليس عليها ولا معموله الا
ما دل عليه ظاهر هذه الاية وقول الشاعر ٥

٥ فاني ما يزداد الا لحاجة ٥ وكمت اتصافي الحبا لست اقدم ٥

والهم ليس ضمير عائد على العذاب وكذلك فاعل ياتيهم والتقدير الا ليس ٥
العذاب مصروفا عنهم يوم ياتيهم العذاب وحكى ابو البقا عن بعضهم ان العامل

في يوم يأتيهم محذوف تقديره اي لا يصرف عنهم العذاب يوم يأتيهم ودل على هذا
المحذوف سياق الكلام ثم قال وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ذكر حاق بلفظ
الماضي مبالغة في التاكيد والمقدر وان خبر الله واقع لا محالة **قوله**
تعالى ولئن اذقنا الانسان منا رحمة الاية لما ذكر ان عذاب الكفار وان تاخر
لا بد ان يحيق بهم ذكر بعده ما يدل على كفرهم وعلى كونهم مستحقين لذلك
العذاب فقال ولئن اذقنا الانسان قيل المراد مطلق الانسان لانه استثنى
منه الا الذين صبروا ولانه موافق لقوله تعالى ان الانسان لفي خسر الا
الذين امنوا ولقوله ان الانسان خلق هلوعا ولان مزاج الانسان محمول
على الضعف والعجز قال ابن جريج في تفسير هذه الاية يا ابن ادم اذا نزلت بك نقمة
من الله فانت كفور واذا نزعت عنك فبؤس وشقوط وقيل المراد به الكافر
لان الاصل في المحلى المعرف باللام ان يعود على المعهود السابق
الا ان يمنع مانع منه وههنا لا مانع فوجب حمله على المعهود السابق
وهو الكافر المذكور في الاية المتقدمة وايضا فالصفات المذكورة
في الانسان هنا لا تليق الا بالكافر لانه وصفه بكونه كفورا وهو تصريح
بالكفر ووصفه عند وجدان الراحة بقوله ذهب السيئات عني وذلك
جراة على الله تعالى ووصفه بكونه فرحا والله لا يحب الفرحين المذكور
في هذه الاية على الاستثناء المنقطع واعلم ان لفظ الاذاقة والذوق
يفيد اقل ما يوجد من الطعم فكان المراد ان الانسان يوجد ان اقل القليل
من الخير في العاجلة يقع في الكفر والطغيان ويوجد ان اقل القليل من البلاء
يقع في الاياس والقنوط فقال تعالى ولئن اذقنا الانسان منا رحمة نعمة
وسعة ثم نزعناها منه سلبناها منه انه ليؤس قنوط في الشدة كفور بالنعمة
ولئن اذقناه نعماء قال الواحدي قال ابو اسحاق النعماء عام يظهر اثره على
صاحبه والضراء مضرة يظهر اثرها على صاحبها لانها خرجت مخرج الاحوال
الظاهرة بحمرا وسوداء وهذا هو الفرق بين النعمة والنعماء والمعنى اذا
اذقناه نعماء بعد بلاء اصابه ليقولن ذهب السيئات عني زالت الشدائد
عني انه لفرح فخور اشر بطر والفرح لذة في القلب بنيل المشتهى والفخر
هو التطاول على الناس بتعديد المناقب وذلك منهي عنه **فصل** اعلم
ان احوال الدنيا ابدا في التغير والزوال والتحول والانتقال فاما ان يتحول
الانسان من النعمة الى المحنة او العكس فاما الاول فهو المراد بقوله ولئن اذقنا
الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤس كفور اي انه حال زوال النعمة
يوسا لان الكافر يعتقد ان السبب في حصول تلك النعمة سبب اتفاقي ثم انه يستبعد

حدوث ذلك الاتفاق مرة اخرى فلا جرم يستبعد عود تلك النعمة فيقع في اليأس
واما المسلم فيعتقد ان تلك النعمة انما حصلت من فضل الله واحسانه فلا
ييأس بل يقول لعله تعالى يوجدها الى ما هو احسن منها واكمل مما كانت واما ان
الانسان يكون كفورا حال تلك النعمة فان الانسان لما اعتقد ان حصولها كان
على سبيل الاتفاق او انه حصلها بجده واجتهاده فحينئذ لا يشتغل بشكر الله
تعالى والحاصل ان الكافر يكون عند زوال النعمة يوسا وعند حصولها كفورا
واما انتقال الانسان من المحنة الى النعمة فالكافر يكون فرحا فخورا الا ان منتهى
طبع الكافر الفوز بهذه السعادات البدنية وهو منكر للسعادات الاخروية
قوله ليفرح قرا الجمهور بكسر الراء وهو قياس اسم الفاعل من فعل اللازم
بكسر العين نحو اشر فهو اشر وبطر فهو بطر وقري شاذا الفرح بضم الراء
نحو بعط وبغط وبدس ومدس **قوله** الا الذين صبروا فيه ثلاثة
اوجه احدها انه منصوب على الاستثناء المنقطع اذ المراد به جنس الانسان
لا واحد بعينه والثاني انه منقطع اذا المراد بالانسان شخص معين وهو على حد
الوجهين منصوب المحل والثالث انه مبتدا والخبر الجملة من قوله اولئك لهم
مغفرة وهو منقطع ايضا والمعنى ان هؤلاء يكونون عند البلاء الصابرين
وعند الراحة والخير من الشاكرين قال الفراء هو استثناء منقطع معناه لكن
الذين صبروا وعملوا الصالحات فانهم ان نالتهم شدة صبروا وان نالوا نعمة شكروا
ثم قال اولئك لهم مغفرة يجوز ان يكون مغفرة مبتدا ولهم الخبر والجملة خبر اولئك
ويجوز ان يكون لهم خبرا اولئك ومغفرة فاعل بالاستقرار يجمع لهم بين شيئين
احدهما زوال العقاب بقوله لهم مغفرة والثاني الفوز بالثواب بقوله واجر
كبير **قوله** فلعلك الاحسن ان يكون على بابها من الترجي بالنسبة الى المخاطب
وقيل هي للاستفهام كقوله عليه السلام لعلنا اعجلناك فان قيل لعلك كلمة
شك فما فائدتها فالجواب ان المراد منها الزجر والعرب تقول للرجل اذا
اراد ابعاده عن امر لعلك تفعل كذا مع انه لا يشك فيه ويقول الوالد
لعلك تقصر فيما امرتك وتريد توكيد الامر فمعناه لا تترك وقوله وضائق
بسكون على تارك وعدل عن ضيق وان كان اكثر من ضائق قال الزمخشري ليدل
على ان ضيقا عارض غير ثابت ومثله سيد وجواد تريد السيادة والجود الثابتين
المستقرين فاذا اردت الحدوث قلت سايد وحايد قال ابو حيان وليس هذا
الحكم مختصا بهذه الالفاظ بل كل ما بني من الثلاثي للثبوت والاستقرار على
غير فاعل ردا اليه اذا اريد به معنى الحدوث تقول حاسن وثاقل وثامن
في حسن وثقل وسمين وانشد

ه بمنزلة اما اللئيم فسامني ه بها وكرام الناس باد سحوبها ه
وقيل انما عدل عن ضيق الى ضائق ليناسب وزن تارك والهاء في به تعود على بعض
وقيل على ما وقيل على التكذيب وصدرك فاعل بضائق ويجوز ان يكون ضائق خبرا
مقدما وصدرك مبتدا موخرا والجملة خبر عن الكاف في لعلك فيكون قد اخبر بخبرين
احدهما معدود والثاني في جملة عطفت على صفته اذ هي بمعناه فهو نظير ان زيدا قائم
وابوه منطلق اي ان زيدا ابوه منطلق قوله ان يقولوا في محل نصب او جر
على الخلاف المشهور اي ان بعد حذف حرف الجر والمضاف تقديره كراهة او مخافة
ان يقولوا او لئلا يقولوا او بان يقولوا وقال ابو البقا الا ان يقولوا اي لان ه
قالوا فهو بمعنى الماضي وهذا لا حاجة اليه وكيف يدعي ذلك فيه ومعه ما هو نص
في الاستقبال وهو الناصب ولو اختص لصح والجملة التخصيصية منصوبة بالقول
فصل المعنى فلعلك يا محمد تارك بعض ما يوحى اليك فلا تبلغه اياهم وذلك
ان كفار مكة لما قالوا ايت بقران غير هذا ليس فيه سب آلهتنا امر النبي صلى الله
عليه وسلم ان يدع الهتهم ظاهرا فانزل الله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك
يعني سب الالهة وضائق به صدرك اي ولعلك يضيق صدرك ان يقولوا اي
لان يقولوا ولا انزل عليه كنز نفقة او جاء معه ملك يصدقه قال عبد الله بن
امية المخزومي روي عن ابن عباس ان قريشا مكة قالوا يا محمد اجعل لنا جبال مكة ه
ذهبا ان كنت رسولا وقال احرون ايتنا بالملئكة يشهدون بصدقك فقال لا اقدر
على ذلك فنزلت هذه الاية واجمع المسلمون على انه لا يجوز على الرسول عليه السلام
ان يخون في الوحي والتبليغ وان يترك بعض ما يوحى اليه لان تجويزه يودي الى الشك
في كل الشرايع وذلك يقدح في النبوة وايضا فالمقصود من الرسالة تبليغ ه
التكاليف والاحكام فاذا لم تحصل هذه الفايدة فقد خرجت الرسالة عن ان تفيد
فايدتها واذا ثبت ذلك وجب ان يكون المراد من قوله فلعلك تارك بعض ما يوحى
اليك شيا خر سوي انه فعل ذلك وذكروا فيه وجوها قيل انهم كانوا لا يقبلون
القران ويتهاونون به فكان يضيق صدر الرسول عليه السلام ان يلقى اليهم ه
ما لا يقبلونه ويضحكون منه فاهله الله لاداء الرسالة وطرح المبالاة بكلماتهم ه
الفاجرة وترك الالتفات الى استهزايهم والغرض منه التنبيه على انه ان ادى
ذلك الوحي وقع في سفاهتهم وان لم يودذلك الوحي وقع في ترك وحي الله تعالى
وفي ايقاع الخيانة وانه لابد من تحمل احد الضررين فتحمل ضرر سفاهتهم اسهل
من تحمل ايقاع الخيانة في وحي الله والغرض من ذكر هذا الكلام التنبيه على هذه
الدقيقة لان الانسان اذا علم ان كل واحد من طرفي الفعل والترك يشتمل على
ضرر عظيم ثم علم ان الضرر في جانب الترك اعظم واقوى سهل عليه ذلك الفعل

وخف

وخف فان قيل الكنز كيف ينزله فالجواب ان المراد منه ما يكنز وجرت العادة بان المال
الكثير يسمى كنزا فقال القوم ان كنت صادقا بانك رسول الله الذي تصفه بالقدرة
على كل شيء وانك عزيز عنده فهلا انزل عليك ما تستغني به في مهماتك وتعين ه
انصارك وان كنت صادقا فهلا انزل الله معك ملكا يشهد لك على صدق قولك ه
ويعينك على تحصيل مقصودك وتزول الشبهة في امرك فلما لم يفعل لك ذلك فانت
غير صادق فعين الله تعالى انه رسول الله بيندر بالعقاب ويبشر بالثواب وليس
له قدرة على ايجاد هذه المطلوبات والذي ارسله هو القادر على ذلك فان
شا فعل وان شا لم يفعل ولا اعتراض لاحد عليه ومعنى وكيل حفيظ اي يحفظ
عليهم اعمالهم حتى يجازيهم بها ونظير هذه الاية قوله تعالى وقالوا لن نومن لك
حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى قوله قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا
قوله تعالى ام يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات الاية
لما طلبوا منه المعجز قال معجزتي هذا القران فلما حصل المعجز الواحد كان طلب
الزيادة تعنتا وجهلا وفي ام هذه وجهان احدهما انها منقطعة فتقدر بل
والهمزة فالتقدير بل اتقولون افتراه والضمير في افتراه لما يوحى والثاني انها
متصلة فتقديرها معنى انكتفون بما اوحينا اليك من القران ام تقولون انه ليس
من عند الله قوله مثله نعت لسور ومثل ان كانت بلفظ الافراد فانه يوصف
بها المثنى والمجموع والمونث كقوله تعالى انومن لبشرين مثلنا ويجوز المطابقة قال
تعالى وحور عين كامثال اللولو المكنون وقال تعالى ثم لا يكونوا امثالكم وقال
بن الخطيب مثله بمعنى امثاله حملا على كل واحدة من تلك السور ولا يبعد ايضا
ان يكون المراد المجموع لان مجموع السور العشرة شي واحد والهاء في مثله تعود
لما يوحى ايضا ومفتريات صفة لسور جمع مفتراة كمصطفيات في مصطفاة
فانقلبت الالف تا كالمتنبيه فصل قال ابن عباس هذه السور التي ه
وقع بها هذا التحدي سور معينة وهي سورة البقرة وال عمران والنساء والما ئدة
والانعام والاعراف والانفال والتوبة ويونس وهود فقوله فاتوا ه
بعشر سور مثله مفتريات اشارة الى هذه السور وفيه اشكال لان هذه
السورة مكية وبعض السور المتقدمة مدنية فكيف يمكن ان يكون المراد هذه
العشر عند نزول هذا الكلام فالاولى ان يقال التحدي وقع بمطلق السور ه
فان قيل قد قال في سورة يونس فاتوا بسورة مثله وقد عجز عنه فكيف ه
قال فاتوا بعشر سور وهو كرجل يقول لاخر اعطني درهما فيقول اعطني عشره
فالجواب قد قيل نزلت سورة هود اولا وانكر المبرد هذا وقال بل سورة ه
يونس اولا وقال معنى قوله في سورة يونس فاتوا بسورة مثله اي مثله في الخبر

عن الغيب والاحكام والوعد والوعيد فعجزوا فقال لهم في سورة هود ان عجزتم عن
الاتيان بسورة مثله في الاخبار والاحكام والوعد والوعيد فجيئوا بعشر سور مثله
في سورة هود ان عجزتم عن الاتيان بسورة مثله في الاخبار والاحكام والوعد
والوعيد فاتوا بعشر سور مثله من غير وعد ولا وعيد وانما تحدى بالبلاغة

فصل اختلفوا في الوجه الذي لاجله كان القرآن معجزا فقيل هو الفصاحة
وقيل الاسلوب وقيل عدم التناقض وقيل اشتماله على الاخبار عن الغيوب
والمختار عند الاكثرين ان القرآن معجز من جهة الفصاحة واستدلوا بهذه الاية
لانه لو كان اعجازه هو كثرة العلوم او الاخبار عن الغيوب او عدم التناقض
لم يكن لقوله مفتريات معنى اما اذا كان وجه الاعجاز هو الفصاحة صح ذلك
لان فصاحة الفصيح تظهر بالكلام سواء كان صدقا او كذبا ثم انه لما قرر وجه
التحدي قال وادعوا من استطعتم من دون الله واستعينوا ممن استطعتم من دون
الله ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لكم يا اصحاب محمد وقيل لفظه جمع والمراد
به الرسول عليه الصلاة والسلام وحده والمراد بقوله فان لم يستجيبوا لكم اي
الكفار ويحتمل ان من يدعوا من دون الله لم يستجيبوا **قوله** فاعلموا انما انزل
ما يجوز ان تكون كافة مهيئة وفي انزل ضمير يعود على ما يوحى الينا ويعلم حاله
اي ملتبسا بعلمه ويجوز ان تكون موصولة اسمية او حرفية انما الان والخبر الجار
بتقديره فاعلموا ان تنزيله او ان الذي انزل ملتبس بعلم وقرئ انزل على
نزل بفتح النون والزاي المشددة وفاعل نزل ضمير الله تعالى وان الذي
انزل ملتبس بعلمه وقرئ انزل على نزل بضم النون والزاي المشددة وفاعل نزل
ضمير الله تعالى وان لا اله الا هو تتسوق على ان قبلها ولكن هذه محققة واسمها
محذوف وجملة النفي خبرها **فصل** ان قلنا هذا خطاب مع المؤمنين
فالمعنى ابقوا على العلم الذي انتم عليه لتزدادوا يقينا وثباتا قدم على انه منزل
من عند الله وقوله فهل انتم مسلمون اي مخلصون وقيل فيه اضمروا اي فقولوا لها
المسلمون للكفار واعلموا انما انزل بعلم الله يعني القرآن وقيل انزله وفيه علمه
وان قيل ان هذا خطاب مع الكفار فالمعنى ان الذين تدعونهم من دون الله اذا
لم يستجيبوا لكم في الاعانة على المعارضة فاعلموا ايها الكفار ان هذا القرآن
انما انزل بعلمه فهل انتم مسلمون فقد وقعت الحجة عليكم وان لا اله الا هو فاعلموا
ان لا اله الا هو فهل انتم مسلمون لفظة استفهام ومعناه امر اي اسلموا قال
بعض المفسرين القول الاول اولى لان القول الثاني يحتاج فيه الى اضمار القول وهذا
لا يحتاج الى اضمار وايضا فعود الضمير الى اقرب مذكور اولى وايضا فالخطاب
الاول كان مع الكفار بقوله من استطعتم من دون الله وايضا فالاول امر بالاثبات فان قيل

فان قيل ان تعلق الشرط المذكور في هذه الاية وآيتها بين ما فيهما من العجز افالجواب
ان القوم ادعوا كون القرآن مفتريا على الله فقال لو كان مفتريا على الله لوجب ان
يقدر الخلق على مثله ولما لم يقدروا علمتم ان ثبت انه من عند الله فقوله انما انزل بعلم
الله كتابه عن كونه من عند الله ومن قبله كما يقوله الحاكم هذا الحكم حكم بعلمي
فان قيل اي تعلق لقوله وان لا اله الا هو بعجزهم عن المعارضة فالجواب
من وجهين احدهما انه تعالى لما امر محمدا صلى الله عليه وسلم بان يطلب من الكفار
ان يستعينوا بالاصنام في تحقيق المعارضة ثم ظهر عجزهم عنها لم يبعد ظهور انها
لا تنفع ولا تضر في شيء من المطالب البتة ومن كان كذلك بطل الهيته فصار
عجز القوم عن المعارضة بعد الاستعانة بالاصنام مبطلا لالهية الاصنام ودليلا
على اثبات نبوة محمد عليه السلام فكان قوله وان لا اله الا هو اشارة الى ظهور فساد
الهية الاصنام وثانيهما انه ثبت في علم الاصول ان القول بنفي الشريك عن الله
من المسائل التي عكس اثباتها بقول الرسول فكانه لما ثبت بعجز الخصوم عن المعارضة
ثبت كون القرآن حقا وثبت كون محمد صادقا في دعوى الرسالة واذا ثبت ذلك
فاعلم يا محمد ان لا اله الا الله وانزكوا الاصرار على الكفر واقبلوا على الاسلام
ونظيره قوله تعالى في سورة البقرة عند ذكر اية التحدي فان لم تفعلوا ولن
تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين **قوله**
تعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها الاية قيل انها مختصة بالكفار لقوله
اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا
يعملون وهذا ليس الا للكفار فيكون التقدير من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها
فقط اي يكون ارادته محصورة مقصورة على جهات الدنيا فقط التي يكون
من مطلب السعادات الاخروية كان حكمه كذا وتأكد واختلف القائلون بهذا
القول فقال الاصم المراد منكرو البعث فانهم ينكرون الاخرة ويرغبون في سعادات
الدنيا وقيل المراد المنافقون كانوا يطلبون بغزوهم مع الرسول الغنائم من غير
ان يؤمنوا بالاخرة وقال اهل الهود والنصارى وقال القاضي من كان يريد
بعمل الخير الحياة الدنيا وزينتها وعمل الخير صنفان العبادات وايصال المنفعة
الى الحيوان كالبر وصلة الرحم والصدقة وسقاية الطرق وتسوية الطرق ودفع
الشوك واجراء الانهار وهذه الاشياء اذا اتى بها الكافر لاجل الثناء في الدنيا
فان بسببها تصل الخيرات والمنافع الى المحتاجين ومن اعمال الخير فقد تصدر
من المسلم والكافر واما العبادات فانما تكون طاعات بنيات مخصوصة فاذا
فاذ الموت تلك النية واتى بها طلبا للزينة الدنيا وتحصيل الدنيا والسعة
فلا يكون طاعة ووجودها كعدمها بل شر منه وعلى هذا فالمراد منه الطاعات التي

ذات

بصح صدورها من الكافر وقبل الاية على ظاهرها في العموم ويندرج فيه المومن الذي
يأتي بالطاعات رياء وسمعة ويندرج فيه الكافر الذي يأتي بالطاعات هذا صفته
ويشكل على هذا قوله في اخر الاية اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار ٥
الا اذا قلنا ان المراد اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار بسبب الاعمال
الفاسدة والافعال الباطلة وانما يكون بهذا القول اكد واقوى لهم بما روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تعوذ من جب الحزن قيل وما جب الحزن قال
واد في جهنم يتبع فيه القراء المراؤن وقال عليه السلام اشد الناس عذابا يوم
القيامة من يري الناس فيه خيرا ولا خير فيه وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة يوتى برجل جمع القران فيقال
له ما عملت فيه فيقول يا رب قمت به اناء الليل واناء النهار فيقول الله تعالى كذبت ٥
اردت ان يقال فلان قارئ وقد قيل ذلك ويوتى بصاحب المال فيقول الله الم
اوسع عليك فما ذا عملت فيما اتيتك فيقول وصلت الرحم وتصدقت فيقول كذبت
اردت ان يقال فلان جواد وقد قيل ذلك ويوتى بمن قتل في سبيل الله فيقول
قاتلت في الجهاد حتى قتلت فيقول الله كذبت بل اردت ان يقال فلان فارس ٥
قال ابو هريرة ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ركبتي وقال يا ابا هريرة
اولئك الثلاثة اول خلق تسعر بهم النار يوم القيامة روي ان ابا هريرة ذكر ٥
هذا الحديث عند معوية قال الراوي فبكا حتى ظننا انه هالك ثم افاق وقال
صدق الله ورسوله من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها

فصل نقل القرطبي عن بعض العلما ان هذا معنى هذه الاية هو قوله
عليه السلام انما الاعمال بالنيات وهذا يدل على انه من صام في رمضان ٥
لا عن رمضان لا يقع عن رمضان ويدل على ان من توضا للتبرد او لتنظف ٥
لا يقع عن جهة الصلاة وكذلك كل ما كان في معناه **قوله** نوف الجمهور على
نوف بنون العظمة وتشديد الفا ونوفي من وفى يوفي وطلحة بن مصرف يوفى بالغيبة
وزيد بن علي كذلك الا انه خفف الفا من اوفى يوفي وطلحة بن مصرف وانا على
في هاتين القراتين ضمير الله تعالى وقري يوف بضم الياء وفتح الفا مشددة
من وفى يوفي مبنيا للمفعول اعمالهم بالرفع قايما مقام الفاعل والجزم في نوف
على هذه القراات لكونه جوابا للشرط كما في قوله تعالى من كان يريد حرث ٥
الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نوته وزعم الفراء ان من كان
زايدة قال ولذلك جزم جوابه ولعل هذا الابصح اذ لو كانت زايدة لصح لكان
يريد هو الشرط ولو كان شرطا لاجزم فكان يقال من كان يريد ورد بعضهم بانه
لا يوتى بفعل الشرط ماضيا والجزا مضارعا الا مع كان خاصة ولهذا الزمخشري في القران

الا كذلك وهذا ليس بصحيح لوروده في غير كان قاله زهير ٥
٥ ومن هاب اسباب المنايا ينلنه ٥ ولو رام اسباب السما بسلم ٥
واما القراة مجزما من باب الاتباع انه كذلك وقرا الحسن البصري يوفى بتخفيف الفا
وسكون الياء من اوفى ثم هذه القراة محتملة لان يكون الفعل مجزوما وقد جزمه بحذف
الحركة المقدرة كقوله ٥ الم ياتك والانباء تنمي ٥ بما لاقت لبون بني زياد ٥
على ان ذلك قد ياتي في السعة نحو انه من يتقي ويصابر محررا في سورته ويحتمل
ان يكون المراد الفعل مرفوعا لوقوع الشرط ماضيا كقوله ٥
٥ واذا سل ربعان الجميع مخافة ٥ يقول حماة او يلكم لا تفروا ٥
ويقول زهير ٥ وان اتاه خليل يوم مسئلة ٥ يقول لا غايب مالي ولا حرم ٥
وهل الرفع لانه على نية التقديم وهو مذهب سيبويه او على نية الفا كما هو ٥
مذهب المبرد خلاف مشهور ومعنى نوف اليهم اعمالهم فيها اي نوفهم اجور اعمالهم
في الدنيا مبسوطة الرزق ودفع المكاره وما اشبهها وهم فيها لا يبخسون اي في
الدنيا اي لا ينقص حظهم روي انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ان الله لا يظلم المومن حسنة يثاب عليها الرزق في الدنيا ويجزى بها في الاخرة
واما الكافر فيطعم بحسناته في الدنيا حتى اذا افضى الى الاخرة لم يكن له حسنة يعطى
بها خيرا **قوله** اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار وحبط ما ٥
صنعوا فيها في الدنيا وباطل ما كانوا يعملون **قوله** وحبط ما صنعوا فيها
يجوز ان يتعلق فيها بحبط والضمير على هذا يعود على الاخرة اي وظهر حبوط ما صنعوا
في الاخرة ويجوز ان يتعلق بصنعوا فالضمير على هذا يعود على الحياة الدنيا
كما عاد عليها كما قال نوف اليهم اعمالهم فيها وما فيها صنعوا ويجوز ان يكون بمعنى الذي
فالعاير محذوف اي الذين صنعوه وان يكون مصدريه اي وحبط صنعهم ٥
قوله وباطل ما كانوا يعملون قرا الجمهور برفع الباطل وفيه ثلاثة اوجه
احدها ان يكون باطل خبرا مقدما وما كانوا يعملون مبتدا موخرا وما يحتمل ان تكون
مصدرية اي وبطل كونهم عاملين وان يكون بمعنى الذي والعاير محذوف ٥
اي يعملونه وهذا على ان الكلام من عطف الجمل عطف هذه الجملة على ما قبلها الفتا
ان يكون باطل مبتدا اي وما كانوا اخبره قاله مكي ولم يذكر غيره وفيه نظر ٥
الثالث ان يكون باطل عطفا على الاخبار قبله اي اولئك باطل ملكانوا يعملون
وما كانوا يعملون فاعل بباطل ويرجح هذا ما قراه زيد بن علي وبطل ما كانوا
يعملون جعله فعلا ماضيا معطوفا على حبط وقرا ابي وابن مسعود وباطلا قال
مكي وهي في مصحفهما كذلك ونقلها الزمخشري عن عاصم وباطلا نصبا وفيها ثلاثة
اوجه احدها انه منصوب بيعملون ومن مزيدة والى هذا ذهب مكي وابو البقا

وصاحب اللوامح وعنه تقدم معمول لحبر كان على كان وهي مسيلة حلاف والصحيح جوازها
كقوله تعالى اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون فالظاهر ان اياكم منصوب بيعبدون ٥
والثاني ان تكون ما ابهامية اتى بها هنا صيغة للنكرة قبلها ولذلك قدرها باطلا
اي باطل فهو كقوله ٥ وحديث ما على قصر ٥ ولامر ما جدع قصير انفه وقد
تقدم ذلك في قوله تعالى مثلا ما بعوضة **قوله** تعالى افمن كان على
بينة من ربه الآية وتقدير تعلقها بما قبلها افمن كان على بينة من ربه كمن يريد
الحياة الدنيا وزينتها **قوله** افمن كان فيها وجهان احدهما انه مبتدأ والخبر
محذوف تقديره افمن كان على هذه الاشياء كغيره كذا قدره ابو البقاء والحسن منه
افمن كان كذا كمن يريد الحياة الدنيا وزينتها وحذف المعادل للذي دخلت عليه
الهمزة كثير نحو افمن لذين له سوء عمله افمن هو قانت الى غير ذلك وهذا الاستفهام
بمعنى التقرير وقد نبه الزمخشري الى هذا معطوف على شيء محذوف قبله تقديره
افمن كان يريد الحياة الدنيا وزينتها كمن كان على بينة اي لا يعتقدونهم في المنزلة
ولا يقارنونهم بريد ان بين الفريقين تفاوتا والمراد من آمن من اليهود كعبد الله بن
سلام وهذا على قاعدته من تقدير معطوفا بين همزة الاستفهام وحرف العطف
وهو مبتدأ ايضا والخبر محذوف كما تقدم تقريره **قوله** ويتلوه
واختلفوا في هذه الضمائر اعني في يتلوه وفي منه وفي قبله فقيل الهاء في يتلوه
تعود على من والمراد به النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك الضمير ان في منه
وقبله والمراد بالشاهد لسانه عليه السلام والمعنى ويتلو ذلك الذي على
بينه اي ويتلو محمدا اي صدق محمد لسانه ومن قبله اي قبل محمد وقيل الشاهد
جبريل والضمير في منه لله تعالى وفي قبله للنبي وقيل الشاهد الانجيل
وكتاب موسى عطف على شاهد والمعنى ان التوراة والانجيل يتلوان محمدا
في التصديق وقد فصل بين حرف العطف والمعطوف بقوله مشيعا في النسائر
وقيل الضمير في يتلوه القرآن وفي منه لمحمد عليه السلام وقيل لجبريل والمعنى
ويتلوا القرآن شاهد من محمد ويتلوه لسانه او من جبريل والهاء في من قبله ايضا
للقرآن وقيل الهاء في يتلوه تعود على البيان المدلول عليه بالبينة وقيل المراد
بالشاهد اعجاز القرآن فالضمائر الثلاثة للقرآن وقيل غير ذلك وقرأ
محمد بن السائب الكلبي كتاب موسى بالنصب وجيء وجهان الظهر منهما انه
معطوف على الهاء في يتلوه اي يتلوه ويتلوا كتاب موسى وفصل بالجار
بين العاطف والمعطوف والثاني انه منصوب باضمار فعل قاله ابو البقاء
وقيل تم الكلام عند قوله منه وكتاب موسى اي ويتلوا كتاب موسى فقدر
فعلا مثل الملفوظ به وكانه لم ير الفصل بين العاطف والمعطوف فلذلك

لعله مقابله

قدر فعلا

قدر فعلا واما ما ورحمة منصوبان على الحال من كتاب موسى سواقربا رفعا او نصبا ٥
واولئك اشارة الى من كان على بينة جمع على معناها وهذا ان اريد بمن كان النبي واصحابه
وان اريد هو وحده فيجوز ان يكون عظمه باشارة الجمع كقوله فان شئت حرمت النساء سواكم
والهاء في به يجوز ان تعود على كتاب موسى وهو اقرب مذكور وقيل بالقرآن وقيل بمحمد
وكذلك الهاء في به الثانية والاحزاب الجماعة التي فيها غاط كانهم لكثرتهم وصفوا
بذلك ومنه وصف حمار الوحش بحزابيه لغاظه والاحزاب جمع حزب وهو جماعة ٥
الناس **مسئلة** قيل في الآية حذف والتقدير افمن كان على بينة من ربه كمن ٥
يريد الحياة الدنيا وزينتها او من كان على بينة من ربه كمن هو في الضلالة والمراد
بالذي هو على بينة النبي صلى الله عليه وسلم ويتلوه شاهد منه اي معه من
يشهد له واختلفوا في هذا الشاهد فقال ابن عباس وعلقمة وابراهيم ومجاهد
وعكرمة والضحاك واكثر المفسرين انه جبريل عليه السلام وقال الحسن وقتادة
هو لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي ابن جريج عن مجاهد قال هو ملك ٥
حفظه وسدده وقال الحسين بن الفضل هو القرآن ونظمه وقيل هو علي بن
ابي طالب قال علي ما من رجل من قريش الا وقد نزلت فيه اية من القرآن فقال له ٥
رجل وانت ايش نزل فيك فقال ويتلوه شاهد منه وقيل هو الانجيل ومن قبله
اي من قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من قبل نزول القرآن كتاب موسى اي
كان كتاب موسى اماما ورحمة اي لمن اتبعه اي التوراة وهي مصدقة للقرآن ٥
شاهدة للنبي صلى الله عليه وسلم اولئك يؤمنون به يعني اصحاب محمد صلى الله
عليه وسلم وقيل اراد الذين اسلموا من اهل الكتاب ومن يكفر به اي بمحمد صلى الله عليه
وسلم وقيل اراد الذين اسلموا من اهل الكتاب بالقرآن من الاحزاب من الكفار
من اهل الملل كلها فالنار موعده موعد اسم مكان وحده قال حسان

٥ اورد موها حياض الموت ضاحية ٥ فالنار موعدها والموت ساقيها ٥

قال عليه السلام والذي نفس محمد بيده لا يسمع في احد من هذه الامة ولا يهودي
ولا نصراني ومات ولم يؤمن بالذي ارسلت به الا كان من اصحاب النار **قوله**
فلا تك في مرية اي شك والمرية بكسر الميم وضمها الشك لغتان اشهرهما الكسر ٥
وهي لغة اهل الحجاز وبها قرأ الجمهور والضم لغة اسد وتميم وبها قرأ السلمي
وابو رجاء وابو الخطاب السدوسي والمعنى فلا تك في مرية منه اي من صحة ٥
هذا الدين ومن كون هذا القرآن نازلا من عند الله وقيل فلا تك في مرية من ان
موعد الكفار النار **قوله** تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا
الآية اورده في معرض المبالغة دليلا على ان الافتراء على الله تعالى اعظم انواع
الظلم وكذب بآياته يعني القرآن اولئك يعني الكاذبين والمكذبين يعرضون على

ربهم فيبنا لهم عن العالم وحضهم بهذا الغرض لانهم يعرضون فيفتضحون بان يقول الاشهاد هولاء الذين كذبوا على ربهم ويلحقهم من الخزي والنكال مالا مزيد عليه والاشهاد ۵
جمع شاهد كصاحب واصحاب اوجمع شهيد كشريف واشراف والمراد بالاشهاد
قال مجاهد هم الملئكة الحفظة وقال قتادة ومقاتل الانبياء الناس وقيل الانبياء
فان قيل اذا لم يجز ان يكون الله تعالى في مكان فكيف قال يعرضون على ربهم
فالجواب انهم يعرضون على الاماكن المعدة للحسبان والسؤال ويجوز
ان يعرضوا على من شاء الله من الملئكة والانبياء والمومنين ۵
ثم لما اخبر عن احوالهم حالهم في عقاب الله اخبر انهم في الحال ملعونين عند الله
روى عبد الله بن عمران رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله يدني المومن
يوم القيامة فيستره من الناس فيقول اي عبدي تعرف ذنب كذا وكذا فيقول
نعم حتى اذا قرره بذنوبه قال اني سترتها عليك في الدنيا وقد غفرتها لك اليوم
ثم يعطى كتاب حسناته واما الكفار والاشهاد المنافقون فيقول الاشهاد هولاء
الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله
يمنعون عن دين الله اي انهم كانوا يمنعون انفسهم بالكتاب الكفر والضلال فقد ۵
اضافوا اليه المنع من الدين الحق والقاء الشبه وتعويج الدلايل المستقيمة لانه
لايقاله في العامي بيغي عوجا وانما يقال ذلك في العالم بكيفية الاستقامة
وكيفية العوج بسبب القاء الشبهات ثم قال لعنهم بالاخرة هم كافرون قال
الزجاج كررت كلمة هم تاكيد الشانهم في الكفر اولئك لم يكونوا معجزين قال الواحدي
معنى الاعجاز المنع من تحصيل المراد يقال اعجزني فلان اي منعني من مرادي
ومعنى معجزين في الارض اي لا يمكنهم ان يهربوا من عذابنا فان هرب العبد
من عذاب الله تعالى محال لانه تعالى قادر على جميع الممكنات وقال ابن عباس
سابقين وقال مقاتل فايتين في الارض وما كان لهم من دون الله من اولياء
يعني انصارا تحفظهم من عذابنا يضاعف لهم العذاب اي يزاد في عذابهم ۵
وقيل يضعف العذاب عليهم لاضلالهم الغير وقيل سبب تضعيف عذابهم
انهم كفروا بالبعث والنشور **قوله** ما كانوا يستطيعون السمع يجوز
في ما هذه ثلاثة اوجه احدها ان تكون نافية نفي عنهم ذلك لما لم ينتفعوا به
وان كانوا ذوي اسماع وابصار ويكون متعلق السمع والبصر شيأ خاصا
والثاني ان تكون مصدرية وقتها حسنة تاويلان احدهما انها قايمة مقام
الظرف اي مدة استطاعتهم وتكون ما منصوبة بيضاعف اي يضاعف لهم العذاب
مدة استطاعتهم السمع والابصار والتاويل الثاني انها منصوبة المحل على
اسقاط حرف الجر كما يحذف من ان وان احتياجا والاشارة اليه ذهب الفراء وذلك

الجار متعلق ايضا بيضاعف اي يضاعف لهم بكونهم كانوا يستمعون ويبصرون وكلا ۵
يستمعون الثالث ان تكون بمعنى الذي ويكون على حذف حرف الجر ايضا اي ۵
بالذي كانوا وفيه بعد لا لحذف الحرف لا بطوله والجملة من قوله يضاعف مستانفة
وقيل ان الضمير في قوله كانوا يعود على اولياءهم وهو الهتهم اي ما كان لهم في الحقيقة
من اولياء ان كانوا يعتقدون انهم اولياء فعلى هذا يكون يضاعف لهم العذاب معترضا
فصل احتج بهذه الاية على انه تعالى قد خلق في المكلف ما يمنعه من الايمان
روى عن ابن عباس انه قال انه تعالى منع الكافر من الايمان في الدنيا وفي الاخرة
اما في الدنيا ففي قوله ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون واما في
الاخرة ففي قوله يدعون الى السجود فلا يستطيعون ثم قال تعالى اولئك الذين
خسروا انفسهم اي انهم ستروا عبادة الالهة بعبادة الله فكان هذا الخسران
اعظم وجوه الخسران وضل عنهم ما كانوا يفترون يزعمون من شفاعة الملئكة ۵
والاصنام **قوله** لا جرم في هذه اللفظة خلاف بين النحويين ويتلخص
ذلك في خمسة اوجه احدها وهو مذهب الخليل وسيبويه وجماهير الناس
انها ركبا من لا النافية وجرم وبنيا على تركيبهما تركيب خمسة عشر وصارا معنا
معنى فعل وهو حق فعلى هذا يرتفع ما بعدها بالفاعلية فقوله تعالى لا جرم
اي حق وثبت كون النار لهم او استقرارها لهم الوجه الثاني ان لا جرم بمنزلة
لا رجل في كون لا نافية للجنس وجرم اسمها مبني معها على الفتح وهي واسمها في
محل رفع بالابتداء وما بعدها خبر لا النافية وصار معناها كمعنى لا محالة ولا بد
قاله الفراء الثالث كالذي قبله الا ان ان وما بعدها في محل نصب او جر بعد
حذف الجار اذ التقدير لا محالة في انهم في الاخرة اي في خسرانهم الرابع ان
لا نافية للكلام متقدم تكلم به الكفرة فرد الله عليهم ذلك بقوله كما لا يرد
لا هذه قبل القسم في قوله لا اقسم وقوله تعالى فلا وربك لا يومنون وتقدم تحقيقه ثم اي جرم ان لهم كذا او جرم فعل
ماض معناه كسب وفاعله مستتر يعود على معلوم المدلول عليه بسياق
الكلام وان وما في حيزها في موضع المفعول به لان جرم يتعدى اذ هو ۵
بمعنى كسب قال الشاعر ۵

۵ نصبنا راسه في جذع نخل ۵ بما جرمت يداه وما اعتدينا ۵

اي بما كسبت وقد تقدم تحقيق ذلك في المايدة وجرمة القوم كاسبهم
قال ۵ جريمة ناهض في راس نيق ۵ تزي لعظام ما جمعت صلينا ۵
فيقدر الاية كسبهم فعلم او قولهم خسرانهم وبهذا قول ابي اسحاق الزجاج
وعلى هذا فالوقف على قوله لا ثم يبتدا بجرم بخلاف ما تقدم الوجه الخامس ان معنا ما

لاحد ولامنع ويكون جرم اسم لامبني منها على الفتح كما تقدم وخبرها ان ومافي
خبرها او على حذف حرف الجر اي لامنع من خسرانهم فيعود فيه الخلاف المشهور وفي
هذه اللفظة لغات يقال لاجرم بكسر الجيم ولاجرم بضمها ولاجر بحذف الميم
ولاذا جرم ولاان ذا جرم ولاذو جرم ولاعن ذا جرم ولاان جرم ولاعن جرم
ولاجاجرم والله لافعلن لكن وعن ابي عمر لاجرم ان لهم النار على وزن لاكرم
بضم الراء ولاجر قال حذفوه لكثرة الاستعمال كما قالوا لاسوتري اي سوف
وقوله الاخسرون يجوز ان يكون هم فصلا وان يكون توكيدا وان يكون مبتدا
وما بعده خبره والجملة خبر ان **قوله** تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصا
واخبتوا الماذكر عقوبة الكافرين وخسرانهم اتبعه بذكر احوال المؤمنين ٥
والموصول اسم ان والجملة من قوله اولئك اصحاب الجنة خبرها والاخبات
الاطمئنان والتذلل والتواضع والخشوع والخضوع واصله من الخبت وهو
المكان المطمئن المنخفض من الارض واخبت الرجل دخل في مكان خبت كما قالوا
كاخمد وانهم اذا دخل في احدهذين المكانين ثم توسع فيه فقيل خبت ذكره
اي خمد ويقال للشي الدني الخبيث قاله الشاعر ٥

٥ يتبع الطيب القليل من الرزق ٥ ولا ينفع الكثير الخبيث ٥

هكذا ينشدون هذا البيت في هذه المادة الزمخشري وغيره والظاهر انه
بالثا المثلثة ولاسيما لمقابلته بالطيب ولكن الظاهر من عبارتهم انه بالتاء
المثناة لانهم يسوقونه في هذه المادة ويدل على ان معنى البيت انما هو على
الثا المثلثة قول الزمخشري وقيل الثانية بدل من الثا قيل ومن مجي الخبث
بمعنى المكان المطمئن قوله ٥

٥ افاطم لوشهدت بيطن خبت ٥ وقد قبل الهرير اخاك بشرا ٥

وفي تركيب البيت قلق وحله لوشهدت اخاك بشرا وقد قبل الهرير فعاجل ٥
قيل ضمير يعود على اخاك واخبت يتعدي بالى كهذه الاية وباللام كقوله تعالى
فتخبت له قلوبهم ومعنى الاية قال ابن عباس خافوا وقال قتادة انابوا وقال ٥
مجاهد اطمانوا وقيل خشعوا الى ربهم اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون
قوله مثل الفريقين الاية لما ذكر الفريقين ذكر لهما مثلا مطابقا مثل
الفريقين مبتدا وكالاعمى خبره هذه الكاف يحتمل ان تكون هي نفس الخبر ٥
فتقدر تمثل بتقديره مثل الفريقين مثل الاعمى ويجوز ان يكون مثل بمعنى
صفة ومعنى الكاف معنى مثل فيقدر مضاف محذوف اي كمثل الاعمى وقوله
مثل الفريقين كالاعمى يجوز ان يكون من باب تشبيه شيئين بشيئين فقابل
العمى بالصمم بالبصر والصمم بالسمع وهو من الطباق وان يكون من تشبيه شي

واحد

واحد بوصفين بشي واحد بوصفين وحينئذ يكون قوله كالاعمى والاصم والبصير
والسميع من باب عطف الصفات كقوله ٥

٥ الى الملك القرم وابن الهمام ٥ وليث الكتيبة في المزدحم ٥

وقد احسن الزمخشري في التعبير عن ذلك فقال شبه فريق الكافرين بالاعمى
والاصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع وهو من اللف والطباق وفيه ٥
معنيان ان يشبه الفريقين تشبيهين ابنيين كما شبه امرء القيس قلوب الطير
بالحشف والعناب وان يشبههم بالذي جمع بين العمى والصمم والذي جمع بين
البصر والسمع على ان تكون اوا وفي والاصم عطفي والسميع لعطف الصفة
على الصفة كقوله ٥ للصالح فالغانم فالآيب ٥ يريد بقوله اللذانه
لما ذكر المؤمنين والكافرين الذين هما مشبهان بقوله الفريقين ولو فسرهما
لقال مثل الفريقين فمثل المؤمن والكافر كالبصير والسميع ومثل الكافر كالاعمى
والاصم وهي عبارة مشهورة في علم البيان لفظتان متقابلتان اللف
والنشر واشار لقول امرء القيس ٥

٥ كان قلوب الطير رطبا ويابسا ٥ لدى وكرها العناب والحشف البالي ٥

اصل الكلام كان الرطب من قلوب الطير العناب واليابس منها الحشف
فلف ونشر واللف والنشر في علم البيان تقسيم كثير ليس هذا موضعه ٥
واشار بقوله الصالح فالغانم الى قوله ٥

٥ يا اوح ربابه للحادث ٥ الصالح فالغانم فالآيب ٥

وقد تقدم ذلك في اول البقرة فان قيل لم قدم تشبيه الكافر على المؤمن ٥
فالجواب لان المتقدم ذكر الكفار فلذلك قدم تمثيلهم فان قيل ما الحكمة
في العدول عن هذا التركيب لو قيل كالاعمى والبصير والاصم والسميع ليتقابل
كل لفظة مع ضدها ويظهر بذلك التضاد فالجواب بانه تعالى لما ذكر اشداد
العين اتبعه بافتاح الاذن وهذا التشبيه احد الاقسام وهو تشبيه امر
معقول بامر محسوس وذلك انه شبه عمى البصيرة وصمها بعمى البصر وصمم السمع
ذاك متردد في ظلم الضلالات كما ان هذا متحير في الطرقات **قوله** مثلا تميز
وهو منقول من الفاعلية والاصل هل يستوي مثلهما كقوله تعالى واشتعل ٥
الراس شيبا وجوز ابن عطية ان يكون حالا وفيه بعد صناعة ومعنى لانه على
معنى من لاعلى معنى في ثم قال تعالى افلا تذكرون منبها على انه يمكنه ٥
علاج هذا العمى وهذا الصمم واذا كان العلاج ممكنا وجب على العاقل ان ٥
يسعى في ذلك العلاج بقدر الامكان **قوله** تعالى ولقد ارسلنا نوحا
الى قومه اني لكم نذير مبين اعلم انه جرت عادته تعالى في القرآن بانه اذا اورد ٥

على الكافر الدلائل انتهاها بالقصص ليؤكد تلك الدلايل وقد بدأ بذكر هذه القصة
في سورة يونس واعادها ههنا لما فيها من زواجر وآيد الفوايد **قوله** اني لكم
قرا ابن كثير وابو عمرو والكسائي بفتح همزة اني والباقون بكسرها فاما الفتح
فعلى اضمار حرف الجر اي بانى لكم قال الفارسي في قراة الفتح خروج من الغيبة
الى المخاطبة قال ابن عطية وفي هذا نظر وانما هي حكاية مخاطبته لقومه ٥
وليس هذا حقيقة الخروج من غيبة الى مخاطبة ولو كان الكلام اذا انذرهم ٥
او نحوه لصح ذلك وقد قال بهذه المقالة اعني الالتفات مكي فانه قال الاصل
باني والجار والمجرور في موضع المفعول الثاني وكان الاصل انه لكنه جاء على طريقة
الالتفات ولكن هذا الالتفات غير الذي ذكره ابو علي فان ذلك من غيبة
الى خطاب وهذا من غيبة الى تكلم وكلاهما غير محتاج اليه وان كان قول مكي
اقرب وقال الزمخشري الجار والمجرور صلة للحال محذوفة والمعنى ارسلناه
ملتبسا بهذا الكلام وهو قوله اني لكم نذير مبين بالكسر فلما اتصل به الجار
فتح كما فتح في كان والمعنى على الكسر في قولك ان زيدا كالاسد واما الكسر
فعلى اضمار القول اي فقال وكثيرا ما يضمر وهو مغنى عن الشواهد ٥
والنذير فعيل المراد به كونه ممدة للعصاة بالعقاب والبشير كونه ٥
مبينا ما اعد الله للمطيعين من الثواب والمبين يبين ذلك الانذار
على اكمل طريقة ثم بين تعالى ان ذلك الانذار انما هو بنهيهم عن عبادة غير
الله والامر بعبادة الله تعالى لان قوله لا تعبدوا الا الله استثنا من الجنس
فهو يوجب نفي غير المستثنى وايجاب المستثنى **قوله** ان لا تعبدوا
كقوله ان لا تعبدوا في اول السوره ويريد هنا شيا اخر وهو انها على قراة ٥
من فتح اني يحتمل وجهين احدهما ان يكون بدلا من قوله اني لكم اي ارسلناه
بان لا تعبدوا والثاني ان تكون مفسرة والمفسر بها اما ارسلنا وانما
نذير وامّا على قراة من كسر فيجوز ان تكون المصدرية وهي معمولة لارسلنا
ويجوز ان تكون المفسرة بحالها لانها **قوله** اليم اسناد الالم الى اليوم
مجاز لوقوعه فيه لانه وقال الزمخشري فاذا وصف به العذاب قلت
مجاز مثله لان الاليم في الحقيقة هو المعذب ونظيرها قولك نهارك صائم
قال ابو حيان وهذا على ان يكون اليم صيغة مبالغة من الم وهو من كثر الله
وان كان الاليم بمعنى مؤلم فنسبته للموم مجاز وللعذاب حقيقة **فصل**
قال ابن عباس بعث نوح بعد اربعين سنه ولبث يدعو قومه تسع مايه ٥
وخمسين سنه وعاش بعد الطوفان ستون سنه وكان عمره الفا وخمسين
سنه وقال مقاتل بعث وهو ابن خمسين سنه ومكث يدعو قومه تسع مايه

وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مايتين وخمسين سنه فكان عمره الفا واربع مايه
وخمسين سنة **قوله** فقال الملا الذين كفروا من قومه الملا هم الاشراف
والروساء ما نراك يجوز ان يكون هذه الروية قلبيه وان تكون بصريه فعلى
الاول تكون الجملة من قوله اتبعك في محل نصب على الحال وقد مقدره عند من
يشترط ذلك والا فلا حال فيه وههنا احتمالان احدهما انه جمع الجمع والثاني جمع فقط
واختلفوا في هذا القول هل هو جمع ارذل او ارذل جمع لا ارذل واختلفوا ايضا
في كلب وكالب وقيل بل جمع لا ارذل جمع ارذل لجريانه مجرى الاسماء من حيث
انه جعل موصوفة كالابطح والابرق وقال بعضهم هو جمع ارذل الذي للتفضيل
وجاء جمعا كما جاء اكابر مجرميها واحاسنكم اخلاقا ويقال رجل رذل
كرجل ورجال وهو المرغوب عنه لرداءته قال الواحدي هو الدون من كل شي
في منظره وحالاته والاصل فيه ان يقال هذا رذل من كذا فكثر حتى قالوا
هو الارذل فصار الالف واللام عوضا من الاضافه **قوله** بادي الراي
قرا ابو عمرو وعيسى الثقفي بادي بالهمز والباقون بيا صريحة فاما الهمزة
فاما انها همزة فمعناها اول الراي اي انه صادر عن غير روية وتامل بل من
اول واهلة واما من لم يهمز فيحتمل ان يكون اصله كما تقدم ويحتمل ان يكون
من بدا يبدو اي ظهر والمعنى ظاهر الراي دون باطنه اي لو تؤمل لعرف
باطنه وهو في المعنى كالاول وفي انتصابه على كلتا القراتين سبعة اوجه
احدها انه منصوب على الظرف والعامل فيه على هذا ثلاثة اوجه احدها
تراك اي ما نراك في اول راينا على قراة ابن عمرو فيما يظهر لنا من الراي
في قراة الباقين والثاني من الاوجه الثلاثة ان يكون منصوبا باتبعك
اي ما نراك اتبعك اول رايهم وهذا يحتمل معنيين احدهما ان يريدوا
اتبعوك في ظاهر امرهم وبواطنهم ليست معك والثاني انهم اتبعوك باول
نظر وبالراي البادي دون تثبت ولو تثبتوا لما اتبعوك الثالث من ٥
الاوجه الثلاثة ان العامل فيه اراذلنا والمعنى اراذلنا باول نظر منهم او
بظاهر الراي يعلم ذلك اي ان رذالتهم مكشوفة ظاهرة لكونهم اصحاب حرف
دنية والراي على هذا من راي العين لا من راي القلب ويناكد هذا ما
نقل عن مجاهد انه قرا الا الذين هم اراذلنا بادي راي العين ثم القابل
يكون بادي ظرفا فيحتاج الى اعتذار فانه اسم فاعل وليس بظرف في الاصل
فقال مكي واما جاز ان يكون فاعل ظرفا كما جاز ذلك في فعيل نحو قريب ومكي ٥
وفاعل وفعيل بتبعا فيان كراحم ورحيم وعالم وعليم وحسن ذلك في فاعل ٥
لاضافته الى الراي والراي يضاف اليه المصدر وينتصب المصدر معه على الظرف

نحو اما جهد راي فانك منطلق اي في جهد وقال الزمخشري واتصابه على الظرف ٥
اصله وقت حدوث اول امرهم او وقت حدوث ظاهر رايهم فحذف ذلك واقيم
المضاف اليه مقامه الوجه الثاني من السبعة ان ينتصب على المفعول به بحذف
معه حروف الجر مثل اختار موسى قومه قاله مكي وفيه نظر من حيث انه ليس هنا
فعل صالح للتعدي الى اثنين ليأتي بانيهما باسقاط الخافض الثالث من السبعة
ان ينتصب على المصدر ويجيء المصدر على فاعل ايضا ليس بالقياس والعامل
في هذا المصدر كالعامل في الظرف كما تقدم ويكون من باب ما جاءه ٥
المصدر من معنى الفعل لا من لفظه تقديره رويّة بدء او ظهور او اتباع ٥
بدء او ظهور او رذالة بدء الوجه الرابع من السبعة ان يكون نعتا لبشرا اي ما
نراك الا بشرا مثلنا بادي الراي اي ظاهره او مبتدءا فيه وفيه بعد
للفصل بين النعت والمنعوت بالجملة المعطوفة الخامس انه حال من مفعول
اتبعك اي وانت مكشوف الراي ظاهره لا خفوة فيه ولا خضافة لك ٥
السادس انه منادى والمراد به نوح عليه السلام كانهم قالوا يا بادي ٥
الراي اي ما في نفسك ظاهر لكل احد قاله الزجاج لكن على سبيل الاستهزاء
به والاستقلال له السابع ان العامل فيه مضمر تقديره انؤمن لك ٥
بادي الراي ذكره ابو البقاء والاصل عدم الاضمار مع الاستغناء عنه ٥
وعلى هذه الاوجه الاربعة الاخيرة هو اسم فاعل من غير تاء وبل خلاف
ما تقدم عنه من الاوجه فانه ظرف او مصدر واعلم انك اذا نصبت ٥
بادي على الظرف او المصدر بما قبل الا احتجت الى جواب عن اشكال وهو
ان ما بعد الا لا يكون معمولا لما قبلها الا ان كان مستثنى منه نحو ما قام
الا زيد القوم او مستثنى نحو قام القوم الا زيدا او تابعا للمستثنى
منه نحو ما جاءني احد الا زيد اخير من عمرو وبادي الراي ليس شيأ
من ذلك وقال مكي فلو قلت في الكلام ما اعطيت الا زيدا درهما فاوقعت
اسمين مفعولين بعد الا لم يجز لان الفعل لا يصل الا الى مفعولين ٥
انما يصل الى اسم واحد كسائر الحروف الا ترى انك لو قلت مررت ٥
بزيد عمرو فاوصلت الفعل اليهما بحرف واحد لم يجز ذلك وكذلك لو قلت
استوى الماء والخشبة الحائط فنصبت الخشبة اسمين بواو مع لم يجز الا ان
تاتي في جميع ذلك بواو العطف ويجوز وصول الفعل في الجواب الذي ذكره
هو ان الظروف يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها وهذا اجماع القول في هذه
المسئلة باختصار والراي يجوز ان يكون من رؤية العين او من الفكرة ٥
والتامل **فصل** اعلم ان الله تعالى حكى عن قوم نوح شبهتين الاولى انهم قالوا

انه

انه لبشر مثلهم وان القوت الحاصل بين احاد البشر ممتنع انتهاؤه الى حيث يصير
الواحد منهم واجب الطاعة لجميع العالمين الثانية كونه لم يتبعه الا اراذل له ٥
القوم كالحاكة واهل الصنايع الخسيسة فلو كنت صادقا لاتبعك الاشراف
والرؤساء ونظيره قوله تعالى في سورة الشعراء انؤمن لك واتبعك ٥
الارذلون الثالثة قولهم وما نرى لكم علينا من فضل لا في العقل ولا في رعاية
المصالح العاجلة ولا في قوة الجدل فانا لم نشاهد فضلك في شيء من هذه
الاحوال الظاهرة فكيف نقر بفضلك علينا في اشرف الدرجات واعلم
ان الشبهة الاولى لا تليق الا بالبراهمة الذين ينكرون نبوة البشر على
الاطلاق وتقدم الكلام على الملائي الاعراف وتقدم الكلام على الشبهة الاولى
في الانعام واعلم انه لو بعث الى البشر ملكا رسولا لكانت الشبهة اقوى
في الطعن عليه في رسالته لانه يحظر بالبال ان هذه المعجزة التي ظهرت على يد ٥
هذا الملك اتى بها من عند نفسه لان قوته اكمل فلهذا ما بعث الله الى البشر رسولا
الا من البشر واما قولهم ما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا فهذا ايضا
جهل لان الرفعة في الدين لا تكون بالحسب ولا بالمال ولا بالمناصب العالية
بل الفقراء كانوا على الدين من الغنى والانبياء ما بعثوا الا لترك الدنيا
والاقبال على الاخرى فكيف يجعل الفقر في الدنيا طعنا في النبوة والرسالة
واما قولهم وما نرى لكم علينا من فضل فهو جهل ايضا لان الفضيلة المعتبرة
عند الله تعالى ليست الا بالعلم والعمل فكيف الطعن على بواطن الخلق ٥
حتى عرفوا نفي هذه الفضيلة ثم قالوا النوح واتباعه بل نظنكم كاذبين وهذا
خطاب مع نوح وقومه والمراد منه تكذيب نوح في دعوى الرسالة وقيل
خطاب مع الاراذل اي كذبتم في ايمانكم به واتباعه **قوله** قال يا قوم
ارايتم ان كنت على بينة من ربي واتاني رحمة من عنده وهذا جواب عن
شبههم والمعنى ان حصول المساواة في البشرية لا تمنع من حصول المفارقة ٥
في صفة النبوة والرسالة وذكر الطريق الاول الدال على امكانه وهو كونه
على بينة من معرفة الله وصفاته وما يجب وما يمتنع ويجوز واتاني رحمة من
عنده وهي هي اما النبوة واما المعجزة الدالة على النبوة فعميت عليكم اي
صارت مطلة خفيت والتبست عليكم **قوله** من ربي نعت لبينة اي بينة
من بينات ربي وقوله رحمة من عنده يجوز في الجار ايضا ان يكون نعتا لرحمة
وان يكون متعلقا باتاني **قوله** فعميت قرا الاخوان وحفص بضم ٥
العين وتشديد الميم والباقون بالفتح والتخفيف فاما القراءة الاولى فاصلها
عماها الله عليكم اي ابهمها عقوبة لكم ثم بني الفعل للمفعول فاعله محذوف فاعله

للعلم به وهو الله تعالى واقيم المفعول وهو ضمير الوحة مقامه ويدل على ذلك قوله
فواة ابي هذا الاصل فتماها الله عليكم ورواها عنه ايضا عن الحسن وعلى وسلمى
فعماها من عيوذ كر فاعل لفظي وروي عن الاعمش وبن وثاب وعميت بالواو دون الفا
واما القراة الثانية فانه اسند الفعل اليها مجازا قال الزمخشري فان قلت ٥
ما حقيقة قلت حقيقة ان الحجة كما جعلت بصيرة ومبصرة قال تعالى فلما جاتهم
اياتنا مبصرة جعلت عمى قال تعالى فعميت عليهم الانباء لان الاعمى لا يهتدي
ولا يهدي غيره فالمعنى فعميت عليكم البينة فلم تهتدوا كما لو عمي على القوم دليلهم
في المفازة فقوله اعميتها بغيرها عاد وقيل هذا من باب القلب واصلها ٥
فعميتم انتم عنها كما تقول ادخلت القلنسوة في راسي وادخلت الخاتم في
اصبعي وهو كثير وقد تقدم الخلاف فيه واسندوا على ذلك ٥
٥ برئ النور فيها مدخل الظل راسه ٥ قال ابو علي وهذا مما يقلب اذ ٥
ليس فيه اشكال وفي القران فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله وبعضهم خرج
البيت على الاتساع في الظرف واما الاية فاخلف يتعدى لاثنين فانت
بالخيار بين ان تضيف اليهما شيت فليس من باب القلب وقد رد بعضهم
كون هذه الاية من باب المقلوب بانه لو كان كذلك لتعدي بعني دون على الا
ترى انك تقول عميت عن كذا او اختلف في الضمير في عميت هل هو
عايد على البينة او على الوحة او عليهما معا وجاز ذلك وان كان بلفظ الافراد
لان المراد بهما شي واحد واذا قيل بانه عايد على البينة فيكون قوله واتاني
رحمة جملة معترضه واذا قيل بانه عايد على البينة بين المتعاطفين ٥
اذ حقه على بينه من ربي فعميت وان قيل بانه عايد على الوحة فيكون قد حذف
من الاول لدلالة الثاني والاصل على بينة من ربي فعميت واتاني رحمة ٥
باتيان البينة على ان البينة في نفسها هي الوحة ويجوز ان يريد بالبينة المعجزة
وبالرحمة النبوة قال قلت فقوله فعميت ظاهر على الوحة الاول فما
وجهه على الوحة الثاني وحقه ان يقال فعميتما قلت الوحة ان يقال ان يقدر
فعميت بعد البينة وان يكون حذفه للاقتصار على ذكره مرة انتهى وقد
تقدم الكلام على اراييتم هذه في الانعام وتخبصه هنا ان اراييتم يطلب البينة
مضوبه وفعل الشرط يطلبها مجرورة بعلى فاعمل الثاني واضمر في الاول ٥
والتقدير اراييتم البينة من ربي ان كنت عليها انلزمكموها فحذف المفعول
الاول والجملة الاستفهامية هي في محل الثاني وجواب الشرط محذوف ٥
للدلالة عليه قوله انلزمكموها اي هنا بالضمير متصلين وتقدم
ضمير الخطاب لانه اخص ولوحي بالغايب اولا لانفصل الضمير وجوبا وقد اجاز

بعضهم الاتصال واستشهد بقول عثمان اراهني الباطل شيطانا وقال الزمخشري يجوز
ان يكون الثاني منفصلا لقوله انلزمكموها اي الزمكم اياها ونحوه فسيكفيكهم الله ويجوز فسيكفيكه
اياهم وهذا الذي قاله الزمخشري ظاهر قول سيبويه وان كان بعضهم منعه واشباع
الميم في مثل هذا التركيب واجب ويضعف سكونها وعلته اراهني الباطل وقال
ابو البقا وقري باسكان الميم فرارا من توالي الحركات فعوله هذا يحتمل ان يكون
اراد سكون ميم الجمع لانه قد ذكر ذلك بعد ما قال ودخلت الواو هنا تتمة للميم
وهو الاصل في ميم الجمع وقري باسكان الميم انتهى وهذا ان ثبت قراة فهو مذهب
ليونس يجوز الدرهم اعطيتكمه وعبره باياه ويحتمل ان يريد سكون ميم الفعل
ويدل عليه ما قال الزجاج اجمع النحويون المضريون على انه لا يجوز اسكان
حركة الاعراب الا في ضرورة الشعر فاما ما روي عن ابي عمرو وقالون بضعطه ٥
عنه الفراء وروي عنه سيبويه انه كان يحف الحركة ويختلسها وهذا هو الحق
واما جواز الاسكان في الشعر نحو قوله امرء القيس ٥ فاليوم اشرب غير مستحقب
وكذا قال الزمخشري ايضا وحكي عن ابي عمرو اسكان الميم ووجهه ان الحركة
لم تكن الا جلسة خفيفة فظنها الراوي سكونا والاسكان الصرف لحن عند
الخليل وسيبويه وحذاق البصريين لان الحركة الاعرابية لا يسوغ طرحها
الا في ضرورة الشعر قال شهاب الدين وقد حكي الكسائي والفراء انلزمكمو ها
بسكون هذه الميم وقد تقدم الكلام في ذلك مشبعا في البقرة اعني فسكين
حركة الاعراب فكيف بحملونه لحنا والزم بتعدي لاثنين ولها ضمير الخطاب
والثاني ضمير الغيبة وانتم لها كارهون جملة حالية يجوز ان تكون للفاعل
او لاحد المفعولين وقدم الجار لاجل الفواصل وفي الاية قراات شاذة ٥
مخالفة للسواد اضربت عنها لذلك والمعنى انلزمكم البينة وانتم لها كارهون
لا يريد وبها قال قتادة لو قدر الانبيا ان يلزموا قومهم لالزموا ولكن لم يقدروا
قوله ويا قوم لا اسالكم عليه مالا الضمير في عليه يجوز ان يعود على
الانذار المفهوم من نذير وان يعود على الدين الذي هو الملة وان يعود على
التبليغ وهذا جواب عن الشبهة الثانية وهي قولهم لتبعك الا اراذلنا فقال
انا لا اطلب على تبليغ الرسالة مالا حتى يتفاوت الحال بسببه كون المستجيب ٥
فقيرا او غنيا وانما اجري على هذه الطاعة على رب العالمين واذا كان كذلك
سواء كان غنيا او فقيرا لم يتفاوت الحال في ذلك ويحتمل انه قال لهم انكم لما
نظرتم الى هذه الامور ووجدتموني فقيرا ظننتم اني انما اتيت بهذه الامور ٥
لاتوسل بها الى اخذ اموالكم وهذا النظر منكم خطا فاني لا اسالكم على تبليغ الرسالة
على تبليغ الرسالة اجرا ان اجري الا على رب العالمين فلا تحزموا انفسكم من ٥

سعادة الدين

هذا الظن الفاسد **قوله** وما انا بطارد الذين امنوا قرئ بطارد فالذين يقنون طارد وقال الزمخشري على الحاصل يعني ان اصل اسم الفاعل بمعنى الحال والاستقبال العمل وهو ظاهر قوله سيبويه قال ابو حيان ويمكن ان يقال الاصل الاضافة ه لا العمل لانه قد اعتوره شبهان احدهما الشبه بالمضارع وهو شبه بغير جنسه والاخر شبهه بالاسماء اذا كانت فيه الاضافة فكان الحاقه بجنسه اولى وقوله ه انهم ملاقوا استيناف يفيد التعليل ويحتمل ان يكون صفة لابد منها اذ الانبياء بهذا ه الموصوف دون صفته لا يفيد وآتى بها ليدل على التجدد وكل وقت **فصل** قوله وما انا بطارد الذين امنوا كالدليل على ان القوم سألوا طردهم ليلا فيشاركوا الفقراء فقال عليه السلام ما انا بطارد الذين امنوا كالدليل على ان القوم رأوا ايضا قولهم وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا كالدليل على انهم طلبوا منه طردهم فكانهم يقولون لو اتبعك الاشراف لوافقناك ثم ذكر ما يوجب الامتناع من طردهم وهو انهم ملاقوا ربهم وهذا الكلام محتمل وجوها منها انهم قالوا لهم منافقون فيما اظهروا فلا تغتروا بهم فاجاب بان هذا الامر ينكشف عند لقاء ربهم ما ه وعدم فان طردتهم استخصموني في الاخرى ومنها انه بنى بذلك على انا مجتمع في الاخرى فاعاقب على طردهم فلا احد من بيصرفني ثم بين انهم بنوا امورهم على الجهل بالعواقب والاعتداد بالظواهر فقال ولكني اراكم قوما تجهلون ثم قال ويا قوم من ينصرني من الله ان طردتهم افلا تذكرون تسقطون والمعنى ان العقل والشرع شطابقا على تعظيم المومن المتقي واهانة الفاجر الكافر فلو عظمت الكافر وطردت المومن واهنته كنت على ضد ذين الله تعالى فاستوجب حسيد العقاب العظيم فمن الذي ينصرني من الله ومن الذي ه يخلصني من عذاب الله واحتج قوم بهذه الاية على ظهور صدور الذنب ه من الانبياء عليهم السلام فقالوا دلت الاية على ان طرد المومنين لطلب مرضات الكفار معصية ثم ان محمدا صلى الله عليه وسلم طرد المومنين بطلب مرضات الكفار حتى عاتبه الله تعالى في قوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي والجواب عمل الطرد المذكور في هذه الاية على الطرد المطلق الموبد والطرد المذكور في واقعة محمد عليه السلام على المقيد ه في اوقات معينة رعاية للمصلحة ثم اكد هذا البيان فقال ولا اقول لكم عندي خزائن الله فاني منها بما تطلبون ولا اعلم الغيب فاحبركم بما تريدون وقيل انهم لما قالوا لنوح ان الذين امنوا معك انما اتبعوك في ظاهر ما ترى منهم فاجابهم نوح فقال لا اقول لكم عندي خزائن الله عيوب الله التي يعلم منها ما يضمر الناس ولا اعلم الغيب فاعلم ما يسرونه في نفوسهم فسيبلي ويو

ماظهر

ماظهر من ايمانهم ولا اقول اني ملك وهذا جواب لقولهم ما نراك الا بشرا مثلنا وقيل معناه ولا اقول اني ملك حتى اعظم بذلك عندكم بل طريقي الخضوع والتواضع ومن كان طريقه كذلك فانه لا يستنكف عن مخالطة الفقراء والمساكين واحتج قوم بهذه الاية على تفضيل الملك على الانبياء قالوا لان الانسان اذا قال لا ادعي كذا وكذا انما يحسن اذا كان ذلك الشيء اشرف من احوال ذلك القايل ه ثم اكد هذا البيان بطريق اخر فقال ولا اقول للذين تزدري اعينكم لن يوتيهم ه الله خيرا وهذا كالدلالة على انهم كانوا يعيبون اتباعه ويحتقرونهم فقال لا اقول لكم الذين تحتقرونهم لن يوتيهم الله خيرا اي توفيقا وايمانا واجرا الله اعلم بما في انفسهم لان ذلك من باب الغيب لا يعلمه الا الله فربما كان باطنهم كظاهرهم فيوتيهم الله ملك الاخرة فاكون لا كاذبا فيما اخبر به فاني ان فعلت ذلك كنت من الظالمين لنفسي **قوله** تزدري تفعيل من زري يزري اي حقر فابدلت التا الافتعالية دالا بعد الزاي وهو مطرد ويقال وزريت عليه اذا عبته وازريت به اي ه قصرت به وعائد الموصوف محذوف اي تزدريهم اعينكم اي يحتقرهم ويقصرهم قال الشاعر ه

ترى الرجل النحيف فتزدريه ه وفي اثوابه اسد هصور ه

وقال ايضا

ه يباعده الصديق وتزدريه ه حليلته وينهره الصغير ه

واللام في للذين للتعليل اي لاجل الذين ولا يجوز ان يكون التي للتبليغ اذ لو كانت لكان القياس لن يوتيكم بالخطاب **مسالة** قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال ابن عباس فاكثرت جدالنا لقوله اكثر شيء جدلا وقال ابو البقاء انه قرئ جادلتنا فاكثرت جدالنا بغير الف فيهما قال وهو بمعنى علبتنا ه بالجدال وقوله بما تعدنا اي بوعدك ايانا وقوله ان كنت جوابه محذوف او ه متقدم وهو فاتنا **فصل** دلت هذه الاية على انه عليه السلام كان قد اكثر في الجدال العظيم وذلك الجدال كان في بيان التوحيد والنبوة ه والمعاد وهذا يدل على ان المجادلة في تقرير الدلايل وفي ازالة الشبهات حرفة الانبياء وان التقليد والجهل والاصرار حرفة الكفار ودلت على انهم استعجلوا العذاب الذي كان يتوعدهم به فقالوا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين ثم انه عليه السلام قال اجابهم بقوله انما ياتيكم به الله ه ان شاء اي انزال العذاب ليس الي وانما هو خلق الله فيفعله ان شاء اذا اراد انزال العذاب فان احدا لا يعجزه اي يفوته ثم قال ولا ينفعكم نصحي ه نصيحتي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم اي يضلكم والله اعلم

فصل ان اردت ان انصح لكم ان كان قد تقدم حكم توالي الشرطين وان ثانيهما
قيد في الاول وانه لابد من سبقه للاول وقال الزمخشري هنا ان كان الله جزاوه
ما دل عليه قوله لا ينفعكم نصحي وهذا الدليل في حكم ما دل عليه وصل بشرط كما
وصل الجزا بالشرط في قوله ان احسنت الي احسنت اليك ان امكنني وقاله
ابو البقا حكم الشرط اذا دخل على الشرط الثاني والجواب جوابا للشرط الاول
نحو ان اتيتني ان كلمتني اكرمتك فقولك ان كلمتني اكرمتك جواب ان اتيتني جميع
ما بعده واذا كان كذلك صار الشرط الاول هو المذكور موجودا في المعنى حتى ان
اتاه ثم كلمه لم يجب الاكرام ولكن ان كلمه ثم اتاه وجب الاكرام وعلة ذلك ان الجواب
صار معقودا بالشرط الثاني وقد جاء في القرآن منه ان وهبت نفسها للنبي ان اراد
النبي قال شهاب الدين اما قوله ان وهبت ان اراد فظاهر وظاهر القصة
المروية يدل على عدم اشتراط تقدم الشرط الثاني على الاول ويدل ذلك ان
ارادته عليه السلام للنكاح انما هو مرتب على هبة المرأة نفسها له وكذا
الواقع في القصة لما وهبت اراد نكاحها ولم يزوجه انه اراد نكاحها فوهبت
وهو يحتاج الى جواب وسيأتي ان شاء الله تعالى في موضعه وقال ابن عطية
هنا وليس نصحي لكم بنافع ولا اراد ني الخير لكم معينة اذا اراد الله تعالى
بكم الاغواء الشرط الثاني اعتراض بين الكلام وفيه بلاغة من اقتران
الارادتين وان ارادة التشر غير معينة وتعلق هذا الشرط هو بنصحي وتعلق
الاخر بلا ينفع وتلخص من ذلك ان الشرط مدلول على جوابه بقوله
ولا ينفعكم لانه عقبه وجواب الثاني ايضا ما دل عليه جواب الاول وكان
التقدير وان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت ان
انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت ان نصح لكم لن كان الله يريد ان يغويكم
فلا ينفعكم نصحي وهو من باب حيث المعنى كالشرط اذا كان بالفا نحو ان كان الله
يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم فلا ينفعكم نصحي وهو من حيث المعنى
كالشرط اذا كان بالفا نحو ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم
فلا ينفعكم نصحي وقرا الجمهور نصحي بضم النون وهو محتمل وجهين احدهما
المصدرية كالشكر والكفر والثاني انه اسم لا مصدر وقرا عيسى بن عمر
بفتح النون وهو مصدر فقط وفي عصون كلام الزمخشري اذا عرفت
عرف الله وهذا لا يجوز لان الله تعالى لا يسند اليه هذا الفعل ولا يوصف
بمعناه وقد قدم رعامة ذلك في عصون كلام ابي حيان وللمعتزلي ان يقول
لا يتعين ان يكون ان شرطية بل هي نافية ما كان الله يريد ان يغويكم قال
شهاب الدين ولا اظن احدا يرضى بهذه المقالة **تنبيه** دلت هذه

الآية

الآية على ان الله تعالى قد يريد الكفر من العبد فاذا اراد منه ذلك امتنع صدوره
الايمان منه لان نوحا قال ولا ينفعكم نصحي ان كان الله يريد ان يغويكم قالت
المعتزلة ظاهر الآية يدل على انه تعالى اذا اراد اغواء القوم لم ينتفعوا
بنصح الرسول وهذا مسلم فانا نعلم ان الله تعالى لو اراد اغواءه فانه لا ينفعه
نصح الناصحين لكن لم قلتم انه تعالى اذا اراد هذا الاغواء النزاع ما وقع الا فيه
بل نقول ان نوحا عليه السلام انما ذكر هذا الكلام ليدل على انه تعالى ما اغواهم
بل فوض الاختيار اليهم وبيانه من وجهين الاول انه لو اراد اغواءهم لما بقي
في النصح فايدة ولو لم يكن فيه فايدة لما امره بنصح الكفار واجمع المسلمون على
انه مامور بدعوة الكفار وبصيحتهم فعلمنا ان هذا النصح لا يخلو عن الفايدة
واذا لم يكن خاليا وجب القطع بانه تعالى ما اغواهم الثاني انه لو ثبت الحكم
عليهم بان الله تعالى اغواهم لصار هذا عذرا لهم في عدم الايمان بالايمان
ولصار نوح منقطعا في مناظرتهم لانهم يقولون له انك سلمت ان الله اذا
اغوانا فانه لا يبقى في نصيحتك ولا في اجتهادنا فايده فاذا ادعيت
ان الله اغوانا فقد جعلنا مغلوبين فلم يبق مناقضة هذه الدعوة
فثبت ان الامر لو كان كما قاله الخصم لصار هذا حجة للكافر على نوح فثبت
بما ذكرنا ان هذه الآية لا تدل على قول المجبرة ثم انهم ذكروا تاويلات
الاول ان اولئك الكفار مجبرة وكانوا يقولون ان كفرهم بارادة الله
تعالى فعند هذا قال نوح ان نصيحتي لا تنفعكم ان كان الامر كما تقولون
وسأله ان يعاقب الرجل ولده على ذنبه فيقول الولد لا اقدر على
غير ما انا عليه فيقول الوالد فلن ينفعك اذن نصحي وليس المراد انه
يصدقه على ما ذكره بل على وجه الانكار ليدل الثاني قال الحسن
معنى يغويكم اي يعذبكم والمعنى لا ينفعكم اليوم اذا نزل بكم العذاب
فامنتم في ذلك الوقت لان الايمان عند نزول العذاب لا يقبل وانما
ينفعكم نصحي اذا امنتم قبل مشاهدة العذاب فامنتم في ذلك الوقت
لان الايمان عند نزول العذاب لا يقبل وانما ينفعكم نصحي اذا امنتم قبل
مشاهدة العذاب الثالث قال الجبائي الغواية هي الخيبة من الطلبة
بدليل قوله فسوف يلقون غيا اي خيبة من خير الآخرة قال الشاعر
ومن يغو لا يعدم على الغي لائما الرابع انه اذا اصر على
الكفر وتمادى عليه منعه الله الالطاف وفوضه الى نفسه فهذا اشبه
ما اذا اراد اغواءه فلهذا السبب حسن ان يقال ان الله اغواه هذا جملة
كلام المعتزلة في هذا الباب وتقدم الجواب عن امثال هذه الكلمات فلا فايدة

في الاعادة ثم قال مورديكم واليه ترجعون فيجزيكم باعمالكم وهذا نهاية الوعيد والتهديد قوله ام يقولون افتراه اختلقه وافتعله يعني نوحا قاله ابن عباس وقال مقاتل يعني محمد صلى الله عليه وسلم واليها ترجع الكناية في الوحي ٥ الذي بلغه اليهم قل ان افتريته فعلي اجرامي اي اثمي وربا الجرمي وانا بري والاجرام كسب الذنب وهذا من باب حذف المضاف لان المعنى فعلي عقاب اجرامي وفي الاية محذوف اخر وهو ان المعنى ان كنت افتريته فعلي عقاب اجرامي وفي الاية محذوف من اخر جرمي وان كنت صادقا فلم تعاقبوني فعلي ٥ عقاب جرمي وان كنت صادقا وكذبتموني فعلي ٥ الا انه حذف هذه البقية لدلالة الكلام عليه قوله فعلي اجرامي مبتدا وخبرا وفعل وفاعل والجمهور على كسر همزة إجرامي وهو مصدر أجرم وأجرم هو الفاشي ويجوز فتحها جرم تلا تا واشدوا ٥

٥ طوبى عشيرة ورهين ذنب ٥ بما جرمت يدي وحنى لساني ٥ وقرئ في الشاذ اجرامي بفتحها حكاه النحاس وخرجه على انه جمع جرم كقفل واقفال واعلم ان قوله ان افتريته فعلي اجرامي لا يدل على انه ٥ كان شاكا الا ان قول مقاتل على وجه الانكار عند الياس من القبول ٥ قوله واوحي الى نوح الجمهور على اوحي مبنيا للمفعول والقايم مقام الفاعل انه لن يؤمن اي اوحي الله عدم ايمان بعض القوم وقرا ابو البرهشم اوحي مبنيا للفاعل وهو الله تعالى انه بكسر الهمزة وفيها وجهان احدهما وهو اصل للبصريين انه على اضمار القول والثاني ٥ وهو اصل الكوفيين على انه اجراء الايحاء مجرى القول قوله فلا تبتئس هو تفتعل من البوس ومعناه الحزن في استكانة ويقال ٥ ابتاس فلان اي بلغه ما يكرهه قال ـــه ٥

ما يقسم الله اقبل غير مبتئس ٥ منه واقعد كريما ناعم البال ٥

وقال اخر ٥ وكم من خليل او حميم ورثته ٥ فلم تبتئس والرزء فيه جليل ٥

فصل ٥ دلت هذه الاية على صحة القول بالقضاء والقدر لانه تعالى اخبر انهم لا يؤمنون بعد ذلك فلو حصل ايمانهم لكان اما مع بقاء هذا العلم علما او مع انقلاب الخبر كذبا ومع انقلاب هذا العلم جهلا والاول باطل لان وجود الايمان مع ان يكون الاخبار مع عدم الايمان صدقا ومع كون العلم بعدمه ٥ الايمان حاصلا محال لوجود الايمان مع جهل الله تعالى والثاني ايضا ٥ باطل لان انقلاب علم الله تعالى جهلا وخبره كذبا محال كان صدور الايمان ٥ منهم محالا لابد وان يكون على احد هذين القسمين وثبت ان كل واحد منهما محال

ولام

كان

كان صدور الايمان منهم محالا مع انهم كانوا مامورين به وايضا فالقوم كانوا مامورين بان يؤمنوا بانهم لا يؤمنوا البتة وذلك تكليف بالجمع بين النقيضين قوله واصنع الفلك باعيننا ووحينا باعيننا الامر فاعل اصنع اي محفوظا باعيننا وهو مجاز عن كلاءة الله له بالحفظ وقيل المراد بهم الملكة تشبيها لهم بعيون الناس اي الذين يعتقدون الاخبار والجمع حسنة حقيقة وقراطلحة بن مصرف ٥ باعيننا مدغمة فصل قوله واصنع الفلك ظاهر انه امر اكتساب لانه لا سبيل الى صون روح نفسه وارواح غيره من الهلاك الا بهذا الطريق ٥ وصون النفس من الهلاك واجب وما لا يتم الواجب الا به واجب ويحتمل ان يكون امر اباحة وهو بمنزلة ان يجد الانسان لنفسه دارا يسكنها او يكون ذلك تعليما له ولمن بعده كيفية عمل السفينة ولا يكون ذلك من باب ما لا يتم الواجب الا به فان الله تعالى خلص موسى وقومه من الطوفان من غير سفينة وكان ذلك معجزة له واما قوله باعيننا فلا يمكن اجراؤه على ظاهره لوجوه احدها انه يقتضي ان يكون لله اعين كثيرة وهذا ينافض قوله تعالى ولتصنع على عيني وثانيها انه يقتضي ان يصنع الفلك بتلك الاعين كقولك قطعت بالسكين وكتبت بالقلم ومعلوم ان ذلك باطل وثالثها انه تعالى منزه عن الاعضاء والابعاض فوجب المصير الى التاويل وهو من وجوه الاول معنى باعيننا اي بنزول الملك فيعرفه بحضرة السفينة يقال فلان عين على فلان اي ناظر عليه الثاني ان من كان عظيم العناية في الشيء فانه يصونه عينه فلما كان وضع العين على الشيء سببا لمبالغة الحفظ جعل العين ٥ كناية عن الاحتفاظ فلهذا قال المفسرون معناه تحفظنا اياك حفظ من يراك ويملك دفع السوء عنك وحاصل الكلام ان عمله السفينة مشروط ٥ بامرين احدهما ان لا يمنعه اعداؤه من ذلك العمل والثاني ان يكون عالما بكيفية تاليف السفينة وتركيبها وقوله ووحينا اشارة الى انه تعالى يوحي اليه كيفية عمل السفينة وقوله ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم معرقون استئناف فقيل لا تطلب مني تاخير العذاب عنهم فاني قد حكمت عليهم بهذا الحكم فلما علم نوح ذلك دعا عليهم بعد ذلك وقال رب لا تذر على ٥ الارض من الكافرين ديارا وقيل لا تخاطبني في تعجيل العذاب فاني لما ٥ قضيت عليهم انزال العذاب في وقت معين كان تعجيله ممتنعا وقيل المراد ٥ بالذين ظلموا امراته وابنه قوله ويصنع الفلك قيل هذا حكاية ٥ حال ماضية اي في ذلك الوقت كان يصدق عليه انه يصنع الفلك وقيل ٥ التقدير وافعل يصنع الفلك فاقتصر على قوله يصنع وقيل ان جبريل اتى نوحا

عليهما السلام فقال ان ربك يأمرك ان تصنع الفلك قال كيف اصنع ونحن بحار فقال
ان ربك يقول اصنع فانك بعيني فاخذ القدوم وجعل يصنع لا يخطئ وقيل اوحى الله
ان يصنعها مثل جؤجؤ الطاير روي ان نوحا عليه السلام لما دعى على قومه وقال
رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا استجاب الله دعاءه وامره ان يغرس
شجر الساج منه السفينة فغرسه واستظره مائة سنة ثم جزه في مائة اخرى ٥
وقيل في اربعين سنة وكانت من خشب الساج وفي التوراة انها من الصنوبر
قال الثوري وامره ان يجعل طولها ثمانون ذراعا وعرضها خمسون ذراعا
وان يطلي ظاهرها وباطنها بالقار وقال قتادة كان طولها ثلثمائة ذراع
وعرضها خمسون ذراعا وقال الحسن ستمائة ذراع في عرض ثلثمائة ذراع
وقيل العادي ذراع في عرض مائة ذراع واتفقوا على ان ارتفاعها ثلاثون
ذراعا وكانت ثلاث طبقات كل واحدة عشرة اذرع فالسفلى للناس والعليا
للطيور ولها غطاء من فوقها يطبق عليها قال ابن الخطيب والذي نعلمه ان ٥
السفينة كانت سعتها بحيث تتسع للمؤمنين ومن قومه ولما يحتاجون اليه ٥
ولحصول زوجين من كل حيوان لان هذا القدر مذكور في القرآن فاما ٥
فاما تعيين ذلك القدر فغير معلوم **قوله** وكلما مر العامل ٥
في كلما سخروا وقال مستانف اذ هو جواب لسؤال سائل وقيل بل العامل
في كلما قالوا وسخروا على هذا اما صفة الملا واما بدل من مر وهو بعيد
جدا اذ ليس سخريا مجازا من المرور ولا هو هو فكيف يبدل منه والجملة
من قوله كلما الى آخرها في محل نصب على الحال اي يصنع الفلك والحال
اي يصنع الفلك في الحال انه كلما مر **فصل** اختلفوا فيما لاجله كانوا
يسخرون فقيل انهم كانوا يقولون كنت تدعي الرسالة حضرنا بعد ذلك ٥
نجارا وقيل كانوا يقولون لو كنت صادقا في دعواك لكان الهك يعينك
على هذا العمل الشاق وقيل انهم ما رأوا السفينة قبل ذلك وما عرفوا
كيفية الانتفاع بها فكانوا يتعجبون منه ويسخرون وقيل ان تلك السفينة
كانت كبيرة وكان يصنعها في موضع بعيد من الماء جدا فكانوا يقولون
ليس ههنا ماء ولا يمكنك نقلها الى البحار فكانوا يعدون ذلك من باب ٥
السخرية وقيل انه لما طال مكثه فيهم وكان ينذرهم من العذاب وما ٥
رأوا شاهدوا من ذلك الماء شيئا حيرا ولا انوا غلب على ظنونهم كذبه في ذلك
القول فلما اشتغل بعمل السفينة سخروا منه وكل هذه الوجوه محتملة ثم
انه تعالى حكى عنه انه كان يقول ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون
اي مثل سخريتكم اذا غرقتم في الدنيا ووقعتم في العذاب يوم القيامة وقيل

ان حكمتم علينا بالجهل فيما نصنع فانا نحكم عليكم بالجهل فيما انتم عليه من الكفر والتعرض
لسخط الله وعذابه فانتم اولى بالسخرية منا فان قيل كيف يجوز السخرية من
النبي فالجواب هذا ازدواج للكلام يعني ان تستجهلوني فاني استجهلكم او انزله
بكم العذاب وقيل معناه ان تسخروا منا فستترون عاقبة سخريتكم وقيل سمي ٥
المقابل سخريا كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها **قوله** فسوف تعلمون من
يأتيه عذاب يخزيه في من وجهان احدهما ان تكون موصولة والثاني ان تكون ٥ يستحقه
استفهامية وعلى كلي التقديرين فتعلمون اما من باب اليقين واما من باب العرفان
فتتعدي لواحد فاذا كانت عرفانية ومن استفهامية كانت من ومابعدها
سادة مسد المفعول واحد وان كانت متعدية لاثنين ومن موصولة كانت ٥
كانت في موضع المفعول الاول والثاني محذوف قال ابن عطية وجايز ان يكون الكلام
المتعدية الى اثنين مفعولين واقتصر على الواحد وهذه العبارة لسيبويه
لان الاقتصار في هذا الباب على احد المفعولين لا يجوز لما تقرر من انهما ٥
مبتدا وخبر في الاصل واما حذف الاختصار فهو ممتنع ايضا اذ لا دليل عليه اذ ذاك
وان كانت متعدية لواحد ومن موصولة فامرها واضح **قوله** ويحل عليه
اي يجب عليه وينزل به عذاب مقيم دايم وحكى الزهراوي ويحل بضم الحاء مضارع
حل ايضا **قوله** حتى اذا جاء امرنا اي نبعت الارض من سايراجايها
حتى نبعت التنانير التي هي محال النار وروي عن علي انه قال التنور ٥
طلوع الفجر ونور الصبح وقيل التنور اشرف مكان في الارض واعلاه وقيل
فار التنور يحتمل ان يكون بمعناه اشتد الحر كما يقال حمي الوطيس ومعنى الاية
اذا رايت الامر يشتد فالمايكثر فاجر بنفسك ومن معك الى السفينة وقال
الحسن ومجاهد والشعبي التنور الذي يخبز فيه وهو قول اكثر المفسرين
ورواه عطية عن ابن عباس قال الحسن كان تنورا من حجارة كانت حواي تخبز
فيه فصار الى نوح واختلفوا في موضعه فقال مجاهد والشعبي انه بناحية
الكوفة وعن علي انه مسجد الكوفة وقال مقاتل بموضع يقال له عين وردة ٥
بالشام وقيل عين بالهند قال الزمخشري حق هي التي يبتدا بعدها الكلام
ادخلت على الجملة من الشرط والجزاء وقعت غاية لقوله ويصنع الفلك ٥
اي وكان تصنيعها الى ان جاء وقت الموعد والالف واللام في التنور قيل ٥
للعهد وقيل للجنس ووزن تنور فعول من لفظ النور فقلبت الواو الاولى
همزة لانضمامها ثم حذفت تخفيفا ثم شددوا النون كالعوض عن المحذوف
ويعزى هذا القلب وقيل ورنه فعول ويعزى لابي علي الفارسي وقيل هو
اعجمي وعلى هذا فلا اشتقاق له والمشهور انه مما اتفق فيه لغات العرب والعجم

كالصابون ومعنى فارأي غلا فورة وشدة تشبيها بغليان القدر عند فورة النار
ولا شبهة في ان نفس التنور لا يفور فالمراد نار المأفي التنور قال الليث التنور
اسمه بكل لسان وصاحبه تنار قال الازهري وهذا يدل على ان الاسم يكون
اعجميا فتعربه العرب فيصير عربيا والدليل على ذلك ان الاصمعي تنار ولا يعرف
في كلام العرب تنور وتظير ما دخل في كلام العرب من كلام العجم الدينار والدرهم
والسندس والاستبرق فان العرب تكلموا بها فصارت عربية قبل ان امرأته
كانت تخبز في ذلك التنور فاشتعل في الحال بوضع هذه الاشياء في السفينة
فصل قوله قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين قرأ العامة باضافة كل لزوجين
وقرأ حفص بتنوين كل فاما العامة فقيل ان مفعول لم احمل اثنين ومن كل زوجين
في محل نصب على الحال من المفعول لانه كان صفة للنكرة فلما قدم عليها نصب
حالا وقيل بل من زائدة وكل مفعول به واثنين نعت لزوجين على التاكيد
وهذا اتمام بتم على قول من يرى زيادة من مطلقا وفي كلام موجب وقيل قوله
وجين بمعنى العموم اي من كل ما له ازدواج هذا معنى قوله من كل زوجين
وهو قول الفارسي وغيره قال ابن عطية ولو كان المعنى احمل فيها من كل زوجين
حاصلين اثنين لوجب ان تحمل من كل نوع اربعة والزوج في مشهور كلامهم للواحد
مما له ازدواج قال تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين ويقول للمرأة زوج قال
تعالى وخلق منها زوجها يعني المرأة يعني زوجها وقال وانه خلق الزوجين
الذكر والانثى فالواحد يقال له زوج قال تعالى ثمانية ازواج من الضان
ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين فالزوجان عباره عن
كل اثنين لا تستغني احدهما عن الاخر يقال زوج خف وزوج نعل
والمراد بالزوجين ههنا الذكر والانثى واما قراءة حفص فمعناها من
كل حيوان او من كل صنف وزوجين مفعول به واثنين نعت على التاكيد
كقوله لا تتخذوا الهين اثنين ومن كل على هذه القراءة مجروران تعلق
باحمل وهو الظاهر واذ يتعلق بمحذوف على انها حال من زوجين وهذا الحلا
والتخريج جاريان ايضا في سورة قد افلح **فصل** اختلفوا في انه هل
دخل في قوله زوجين اثنين غير الحيوان ام لا فالحيوان مراد ولا بد واما النبا
فاللفظ لا يدل عليه الا انه بقرينة الحال لا يبعد دخوله لان الناس يحتاجون الى
النبات لجميع اقسامه قال ابن الخطيب وروي عن ابن مسعود انه قال لم يستطع
نوح ان يحمل الاسد حتى القيت عليه الحمى وذلك ان نوحا قال يا رب فمن اين
اطعم الاسد اذا حملته قال الله تعالى فسوف اشغله عن الطعام فسلط عليه الحمى
وامثال هذه الكلمات الاولى تركها فان حاجة الفيل الى الطعام اكثر ولبث بها

حمى وروي زيد بن اسلم عن ابيه مرسلا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما حمل
نوح في السفينة من كل زوجين اثنين قال اصحابه وكيف نطعمهن او نطعم المواشي
ومعنا الاسد فسلط الله عليه الحمى فكانت اول حمى نزلت الارض ثم شكوا الفار
فقالوا انه يفسد علينا طعامنا ومتاعنا فاوحى الله الى الاسد فعطس فخرجت
الهرة منه فتخبأت الفارة منها **قوله** واهلك نسق على اثنين في قراءة
من اضاف كلا لزوجين وعلى زوجين في قراءة من نون كلا وقوله الا من سبق
استثناء متصل ويوجب وهو واجب النصب على المشهور وقوله ومن آمن
مفعول به لسبق على مفعول احمل **فصل** روي ان نوحا قال يا رب كيف احمل
من كل زوجين اثنين فتحشر الله اليه السباع والطير فجعل يضرب بيده كل جنس
فيقع الذكر في يده اليمنى والانثى في يده اليسرى فيجعلهما في السفينة والمراد
باهله ولده وعياله الا من سبق عليه القول بالهلاك يعني امرأته واهله وابنه
كنعان ومن امن يعني واحمل من امن بك قال تعالى وما آمن معه الا قليل
قال قتاده وابن جريج ومحمد بن كعب القرضي لم يكن في السفينة الا ثمانية نفر
نوح وامرأته وثلاث بنين سام وحام ويافث ونساؤهم وقال الاعمش
كانوا سبعة نوح وثلاثة بنين وثلاثة كنائن وقال ابن اسحاق كانوا عشرة
سوى نساءهم نوح وسام وحام ويافث وستة اناس ممن كان آمن به وازواجهم
جميعا وقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين نفرا رجالا ونساء وبنيه الثلاث
ونساؤهم وعن ابن عباس كان في سفينة نوح ثمانون رجلا احدهم جرهم يقال
انه من ناحية الموصل قرية يقال لها قرية اليمانين سميت بذلك لانهم لما خرجوا
من السفينة بنوها فسميت بهم وقال مقاتل حمل نوح معه جسد آدم فجعله
معترضا بين الرجال والنساء وقال الحسن لم يحمل نوح في السفينة الا ما يلد
ويبيض فاما ما يتولد من الطين كالحشرات والبق والبعوض فلم يحمل منه
ثم قال تعالى الا من سبق عليه القول يعني حكم الله عليه بالهلاك وهو ابنه ورد
وكانا كافرين فاما ابنه فهو يام وتسميه اهل الكتاب كنعان وهو الذي انعزل
عنه واما امرأة نوح فهي امراة حام وسام ويافث ويام وهو الذي انعزل
وغرق وعابر وقد مات قبل الطوفان فقيل انها غرقت مع من غرق وكانت
ممن سبق عليها القول بكفرها وعند اهل الكتاب انها كانت في السفينة
فيحتمل انها كفرت بعد ذلك فان قتل الانسان اشرف من سائر الحيوانات
ثم الفايده في الابتداء بذكر الحيوانات فالحيوان الانسان عاقل وهو
بعقله كالمضطر الى دفع اسباب الهلاك عن نفسه فلا حاجة الى المبالغة في
الترغيب فيه بخلاف السعي في تخليص سائر الحيوانات فلهذا وقع الابتداء به

حمى

فان قيل الذين دخلوا السفينه كانوا جماعة فلم لم يقل قليلون كما في قوله ان هولاء لشرذمة
قليلون فالجواب كلي اللفظين جايز والتقدير ههنا وما امن معه الا نفر قليلون
فصل احتجوا بقوله الا من سبق عليه القول في اثبات القضا السابق ٥
والقدر الواجب لان قوله سبق عليه القول يدل على ان من سبق عليه القول
فانه لا يتغير عن حاله وهو كقوله عليه السلام السعيد من سعد في بطن امه ٥
والشقي من شقي في بطن امه قوله وقال اركبوا فيها يجوز ان يكون فاعل
قال ضمير نوح عليه السلام ويجوز ان يكون ضمير الباري تعالى اي وقال الله
لنوح ومن معه وفيها ومن معه متعلق باركبوا وعدي بفي لتضمنه معنى ادخلوا
فيها راكبين او سيروا فيها وقيل يقدر اركبوا الماء فيها وقيل في زايدة للتوكيد
والركوب العلو على ظهر الشي ومنه ركوب الدابه وركوب السفينه وركوب البحر
وكل ما علا شيا فقد ركبه وقيل ركبه الدين وقال الليث وتسمى العرب من يركب
السفينه ولا يقال ركبت في السفينه بل الوجه ان يقال معقوله اركبوا المحذوف
والتقدير اركبوا الماء في السفينه وايضا يجوز ان تكون فايدة هذه الزيادة ٥
انه امرهم ان يكونوا في جوف الفلك لا على ظهر فلو قال اركبوا لتوهموا انه امرهم
ان يكونوا على ظهر السفينه قال قتادة وركبوا السفينه يوم العاشر من شهر
رجب فسارو اماية وخمسين يوما واستقرت بهم على الجودي شهرا وكان
خروجهم من السفينه في يوم عاشورا من المحرم قوله بسم الله مجراها
ومرساها فاعلين بالاستقرار الذي تضمنه الجار لوقوعه حالا ويجوز ان يكون
بسم الله خبرا مقدما ومجراها مبتدا موخرا والجمله ايضا حال مما تقدم وهي
على كلي التقديرين حال مقدره كذا اعربه ابو البقا وغيره الا ان مكيا منع
ذلك لخلو الجمله من ضمير يعود على ذي الحال اذا اعربنا الجمله او الجار حالا
من فاعل اركبوا قال ولا يحسن ان تكون هذه الجمله حالا من فاعل اركبوا ٥
لانه لا عايد في الجمله يعود على المضمر في اركبوا الان المضمر في بسم الله ان جعلته
خبر المجراها فانه انما يعود على المبتدا وهو مجراها وان رفعت مجراها بالظرف
لم يكن فيه ضمير لها في مجراها وانما يعود على الضمير فيها واذا نصبت مجراها
على الظرف عمل فيه بسم الله وكانت الجمله حالا من فاعل اركبوا او مجراها ومرساها
في موضع الظرف المكاني او الزماني والتقدير اركبوا فيها مسمين موضع جريانها
ورسوها او وقت جريانها ورسوها والعامل في هذين الظرفين حسبما
تضمنه بسم الله من الاستقرار والتقدير اركبوا فيها مستقرين بسم الله في هذين
المكانين او الوقتين قال مكي ولا يجوز ان يكون العامل فيها اركبوا لانه لم يرد ٥
اركبوا فيها في وقت الجري والرسو انما المعنى سموا اسم الله في وقت الجري والرسو

ويجوز

ويجوز ايضا ان يكون مجراها ومرساها مصدرين وبسم الله حال كما تقدم مرارا فعلا
لهذين المصدرين على الفاعليه اي استقر بسم الله اجراوها وارساوها ولا يكون
الجار حينيذ الا حالا من هاء فيها الوجود الشرط الرابط ولا يكون حالا من فاعل اركبوا
لعدم الرابط وعلى هذا الاعاريب يكون الكلام جملة واحدة ويجوز ان يكون بسم
الله مجراها جملة مستانفه لا تعلق لها بالاولى من حيث الاعراب ويكون قد تم
في الجملة الاولى بالركوب واخبر ان مجراها ومرساها باسم الله قال بعض المفسرين
كان نوح اذا اراد اجرا السفينه قال بسم الله مجراها فجرت واذا اراد ان ترسوا
قال بسم الله مرساها فرست فالجملتان محكيتان بمقال وقرا الاخوان وحفص
مجراها بفتح الميم والباقون بضمها واتفق السبعه على ضم ميم مرساها وقرا
الاخوان ابن مسعود وعيسى الثقفي وزيد بن علي والاعمش مرساها بفتح الميم
ايضا فالضم فيهما لانهما من اجرى وارسى والفتح لانهما من جرت ورست ٥
وهما اما ظرفان زمان او مكان او مصدر على ما سبق من التقادير وقرا ٥
الضحاك والنخعي وابن وثاب والكلبي والجحدري وابن جندب مجريها ٥
ومرسيها بكسر الراو والسين بعدهما ياء صريحة وهما اسما فاعلين من اجرى
وارسى وتخريجهما على انهما بدل من اسم الله تعالى وقال ابن عطية وابو البقا ٥
ومكي انهما نعتان لله تعالى وهذا الذي ذكروه انما يتم على تقدير كونهما معرفتين
بتخصص الاضافة وقد قال الخليل ان كل اضافة غير محضة قد تجعل محضة
الا اضافة الصفه المشبهة فلا تتخصص وقال مكي ولو جعلت مجراها ومرساها
في موضع اسم الفاعل لكانت حالا مقدرة والجار ذلك وكانت في موضع نصب
على الحال من استم الله تعالى والرسو الثبات والاستقرار يقال رسا يرسو
ورسيته انا قال ٥

وتصبح نفسا عند ذلك حزة ٭ يرسو اذا نفس الجبان تطلع ٭

اي تثبت وتستقر عند ما تظن الطوب وتتحرك نفس الجبان قوله ان ربي
لغفور رحيم فيه سوال وهو ان ذلك كان وقت اهلاك واظهار الضد فكيف
يليق به هذا الذكر والجواب لعل القوم الذين ركبوا السفينه اعتقدوا
في انفسهم انا انما نجونا ببركة علمنا فالله تعالى بين لهم بهذا الكلام لا زالة ٥
ذلك العجب فان الانسان لا ينفك من انواع الزلات وظلمات الشهوات ٥
في جميع الاحوال فهو يحتاج الى اعانة الله تعالى وفضله واحسانه وان
يكون غفورا لذنوبه رحيما بعقوبته قوله وهي تجري في هذه السفينه
ثلاثة اوجه احدها انها مستانفه اخبر الله تعالى عن السفينه بذلك
والثاني انها في محل نصب على الحال من الضمير المستتر في بسم الله اي جريانها

استتر بسم الله حال كونها جارية والثالث انها حال من شيء محذوف تضمنته جملة
دل عليها سياق الكلام قال الزمخشري فان قلت ثم اتصل قوله وهي تجري بهم ٥
قلت محذوف دل عليه قوله اركبوا فيها بسم الله كانه قال فركبوا فيها يقولون بسم الله
وهي تجري بهم وقوله بهم يجوز فيه وجهان احدهما ان يتعلق بتجري والثاني انه
متعلق بمحذوف اي تجري ملتبسة بهم ولذلك فسره الزمخشري بقوله آي
تجري وهم فيها وقوله كالجبال صفة للموج **فصل** الموج ما ارتفع من الماء
اذا اشتدت عليه الريح وهذا يدل على انه حصل في ذلك الوقت رياح ٥
عاصفة فان قيل الجريان في الموج يوجب الغرق فالجواب ان الامواج
لما حاطت بالسفينة من جوانبها شبهت تلك السفينة كانها جرت في داخل تلك
الامواج **قوله** ونادى نوح ابنه الجمهور على كسر تنوين نوح لالتقاء ٥
الساكنين وقرأ وكيع بضمه اتباعا لحركة الاعراب واستزذل ابو حاتم هذه
القراءة وقال هي لغة سوء لا تعرف وقرأ العامة ابنه يوصلها الكتابة بواو
وهي اللغة الفصيحة الفاشية وقرأ ابن عباس لسيكون الها قال بعضهم
هذا المخصوص بالضرورة وانشد ٥

٥ واشرب الماء ما بي نحوه عطش ٥ الا لان عيونه سيل واديها ٥

وبعضهم لا يخصه بها وقال ابن عطية انها لغة لازد السراة ومنه قوله ٥
٥ ومطواي مستاقان لمه اوفان ٥ وقال بعضهم هي لغة عقيل وبني كلاب
وقرأ السدي وابناه بالف وبما السكت قال ابن جني وهو أعلى النداء ٥
وقال ابو البقاء ابنا على الترخيم وليس بندبة لان المندبة لا تكون ٥
بالهمزة وهو كلام مشكل في نفسه وابن الهمزة هنا ان عنى همزة النداء فلا
نسلم ان المقدر من حروف النداء هو الهمزة لان الغالب نصا على انه لا يضمر
من حروف النداء الا يا لانها ام الباب وقوله الترخيم هو قريب في المعنى
من الندبة وقد نصوا على انه لا يجوز حذف النداء من المندوب وهذا ٥
شبيه به وقرأ على علته السلام ابنها اضافة الى امرأته كانه اعتبر قوله
ليس من اهلك وقوله ابني ومن املى لا بد لاحتمال ان يكون ذلك لاجل
الحنو وهو قوله الحسن وجماعة وقرأ محمد بن علي وعروة وابن الزبير ابنه بها
مفتوحة دون الف وبني كالقراءة قبلها الا انه حذف الف ها مجتزئا عنها
بالفتحة كما تحذف الياء مجتزئا عنها بالكسرة وقال ابن عطية بني لغة وانشد

٥ اما ابنود بها شاة فنأكلها ٥ او ان بيعه في بعض الاراكيب ٥

يريد بنبيعها فاجتزأ بالفتحة عن الالف كما اجتزأ الاخر عنها في قوله انشده
ابن الاعرابي على ذلك

٥ فلست براجع ما فات مني ٥ بلهف ولا بليت ولا لوانى ٥

يريد يا لهفا فحذف وهذا يخصه بعضهم بالضرورة ومنع في السعة يا غلام ٥
مني يا غلاما وسيأتي في نحو يا ابت بالفتح ثم هل يتم الف محذوفة امر لا وتقدم
خلاف في نحو يا ابن امرو ويا ابن عم هل يتم الف محذوفة مجتزءا عنها بالفتحة امر لا
هذا ايضا كذلك ولكن الظاهر عدم اقتياسه وقد حظا النحاس اباحا نفر
في حذف هذه الالف وفيه نظر **قوله** وكان في معزل جملة في موضع نصب
على الحال وصاحبها هو ابنه والحال باتي من المنادي لانه مفعول به والمعزل
بكسر الزاي اسم مكان العزلة وكذلك آسم الزمان ايضا وبالفتح هو ٥
المصدر قال ابو البقاء ولم اعلم ان احدا قرأ بالفتح قال شهاب الدين لان
المصدر ليس جاريا له ولا طرفه فكيف يقرأ به الا مجاز بعيد واصله ٥
من العزل وهو التنحية والابعاد تقول كنت معزل عن كذا اي بموضع قد ٥
عزل منه ودخل قيل كان في معزل من السفينة لانه كان يظن ان الجبال
يسبغه من الغرق وقيل كان في معزل عن ابيه واخوته وقومه وقيل
كان في معزل من الكفار انفرد منهم فظن نوح ان ذلك محبة لمفارقتهم ٥
فصل اختلفوا في انه هل كان ابنه حقيقة لصلب القولان
وصرف هذا اللفظ الى انه ربيبه صرف للكلام من حقيقته الى مجازه ٥
من غير ضرورة والمخالف لهذا الظاهر انما خالفه استبعادا لان
يكون ولد الرسول كافرا وهذا ليس ببعيد فانه قد ثبت بنص القرآن
ان والد الرسول عليه السلام كان كافرا ووالد ابراهيم عليه السلام
كان كافرا فكذلك ههنا فان **قيل** لما دعا وقال رب لا تذر على الارض
من الكافرين ديارا فكيف نادى ابنه مع كفره فالجواب من وجوه ٥
الاول انه كان ينافق اباه فظن نوح انه مومن فلذلك ناداه ولولا ذلك
ما اجيب نجاة الثاني انه عليه السلام كان يعلم انه كافر لكن ظن انه لما
شاهد الغرق والاهوال العظيمة فانه ينقل الايمان وكان قوله يا بني اركب
معنا كالدلالة على انه كان طلب منه الايمان وتاكيد هذا بقوله ولا تكن ٥
مع الكافرين اي بانهم في الكفر واركب مع المومنين الثالث انه شفقة
الابوة لعلها حملته على ذلك النداء الذي يقدم من قوله الا من سبق عليه
القول كان كالمجمل فلعله جوز ان لا يكون من اخلافه وقيل كان ابن امرأته ٥
ويدل عليه ما تقدم من القراءة وقال قتادة سألت الحسن عنه فقال والله
ما كان ابنه فقلت ان الله حكى عنه انه قال ان ابني من اهلي وانت تقول ما كان
ابنه فقال لم يقل ان ابني مني وانما قال من اهلي وهذا يدل على قولي وقيل

كان بن امراته ويدل عليه ما تقدم من الغراء وقال قتادة سألت الحسن عنه فقال والله
ما كان ابنه فقلت ان الله حكى عنه انه قال انه ابني من اهلي وانت تقول ما كان ابنا
له فقال لم يقل ان ابني مني وانما قال من اهلي ومما يدل على ذلك قول الولد على
فراشه قالوا لقوله تعالى في امراة نوح وامراة لوط فخانتاهما فخانتاهما بان الخطيب
وهذا قول ضعيف جدا حيث يجل منصب الانبياء عليهم السلام عن هذه الفضيحة لانها
وهو على خلاف نص القرآن واما قوله تعالى فخانتاهما فليس فيه ان تلك الخيانة
كانت بالسبب الذي ذكروه وقيل لابن عباس كيف كانت تلك الخيانة فقال كانت
امراة نوح تقول ان زوجي مجنون وامراة لوط تدل الناس على ضيفه
اذا نزلوا به ويدل على فساد هذا القول قوله تعالى الطيبات للطيبين ٥ ية
والطيبون للطيبات والخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات وقوله الزاني
لا ينكحها الا زان او مشرك وحرم ذلك على المومنين **قوله** يا بني اركب معنا
قرا النزي وقالون وخلاد وبا اركب قبل ميم معنا والباقون بادغامها في الميم
وقرا عاصم هنا يا بني بفتح الياء واما في غير هذه السورة فان حفصا عنه يفعل
ذلك والباقون يكسرونها في جميع القران الا ابن كثير فانه في الاولى من لقمان
وهو قوله يا بني لا تشرك بالله فانه سكنه وصلا ووقفا وفي الثاني كغيره اعني
انه يكسرها وخص على اصله من فتحه وفي الثالث في كغيره اعني انه يكسرها
وهو قوله يا بني اقم الصلاة اختلف عنه فروى عنه البزي كحفص وروى
عنه قنبل السكون كالاول هذا ضبط القراة واما توجيهها فمن فتح فقبل اصلها
يا بيا بالالف فحذفت الالف تخفيفا اجتزاء عنها بالفتحة كما تقدم وقبل بل حذفت
لالتقا الساكنين لانها وقع بعدها اركب وهذا تعليل فاسد لسقوطها
في سورة لقمان في ثلاثة مواضع حيث لا ساكنان وكان هذا العلل لم يقلم
بقراة عاصم في غير هذه السورة ولا بقراة البزي في لقمان وقد نقل ذلك
ابو البقا ولم يذكره وكذلك الزمخشري ايضا واما من كسر فحذف الياء ايضا
اما تخفيفا وهو الصحيح واما لالتقا الساكنين وقد تقدم فساده واما من سكن
فلما رآى من النقل مع مطلق الحركة ولا شك ان السكون اخف من احف الحركات
ولا يقال فلم وافق بن كثير عن حفص في ثاني لقمان ووافق حفصا في الاحيرة
في رواية البزي عنه وسكن الاول لان ذلك جمع بين اللغات والمعروف ان
يحكى واصل هذه اللفظة تتبعض ثلاث يا آت الاولى للتصغير والثانية لام
الكلمة وهل هي يا بطريق الاصالة او مبدلة من واو خلاف يقدم تحقيقه اول الكتاب
في لام ابن مالك والثالثة يا المتكلم مضاف اليها وهي التي طرا عليها القلب الفا
ثم الحذف او الحذف وهي فيا حالها **فصل** لما حكى عن نوح انه دعى ابنه الى

اثوب

ركوب السفينة حكى عن ابنه انه قال سآوي الى جبل ساصيره والنجي الى جبل يعصمني
من الماء يعني من الغرق وهذا يدل على ان الابن كان مصرا على الكفر فعند هذا
قال نوح لا عاصم اليوم من امر الله اي من عذاب الله الا من رحم وفيه سوال
وهو ان الذي رحمه الله معصوم فكيف يحسن استثنا المعصوم من العاصم والجواب
من وجوه احدها انه استثنا منقطع وذلك ان يجعل عاصما على حقيقته ومن رحم
هو المعصوم ومن رحم ضمير مرفوع يعود على الله تعالى ومفعوله ضمير الموصول
وهو من حذف لاستكمال الشروط والتقدير لا عاصم اليوم البتة من امر الله
لكن من رحمه الله فهو معصوم الثاني ان يكون المراد بمن رحم هو الباري تعالى
كانه قيل لا عاصم اليوم الا الراحم الثالث ان عاصما بمعنى معصوم والمعنى
وفاعل قد يجي بمعنى مفعول نحو ماذاقي اي مذوق واستدرا ٥
٦ بطني القيام رخيم الكلام ٦ امسى فوادي به فاتنا ٦
اي مفتونا ومن مراد بها المعصوم والتقدير لا معصوم اليوم من امر الله الا
من رحمه الله فانه يعصم الرابع ان يكون عاصم هنا بمعنى النسب اي ذا ٥
عصمة نحو لابن وتامر وذو العصمة ينطلق على العاصم وعلى المعصوم
والمراد به هنا المعصوم وعلى هذه التقادير استثنا متصل وقد خيله ٥
الزمخشري متصلا لمدرك اخر وهو حذف مضاف لتقدير لا يعصمك اليوم
معتصم قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان من رحمه الله ٥
ونجاتهم يعني في السفينة واما حبل فالاحسن ان يجعل محذوفا وذلك ٥
لانه اذا دل عليه دليل وجب حذفه عند تميم وكثر عند الحجازيين والتقدير
لا عاصم موجود وجوز الحوفي وغيره عطيه ان يكون خبرها اليوم والظرف وهو
اليوم قال الحوفي ويجوز ان يكون اليوم خبرا فيتعلق بالاستقرار وبه
يتعلق من امر الله وقد رد ابو البقا ذلك فقال فاما خبرا فلا يجوز
ان يكون اليوم لان ظرف الزمان لا يكون خبرا عن الجثة بل الخبر من امر الله
واليوم معمول من امر الله واما اليوم ومن امر الله فقد تقدم ان بعضهم
جعل احدهما خبرا فيتعلق الاخر بالاستقرار الذي يتضمنه الواقع خبرا ٥
ويجوز في اليوم ان يتعلق بنفس من امر الله لكونه بمعنى الفعل وجوز ٥
الحوفي ان يكون اليوم نعتا لعاصم وهو فاسد بما افسد به وقوعه خبرا ٥
عن الجثة وفي الا من رحم مبنيا للمفعول وهي مقوية للقول من يدعي ٥
ان من رحم هي قراة العامة المراد به المرحوم لا الراحم كما تقدم تاويله ولا يجوز
ان يكون اليوم ولا من امر الله متعلقين بعاصم وكذلك الواحد منهما ٥
لانه كان يكون الاسم مطولا ومتى كان مطولا اعرب ومتى اعرب نون ولا عبرة

خلافا للزجاج حيث زعم ان اسم لا معرب حذف تنوينه تخفيفا ثم قال تعالى وحال
بينهما الموج فكان فصار من المغرقين روي ان الماء علا رؤس الجبال بقدر اربعين
ذراعا وقيل خمسة عشر **قوله** وقيل يا ارض ابلعي ماءك وهذا مجاز ۵
لانها موات وقيل جعل فيها ما عذب به والذي قاله انه مجاز قال لو فتش كلام ۵
العرب والعجم ما وجد فيه مثل هذه الاية على حسن نظمها وبلاغة وصفها
واشتمال المعاني فيها والبلع معروف والفعل منه مكسور العين ومفتوحها
بلع وبلع حكاهما الكسائي والفراء قيل والفصيح بلع بكسر اللام يبلع
بفتحها والاقلاع الامساك ومنه اقلعت الحمى وقيل اقلع عن الشيء اي
تركه وهو قريب من الاول والغيض النقصان يقال غاض الماء يغيض ۵
غيضا ومغاضا اذا نقص وغضت انا وهذا من باب فعل الشيء وفعلته
انا ومثله فغر الفم وفغرته ودلع اللسان ودلعته ونقص الشر ونقصته
وفعله لازم ومتعد تقول لازم قوله تعالى وما تغيض الارحام اي ۵
تنقص وقيل بل هو هنا متعد ايضا وسيأتي وجه المتعدي هذه الاية
لانه لا يبنى للمفعول من غير واسطة حرف جر الا المتعدي بنفسه والجودي
جبل بعينه بالموصل وقيل بل كان جبلا يقال له جودي ومنه قول عمرو بن قميئة

۵ سبحانه ثم سبحانا يعود له ۵ وقيلنا سبح الجودي والجد له ۵

قال شهاب الدين ولا ادري ما في ذلك من الدلالة على انه عام في كل جبل
وقرأ الاعمش وابن ابي عبلة بتخفيف يا الجودي قال ابن عطية وهما لغتان
والصواب ان يقال حففت يا السين وان كان لا يجوز ذلك في كلامهم الفاشي
قوله بعدا منصوب على المصدر بفعل متدرا اي وقيل ابعد وا
بعدا هو مصدر بمعنى الدعاء عليهم بقال لمن يبعد بعدا اذا هلك قال ۵

۵ يقولون لا تبعدن وهم يدفنونه ۵ ولا بعد الا ما تواري الصفاح ۵

واللام اما تتعلق بفعل محذوف وتكون على سبيل البيان كما تقدم في نحو سقيا
لك ورعيا واما ان تتعلق بقيل اي لاجل هذا القول قال الزمخشري ويجيء
اختياره على الفعل المبني للمفعول للدلالة على الجلال والكبرياء وان تلك
الامور العظام لا تكون الا بفعل فاعل قادر وتكون من مكون قاهر وان
فاعل هذه الافعال فاعل واحد لا شارك في افعاله فلا ذهب الوهم ۵
ان يقول فعن يا ارض ابلعي ماءك ولا ان يعني ذلك الامر الهائل الامور ۵
ولا ان يسوي السفينة على الجودي ويستقر غلبة الالتفاتية واقراره
ولما ذكرنا من المعاني والنكت استفصح علماء البيان هذه الاية ورفضوا اتباه ۵
رؤسهم لتجانس الكلمتين وهما قوله ابلعي واقلعي وذلك وان كان الكلام لا يخلو من

حسن

حسن فهو لغير الملتفت اليه بازائك المحاسن التي هي الملت وما عداها فضل
في هذه الاية الفاظ كل واحد منها دال على عظمة الله تعالى فاولها قوله وقيل
وقد ابدل على انه سبحانه في الجلالة والعظمة بحيث انه متى قيل لم يصرف
العقل الا اليه ولم يتوجه الفكر الا الى ذلك الامر فدل من هذا الوجه على
انه تقرر في العقول انه لا حاكم في العالمين ولا متصرف في العالم العلوي
والسفلي الا هو وثانيها قوله يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي فان الحس
الحس يدل على عظمة الله في هذه الاجسام والحق تعالى مستول عليها يتصرف
فيها كيف شاء واراد فصار ذلك سببا لوقوف العقول العقلية على كمال جلال
الله تعالى وعلو قدره وقدرته وهيبته وثالثها ان السماء والارض من ۵
الجمادات فقوله يا ارض ويا سماء مستعمل حسب الظاهر على ان امره ونهيه
نافذ في الجمادات واذا كان كذلك حكم الوهم بان نفوذ امره على العقلاء
اولى وليس المراد منه انه تعالى يامر الجمادات فان ذلك باطل بل المراد
ان توجيه صيغة الامر حسب الظاهر على هذه الجمادات القوية الشديدة
يقرر في الوهم قدر عظمته وجلاله تقريرا كاملا ورابعها قوله وغيض
الماء ومعناه ان الذي قضاه وقدره في الازل قضاء جازما فقد وقع
وهذا يدل على ان كل ما قضى الله تعالى به فهو واقع في وقته وانه لا دافع
لقضائه ولا مانع لحكمه من نفاذ حكمه في ارضه وسمائه فان قيل كيف
يليق بحكمة الله تعالى ان يغرق الاطفال بسبب جرم الكفار فالجواب
من وجهين الاول قال اكثر المفسرين ان الله تعالى عقم ارحام نسايهم قبل
الغرق باربعين سنة فلم يغرق الا من بلغ سنه الى الاربعين ولقائل ان
يقول لو كان كذلك لكان اية معجزة قاهرة وبعد مع ظهورها استمرارهم
على الكفر وايضا فقد ثبت ان الامر كما ذكرتم فما قولكم في اهلاك الطير والوحش
مع انه لا يكلف عليها البتة الجواب الثاني انه لا اعتراض على الله تعالى في
افعاله لانه يسئل عما يفعل واجاب المعتزلة بان اعواض الاطفال ۵
والحيوانات كاد نه في ذبح هذه البهائم وفي اشقائها في الاعمال الشاقة قوله
وقضي الامر اي فرغ منه وهو هلاك القوم وقوله واستوت على الجودي قيل
استوت يوم عاشورا وقيل بعدا للقوم الظالمين قيل هذا من كلام الله ۵
تعالى قال لهم ذلك على سبيل اللعن والطرد وقيل من كلام نوح واصحابه
لان الغالب فمن سلم من الامواج هايل بسبب اجتماعهم مع الظلمة فاهلكوا
ونجا منهم قال مثل هذا الكلام قال ابن عباس لما عوف نوح ان الماء قد نضب هبط
الى اسفل الجودي فابتنى قرية وسماها ثمانين بعدد من كان معه من المومنين فاصبحوا

ما استوت السفينة على جبل يا ارض الخ زيادة
تقرير الوصل لقال الله الجودي

ذات يوم وقد تبلبلت السنتهم على ثمانين لغة احدها لغة العرب وكان احكم
بعضهم لا يفقه كلام بعض فكان نوح عليه السلام يعبر عنهم **قوله** ونادى
نوح ربه الاية قوله فقال عطف على نادى قال الزمخشري فان قلت واذا كان
النداء هو قوله رب فكيف عطف قال رب على نادى بالفاء قلت اريد بالنداء
النداء ولو اريد النداء نفسه لجاء كما جاء في قوله اذ نادى ربه نداء خفيا قال رب
بغير فاء **فصل** تقدم الكلام في انه هل كان ابنا له ام لا فقوله رب ان
ابني من اهلي وقد وعدتني ان تنجيني واهلي وان وعدك الحق لا خلف فيه
وانت احكم الحاكمين حكمت علي قومي بالنجاة وعلى قومي بالهلاك قال الله
يا نوح انه ليس من اهلك اي ليس من اهل دينك لانه لما ثبت بالدليل انه كان
ابنا له وجب ان يكون المراد انه ليس من اهلك اهل دينك وقيل ليس من اهلك
الذين وعدتهم نجاتك ان الجميع معك **قوله** انه عمل غير صالح قرأ الكسائي
عمل فعلا ماضيا وغيره نصبا والباقون عمل بفتح الميم وتنوينه على انه
اسم وغيره بالرفع وقراءة الكسائي الضمير فيها عائد عوده على ابن نوح
وفاعل عمل ضمير يعود عليه ايضا وغير مفعول به ويجوز ان يكون نعتا
لمصدر محذوف تقديره عمل عملا غير صالح كقوله واعملوا صالحا وقيل انه
ذو عمل فحذف المضاف لدلالة الكلام عليه واما قراءة الباقين ففي الضمير
اربعة اوجه اظهرها انه عائد على ابن نوح ويكون الاخبار عنه بالمصدر
المذاهب الثلاثة في رجل عدل وزيد ذو مروج والثاني يعود على النداء
المفهوم من قوله ونادى اي ندائك وسؤالك وإلى هذا ذهب ابو العباس
ومكي والزمخشري وهذا فيه خطر عظيم كيف يقال ذلك في حق نبي من الانبياء
فضلا عن اولو العزم رسول ارسل الى اهل الارض بعد الطوفان وادم عليهما السلام ولما
حكاه الزمخشري قال وليس بذاك ولقد اضاف واستدل لمن قال بذلك
ان في حرف عبد الله بن مسعود انه عمل غير صالح ان تسالني ما ليس لك به
علم وهذا مخالف للسواد الثالث انه يعود على ركوب نوح المدلول عليه
بقوله اركب معنا الرابع انه يعود على تركه الركوب وكونه مع المؤمنين
اي ان تركه الركوب مع المؤمنين وكونه مع الكافرين عمل غير صالح وعلى الاوجه
الثلاثة لا يحتاج في الاخبار بالمصدر تأويل لان كليهما معنى من المعاني
وعلى الوجه الرابع يكون من كلام نوح عليه السلام اي ان نوحا قال ان كونك
مع الكافرين وتركك الركوب معنا عمل غير صالح بخلاف ما تقدم فانه من
قول الله تعالى فقط هكذا قاله مكي وفيه نظر بل الظاهر ان الكل من كلام الله تعالى
وقال الزمخشري فان قلت وهل يجوز ان يقال انه عمل فاسد قلت لما نفاه عن اهله

نفى عنه صفتهم بكلمة لفظ النفي التي تستبقى معها كلمة النفي واذن بذلك انه انما
نجى من انجا بصلاحهم لا لكونهم اهله **قوله** فلا تسالن قرأ نافع وابن عامر
فلا تسألني بفتح النون مكسورة من غير ياء وابن كثير بتشديد النون مع
الفتح وابو عمرو والكوفيون بنون مكسورة خفيفة وياء وصلا لابي عمرو
ودون ياء في الحالين للكوفيين وفي الكهف واما نافع وابن عامر فكقولهما
هنا ولابن ذكوان خلاف في نون الياء وحذفها واما قراءة ابن كثير التي
هود بالفتح دون التي في الكهف لان الياء في هود ساقطة في الرسم وكانت
قراءته بفتح النون محمولة لقراءة نحاة الكهف فان الياء ثابتة في الرسم فلا
توافق فيه فتحها وقد تقدم خلاف ابن عطية ذكوان في ثبوت الياء في الكهف
فمن خفف النون فهي نون الوقاية وحذفها ومن شددها فهي نون التوكيد
وابن كثير لم يجعل النون في هود الفعل منفصلا بيا المتكلم والباقون جعلوه
فلزمهم الكسر وقد تقدم ان سال يتعدى لاثنين اولهما ياء المتكلم والثاني
ما ليس لك به علم وقوله ان تكون على حذف مضاف حرف الجر اي من ان
تكون او لا خذلان وقوله ما ليس لك به علم يجوز في به ان يتعلق بعلم
قاله الفارسي ويكون مثل قوله كان جزاي بالعصا ان جلدا
ويجوز ان يتعلق بالاستقرار الذي تعلق به لك وألبا بمعنى في اي ما ليس
لك فيه علم وفيه نظر ثم قال اني اعظك ان تكون من الجاهلين يعني ان
تدعو لهلاك الكفار ثم تسال نجاة كافر قال رب اني اعوذ بك ان اسالك
ما ليس لي به علم وهذا اخبار عما في المستقبل وهو العزم على الترك
قوله والا تغفر لي لم يمنع لا من عمل الجازم كما لم يمنع من عمل الجار
في نحو جيت بلا زاد قال ابو البقاء لانها كالجزء من الفعل وهي غير عاملة
في النفي وهي تنفي ما في المستقبل وليس كذلك فانها تنفي ما في الحال
فلذلك لم يجز ان تدخل عليها **قوله** قيل يا نوح الخلاف المتقدم
في قوله واذ قيل لهم امنوا وشبهه عائد هنا اي في كون القائم مقام
الفاعل الجملة المحكية او ضمير مصدر الفعل **قوله** بسلام من فاعل
اهبط اي ملتبسا بسلام ومنا صفة لسلام فتتعلق بمحذوف او بنفس
متعلق بنفس سلام وابتدا الغاية مجاز وكذلك على بمعنى مع وعدت
صفة لبركات او متعلقها ومعنى اهبط انزل من السفينة ثم وعد
عند الخروج بالسلامة اولا ثم بالبركة ثانيا والبركة ثبوت الخير ومنه
بروك البعير ومنه البركة لثبوت الماء فيها ومنه تبارك الله اي ثبت
تعظيمه وقيل البركة هو ان الله تعالى جعل ذريته هم الباقين الى يوم القيامة

فلا تسالني عن شيء قد اوضحت لك فيه وافهمتك ابن كثير في الكهف
كنت اتهمك فيها واقفهم

ثم لما بشره بالسلامة والبركة شرح بعده حال اولئك الذين كانوا معه فقال وعلى امم ممن معك قيل المراد الذين معه وذرياتهم وقيل ذرية من معه قوله ممن معك يجوز في من ان تكون لابتداء الغاية اي ناشيه من الذين معك وهم الامم المومنون الى آخر الدهر ويجوز ان تكون من للبيان الجنس فيراد الامم الذين كانوا معه السفينة لانهم كانوا اجناسا وقرئ امتع بضم الميم وقد تقدم مراد البقرة وقرا الكسائي فنمتعهم بالتوحيد قوله وامم يجوز ان يكون مبتدا وسنمتعهم خبره وفي مسوغ الابتداء وجهان احدهما الوصف المقدر اي واامم منهم اي ممن معك كقولهم السمن منوان بدرهم فمنوان مبتدا لوصف ثمنه مقدرا والثاني ان المسوغ لذلك التفصيل كقولهم الناس رجلان رجل اكرمت وآخر اكرمت ومنه قول امرء القيس

٦ اذا ما بكى من خلفها انحرفت له ٥ بشق وشق عندنا لم يحول ٦

ويجوز ان يكون مرفوعا بالفاعلية عطفا على الضمير المستتر في امتعهم واغنى ٥ الفصل عن التاكيد بالضمير المنفصل قاله ابو البقا قال ابو حيان وهذا بعيد والمعنى لا يصلحان لان الذين كانوا مع نوح في السفينة انما كانوا مومنين لقوله ومن امن ولا يكون لم يكونوا كفارا ومومنين فيكون الكفار مامورين بالهبوط الا ان قد ران من المومنين من يكفر بعد الهبوط واخبر عنهم بالحال التي يؤولون اليها فيمكن ان يقال على بعد وقد تقدم ان ذلك لا يجوز في قوله اسكن انت وزوجك لامر صناعي وسنمتعهم على هذا صفة لامم والواو يجوز ان يكون للحال قاله الاخفش كما تقول كلمت زيدا وعمرو جالس ويجوز ان يكون لمجرد العطف واعلم انه تعالى اخبر بان الامم الناشية من الذين كفروا كانوا مع نوح لابد وان ينتهوا الى مومن وكافر ثم قال تلك من انباء الغيب وقد تقدم الكلام فيها عند قوله ذلك من انباء الغيب في العمران تلك في محل رفع على الابتداء ومن انباء الغيب الخبر ونوحيها اليك خبر ثان وما كنت تعلمها ايضا خبر قوله ما كنت تعلمها يجوز في هذه الجملة ان تكون حالا من الكاف في اليك وان تكون حالا من المفعول في نوحيها وان تكون خبرا بعد خبر والمعنى ما كنت تعلمها انت يا محمد ولا قومك اي انك ما كنت تعرف هذه القصة وقومك ايضا ما كانوا يعرفونها كقول الانسان لاحر لا تعرف هذه المسئلة لا انت ولا اهل بلدك فان قيل قصة الطوفان كانت مشهورة عند اهل العلم فالجواب انها كانت مشهورة بحسب الاجمال اما التفاصيل المذكورة هنا كانت معلومة ثم قال تعالى فاصبر يا محمد انت وقومك على اوليك الكفار ان العاقبة ٥ آخر الامر النصر والظفر للمتقين فان قيل ذكر هذه القصة في سورة يونس ثم اعادها

فما فايدة هذا التكرار فالجواب ان القصة الواحدة قد ينتفع بها من وجوه ففي ٥ السورة الاولى كان الكفار يستعجلون نزول العذاب فذكر تعالى قصة نوح وبين ان قومه كانوا يكذبونه بسبب ان العذاب ما كان يظهر في العاجلة ٥ ظهر فكذا امر واقعة محمد عليه السلام وفي هذه السورة ذكر القصة لبيان ٥ اقدام الكفار على الايذاء والايحاش كان حاصلا في زمن نوح فلما صبر نال الفتح والظفر فكن يا محمد كذلك لتنال المقصود فلما كان الانتفاع بالقصة ٥ في كل سورة من وجه لم يكن تكريرها خاليا عن الفايدة قوله تعالى وآلى عاد اخاهم هودا القصة مقطوفان على قوله لقد ارسلنا نوحا الى قومه في عطف مرفوع على مرفوع ومجرور على مجرور كقولك ضرب زيد عمرا وبكر خالدا وليس الامر من باب ما فصل فيه بين حرف العطف والمعطوف بالجار والمجرور نحو ضربت زيدا وفي السوق عمرا فيجيء الخلاف المشهور وقيل بل هو على اضمار فعل اي وارسلنا هودا وهذا اوفق لطول الفصل وهودا بدل او عطف بيان لاخيهم وقرا ابن محيصن يا قوم بضم الميم وهي لغة ٥ بعضهم بتنوين المضاف للياء على الضم كقوله تعالى قل رب احكم بضم الباء ولا يجوز ان يكون غير مضاف للياء كما سياتي في موضعه ان شا الله تعالى وقوله من اله غيره يقدم في الاعراف فصل كان هود اخاهم في النسب لا في الدين لانه كان من قبيله عاد وهم قبيله من العرب بناحية اليمن كما يقال للرجل يا اخا تميم ويا اخا سليم والمراد رجل منهم فان قيل انه تعالى قال ٥ في ابن نوح انه ليس من اهلك فبين ان قرابة النسب لا تفيد اذا لم تحصل ٥ قرابة الدين وههنا اثبت هذه الاخوة مع الاختلاف في الدين فما الفرق فالجواب ان المراد من هذا الكلام استمالة قوم نوح محمد عليه السلام ٥ لان قومه كانوا يستبعدون في محمد مع انه واحد منهم من قبيلتهم ان يكون رسولا اليهم من عند الله فذكر الله تعالى ان هودا كان واحدا من عاد وان صالحا كان واحدا من ثمود لا زالة هذا الاستبعاد قال يا قوم اعبدوا الله وحدها الله ولا تعبدوا غيره فان قيل كيف دعاهم الى عبادة الله قبل اقامة الدلالة على ثبوت الاله تعالى فالجواب ان دلايل وجود وجود الله تعالى ظاهره وفي دلايل الافاق والانفس وقل ما يوجد في الدنيا طايفة ينكرون وجود الاله ولذلك قال تعالى في صفة الكفار ولين سالتهم من خلقهم ليقولن الله ثم قال ان انتم الا مفترون كاذبون في ما تشركون ثم قال يا قوم لا اسالكم عليه اجرا اي على تبليغ الرسالة جعلا اي ان اجري الا على الذي فطرني وهذا عين ما ذكره نوح وقرا نافع والبزي بفتح

مثلم

يا قطري وابو عمرو وقتيبة باسكانها ومعنى قطري جلصني فلا تعقلون اني مصيب ٥
في المنع من عبادة الاوثان ثم قال ويا قوم استغفروا ربكم اي سلوه ان يغفر لكم ٥
ما تقدم من شرككم ثم توبوا من بعده بالندم على ما مضى وبالعزم على ان لا تعودوا
الى مثله فاذا فعلتم ذلك فالله تعالى يكثر النعمة عليكم **قوله** يرسل السما
عليكم مدرارا نصب مدرارا على الحال والمدرار ة وان كان من مونث ثلاثة اوجه
احدها ان المراد بالسما السحاب فذكر على المعنى الثاني ان مفعالا للمبالغة ٥
فيستوي فيه المذكر والمونث كصبور وشكور وفعيل والثالث ان الهاء حذفت
من مفعال على طريق النسب قاله مكي وتقدم ايضاحه وتقدم في الانعام
والمعنى يرسل عليكم المطر متتابعا عامرة بعد اخرى في اوقات الحاجة ويزدكم
قوة الى قوتكم اي شدة مع شدتكم وقيل المراد بالقوة المال وذلك ان الله
تعالى لما بعث هودا اليهم وكذبوه حبس الله المطر عنهم سنتين واعقم نساءهم
فسلبهم فقال لهم ان امنتم بالله احيا الله بلادكم ورزقكم المال والولد وذلك
قوله يرسل السما عليكم مدرارا والمدرار الكثير الدر من ابنية المبالغة ٥
فان قيل ان هودا عليه السلام قال لو استغلتم بعبادة الله تعالى لفتحت عليكم
ابواب الخيرات الدنيوية وليس الامر كذلك لقوله عليه السلام حض البلا
بالانبيا ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل فكيف الجمع وايضا فقد جربت
عادت القران بالترغيب في الطاعات بالخيرات الدنيوية فلا يليق بالقران
فالجواب لما كثر الترغيب في سعادات الاخرة لم يبق بالترغيب ايضا
في خير الدنيا بقدر الكفاية **قوله** الى قوتكم يجوز ان يتعلق بيزدكم
على التضمين اي يضف الى قوتكم قوة اخرى او بجعل الجار والمجرور صفة لقوة
فيتعلق بمحذوف وقدره ابو البقا مضافة الى قوتكم وهذا تاباه النحاة
لانهم لا يقدرون الا الكون المطلق في مثله او بجعل الى بمعنى مع ٥
قوتكم كقوله تعالى الى اموالكم ثم قال ولا تتولوا مجرمين اي ولا ٥
تديروا مشركين مصرين على الكفر قالوا يا هود ما جئتنا ببينة اي
ببرهان وحجة واضحة على ما تقول وما انا بتاركي الهتنا عن قولك وما نحن ٥
فيتعلق بالفعل قبلها اي ما اظهرت لنا بينة قط ويجوز ان يتعلق بمحذوف
على انها حال اذ التقدير مستقرا او ملتبسا ببينة **قوله** وما نحن ٥
بتاركي الهتنا عن قولك وما نترك الهتنا احادين عن قولك فتكون عن ٥
قولك حالا من الضمير في تاركي ويجوز ان تكون عن للتعليل كهي في قوله تعالى
الا عن موعدة اي لاجل موعده والمعنى هنا بتاركي الهتنا لقولك ويتعلق
بنفس تاركي وقد اشار الى التعليل ابن عطية ولكن المختار الاول ولم يذكر

الزمخشري

الزمخشري غيره وما نحن لك بمومنين بمصدقين ان تقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء ٥
الطاهر ان ما بعد الا مفعول بالقول قبله اذ المراد ان تقول الا هذا اللفظ فالجملة محكية
نحو قولك ما قلت الا زيد قايم وقال ابو البقا الجملة مفسرة لمصدر محذوف والتقدير ٥
ان نقول الا هذا القول وهذا غير موضح لان المحكية بالقول معنى ظاهر لا يحتاج ٥
الى تاويل ولا الى تضمين القول بالذكر وقال الزمخشري اعتراك معمول لنقول والا
لغوا اي ما نقول الا قولنا اعتراك انتهى يعني بقوله لغوا انه استثنا مفرغ وتقديره
بعد ذلك تفسير معنى لا اعراب اذ ظاهره يقتضي ان تكون الجملة منصوبة بمصدر
محذوف ذلك المصدر منصوب بقوله هذا الظاهر ويقال اعتراه بكذا يعتريه ٥
اذا اصابه وهو افتعل من عراه يعروه والاصل اعتر ومثل اعتر من العرو فتحركت
حرف العلة وانفتح ما قبله فقلب الفا وهو متعد لاثنين ثانيهما بحرف الجر والمعنى
انك شتمت الهتنا فجعلت مجنونا وافسدت عقلك قال لهم هود اني اشهد الله على ٥
نفسي واشهد وا يا قوم اني بري مما تشركون من دونه يعني الاوثان **قوله**
اني بري يجوز ان يكون من باب الاعمال لان اشهد يطلبه واشهد وا يطلبه ٥
ايضا والتقدير اشهد الله علي اني بري واشهد وا انتم علي ايضا ويكون من
اعمال الثاني لانه لو اعمل الاول لاضمر في الثاني ولا عرفي في الثاني
في تنازع المختلفين في التعدي ومما تشركون يجوز ان يكون ما مصدرية اي
من اشراكم الهة من دونه اي انتم الذين تجعلونها شركا وقوله جميعا حال
من فاعل فكيدوني وانثبت سايرا القرا يا وكيدوني في الحالين وحذفوها
في المرسلات وهذا نظير ما قاله نوح عليه السلام لقومه فاجمعوا امركم ٥
وشركاكم الى قوله ولا تنظرون ومعجزة قاهرة لان الرجل الواحد اذا
اقبل على القوم العظام وقال لهم بالغوا في عداوتي وفي ايذائي ولا توجلون ٥
فانه لا يقول هذا الا اذا كان واثقا من الله بانه يحفظه ويصونه عن كيدهم ٥
الاعداء وهذا هو المراد بقوله اني توكلت على الله ربي وربكم اي اعتمادي
على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها قال الازهري الناصية
عند العرب منبت الشعر في مقدم الراس ويسمى الشعر الناصب هناك ٥
ايضا ناصية باسم منبته ونصوت الرجل اخذت بناصيته فلانها او ويقال
ناصاه يقلب يا ها الفا في الاخذ بالناصية عبارة عن الغلبة والتسلط
وان لم يكن اخذ بناصية ولذلك كانوا اذا اسروا علي اسير جزوا ناصيته
ليكون ذلك علامة لقهره والناصية لعرب اذا وصفوا انسانا بالذلة ٥
والخضوع قالوا ما ناصية فلان الا بيد فلان اي انه مطيع له ومعنى اخذ ٥
بناصيتها قال الضحاك بحياتها وبموتها وقال الفرا ما لكها والقادر عليها وقال

قوله اعتراك يجوز ان يكون مفعول القول وما بعد الا بدلا منه اي ما نقول الا قولنا اعتراك

وقال الفتيبي يفهم لها ان ربي على صراط مستقيم يعني وان كان ربي جاد زا ه عليكم فانه لا يظلمهم ولا يجل الا بالاحسان والعدل فيجازي المحسن باحسانه والمسي بعصيانه وقيل معناه دين ربي صراط مستقيم وفيه اضمار اي ان ربي حكم وعدل على صراط مستقيم **قوله** فان تولوا اي ان تتولوا فحذف احدى التائين ولا يجوز ان يكون ماضيا لقوله ابلغتكم ولا يجوز ان يدعى فيه الالتفات اذ هو كذلك في التركيب وقد جوز ذلك ابن عطية فقال ويحتمل ان يكون تولوا ماضيا ويجيء في الكلام رجوع من غيبة الى خطاب قال شهاب الدين ويجوز ان يكون ماضيا لكن لمدرك اخر غير الالتفات وهو ان يكون على اضمار القول اي فقل لهم قد ابلغتكم ويترجح كونه ماضيا بقراءة عيسى الثقفي والاعرج فان تولوا بضم التاء واللام مضارع ولي والاصل تتوليوا فاعكم قال الزمخشري فان قلت الابلاغ كان قبل التولي فكيف وقع جزاء للشرط قلت معناه وان تتولوا لم اعاتب على تفريط في الابلاغ ه وكنتم محجوجين بان ما ارسلت به قد بلغكم فابيتم الا التكذيب **قوله** ويستخلف العامة على رفعه استئنافا وقال ابو البقاء هو معطوف على الجواب بالفاء وقرا عبد الله بن مسعود وبشكينه وفيه وجهان احدهما ان يكون سكن تخفيفا لتوالي الحركات والثاني ان يكون مجزوما عطفا على الجواب المقترن بالفاء اذ محله الجزم وهو نظير قوله فلا هادي له ويذرهم وقد تقدم تحقيقه الا ان القراءتين ثم في المتواتر والمعنى ان تتولوا اهلكم الله ويستبدل قوما غيركم اطوع منكم يوحدونه ويعبدونه **قوله** ولا تضرونه العامة على النون لانه مرفوع على ما تقدم وابن مسعود حذفها وهذا بين ان يكون سكون يستخلف جزما وذلك لم يذكر الزمخشري غيره لانه ذكر جزم الفعلين ولما لم يذكر ابو البقا الجزم في تضرونه جوزه ه الوجهين في يستخلف وشيا مصدر اي شيا من الضرر والمعنى انه لا يلحقكم لا بنقص من ملكه شيا وقيل لا تضرونه شيا بتوليكم واعراضكم انما تضرون انفسكم ان ربي على كل شيء حفيظ اي محفظ اعمال العباد حتى يجازيهم عليها وقيل يحفظني من شركم ومكركم وقيل حفيظ من الملائكة اذا شاء يهلك اذا شاء **قوله** ولما جاء امرنا اي عذابنا وهو ما نزل بهم من الريح العقيم عذبهم الله بها سبع ليال وثمانية ايام تدخل في مناخرهم وتخرج من ادبارهم وتصرعهم على الارض ه على وجوههم حتى صاروا كاعجاز نخل خاوية نجينا هودا والذين امنوا معه ه وكانوا اربعة الاف برحمة منا وقيل المراد بالرحمة ما هداهم الله من الايمان وقيل المراد انه لا يضيع احد وان اجتهد في الايمان والعمل الصالح الا برحمة الله ثم قال ونجيناهم من عذاب غليظ فالمراد بالنجاة الاولى هو النجاة من عذاب الدنيا والنجاة الثانية من عذاب الاخرة والمراد بقوله ونجيناهم اي حكمنا بانهم لا يستحقون

ذلك ولما ذكر قصة عاد خاطب قوم محمد صلى الله عليه وسلم فقال وتلك عاد جحدوا بايات ربهم وهو اشارة الى قبورهم وماثارهم كانه قال سيجوا في الارض فانظروا اليها واعتبروا **قوله** جحدوا اجملة مستانفة سيقت للاخبار عنهم بذلك وكيفيت حالا مما قبلها وجحد يتعدى بنفسه ولكنه ضمن معنى كفر فتعدى بحرفه كما ضمن كفر معنى جحد فتعدى بنفسه في قوله بعد ذلك كفروا ربهم وقيل ان كفر كشكر في تعديه بنفسه تارة وبحرف الجر اخرى واعلم انه تعالى وصفهم بثلاث صفات الاولى في قوله جحدوا بايات ربهم اي جحدوا دلائل المعجزات على الصدق او جحدوا دلالة المخلوقات على وجود الصانع الحكيم والثانية قوله وعصوا رسله ومعناه انهم اذا عصوا رسولا واحدا فقد عصوا جميع الرسل لقوله لا نفرق بين احد من رسله والثالثة قوله واتبعوا امر كل جبار عنيد والمعنى ان السفلة كانوا يقلدون الرؤساء في قولهم ما هذا الا بشر مثلكم وقد مر اشتقاق الجبار والعنيد والعنود والمعاند المنازع المعارض قاله ابو عبيدة وهو الطاغي المتجاوز في الظلم من قولهم عند يعند اذا حاد عن الحق الى جانب الى جانب في قولك عندي كذا الى جانبي ثم قال واتبعوا في هذه الدنيا لعنة اي اردفوا لعنة لتحقيقهم وبقاجهم في الدنيا وفي الاخرة واللعنة هي الابعاد والطرد عن الرحمة ثم قال ه بين السبب في نزول هذه الاحوال قال الا ان عادا كفروا ربهم الا اي كفروا بربهم فحذف الباء وقيل هو من باب حذف المضاف اي كفروا نعمة ربهم ثم قال الا بعدا لعاد قوم هود فقيل بعدا من رحمة الله وقيل هلاكا وللبعد معنيان احدهما ضد القرب يقال منه بعد يبعد بعدا والاخر ه بمعنى الهلاك يقال منه بعد يبعد بعدا وبعدا فان قيل اللعن هو الطرد والبعد فلما قال واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة ما فائدة قوله الا بعدا لعاد فالجواب ان التكرير بلفظين مختلفين يدل على غاية التوكيد فان قيل ما الفائدة في قوله لعاد قوم هود فالجواب كانوا عادين فالاولى هم قوم هود الذين ذكرهم في قوله اهلك عادا الاولى والثانية هم اصحاب ارم ذات العماد وقيل المبالغة في التخصيص تدل على مزيد التاكيد **قوله** تعالى والى ثمود اخاهم صالحا القصة الكلام على اولها كالذي قبله والعامة على منع ثمود الصرف هنا لعلتين ه وبما العلمية والتانيث ذهبوا به مذهب القبيلة والاعمش ويحيى بن وثاب صرفوه وذهبوا به مذهب الحي وسياتي تبيان الخلاف في ذلك ان شاء الله تعالى **قوله** هو انشاكم من الارض يجوز ان تكون من لابتدا الغاية اي ابتدا انشاكم منها اما انشا اصلكم وهو ادم قال ابن الخطيب وفيه وجه

احرو مواقرب منه وذلك ان الانسان مخلوق من المني ومن مر الطمث والمني انما
تولد من الدم فالانسان مخلوق من الدم والدم انما تولد من الاعذية والاغذية
اما حيوانية واما نباتية والحيوانات حالها كحال الانسان فوجب انتهاء الكل من
النبات والنبات انما تولد من الارض فثبت انه تعالى انشأنا من الارض ٥
اولان كل احد خلق من تربته اولان اغذيتنا وسبب حياتنا من الارض وقيل
من بمعنى في ولا حاجة اليه **قوله** واستعمركم فيها اي جعلكم عمارها ٥
وسكانها وقال الضحاك اطال اعماركم فيها وقال مجاهد اعمركم من العمر اي
جعلها لكم ما عشتم وقال قتادة اسكنكم فيها قال ابن العربي قال بعض اصحابنا
الاستعمار طلب العماره والطلب المطلق من الله تعالى على الوجوب قال القاضي ابو بكر
تاتي كلمة استفعل في لسان العرب على معان منها استفعل بمعنى طلب ٥
الفعل كقوله استحملته اي طلبت منه حملانا وبمعنى اعتقد كقوله استسهلت
هذا الامر اي اعتقدته سهلا او وجدته سهلا واستعظمته اي اعتقدته عظيما
ووجدته وبمعنى اصبت كقوله استجدته اي اصبته جيدا ومعنى فعل كقوله
قر في المكان واستقر قالوا وقوله ليستهزئن ويستجوبن منه وقوله تعالى
واستعمركم فيها اي خلفكم لعمارتها لا على معنى استجدته واستسهلته اي
اصبته جيدا وسهلا وهذا يستحيل في حق الخالق فيرجع الى انه خلق لانه
الفائده وقد يعبر عن الشيء بفائدته مجازا ولا يصح ان يقال انه طلب من الله
لعمارتها فان هذا لا يجوز في حقه ويصح ان يقال استدعى عمارتها وفي الاية
دليل على الاسكان والعمري ثم قال واستغفروه ثم توبوا اليه وقد تقدم ٥
تفسيره ان ربي قريب مجيب اي قريب بالعلم والسمع مجيب دعاء المحتاجين
بفضله ورحمته ولما قرر صالح هذا الدليل قالوا يا صالح لقد كنت فينا
مرجوا قبل هذا اي كنا نرجوا ان تكون سيدا فينا وقيل كنا نرجو ان
ان تعود الى ديننا وذلك انه كان رجلا قوي الخاطر وكان من قبيلة قوية
رجاؤهم في ان ينصر دينهم ويقرر طريقتهم فلما دعاهم الى الله تعالى ٥
وترك الاصنام زعموا ان رجاءهم انقطع منه فقالوا انهاك ان نعبد ما يعبد
اباؤنا من الالهة فتمسكوا بطريق التقليد ونظير تعجبهم هذا ما حكاه
الله عن كفار مكة في قولهم اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب
قوله وانا لفي شك هذا هو الاصل ويجوز وانا بنون واحدة مشددة
كما في السورة الاخرى وينبغي ان يكون المحذوف النون الثانية من ان لانه
قد عهد حذفها دون احداهما مع تاخذها مع تا اولى وايضا فان حذف
بعض الاسماء للبس بسهل وقال الغزالي انا احرج هذه الحروف على اصله

لان كتابة المتكلمين نا فاجتمع ثلاث نونات ومن قال انا استثقل اجتماعها ٥
فاسقط الثالثة وابقى الاولتين انتهى وقد تقدم الكلام في ذلك **قوله**
مريب اسم فاعل من اراب فارابه مجوز ان يكون منعديا من ارابه اي اوقعه ٥
في الريبة او قاصرا من ارابه الرجل اي صار ذا ريبة ووصف الشك بكونه ٥
مريبا بالمعنيين المتقدمين مجازا فالشك هو ان يبقى الانسان متوقفا بين
النفي والاثبات والمريب هو الذي يظن به السوء والمعنى انه لم يترجح في ٥
اعتقادهم صحة قوله وقولهم مريب اي ترجح في اعتقادهم فسادا قوله وهذا
مبالغة في تزييف كلامه **قوله** ارايتم ان كنت قد تقدم نظيره والمعمول
الثاني هنا محذوف فتقديره اتعصينه ويدل عليه ان عصيته وقال ابن عطية ٥
هي من رؤية القلب والشرط الذي بعده وجوابه يسد مسد مفعولي الارايتم
قال ابو حيان والذي تقرر ان ارايت ضمن معنى اخبرني وعلى تقدير انه
يضمن فجملة الشرط والجواب لا يسد مسد مفعولي علمت واخواتها
فصل قوله ان كنت على بينة من ربي ورد بحرف الشك وكان على يقين
تام في امره الا ان خطاب المخالف على هذا الوجه اقرب الى القبول وكانه
قال قدروا اني على بينة من ربي وانى في علمي على الحقيقة وانظروا ان
تابعتكم وعصيت امور بي فمن ينصرني من عذاب الله فما تزيدونني غير
هذا التقدير غير تخسير **قوله** غير تخسير الظاهر ان غير مفعول
ثان لتزيدونني اي فما تزيدونني الا تخسيرا ويجوز ان يكون غير صفة
لمفعول محذوف اي شيء غير تخسير وهو حينئذ في المعنى ومعنى التفعيل
هنا النسبة والمعنى غير اني اخسركم اي انسبكم الى التخسير قاله الزمخشري
قال الحسين بن الفضل لم يكن صالح في خسارة حتى قال فما تزيدونني غير
تخسير وانما المعنى ما تزيدونني بما تقولون الا نسبتي اياكم الى الخسارة
والتفسيق والتجهيل في اللغة النسبة الى الفسق والفجور فكذلك ٥
التخسير هو النسبة الى الخسران وقيل هو على حذف مضاف اي غير
تضاره تخسيركم الحي قال ابن عباس معناه غير بسارة في خسارتكم **قوله**
وياقوم هذه ناقة الله لكم اية لكم في محل نصب على الحال من اية لانه لو تاخر
لكان نعتا لها فلما قدم انتصب حالا قال الزمخشري فان قلت بم يتعلق
لكم فالجواب قلت باية حالا منها مستدمة لانها لو تاخرت لكانت صفة لها
فلما تقدمت انتصبت على الحال قال ابو حيان وهذا ابطال متنافض لانه
من حيث تعلق لكم باية كان معمولا لها امتنع ان تكون حالا منها لان الحال
يتعلق بمحذوف قال شهاب الدين ومثل هذا الذي يعترض به على مثل الزمخشري

قال ابو البقاء الا قوى ما
ان يكون غير استثناء في المعنى
وهو مفعول ثان لتزيدونني

لاية واذا كان معمولا

بعد ايضاح المعنى المقصود باية التعلق المعنوي وباية نصب على الحال معنى عاملة
والناصب لها اما ها التنبيه او اسم الاشاره لما تضمناه من معنى الفعل او فعل
محذوف **فصل** اعلم ان العاده فيمن يدعي النبوه لابد وان يطلبوا منه معجزة
فطلبوا منه ان يخرج ناقة عشراء من صخرة معينه فدعا صالح فخرجت ناقة عشرا
وولدت في الحال ولدا مثلها وهذه معجزة عظيمة من وجوه احدها خلقها من
الصخرة وثانيها خلقها في جوف الجبل ثم شق عنها الجبل وثالثها خلقها على
تلك الصورة دفعة واحدة من غير ولاده ورابعها انه كان لها شرب يوم
وخامسها انه كان يحصل منها لبن كثير يكفي الخلق العظيم ثم قال فذروها
تاكل في ارض الله من العشب والنبات فليس عليكم مؤنتها وقرئ تاكل بالرفع
اما على الاستيناف واما على الحال ولا تمسوها بسوء ولا تضيبوها بعقر
فياخذكم ان قتلتموها عذاب قريب يريد اليوم الثالث فعقروها فقال لهم
صالح تمتعوا في داركم اي في ديياركم فالمراد بالدار البلد لانه يدار بها
اي يتصرف بها او ديار بكر اي بلادهم وقيل المراد بالدار الدنيا وقيل هو من
دارة كساحة وساح وسوح وانشد والامية بن ابي الصلت

له داع بمكه مشتعل ... واخر فوق دارته ينادي

ثلاثة ايام ثم تهلكون والتمتع التلذذ بالمنافع والملاذ ذلك وعد غير مكذوب
اي غير كذب **قوله** غير مكذوب يجوز ان يكون مصدرا على زنة مفعول
وقد جاء منه البقاط لما يلقط والمعقول والمبشور والمعتون ويجوز ان يكون
اسم مفعول على بابه وفيه حينئذ تاويلان احدهما غير مكذوب فيه ثم حذف
حرف الجر فاتصل الضمير مرفوعا مستترا في الصفة ومثله يوم مشهود وقول
الاخر ... ويوم شهدناه سليما وعامرا ... قليل سوى الطعن النهال نوافله
والثاني انه جعل هو نفسه غير مكذوب لانه قد وفي به فاذا وفي به فقد
صدق **فصل** قال ابن عباس لما امهلهم ثلاثة ايام قالوا وما علامة
ذلك قال تصبحوا في اليوم الاول وجوهكم مصفره وفي اليوم الثاني محمره
وفي اليوم الثالث مسوده ثم يا تيكم العذاب في اليوم الرابع فكان كما قال
فان قيل كيف يعقل ان تظهر هذه العلامات مطابقة لقول صالح ثم يبقون
مصرين على الكفر فالجواب ما دامت الامارات غير بالغة الى حد اليقين
لم يمتنع بقاؤهم على الكفر فاذا صارت يقينية قطعية فقد انتهى الامر الى حد
الالجاء والايمان في ذلك الوقت غير مقبول **قوله** فلما جاء امرنا تقدم
الكلام على مثله وقوله ومن خزي متعلق بمحذوف اي ونجيناهم من خزي وقاله
الزمخشري فان قلت علام عطف قلت على نجينا الان تقديره ونجيناهم من خزي يومئذ

مع تمامه

كما قال

كما قاله بعينهم من عذاب عليظ وكانت التنجيه من خزي وقال غيره انه متعلق بخبينا
الاول وهذا الاجود وعند البصريين غير الاخفش لان زيادة الواو غير ثابتة وقرا نافع
والكسائي بفتح ميم يومئذ على انها حركة بناء لاضافته الى غير متمكن كقوله

على حين عاتبت المشيب على الصبى ... وقلت المراضع وانشيب وازع

وقرا الباقون بخفض الميم وكذلك الخلاف جار في سائل سائل وقراطلحة وابان بن ثعلب
بتنوين خزي ويومئذ نصب على الظرف بالخزي وقرا الكوفيون ونافع في النمل من فزع يومئذ
بالفتح ايضا والكوفيون وحدهم بتنوين فزع ونصب يومئذ به ويحتمل في قراءة
من نون ما قبل يومئذ ان تكون الفتحه فتحة اعراب او فتحه بناء واذ مضافة لجمله محذوفه
عوض منها التنوين تقديره واذ حاء امرنا وقال الزمخشري ويجوز ان يراد يوم
القيامه كما فسر العذاب الغليظ بالعذاب الاخر قال ابو حيان وهذا ليس بجيد لانه
لم يتقدم ذكر يوم القيامه ولا ما يكون فيها فيكون هذا التنوين عوضا من الجمله
التي يكون في يوم القيامه قال شهاب الدين قد تكون الدلالة لفظيه وقد تكون معنويه
وهذه من المعنويه والخزي الذل العظيم حتى يبلغ حد الفضيحة كما قال تعالى في
المحاربين ذلك لهم خزي في الدنيا قال ان ربك هو القوي العزيز واما حسن ذلك
لانه تعالى بين انه اوصل العذاب الى الكافر وصان اهل الايمان عنه وهذا لا يصح
الا من القادر الذي يقدر على قهر طبايع الاشياء فيجعل الشي الواحد بالنسبة الى
الانسان بلاء وعذابا وبالنسبة الى انسان اخر راحة وريحانا **قوله** واخذ
الذين حذفت تا التانيث اما لكون الموث مجازيا او للفصل بالمفعول او لان الصيحة
بمعنى الصياح والصيحة فعلة تدل على المرة من الصياح وهي الصوت الشديد
صاح يصيح صياحا اي صوت بقوة قال ابن عباس المراد الصاعقه وقيل صيحة عظمة
هائلة سمعوها فهلكوا جميعا فاصبحوا احاثمين في دورهم وحثومهم سقوطهم على
وجوههم وقيل الجثوم السكون يقال للطير اذا باتت في اوكارها جثمت ثم ان العرب
اطلقوا هذا اللفظ على ما لا يتحرك من الموات فان قيل ما السبب في كون الصيحة
موجبة للموت فالجواب من وجوه احدها ان الصيحة العظيمة انما تحدث عند سبب
قوي يوجب تموج الهوي وذلك التموج الشديد انما ياتي اذا صاح الانسان
فيمزق غشاء الدماغ فيورث الموت وثانيها انه شي مهيب فيحدث الهيبة العظيمة
عند حدوثه والاعراض النفسانية اذا قويت اوجبت الموت وثالثها ان الصيحة
العظيمة اذا حصلت حدثت من السحاب فلابد وان يصحبها برق شديد وذلك يحرق
الصاعقة التي ذكرها ابن عباس ثم قال كان لم يغنوا فيها اي كانهم لم يوجدوا والمغنى
المقام الذي يقيم الحي فيه يقال اعبى الرجل بمكان كذا وفي القرآن وعادا وثمود اي في
العنكبوت وعاد وثمود قد تبين لكم وفي النجم وثمود فما ابقى جميع ذلك بمنع الصرف واقفهم

ابو بكر علي الذي في النجم وقوله الا بعدا لثمود منعه القرا الصرف الا الكسائي فانه صرفه ه
وقد تقدم ان من منع الصرف جعله اسما للقبيلة ومن صرف جعله اسما للحي او الى الاب الاكبر
وانشد على المنع ه

وينادي صالح يا رب انزل ه بالثمود منك عذابا عذابا

وانشد على الصرف ه

دعت امر عمرو امر شر علمته ه بارض ثمود كلها فاجابها

وقد تقدم الكلام على اشتقاق هذه اللفظة في سورة الاعراف **قوله** تعالى ولقد
جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى القصة قال النحويون دخلت كلمة قد ههنا لان السامع
لقصص الانبيا عليهم السلام يتوقع قصته وقد للتوقع ودخلت اللام في لقد تاكيدا
للخبر **فصل** لفظ رسلنا جمع واقله ثلثة فهذا يدل على انهم كانوا ثلاثة والزايد
على هذا القدر لا يثبت الا بدليل اخر واجمعوا على ان الاصل فيهم كان جبريل عليه السلام
قال ابن عباس كانوا ثلثة جبريل وميكاييل واسرافيل وهم المذكورون في الذاريات
هل اتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين وفي الحجر ونبئهم عن ضيف ابراهيم وقال ه
الضحاك كانوا سبعة وقال محمد بن كعب كان جبريل ومعه سبعة وقال مقاتل كانوا
اثني عشر ملكا على صور الغلمان الوضاء وجوههم بالبشرى بالبشاره باسحاق ويعقوب
وقيل بالسلامة لوط وبالهلاك قومه **قوله** قالوا سلاما في نصبه وجهان احدهما
انه مفعول به ثم هو محتمل لامرين احدهما ان يراد قالوا هذا اللفظ بعينه وحاذ ذلك ه
لانه يتضمن معنى الكلام والثاني انه اراد قالوا معنى هذا اللفظ وقد تقدم نحو ذلك
في قوله تعالى وقولوا حطة وثاني الوجهين ان يكون منصوبا على المصدر بفعل محذوف
وذلك الفعل في محل نصب بالقول تقديره قالوا سلمنا سلاما وهو من باب ما ناب
فيه المصدر عن العامل فيه وهو واجب الاضمار **قوله** قال سلام في رفعه ه
وجهان احدهما انه مبتدا وخبره محذوف اي سلام عليكم والثاني انه خبر مبتدا محذوف
اي امري او قولي سلام وقد تقدم ان الرفع ادل على الثبوت من النصب والجملة باسرها
وان كان احد جزءيها محذوفا في محل نصب بالقول كقوله ه اذا ذقتها قلت طعم مدامة
وقرا الاخوان قال سلم هنا وفي سورة الذاريات بكسر السين وسكون اللام والباقون
بالضرورة سقوط الالف قال الفراء هما لغتان كحرم وحرام وحل وحلال وانشد

مررنا فقلنا انه سلم فسلت ه كما اكل بالبرق الغمام اللوائح

يريد سلام بدليل فسلمت وقال الفارسي السلم بالكسر ضد الحرب وناسب ذلك ه
لانهم لما امتنعوا من تناول ما قدمه اليهم فنكرهم واوجس منهم خيفة فقال انا سلم اي
مسالكم غير محارب فلم تمتنعوا من تناول طعامي قال ابن الخطيب وهذا بعيد لان على
هذا التقدير ينبغي ان يكون تكلم ابراهيم عليه السلام بهذا اللفظ بعد احضار الطعام ه

والفرقان

على صنة محمدا فانه كان يحب الضيافة واما ابراهيم فاما ان يقال انه ما كان يعلم انهم ملئكه
بل كان يعتقد انهم من البشر او يقال انه كان عالما بانهم ملئكه تعالى الاول سبب خوفه ۵
امران احدهما انه كان ينزل بطرف من الارض بعيدا من الناس فلما استغوا من الاكل
خاف ان يدبروا به مكروها والثاني ان من لا تعرف اذا حضر وقدم له الطعام ۵
فان اكل حصل الامن وان لم يأكل حصل الخوف وان كان عارفا بانهم ملئكه فسبب خوفه
ايضا امران احدهما انه خاف ان يكون نزولهم لامر انكره الله تعالى عليه والثاني خاف
ان يكون نزولهم لتعذيب قومه والاول اقرب لانه سارع الى احضار الطعام ولو عرف
كونهم من الملئكه لما فعل ذلك ولما استدل بترك الاكل على حصول الشر وايضا
فانه راهم في صورة البشر قالوا لا تخف يا ابراهيم انا ملئكة الله ارسلنا الله
الى قوم لوط **فصل** في هذه القصة دليل على تبجيل قرى الضيف وعلى تقدم
ما تيسر من الموجود في الحال ۵ يتبعه بغير ان كان له حد لا يتكلف ما ضربه ۵
والضيافه من مكارم الاخلاق وابراهيم اول من ضاف ولبست الضيافة واجبه
عند عامة اهل العلم لقوله عليه السلام من كان يومن بالله واليوم الاخر فاليكرم
جاره ومن كان يومن بالله واليوم الاخر فاليكرم ضيفه واكرام الجار ليس بواجب
فكذلك في الضيف وقيل الضيافه واجبه لقوله عليه السلام ليلة الضيف حق
وقال ابن العربي وقال قوم ان الضيافه كانت واجبه في صدر الاسلام ثم نسخت
فصل اختلفوا في المحاطب بالضيافه فقال الشافعي ومحمد بن الحكم المحاطب
بها اهل الحضر والبادية وقال مالك ليس على اهل الحضر ضيافة قال محمون انما
الضيافة على اهل القرى واما الحضر فالصدق بنزل فيه المسافر لما روى بن عمر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الضيافه على اهل الوبر وليست على اهل المدر
قال القرطبي قال ابو عمر بن عبد البر وهذا حديث لا يصح قال بن العربي الضيافة
حقيقه فرض على الكفايه **فصل** ومن ادب الضيافه ان يبادر المضيف بالاكل
لان كرامة الضيف التعجيل بتقديم الضيافة كما فعل ابراهيم عليه السلام ولما قبضوا
ايديهم نكرهم ابراهيم فاما اكل المضيف طابت نفس الضيف للاكل **قوله** وامراته
قايمة في محل نصب على الحال من مرفوع ارسلنا قال ابو البقا من ضمير الفاعل في ارسلنا
وهي عبارة غير مشهورة اذ مفعول ما لم يسم فاعله لا يطلق عليه فاعل على المشهور
وعلى الجملة تجعلها حالا غير واضح بل هي استيناف اخبار ويجوز تجعلها حالا من
فاعل قالوا اي قالوا ذلك في حال قيام امراته وهي ابنة عم ابراهيم عليه السلام
وقوله قايمة اي تخدم الاضياف وابراهيم جالس معهم ويوكد هذا التاويل
قراة بن مسعود وامراته قايمه وهو قاعد **قوله** فضحكت العامه
على كسر الحا وقرا محمد بن زياد الاعرابي رجل من مكة بفتحها وهي لغتان يقال ضحك

وضحك

وضحك وقال المهدوي الفتح غير معروف والجمهور على ان الضحك على بابه واختلف ۵
المفسرون في سببه فقال القاضي ان ابراهيم لما خاف قالت الملئكه لا تخف انا ارسلنا
الى قوم لوط فعظم سرورها بسبب سروره ومثل هذه الحال قد يضحك الانسان
فكان ضحكها بسبب ان قول الملئكه لابراهيم لا تخف كان كالبشاره فقيل لها
تحمل هذه البشاره ايضا لحصول الولد الذي كنتم تطلبونه من اول العمر الى هذا
الزمان وقيل انها كانت عظيمة الانكار على قوم لوط لكفرهم وعملهم الخبيث ۵
فلما اخبروا انهم جاوا لاهلاكهم لحقها السرور فضحكت وقيل انهم بشروها بحصول
مطلق الولد فضحكها اما تعجبا فانه يقال انها كانت في ذلك الوقت بنت تسع
وتسعين سنه وابراهيم بن مايه سنه واما على سبيل السرور لما ضحكت بشرها
الله بان ذلك الولد هو اسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب وقيل انها ضحكت
من خوف ابراهيم من ثلاثة نفر حال ما كان معه حشمه وخدمه وقيل هذا على التقديم
والتاخير بقديره وامراته قايمة فبشرناها باسحاق فضحكت سرورا بسبب
تلك البشاره فقدم الضحك ومعناه التاخير وقال مجاهد وعكرمه ضحكت
بمعنى حاضت ضحكت الارنب اي حاضت وانكره ابو عبيد وابو عبيد والفرا
قال ابن الانباري هذه اللغة اذ لم يعرفها مولد فقد عرفها غيرهم حكى الليث
في هذه الاية ضحكت طمثت وحكى الازهري عن بعضهم ان اصله من ضحاك الظليمة
يقال اضحكت الظليمة اذا استدت وانشدوا ۵

وضحك الارانب فوق الصفا ۵ كمثل دم الجوف يوم اللقا ۵

وقال اخر ۵

۵ وعهدي بسلمى ضاحكا في لبابه ۵ ولم يعد حقا ثديها ان يحلا ۵

اي حايضا وضحكت الكافوره تشققت وضحكت الشجره سال سمغها وضحك
الحوض امتلا وفاض وظاهر كلام ابي البقا ان ضحك بالفتح مختص بالحيض فانه
قال بمعنى حاضت يقال ضحكت الارنب بفتح الحا **قوله** ومن وراء اسحاق
يعقوب قرا ابن عامر وحمزه وحفص عن عاصم بفتح الباء والباقون برفعها فاما
القراة الاولى فاختلفوا فيها هل الفتحه علامة نصب او جر والقايلون بانها
علامة نصب اختلفوا فقيل هو منصوب عطفا على قوله باسحاق قال الزمخشري
كانه قيل ووهبنا له اسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب على طريقة قوله
۵ لبسوا مصلحين عنى ولا ناعب ۵ يعني انه عطف على التوهم فنصب كما عطف
الشاعر على توهم وجود الباء في خبر ليس فجر وقد لكنه لا يقاس وقيل منصوب ۵
بفعل مقدر اي ووهبنا يعقوب وهو على هذا غير داخل في البشاره وقيل
الفارسي وقيل منصوب عطفا على محل باسحاق لان موضعه نصب كقوله وارجلكم

بالنصب عطفا على يد وسكم والفرق بين هذا والوجه الاول ان الاول ضمن الفعل معنى
وهنا توسمنا وسنا باق على مدلوله من غير توهم ومن قال بانه مجرور وحمله عطفا
على باسحاق والمعنى انها بشرت بهما وفي هذا الوجه والذي قبله بحث وهو الفصل
بالظرف بين حرف العطف والمعطوف وقد تقدم ذلك مستوفى في النساء وسبب مكي
الخفض للكسائي ثم قال وهو ضعيف الا باعادة الخافض لانك فصلت بين الجار والمجرور
بالظرف فقوله باعادة الخافض ليس ذلك لازما اذا تقدم ولم يفصل لم يلزمه
الاتيان واما قراءة الرفع ففيها اوجه احدها انه مبتدا وخبره الظرف السابق
فقدره الزمخشري مولود او موجود وقدره غيره بكائن ولما حكى النحاس هذا
قال والجملة حال واخله في البشارة اي فبشرناها باسحاق متصلا به يعقوب
والثاني انه مرفوع على الفاعلية بالجار قبله وهذا يجيء على راي الاخفش والثالث
ان يرتفع باضمار فعل اي ويحدث من وراء اسحاق يعقوب ولا مدخل له في البشارة
والرابع انه مرفوع على القطع بعنون الاستيناف وهو راجع لاحد ما تقدم
من كونه مبتدا وخبرا او فاعلا بالجار او بفعل مقدر وفي لفظ وراء قولان اظهرهما
وهو قول الاكثرين ان معناه بعد اي ومن بعد اسحاق يعقوب والثاني ان الوراء
ولد الولد **فصل** ذكر المفسرون ان اسحاق ولد لاسه مائة سنة بعد
اخيه اسماعيل باربعة عشرة سنة وكان عمر امه ساره حين بشرت به تسعين
سنة وذكر اهل الكتاب ان اسحاق لما تزوج رفقا بنت ثوايل في حياة ابيه
كان عمره اربعين سنة وانها كانت عاقرا فدعا الله لها فحملت فولدت غلامين
توامين اولهما سموه عيصو وتسميه العرب العيص وهو والد الروم والثاني
يلقب اليه بنو اسرائيل **قوله** يا ويلتا الظاهر كون الالف بدلا من ياء
المتكلم ولذلك اماله ابو عمرو وعاصم وفي رواية وبها قرا الحسن يا ويلتي
بصريح الياء وقيل هي الف الندبة ويوقف عليها بها السكت وكذلك الالف
في يا ويلتنا ويا عجبا قال الفراء اصل الويل هو الحزن يقال ويل لفلان
اي حزني الهلاك وقيل لمن وقع فيه قال الخليل ولم اسمع على مثاله الا اربع
وويد وويه وهذه كلمات متقاربة في المعنى **قوله** الا قرا ابن
كثير ونافع وابو عمرو الا بهمزه ومده والباقون بهمزتين بلا مد وقوله
وانا عجوز وهذا بعلي شيخا الجملتان في محل نصب على الحال من فاعل الذي
كيف تقع الولادة في هاتين الحالتين المنافيتين لها والجمهور على نصب شيخا
وفيه وجهان المشهور انه خالد والعامل فيه اما التنبيه واما الاشارة واما
كلاهما والثاني انه منصوب على ح ا. المقرب عند الكوفيين وهذه الحال

لازمة

لازمة عند من لا يجعل الخبر اما من جملة هي عبر لازمة وقرا ابن مسعود والاعمش وكذلك
في مصحف ابن مسعود شيخ بالرفع وذكر واقيه اوجها اما خبر بعد خبر او خبر ان
في معنى خبر واحد نحو هذا حلو حامض او خبر هذا وبعلي بيان او بدل او شيخ
بدل من بعلي او بعلي مبتدا وشيخ خبره والجملة خبر الاول او شيخ خبر مبتدا
مضمر اي هو شيخ والشيخ يقابله المجوز ويقال شيخة قليلا كقوله

ونصحك مني شيخة عيشمية ... وله جموع كثيرة فالصريح منها اشياخ وشيوخ
وشيخان وشيخة عند من يرى ان فعلة جمع لا اسم جمع كفتية وصبية ومن اسمائه
مشيخة وشيخة ومشيوخا وبعلها رجوعا سمي بذلك لانه قيم امرها قال الواحدي
وهذا من لطيف النحو وعامضه فان كلمة هذا للاشارة وكان قوله وهذا بعلي
شيخا قاصر مقام ان يقال اشير الي بعلي حال كونه شيخا والمقصود تعريف
هذه الحالة المخصوصة وهي الشيخوخة ثم قالت ان هذا الشيء عجيب فان قيل
كيف تعجبت من قدرة الله تعالى والتعجب من قدرة الله تعالى توجب الكفر فالجواب
انها انما تعجبت حسب العرف والعاده لا حسب القدرة فان الرجل المسلم
لو اخبره رجل صادق بان الله تعالى يقلب هذا الجبل ابريزا فلا شك انه
يتعجب نظرا الى العادة لا استنكارا للقدرة ثم قالت الملائكة اتعجبين من امر الله
اي لا تعجبين من امر الله فان الله سبحانه وتعالى اذا اراد شيئا كان سهلا
قوله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت اي بيت ابراهيم والمعنى
رحمة الله عليكم متكاثرة وبركاته عندكم متوالية متعاقبة وهي النبوة والمعجزات
القاهرة فاذا احرز الله تعالى العادة في تخصيصكم بهذه الكرامات العلية
الرفيعة فلا تتعجبين من ذلك وقيل هذا اعلى معنى الدعاء من الملائكة وقيل على
معنى الخبر والرحمة النعمة والبركات جمع البركة وهو ثبوت الخير فان قيل
ما الحكمة في افراد الرحمة وجمع البركات وكذلك افراد السلام في التشهد وجمع
البركات فالجواب قد تقدم في البقرة عند قوله اولئك عليهم صلوات
من ربهم ورحمة وقال ابن الانباري هنا ان السلام اما مصدر محض فهو شيء واحد
فلا معنى لجمعه واما اسم من اسماء الله تعالى فيستحق ايضا جمعا وعلى التقديرين
لا سبيل الى جمعه واما الرحمة فمصدر كما تقدم واما البركة فانها لما كانت
تحدث شيئا بعد شيء كان لفظ الجمع اولى بها لدلالتها على المعنى المقصود
وقد جاءت في القرآن كهذه الآية وكذلك السلام في التشهد في قوله
السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته وقوله عليكم حكى سيبويه عليكم
بكسر الكاف لمجاورتها الياء نقله القرطبي وفيه دليل على ان الازواج من
اهل البيت **قوله** امثل البيت في نصبه وجهان احدهما انه منادى والثاني

حدي

انه منصوب على المدح وقيل على الاختصاص وبين النصبين فرق وهو ان المنصوب على
المدح لفظ يتضمن بوضعه المدح كما ان المذموم لفظ يتضمن بوضعه الذم والمنصوب
على الاختصاص لا يكون الا لمدح او ذم لكن لفظه لا يتضمن بوضعه الذم المدح ولا
الذم كقوله ۵ سأسما يكشف الضباب ۵ كذا قاله ابو حيان واستند الى
ان سيبويه جعلهما في باب وفيه نظر ثم قال انه حميد مجيد فالحميد المحمود ۵
الذي يحمد افعاله والمجيد فعيل مثال مبالغة من مجد يمجد مجدا او مجادة ويقال
مجد كشرف واصله الرفعة وقيل من مجدت الابل مجادة ومجدا اي سعت واشدوا
لابي حية النميري ۵

• ويد على صواحبها ولبيت ۵ بماجدة الطعام ولا الشراب •

اي لبيت بكثيرة الطعام ولا الشراب وقيل مجد الشيء اي حسنت اوصافه وقالوا
الله احمد فلا مانع له ومجده اي كثره والمجيد الماجد ومودد والشرف ۵
والكرم قوله فلما ذهب عن ابراهيم الروع اي الفزع قال الشاعر

• اذا اخذتها هزة الروع امسكت • بمثل مقدام على الهول اروعا •

يقال راعه يروعه اي افزعه قال عنترة

• مما راعني الا حمولة اهلها • وسط الديار تسف حب الخمخم ۵

وارتاع افتعل منه قال النابغة

• فارتاع من صوت كلاب فبات له • طوع الشوامت من خوف ومن صرد •

واما الروع بالضم فهي النفس لانها محل الروع ففرقوا بين الحال والمحل ۵
وفي الحديث ان روح القدس نفث في روعي قوله وجاءته البشرى
عطف على ذهب وجواب لما على هذا محذوف اي فلما كان كيت وكيت اجتري
على خطابهم او فطن لمجادلتهم وقوله يجادلنا على هذا جملة مستانفة وفي الدلالة
على ذلك الجواب المحذوف وقيل تقديره جواب لما قبل يجادلنا واخذ يجادلنا
او بعد يجادلنا على هذا حال من فاعل اقبل وقيل جوابها قوله يجادلنا واوقع
المضارع موقع الماضي وقيل الجواب قوله وجاءته البشرى والواو للحال رابطة
وقيل يجادلنا حال من ابراهيم وكذلك قوله وجاءته البشرى وقد مقدره ۵
ويجوز ان يكون يجادلنا حالا من ضمير المفعول في جاءته وفي قوم لوط اي في شانهم
فصل فلما ذهب عن ابراهيم الروع هذا اول قصة لوط والمعنى
انه لما زال الخوف وحصل السرور بسبب مجيء البشرى بحصول الولد اخذ ۵
يجادلنا اي يجادل رسلنا بمعنى يكلمنا لان ابراهيم لا يجادل ربه انما يسأله ۵
ويطلب اليه بدليل مدحه عقيب الاية بقوله انا ابراهيم لحليم اواه منيب
ولو كان جدلا مذموما لما مدحه بهذا المدح العظيم وكانت مجادلته ان قال للملائكة

ارايتم لو كان في مدائن لوط خمسين من المؤمنين اتهلكونهم قالوا لا قال او اربعون
قالوا لا قال او ثلاثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال ارايتم لو كان فيها
رجل مسلم اتهلكونهم قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها
لننجينه واهله الا امرأته ثم قال تعالى انا ابراهيم لحليم اواه منيب والحليم
هو الذي لا يتعجل مكافاة من يؤذيه ومن كان كذلك فانه يتاوه اذا شاهد
وصول الشدائد الى الغير فلما راى مجيء الملائكة لاهلاك قوم لوط عظم
حزنه واخذ يتاوه فوصفه الله تعالى بانه منيب لانه من ظهر منه ۵
هذه الشفقة العظيمة على الخلق فانه يتوب يرجع الى الله عز وجل في ازالة
ذلك العذاب اولان من لا يرضى بوقوع غيره في الشدائد فبان لا يرضى
بوقوع نفسه فيها اولى ولا طريق الى تخليص النفس من الوقوع في عذاب
الله الا بالتوبة والانابة فقالت الرسل عند ذلك لابراهيم يا ابراهيم
اعرض عن هذا اي اعرض عن هذا المقال انه قد جاء امر ربك اي عذاب ۵
ربك وحكم ربك فانهم اتيتهم نازل بهم عذاب غير مرود واي غير مصروف
عنهم قوله اتيتهم عذاب يجوز ان تكون جملة من مبتدا وخبر
في محل رفع خبر الانهم ويجوز ان يكون اتيتهم الخبر وعذاب المبتدا وجاز
ذلك لتخصيصه بالوصف ولتكرير اتيتهم لان اضافته غير محضة ويجوز
ان يكون اتيتهم خبر ان وعذاب فاعل به ويدل على ذلك قراءة عمرو بن ميمون
وانهم اتاهم بلفظ الفعل الماضي قوله ولما جاءت رسلنا لوطا قال
ابن عباس انطلقوا من عند ابراهيم وبين القريتين اربع فراسخ ودخلوا
عليه على صورة غلمان مرد حسان الوجوه قوله سيء بهم فعل مبني
للمفعول والقائم مقام الفاعل ضمير لوط من قولك ساءني كذا اي حصل
لي سوء وبهم متعلق بهم اي بسببهم يقال ساءه سوءه فسيء كما يقال سورته فسر
ومعناه ساءه مجيئهم وساء يسوء فعل لازم قال الزجاج اصله سوئ الا
ان الواو سكنت ونقلت كسرتها الى الساكن وذرعا نصب على التمييز ۵
وهو في الاصل مصدر ذرع البعير يذرع بيديه في سيره اذا سار على قدر
خطوه اشتقاقا من الذراع ثم توسع فيه فوضع موضع الطاقة والجهد فقيل ضاق
ذرعه اي طاقته قاله ۵ فاقدر بذرعك وانظرين بنسلك ۵
وقد يقع الذراع موقعه قال ۵

• اذا التيار ذو العضلات فلنا • الكيك اليك ضاق بها ذراعا •

وقيل هو كناية عن ضيق الصدر والعصيب والعصب والعصيصب والعصوصب
اليوم الشديد الشر الملتف بعضه ببعض قال ۵

ولست في لدار حصمك لواعرد ﴿ وقد سلكوك في يوم عصيب ﴾

وعن ابي عبيد سمي عصيبا لانه يعصب الناس بالشر كانه عصب به الشر والبلا اي شد به العصابة الجماعة من الناس سموا بذلك لاحاطتهم احاطة العصابة والمعنى ان لوطا لما نظر الى حسن وجوههم وطيب روائحهم اشفق عليهم من قومه ان يقصدوهم بالفاحشة وعلم انه سيحتاج الى المدافعة عنهم فلذلك ضاق بهم ذرعا اي قلبا يقال ضاق ذرع فلان بكذا اذا وقع في مكروه لا يطيق الخروج منه **قوله** وجاءه قومه يهرعون يهرعون في محل نصب على الحال والعامة على يهرعون مبنيا للمفعول وقرات فرقة بفتح الياء مبنيا للفاعل من لغة هوع والاهراع ٥ الاسراع ويقال هو المشي بين الهرولة والجمز وقال الهروي يهرع واهرع ٥ استحث وقيل الاهراع هو الاسراع مع الرعدة وقيل يدا من باب ما جاء بصيغة الفاعل على لفظ المفعول ولا يعرف له فاعل نحو ولع فلان وارعد زيد وزهي عمرو من الزهو وقيل لا يجوز رد الفاعل على لفظ المفعول وهذه الافعال عرف فاعلوها بتاويل اولع فلان اي اولعه حبه وارعد زيد اي ارعده ٥ غضبه وزهي عمرو اي جعله مالئه زاهيا والمرع اي اهرعه خوفه او حرصه **فصل** روي انه لما دخلت الملكه على مرحمدار لوط عليه السلام مضت امراته فقالت لقومه دخل مرحمدارنا قوم ما رايت احسن منهم وجوها ولا اطيب رائحة منهم فجاء قومه مسرعين ومن قبل كانوا يعملون السيات اي من قبل مجيئهم الى لوط كانوا يعملون بالنون الرجال في ادبارهم فقال لهم لوط حين قصدوا اضيافه فظنوا انهم غلمان يا قوم هولا بناتي من اطهر لكم يعني بالتزوج **قوله** هولا بناتي جملة برأسها وهن اطهر لكم جملة اخرى ويجوز ان يكون هولا مبتدا وبناتي بدل او عطف بيان وهن مبتدا واطهر خبر والجملة خبر الاول ويجوز ان يكون هن فصلا واطهر خبرا اما لهولا واما لبناتي والجملة خبر الاول وقرا الحسن وزيد بن علي وسعيد بن جبير وعيسى بن عمر والسدي اطهر بالنصب وخرجت على الحال فقيل هولا مبتدا وبناتي من جملة في محل خبره واطهر حال والعامل اما التنبيه واما الاشاره وقيل بين فصل بين الحال وصاحبها وجعل من ذلك قولهم اكثر اكلي التفاحة هي نضيجة ومنعه بعض النحويين وخرج ٥ الاية على ان لكم خبر بين فلزمه على ذلك ان يتقدم الحال على عاملها المعنوي وخرج المثل المذكور على ان نضيجة منصوبة بكان مضمرة **فصل** قال قتادة ٥ المراد ببناته لصلبه وفي اضيافه ببناته وكان في ذلك الوقت تزوج المسلمة من الكافر جايزا كما زوج النبي صلى الله عليه وسلم ابنتيه من عتبة ابن ابي لهب ولاخيه عتيبة وزوج ابنته زينب من ابي العاص بن الربيع قبل الوحي وكانا

وقال الحسين بن الفضل عرض بناته عليهم بشرط الاسلام وقال مجاهد وسعيد بن جبير اراد نساءهم وانما قال لهم ذلك لان كل نبي ابو امته وفي قراءة ابي النبي اولى بالمومنين من انفسهم فاراد اماتهم وهو اب لهم وهذا القول اولى لان اقدام الانسان على عرض بناته على الاوباش والفجار امر مستبعد لا يليق باهل المروة فكيف الانبيا وايضا فبناته من صلبه لا تكفي الجمع العظيم امابنات امته فتهن كفاية للكل وايضا فلم يكن له سوى بنتين واطلاق البنات على البنتين لا يجوز ولما ثبت ان اقل الجمع ثلاثه وقال بعضهم ذكر ذلك على سبيل الدفع لا على التحقيق فان قيل ظاهر قوله هن اطهر لكم يقتضي كون نكاحهم طاهرا ومعلوم انه فاسد لانه لا طهارة في نكاح الرجل فالجواب هذا جار مجرى قولنا الله اكبر اي كبير وكقوله تعالى اذلك خير نزلا اي شجرة الزقوم ولا خير فيها ولما قوله ولما قال ابو سفيان نشهد هبلا على بيعتك قال النبي صلى الله عليه وسلم الله اعلا ولا مقاربة بين الله والصنم **قوله** ولا تخزوني في ضيفي ٥ قرا ابو عمرو ونافع بالنات يا الاضافه في عشرون على الاصل والباقون بحذفها للتخفيف ودلالة الكسر عليه والضيف في الاصل مصدر كقولك رجل صوم اطلق على الطارق لمبادرته الى الضيف ولذلك يقع على المفرد والمذكر وضديهما بلفظ واحد وقد يثنى فيقال ضيفان ويجمع فيقال اضياف وضيوف كابيات وبيوت وضيفان كحوض وحيضان والضيف ههنا قايم مقام الاضياف كما قام الطفل مقام الاطفال في قوله تعالى او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النسا **فصل** قال ابن عباس المراد خافوا الله ولا تفضحوني في اضيافي يريد انهم اذا هجموا على اضيافه بالمكروه لحقته الفضيحة وقيل معناه لا تخجلون فيهم لان مضيف الضيف يلحقه الخجل من كل فعل قبيح يتوجه الى الضيف يقال خزي الرجل اذا استحيا ثم قال اليس منكم رجل رشيد اي صالح سديد يقول الحق ويرد هولا الاوباش عن اضيافي وقال عكرمة ٥ رجل يقول لا اله الا الله وقال ابن اسحاق رجل يامر بالمعروف وينهى عن المنكر قالوا لقد علمت يا لوط ما لنا في بناتك من حق اي لسن ازواجا لنا فنستحقهن بالنكاح وقيل ما لنا في بناتك من حاجة ولا شهوة وقيل ما لنا في بناتك من حق لانك دعوتنا الى نكاحهن بشرط الايمان ونحن لا نجيبك الى ذلك فلا يكون لنا فيهن حق **قوله** من حق يجوز ان يكون مبتدا والجار خبره وان يكون فاعلا بالجار قبله لاعتماده على نفي ومن مزيدة ٥ على كلا القولين **قوله** ما نريد يجوز ان تكون ما مصدرية وان تكون موصولة بمعنى الذي والعايد محذوف فلذلك يتعدى لواحد اي لتعرف اراءتنا او الذي نريده ويجوز ان يكون

ما استفهامية وهي معلقة للعلم قبلها والمعنى انك لتعلم ما نريد من اتيان الرجال ٥
قوله لوان جوابها محذوف تقديره لفعلت بكم وصنعت كقوله ولوان قرانا
سيرت قوله او اوي يجوز ان يكون معطوفا على المعنى تقديره او اي اوي
قاله ابو البقاء والحوفي ويجوز ان يكون معطوفا على قوة لانه منصوب في الاصل
باضمار ان فلما حذفت ان رفع الفعل كقوله ومن آياته يريكم واستضعف ابو
البقاء هذا الوجه بعدم نصبه وقد تقدم جوابه ويدل على اعتبار ذلك قراءة
شبيه وابي جعفر او اوي بالنصب كقوله

ولولا رجال من رزام اعزة ٥ والد سبيع او اسوءك علقما ، وقولها
للبس عباءة وتقر عيني ٥ احب الي من لبس الشفوف ،

ويجوز ان يكون عطف هذه الجملة الفعلية على مثلها ان قدرت ان مرفوعة ٥
بفعل مقدر بعد لو عند المبرد والتقدير لو تستقر او يثبت استقرار القوة ٥
او اوي ويكون هذان الفعلان ماضيي المعنى لانها نقلت المضارع الى المضي
واما على رأي سيبويه في كون ان في محل الابتداء فيكون هذا مستأنفا
وقيل او تجمعني بل ومدا عند الكوفيين وبكم متعلق بمحذوف لانه حال من قوة
اذ هو في الاصل صفة للنكرة ولا يجوز ان يتعلق بقوة لانها مصدر والمصدر لا يسكن
الكاف وضمها الناحية من جبل وغيره ويجمع على اركان وأركن قال

٥ وزحم ركبتيك شديد الاركن ٥ فصل المعنى لو اه لي قوة البدن
او القوة بالاتباع وتسميه موجب القوة بالقوة جائز قال تعالى واعدوا لهم ما استطعتم
من قوة ومن رباط الخيل والمراد السلاح او اوي الى ركن شديد اي موضع حصين
وقيل انضم الى عشيرة منعه فان قيل كيف عطف الفعل على الاسم فالجواب
قد تقدم قال ابو هريرة ما بعث الله بعده نبيا الا في منعة من عشيرته وروي
ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يغفر الله للوط ان كان ليأوي الى ركن
شديد قال ابن عباس والمفسرون اغلق لوط بابه والملائكة معه في الدار وهو
يناظرهم ويناشدهم من وراء الباب وهم يعالجون تسور الجدار فلما رأت الملائكة
ما تلقى لوط بسببهم قالوا يا لوط انا ركنك لشديد وانا رسل ربك لن يصلوا اليك
اي بسوء ومكروه فانا نحول بينهم وبين ذلك فافتح الباب ودعنا وإياهم ففتح الباب
فدخلوا واستأذن جبريل ربه في عقوبتهم فأذن له فقام في الصورة التي يكون فيها
فنشر جناحه وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا اجلى الجبين ورأسه
مثل المرجان كأنه الثلج بياضا وقدماه الى الخضرة فضرب بجناحه وجوههم فطمس
اعينهم فاعماهم فصاروا لا يعرفون الطريق فانصرفوا وهم يقولون النجا النجا فان في
بيت لوط اسحر قوم في الارض سحرونا وجعلوا يقولون يا لوط كما انت حتى نصبح وستري ما تلقي

منا غدا فقال لوط للملائكة متى موعد هلاكهم قالوا الصبح قال اريد اسرع من ذلك فلو اهلكتهم
الان فقالوا اليس الصبح بقريب قوله فاسر وقرا نافع وبن كثير فاسر باهلك منا
وفي الحجر وفي الدخان فاسر بعبادي ليلا وقوله ان اسر في طه والشعراء جميع ذلك
بهمزة الوصل وتسقط درجا وتثبت مكسورة ابتداء والباقون بهمزة القطع تثبت ٥
مفتوحة درجا وابتداء والقراءتان ماخوذتان من لغتي هذا الفعل يا ه يقال ٥
سري ومنه وزالليل اذا يسر واسري ومنه سبحان الذي اسرى وبلغنا بمعنى
واحد او بينهما فرق خلاف فقيل بمعنى واحد وهو قول ابي عبيد وقيل اسر
لاول الليل وسري لاخره وهو قول الليث وقال ما سار مختص بالنهار وليس مقلوبا
من سري فان قيل السري لا يكون الا بالليل فما الفائدة بقوله بقطع من الليل فالجواب
انه لو لم يقل بقطع من الليل جاز ان يكون اوله قوله باهلك يجوز ان تكون الباء
للتعدية وان تكون للحال اي مصاحبا لهم وقوله بقطع حال من اهلك اي مصاحبين
لقطع على ان المراد به الظلمة وقيل الباء بمعنى في والقطع منا نصف الليل لانه ٥
قطعة منه مساوية لباقيه واشد وا ٥

وثالثة تتوج بقطع ليل ٥ على رجل يقارعة الصعيد ،

وقال نافع بن الازرق لعبد الله بن عباس اخبرني عن قول الله بقطع من الليل قال
هو آخر الليل سحر وقال قتادة بعد طائفة من الليل وتقدم في يوسف وقال وهب
بليقت منكم احد في الالتفات وجهان احدهما نظر الانسان الى ما وراءه فيكون
المراد انه كان لهم في البلد اموال فنهوا عن الالتفات اليها والثاني ان المراد ٥
بالالتفات الانصراف كقوله تعالى اجئتنا لتلفتنا اي لتصرفنا والمراد نهيهم عن
التخلف قوله الا امرأتك قرا ابن كثير وابو عمرو برفع امرأتك والباقون
بنصبها وفي هذه الاية كلام كثير اما قراءة الرفع ففيها وجهان اشهرهما عند المعربين
انه بدل من احد وهو احسن من النصب لان الكلام غير موجب وهذا الوجه رد ابو
عبيد بانه يلزم منه انهم نهوا عن الالتفات الا المرأة فانها لم تنته عنه وهذا لا يجوز
ولو كان الكلام ولا يلتفت يرفع يلتفت لبقي على ان تكون لا نافية فيكون الكلام
خبرا عنهم بانهم لم يلتفتوا الا امرأته فانها التفتت فكان الاستثنا بالبدلية ٥
واضحا لكنه لم يقرا برفع يلتفت احد واستحسن بن عطية هذا الالزام من ابي عبيد
وقال انه وارد على القول باستثنا المرأة من احد" سوا رفعت المرأة او نصبتها
وهذا صحيح لان ابا عبيد لم يرد الرفع لخصوص كونه رفعا بل لفساد المعنى ٥
وفساد المعنى ذا بر مع الاستثنا من احد وابو عبيد يخرج النصب على الاستثنا
باهلك ولكنه يلزم من ذلك ابطال قراءة الرفع ولا سبيل الى ذلك لتواترها ٥
وقد انفصل المبرد عن هذا الاشكال الذي اورده ابو عبيد بان النهي في اللفظ لاحد

وهو في المعنى للوط عليه السلام اذ التقدير لا يتبع منهم احد بلتفت الا امرأتك فذعها تلتفت
كقولك لخادمك لا يقم احد الهنى لاحد وهو في المعنى لاحث للخادم اذ المعنى لا تدع احدا
يقوم قال المجواب اني ان المعنى لا تدع احدا يلتفت الا امرأتك فذعها تلتفت هذا منهي
هو مقتضى الاستثنا كقولك لا تدع احدا يقوم الا زيدا معناه فذعه يقوم وفيه
نظر اذ المحذور الذي توهمه ابو عبيد موجود هنا او قريب منه هنا والثاني ان الرفع
على الاستثنا المنقطع فالقراتان عنده على حد سوا وكفى بردكلامه قال الذي يظهر
ان الاستثنا على كلتا القراتين منقطع لم يقصد به اخراجها عن المامور بالاسرا بهم
ولا من المنهيين عن الالتفات ولكن استوفى للاخبار عنها فالمعنى لكن امرأتك يجري لها
كذا وكذا ويويد هذا المعنى ان مثل هذه الاية جات في سورة الحجر وليس فيها استثنا
البته قال تعالى فاسر باهلك الاية فلم تقع الكنايه في ذلك الا بذكر من المحاهم الله
تعالى فحا شرح حال امرأته في سورة هود تبعا لا مقصودا بالاخراج مما يقدم
واذا اتضح هذا المعنى علم ان القراتين وردتا على ما تقتضيه العربيه في الاستثنا
المنقطع وفيه النصب والرفع فالنصب لغة اهل الحجاز وعليه الاكثر والرفع
لغة تميم وعليه اثنان من القرا قال ابو حيان وهذا الذي طول به لا تحقيق فيه اه
فانه اذا لم يقصد اخراجها من المامور بالاسرا بهم ولا من المنهيين عن الالتفات
وجعل استثنا منقطعا كان من المنقطع الذي لم يتوجه عليه العامل كما هذا
النوع يجب فيه النصب على كلتا اللغتين وانما تكون اللغتان فيما جاز توجه العامل
عليه وفي كلي النوعين يكون ما بعد الا من غير الجنس المستثنى فكونه جاز فيه اه
اللغتان دليل على انه يمكن ان يتوجه عليه العامل وهو انه قد فرض انه لو يقصد
بالاستثنا اخراجها من المامور بالاسرا بهم ولا من المنهيين عن الالتفات فكان
يجب فيه اذ ذاك النصب فقوله واحد اقال شهاب الدين اما قوله انه لم يتوجه عليه
العامل من حيث المعنى بحو ما زاد الا ما نقص وما نفع الا ما ضر وهذا قلب
من ذاك فكيف يعترض به على ابي شامه واما النصب ففيه ثلاثة اوجه احدها
انه مستثنى من باهلك واستشكلوا عليه اشكالا من حيث المعنى وهو انه يلزم ان لا
يكون سري بها لكن الفرض انه سري بها يدل على انه عليه انها التفتت ولو لم تكن معهم
لما حسن عنها بالالتفات يدل على كونها سرت معهم قطعا وقد اجيب عنه بانه لم يسر
بها ولكن لما سري بهو وبنتاه تبعتهم فالتفتت ويويد انه استثنا من الاهل
ما قراه عبد الله وسقط من مصحفه مصحفه فاسر باهلك بقطع من الليل الا امرأتك
ولم يذكر قوله ولا يلتفت منكم احد والثاني انه مستثنى من احد وكان الاحسن
الرفع الا انه جا كقراة بن عامر ما فعلوه الا قليلا منهم بالنصب مع تقدم النفي
الصريح وقد تقدم هناك تخريج اخر لا يكن هنا والثالث انه مستثنى منقطع على ما تقدم

عن

عن ابي شامة وقال الزمخشري وفي اخراجها مع اهله روايتان روي انه اخرجها معهم
وامر ان لا يلتفت منهم احد الا هي فلما التفتت سمعت همدة العذاب التفتت وقالت
يا قوماه فادركها حجر فقتلها وروي انه امر بان يخلفها مع قومها ولم يسر بها وهذا
تكاذب واختلاف القراتين لاختلاف الروايتين قال ابو حيان وهذا اوهم واحش اذ
بنى القراتين على اختلاف الروايتين من انه سري بها او لم يسر بها وهذا تكاذب
في الاخبار يستحيل الاخبار ان تكون القراتان وبما من كلام الله تعالى بنزيلان على
التكاذب قال شهاب الدين وحاش لله ان ينزيل القراتان على التكاذب لان من
قال انه سري بها يعني انها سرت هي بنفسها مصاحبة لهم في اوايل الامر ثم احدها
العذاب فانقطع سراها ومن قال انه لم يسر بها اي لم يامرها ولم ياخذها
وانه لم يدم سرا ما معهم بل انقطع فصح ان يقال انه سري بها ولم يسر بها اه
ولقد اجاب الناس بهذا وصوحسن وقال ابو شامة ووقع لي في تصحيح ما اعتذر به
النحاة معنى حسن وذلك ان يكون في الكلام اختصار ينبه عليه اختلاف اه
القراتين فكانه قيل فاسر باهلك الا امرأتك وكذا روي ابو عبيده وعين
انها في مصحف عبد الله هكذا وليس فيها ولا يلتفت منكم احد فهذا دليل على استثنائها
من السري بهم ثم كانه سبحانه قال فان خرجت معكم وتكون انت سريت بها فانه اه
املك عن الالتفات غيرها فانها ستلتفت فيصيبها ما اصاب قومها وكانت قراة
النصب دالة على المعنى المتقدم وقراة الرفع دالة على المتاخر ومجموعهما دالة
دالة على جملة المعنى المشروح وهو كلام حسن شاهد لما ذكرته **قوله** انه
مصيبها الضمير ضمير الشان ومصيبها خبر مقدم وما اصابهم مبتدا موخر وهو
موصول معنى الذي والجملة خبر ان لان ضمير الشان يفسر بجملة مصرح اه
بخبرها واعرب ابو حيان مصيبها مبتدا وما اصابهم الخبر وفيه نظر من حيث اه
الصناعة فان الموصول لمعرفة فينبغي ان يكون المبتدا ومصيبها نكرة لانه
عامل بتقدير فاضافته غير محضة ومن حيث المعنى ان المراد الاخبار عن الذي
اصابهم انه مصيبها مبتدا وما الموصولة فاعل لانهم يجيزون ان يفسر ضمير
الشان بمفرد عامل فيما بعده نحو انه قايم ابواك **قوله** ان موعدهم اي موعد
هلاكهم وقرا عيسى بن عمر الصبح بضمتين فقيل لغتان وقيل بل هي اتباع وقد
تقدم **قوله** فلما جا امرنا قيل المراد الامر حقيقة وقيل المراد بالامر العذاب
قال بعضهم لا يمكن حمله هنا على العذاب لان قوله فلما جا امرنا حصلنا فالجعل
هو العذاب فكان الامر مشروطا والعذاب جزاء والشرط غير الجزاء فالامر غير
العذاب قدل على ان الامر هو ضد النهي ويدل على ذلك قول الملايكة انا ارسلنا
الى قوم لوط وقد علم انهم امروا بالذهاب الى قوم لوط وباحيال العذاب بهم اه

فان قيل لو كان كذلك لقال فلما جاء امرنا جعلوا عاليها سافلها لان الفعل صدر عن المامور
فالجواب ان فعل العبد فعل الله تعالى وايضا الذي وقع منهم انما وقع بامر الله وباذنه
فلا يمتنع اضافته الى الله تعالى لان الفعل كما حسن اضافته الى المباشر حسن اضافته
الى المسبب **قوله** عاليها سافلها مفعول الجعل بمعنى التصيير وسجيل قيل هو
الاصل مركب من سكن كل وهو بالفارسية حجر وطين كالاجر المطبوخ فعرب وقيل
وعيوت حروفه كما عربوا الديباج والديوان والاستبرق وقيل سجيل اسم للسما
وهو ضعيف او غلط لوصفه بمنضود وقيل من اسجل اي ارسل فيكون فعيلا وقيل
هو من التسجيل والمعنى انه مما كتب الله واسجل ان يعذب به قوم لوط وبيقصده
الاول تفسير ابن عباس انه حجر وطين كالاجر المطبوخ وعن ابي عبيدة هو الحجر
الصلب وقيل سجيل موضع الحجارة وهي جبال مخصوصة قال تعالى من جبال
فيها من برد قال الحسن كان اصل الحجر هو الطين الا انه تصلب بمرور الهوي عليه
وقيل سجيل اي من سجين اي من جهنم ابدل النون لاما ومنضود صفة لسجيل
والنضد جعل الشي بعضه فوق بعض ومنه وطلح منضود اي متراكب والمراد
وصف الحجارة بالكثرة ومسومة نعت لحجارة والاولى ان يجعل حالا من حجارة
وسوم بجيم هل النكرة تخصيص النكرة بالوصف والتسويم العلامة قيل علم على كل حجر
اسم من يرمى به وتقدم اشتقاقه في العمران في والخيل المسومة وقال الحسن والسدي
كان عليها امثال الخواتيم قال ابن صالح رايت منها عند ام هاني وهي حجارة فيها خطوط
حمر على هيئة الجزع وقال ابن جريج كان عليها سمات لا تشبه حجارة الارض وعند
اما منصوب بمسومة واما محذوف على انها صفة لمسومة **قوله** وما هي للظالمين
عود هذا الضمير على القري المهلكة وقيل يعود على الحجارة وهي اقرب مذكور وقيل
يعود على العقوبة المفهومة من السياق ولم يوثث بتعيد اما لانه في الاصل نعت
لمكان محذوف تقديره بكل موقوب والمراد به السما او القري المهلكة اي وما هلكت
القري المهلكة من كفار مكة ببعيد لان تلك القري في الشام وهي قريبة من مكة
واما لان العقوبة والعقاب واحد واما لتاويل الحجارة بالعذاب او بشي بعيد
والمقصود بالاية كفار مكة اي انه تعالى يرميهم بالحجارة قال انس سال رسول
الله صلى الله عليه وسلم جبريل عن هذا فقال ما من ظالم منهم الا وهو يعرض
حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقال قتادة وعكرمة يعني ظالمي هذه الامة
والله ما اجار منها ظالما بعد روي ان الحجارة اتبع شذاذهم ومسافريهم اين كانوا
من البلاد وحذر رجل منهم الحرم وكان الحجر معلقا في السما اربعين يوما حتى خرج
فاصابه فاهلكه **قوله** تعالى وال مدين اخاهم شعيبا القصة اي وارسلنا
الى ولد مدين وهو اسم ابن لابراهيم عليه السلام ثم صار اسما لقبيله وقال كثير من

المفسرين

المفسرين مدين اسم مدينة وعلى هذا فتقديره وارسلنا الى اهل مدين فحذف اهل كقوله
واسئل القرية اي اهل القرية واعلم ان الانبيا عليهم السلام اول ما يبدؤن بالدعوة
الى التوحيد فلذلك قال شعيب عليه السلام يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ثم
بعد الدعوة الى التوحيد يشرعون في الاحكام ولما كان التعامل في اهل مدين البخس
في الكيال والميزان دعاهم الى ترك هذه العادة فقال ولا تنقصوا المكيال والميزان
قوله ولا تنقصوا فنقص يتعدي لاثنين الى اولهما بنفسه والى ثانيهما بحرف الجر وقد
حذف تقوله نقصت زيدا من حقه وحقه وهو هنا كذلك اذ المراد ولا تنقصوا الناس
من المكيال ويجوز ان يكون المكيال مفعولا اول والثاني محذوف وفي ذلك مبالغة
والتقدير ولا تنقصوا المكيال والميزان حقيهما الذي وجب لهما وهو ابلغ في الامر
بوفائهما **قوله** اني اراكم بخير قال ابن عباس موسرين في نعمة وقال مجاهد
في خصب وسعة بحذركم زوال النعمة وغلاء الاسعار وحلول النقمة ان لم تتوبوا
واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط بكم فيهلككم قال ابن عباس قوله اخاف
اي اعلم وقوله وقال عني المراد الخوف لانه يجوز ان يتوكوا ذلك العلم حسبة
حصول العذاب **قوله** محيط صفة لليوم ووصف به من قولهم احاط به
العدو وقوله واحيط بثمره قال الزمخشري ان وصف اليوم بالاحاطة ابلغ
من وصف العذاب بها قال لان اليوم زمان يشتمل على الحوادث فاذا
احاط بعذابه فقد اجتمع المعذب ما اشتمل عليه منه كما اذا احاط بغيمه وزعم
قوم انه جر على الجوار لانه في المعنى صفة للعذاب والاصل عذاب يوم محيط
وقال اخرون التقدير عذاب يوم محيط عذابه قال ابو البقاء وبعيد لان محيطا
قد جري على غير من هو له فيجب ابراز فاعله مضافا الى ضمير الموصوف واختلفوا
في المراد بهذا العذاب فقيل عذاب يوم القيامة وقيل عذاب الاستيصال في الدنيا
كما في حق سائر الامم والاقرب انه دخول كل عذاب فيه واحاطة العذاب بهم
كاحاطة الدايرة بما فيها **قوله** ويا قوم اوفوا الكيال والميزان بالقسط
اي بالعدل فان قيل وقع التكرار هنا من ثلثة اوجه فقال اولا لا تنقصوا الكيال
والميزان ثم قال واوفوا الكيال والميزان وهو من الاول ثم قال ولا تبخسوا
الناس اشياءهم وهو من الاول فما فايدة التكرار فالجواب من وجوه الاول
ان القوم كانوا مصرين على ذلك العمل فمنع منه بالمبالغة بالتاكيد والتكرير
بقيد التاكيد وشدة العناية والاهتمام الثاني ان قوله ولا تنقصوا الكيال
والميزان امر بايفاء العدل والنهي عن الشي امر بضده وليس لقايل ان يقول
النهي ضد الامر فكان التكرير لازما من هذه الوجه لانا نقول الجواب من وجهين
احدهما انه تعالى جمع بين الامر بالشي وبين النهي عن ضده للمبالغة كما تقول

ان يكون منصوبا بالواحد على المعنى والمعنى لا تملكوا ولا تنقصوا ويجوز

في التاكيد

صل قرابتك ولا تقطعهم فدل هذا المنع على غاية التوكيد وثانيها لا نسلم ان الامر كما ذكرتم
لانه يجوز ان ينهى عن التنقيص وينهى ايضا عن اصل المعاملة فهو تعالى منع من التنقيص
وامر بايصال الحق ليدل ذلك على انه تعالى لم يمنع من المعاملات ولم ينه عن المبايعات
وانما منع من التطفيف ومنع الحقوق فكانت المبايعات محرمة بالكلية فلاجل هذا
منع في الاية الاولى من التنقيص وفي الاخرى امر بالايفاء واما قوله ثالثا ولا تبخسوا
الناس اشياءهم فليس بتكرير لانه تعالى خص المنع في الاية الاولى بالمقصاد في الكيال
والميزان ثم انه تعالى عم الحكم في جميع الاشياء فدل ذلك على انه غير مكرر بل في كل
واحدة فايدة وزيادة الوجه الثالث انه تعالى قال في الاولى ولا تنقصوا
المكيال والميزان وفي الثانية قال وفوا الكيل والميزان والايفاء عبارة عن
الاتيان به على الكمال والتمام ولا حصول ذلك الا اذا اعطى زايدا على الحق ولهذا
المعنى قال الفقها انه تعالى نهى في الاية الاولى عن النقصان وفي الثانية امر
باعطاء شيء في الزيادة فكانه تعالى نهى اولا عن سعي الانسان في ان يجعل مال
غيره ناقصا ليحصل له تلك الزيادة وفي الثانية امر بان يسعى في تنقيص مال
نفسه ليخرج ماله من غير العوض وقوله بالقسط يعني بالعدل ومعناه الامر
بايفاء الحق بحيث يحصل معه اليقين بالخروج من العهدة بالامر بايتاء الزيادة في
ذلك والبخس هو التنقيص ثم قال ولا تعثوا في الارض مفسدين فان قيل العيث
الفساد التام فقوله ولا تعثوا في الارض مفسدين جار مجرى قولك ولا تفسدوا
في الارض مفسدين فالجواب من وجوه الاول ان نقوله من سعى في ايصال الضرر الى
الغير فقد حمل ذلك الغير على السعي في ايصال الضرر اليه فقوله ولا تعثوا في الارض
مفسدين اي ولا تسعوا في افساد مصالح الغير فان ذلك في الحقيقة سعي
منكم في افساد مصالح انفسكم والثاني ان يكون قوله ولا تعثوا في الارض مفسدين
مصالح دنياكم واخرتكم والثالث ولا تعثوا في الارض مفسدين مصالح الاديان
والشرايع ثم قال بقيت الله خير لكم ان كنتم مومنين اضافة على تشديد يا بقية
وقرا اسماعيل بن جعفر عن اهل المدينة بتخفيفها قال ابن عطية هي لغة وهذا لا ينبغي
ان يقال بل يقال ان لم يقصد الدلالة على المبالغة جيء بها تخفيفه وذلك ان فعل
بكسر العين اذا كان لازما فقياس الصفة منه فعل بكسر العين نحو سجيتا المراة فهي
سجية فان قصدت المبالغة قيل سجيه لان فعيلا من امثلة المبالغة فلذلك بقية
وبقية بالتشديد والتخفيف قال المفسرون بقية الله هي تقواه قال ابن عباس
يعني ما ابقى الله لكم من الحلال بعد ايفاء الكيل والوزن خير مما تاخذونه بالتطفيف
وقال مجاهد بقية الله اي طاعة الله خير لكم من ذلك الكثير القليل لان منفعة الطاعة
تبقى ابدا قوله ان كنتم مومنين قال ابن عطية وجواب هذا الشرط متقدم يعني علي

مذنب من يراه لا على مذهب جمهور المفسرين وانما شرط الايمان في كونه خيرا لهم لانهم
ان كانوا مومنين مقرين بالثواب في العقبى عرفوا ان السعي في تحصيل الثواب وفي الحذر
من العقاب خير لهم من السعي في تحصيل ذلك القليل والمعلق بشرط عدم عند عدم
الشرط قد لا يدل ذلك ظاهر الاية على ان من لم يحذر عن هذا التطفيف لا يكون مومنا ٥
قوله وما انا عليكم بحفيظ اي اني لست حافظكم وارشادكم الى الخير وما على منعكم من
هذا الفعل القبيح وقيل لما قال لهم ان البخس والتطفيف يزيل النعم قال وما انا عليكم
بحفيظ اي ان لم تتركوا هذا العمل زالت نعم الله عنكم وانا لا اقدر على حفظها عليكم
في تلك الحالة قوله اصلواتك تامرك ان نترك ما يعبد اباونا قرا حمزة ٥
والكسائي وحفص عن عاصم اصلاتك بغير واو والباقون بالواو على الجمع ٥
قوله او ان نفعل العامة على بون الجماعة او التعظيم في نفعل وشاوقرا
زيد بن علي وابن ابي عبلة والضحاك وعيسى بتا الخطاب فيهما وقرا ابو عبد الرحمن
وطلحة الاول بالنون والثاني بالتا ممن قرا بالنون فيهما عطفه على مفعول نترك
وهو ما الموصولة والتقدير اصلواتك تامرك ان نترك ما يعبد اباونا او ان نترك
ان نفعل في اموالنا ما نشا وهو بحذف الكيل والوزن المقدم ذكرهما او للتوسع
او بمعنى الواو وقولان ولا يجوز عطفه على مفعول تامرك لان المعنى يتغير اذ ٥
يصير التقدير اصلواتك تامرك ان تفعل في اموالنا ومن قرا بالتا فيهما جاز ان ٥
يكون معطوفا على مفعول تامرك ان تفعل انت في اموالنا ما تشا انت ومن قرا ٥
بالنون بالاول وبالتا في الثاني كان ان تفعل معطوفا على تامرك فقد صار ذلك
ثلاثة اقسام قسم يتعين فيه العطف على مفعول نترك وهي قراة النون فيهما وقسم
يتعين فيه العطف على مفعول تامرك وهي قراة النون في نفعل والتا في تشا ٥
وقسم يجوز فيه الامران وهي قراة التا فيهما والظاهر من حيث المعنى في قراه التا
فيهما او في تشا ان المراد بقولهم ذلك هو ايفا الكيال والميزان لانه كان يامرهم
بهما وفي قراة وقال الزمخشري المعنى تامرك بتكليف ان نترك فحذف المضاف لان
الانسان لا يومر بفعل غيره واعلم ان قولهم ان نترك ما يعبد اباونا اشارة
الى انه امرهم بالتوحيد وقولهم ان نفعل في اموالنا ما نشا اشارة الى انه امرهم ٥
بترك البخس **فصل** قيل المراد بالصلوات هنا الدين والايمان لان الصلوات
اظهر شعار الدين فجعلوا ذكر الصلاة كناية عن الدين وقيل اصل الصلوات الانبا ع
ومنه اخذ المصلي من خيل السابقة وهو الذي يتلو السابق لان راسه يكون
عند صلوي السابق وهما ناحيتا الفخذين والمعنى ويتبعك يا مرك وقيل المراد هذه
الافعال المخصوصة روي ان شعيبا عليه السلام كان كثير الصلاة فكانوا اذا راوه
يصلي يتغامزون ويتضاحكون فقصدوا بقولهم اصلواتك تامرك السخرية والاستهزا

انك لانت الحليم الرشيد قال ابن عباس اراد وا السفيه الغاوي والغوي بصفة الشيء يصفه فتقول للديغ سليم وللفلاة مفازة وقيل قالوه على وجه الاستهزاء كما يقال للبخيل الخسيس لو راك حاتم لسجد لك وقيل الحليم الرشيد بزعمك وقيل على الصحة اي انك يا شعيب فينا حليم رشيد لايجد بك شق عصي قومك ومخالفة دينهم كقولك لقوم صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا **قوله** ارايتم قد تقدم مرارا وقال الزمخشري هنا فان قلت اين جواب ارايتم ومآله ليس بثبت كما ثبت في قصة صخر نوح وصالح قلت جوابه محذوف وانما لم يثبت لان ثبابة في القصتين دل على مكانه ومعنى الكلام نباداي عليه والمعنى اخبروني ان كنت على حجة واضحة ويقين من ربي وبينا على الحقيقة ايصح ان لا امركم بترك عبادة الاوثان والكف عن المعاصي والانبيا لا يبعثون الا لذلك قال ابو حيان وتسمية هذا جوابا لارايتم ليس بالمصطلح بل هذه الجملة التي قدرناها في موضع المفعول الثاني لارايتم اذا ضمنت معنى اخبر في تعدت الى مفعولين والغالب في الثاني ان يكون جملة استفهامية سئل عنها ومن المفعول الاول في الاصل جاء ابتدائيه كقول العرب ارايتك زيدا ماصنع وقال الحوفي وجواب الشرط محذوف لدلالة الكلام عليه تقديره اعذل عما انا عليه وقال ابن عطية وجواب الشرط الذي في قوله ان كنت محذوف تقديره اضل كما ضللتم او اترك تبليغ الرسالة ونحو هذا مما يليق بهذه المحاجة قال ابو حيان ليس قوله اضل جوابا للشرط لانه ان كان مبنيا فلا يمكن ان يكون جوابا لانه لا يترتب على الشرط وان كان استفهاما حذف منه الهمزة نحو في موضع المفعول الثاني لارايتم وجواب الشرط محذوف يدل عليه الجملة السابقة مع متعلقيها **فصل** المعنى ارايتم ان كنت على بينة بصيرة وبيان من ربي ورزقني منه رزقا حسنا حلالا وقيل كان شعيب كثير المال وقيل الرزق الحسن العلم والمعرفة لما اتاني جميع هذه السعادات فهل ينبغي مع هذا الانعام العظيم ان اخون في وحيه وان اخالف امره ونهيه واذا كان كذلك العز من الله والاذلال من الله وذلك الرزق انما حصل من عند الله فانا لا آبالي بمخالفتكم ولا افرح بموافقتكم وانما اكون على تقرير دين الله وايضاح شرايعه **قوله** وما اريد ان اخالفكم قال الزمخشري خالفني فلان الى كذا اذا قصد وانت مولاه عنه وخالفني عنه اذا ولي عنه وانت قاصده ويلتاك الرجل صادرا عن الماء فتسأله عن صاحبه فتقول خالفني الى الماء تريد انه ذاهب اليه وارداعطيه وانا ذاهب عنه صادر آيته قوله تعالى وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه يعني ان اسبقكم الى شهواتكم التي نهيتكم عنها لاستبد بها دونكم وهذا الذي ذكره الزمخشري معنى حسن لطيف ولم يتعرض لاعراب مفرداته لان بفهم المعنى يفهم الاعراب فيجوز ان يكون قوله انا اخالفكم في موضع مفعول باريد اي وما اريد مخالفتكم ويكون ناصبا لمعنى فعل يحاورت الشيء وجزته اي وما اريد ان اخلفكم اي اكون خلفا منكم وقوله الى ما انهاكم يتعلق بمخالفكم ويجوز

ان يتعلق بمحذوف

ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه حال اي ما مايلا الى ما انهاكم عنه ولذلك قدر بعضهم محذوفا يتعلق به هذا الجار ينبغي ان يميل الى ان مخالفتكم ويجوز ان يكون ان مخالفتكم مفعولا من اجله ويتعلق الى بقوله اريد يعني وما اقصد لاجل مخالفتكم الى ما انهاكم عنه وله لك قال الزجاج وما اقصد بخلافكم الى ركاب ما انهاكم عنه ويجوز ان يراد بان مخالفتكم معنا من المخالفة ويكون في موضع المفعول به اريد ولا يقدر مايلا الى والمعنى وما اريد فيما امركم به وانهاكم عنه الا الاصلاح ما استطعت **قوله** ما استطعت يجوز فيما هذه وجوه احدها ان تكون مصدرية ظرفية اي مدة استطاعتي الثاني ان تكون ما موصولة بمعنى الذي بدلا من الاصلاح والتقدير ان اريد الا المقدار الذي استطيعه من الصلاح الثالث ان تكون على حذف مضاف اي الا الاصلاح اصلاح ما استطعت وهو ايضا بدل الرابع انها منصوبة بها بالمصدر المعرف اي ان اريد الا ان اصلح ما استطعت اصلاحه كقوله ضعيف النكاية اعداءه قال الفراء يرفع الاجل وكرهه الاوجه اللاته الزمخشري لان اعمال المصدر المعرف قليل عند البصريين ممنوع اعماله في المفعول به عند الكوفيين وتقدم الجاران في عليه واليه للاختصاص اي عليه لا على غيره واليه لا الى غيره **فصل** اعلم ان القوم كانوا قد اقروا له بانه حليم رشيد لانه كان مشهورا بهذه الصفة فكانه عليه السلام قال لهم انكم تعرفون من حالي اني لا اسعى الا في الاصلاح واداله الفساد فلم امركم بالتوحيد وترك البخس والخلق كلهم يعلمون انه دون حق وانه ليس غرضه منه اتباع الخصومة واثارة الفتنة وانتم تعرفون اني انفض كل الطرق في الاصلاح وانا اسعى الا لما يوجب الصلاح فكذبوني وطعنوا في ذلك فعند هذا الابلاغ والانذار وما الاجبار على اتباعه فلا اقدر عليه ثم اكد ذلك بقوله وما توفيقي الا بالله والوثوق بسهيل سبيل الخير عليه وكلت اعتمدت واليه اتوب ارجع مما يزلله بي من المتاعب **فصل** في المعاني **قوله** لا يجرمنكم العامة على فتح يا المضارعة من جرم ملازما وقد الا يجرم ومن ناب بعضهما من بعض وقد تقدم ان جرم بمعنى لا واحد ولا اسمين مثل كسب فيقال جرم زيد ما لا كسبه وجرمته دنيا اي كسبته اياه فهو مثل كسب وانشد الزمخشري على هذا بيتا **قوله** ولقد طعنت ابا عيينة طعنة جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا فيكون الكاف والميم هو المفعول الاول والثاني هو ان يصيبكم اي لا يكسبنكم عداوتي اصابة العذاب وقد تقدم ان جرم واجرم بمعنى او بينهما فرق وقد ذكر الزمخشري هنا ان اجرم لابن كثير والعامة اضافه على ظهم لام مثل بعا على اند فاعل نصبكم وقرا مجاهد والحدري بفتحها وفيها وجهان احدهما انها فتحة بنا والكاف في محل جر والثاني انها فتحة اعراب على الفتح لجمعه فانه الى غير منكف كقوله تعالى انه لحق مثل ما انكم تنطقون وكقوله لم يمنع الشرب منها غير انه نطقت حمامة في غصون وذات هدل وقد تقدم تحقيق هذا القاعدة في الانعام والباقون انه فعل ماض مسند لمصدر محذوف والفاعل على هذا مضمر يفسره سياق الكلام اي يصيبكم العذاب اصابة مثل ما اصاب **فصل** والمعنى لا يكسبنكم شقاقي خلافي ان يصيبكم عذاب الاستيصال في الدنيا مثل ما اصاب قوم نوح من الغرق او قوم هود من الريح او قوم صالح من الصيحة والرجفة او قوم لوط من الخسف وما قوم لوط منكم ببعيد اي بمكان بعيد مكانهم او ان كان خبرا عن جمع لاحد او جه اما لانه مضاف

هود من م

بلغ متعالم

تقديره وما اهلاك قومي واما باعتبار زمان اي زمان بعيد لان اهلاك قوم لوط اقرب الاهلاك
التي عرفها الناس في زمان شعيب واما باعتبار مكان اي بمكان بعيد لان بلاد قوم لوط قريبة من بلاد
واما باعتبار موصوف غيرهما اي بشيء بعيد كذا قدره الزمخشري وتبعه ابو حيان وفيه اشكال من حيث ان
تقدم زمان يلزمه منه الاخبار عن الحدث وقال الزمخشري ايضا ويجوز ان يبقى في بعيد وقريب وقليل
وكثير من الذكر والمونث لورودها على زنة المصادر التي هي كالصهيل والنهيق ثم قال واستغفروا ربكم وتوبوا
اي من عباده الاوثان ثم توبوا اليه عن البخس والنقصان ان ربي رحيم بأوليائه ودود
بالغة من ود الشيء يوده ودا وودادا وودادة ووداده اي احبه وانشد والمشهور ودود بكسر العين
وسمع الكسائي ودود بفتحها والودود بمعنى فاعل اي يود عباده ويرحمهم قال ابن الانباري الود و
في اسماء الله تعالى المحب لعباده من يولهم وودود الرجل اوده وقيل فعول بمعنى مفعول بمعنى ان عباده يحبونه ويوادون
اولياءه فهو بمنزلة المواد مجازا قال الازهري في كتاب نزهة اسماء الله الحسنى ويجوز ان يكون ودود مفعول
ان عباده الصالحين يودونه لكثرة افضاله واحسانه على الخلق قال ابن الخطيب واعلم ان هذا الترتيب
الذي راعاه شعيب في ذكر هذه الوجوه الخمسة ترتيب لطيف لانه ذكر اولا ان ظهور البينة له وكثرة
الانعام عليه في الظاهر والباطن يمنعه من الخيانة في وحي الله وتبليغه ثم ذكر ثانيا انه مواظب على العمل بهذا الدعوى ولو كانت باطلة لما اشتغل هو بها مع اعترافكم بكونه حليما
ورشيدا ثم من صحته بطريق اخر وهو انه كان معروفا بتحصيل موجبات الصلاح والفلاح واخفاء موجبات
العار فلو كانت هذه الدعوى باطلة لما اشتغل بها ثم لما بين صحة طريقته اشار الى تهكم المعارضين بقوله
لا يحملكم عداوتي على مذهب ودين منع بسببه في العذاب الشديد من اصاب قوم انبيائهم المتقدمين
ثم لما صحح مذهب نفسه بهذه الدلائل عاد الى تقرير ما ذكره اولا وهو التوحيد والمنع من البخس فقال الى
التوحيد بقوله واستغفروا ربكم والى المنع من البخس بقوله ثم توبوا اليه ثم بين ان من سبق الكفر والمعصية منهم
لا يتبعي ان يمنعهم من الرجوع الى الطاعة لانه تعالى رحيم ودود يقبل الايمان من الكافر والتائب من رحمته
بعباده وحبهم يوجب ذلك وبهذا التقرير بلغ الكمال **قوله** ما نفقه كثيرا مما تقول قيل
المعنى ما نفقه كثيرا مما تقول لانه كان ينهى عن اشياء شوريهم من كلامه كقوله حملوا على قلوبهم
اكنة ان ينفقوه وقيل انهم فهموه ولكن ما افادوا على سبيل الاستهانة كقول الرجل لمن لم يعبأ به ما
ما ادري ما تقول وقيل ما نعرف صحة الدليل الذي ذكرته على صحة التوحيد والنبوة والبعث وما جب ان ترك
الظلم والرقة **فصل** استدلوا بهذه الاية على ان الفقه اسم لعلم مخصوص وهو معرفة غرض المتكلم من كلامه
لانه اضاف الفقه الى القول ثم صار اسما لنوع معين من علوم الدين وقيل انه اسم لمطلق الفهم يقال فلان فقيه في
الدين اي فهم قال عليه السلام وفقهه في الدين اي فهمه ويله ثم قالوا انا لنراك فينا ضعيفا قيل
الضعف الذي يتعذر عليه معه القوم من نفسه وقيل هو الاعمى بلغة حمير وهذا ضعيف لانه ترك للظاهر بغير دليل
وايضا فقولهم فينا يبطل هذا الوجه لانهم لو قالوا انا لنراك اعمى فينا لكان عيبا لان الاعمى فيهم وفي غيرهم وايضا فقولهم
بعد ذلك ولولا رهطك لرجمناك تنوا عنهم القوم والذي ابنوه في رهطه وهي النصر نوجبان لكون النون
الى نفوا عنه هي النصر واستدل بعض العلماء بهذه الاية على تجويز العمى على الانبياء وذلك لا يدل لما بيناه قال

بعض المعتزلة لا يجوز العمى على الانبياء لان العمى لا يمكنه التحرز عن النجاسات ويخل
بجواز كونه حاكما وشاهدا فلان منع من النبوة اولى **قوله** ولولا رهطك لرجمناك
الرهط جماعة الرجل وقيل الرهط والراهط لما دون العشرة من الرجال ويقع
الرهط والعصبة والنفر الا على الرجال وقال الزمخشري من الثلاثة الى
العشرة وقيل الى السبعة وجمع على ارهط وارهط على اراهط قال
يا بوس للحرب التي وضعت اراهط فاستراحوا قال الرماني واصل الكلمة من
الرهط وهو الشد ومنه الرهيط وهو شده الاعلاف والراهط اسم
لحجر مرجح الربوع لانه يتوثق به ويخاف اوائده **فصل** المعنى ولولا
حرمه رهطك عندنا لكونهم على ملتنا لرجمناك والرجم في اللغة عبارة
عن الرمي وذلك قد يكون بالحجارة عند قصد القتل فلما كان الرجم سببا
للقتل سموا القتل رجما وقد يكون بالقول الذي هو القذف كقوله تعالى رجما
بالغيب وقوله ويقذفون بالغيب وقد يكون بالشتم واللعن ومنه الشيطان
الرجيم وقد يكون بالطعن كقوله تعالى رجوما للشياطين فعلى هذه الوجوه يكون
المعنى لقتلناك او لشتمناك او لطعنا عليك **قوله** وما انت علينا بعزيز
قال الزمخشري وقد دل ايلاصنيره حرف النفي على ان الظاهر واقع في الباطن
لانه في المعقولة كانه قيل وما انت عزيز علينا بل رهطك هم الاعزة علينا ولذلك
قال في جوابهم ارهطي اعز عليكم من الله ولو قيل وما اعززت علينا لم يصح هذا
الجواب والمعنى انك لما لم تكن علينا عزيزا سهل علينا الاقدام على قتلك
وايذائك واعلم ان هذه الوجوه التي ذكروها ليست مانعة لما قرره شعيب
من الدلائل بل هي جارية مجرى معارضة الدليل والحجة بالشتم والسفاهة
قوله ياقوم ارهطي اعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا اعلم انهم لما
خوفوه بالقتل وزعموا انهم انما تركوا قتله رعاية لحانب قومه قال
انتم ترعون انكم تركتم قتلي اكراما لرهطي فالله تعالى اولى ان يتبع امره اي
حفظكم اياي ورعايته لامر الله اولى من حفظكم اياي رعايته لحق رهطي **قوله**
واتخذتموه يجوز ان يكون المتعدية لاثنين اولهما الهاء والثاني ظهريا ويجوز
ان يكون الباقي هو الظرف وظهريا حال والمفعول المتعدية لواحد فيكون
ظهريا حالا فقط ويجوز فيه وفي الذي قبله ان يكون ظرفا للاتخاذ وان يكون حالا
من ظهريا والضمير في اتخذتموه يعود على الله لانه يجعل صفاته نصبا
اوامره ظهريا اي منبوذة وراء ظهورهم والظهري هو المنسوب الى الظهر
والكسر مغير اذ النسب كقولهم في النسبة الى الاسد اسدي بكسر الهمزة
والى الدهر دهري بضم الدال وقيل الضمير يعود على العصيان اي واتخذتم

العصيان عونا على عداوتي فالظهري على هذا بمعنى المعين المتوي ثم قال الذي
ما تعملون محيط اي عالم باحوالكم لا يخفى عليه شيء منها قوله واقوم اعملوا على مكانكم
والمكانة الحالة التي يتمكن بها صاحبها من عمله اي اعملوا حالكم كونكم موصوفين
بغاية المكنة والقدرة وكلما زيد سعيكم وطاعتكم من ايصاله الشر الي فاني
ايضا عامل بقدر ما اباني الله من القدرة سوف تعلمون اينا الحائز على نفسه
والمخطئ لافعله قوله مرميه تقدم نظيره في قصة نوح قال ابن عطية بعد ان
حكى عن الفراء ان يكون موصولة مفعوله بتعلمون وان يكون استفهامية مبتدأ معلقة
لتعلمون والاول احسن ثم قال والمعنى لكونها موصولة للمفعول عليها موصولة لا
محالة وهي قوله ومن هو كاذب قال ابو حيان لا يتعين ذلك اذ من الجائز ان تكون
الثانية استفهامية ايضا معطوفة على الاستفهامية قبلها والتقدير سوف تعلمون
اينا اتته عذاب وانا هو كاذب وقال الزمخشري فان قلت اي فرق بين
ادخال الفاء وتركها في سوف قلت ادخال الفاء وصل طارئ بحرف موضوع
للوصل ونوعها وصل حتى تقدري بالاستيناف الذي هو جواب لسؤال مقدر
كانهم قالوا فاذا يكون اذا علمنا نحن على مكانتنا وعملت انت على مكانتك فقيل
سوف تعلمون فوصل تاره بالفاء وتاره بالاستيناف كما هو عاده البلغاء من العرب
واهوى الوصلين وابلغهما الاستيناف لانه اكمل في باب الفصاحه والتهويل
ثم قال وارتقبوا اني معكم رقيب اي وانتظروا العذاب اني معكم منتظر والرقيب
بمعنى الراقب مرزيت كالضرب والضريب بمعنى الضارب والصارم او بمعنى المراقب
او بمعنى المرتقب كالمعتبر والرفيع بمعنى المعتقر والمرتفع قوله ولما جاء امرنا
قال الزمخشري فان قلت ما بال ساقتي قصة عاد وقصة مدين جاءتا بالواو
والساقتان الوسطيان بالفاء قلت قد وقعت الوسطيان بعد ذكر الوعد
وذلك قوله ارموعدهم الصبح ذلك وعد غير مكذوب فجاءتا الفا الى المتسبب
كما تقول وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت واما الاخريان فلم يقعا تلك
المنزلة وانما وقعتا مستأنفتين فكان حقهما ان يعطفا بحرف الجمع على ما قبلهما كما عطفت
قصته على قصته قوله نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا روي الكلبي
عن ابن عباس قال لم يعذب الله امتين بعذاب واحد الا قوم شعيب وقوم صالح
فاما قوم صالح فاخذتهم الصيحة من تحتهم وقوم شعيب اخذتهم من فوقهم فقوله
ولما جاء امرنا يحتمل ان يكون المراد ولما حانت امرنا ملكا من الملائكة بتلك
الصيحة ويحتمل ان يكون المراد من الامر العذاب وعلى التقديرين فاخبر الله انه نجى
شعيبا ومن معه من المؤمنين وفي قوله برحمة منا وجهان الاول انه تعالى لما خلصه
من العذاب كان ذلك بمحض رحمته تفضلا منه على الكل ما يصل الى العبد ليس الا بفضل

الله

الله ورحمته والثاني ان المراد من الرحمة الايمان والطاعة وهي ايضا ما حصلت
الا بتوفيق الله ثم قال واخذت الذين ظلموا الصيحة وعرف الصيحة بالالف واللام
اشارة الى المعهود السابق وهي صيحة جبريل فاصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا
فيها يتقدم اللام على ذلك واما ذكر هذه اللفظة واحالهم على ثمود لانه تعالى
عدهم بمثل عذاب ثمود قوله كما بعدت العامة على كسر العين من يعد بعد بكسر العين
في الماضي وفتحها في المضارع بمعنى هلك قال

بعولوا لا بعد وهم يدفنونه ولا بعد الا ما تواري الصفائح

قرىء وبعدت لا بعد بالوجهين وفي هذه الاية نوع من علم البيان اراد
بالعرب ان تعرف من المعتبر بكسر العين فالوا يبعد بالضم ضد القرب ويبعد
بالكسر ضد السلامة والمصدر البعد بفتح العين وقرأ السلمي وابو حيوة بعد
بالضم احذه من ضد القرب لانهم اذا هلكوا فقد بعدوا ومن هذا قول الشاعر

بركا بعيد في التراب وبينه شبران فهو بغاية البعد

وقال ابو النحاس المعروف في اللغة بعد يبعد بعدا اذا هلك ويبعد بعدا
في ضد القرب وقال ابن قتيبة بعد يبعد اذا كان بعده هلكه وبعد يبعد
اذا نأى فهو موافق للنحاس وقال المهدوي بعد يستعمل في الخير والشر
ويبعد في الشر خاصة وقال ابن الانباري من العرب من يسوي بين الهلاك والبعد
الذي هو ضد القرب فيقول فيهما بعد يبعد بعدا وبعد يبعد بعدا وانشدوا
قول مالك بعولوا لا بعد وهم يدفنوني وابن كان البعد الا مكانا
قيل يروى لا بعد بالوجهين وفي هذه الاية نوع من علم البيان يسمى المسطور
وهو ان يمدح شيأ او يذمه ثم يأتي باخر الكلام بشيء يوافق غرضه في اوله قالوا ولم
يات في القرآن غيره وانشدوا في ذلك قول حسان

ان الذكاء الذي حدثتني فيحوت مني الحارث بن هشام

ترك الاحبة ان يقاتل دونهم ونجا براس طمرة ولجام

قوله تعالى ولقد ارسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين اختصه قيل المراد بالآيات
التوراة مع ما فيها من الشرايع والاحكام والسلطان المبين المعجزات الباهرة
وقيل المراد بالآيات المعجزات والبينات وبالسلطان الحجة لقوله ان عندكم من
سلطان بهذا وقوله ما انزل الله بها من سلطان وقيل المراد بالسلطان المبين
العصى لانها ابهر الآيات وذلك انه تعالى اعطى موسى تسع آيات بينات وهي
العصى واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ونقص
من الثمرات والمنشار ومنهم من ابدل نقص الثمرات والمنشار بالطلا والجمل واجملوا
في تشبيه الحجة بالسلطان فقيل لما رصاحب الحجة يقهر من واجهه معه عند النظر

الطمرة الفرس

كما يقهر السلطان غيره وقال الزجاج السلطان معجزه وسمي السلطان سلطانا لانه حجة الله في ارضه واشتقاقه من السليط الذي يستضاء به ومنه قيل للزيت السليط وقيل مشتق من التسليط فالعلما سلاطين بسبب كالهم بالقوه العلميه والملوك سلاطين بسبب قدرتهم ومكنتهم الا ان سلطنه العلما اكمل وابقى من سلطنه الملوك لان سلطنه العلما تقبل النسخ والعزل وسلطنه الملوك يقبلها وسلطنه العلما من جنس سلطنه الانبيا وسلطنه الملوك من جنس سلطنه الزراعنه وسلطنه الملوك تابعه لسلطنه العلما فان قيل اذا حملتم الايات على المعجزات والسلطان على الدلايل والمبين امضا معناه كونه سببا للظهور فما الفرق بين الايات البينات فالجواب ان الايات اسم للقدر المشترك من العلامات التي يعبد الظن ومن الايات التي يعبد اليقين واما السلطان فهو اسم لما يفيد القطع واليقين وكانت معجزات موسى هكذا فلا جرم وصفها الله تعالى بانها سلطان مبين ثم قال الى فرعون وملايه اى جماعته فاتبعوا امر فرعون فيل امره اياهم بالكفر بموسى وقيل امره لهم بالطريق ثم قال وما امر فرعون برشيد اى برشده الى خير وقيل ذو رشد لانه كان ذو هرتا ناقبا للصانع وللمعاد فلهذا كان طالبا عن الرشد بالكليه ثم وصفه فقال يقدم قومه يوم القيمه يعني قال قدم فلان فلانا معنى يتقدمه ومنه قادمه الرحل كما يقال قدمه بمعنى يتقدمه ومنه مقدمه الجيش والمعنى ان فرعون كان يقدمهم في الضلال ويحوز ان يكون معنى قوله يقدم قومه تبيعنا لهم وايضاحا اى ليكون امر رشيد امع ان عادته هكذا **قوله** فاوردهم يجوز ان يكون هذه المسئله من باب الاعمال وذلك ان يقدم يصح ان يتسلط على النار بحرف الجر اى يقدم قومه الى النار وكذا اوردهم يصح تسلطه عليها ايضا ويكون قد اعمل الثاني للحذف من الاول ولو اعمل الاول للتقدير بالى ولا حضر في الثاني ولا محل لاورد لانه استيناف وهو ما لم يقدر قبلها يتقدر لواحد قال تعالى ولما ورد ماء مدين وقيل اوقع المستقبل بلفظ الماضي هنا لتحققه وقيل بل هو ماض على حقيقته وهذا قد وقع وانفصل وذلك انه اورد هم في الدنيا النار قال تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا وقيل اوردهم موجبها واسبابها وفيه بعد لاجل العطف بالفاء **والمورد** يكون مصدرا بمعنى الورود ويكون بمعنى الشيء المورد كالطعم والرعي ويطلق ايضا على الوارد وعلى هذا ان جعلت الورد مصدرا او بمعنى الوارد فلابد من حذف مضاف تقديره وبئس مكان الورد المورود ويكون بمعنى المعنى النار وانما احتيج الى هذا التقدير لان فعل فاعل نعم وبئس ومخصوصها شرط لا يتم الا بذكر الرجل الوسف وقيل المورود صفه للورد والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس الورد المورود النار جوز

قوله وما امر فرعون برشيد اى وما امره بصالح جيد العاقبه ويكون ضد

وهو

ذلك

قال ابو البقاء وابن عطيه وهو ظاهر كلام الزمخشري وقيل المقدر بئس القوم المورود بهم فعلى هذا المورد مراد به الجمع الوارد ون فيكون والمورود صفه لهم وفي وصف مخصوص بذم وبئس خلافا لبعض النحويين منهم ابن السراج ذهب وابو علي له الواحدي لفظ النار مؤنث فكان ينبغي ان يقال وبئست الورد المورد الا ان لفظ الورد مذكر فكان المذكر والمانث جايز كما يقول نعم المنزل دارك ونعمت المنزل دارك مذكر عني المنزل ومانث عني الدار **فصل** والمعنى ادخلهم النار وبئس المدخل المدخول وذلك لان الورد انما يراد لتسكين العطش وتبريد الاكباد والنار ضده ثم قال واتبعوا في هذه الدنيا لعنه اى ان اللعن من الله ومن الملايكه والمومنين يلحقهم في الدنيا والاخره لا يزول كقوله واتبعوا في هذه الدنيا لعنه ويوم القيمه هم من المقبوحين ثم قال تعالى بئس الرفد المرفود واللام فيه كالذي قبله وقوله ويوم القيمه عطف على موضع وهذه والمعنى انهم الملعونون في الدنيا وفي الاخره ويلزم الوقف على هذا ما وتبتدا بقوله بئس مالك عن الرازي عن عباس عن قوله تعالى بئس الرفد المرفود قال هو اللعنه في الدنيا واللعنه في الاخره وزعم جماعة ان التقسيم هو ان لهم في الدنيا لعنه ويوم القيمه بئس ما يوعدون به فهي لعنة واحده اولها وقبح ازداد اخرا وهذا لا يصح لانه يودي الى اعاده بئس وقد مر ان الاولى عدم تكرارها اما لو تاخر الحال كقوله

فصل ولنعم حشو الذراع انشد اذا دعيت ترال وجا في الذعر

واصل الرفد كما قال الليث العطا والمعونه ومنه رفاده قريش ورفقه ارفده رفدا ورفد بكسر الراء وفتحها اعطيته واعنته وقيل بالفتح مصدر وبالكسر اسم كانه بحمل الرعي والريح وتقول رفدته المحابط اى دعنته وهو معنى الاعانه **قوله تعالى** ذلك من انبا القرى نقصه عليك الاية ذلك اشاره الى الغايب والمراد منه هنا الاشاره الى العصر المتقدمه الا ان الحواله عنه تقدم في قوله ذلك الكتاب لا ريب فيه ولفظ ذلك اشاره الى الواحد والجماعه كقوله لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك ويحتمل ان يكون في ذلك الذي ذكرناه هو كذا واذا قال الزمخشري ذلك مبتدا ونقصه عليك خبر بعد خبر اى ذلك المذكور نقص من انبا القرى منصوص عليك وقال شهاب الدين يجوز ان يكون نقصه حبرا ومن انبا حال ويجوز العكس قيل وثم مضاف محذوف اى من انبا اهل القرى ولذلك اعاد الضمير عليهم في قوله وما ظلمناهم قال ويجوز ذلك اوجه احدها انه مبتدا كما تقدم والثاني انه منصوب بفعل مقدر يفسره نقصه وهو مرجاب الاشتغال اى نقص ذلك في حال كونه من انبا القرى وقد تقدم في قوله ذلك من انبا الغيب نوجيه الكف اوجه وبقي عايده هنا **قوله** منها قايم وحصيد حصيد مبتدا محذوف الخبر لدلاله ما قبله حبر المحذوف عليه اى ومنها حصيد وهذا الضرب من المجاز حيث اطلق الحصيد بمعنى المحصود وجعله حصيدا

قال تعالى وانتشق الخبر من ابى حيان وغيره والمورد مبتدا والمخصوص بالذم المحذوف وهو قوم فيكون ذلك اقوى في تاخر الوصف عن المخصوص بالذم كما قاله ابو حيان وفيه نظر من حيث انه كيف يراد بالمورد الجمع الوارد ون ثم يقول ثم

فصل

وحصاد مثل مريض ومرضى ومراض وهذا قول الاخفش ولكن باب فعيل وفعلى ان يكون
في العقلاء نحو قتيل وقتلى والضمير في قوله منها عائد الى القرى شبه ما بقي من آثار القرى
وجدرانها بالزرع القائم على ساقه وما عفا منها وبطل بالحصيد والمعنى ان تلك القرى
بعضها بقي منها شيء وبعضها هلك وما بقي منه اثر وقال بعض المفسرين القائم العامر
والحصيد الخراب وقيل القائم ما بقيت حيطانه وسقطت السقوف وحصيد ممحي
اثره وقال مقاتل قائم يرى له اثر وحصيد لا يرى له اثر ثم قال وما ظلمناهم اي
بالعذاب والاهلاك ولكن ظلموا انفسهم بالكفر والمعصية وقيل الذي نزل بالقوم
ليس بظلم من الله بل هو عدل وحكمة لان القوم اولا ظلموا انفسهم باقدامهم على الكفر
والمعاصي فاستوجبوا بتلك الاعمال من الله ذلك العذاب وقال ابن عباس المعنى وما
نقصناهم في الدنيا من النعيم والرزق ولكن نقصوا حظ انفسهم حيث استخفوا بحقوق
الله تعالى فما اغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء اي ما نفعتهم تلك الالهة
في شيء البتة **قوله** لما جاء امر ربك اي عذاب ربك قال الزمخشري لما منصوب بما اغنت
وهو بناء منه على ان لما ظرف والظاهر ان ما نافية اي لم تغن ويجوز ان تكون استفهامية ويدعون
حكاية حال اي التي كانوا يدعون وما زادوهم الضمير المرفوع للاصنام والمنصوب
لعبدتها وعبر عنهم بواو العقلاء لانهم نزلوهم منزلتهم والتتبيب التخسير يقال تب
اذا خسر وتببه غيره اذا اوقعه في الخسران فيقال تبه غيره وتب هو بنفسه فيستعمل لازما ومتعديا
ومنه تبت يدا ابي لهب وتب وتببته تتبيبا اي خسرته تخسيرا قال لبيد

• ولقد بليت وكل صاحب جدة • لبلى يعود وذاكم التتبيب •

وقيل التتبيب التدمير والمعنى ان الكفار كانوا يعتقدون في الاصنام انها تنفع
وتدفع المضار ثم انهم عند الحاجة الى المعين ما وجدوا منها شيئا لا جلب نفع ولا دفع ضرر
وانما وجدوا ضد ذلك وهذا اعظم خسران **قوله** وكذلك خبر مقدم واخذ مبتدا او هو خبر
المبتدا ومثل ذلك الاخذ اي اخذ الله الامم السالفة اخذ ربك واذا ظرف متمحض
ناصبه المصدر قبله وهو قريب من حكاية الحال والمسألة من باب التنازع فان الاخذ
يطلب القرى والفعل ايضا يطلبها ويكون المسألة من اعمال الثاني لحذف من الاول
وقرا عاصم وابو رجاء الجحدري اخذ ربك اذ اخذ على انه فعل ماض وربك فاعل وقرا
طلحة بن مصرف قال ابن عطية وهي قراءة متمكنة المعنى ولكن قراءة الجماعة [كذا ابد]
تعطي الوعيد واستمراره في الزمان وهو الباب في وضع المستقبل موضع الماضي وقوله
وهي ظالمة جملة حالية والضمير في وهي ظالمة عائد على القرى وهو في الحقيقة عائد الى اهلها
كقوله وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها ثم انه بين كيفية اخذ
الامم الظالمة بقوله ان اخذه اليم شديد فوصف ذلك العذاب بالايلام والشدة
ثم قال ان في ذلك لآية لعبرة لمن خاف عذاب الآخرة قال القفال [illegible]

ان

ومنها قوله لابثين فيها احقابا بين تعالى انه يلبثهم في ذلك العذاب لا يكون الا احقابا والاحقاب
معدودة • واما العقل فمن وجهين الاول ان معصية الكفر متناهية ومقابلة الجرم المتناهي
بعقاب لا نهاية له ظلم وانه لا يجوز الثاني ان ذلك العقاب ضرر خال عن النفع فيكون قبيحا
بيان خلوه عن النفع ان هذا النفع لا يجوز ان يرجع الى الله تعالى لتعاليه عن النفع والضرر ولا
الى المعذب لانه في حقه ضرر محض ولا الى غيره لان اهل الجنة مشغولون بلذاتهم فلا
فائدة لهم بالالتذاذ بالعقاب الدائم في حق غيرهم فثبت ان ذلك العذاب ضرر
خال عن جميع جهات النفع فوجب ان لا يجوز واما الجمهور الاعظم من الامة فقد اتفقوا
على ان عذاب الكافر دائم وعند هذا احتاجوا الى الجواب عن التمسك بهذه الآية فذكروا
جوابين احدهما قالوا المراد سماوات الآخرة وارضها قالوا والدليل على ان في الآخرة
سماوات وارضا قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقوله واورثنا
الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء وايضا لا بد لاهل الآخرة مما يقلهم ويظلهم وذلك هو
الارض والسموات ولقائل ان يقول التشبيه انما يحسن ويجوز اذا كان حال المشبه به مقررا
معلوما فيشبه به غيره تأكيدا لثبوت الحكم في المشبه ووجود السموات والارض في الآخرة
غير معلوم وبتقدير ان يكون وجوده معلوما الا ان بقاءها على وجه لا تفنى البتة غير معلوم
فاذا كان اصل وجودهما مجهولا لاكثر الخلق ودوامهما ايضا مجهولا للاكثر كان تشبيه
عقاب الاشقياء به في الدوام بهما كلاما عديم الفائدة اقصى ما في الباب ان يقال
لما ثبت بالقرآن وجود سماوات وارضين في الآخرة ووجب دوامهما وجب الاعتراف به
وحينئذ يحسن التشبيه الا انا نقول لما كان الطريق في اثبات سموات اهل الآخرة ودوام
ارضهم هو السمع ثم السمع دل على دوام عقاب الكافر فحينئذ الدليل الذي دل على ثبوت الحكم
في الاصل حاصل بعينه في الفرع وفي هذه الصورة اجمعوا على ان القياس ضائع والتشبيه
باطل فكذا ههنا الوجه الثاني في الجواب قالوا ان العرب يعبرون عن الدوام والابد
بقولهم لا آتيك ما دامت السموات والارض وقولهم ما اختلف الليل والنهار وما طما البحر
وما اقام الجبل وانه تعالى خاطب القوم على عرفهم في كلامهم فلما ذكروا هذه الاشياء بناء على
اعتقادهم انها باقية ابدا علمنا ان هذه الالفاظ في عرفهم تفيد الابد والدوام ولقائل
ان يقول هل تسلمون ان قوله خالدين فيها ما دامت السموات والارض يمنع من بقائها
موجودة بعد فناء السموات او تقولون انه لا يدل على هذا المعنى فان كان الاول فالاشكال
لازم لان النص لما دل على انه يجب ان يكون مدة عقابهم في النار مساوية لمدة بقاء السموات
ويمنع من حصول بقائهم في النار بعد فناء السموات وثبت انه لا بد من فناء السموات فحينئذ
يلزمكم القول بانقطاع ذلك العقاب وان سلمتم ان هذا لا يمنع من بقائهم في النار بعد فناء
السموات فلا حاجة بكم الى هذا الجواب البتة فثبت ان هذا الجواب على كلا التقديرين ضائع
والذي عندي ان المفهوم من الآية انه متى كانت السموات والارض دائمتين كان كونهم في النار

ما دامت وهذا يقتضي انه كلما حصل الشرط حصل المشروط وليس كذلك لانه قد يتخلف المشروط ليس انا نقول ان كان هذا انسان فهو حيوان فان قلنا لكنه انسان فانه ليس بحيوان اما اذا قلنا لكنه ليس بانسان لم يصح انه ليس بحيوان لانه سبق في علم المنطق ان استثناء نقيض المقدم لا ينتج شيئا فكذا ههنا اذا قلنا ما دامت السموات والارض حاصلة دائمة فعقابهم حاصل اما اذا قلنا لكنه ما دامت السموات والارض دائمة ليس من شأنها ان يكون عقابهم حاصلا اما اذا قلنا لكنه ما دامت السموات والارض دائمة لم يلزم ان لا يكون عقابهم حاصلا فثبت ان هذا الاستثناء لا فائدة فيه فلنا بل فيه اعظم فائدة وهو انه يدل على تأبيد ذلك العذاب وهو اراد اما طويلا لا يحيط العقل بطوله وامتداده فاما انه هل يحصل اخراج لافذ لكن يستفاد من دليل اخر واما التشبيه الذي ذكره فهي مسكهم بقوله تعالى الا ما شاء ربك وقد ذكروا عنه اجوبة احدها قال ابن قتيبة وابن الانباري والفتها هذا استثناء استثناه الله تعالى ولم يقله البتة لكن لقوله وافعل لاضربنك الا ان اراك غير ذلك وعزمك ان تضربه ولقائل ان يقول هذا ضعيف لانه اذا قال لاضربنك الا ان اراك غير ذلك معناه لاضربنك الا اذا رأيت ان الصلاح في ترك الضرب وهذا لا يدل البتة على ان هذه الرؤية قد حصلت ام لا بخلاف قوله ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك وقد ثبت خلود اهل الجنة والنار والتأبيد من غير استثناء فلم يحسن ان يستثنى من الخلود في عذاب النار ومن الخلود في نعيم اهل الجنة والنار والتأبيد من غير استثناء فلت هو استثنى من الخلود في عذاب النار ومن الخلود في نعيم اهل الجنة وذلك ان اهل النار لهم بعد ان يخلدوا في النار احوال وانواع اخر من العذاب وما هو اشد من ذلك وهو سخط الله عليهم وكذا اهل الجنة لهم مع نعيم الجنة ما هو اكثر منه لقوله ورضوان من الله اكبر والدليل عليه قوله عطاء غير مجذوذ وفي مقابله ان ربك فعال لما يريد اي يفعل بهم ما يريد من العذاب كما يعطي اهل الجنة ما لا انقطاع له قال ابو حيان ما ذكره في اهل النار قد يتمشى بأن يخرجوا من النار الى الزمهرير فيصح الاستثناء واما اهل الجنة فلا يخرجون من الجنة فلا يصح فيهم الاستثناء قال شهاب الدين والظاهر انه لا يصح فيها لان اهل النار مع كونهم يعذبون بالزمهرير هم في النار ايضا وما لهذا انه استثنى من الزمان الذي دل عليه قوله خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك من الزمان الذي شاء الله فلا يخلدون فيها وانما ذكر انه استثنى من الضمير المستتر في الكبار والمجرور وهو قوله ففي النار وفي الجنة لانه لما وقع خبرا تحمل ضمير المبتدأ وحاصلها انه استثنى من الضمير المستتر في الحال وهو خالدين وعلى هذين القولين يكون ما واقعة على من يعقل عند من يرى ذلك او على انواع من يعقل كقوله ما طاب لكم من النساء والمراد بما حسد العصاة من المؤمنين من طرف اهل النار واما في طرف اهل الجنة فيجوز ان يكونوا هم او اصحاب الاعراف لانهم لم يدخلوا الجنة اولا وهلة وما خلد فيها خلود من دخلها اولا وساد سهما قال ابن عطية قيل ان ذلك على طريق الاستثناء الذي ندب الشارع الى استعماله في جل كلام فهو كقوله لندخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين استثنى فيه واجب وهذا الاستثناء هو في حكم الشرط كأنه قال ان شاء الله فليس بخلاف ابو صفة منفصل ولا

معناه الحكم بخلودهم فيها الا ما شاء ربك فهذا الاستثناء يدل على ان هذه الآية لم يحصل بعد ما حصلت جزما فلهذا حسن هذا اللام على ذلك الكلام وبيانها قال الزجاج معنى الاستثناء في قوله الا ما شاء ربك هو

بمنقطع وسابعها هو استثناء من طول المدة ويروى عن ابن مسعود وغيره ان جهنم تخلو من الناس ويخمد لهبها فذلك قوله الا ما شاء ربك وهذا مردود لخلاف الجماعة والسند وما ذكر عن ابن مسعود فما وليه ان جهنم والدرك الاعلى وهي يخلو من العصاة الموحدين هذا على تقدير صحة ما نقل عن ابن مسعود ومنها ان الآخر عطف بمعنى الواو والمعنى وما شاء ربك زايدا على ذلك وساسعها ان الاستثناء منقطع فيقدر بلكن او بسوى ونظروه بقولك لي عليك الف درهم الا الالف التي كنت اسلفتك اي سوى تلك فكانه قيل خالدين فيها ما دامت السموات والارض سوى ما شاء ربك زايدا على ذلك وقيل سوى ما اعد لهم من عذاب غير عذاب النار كالزمهرير ونحوه وعاشرها انه استثناء من مدة السموات والارض التي وضعت لهم في الدنيا وحادي عشرها انه استثناء من البرزخ الذي بين الدنيا والاخرة وثاني عشرها انه استثناء من حوالة المسافات التي بينهم في دخول النار اي ادخولهم اياها بعد زمن وثالث عشرها انه استثناء من قوله ففي النار كانه قال الا ما شاء ربك من اخراجهم وعذبهم وهذا مروي عن ابي سعيد الخدري وجابر ورابع عشرها ان الا ما شاء بمنزلة كما شاء كقوله سائلهم اياهم كم لبثتم الا ما قد سلف اي كما قد سلف وخامس عشرها ان معناه لو شاء ربك لم يخرجهم منها ولكنه لا يشاء لانه حكم لهم بالخلود فيكون ما قبله وما بعده من عشرها انه استثناء من قوله ففي النار وفي الجنة اي الا الزمان الذي شاء الله فلا يكون في النار ولا في الجنة ولكن ايكون هذا الزمان المستثنى هو الزمان الذي يخرج فيه اهل النار من النار ويدخل الجنة فليسوا خالدين في النار اذ قد اخرجوا منها وصاروا الى الجنة وهذا مروي عن قتادة والضحاك وغيرهما والذين شقوا على هذا شامل للكفار والعصاة هذا في طرف الاشقياء العصاة ممكن واما الطرف الاخر فلا يتأتى هذا التأويل فيه اذ ليس منهم من يدخل الجنة ثم يخلد فيها قال ابو حيان يمكن لذي اعتبار ان يكون اريد الزمان الذي بين اهل النار العصاة من المؤمنين او الذي فات اصحاب الاعراف فانهم يفوت ذلك المدة الى دخول المؤمنين فيها الجنة وخلودهم فيها صدق على العصاة المؤمنين واصحاب الاعراف انهم ما خلدوا في الجنة بخلود من دخلها اولا وهلة ثم قال ان ربك فعال لما يريد وهذا يحسن اطلاقه على هذه الآية اذا حملنا الاستثناء على اخراج العصاة من النار كأنه تعالى يقول اظهر القهر والقدرة ثم اظهر العفو والرحمة وفعال لما اريد وليس على حكم الشرط قوله واما الذين سعدوا فقرأ الاخوان وحفص سعدوا بضم السين والباقون بفتحها فالاولى من قولهم سعده الله اي اسعده على الفراء هذه لغة يقولون سعده الله بمعنى اسعده وقال الجوهري يسعد فهو سعيد لسلم فهو سليم وسعده فهو مسعود وقال ابن السكيت ورد سعده الله فهو مسعود واسعده فهو مسعد وقيل يقال سعده واسعده فهو مسعود استغنوا باسم مفعول الثلاثي وحكى عن الكسائي انه قال هما لغتان بمعنى فعل وافعل وقال ابو عمرو بن العلاء يقال سعد الرجل كما يقال

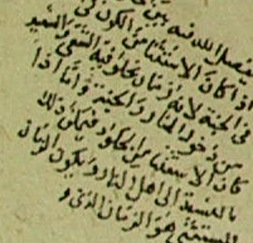

حسن وقيل سعده لغة مهجورة وقد ضعف جماعة قراءة الاخوين قال المهدوي من قرأ
سعد وانه محمول على سعود وهو شاذ قليل لانه لا يقال سعده الله انما يقال اسعده وقال
بعضهم احتج الكسائي بقولهم مسعود قيل ولا حجة فيه لانه يقال مكان مسعود فيه ثم حذفت
فيه وسمي به وكان علي بن سليمان يعجب من قراءة الكسائي سُعد وامع علمه بالعربية فيعجبه
ويعجبه وقال مكي قراءة حمزة والكسائي سعد وبضم السين حملا على قولهم مسعود وهي لغة قليلة
شاذة وقولهم مسعودا نما جاء على حذف الزوائد وقال ابو البقاء وهذا غير معروف في اللغة
ولا مقيس **فصل** قال ابن الخطيب الاستثناء في باب السعداء يحمله على كل الوجوه المذكورة
فيما تقدم وههنا وجه اخر وهو انه ربما اعتقد بعضهم ان رفع من الجنة الى المنازل الرفيعة التي
لا يعلمها الا الله تعالى لقوله تعالى وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات الى ان قال ورضوان من
الله اكبر **قوله** عطاء منصوب على المصدر موكد من معنى الجملة قبله لان قوله فهي لهم خالدين يعطي
اعطاء انعاما فكانه قيل يعطيهم عطاء وعطاء اسم مصدر والمصدر في الحقيقة الاعطاء على
الافعال او يكون على الافتعال او يكون مصدرا على حذف الزوائد كقوله انبتكم من الارض نباتا
او منصوب بمقدر موافق له اي فنبتم نباتا وكذلك هنا تقول عطوت بمعنى ناولت وعبر محمد ود
نعته والمجذوذ المقطوع وقال لغتان الذهب والفضة والحجارة جداد من ذلك
وهو قريب من الجد بالمهملة في المعنى الا ان الراغب جعل جد بالمهملة بمعنى قطع الارض المستوية
ومنه جد في سيره يجد جدا ام قال ومصدر من حدثت القطع المجرد قيل حدد ت
الثوب اذا قطعته على وجه الاصلاح وثوب حديد اصله المقطوع ثم جعل لكل ما احدث
انشاؤه والظاهر ان المادتين متغايرتان في المعنى ويدل لهما فطائر بحوعتق وعتي وكيت
وكيث **فصل** قال ابن زيد اخبرنا الله بالذي يشاء لاهل الجنة فقال عطاء غير مجذوذ
ولم يخبرنا بالذي يشاء لاهل النار وقال ابن مسعود وليأتين على جهنم زمان ليس فيها احد
وذلك بعد ما يلبثون فيها احقابا وعن ابي هريرة مثله وقد تعدم ومعناه عند اهل السنة
انه لم يبق فيها احد من اهل الايمان واما من واضح الكفار فتبقى ابدا **قوله** فلا تك في مرية اي
شك مما يعبد هؤلاء ما شرح اما صيغة عبده الاوثان واتباعه ما حوالها الاشقيا واحوال السعدا
شرح للرسول عليه السلام احوال الكفار من قومه فقال فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء وحذف
النون لكثرة الاستعمال ولان النون اذا وقعت طرف الكلام لم يؤت عند الوقف به الا مجردا لغة
فلا جرم اسقطوه وما في مما يعبد وفي كما يعبد مصدريه ويجوز ان يكون الاولى اسمية دون
الثانية والمعنى انهم ضلال ما يعبدون الا كما يعبد وفيه اضمار اي كما كان يعبد اباؤهم من قبل
وانا لموفوهم نصيبهم من الرزق والخيرات الدنيوية ويحتمل ان يكون المراد انا موفوهم نصيبهم
حظهم من العذاب غير منقوص ويحتمل ان يكون المراد انا موفوهم نصيبهم من راحة العدل
واظهار الدلائل وارسال الرسل وانزال الكتب **قوله** غير منقوص حال من نصيبهم وفي
ذلك احتمالان احدهما ان يكون حالا موكدة لان لفظ التوفية يشعر بعدم النقص فقد يستغنى

معناها من عاملها وهو شان الموكدة الا ان تكون حالا مبينة قاله الزمخشري قال
قلت كيف نصب غير منقوص حالا عن النصيب الموفى قلت يجوز ان يوفى وهو ناقص
ويوفى وهو كامل الا تراك تقوله وفيته شطر حقه وثلث حقه وحقه كاملا وناقصا وطلبه
هذه العبارة انها مبينة اذا عاملها تحتمل المعنى هاو لغيره الا ان ابا حيان قال بعد كلا
هذا وهذه مغلطة اذا قاله وفيته شطر حقه فالتوفية وقعت في الشطر وكذا في الملك والمعنى
اعطيته الشطر والثلث كاملا لم انقصه شيأ واما قوله وحقه كاملا وناقصا اما كاملا
فصحيح وهي حالة موكدة لان التوفية تقتضي الاكمال واما ناقصا فلا تعقل لما قاله التوفية
قال شهاب الدين وفي منع الشيخ ارتكاله وفيه حقه ناقصا نظر اذ هو سابغ في ترجمات
الناس المعتبر قولهم لان المراد بالتوفية مطلق الاداء **قوله تعالى** ولقد اتينا موسى الكتاب
فاختلف فيه الاية لما بين اصرار الكفار مكة على انكار التوحيد وبين اصرارهم على انكار نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم وتكذيبهم اياه من اهوال الكفار كانوا على قدم السيرة الفاجرة مع كل
الانبياء عليهم السلام وضرب لذلك مثلا وهو ايتاء التوراة على موسى فاختلفوا فيه فقبله
بعضهم وانكره اخرون وذلك يدل على ان عامة الخلق كانوا هكذا **قوله** فاختلف فيه اي في
الكتاب وفي على بابها من الظرفية وهو هنا مجاز اي في شانه وقيل هي بمعنى الباء اي بموجب
اختلافهم لقوله تعالى انه ريكم به وكم فيه اي بكثرتهم بسببه ومعنى اختلافهم فيه اي من صدقوا به
وكذب كما نعلم قومك بالقرآن بقضى نبيه صلى الله عليه وسلم وقيل بمعنى على وكون الضمير
لموسى عليه السلام اي فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك في تاخير العذاب عنهم لقضي
بينهم اي عذبوا في الحال لكن قضاؤه اخر ذلك عنهم في بنائهم وقيل المعنى ان الله تعالى انما حكم
بين المختلفين يوم القيمة والا كان من الواجب عبر المحسن المبطل في الدنيا وقيل المعنى
ولولا ان رحمة سبقت غضبه والا لعجل بينهم لم قاله وانهم لفي شك منه مريب يعني ان الباقين
قومك لفي شك من هذا القرآن مريب مرادا به اذا احتمل الريب لغيره او صار هو في نفسه دار يب
وقد تقدم **قوله** وان كلا لما لموفينهم هذه الاية الكريمة مما تكلم الناس فيها قديما وحديثا
وعسر على اكثرهم تخليصها قراه وخرجا فقرا نافع وابن كثير وابو بكر عن عاصم وابن عامر بالتخفيف
والباقون بالتشديد واما لما فقراها شذوذا هنا وفي يس وفي الرحرف وفي سورة الطارق
ابن عامر وعاصم وحمزة الا ان عن ابن عامر في الرحرف خلافا فروى عنه هشام وجهين وروى
عنه ابن ذكوان التخفيف فقط والباقون قراوا جميع ذلك بالتخفيف ويلخص من هذا ان ما نافية
وان كثيرا قراوا وان ولما مخففتين وان ابا بكر عن عاصم خففها وان ثقل لما وان ابن عامر
وحمزة وحفصا عن عاصم شددوا وان ولما معا وان ابا عمرو والكسائي شددا ان
وخففا لما فهذه اربع قراات للقراء في هذين الحرفين هذا هو المتواتر واما في الشاذ
فقد روي اربع قراات اخر احدها قراه ابي والحسن وابان بن ثعلب وان كلا بتخفيفها ورفع
كل لما بالتشديد الثانية قراه اليزيدي وسليمان بن ارقم لما مشددة منونة ولم

يتعرضوا التخفيف ان والتشديد هما السالمة قراءة الاعشى وهي في حرف ابن مسعود كذلك
وان كلا الا تخفيف ان ورفع كل الرابعة قال ابو حاتم الذي في مصحف ابي وان من كل الا ليوفينهم
وقد اضطرب الناس في توجيه هذه القراءات حتى قال ابو شامة ومعنى هذه الايد على هذه
القراءات من اسكل الايات قال شهاب الدين فاما قراءة الكوفيين فيحتمل اعمال ان المخففة
وهي لغة ثابتة عن العرب قال سيبويه حدثنا من نثق به انه سمع من العرب من يقول ان عمرا
لمنطلق كانوا لو اكاد تقيد حقان قال ووجهه من القياس ان ان يشبهه في نصبها بالفعل
والفعل يعمل محذوفا منه كما يعمل غير محذوف منه نحو ايك وبد منطلقا فلانا في مرتيه ولذلك لا
ادري قال شهاب الدين وهذا مذهب البصريين اعني ان هذه الاحرف اذا خففت تقصرها
جاز ان يعمل وان يهمل كان والاكثر الاهمال وقد اجمع عليه في قوله وان كلا لما جميع لدينا محضرون
يجب اعماله كان بالفتح وكان ولكنها لا يعملان الا في مظهر ولا اضمار الا ضرورة وتقدمها
يجب اهماله عند الجمهور كلكن واما الكوفيون فموصول الاعمال وان المخففة والشباع
حجة عليهم بدليل هذه القراءة المتواترة وقد اسند سيبويه على اعمال هذه الحروف مخففة
قوله كان ظبية تعطو الى وارق السلم قال الفراء لم يسمع العرب يحذف ويعمل
الا مع المكنى كقوله فلو انك في يوم الرخاء سألتني طلاقك لم ابخل وانت صديق
قال لان الكنى لا يظهر فيه اعراب واما مع الظاهر فالرفع وقد تقدم ما انشده
سيبويه وقوله الاخر كان يديه حقان كان وريديه رشا خلب
الرشا الحبل والخلب الليف هذا ما يتعلق ببيان واما ما في هذه القراءة فاللام
فيها هنا لام ان الداخلة في الخبر وما بعدها ان يكون موصولا بمعنى الذي واقعا على
من يعقل لقوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء فاوقع ما على العاقل واللام في ليوفينهم
جواب قسم مضمر والجملة من القسم وجوابه صلة للموصول والعذر وان فلا للذين والله
ليوفينهم ويجوز ان يكون ما نكرة موصوفة والجملة القسمية وجوابها صفة لها والعذر
وان كلا لما لجمعوا والله ليوفينهم ويجوز ان يكون ما نكرة موصوفة والجملة القسمية
وجوابها صفة لها والمتقدير والموصول وصلته او الموصوف وصفته خبر لان وقال
بعضهم اللام الاولى هي الموطئة للقسم ولما اجتمع اللامان والتقيا في اللفظ فصل بينهما
بما كما فصل باللام بين النون في ليضربنان وبين الياء في نحو انت وظاهر هذه العبارة
ان ما هنا زائدة جيء بها للفصل اصلاحا للفظ وعبارة الفارسي مودية بهذا الا انه
جعل اللام الاولى لام ان وقال المعروف ان يدخل لام الابتداء على الخبر والخبر هنا هو القسم
وليه لام يدخل على جوابه فلما اجتمع اللامان والقسم محذوف والتقيا في اللفظ وفي تلقي
القسم فصلوا بينهما كما فصلوا بين ان واللام وفصل الحوفي على انها لام ان وصرح الزمخشري
بذلك فقال واللام في لما موطئة للقسم وما مزيدة وقال ابو شامة واللام هي الفارقة بين
المخففة من الثقيلة والنافية وفي هذا نظر لان الفارقة انما يؤتى بها عند التباسها بالنافية

عام

والا لتباس انما يجيء عند امالة الخوان وبدا لتباسهم وبين الآية الكريمة معلة فلا التباس لما بينه
فلا يحتاج الى انها فارقة فلخص من كل من اللام وما بلا مة اوجه احدها في اللام انها للابتداء الداخلة
على خبر ان الثاني في اللام موطئة للقسم الثالث انها جواب القسم كررت تاكيدا والاولى من اوجه
ما انها موصولة الثاني انها نكرة الثالث انها مزيدة للفصل بين اللامين واما
قراءة ابي بكر فيها اوجه احدها قول الفراء وجماعة من نحاة البصرة والكوفة وهو ان
الاصل لمن ما بكسر اللام على انها من الجارة دخلت على ما الموصولة او الموصوفة كما تقول
اني لمن الدين والله ليوفينهم فلما اجتمعت النون الساكنة قبل ميم ما وجب ادغامها
فيها فعلت مما وادغمت فصارت اللام مثال فحذفت الكلمة بحذف اصلها
وصار اللفظ كما تترى لما قال نصر بن علي الشيرازي وصل من الجارة بما فاعلة النون
ايضا سما للادغام واجتمعت ثلاث ميمات فحذفت احداهن فبقي لما بالتشديد
قال وهاهنا بمعنى من وهو اسم لجماعة الناس كما قال تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء
اي من طاب والمعنى وان كلا من الذين ليوفينهم ربك اعمالهم او جماعة ليوفينهم ربك
اعمالهم وقد عبر المهدوي الميم المحذوفة بما حذف الميم المكسورة من حلق
ليوفينهم الثاني قول المهدوي ومكي ان اصل لمن ما بفتح ميم من على انها موصولة
او موصوفة وما بعدها فاجتمع ثلاث ميمات فحذفت الوسطى منهن وهي المبدلة
من النون فقيل لما قال مكي والتدبر وان كلا لخلق ليوفينهم ربك اعمالهم فيرجع الى
معنى القراءة الاولى بالتصنيف وهذا هو الذي حكاه الزجاج عن بعضهم قال
وزعم بعض النحويين ان اصله لمن ما فقلبت النون ميما فاجتمعت ثلاث ميمات
فحذفت الوسطى قال وهذا القول ليس بشيء لان من لا يجوز حذف بعضها لانها
اسم على حرفين قال ابو اسحق هذا خطأ لانه حذف النون من من فبقي
حرف واحد وقد رد الفارسي ايضا قال اذا لم يبقوا الادغام على حركة الساكن
قبل الحرف المدغم في نحو قدم مالك وان لا يجوز ان يحذف احد ثلاث على ان في هذه السورة
ميمات اجتمعت في الادغام اكثر مما كانت تجتمع في لما ولم يحذف منها شيء وذلك
في قوله تعالى وعلى امم ممن معك فاذا لم يحذف شيء من هذا فان لا يحذف ثم احرى قال
شهاب الدين اجتمع في امم ممن معك ثمانية ميمات وذلك ان امما فيها ميمان ونون
والسور يطلب فيما الادغام فيه في ميم مر ومعنا فنونان نون من الجارة ونون
من الموصولة وطلبنا ايضا فيما الادغام فيها في الميم بعدها ومعنا ميم معك فيحصل
معنا حين يمات ملفوظ بها وثلاثة متقلبة احداها عن سين وانثنان عن نون
واستدل الفراء على ان اصل لما لمن ما بقول الشاعر

وانا لمن ما ضرب الكبش ضربه على راسه يلقى اللسان من الفم

وقوله الاخر واني لمن ما احذر الامر وجهه اذا هو اعيا بالسبيل مصادره

وقد تقدم في آل عمران في قراءة من قرأ واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم الآية ما الاصل في ما تعمل فيه ما تقدم وهذا احد الاوجه الجائزة في تخريج هذا الكلام هنا فالتفت اليه وقال ابو شامة وما قاله الفراء استنباط حسن وهو قريب من قولهم في لكنا موالله ان اصله لكن انا ثم حذفت الهمزة وادغمت النون في النون وكذا قولهم امامك منطلقا انطلقت قالوا المعنى لازمك منطلقا وبما قاله نظر لانه لم يسبق حذف البتة وانما كان يحسن النظير ان لو كان قبلنا جاء ادغام ثم حذف وانما يجرد النظر بالغلب والادغام فقط فليتأمل قال ابو شامة وما احسن ما استخرج الشاهد من البيت يعني الفراء شر الفراء اراد ان يجمع بين لغتي التخفيف والتشديد من لما في معنى واحد فقال لم يخفف كما فعل القراء الا نافع بخلاف عنه بحذف الياء اشد في الكسائي

• واشمت العداة بنا فاصبحوا • لدى بتباشرون بما لقينا •

حذفت تاؤه لاجتماع اليبانات قال شهاب الدين الاولى ان يقال حذفت تبعا للاضافة فبقيت الالف الساكنة قبلها المنقلبة عن الالف التي لدى وهو مثل قراءة من قرأ ما بني الاسكان كاسنى واما اليامن بتباشرون فاثبته لانه لا شبه لها على المضارعة قال الفراء ومثله • كان مراجرها القادم • مريد الى القادم فحذف اللام عند اللام وتوجيه قولهم مراجرها القادم ان الف الى حذفت لالتقاء الساكنين لان الف الى ساكنة ولام التعريف من القادم ساكنة وهمزة الوصل حذفت درجا فلما التقيا حذف اولهما فالتي لاما ان لام الى ولام التعريف لحذف الثانية على رأيه والاولى حذف الاولى لان الثانية دالة على التعريف فلم يبق من حرف الى غير الهمزة فاتصلت بلام القادم فبقيت الهمزة على كسرها فلهذا يلفظ بهذا الكلمة من اخرها القادم بهمزة مكسورة تابعة درجا لانها همزة قطع قال ابو شامة وهذا قريب من قولهم لملكذب • وعلما بوفلان وملعنبر • مريدون من الكذب • وعلى المانو فلان • وبنو العنبر • قال شهاب الدين يريد قوله • ابلغ ابا دختنوس ما لكة • غير الذي قد يقال له ملكذب • المالكة الرسالة وقوله الاخر •

• فاسبق العقبى من سوفعله • ولكرطغت علما آء غرلة خالد •

الغرلة القلفة • وقوله الاخر •

• نحر قوم ملجن في زي ناس • فوق طير لها شخوص الجمال •

مريد من الجن قال الترمذي في شرح الحماسة وهذا مقيس وهو ان لام التعريف اذا ظهرت في الاسم حذف الساكن قبلها لان الساكن لا يدغم في الساكن يقول اكلت ملحنبر • ولبست ملحنيل • وحلت علجمل • وقد رد بعضهم قول الفراء ان نون من لا تحذف الا في ضرورة وانشد ملكذب • الثالث ان اصلها لما التي للنفي ثم شددت

وانكر هذا ابو عثمان قال الزجاج وهذا ليس بشيء لانا لسنا نثقل ما كان على حرفين وانما نلحق الحرف على العكس من ذلك نحذفون ما كان مثقلا نحو رب في رب وقد ذكرنا توجيهه انه وقف عليها شددها كما قالوا رأيت فرجا وقضبا ثم اجرى الوصل مجرى الوقف وفي هذا نظر لان المضعف انما يكون في الحرف اذا كان اخرا فاما لميم منا حشو لان الالف بعدها الا ان يقال انه اجرى الحرف المتوسط مجرى الاخر كقوله مثل الحريق واقع القضبا يريد القصب فلما اشبع الفتحة تولد منها الف وضعف الحرف وكذلك قوله

بازل وجناء او عيهلة • كادتهما او على الكلكل • شدد اللام مع كونها حشوا بيانا للاطلاق وقد يفرق بان الالف والياء هذين البنيين في حكم المطرح لانهما انشأ من حركة بخلاف الف لما فانها اصلية ثابتة وبالجملة فهو وجه ضعيف جدا الرابع ان اصلها لما بالتنوين ثم بني منه فعلى فارحلة الفه للساعة لم نصرفه وان جعلها للالحاق صرفته وقد كما قالوا في ستزى بالتنوين وعدمه وهو ما حوذ من قولك لممته اي جمعته والمعنى وان كلا جميعا لموفيهم ومكون جميعا فيه معنى التوكيد لكل ولا يسكن جميعا بمعنى زايدا على كل عند بعضهم قال ويدل على ذلك قراءة من قرأ لما بالتنوين الخامس ان الاصل لما بالتنوين ايضا ثم ابدل التنوين الفا وقفا ثم اجرى الوصل مجرى الوقف وقد منع من هذا الوجه ابو عبيد قال لان ذلك انما يجوز في الشعر يعني ابدال التنوين الفا وملا اجراه مجرى الوقف وسياتي توجيه قراءة لما بالتنوين والسادس ان اللام حذفت استعمالا لما في هذا المعنى بعيد وحذف التنوين من المنصرف في الوصل بعيد فان قيل لما فعلى من اللمم ومنع الصرف لاجل الالف الزائدة والمعنى فيه مثل معنى لما المنصرف فهو بعيد اذ لا تعرف لما فعلى بهذا المعنى ولا بغيره ثم كان يلزم هود ان يميل الم ال وهو خلاف الاجماع وان يكتبوها بالياء وليس ذلك مستقيما السادس ان لما بمعنى الا قاله ابو الفتح وغيره وهذا وجه لا اعتبار به فانه مبني على وجه ضعيف ايضا وهو ان الالف الثانية زائدة السابع ان ان نافية بمنزلة ما ولما بمعنى الا فهو كقوله ان كل نفس لما عليها اي ما كل نفس الا عليها وان كلا لما سماع اي ما كل ذلك الا متاع واعترض على هذا الوجه بان ان النافية لا ينتصب الاسم بعدها وهذا اسم منصوب بعدها واجاب بعضهم عن ذلك بان كلا منصوب بما ضمر فعل يفسره فهو من باب ابو عمرو بن الحاجب وان اري فلا وان اعلم ونحوه قال ومن ههنا كانت افعل اسكالا من قراءة ابن عامر لنقولها هذا الوجه الذي هو مستبعد ذلك لا ستبعاد وان كان نصب الاسم الواقع بعد حرف النفي استبعاد ولذلك اختلف في مثل قوله الا رجلا جزاه الله خيرا • يدل على محصله بكيته • هل هو منصوب بفعل مقدر او بنزع الخافض او بتنوين ضرورة فاختار الخليل اضمار الفعل واختار يونس التنوين للضرورة وعذرة بعضهم بعد لما مر لفظ لتوفينهم والتقدير وان كلا الا ليوفين ليوفينهم وبهذا

التقدير بعد كثرا واستاح لان ما بعد الا لا يعمل فيما قبلها واستدل على ان
الخليل وسيبويه على ذلك ونصر الرجاج قال بعضهم وهي لغة هذيل يقولون ما اكل
ما فعلت اي الا فعلت واكثر الفراء وابو عبيد وردا بمعنى الا قال ابو
مسلم وما سا ويل الا علم نجد هذا في كلام العرب ومن قال بهذا لزمه ان يقوله قام القوم
لما اخاك يريد الا اخاك ومذا غير موجود وقال الفراء اما من جعل لما بمنزلة الا فهو وجه
لا نعرفه وقد قالت العرب في اليمين بالله لما فعلت عنا وانما في الاستثنا فما قلته
في شعر ولا في غيره الا ترى ان ذلك لو جاز لسمعت في الكلام ذهب الناس لما زيد انا ابو عبيد
اكثر مجيء لما بمعنى الا مطلقا والفراء جوز ذلك في القسم خاصة وتبعه الفارسي وقال في شديد
لما ههنا لا يقطع ان يكون بمعنى الا لان لما هذه لا تفارق القسم وردا الناس قوله عما حكاه
الخليل وسيبويه وما بها لغة هذيل مطلقا وفيه نظر فانهم لما حكوا لغة هذيل حكوها
في القسم كما تقدم من نحو نشدتك بالله لما فعلت واسئلك بالله لما فعلت وقال ابو علي
ايضا مستشكلا للسديد لما في هذه الآية على تقدير ان لما بمعنى الا لا تختص بالقسم ما معناة
السديد لما صنعت سوا سددت ام خفت قال لانه قد نصب بها كلا واذا نصبت بها لم تختص
كما بعد الا المثقلة فكما لا يحسن ان زيدا الا منطلق لان الايجاب بعد نفي ولم يتقدم هنا الا
ايجاب موكد فكذا لا يحسن ان زيد لما منطلق لانه بمعناه وانما ساغ نشدتك الا فعلت
ولما فعلت لان معناه الطلب فكانه قال ما اطلب منك الا فعلك فحرف النفي مراد مثل
ما الله تنوء ومثل ذلك ايضا قولهم بشراهر ذا ناب اي ما اهره الاشر قال
وليس في الآية معنى النفي ولا الطلب وقال الكسائي لا اعرف وجه الثقيل في لما قال
الفارسي ولم يعد فيما قال وروي عن الكسائي ايضا انه قال الله عز وجل اعلم بهذه القراءة
لا اعرف لها وجها الدامر قال الرجاج قال بعضهم قولها ولا نحو عن ان لما في معنى الاشتغال
اركل نفس لما عليها حافظ ثم اسبع ذلك كلام طويل مشكل حاصله يرجع الى معنى ان زيدا لمنطلق
ما زيد الا منطلق واجريت المشددة كذلك وفي هذا المعنى اذا كانت اللام في خبرها وعلامتها
النصب في اسمها ما فتحاله مشددة ومخففة والمعنى فيهما واحد واثبات باللام التي بمعناها
واما قراءة ابن عامر وحمزة وحفص فيها وجوه احدها ان المشددة على حالها
فلذلك نصب ما بعدها على انه اسمها واما ما فالام فيها كما تقدم من ان الاصل لمن ما
بالكسر او لمن ما بالفتح وجميع تلك الاوجه المذكورة تعود هنا والقول بكونها بمعنى
الا مشكل كما تقدم تحريره عن ابي علي وعن الباقين قال المازني ان هي المخففة ثقلت وهي
نافية بمعنى ما كما خففت ان ومعناها المثقلة ولما بمعنى الا وهذا اول ساقط جدا لا اعتبار به
لانه لم يعهد سقيل ان النافية وايضا فلا بعدها منصوب والنافية لا تنصب البتة
ان لما هنا هي الجازمة للمضارع حذف مجزومها لفهم المعنى قال ابو عمرو بن الحاجب في امالية
لما هذه هي الجازمة حذف فعلها للدلالة عليه لما ثبت من جواز حذف فعلها في قولهم

بعد ذلك وتكثرت ولما وهو سايغ فصيح فيكون المعنى وان كلا لما يهملوا ويتركوا الناس من
الدلالة عليه من تفصيل المجموع عن قولهم شتى وسعيدهم فمنهم الشقيا والسعدا ومجازاتهم ثم
بقوله لهم ربك اعمالهم وقال ما اعرف وجها اشبه من هذا وان كانت
النفوس تستبعد مجيء ان بمعنى ما لم يرد في القرآن قال ابو حيان وابى استعاده قال شهاب الدين
وقد نص النحويون على ان لما تحذف مجزومها باطراد قالوا الا انها لنفي فعل وقد يحذف
مجزومها الفعل كقوله ابو الفرج غرا ان كانا لما تزله برحالنا وكان قد اي وكان قد زالت
فكذلك متفيد وممن نص عليه الزمخشري على حذف مجزومها وانشد يعقوب على ذلك في كتاب
معاني الشعر له قول الشاعر لحيت قبورهم بدا ولما فنادتهم القبور فلم يجبنه
قال قوله بدا اي سيدا وبدا القوم سيدهم وبدا الجزور وخيرا مضيها قال
وقوله ولما اي ولما اكن سيد الاحي ما فوافاني سددت بعدهم كقول الآخر
حلت الديار وسددت غير مسود ومن العنا تفردي بالسودد
مالت ما قد نلت الا بعد ما ذهب الكرام وساء غير السيد
قال وعطف السكوت على المادون فعلها السكوت على قدرون فعلها في قول النابغة افد
الرحل البيت قال شهاب الدين وهذا الوجه لا خصوصية له بهذه القراءة بل يجري فيها
من شدد لما سواء شدد ان او خففها وامالها. اي عمرو والكسائي فواضحة جدا فانها
ان المشددة عملت عملها واللام الاولى لام الابتداء الداخلة على خبر ان والثانية حوف قسم
محذوف اي وان كلا للذين والله ليوفينهم وقد تقدم وقوع ما على العقلاء مرارا وعطف
هذه الآية قوله تعالى وان منكم لمن ليبطئن غير ان اللام في لمن داخلة على الاسم وفي لما
داخلة على الخبر وقال بعضهم ما هذه زايدة وزيدت للفصل بين اللامين لام التاكيد ولام
القسم وقيل اللام في لما موطية للقسم مثل اللام في قوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك والمعنى
وان جميعهم والله ليوفينهم ربك اعمالهم مر حسن وقبح وايمان وجحود وقال الفراء عند ذكر
هذه القراءة جعل ما اسما للناس كما جاز ما كنتم ما كان لكم من الناس جعل اللام التي فيها جوابا
لان وصل اللام التي في ليوفينهم لما هو طلت على بعد بين قبلها وصلتها كما تقول
هذا من لعندي درهم وعندي ما لغيره خير منه ومثله وان منكم لمن ليبطئن ثم قال ذلك
ما يدلك على ان اللام مكررة معناه اذا اجتمعت العرب باللام في غير موضعها اعادوها كما انه
نحو اندا لا الك لمحسن ومثله ولوان قرآنا سيرت به الجبال لكان هذا القرآن لبعض لقد لاقيت لا بد منه
قال ادخلها في بعض وليس بموضعها وسمعت ابا الحراح تقول اني لبعد الله لصالح وقال
الفارسي في توجيه هذه القراءة وجهها بين وهو انه نصب كلا بان وادخل لام الابتداء
في الخبر وقد دخلت في الخبر لام اخرى وهي التي تسلقي بها القسم وهي الداخلة على الفعل فلما
اجتمعت اللامان فصل بينهما كما فصل بين ان واللام فدخل ما وان كانت زايدة للفصل
وتقله في العلام ان زيدا لما لينطلق فهذا ما تلخص من توجيه هذه القراءات الاربع وقد طعن

بعض الناس بعضها عما لا تحتمل له فلا حاجة بنا الى الكلام قال المبرد وهذا
هذا لحن بعين تشديد لما قال لان العرب لا تقول ان زيدا لما خارج وهذا مردود
عليه قال ابو حيان وليس تركيب الآية كتركيب المثال الذي قالوه وان زيدا
لما خارج هذا المثال لحن قال شهاب الدين ان عنى انه ليس مثله في كونه دخلت
لما المشددة على جبر ان فليس كذلك بل هو مثله في ذلك فيسلم له الحكم في المثال
المذكور ليس بصواب لانه يسلزم ما لا يجوز ان يقال وقال ابو جعفر النحاس
عند الزجاج النحوي لحن حكى عن محمد بن يزيد انه قال ان هذا لا يجوز وكذا حكى ابن ولاد
الا لا مزيدة وكذا لما لا مزيدة قال وقال الكسائي انه عن يونس جر اعلى لا العرف فاصلة
القراءة وجها وقد تقدم ذلك وتقدم ايضا ان الفارسي قال كما لا يحسن ان زيدا
الا لمطلق لان الكاف بعد متى ولم تقدم هنا الا الكاف موكدة فكذا لا يحسن ان زيدا
لما مطلق لانه نعناه وانما ساغ تشديد بالله لما تعلقت الى اجر كلامين وهذه
اقوال مرغوب عنها لانها معارضة للمتواتر القطعي **واما القراءات**
الشاذة فاولها قراءة ابي ومن معه وان كل بحذف ان ورفع كل على انها ان النافية
وكل مبتدأ ولما مشددة بمعنى الا ولموفينهم جواب قسم محذوف وذلك القسم
وجوابه خبر المبتدأ وهي قراءة واضحة كقولهم والله لا قعدن ولا كلمن وان كل لما جميع ومثله
وان كلا ذلك لما ساع ولا التفات الى قول من يرى ان لما بمعنى الا فقد تقدم ادلة
واما قراءة الزيدي وان ارفع لما بالتشديد منونة فلما فيها مصدر من
قولهم لمته اي جمعته لما ومنه قوله تعالى وياكلون التراث اكلا لما اي يجمعه
وجهان احدهما ما قاله ابو الفتح وهو ان يكون منصوبا بقوله لموفينهم على
حد قولهم قياما لا قوم وقعودا لا اقعد والمعنى يوفيه جامعة لاعمالهم
لموفينهم يعني انه منصوب على المصدر الملاقي لعامله في المعنى وذلك ان استيفاق
والسابق ما قاله ابو علي الفارسي وهو ان يكون وصفا لكل وصفا بالمصدر مبالغة
وعلى هذا فيجب ان يقدر المضاف اليه نكرة ليصح وصف كل بالنكرة اذ لو
قدر المضاف معرفة لتعرفت كل ولو تعرفت لامتنع وصفها بالنكرة فلذلك
قدر المضاف اليه نكرة ونظير ذلك قوله تعالى وتاكلون التراث اكلا لما اي تاكلونه
لما معتا لا ملا وهو كثير قاله ابو علي ولا يجوز ان يكون حالا لانه لا شيء في الكلام
عامل في الحال وظاهر عبارة الزمخشري انه تاكيد تابع لكلا فانه قال وانتصابها اجمعون او
انه منصوب على النعت لكلا فانه قاله وان كلا لما ليوفينهم كقوله اكلا لما ملمومين
بمعنى مجموعين كانه قيل وان كلا جميعا لقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون
انتهى ولم يرد بذلك انه تاكيد صناعي بل فسر معنى ذلك واراد انه صفة لكلا

ولذلك

وتوفيه ثمرة عن وقد تقدم في بعض ترجمات لما بالسديد من غير نون ان النون
اصلها بالا انها اجري الوصل مجرى الوقف وقد عرفت ما فيه وخبر ان على هذه القراءة
ترجمة الضمير المقدر وجوابه سوافي ذلك نحو ان زيدا خرج اي الفتح وخرج شيخه واما
قراءة الاخوين فواضحة جدا وهي مشهورة لقراءة الحسن المتقدمة لولا ما فيها من مخالفة
سواد الخط واما قراءة ما في مصحف ابي كما نقلها ابو حاتم فان فيها ما فيه ومرادة بالنفي
وكل مبتدأ او لموفينهم مع قسمه المقدر خبرها هو وصوله الى قراءة العامة التي قبلها اذ يصير
التقدير يقولون مرة ان كل الا لموفينهم والتنوين فيه كالعوض من المضاف اليه قاله الزمخشري
حتى ان كلهم وان جميع المخلوقين فيه وقد تقدم انه على قراءة لما بالتنوين لا يحرج اي على
انه لا تقدر المضاف اليه كل النكرة لاحظ تعينها بالنكرة وقد تضمنت هذه الآية الكريمة من
المؤكدات قسما التوكيد بان وكل ولام الابتداء الداخلة على خبر ان ونون
وبالقسم المقدر وباللام الواقعة جوابا له ونون التوكيد وكونها مشددة وايراد انها
بالجملة الاسمية بعد ما من قوله امنا عاملون جميعا فانه مضمن وعيدا شديدا للعاصي ووعدا عظيما
للطايع وقرا العامة يعملون سا العيبة جريا على ما تقدم من المخلوقين وقرا ابو عمرو مما تعملون
بالخطاب فجوز الزمخشري ان يكون التفاتا الى خطاب غيرهم **فصل** ومعنى الآية ان من عجلة عقوبته ومن
اجرته ومن صدق الرسل ومن خالفهم سوافي انه تعالى يوفيهم اجزاعالهم في الآخرة فجمع الآية
الوعد والوعيد بان يوفيه جزاء الطاعات وعد عظيم ويوفيه جزاء المعاصي وعيد عظيم
وقوله انه بما تعملون خبير يوكد للوعد والوعيد فانه لما كان عالما بجميع المعلومات كان
عالما بمقادير الطاعات والمعاصي وكان عالما بالقدر اللائق بكل عمل من الجزاء الحسن والقبيح
فصيغ شيء من الحقوق وذلك نهاية البيان **قوله تعالى** فاستقم كما امرت الآية لما
شرح الوعد والوعيد قال لرسوله فاستقم كما امرت وهذا كلمة جامعة لكل ما يعلو ولكل ما يتعالى
والاعمال سواء كان تحصيلها او متعلقا بتبليغ الوحي وسائر الشرايع ولا شك ان القيام على
الاستقامة الحقيقية مشكل جدا قال الخطيب وانا اضرب لك لذلك مثلا يقرب صعوبته
هذا المعنى الى العقل السليم وهو ان الخط المستقيم الفاصل بين الطل وبين الضوء حرف واحد
لا يقبل القسمة في العرض وذلك الخط ما لم يدركه الحس وانه اذا وقع طرف الظل من طرف
الضوء اشتبه البعض بالبعض ولم يقدر الحس على ادراك ذلك الخط بعينه بحيث
يميز عن كل ما سواه واذا عرفت هذا في المثال فاعرف مثاله في جميع ابواب العبودية
فاولها معرفة الله وتحصيل هذه المعرفة على وجه سوي العمل مصونا في طرف الاثبات عن
التشبيه وفي طرف النفي عن التعطيل في غاية الصعوبة واعتبر سائر مقامات المعرفة من تشكك
القوة الغضبية والقوة الشهوانية حصل لك واحد منها طرف افراط وطرف تفريط وبينهما
حد موصوف وهو التوسط بينهما حيث لا سبيل الى احد الجانبين والوقوف عليه صعب
فثبت ان معرفة الصراط المستقيم في غاية الصعوبة لا جرم عقبه بما يتولد على رسول الله صلى

ومتقدم معرفة فاتبعا كلمة
والتقدير اصمد والكاف هنا
الكاف في غاية الصعوبة تم

الله عليه وسلم في جميع القرآن اية اشق من هذه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم شيبتني هود واخواتها
روي عن بعضهم قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت له روي عنك انك قلت
شيبتني هود فقلت ورأى اية فقال قوله فاستقم كما امرت **قوله** كما امرت الكاف في محل النصب
اما على النعت لمصدر محذوف كما هو المشهور عند المعربين قاله الزمخشري اي استقم استقامة
مثل الاستقامة التي امرت بها على جادة الحق من غير عدول عنها واما على الحال من ضمير ذلك المصدر
واستغنى هنا للطلب كانه قيل اطلب الاستقامة على الدين قاله كما تقول استغفر اي اطلب الغفران
قوله ومن تاب معك في من وجهان احدهما انه منصوب على المفعول معه كذا ذكره ابو البقاء
وتصير المعنى استقم مصاحبا لمن تاب معك مصاحبا لك وفي هذا المعنى نوع من ظاهر اللفظ والثاني
انه مرفوع بانه عطف على المستتر في استقم واغنى الفصل بالجار عن تاكيده بضمير منفصل في صحة
العطف وقد تقدم هذا البحث في قوله اسكن انت وزوجك وان الصحيح انه من عطف الجمل
لا من عطف المفردات ولذلك قدره الزمخشري فاستقم انت وليستقم من تاب معك فقدر الرافع
له فعلا لاقترانه بالضمير الظاهر وقاله الواحدي محلها انتصب بقدره ومن تاب معك فليستقم
فصل معنى الاية فاستقم كما امرت على دين ربك والعمل به والدعاء اليه كما امرت ومن تاب معك اي من امن بمكة
فليستقيموا قال عمر لحطاب رضي الله عنه الاستقامة ان تستقيم على الامر والنهي ولا تروغ روغان
الثعلب روى مشام بن عروة عن ابيه عن سفين بن عبد الله الثقفي قال قلت يا رسول الله قل لي في
الاسلام قولا لا اسأل عنه احدا بعدك قال قل امنت بالله ثم استقم **فصل** هذه الاية
اصل عظيم في الشريعة ودلك ان القرآن لما ورد بترتيب الوضوء في اللفظ وجب اعتبار الترتيب
فيه لقوله فاستقم كما امرت ولما ورد الامر في الوتر بادا الاداء مر الامر بالوتر والشفع من المغرب وجب اعتبار
وكذلك القول في كل ما ورد الامر به قاله ابن الخطيب وعندي انه لا يجوز تخصيص النص بما تعارف الناس
دليل عموم النص على حكمه وجب الحكم بمقتضاه لقوله تعالى فاستقم كما امرت فكما لا يعلم ان العباس لم
يدخل مكة ولا تطغوا اي لا تجاوزوا المرئي ولا تعصوني وقيل لا تطغوا فتربدوا على ما امرتم ونهيتم
والطغيان تجاوز الحد وقيل لا تطغوا في القرآن فتحلوا حرامه وتحرموا حلاله وقال ابن عباس توا ضعوا
لله ولا تكبروا على احد انه بما تعملون بصير قرأ العامة تعلون بالتاء جريا على الخطاب المتقدم وقرأ
الحسن والاعمش وعيسى الثقفي بالياء الغيبة وهو التفات من خطاب لغيبة على ما تقدم في بما تعملون
خبير **قوله** وقرأ قوم العامة بضم التاء والكاف والماضي من هذا ركن بكسر العين تركن بفتحها
هي الفصحى كذا قال الازهري قال غيره وهي لغة قريش وقرأ ابو عمرو في رواية تركنوا بكسر حرف المضارعة
وقد تقدم ذلك في قوله تسعير وقرأ قتادة وطلحة والاشهب وروبد عن ابي عمرو وقرئ بفتحهما من
ضم العين وهو مضارع ركن فتحها كقتل يقتل وقال بعضهم هو من الدخول يعني ان من قطن ركن بكسر
العين قال له ركن فتحها وكان من حقه ان يفتح فلما ضم علمنا انه استغنى بلغة غيره في المضارع عن لغته
واما في هذه القراءة فلا ضرورة بنا الى ادعاء الدخيل بل يدعى ان من فتح الكاف اخذه من ركن بالكسر
ومن ضمها اخذه من ركن بالفتح وقد قال الراغب والصحيح انه يقال ركن يركن بالفتح وركن

يركن بالكسر في الماضي مع الفتح في المضارع وبالعكس في الماضي مع الضم في المضارع وشذ ايضا قولهم
ركن يركن بالفتح فيهما وهو من الدخيل فتحصل من هذا انه يقال ركن بكسر العين وهي اللغة العالية
كما تقدم وركن بفتحهما وهي لغة قيس وتميم زاد الكسائي ونجد في المضارع ثلاث الفتح والكسر والجمع
وقرأ ابن ابي عبلة وكنوا مبنيا للمفعول مراركنه اذا اماله فهو من باب لا اريتك ههنا وفلانا مكي في صدر
حرج وقد تقدم والركون الميل ومنه الركن للاستناد اليه **قوله** فتمسكم منصوب بالضمان في
جواب النهي وقرأ ابن وثاب وعلقمة والاعمش فتمسكم بكسر التاء وقد تقدم **قوله** وما لكم
هذه الجملة يجوز ان تكون حالية اي يمسكم حال انتفاء ناصركم ويجوز ان يكون مستانفة ومن اولياء
مرفوعة زائدة اما في الفاعل واما في المبتدا الاول الجار اذا اعتمد على شيء احدها النفي ورفع الفاعل
قوله ثم لا تنصرون العامة على سوغ الرفع لانه فعل مرفوع اذ هو من باب عطف الجمل عطفت جملة
فعلية على جملة اسمية وقرأ زيد بن علي رضي الله عنهما بحذف نون الرفع عطفه على تمسكم والجملة
على ما قدم من الحالية او الاستئناف فتكون معترضة واتى بميم تثنيتها على ساعد الرتبة **فصل**
معنى الاية قال ابن عباس ولا تميلوا اركنوا هو المحبة والميل بالقلب قال ابو العالية لا ترضوا بأعمالهم
وقال السدي لا تداهنوا الظلمة وعن عكرمة لا تطيعوهم وقيل لا تسكنوا الى الذين ظلموا فتمسكم فتصيبكم
النار وما لكم من دونه من اولياء اي ليس لكم اولياء اعوان يخلصونكم من عذاب الله ثم لا تجدوا من
ينصركم **قوله تعالى** واقم الصلوة طرفي النهار الاية لما امره بالاستقامة اردفه بالامر بالصلوة
وذلك يدل على ان اعظم العبادات بعد الايمان بالله هو الصلوة **قوله** طرفي النهار ظرف لاقم
وجمعه ان يكون ظرفا ولكنه لما اضيف الى الظرف اعرب ما عرابه وهو لتولد اثنيه اول
النهار واخره ومنصف الليل منصب هذه كلها على الظرف لما اضيفت اليه وان كانت ليست موضوعة
للظرفية وقرأ العامة زلفا بضم الراء وفتح اللام وهي جمع زلفة بسكون اللام نحو غرفة وغرف في جمع
غرفة وظلم في جمع ظلمة وقرأ ابو جعفر وابن ابي اسحاق بضمها وفي هذه القراءة ثلاثة اوجه
احدها انه جمع زلفة ايضا والضم للاتباع كما قالوا بسر وبسر بضم السين اتباعا لضمة الباء
والثاني انه اسم مفرد على هذه الوزنة كعنق ونحوه والثالث انه جمع زليف قاله ابو البقاء وقد
يطوقه يعني انهم قالوا رليف وفعيل يجمع على فعل نحو رغيف ورغف وقضيب وقضب وقرأ
مجاهد وابن محيصن باسكان اللام وفيها وجهان احدهما انه يحتمل ان يكون هذه القراءة مخففة
من ضم العين فيكون فيها ما تقدم والثاني انه يكون اصلي مرياب اسم الجنس نحو سبع وسبع ونهر
نهر اساغ وقرأ مجاهد وابن محيصن ايضا وزلفى بزنة حبلى جعلوها على صفة الواحدة
المؤنثة اعتبارا بالمعنى لان المعنى على المنزلة الزلفى او الساعة الزلفى او القربة وقيل انه
يجوز ان يكون ابدل السوين الفاصلة اجريا الوصل مجرى الوقف وفيها نقل ان يسكون اللام
وهو محتمل وقال الزمخشري والزلفى بمعنى الزلفة كما ان القربى بمعنى القربة يعني انه مما تفاقت
فيه تاء التانيث والفرق بين اسماء زلفا وجهان احدهما ان تنصب على الظرف او تنصب المفعول به بفعل
اي المراد بها ساعات الليل التقريب والثاني ان ينصب انتصاب المفعول به بفعل على الصلوة

نون ضم

للصلاة كانه قيل اقم الصلاة الواقعة في قدمي الزلفى والله
وان لم يكن ظرفا

قال الزمخشري بعد ان ذكر القراءات المتقدمة وهو ما يقرب من اخر النهار ومن الليل وقيل
زلفا من الليل وقربا من الليل وحتما على هذا التفسير انه عطف على الصلوة اي اقم الصلوة
طرفي النهار واقم زلفا من الليل على معنى صلوات تقرب بها الى الله عز وجل والزلف
الليل والمزلفة اول ساعات الليل قال ثعلب وقال الاخفش وابن قتيبة الزلف ساعات
الليل واحدها زلفة فكل ساعة منه زلفة فلم يخصصاه باول الليل وقال النحاج
• ناج طواه الليل مما وجفا • طي الليالي زلفا فزلفا • سماوة الهلال حتى احقوقفا •
واصل الكلمة من الزلفى وهو القرب تعالى ازلفنه فازدلف اي قربه فاقترب قال تعالى وازلفنا
ثم الاخرين وفي اكثر التفاسير ازدلفوا الى الله بركعتين وقال الراغب والزلفة المنزلة والحظوة وقد
استعملت الزلفة في معنى القداد كاستعمال البشاشة ونحوها والمزالف المراقي وسميت
ليلة المزدلفة لقربهم من منى بعد الافاضة وقوله من الليل صفة لزلفا فصل معنى طرفي النهار
اي الغداة والعشي قال مجاهد طرفي النهار صلوة الصبح والظهر والعصر وزلفا من الليل
المغرب والعشاء وقال ابن عباس طرفي النهار الغداء والعشي يعني صلوة الصبح والمغرب
فصل قال ابن الخطيب الامر ان الصلوات التي في طرفي النهار هما الفجر والعصر ولذلك كان
لان احد طرفي النهار طلوع الشمس والثاني غروبها الشمس فالاول هو صلوة الفجر والطرف
الثاني لا يجوز ان يكون صلاة المغرب لان الله تعالى عطف قوله وزلفا من الليل عليه فوجب حمل الطرف
الثاني على صلوة العصر واذا تقرر هذا كانت الاية دليلا على قول ابي حنيفة رضي الله عنه
في ان التنوير بصلوة الفجر افضل وفي ان تاخير العصر افضل لان ظاهر الاية يدل على وجوب
اقامة الصلوة في طرفي النهار وبينا ان طرفي النهار الزمان الاول لطلوع الشمس والزمان
الاول لغروب الشمس واجمعت الامة على ان اقامة الصلوة في ذلك الوقت مرغب غير مرخص فيه
غير مشروع فقد تعذر العمل بظاهر الاية فوجب حمله على المجاز وهو ان يكون المراد اقامة
الصلوة في الوقت الذي يقرب من طرفي النهار لان ما يقرب من الشيء يجوز ان يطلق عليه اسمه
واذا كان كذلك فكل وقت كان اقرب لطلوع الشمس والى غروبها كان اقرب الى ظاهر اللفظ
واقامة صلوة الفجر عند التنوير اقرب الى وقت الطلوع من اقامتها عند التغليس ولذلك
اقام صلوة العصر عند ما يصير ظل كل شيء مثله والمجاز كلما كان اقرب الى الحسنة كان حمل
اللفظ عليه اولى فصل قال القاضي ابو بكر بن العربي قالت الخوارج نشكوا بهذه
الاية في اسقاط الواجبات ليس الا الفجر والعشاء في وجهين احدهما انها وقعتا على طرفي
النهار فوجب ان يكون هذا المعنى كافيا قال قيل وقوله تعالى وزلفا من الليل يوجب
صلوات اخر قلنا لا نسلم لان طرفي النهار موصوفا بكونهما زلفا من الليل فان حاله يكون
نهارا يكون الليل عايه ما في الباب ان هذا يقتضي عطف الصفة على الموصوف وذلك كثير
في القرآن والشعر الوجه الثاني انه تعالى قال ان الحسنات يذهبن السيات وهذا يقتضي

يعني صلوة العشاء وقال الحسن طرفي النهار الصبح والعصر وزلفا من الليل المغرب

شيء مثليه اقرب الى وقت الغروب من اقامتها عند ما يصير ظل كل شيء مثله

ان من صلى طرفي النهار كان اقامتها كفارة لكل ذنب فيقتضي ان يقال ان سائر الصلوات واجبة
الا ان اقامتها يجب ان يكون كفارة لترك سائر الصلوات وهذا القول باطل باجماع الامة
فلا ملتفت اليه فصل قيل في قوله وزلفا من الليل انه يقتضي الامر باقامة الصلوة في زلف
من الليل واقل الكم ثلاثة والمغرب والعشاء فان وجب الحكم بوجوب الوتر
ان الحسنات يذهبن السيات قال ابن عباس ان الصلوات الخمس كفارات لسائر الذنوب بشرط
اجتناب الكبائر وروي عن مجاهد ان الحسنات هي قول العبد سبحان الله والحمد لله ولا اله
الا الله والله اكبر روي انها نزلت في البيعة قال اتتني امرأة تبتاع تمرا فقلت ان في بيتي تمرا
اطيب منه فدخلت معي البيت فاهويت اليها فقبلتها فاتيت ابا بكر فذكرت ذلك له فقال
استر على نفسك وتب فاتيت عمر فقال استر على نفسك وتب فلم اصبر فاتيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال اخلفت غازيا في سبيل الله في اهله بمثل هذا حتى ظن
انه من اهل النار فاطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اوحى اليه واقم الصلوة طرفي
النهار الاية فقال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الهذا خاصة ام للناس عامة فقال
بل للناس عامة وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول الصلوة الخمس والجمعة
الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات ما بينهن اذا اجتنبت الكبائر وعن ابي هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ارايتم لو ان بباب احدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات
هل يبقى من درنه شيء قالوا لا قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا فصل
احتج من قال ان المعصية لا تضر مع الايمان بهذه الاية لان الاعمال اشرف الحسنات واعظمها
وافضلها ودلت الاية على ان الحسنات يذهبن السيات والايمان يذهب الكفر الذي هو
اعلا درجة في العصيان فلان يذهب المعصية التي هي اقل درجة اولى فان لم نقل ان الله
العفو تاله فلا اقل من ان يقيد اراله العذاب الدايم الموبد بما قاله تعالى في ذلك
ذكري اذ ذلك الذي ذكرنا وقيل يوا شاره الى القرآن ذكرى موعظة للذاكرين اي لمن ذكر
واصبر يا محمد على ما يقولون من الاذى وقيل على الصلاة نظيره وامر اهلك بالصلوة واصطبر
عليها قال الله لا نضيع اجر المحسنين في اعمالهم وقال ابن عباس يعني المصلين قوله تعالى
فلولا كان من القرون من قبلكم الاية لما بين ان الامم المتقدمين حل بهم عذاب الاستئصال
بين ان السبب فيه امران الاول انهم ما كان فيهم قوم مهمون عن الفساد في الارض فقال
فلولا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية ينهون عن الفساد الا قليلا ممن انجينا منهم
قوله تعالى يا حسرة على العباد وما روي عن الخليل انه قال كل لو في القرآن فمعناها هلا
الا التي في الصافات فلو انا نصبر عنه لو ردها الدليل في غير الصافات لو ان الله هدانا لهديناكم
ولو ان لي كرة فاكون من المحسنين ومن القرون يجوز ان يتعلق بكان لانها هنا تامة اي الماضين
فعلا وحذف من القرون او حذف ونحو ذلك ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه حال
من اولوا بقية لانه لو تاخر عنه لجاز ان يكون نعتا له ومن قبلكم حال من القرون وينهون

حال من اولوا بقيته لتخصصه بالاضافة ويجوز ان يكون نعتا لاولوا بقيته وهو اولى ويضعف
ان يكون كان هنا ناقصة لبعد المعنى من ذلك وعلى تقدير تعلق من القرون بالمحذوف
على انه حال لان كان الناقصة لا تقع عند جمهور النحاة ويكون بهنوك في محل نصب
خبر الكان وقرا العامة بقيه بفتح الباء وتشديد الياء وفيها وجهان احدهما انها صفة
على فعيله للمبالغة بمعنى فاعل اى ذات بقيه بمعنى فاعل ولذلك دخلت التاء والمراد بها حينئذ
السجية وخياره وانما قيل لخيار بقيه وخيار بقيه في قولهم فلان بقيه الناس وبقيه الكرام لان
الرجل يستبقى مما يحرجه اجوده وافضله والرجل سمى بهذه الكرجوده وفضله وعلته
حمل بيت الحماسه ان بني عمهم باتين بقيتكم وفي المثل في الروايا حمايا وفي الرجال
بقايا والثاني انها مصدر بمعنى البقوى قال الزمخشري ويجوز ان يكون البقيه بمعنى البقوى
كالتقيه بمعنى التقوى اى فهلا كان منهم ذوو ابقاء على انفسهم وصيانه لها من سخط الله
وعقابه والمعنى فهلا كان منهم اولو امر ناهين وحشيد من اسعاد الله وقراء فوقه تقيه
بحذف الياء وهي اسم فاعل من بقي كشجيه من يشجو والمعنى اولوا طائفه بقيه اي باقيه وقرا
ابو جعفر وشيبه بقيه بضم الفاء وسكون العين وقرى بقيه على المصدر وفي الارض
متعلق بالفساد والمصدر المعترض به لعموم المفاعيل الصريحه وقيل في الظروف
ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه حال من الفساد **وقل** المعنى فهلا كان من القرون
الواهلكناهم من قبلكم اولوا بقيه وقل اولوا طاعة اى من فيه خير ما له فلان على بقيته
من الخير اذا كان على حصله محموده ينهون عن الفساد في الارض اى يمنعون ما النهي عن
الفساد ومعناه تحذا اى لم يكن فيهم اولوا بقيه **قوله** الا قليلا فيه وجهان احدهما
ان يكون استثنا منقطعا ولذلك ان يحمل التحصيص على حقيقته واذا حمل على حقيقته يتعين
ان يكون الاستثنا منقطعا ليلا يفسد المعنى قال الزمخشري معناه ولكن قليلا ممن انجيناهم من القرون
نهوا عن الفساد وساءهم ما ركبوا النهي عنه قال فان قلت هل يوقع هذا الاستثنا متصلا
وجه يحمل عليه قلت ان جعلته متصلا على ما عليه ظاهر الكلام كان المعنى فاسدا لانه
يلزم تخصيص قليل لا ولي البقيه على النهي عن الفساد الا للقليل من الناجين منهم كما تقول مثلا
قراقوم كل العراق الا الصلحا منهم تريد اساسا الصلحا من التخصيص على قراءة البنا
للمفعول ولك للحلام الى الناجين لم يحصوا على النهي عن الفساد وهو معنى فاسد والمعنى
ان يكون متصلا ولذلك بان يؤول التخصيص بمعنى النفي فيصح ذلك لانه يؤدي الى النصب
في غير الموجب وان كان غير الصدر اولى قال الزمخشري فان قلت فما تخصيصهم على النهي
عن الفساد معنى بقيه عنهم وكانه قيل فما كان من القرون اولوا بقيه الا قليلا كان استثنا
متصلا ومعنى صحيحا وكان انتصابه على اصل الاستثنا وان كان الاكثر ان يرفع اذا تقدم المدلول
ويوتى بالتخصيص هنا في معنى النفي فراه يرد على الاقليل كما حط معنى النفي وابداله على
الافصح لقوله ما فعلوه الا قليل منهم وقال لعمر اللعني فلم يكن ذلك الا استفهام ضرب من

المحد سمى التخصيص استثنا ما ويعلم عن الاخفش انه كان يرى تقدير اتصاله هذا الا
كانه لحظ المعنى ومن ثم سماه الزمخشري ان يكون للتخصيص بل
للبيان وعلله حتما ان يكون للبيان لا للتخصيص لان التخصيص انما يكون للناهين وحدهم
بدليل قوله تعالى انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا العذاب بيئس
فعلى الاول متعلق بمحذوف على انها صفة لقليلا وعلى الثاني يتعلق بمحذوف
على سبيل البيان اى اعني **قوله** واتبع الذين ظلموا ما ابرفوا فيه هذا السبب
الثاني لزيد وله عذاب الاستئصال قرا العامة واتبع بهمزة وصل وما شدده
وما موصوله حين وعلما مفعولا متنبا للفاعل وفيه وجهان احدهما انه معطوف
على مضمر والثاني ان الواو للحال لا للعطف ويتضح ذلك بقول الزمخشري فان
قلت علام عطف قوله واتبع الذين ظلموا قلت ان كان معناه وابتعوا الشهوات
كان معطوفا على مضمر لان المعنى انه قليلا ممن انجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع
الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف على نهوا وان معناه واتبعوا جزاء الاترافهم
فالواو للحال كانه قيل انجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا جزاءهم لحوزهم قوله
ما ابرفوا وجهين احدهما انه مفعول من غير حذف مضاف وما واقعه على
السهوات وما بطروا بسببه من النعم والثاني على انه حذف مضاف اى جزا
ما اترفوا وردت على هذين الوجهين القول في واتبع والاترافا بعاله من الترف
وهو النعمه يقال صبي مترف اى منعم البدن وابرفوا نعموا وقيل الترفه التوسع
في النعمه وقال مقاتل بن حيان اسرفوا وقال الفراء عودوا اى واتبع
الذين ظلموا ما عودوا وامر النعيم واشار الدانت على الاخر وقرا ابو عمرو وروايه
الجعفي وابو حفص واتبع بضم همزه القطع وسكون السين وكسر الباء مبنيا للمفعول
وقد حذف من حلف مضاف اى اتبعوا جزا ما اترفوا فيه وما يحوز ان يكون
بمعنى الذي وهو الظاهر لعود الضمير في فيه عليه ويجوز ان يكون مصدريه اى
جزا اترافهم **قوله** وكانوا مجرمين كافرين وفيه بلاغه اوجز احدهما ان يكون
عطفا على اسرفوا اذا جعلنا ما مصدريه اى اتبعوا اترافهم وكونهم مجرمين
والثاني انه عطف على اتبع اى اتبعوا شهواتهم وكانوا مجرمين بذلك لان تابع الشهوات
مجرم والاقام الثالث ان يكون اعتراضا وحكما عليهم بانهم قوم مجرمون وذكر الزمخشري
قال ابو حيان ولا يسمى هذا اعتراضا في اصطلاح النحو لانه اخبر انه قليل من سبق
بحاج احدهما الى الاخر **قوله تعالى** وما كان ربك ليهلك القرى بظلم الايه
اللام في ليهلك الثاني هي الداخله على الخبر كان المنفي كما هو راى الكوفيين او كونها متعلقه بخبر كان المحذوف وهو مذهب البصريين
ومظلم متعلق بيهلك والباء سببيه وجوز الزمخشري ان يكون حالا من فاعل

ليهلك وقوله واهلها مصلحون جملة حالية **فصل** قيل المراد بالظلم هنا الشرك قال تعالى ان الشرك لظلم عظيم والمعنى انه تعالى لا يهلك اهل القرى بمجرد شركهم اذا كانوا مصلحين في المعاملات فيما بينهم ولهذا قال الفقهاء ان حقوق الله تعالى مبناها على المسامحة وحقوق العباد مبناها على التضييق والتشديد وقيل ان الملك يبقى على الكفر ولا يبقى على الظلم ويدل على هذا التاويل ان قوم هود وصالح ولوط وشعيب انما نزل بهم عذاب الاستيصال لما حكى الله تعالى عنهم من ايذاء الناس وظلم الخلق وهذا تاويل اهل السنة وقالت المعتزلة انه تعالى لو اهلكهم حال كونهم صالحين لكان ظالما وبما كان متعاليا عن الظلم لاجرم انه انما يهلكهم لاجل سوء افعالهم وقيل معنى الآية لا يهلكهم بظلم منه وهم مصلحون في اعمالهم ولكن يهلكهم بكفرهم وقولهم السيات وهذا معنى قول المعتزلة ثم قال تعالى ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة كلهم على دين واحد ولا يزالون مختلفين على اديان شتى من يهودي ونصراني ومجوسي ومشرك ومسلم وقد تقدم الكلام على ذلك **قوله** الا من رحم ربك ظاهره انه متصل وهو الاستثناء من فاعل يزالون او من الضمير في مختلفين وجوز المحققون ان يكون استثناء منقطعا اي لكن من رحم لم يختلفوا والضرورة تدعو الى ذلك **قوله** ولذلك في الاشارة اليه اقوال الاظهر منها انه الاختلاف المدلول عليه بمختلفين ليكون كقوله

اذا اتى السفيه جرى اليه ٭ وحالف والسفيه الى خلاف ٭

رجع الضمير من اليه على السفه المدلول عليه بلفظ السفيه ولا بد من حذف مضاف على هذا اي ولثمرة الاختلاف خلقهم واللام في الحقيقة للصيرورة اي خلقهم ليصيروا مرحومين الى الاختلاف وقيل المراد بالرحمة المدلول عليها بقوله رحم وانما ذكر ضمائرها الى الخبر وقيل المراد به المجموع منهما والله تعالى اعلم **قوله** وتمت كلمة ربك في الكلام تقديم وتاخير وهو قول مرجوح لان الاصل عدم ذلك **فصل** قال الحسن وعطاء وللاختلاف خلقهم وقال ابن عباس سالت ما الكاف والهاء عائدة في ذلك فقال خلقهم ليكون فريق في الجنة وفريق في السعير قال ابو عبيد الذي اختاره قوله من ذلك خلق وتمت كلمة ربك لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وقوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الجنة وخلق لها اهلا وخلق النار وخلق لها اهلا وقال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة والضحاك وللرحمة خلقهم يعني الذين رحمهم قال الفراء خلق اهل الرحمة للرحمة واهل الاختلاف للنار ومحصول الآية ان اهل الباطل مختلفون

واهل الحق متفقون فخلق اهل الحق للاتفاق واهل الباطل للاختلاف وذهبت المعتزلة الى قول ابن عباس وهو انه خلقهم للرحمة قالوا ولا يجوز ارجاعه للاختلاف خلقهم لوجوه الاول ان عود الضمير الى اقرب المذكور وهو هنا الرحمة والاختلاف والثاني لو خلقهم للاختلاف واراده منهم لم يجز ان يعذبهم عليه وكانوا مطيعين بذلك الاختلاف الثالث انا اذا فسرنا الآية بالرحمة كان مطابقا لقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فان قيل لو كان المراد بالرحمة خلقهم لقال ولذلك الرحمة خلقهم ولم يقل ولذلك خلقهم قلنا ان تانيث الرحمة ليس حقيقيا فكان محمولا على الفضل والغفران كقوله ان رحمت الله قريب من المحسنين **فصل** احتج من قال بان القدرة والايمان لا تحصلان الا بتخليق الله تعالى بهذه الآية وذلك لانها تدل على ان زوال الاختلاف في الدين لا يحصل الا من الله برحمته لقوله تعالى ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك وتلك الرحمة ليست عبارة عن اعطاء القدرة والعقل وارسال الرسل وانزال الكتب وازاحة العذر فان كل ذلك حاصل للكفار فلم يبق الا ان يقال تلك الرحمة هو انه تعالى يخلق فيه تلك الهداية والمعرفة قال القاضي معناه الا من رحم ربك بان يصيره من اهل الجنة والثواب رحمه الله بالطافه وتسهيله وهذان الجوابان في غاية الضعف اما الاول فلان قوله تعالى ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك يفيد ان ذلك الاختلاف انما ارتفع بسبب هذه الرحمة فوجب ان يكون هذه الرحمة جارية مجرى السبب المتقدم على زوال الاختلاف والثواب شيء ما جرى زوال هذا الاختلاف فالاختلاف جار مجرى السبب له فحمل هذه الرحمة على الثواب لا يجوز واما الثاني وهو حمل هذه الرحمة على الالطاف التي فعلها في حق المؤمن وهو مفعول ايضا في حق الكافر وهذه الرحمة امر اختص به المؤمن ويجب ان يكون بسيار تاييد اعلى ذلك الالطاف وايضا فحصول ذلك الالطاف هل يوجب رجحان وجود الايمان على عدمه ام لا يوجبه فان لم يوجبه كان وجود ذلك الالطاف وعدمها بالنسبة الى حصول هذا المقصود سيان فلم يكن لطفا منه وان اوجب الرجحان فقد ثبت في العقليات انه متى حصل الرجحان فقد حينئذ ان يكون حصول الايمان مراد الله ومما يدل على ان حصول الايمان لا يكون الا بخلق الله لانه لما لم يتم الايمان عن الكفر والعلم عن الجهل اشبع القصيد الى تكوين الايمان والعلم وهذا الكلام انما يحصل اذا علم ان كل احد من العباد الا عتقادات مطابقا للمعتقد وكون الامر كذلك انما يصح من العبد اذا عرف ان ذلك المعتقد ليس بجهل وهذا يوجب ان لا يصح من العبد

القصد الى يكون العلم بالشئ الا بعد ان كان عالما وذلك يقتضي يكون الحاصل
وتحصيل الحاصل وهو محال فثبت انه زال الاختلاف في الدين وحصول
العلم والمعاد لا يحصل الا بحلول الله تعالى ثم قال وتمت كلمة ربك وتم
كلام ربك لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين فقوله اجمعين تاكيد والالف
اللام تستغرق كل وقد جاء هنا وهناك والجنة والجن قبيل واحد والتاء فيه للمبالغة
وقيل الجنة جمع جن فيكون مثل كم للجمع وكماه للواحد قوله ولا تقص عليك الا بما
لما ذكر القصص التي في هذه السورة ذكر في هذه الاية نوعين من الفائدة
احدهما تثبيت الفؤاد على اداء الرسالة وعلى الصبر واحتمال الاذى وذلك
لان الانسان اذا تلى محنة وبليه فاذا رأى له نظائر كان ذلك على قلبه
كما قال المصيبة اذا عمت خفت فاذا سمع الرسول صلى الله عليه وسلم
ما هذه القصص وعلم ان حال جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام مع اممهم
هكذا سهل عليه تحمل الاذى من قومه وامكنه الصبر عليه والعاقبة الحسنة قوله
وجاءك في هذا الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين قوله تعالى ولا نقص عليك في
نصبه اوجه احدها انه مفعوله والمضاف اليه محذوف عوض منه التنوين
تعدى وكل بنا نقص عليك ومن انبا سار له او صفة اذا قدر المضاف اليه نكرة
وقوله ما نثبت به وهو مفعول نقص الثالث كما تقدم الا انه جعل ما صلة والتقدير
وكل ما نقص من انبا الرسل نثبت به فؤادك كذا اعربه ابو حيان وقال كثير
في قوله قليلا ما تذكرون الرابع ان يكون كلا نصبا على الحال من انبا وثبت وفي
الوجهان انما يجوز اذا عيد الاخفش فانه يجوز تقدم حال المجرور بالحرف عليه لقوله
تعالى والسموات مطويات بيمينه في قراءة من نصب مطويات وقوله الاخر

• هطن لو شر محتبي اذ راعهم • فهم ودهطي دبيه جدار

فصل النبأ والخبر الذي يحتاج اليه من انبا الرسل من اخبارهم واخبار امهم
نقصها عليك ما نثبت به فؤادك ليزداد يقينا وقوى قلبك وذلك ان النبي
صلى الله عليه وسلم اذا سمعها كان ذلك تقوية لقلبه على الصبر وعلى اذى قومه
وجاء في هذه الحق قال الحسن وقتادة وفي هذه الدنيا وقال الاكثرون في هذه السورة
حق السورة تنزيلا واركان قد جاءه الحق في جميع السور وقيل في هذه الاية
والمراد بالحق البراهين الدالة على التوحيد والعدل والنبوة وموعظة اي وجاءك
موعظة وذكرى للمتقين والمراد بالذكرى الاعمال الباقية الصالحة في الدار الاخرة
ثم قال تعالى وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم وهذا تهديد ووعيد لانه تعالى
لما بالغ في الانذار والترهيب اتبع ذلك بان قال للرسول صلى الله عليه وسلم

يجوز ان يكون بدلا من كلا وان
يكون خبر مبتدا مضمر اي هو
وما نثبت او منصوب باضمار
اعني الثاني او منصوب
على المصدر اي كل القصص
نقص من انبا صفة او بيان
وما نثبت ضمير

وقل للذين لا يؤمنون ولم يؤمنوا هذه البينات البالغة اعملوا على مكانتكم انا عاملون
وهذا غير ما حكاه الله تعالى عن شعيب عليه السلام انه قال لقومه وللمعنى اعملوا كلما تقدرون
عليه في حقي من الشر فنحن ايضا عاملون وقوله اعملوا وان كانت صيغة امر فالمراد به
التهديد كقوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك وكقوله تمتعوا فليونس ومن
شاء فليكفر واسطروا ما تعلم الشيطان من الكذب انا منتظرون ما وعدنا الرحمن من
الخير والاحسان قال ابن عباس رضي الله عنهما واسطروا الهلاك فانا منتظرون
لكم العذاب وقيل اسطروا اما نحل بنا من رحمة الله انا مسطرون ما نحل بكم من نقمته
ثم انه تعالى ذكر خاتمة شريفة عالية جامعة لكل المطالب الشريفة فقال ولله غيب
السموات والارض علم ما غاب عن العباد اي ان علمه نافذ في جميع الكائنات
والجزئيات والمعدومات والموجودات واليه يرجع الامر كله في المعاد فرانا فوض
كله اليه حتى لا يكون للخلق امر ولا عمل ويتوكل عليه ويثق به وما ربك بغافل عما تعملون
قرا نافع وابن عامر وحفص تعلون بالخطاب لقوله اعملوا والباقون بالغيبة رجوعا على
قوله للذين لا يؤمنون وهذا الخلاف ايضا آخر النمل قال لعبد الله بن مسعود
خاتمة سورة هود روى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ابو بكر رضي الله عنه
يا رسول الله قد شبت قال صلى الله عليه وسلم شيبتني هود والواقعة والمرسلات
وعم يتساءلون واذا الشمس كورت وترى كشيبتي هود واخواتها وتروى
سبعتني هود واخواتها الحاقة والواقعة وعم يتساءلون وهل اتاك حديث
الغاشية قال الحكيم الترمذي الفزع يورث الشيب ودلائل الفزع
بدهم النفس فتنشف رطوبة الجسد وتحف كل شعر منبع ومنه سرب فاذا
نشف الفزع رطوبته يبست الينابيع فيبس الشعر وسقط كما يروى
الزرع بسقياه فاذا ذهب سقياه يبس فابيض وانما يبيض شعر الشيخ
لذهاب رطوبته ويبس جلده والنفس بدهل يوم عبد الله بن الهول قيد هب
ويسف ما هاذ لك الوعيد والهول الذي جاءه ومنه كشف قال
يوما يجعل الولدان شيبا وقال الاحنف ما حل بآل النفس اذا بلوها تراثا
على فلوهم من ملكه وسلطانه ومطشه باعدائه فلو ما توا من الفزع لحولهم
وللرب الله تعالى يلطف بهم في ملك الاحياء حتى يقرا واكلامه لبد لك اخر
ايه سورة هود قال بلاوه هذه السورة مما تكشف لعلوب العارفين من سلطان
ونطشه ما تذهل منه النفوس وتشيب منه الروس قال الوطي وقيل
ان الذي شيب النبي صلى الله عليه وسلم من سورة هود هو قوله تعالى فاستقم كما امرت

بلغ مقابلة بحسب الطاقة

وقال عمرو بن ابي عمرو العبدي قال لي يزيد بن ابان رضي الله عنه النبي
صلى الله عليه وسلم في المنام وقرات عليه سورة هود فلما ختمتها قال
يا يزيد قرات فاز القتلة واسند ابو محمد الدارمي في مسنده عن كعب
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأوا سورة هود
يوم الجمعة

بحر هذا الجزء من تفسير القرآن العظيم
لابن عادل الحنبلي رحمه
الله تعالى ورحمه
واسكنه فسيح
جنته
آمين

SÜLEYMANİYE G. KÜTÜPHANESİ	
Kısmı	Yeni Camı
Yeni Kayıt	
Eski Kayıt No.	80
Tasnif No.	297.1